

المنتقى في التفسير

تقديم

أ.د مساعد بن سليمان الطيار

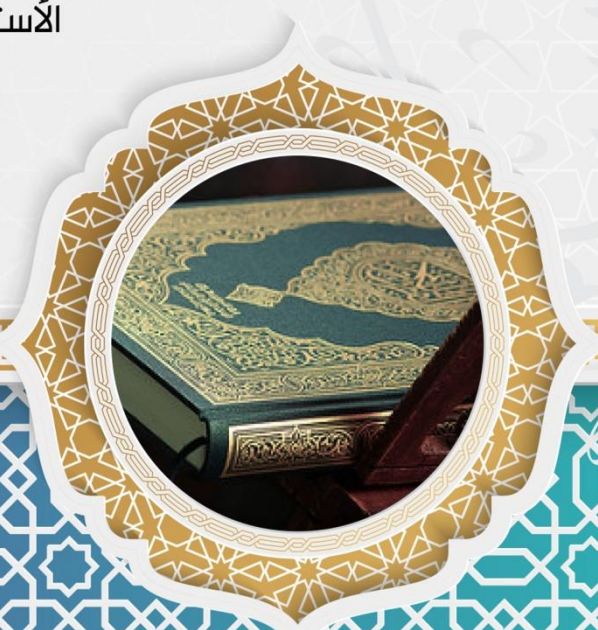
أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود

جمع وإعداد

أ.د عبدالله بن صالح السيف

الأستاذ في قسم الدراسات الإسلامية

بجامعة الملك سعود



اضغط هنا
للدخول في المسابقة الرمضانية
أو
للاختبار الشخصي في التحصيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ح) عبدالله صالح عبدالعزيز السيف، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السيف، عبدالله صالح

المنتقى في تفسير القرآن الكريم. / عبدالله صالح السيف. - الرياض، ١٤٣٨هـ

٧٠٥ ص ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٢-٣٤٩٥-٠

١- القرآن - غريب
٢- القرآن - تفسير
أ. العنوان
١٤٣٨/٣٢٨٩
ديوي ٢٢٤.٣

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٣٢٨٩

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٢-٣٤٩٥-٠

الطبعة الثانية

(١٤٤٤هـ / ٢٠٢٣م)

حقوق الطبع غير محفوظة

فهرس السور

الفاتحة	البقرة	آل عمران	النساء	المائدة	الأنعام	الأعراف	الأنفال	التوبة	يونس
هود	يوسف	الرعد	إبراهيم	الحجر	التحل	الإسراء	الكهف	مريم	طه
الأنبياء	الحج	المؤمنون	النور	الفرقان	الشعراء	النمل	القصص	العنكبوت	الروم
لقمان	السجدة	الأحزاب	سبأ	فاطر	يس	الصفاءات	ص	الزمر	غافر
فصلت	الشورى	الزخرف	الدخان	الجاثية	الأحقاف	محمد	الفتح	الحجرات	ق
الذاريات	الطور	النجم	القمر	الرحمن	الواقعة	الحديد	المجادلة	الحشر	المتحنة
الصف	الجمعة	المنافقون	التغابن	الطلاق	التحریم	الملك	القلم	الحاقة	المعارج
نوح	الجن	المزمل	المدثر	القيامة	الإنسان	المرسلات	النبأ	النازعات	عبس
التكوير	الانفطار	المطففين	الانشقاق	البروج	الطارق	الأعلى	الغاشية	الفجر	البلد
الشمس	الليل	الضحى	الشرح	التين	العلق	القدر	البينة	الزلزلة	العاديات
القارعة	التكاثر	العصر	الهمزة	الفيل	قريش	الماعون	الكوثر	الكافرون	النصر
			المسد	الإخلاص	الفلق	الناس			

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله باري الكائنات، والصلاة والسلام على رسول الهدى الذي جاء بالبينات، وعلى آله وصحبه الذي حملوا مشاعل العلم، فاستنرنا به، فله الحمد والمنة على ما أنعم وتفضل، وله الشكر على ما ألهم وعلم.

أما بعد:

فإن أخي الدكتور عبدالله بن صالح السيف أحبُّ أن أقرأ في كتابه الذي ألفه من عدد من الكتب، وعنوانه بعنوان يدلُّ على محتواه، فسَمَّاهُ (المنتقى في تفسير القرآن الكريم)، وقد قرأت مقدمته ومواقع من كتابه، ورأيت أن فكرة كتابه قامت على انتقاء تفسيرات وفوائد ولطائف من عدد من الكتب التي ذكرها في مقدمة كتابه.

واجتهد الدكتور عبدالله في عمله هذا، وحرص على انتقاء مراجعه أولاً، ثم اقتناص الفوائد منها ثانياً، ثمَّ ثلَّث ذلك بحسن إخراجِه، فأخرجِه بصورة متميزة، راعى فيها حسن التنظيم والترتيب لمعلومات الكتاب، وشمل بذلك مقدمة السورة بما فيها من معلومات مختارة عند المؤلف، ثم آيات السورة مرتبة حسب عناوين جانبية تبين موضوعها، ثم يذكر المعاني واللطائف.

وللتزامه بأن لا تزيد المعلومات التي سينتقيها على صفحة المصحف المطبوع في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ترك ما يزيد عنده من فوائد مرتبطة بأي صفحة من صفحات المصحف في آخر الكتاب تحت ملحق خاص بها.

وأسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب كل من كان له فيه سبب بدءاً بمؤلفه، وانتهاءً بمن يقرأه ويستفيد منه؛ إنه ذو الفضل والسعة والكرم، والحمد لله رب العالمين.

كتبه/ أ.د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار

١٤٣٨/٥/١٦

أستاذ الدراسات القرآنية بكلية التربية بجامعة الملك سعود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد..

فالكتابة في العلوم الشرعية وتقريبها وتسهيلها للمتلقين شرف يلتمسه كل مسلم، ومن أهم ما ينبغي السعي إلى تقريب معانيه للناس آيات الذكر الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ لذا كان الإسهام بهذا المتقى الذي كتبه؛ لأستفيد من مطالعته بين فينة وأخرى، وأحسب أنه يناسب جملة من القراء.

وقد استفدت في إعداد هذه المادة من جرد جملة من الكتب منها: (تفسير الطبري - تفسير البغوي - تفسير ابن الجوزي - تفسير القرطبي - تفسير ابن كثير - تفسير الشوكاني - تفسير السعدي - تفسير أبي بكر الجزائري) وغير ذلك.

وكانت الاستفادة مما سبق لاستخلاص جملة من المعاني واللطائف^(١)، وربما رجعت إلى كتب بعض المحققين من أهل العلم عند ورود إشكال، ككتب شيخ الإسلام وتلميذه -ابن القيم-، وكتب ابن عثيمين -رحم الله الجميع-^(٢).

أما معاني الكلمات فقد استفدت إضافة إلى ما سبق من: (تفسير الجلالين - المختصر في التفسير - التفسير الميسر)، ولا يفوتني التنبيه إلى أن جل الاستفادة في الغريب كانت من كتاب (السراج في بيان غريب القرآن)

أما العناوين الرئيسية والجانبية في السور فقد استفدت من جملة من الكتب من أهمها : (المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير - التفسير الموضوعي لسور القرآن لمصطفى مسلم

(١) اكتفيت بذكر الفائدة وقائلها دون الجزء والصفحة، إذ إنه مع وجود الشبكة العنكبوتية، وانتشار البرامج الحاسوبية الميسرة فإنه يمكن للقارئ الرجوع إلى المصدر بيسر وسهولة.

(٢) وربما رجعت في بعض المواطن إلى كتب أخرى، كالتهذيب والتنوير لابن عاشور، وغير ذلك.

وآخرين – محتويات سور القرآن) إضافة إلى ما كتبه الدكتور : محمد الربيعه من مقاصد السور في كتاب المختصر في التفسير.

طريقة عرض الكتاب:

□ كانت طريقة عرض هذا المنتقى بهذا الشكل لأمر :

* أن الرسوخ يستدعي إدامة النظر والتكرار، وهذا يستدعي تسهيل وترتيب وحسن تنسيق ما يكرر.

* أن الفهم يكون أيسر وأسرع عندما يتهياً القارئ لما سيقراً قبل أن يقرأ؛ ولذا كانت العناوين التمهيدية، وكان العنوان الجامع للسورة^(١).

* أن معنى الآية سيكون أرسخ في الذهن إذا اطلع عليه وقت قراءة الآية لا بعدها أو بعد جملة من الآيات.

□ مما أوليته عناية بهذا المنتقى

الفوائد العلمية في شتى العلوم الشرعية - اللطائف البلاغية - الرقائق - الفوائد التربوية - كشف الإشكالات التي ربما ترد.

وأخيراً أنبه على عدة تنبيهات:

* دوري الأساس في هذا الكتاب هو مجرد الجرد، والانتقاء، والترتيب، فجزى الله علماء سابقين أفنوا أعمارهم في خدمة كتاب الله خير الجزاء.

* هذا الكتاب موجه لمن يتكلم العربية، لأنه لا يُوضَّح فيه معنى كل جملة ومفردة، فالقصد أنه ما دام القارئ يعرف العربية؛ فإنه سيفهم الكثير من الجمل والمفردات من السياق،

(١) وهذه العناوين إنما هي مفاتيح لتيسير الفهم، ولا يلزم أن كل ما تحتها داخل في فحواها، بل ولا يمكن.

وهذه الطريقة أدعى لرسوخ الغريب في الذهن، وأحرى بالتركيز في الآيات والتدبر، وقد تم تسهيل ذلك بوضع بعض العناوين الجانبية التي تبين أهم ما سيأتي من المعاني.

* المرجو من القراء عدم البخل بملاحظاتهم على برنامج (واتس أب):
٠٠٩٦٦٥٩٣٠٥٨٥٨٣ (انقر على الأيقونة، أو امسح الرمز):



*يوجد بحمد الله تطبيق بعنوان القرآن وتفسيره لمن أراد تحميله .

أبل



أندرويد



هذا والله أسأل أن ينفع به كاتبه والقارئ له إن ولي ذلك والقادر عليه.

أ.د. عبدالله بن صالح السيف

الأستاذ بقسم الدراسات الإسلامية

بجامعة الملك سعود

واتس / ٠٥٩٣٠٥٨٥٨٣

سورة الفاتحة

سورة مكية، فيها تعظيم الله، وتحقيق التوحيد والعبودية لله وحده، وفق المنهج الصحيح.

تمهيد: سورة الفاتحة من أعظم سور القرآن، فهي تحوي أغراض القرآن الأساسية، وما اشتملت عليه:

١ / توحيد الألوهية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

٢ / توحيد الربوبية ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

٣ / توحيد الأسماء والصفات ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

٤ / التذكير باليوم الآخر ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

٥ / عبادة الله والإخلاص له ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

٦ / الاستعانة بالله على ذلك ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

٧ / سؤال الله الهدية إلى الالتزام بالصرات المستقيم - طريق الأنبياء - وتجنب الطرق الفاسدة. (بقية السورة)

تسميتها:

* سميت فاتحة الكتاب؛ لأنه تعالى بها افتتح القرآن، وسميت أم القرآن: لأنها أصل القرآن، وقيل: لأنها مقدمة وإمام لما يتلوها من السور، والسبع المثاني: لأنها سبع آيات باتفاق العلماء، وسميت مثاني؛ لأنها تشني في الصلاة، فتقرأ في كل ركعة. ينظر: تفسير البغوي

* ومن أسماؤها: الصلاة، قال الله تعالى في الحديث القدسي: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين» الحديث. وقد تقدم.

الثاني: سورة الحمد؛ لأن فيها ذكر الحمد. ينظر: تفسير القرطبي

* ليس في تسميتها بالمثاني ما يمنع من تسمية غيرها بذلك، قال الله عز وجل: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِي﴾ [الزمر: ٢٣] فأطلق على كتابه: مثاني؛ لأن الأخبار تشني فيه. وقد سميت السبع الطول أيضا مثاني؛ لأن الفرائض والقصص تشني فيها. قال ابن عباس: أوتي رسول الله ﷺ سبعا من

المثاني، قال: السبع الطول. ذكره النسائي، وهي من «البقرة» إلى «الأعراف» ست، واختلفوا في السابعة، فقليل: يونس، وقيل: الأنفال والتوبة، وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير. ينظر: تفسير القرطبي

فضائلها:

* عن أبي سعيد بن المولى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: «ألم يقل الله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]. ثم قال لي: «لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد». ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت له: «ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن»، قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ «هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته». صحيح البخاري.

* وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قال الله تعالى: حمدي عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، قال الله تعالى: أثني علي عبدي، وإذا قال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قال: مجدي عبدي - وقال مرة: فوض إلي عبدي - فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبي ما سأل، فإذا قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ١ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ قال: هذا لعبدي ولعبي ما سأل». صحيح مسلم

* وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ، سمع نقيضا من فوقه، فرفع رأسه، فقال: «هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته» صحيح مسلم.

* وعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: انطلق نفر من أصحاب النبي ﷺ في سفرة سافروها، حتى نزلوا على حي من أحياء العرب، فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم، فلدغ سيد ذلك الحي، فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتهم هؤلاء الرهط الذين نزلوا، لعله أن يكون عند بعضهم شيء، فأتوهم، فقالوا: يا أيها الرهط! إن سيدنا لدغ، وسعينا له بكل شيء لا ينفعه، فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم، والله إني لأرقي، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا، فصالحوهم على قطع من الغنم، فانطلق يتفل عليه، ويقرأ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فكانما نشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قلبه، قال: فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقسموا، فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي النبي ﷺ فنذكر له الذي كان، فننظر ما يأمرنا، فقدموا على رسول الله ﷺ فذكروا له، فقال: «وما يدريك أنها رقية»، ثم قال: «قد أصبتم، اقسموا، واضربوا لي معكم سهما» فضحك رسول الله ﷺ. البخاري

* يستحب لمن قرأ الفاتحة أن يقول بعدها: آمين قال أصحابنا وغيرهم: ويستحب ذلك لمن هو خارج الصلاة، ويتأكد في حق المصلي، وسواء كان منفردا أو إماما أو مأموما، وفي جميع الأحوال لما جاء في الصحيحين، عن أبي هريرة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أمن الإمام فأمنوا، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة، غفر له ما تقدم من ذنبه» وجاء عند ابن ماجه: «ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين». ينظر: تفسير ابن كثير

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أي: أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني أو دنيائي، أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه. ابن كثير

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم الشيطان ضد الملك وعدوه. فأمر القارئ أن يطلب من الله تعالى مبادعة عدوه عنه حتى يحضره خاصته وملائكته وهو -أي:

الشیطان - یجلب علی القارئ بخيله ورجله، حتی یشغله عن المقصود بالقرآن وهو أحرص ما یكون علی الإنسان عندما یمهم بالخير، أو یدخل فیهِ فهو یشدد علیه حیثئذ لیقطعہ عنه، فأمر سبحانه العبد أن یحارب عدوه الذی یقطع علیه الطریق ویستعیز بالله تعالیٰ منه. ینظر: إغاثة اللهفان لابن القيم

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ **أبتدئ قراءتی مستعیناً باسم الله ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذی وسعت رحمته جمیع العالمین ﴿الرَّحِيمِ﴾ (١) الذی یرحم المؤمنین**

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ المتعلق به [الباء] محذوف لدلالة الكلام علیه، تقديره: أبدأ بسم الله أو قل بسم الله. البغوي
* من شأن العرب، إذا أرادوا الخبر عن مُحَبَّر عنه، أن یقدِّموا اسمه، ثم یتبعوه صفاته ونعوته. الطبري

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) **المربي الخلق بنعمه**

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ اختلفوا: أيها أعم، الحمد أو الشكر؟ علی قولین، والتحقیق أن بینهما عموماً وخصوصاً، فالحمد أعم من الشكر من حیث ما یقعان علیه؛ لأنه یكون علی الصفات اللازمة والمتعدية، تقول: حمدته لفروسیته وحمدته لكرمه. وهو أخص لأنه لا یكون إلا بالقول، والشكر أعم من حیث ما یقعان علیه؛ لأنه یكون بالقول والعمل والنية وهو أخص لأنه لا یكون إلا علی الصفات المتعدية، لا یقال: شكرته لفروسیته، وتقول: شكرته علی كرمه وإحسانه إلى. هذا حاصل ما حرره بعض المتأخرین، والله أعلم. ابن كثير
﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال قتادة: كل صنف عالم. ابن كثير

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (٣) **مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٤) يوم الجزاء والحساب**

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فكأنه سبحانه یقول یا عبادي إن كنتم تحمدون وتعظمون للكمال الذاتي والصفات فاحمدوني فإني أنا الله وإن كان للإحسان والترية والانعام فإني أنا رب العالمین وإن كان للرجاء والطمع فی المستقبل فإني أنا الرحمن الرحيم، وإن كان للخوف فإني أنا مالك يوم الدين. الألوسي فی روح

المعاني «ت».

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ الطريق الذي لا عوج فيه وهو الإسلام الصحيح

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة والاستعانة: هي الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع، ودفع المضار، مع الثقة به في تحصيل ذلك. ينظر تفسير السعدي * قال بعض السلف: الفاتحة سر القرآن، وسرها هذه الكلمة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فالأول تبرؤ من الشرك، والثاني تبرؤ من الحول والقوة والتفويض إلى الله عَزَّوَجَلَّ. ابن كثير

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم أجل المطالب، ونيله أشرف المواهب: علم الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه، وتمجيده، ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم، توسل إليه بأسمائه وصفاته، وتوسل إليه بعبوديته، وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء. ابن القيم في مدارج السالكين.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ من ترك العمل بالعلم كاليهود ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ﴿٧﴾ من عمل بلا علم كالنصارى

﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ قال ابن عباس: هم النبيون، والصديقون، والشهداء، والصالحون. ابن الجوزي

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ اليهود فقدوا العمل، والنصارى فقدوا العلم؛ ولهذا كان الغضب لليهود، والضلال للنصارى؛ لأن من علم وترك استحق الغضب، بخلاف من لم يعلم. والنصارى لما كانوا قاصدين شيئاً لكنهم لا يهتدون إلى طريقه؛ لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه -وهو اتباع الرسول الحق- ضلوا، وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه، لكن أخص

أوصاف اليهود الغضب كما قال فيهم: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠]، وأخص أوصاف النصارى الضلال كما قال: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]، وبهذا جاءت الأحاديث والآثار. ابن كثير



سورة البقرة

كان بداية نزول السورة أول الهجرة إلى المدينة وامتد النزول طوال العهد المدني، ففيها تعليم المسلمين دينهم وتربيتهم على جملة من الأمور وتحذيرهم من الضلال ومن مسالك جمع من السابقين كبنى إسرائيل؛ وذلك لتحقيق الخلافة الحسنة في الأرض وتطبيق العبودية الصادقة.

سورة البقرة سميت بسنام القرآن: والسنام هو البارز من الشيء (من سنام البعير)؛ لأن فيها الأمر بالرفعة والعزة والجهاد أو لطولها وظهور كثير من الأحكام فيها. ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤ / ١٤٩١).

من فضائلها:

* عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ، قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة». مسلم

* وعن أبي الباهلي، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة». مسلم

* وعن أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه». متفق عليه

* وقد جاء في مسلم أن آية الكرسي أعظم آية في القرآن وجاء في البخاري أن من قرأها فإنه لن يزال عليه من الله حافظ، ولا يقربنه شيطان حتى يصبح.

أبرز موضوعات سورة البقرة

كان بداية نزول السورة أول الهجرة إلى المدينة ففيها تعليم المسلمين دينهم وتربيتهم على جملة من الأمور، وتحذيرهم من الضلال ومن مسالك جمع من السابقين كبنى إسرائيل؛ وذلك لتحقيق الخلافة الحسنة في الأرض.

فمن المواضيع التي تحدثت عنها السورة:

*الموضوع الأول: بيان الحق وموقف الناس منه وأنهم ينقسمون إلى (مؤمنين - كافرين - منافقين).

*الموضوع الثاني: الاستخلاف وحال من استخلف: فين - سبحانه - أنه قد قام بحق الاستخلاف آدم وإبراهيم عليهما السلام وعزل عن الاستخلاف - لأسباب - بنو إسرائيل.

- وفي السورة بيان لنعم الله على بني إسرائيل تعنت بني إسرائيل ومخالفاتهم مع الأنبياء السابقين ومع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقدم الأول؛ لبيان أن هذا ديدنهم ففيه تسلية للمصطفى صلى الله عليه وسلم.

*الموضوع الثالث: الحديث عن تحويل القبلة: وذلك بعد أن بين: ١/ تعنت اليهود في اتباع الأنبياء عموماً ٢/ ذكر حكم النسخ وأنه متقرر في جميع الشرائع. ٣/ ذكر اختلاف اليهود والنصارى وشيئ من ضلالهم. ٤/ عظم شأن الكعبة وأنها بنیان إبراهيم عليه السلام.

*الموضوع الرابع: جملة من الأصول والأحكام الشرعية في: (التوحيد - العبادات - المعاملات - الأسرة والجنايات) وهي من مقومات صلاح الفرد والأسرة والمجتمع وفيها أن التشريع لله ويجب التسليم لذلك خلافاً لما كان عليه بنو إسرائيل من التعنت.

* وفي ثانياً ذلك أتى الحديث عن جملة من القصص تنوعاً في الأسلوب القرآني وتنشيطاً للقارئ والسماع وفي القصص ترغيب في الجهاد بالنفس والمال والتحذير من عناد السابقين والحث على الإيمان بالغيب والإيمان كذلك بالبعث الذي أقامت السورة خمسة أدلة محسوسة عليه، وهي: إحياء بني إسرائيل بعد

موتهم: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ﴾ [البقرة: ٥٦]، وقصة قتيل بني إسرائيل: ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ٧٣]، وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وقصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، وقصة إبراهيم والطيور الأربعة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصف القرآن، وصفات المستفيدين منه

﴿الْمَ١﴾ هذا القرآن مؤلف من هذا الحروف ولا تستطيعون الإتيان بمثله

﴿الْمَ٢﴾ قال الشعبي وجماعة: الم وسائر حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، وهي سر القرآن، فنحن نؤمن بظواهرها، ونكل العلم فيها إلى الله تعالى. البغوي

﴿الْمَ٣﴾ قيل: نبه بذلك على إعجازه، فكأنه قال: هو من هذه الحروف التي تؤلفون منها كلامكم، فما بالكم تعجزون عن معارضته؟! فاذا عجزتم؛ فاعلموا أنه ليس من قول محمد عَلَيْهِ السَّلَام. ابن الجوزي، وينظر تفسير ابن كثير.

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شك أنه من عند الله ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٢﴾ (ومن صفاتهم) ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ اعلم أن الحكمة في الجمع بين الإيمان بالغيب وهو عقد القلب، وبين الصلاة وهي فعل البدن، وبين الصدقة وهو تكليف يتعلق بالمال، أنه ليس في التكليف قسم رابع، إذ ما عدا هذه الأقسام فهو ممتزج بين اثنين منهما، كالحج والصوم ونحوهما. ابن الجوزي

* كثيرا ما يجمع تعالى بين الصلاة والزكاة في القرآن، لأن الصلاة متضمنة للإخلاص للمعبود، والزكاة والنفقة متضمنة للإحسان على عبده، فعنوان سعادة العبد إخلاصه للمعبود، وسعيه في نفع الخلق، كما أن عنوان شقاوة

العبد عدم هذين الأمرين منه، فلا إخلاص ولا إحسان. السعدي

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ يُفْقُونَ﴾ لم يذكر المنفق عليهم؛ لكثرة أسبابه وتنوع أهله، ولأن النفقة من حيث هي قرابة إلى الله، وأتى بـ (من) الدالة على التبعض؛ لينبههم أنه لم يرد منهم إلا جزءا يسيرا من أموالهم، غير ضار لهم ولا مثقل ... وفي قوله: ﴿رَزَقْنَهُمْ﴾ إشارة إلى أن هذه الأموال التي بين أيديكم، ليست حاصلة بقوتكم وملككم، وإنما هي رزق الله الذي خولكم، وأنعم به عليكم، فكما أنعم عليكم وفضلكم على كثير من عباده، فاشكروه بإخراج بعض ما أنعم به عليكم، وواسوا إخوانكم المعدمين. السعدي

﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ سُمِّيت آخرة لتقدم الدار الأولى أمامها، فصارت التالية لها آخرة. وقد يجوز أن تكون سُمِّيت آخرة لتأخرها عن الخلق، كما سميت الدنيا «دنيا» لدنوها من الخلق. الطبري

﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ خصه بالذكر بعد العموم؛ لأن الإيمان باليوم الآخر، أحد أركان الإيمان، ولأنه أعظم باعث على الرغبة والرغبة والعمل. السعدي

﴿٢﴾

صفات الكفار

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٦﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى، فأخبره الله جل ثناؤه أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة في الذكر الأول، ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الأول. الطبري

﴿خَتَمَ اللَّهُ﴾ طبع الله ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً﴾ غطاء فلا يهتدون للحق ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٧﴾

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أخبر ﷺ أن الذنوب إذا تابعت على القلوب أغلقتها، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله عز وجل والطبع، فلا يكون للإيمان

إليها مَسْلُكٌ، ولا للكفر منها مَخْلَصٌ، فذلك هو الطَّبَعُ. والختم الذي ذكره الله.
الطبري

✽ قال مجاهد: القلب كال كف يقبض منه بكل ذنب إصبع، ثم يطبع. القرطبي

صفات المنافقين

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيَوْمَ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨﴾

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيَوْمَ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ النفاق هو: إظهار الخير وإبطان الشر، ويدخل في هذا التعريف النفاق الاعتقادي، والنفاق العملي. السعدي

✽ قال علماء اللغة: إنما سمي المنافق منافقاً؛ لإظهاره غير ما يضمّر، تشبيهاً باليربوع، له جحر يقال له: النافقاء، وآخر يقال له: القاصعاء. وذلك أنه يخرق الأرض حتى إذا كاد يبلغ ظاهر الأرض أرق التراب، فإذا رابه ريب دفع ذلك التراب برأسه فخرج، فظاهر جحره تراب، وباطنه حفر. وكذلك المنافق ظاهره إيمان، وباطنه كفر. القرطبي

✽ جاء أن عبد الله بن أبيّ بن سلول قال -لما كانت وقعة بدر-: هذا أمر قد توجه فأظهر الدخول في الإسلام، ودخل معه طوائف ممن هو على طريقته ونحلته، وآخرون من أهل الكتاب، فمن ثم وجد النفاق في أهل المدينة ومن حولها من الأعراب، فأما المهاجرون فلم يكن فيهم أحد؛ لأنه لم يكن أحد يهاجر مكرها، بل يهاجر ويترك ماله، وولده، وأرضه؛ رغبة فيما عند الله في الدار الآخرة. ابن كثير

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٩﴾

﴿يُخَادِعُونَ﴾ الخديعة: الحيلة والمكر، وسميت خديعة؛ لأنها تكون في خفاء. والمخدع: بيت داخل البيت تختفي فيه المرأة. ابن الجوزي
﴿وَمَا يُخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ لأنه يُظهر لها بفعله ذلك بها، أنه يُعطيها أمنيّتها، ويُسقيها كأس سُرورها، وهو مُوردُها به حياض عَطْبها. الطبري

* صار كيدهم في نحورهم، وحصل لهم بذلك الخزي والفضيحة في الدنيا، والحزن المستمر بسبب ما يحصل للمؤمنين من القوة والنصرة. ثم في الآخرة لهم العذاب الأليم الموجه المفجع، بسبب كذبهم وكفرهم وفجورهم، والحال أنهم من جهلهم و حماقتهم لا يشعرون بذلك. السعدي

﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ ﴾ **شك ونفاق** ﴿ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ ١٠ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ١١ ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ١٢ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ ﴾ **آمنوا كأصحاب النبي ﷺ آمنوا ظاهراً وباطناً** ﴿ قَالُوا ﴾ **فيما بينهم بعيدا عن المؤمنين** ﴿ أَتُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ١٣

﴿ **أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ** ﴾ لأن حقيقة السفه جهل الإنسان بمصالح نفسه، وسعيه فيما يضرها، وهذه الصفة منطبقة عليهم وصادقة عليهم. السعدي

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ **رؤسائهم** ﴿ قَالُوا إِنَّمَا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ ١٤ ﴿ **الله يستهزئ بهم ويمدهم ويمهلهم**

﴿ **فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ ١٥ ﴿ **يتحIRON ويعمون عن الرشد**

﴿ **وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّمَا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ** ﴾ ١٤ ﴿ **الله يستهزئ بهم** ﴾ المكر والخداع والسخرية على وجه اللعب والعبث متنف عن الله، عز وجل بالإجماع، وأما على وجه الانتقام والمقابلة بالعدل والمجازاة فلا يمتنع ذلك. ابن كثير

﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ** ﴾ ١٦

﴿ **اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى** ﴾ كل كافر بالله فإنه مستبدل بالإيمان كفرًا، باكتسابه الكفر الذي وجد منه، بدلا من الإيمان الذي أمر به. أو ما تسمع الله جل ثناؤه يقول فيمن اكتسب كفرًا به مكان الإيمان به وبرسوله: ﴿ **وَمَنْ يَتَبَدَّلِ**

الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿ [البقرة: ١٠٨] ؟ وذلك هو معنى الشراء. الطبري

﴿فَمَا رِيحَتْ بِجَدَرَتُهُمْ﴾ المنافقون هنا دفعوا رأس ما لهم وهو الإيمان؛ لشراء الكفر، أملين أن يربحوا عزاً وغنى في الدنيا، فخسروا ولم يربحوا، إذ ذُلُّوا وعُذِّبوا، وافتقروا بكفرهم. الجزائري



مثل المنافقين الأول: كمثل من أمن بإظهار كلمة الإيمان فإذا مات فجأة؛ جاءه الخوف والعذاب وظلمات القبر والمعاصي

﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم في نفاقهم ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (١٧)

﴿مَثَلُهُمْ﴾ قد تقرر عند علماء البلاغة أن لضرب الأمثال شأنا عظيما في إبراز خفيات المعاني، ورفع أستار محجبات الدقائق، ولهذا استكثر الله من ذلك في كتابه العزيز، وكان رسول الله ﷺ يكثر من ذلك في مخاطباته ومواعظه. الشوكاني

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ مثلهم المطابق لما كانوا عليه كمثل الذي استوقد نارا، أي: كان في ظلمة عظيمة، وحاجة إلى النار شديدة، فاستوقدها من غيره، ولم تكن عنده معدة، بل هي خارجة عنه، فلما أضاءت النار ما حوله، ونظر المحل الذي هو فيه، وما فيه من المخاوف، وأمنها، وانتفع بتلك النار، وقرت بها عينه، وظن أنه قادر عليها، فبينما هو كذلك، إذ ذهب الله بنوره، فذهب عنه النور، وذهب معه السرور، وبقي في الظلمة العظيمة والنار المحرقة، فذهب ما فيها من الإشراف، وبقي ما فيها من الإحراق، فبقي في ظلمات متعددة: ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة المطر، والظلمة الحاصلة بعد النور، فكيف يكون حال هذا الموصوف؟ فكذلك هؤلاء المنافقون، استوقدوا نار الإيمان من المؤمنين، ولم تكن صفة لهم، فانتفعوا بها

وحقنت بذلك دماؤهم، وسلمت أموالهم، وحصل لهم نوع من الأمن في الدنيا، فبينما هم على ذلك إذ هجم عليهم الموت، فسلبهم الانتفاع بذلك النور، وحصل لهم كل هم وغم وعذاب، وحصل لهم ظلمة القبر، وظلمة الكفر، وظلمة النفاق، وظلم المعاصي على اختلاف أنواعها، وبعد ذلك ظلمة النار وبئس القرار. السعدي

﴿ صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿١٨﴾ **عن الضلالة**

﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ لأنهم تركوا الحق بعد أن عرفوه، فلا يرجعون إليه، بخلاف من ترك الحق عن جهل وضلال، فإنه لا يعقل، وهو أقرب رجوعاً منهم. السعدي

المثل الثاني: مثل المنافقين في دخولهم الإسلام ظاهراً مع ما فيه من الابتلاء والامتحان

﴿ أَوْ كَصَيْبٍ ﴾ **كمطر شديد** ﴿ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيٓءِذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ ﴿١٩﴾ **جامعهم في جهنم**

﴿ أَوْ كَصَيْبٍ ﴾ قيل: هذا مثل ضربه الله للإسلام، فالمطر: الإسلام، والظلمات: ما فيه من البلاء والمحن، والرعد: ما فيه من الوعيد والمخاوف في الآخرة، والبرق: ما فيه من الوعد. يجعلون أصابعهم في آذانهم، يعني: أن المنافقين إذا رأوا في الإسلام بلاء وشدة هربوا حذراً من الهلاك. البغوي

﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿٢٠﴾

* قال قتادة: فالمنافق إذا رأى في الإسلام رخاءً أو طمأنينة أو سلوة من عيش، قال: أنا معكم وأنا منكم، وإذا أصابته شديدةٌ حَقَّقَ والله عندها، فانقَطَعَ به، فلم يصبر على بلائها، ولم يحتسب أجرها، ولم يَرْجُ عاقبتها. الطبري

* ففي المثل الناري لم يستفد مستوقدها غير الظلام والإحراق، وفي المثل المائي

لم يستفد أصحاب المطر إلا ما يروعههم ويزعجهم من الرعد والبرق، وهكذا المنافقون لا يرون في الإسلام إلا الشدة والقسوة. المختصر في التفسير.

* وقيل المثل الأول لمن آمن ثم ارتد، والثاني للمنافق. ينظر: الفتاوى (٢٧٣/٧)

الأمر بعبادة الله وحده

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا ﴿٢٢﴾ نَظَرًا وَأَمْثَالًا ﴿٢٣﴾ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿٢٢﴾ أنه لا رب لكم يرزقكم غيره

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ﴾ من تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية، واختلاف أشكالها وألوانها وطبائعها ومنافعها ... علم قدرة خالقها وحكمته وعلمه وإتقانه وعظيم سلطانه.

كما قال بعض الأعراب، وقد سئل: ما الدليل على وجود الرب تعالى؟ فقال: يا سبحان الله، إن البعرة لتدل على البعير، وإن أثر الأقدام لتدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج؟ ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟

وحكى فخر الدين عن الإمام مالك أن الرشيد سأله عن ذلك فاستدل باختلاف اللغات والأصوات والنغمات.

وعن أبي حنيفة أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى، فقال لهم: دعوني فأني مفكر في أمر قد أخبرت عنه ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها وتخرق الأمواج العظام حتى تتخلص منها، وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد. فقالوا: هذا شيء لا يقوله عاقل، فقال: ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع!! فبهت القوم ورجعوا إلى الحق

وأسلموا على يديه.

وعن الشافعي: أنه سئل عن وجود الصانع، فقال: هذا ورق التوت طعمه واحد تأكله الدود فيخرج منه الإبريسم، وتأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاة والبعير والأنعام فتلقيه بعرا وروثا، وتأكله الظباء فيخرج منها المسك، وهو شيء واحد. ابن كثير

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾ سُمِيت السماء سماءً لعلوها على الأرض، وعلى سكانها من خلقه، وكل شيء كان فوق شيء آخر فهو لما تحته سماءً. ولذلك قيل لسقف البيت: سَآوَةٌ؛ لأنه فوقه مرتفعٌ عليه. ولذلك قيل: سَمَا فلان لفلان، إذا أشرف له وقصد نحوه عاليًا عليه. الطبري

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ آلهتكم التي تعبدونها ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ لتعينكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٢٣﴾

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ القرآن جميعه فصيح في غاية نهايات البلاغة عند من يعرف ذلك تفصيلا وإجمالاً ممن فهم كلام العرب وتصاريف التعبير، فإنه إن تأملت أخباره وجدتها في غاية الحلاوة، سواء كانت مبسطة أو وجيزة، وسواء تكررت أم لا، وكلما تكرر حلا وعلا لا يخلق عن كثرة الرد، ولا يمل منه العلماء، وإن أخذ في الوعيد والتهديد جاء منه ما تقشعر منه الجبال الصم الراسيات، فما ظنك بالقلوب الفاهمات، وإن وعد أتى بما يفتح القلوب والآذان، ويشوق إلى دار السلام، ومجاورة عرش الرحمن... وإن جاءت الآيات في الأحكام والأوامر والنواهي، اشتملت على الأمر بكل معروف حسن نافع طيب محبوب، والنهي عن كل قبيح رذيل دنيء. ابن كثير

* كل سورة من سور القرآن بمنزلة درجة عالية رفيعة ومنزل عال، يرتفع القارئ منها إلى منزلة أخرى إلى أن يستكمل القرآن.... فإن قيل: ما الفائدة في تفصيل القرآن على السور؟ قيل: فيه فوائد كثيرة منها: أن القارئ إذا خرج من

سورة إلى سورة أخرى كان أنشط لقراءته وأحلى في نفسه.
ومنها: أن تختص كل سورة بقدر مخصوص كاختصاص القصائد.
ومنها: أن الإنسان قد يضعف عن حفظ الجميع، فيحفظ سورة تامة، فربما كان ذلك سببا يدعو به إلى حفظ غيرها. التفسير الوسيط للواحدى

﴿ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا ﴾ من الإتيان بسورة من مثله ﴿ وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ ﴿٢٤﴾

﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ فيه دليل على ما يقوله أهل الحق من أن النار موجودة مخلوقة ... روى مسلم عن عبد الله بن مسعود قال كنا مع رسول الله إذ سمع وجبة، قال النبي ﷺ: «تدرون ما هذا» قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً، فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها». القرطبي



جزاء المؤمنين

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهٖ مُتَشَبِهًا ﴾ في اللون والمنظر لا في الطعم ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾ من كل ما يكره ﴿ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ﴿٢٥﴾

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ فيه استحباب بشارة المؤمنين، وتنشيطهم على الأعمال بذكر جزائها وثمراتها، فإنها بذلك تخف وتسهل. السعدي
﴿ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ أكمل محاسن الجنات جريان المياه في خلاها، وذلك شيء اجتمع البشر كلهم على أنه من أنفس المناظر؛ لأن في الماء طبيعة الحياة، ولأن الناظر يرى منظرا بديعا وشيئا لذيذا. ابن عاشور في التحرير والتنوير «ت».

موقف الكفار من الأمثال، وصفات الفاسقين

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُون أَنَّهُ ءَايٌ: المثل﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ قال قتادة: إن الله حين ذكر في كتابه الذباب والعنكبوت قال أهل الضلالة: ما أراد الله من ذكر هذا؟ فأنزل الله الآية. الطبري

﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ يعني: الذباب والعنكبوت. وقال أبو عبيدة: أي: فما دونها، كما يقال: فلان جاهل، فيقال: وفوق ذلك، أي: وأجهل. البغوي

(من صفة الفاسقين أنهم) ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ ﴿استفهام للتوبيخ﴾ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا ﴿نظفا في أصلاب آبائكم﴾ فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ ﴿قصد﴾ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ﴾ في هذه الآية العظيمة دليل على أن الأصل في الأشياء الإباحة والطهارة؛ لأنها سبقت في معرض الامتنان، يخرج بذلك الخبائث، فإن تحريمها أيضا يؤخذ من فحوى الآية، ومعرفة المقصود منها، وأنه خلقها لنفعنا، فما فيه ضرر، فهو خارج من ذلك، ومن تمام نعمته منعنا من الخبائث؛ تنزيها لنا. السعدي

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ ﴿أَسْتَوَىٰ﴾ ترد في القرآن على ثلاثة معاني: فتارة لا تعدى بالحرف، فيكون معناها، الكمال والتمام، كما في قوله عن موسى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ﴾ [القصص: ١٤].

وتارة تكون بمعنى: علا وارتفع. وذلك إذا عدت بـ: على كما في قوله تعالى:

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿لِئَسْتَوِيَ عَلَى ظُهُورِهِ﴾ [الزخرف: ١٣].
وتارة تكون بمعنى: قصد. كما إذا عدت بـ: إلى كما في هذه الآية، أي: لما خلق
تعالى الأرض، قصد إلى خلق السماوات. السعدي
* قال ابن عباس: بدأ بخلق الأرض في يومين، ثم خلق السماوات في يومين،
ثم دحا الأرض وبينها الجبال، وقدر فيها أقواتها في يومين. ابن الجوزي



قصة خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَام

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ **قَوْمًا يَخْلِفُ**
بَعْضُهُمْ بَعْضًا ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ﴾ **يَرِيقُ** ﴿الدِّمَاءَ﴾
وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ هذا بحسب ظنهم أن
الخليفة المَجْعُول في الأرض سيحدث منه ذلك، فنزهوا الباري عن ذلك،
وعظموه، وأخبروا أنهم قائلون بعبادة الله على وجه خال من المفسدة. السعدي
* الظاهر أنه لم يرد آدم عينا إذ لو كان ذلك لما حسن قول الملائكة: أتجعل فيها
من يفسد فيها ويسفك الدماء فإنهم أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك،
وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص أو بما فهموه من الطبيعة البشرية. تفسير ابن
كثير

﴿وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ قال قتادة: قد علمت الملائكة من علم الله أنه لا شيء أكره
إلى الله من سفك الدماء والفساد في الأرض. الطبري
﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ يحتمل أن معناها: ونقدسك، فتكون اللام مفيدة للتخصيص
والإخلاص، ويحتمل أن يكون: ونقدس لك أنفسنا، أي: نظهرها بالأخلاق
الجميلة. السعدي
﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الخير الحاصل بخلق هذا الخليفة، أضعاف

أضعاف ما في ضمن ذلك من الشر، فلو لم يكن في ذلك إلا أن الله تعالى أراد أن يجتبي منهم الأنبياء والصديقين، والشهداء والصالحين، ولتظهر آياته للخلق، ويحصل من العبوديات التي لم تكن تحصل بدون خلق هذا الخليفة، كالجهاد وغيره، وليظهر ما كمن في غرائز بني آدم من الخير والشر بالامتحان، وليبين عدوه من وليه، وحزبه من حربه، وليظهر ما كمن في نفس إبليس من الشر الذي انطوى عليه، واتصف به، فهذه حكم عظيمة، يكفي بعضها في ذلك.

السعدي

* العبد إذا خفيت عليه حكمة الله في بعض المخلوقات والمأمورات فالوجب عليه: التسليم، واتهام عقله، والإقرار لله بالحكمة. السعدي

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ **الأسماء التي يتعارف بها الناس: كإنسان ودابة وأرض** ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣١) **في قولكم وظنكم، أنكم أفضل من هذا الخليفة**

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ عرفهم فضل آدم بالعلم، وأنه أفضل صفة تكون في العبد. السعدي

* أول من تكلم باللغات كلها من البشر آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، والقرآن يشهد له قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾. القرطبي

﴿ **آدَمَ** ﴾ الصحيح أنه مشتق من أديم الأرض. قال سعيد بن جبير: إنما سمي آدم؛ لأنه خلق من أديم الأرض ... عن أبي موسى الأشعري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عَزَّوَجَلَّ خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن والخبث والطيب». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. القرطبي

﴿ قَالُوا سُبْحَنَكَ ﴾ **نمجدك ونظهر ذكرك عما لا يليق** ﴿ لَا عَلِمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ أَعْلَمُ الْحَكِيمُ ﴾ (٣٢) **قال يكادُم أنبئهم بأسمائهم فلمَّا أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما بُدُون**

وَمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٣﴾ **تسرون من قولكم لن يخلق الله خلقا أكرم عليه منا ولا أعلم**

﴿لَا عَلِمَ لَنَا﴾ الواجب على من سئل عن علم أن يقول إن لم يعلم: الله أعلم، ولا أدري. اقتداء بالملائكة والأنبياء والفضلاء من العلماء ... قال مالك بن أنس: سمعت ابن هرمز يقول: ينبغي للعالم أن يورث جلساءه من بعده (لا أدري)، حتى يكون أصلاً في أيديهم، فإذا سئل أحدهم عما لا يدري قال: (لا أدري). وذكر الهيثم بن جميل قال: شهدت مالك بن أنس سئل عن ثمان وأربعين مسألة، فقال في اثنتين وثلاثين منها: لا أدري. القرطبي

آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وإبليس

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٢٤﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ كان هذا سجود تحية وسلام وإكرام، وقد كان هذا مشروعا في الأمم الماضية ولكنه نسخ في ملتنا. ينظر: تفسير ابن كثير ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ﴾ ... ﴿فَازَلَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ قال ابن عباس: إذا كانت خطيئة الرجل في كبر فلا ترجمه، وإن كانت خطيئته في معصية فارجه، وكانت خطيئة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ معصية، وخطيئة إبليس كبرا. ينظر: تفسير الطبري وتفسير القرطبي.

﴿وَقُلْنَا يَتَّادِمُ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ **هنيئا واسعا** ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٢٥﴾

﴿وَزَوْجُكَ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس: لما أسكن آدم الجنة مشى فيها مستوحشا، فلما نام حُلقت حواء من ضلعه القصرى من شقه الأيسر؛ ليسكن إليها ويأنس بها. القرطبي

*النهي عن القرب يقتضي النهي عن الأكل بطريق الأولى، وإنما نهى عن القرب سدا للذريعة، فهذا أصل في سدّ الذرائع. تفسير ابن جزي

﴿فَازْلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ أَوْقَعَهَا فِي الْخَطِيئَةِ ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَى حِينٍ﴾ ﴿٣٦﴾

﴿فَازْلَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ اختلف العلماء في معصية آدم بالأكل، فقال قوم: إنه نهي عن شجرة بعينها، فأكل من جنسها، وقال آخرون: تأول الكراهة في النهي دون التحريم. ابن الجوزي

﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ قال فتح الموصلي: كنا قوما من أهل الجنة فسبانا إبليس إلى الدنيا، فليس لنا إلا الهم والحزن حتى نرد إلى الدار التي أخرجنا منها. ابن كثير * قال إبراهيم بن أدهم: أورثتنا تلك الأكلة حزناً طويلاً. وقال ابن عباس وقتادة: قال الله عَزَّوَجَلَّ لآدم: ألم يكن فيما أبحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة؟ قال: بلى يا رب وعزتك، ولكن ما ظننت أن أحداً يحلف بك كاذباً. البغوي

﴿فَلَقِيَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٣٧﴾

﴿فَلَقِيَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ﴾ قال قتادة: هو قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. الطبري

﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ اقتصر على ذكر التوبة على آدم دون حواء مع اشتراكهما في الذنب، لأن الكلام من أول القصة معه استمر على ذلك، واستغنى بالتوبة عليه عن ذكر التوبة عليها؛ لكونها تابعة له، كما استغنى بنسبة الذنب إليه عن نسبته إليها في قوله: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: ١٢١]. الشوكاني

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ إِلَى الْأَرْضِ ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هَذَا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾

﴿فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ رتب على اتباع هداه نفي الخوف والحزن، والفرق بينهما، أن المكروه إن كان قد مضى، أحدث الحزن، وإن كان منتظرا، أحدث الخوف، فنفاهما عن اتباع هداه. ينظر: تفسير السعدي

تنبيه: مما نفهمه من الحديث عن آدم عليه السلام ثم بني إسرائيل في أنه قد قام بحق الاستخلاف آدم عليه السلام ومن بعد إبراهيم عليه السلام وعزل عن الاستخلاف - لأسباب - بنو إسرائيل.

* وفي الآيات بيان لنعم الله على بني إسرائيل، وتعت بني إسرائيل ومخالفاتهم مع الأنبياء السابقين، ومع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وقدم الأول؛ لبيان أن هذا ديدنهم؛ ففيه تسلية للمصطفى صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم.

توجيهات لبني إسرائيل وأمرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم

﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ **أى:** على آبائكم من الإنجاء من فرعون وغير ذلك، **والنعمة على الآباء نعمة على الأبناء** ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ **الذي عهدته إليكم من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم** ﴿أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ **من الثواب عليه بدخول الجنة** ﴿وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ﴾ **خافون** ﴿٤٠﴾ **وَأَمِنُوا بِمَا أُنزِلْتُ﴾ **أى:** بالقرآن** ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ **التوراة** ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ **من أهل الكتاب لأن خلفكم تبع لكم فإنهم عليكم** ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَأَتَّقُونَ﴾ ﴿٤١﴾

﴿وَأَمِنُوا بِمَا أُنزِلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ **إشارة إلى أنكم إن لم تؤمنوا به، عاد ذلك عليكم، بتكذيب ما معكم؛ لأن ما جاء به هو الذي جاء به موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء، فتكذيبكم له تكذيب لما معكم.**

وأيضًا، فإن في الكتب التي بأيديكم، صفة هذا النبي الذي جاء بهذا القرآن والبشارة به، فإن لم تؤمنوا به، كذبتكم ببعض ما أنزل إليكم، ومن كذب ببعض ما أنزل إليه؛ فقد كذب بجميعة، كما أن من كفر برسول، فقد كذب الرسل

جميعهم. السعدي

﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ لأنهم إذا كانوا أول كافر به، كان فيه مبادرتهم إلى الكفر به عكس ما ينبغي منهم، وصار عليهم إثمهم وإثم من اقتدى بهم من بعدهم. السعدي

* لا حجة في هذه الآية لمن يمنع القول بدليل الخطاب، وهم الكوفيون ومن وافقهم؛ لأن المقصود من الكلام النهي عن الكفر أولاً وآخراً، وخص الأول بالذكر لأن التقدم فيه أغلظ، فكان حكم المذكور والمسكوت عنه واحداً، وهذا واضح. القرطبي

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآبَائِي﴾ قيل: معناه لا تعاضوا عن البيان والإيضاح ونشر العلم النافع في الناس بالكتمان واللبس؛ لتستمروا على رياستكم في الدنيا القليلة الحقيرة الزائلة عن قريب. ابن كثير

* من أخذ رشوة على تغيير حق أو إبطاله، أو امتنع من تعليم ما وجب عليه أو أداء ما علمه وقد تعين عليه حتى يأخذ عليه أجراً؛ فقد دخل في مقتضى الآية، فأما إذا لم يتعين عليه فيجوز له أخذ الأجرة بدليل السنة في ذلك، وقد يتعين عليه إلا أنه ليس عنده ما ينفقه على نفسه ولا على عياله فلا يجب عليه التعليم، وله أن يقبل على صناعته وحرفته. ويجب على الإمام إعانته، وإلا فعلى المسلمين؛ لأن الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما ولي الخلافة وعين لها لم يكن عنده ما يقيم به أهله، فأخذ ثياباً وخرج إلى السوق، فقيل له في ذلك فقال: ومن أين أنفق على عيالي! فردوه وفرضوا له كفايته. ينظر: تفسير القرطبي

﴿وَلَا تَلْبَسُوا﴾ لا تخلطوا ﴿الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْنُوهُ الْحَقَّ﴾ نعت محمد ﷺ ﴿فِي كِتَابِكُمْ﴾ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ قال ابن عباس: كان يهود المدينة يقول الرجل منهم لصهره ولذي قرابته ولمن بينه وبينه رضاع من المسلمين اثبت على

الذي أنت عليه وما يأمرك به هذا الرجل - يريدون محمدا ﷺ -، فإن أمره حق، فكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه. وعن ابن عباس أيضا: كان الأخبار يأمرهم مقلديهم وأتباعهم باتباع التوراة، وكانوا يخالفونها في جحدهم صفة محمد ﷺ. القرطبي

* ليس في الآية أن الإنسان إذا لم يقم بما أمر به أنه يترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ لأنها دلت على التوبيخ بالنسبة إلى الواجبين، وإلا فمن المعلوم أن على الإنسان واجبين: أمر غيره ونهيه، وأمر نفسه ونهيه، فترك أحدهما، لا يكون رخصة في ترك الآخر، فإن الكمال أن يقوم الإنسان بالواجبين، والنقص الكامل أن يتركهما، وأما قيامه بأحدهما دون الآخر، فليس في رتبة الأول، وهو دون الأخير، وأيضا فإن النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعله، فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجردة. السعدى

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (٤٥) ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ **يوقنون** ﴿أَنَّهُمْ مُّلْكُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (٤٦) ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٤٧) **على عالمي زمانهم**

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾ أمرهم الله أن يستعينوا في أمورهم كلها بالصبر بجميع أنواعه، وهو الصبر على طاعة الله حتى يؤديها، والصبر عن معصية الله حتى يتركها، والصبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها. السعدى

﴿وَأَنْتَقُوا يَوْمًا﴾ **وهو يوم القيامة** ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ **فدية** ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٤٨)

﴿وَأَنْتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ هذه الآية وإن كان مخرجها عاما في التلاوة، فإن المراد بها خاص في التأويل لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»، وأنه قال: «ليس من نبي إلا وقد أعطي دعوة، وإني اختبأت دعوتي شفاعتي لأمتي، وهي نائلة إن شاء الله منهم من لا يشرك بالله شيئا» ... وأن قوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ إنما هي لمن مات على كفره غير تائب إلى الله عَزَّوَجَلَّ. الطبري

**ذكر بعض النعم على أجداد بني إسرائيل وتلقي كثير منهم لها
بالتعنت مما كان سبباً لعزلهم عن الخلافة**

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾ أي: آباءكم والنعمة على الآباء نعمة على الأبناء ﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ يذيقونكم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يستبقونهم أحياء ﴿نِسَاءَكُمْ﴾ وفي ذلِّكم بلاءٌ ﴿اِخْتِبَارٌ﴾ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ ﴿فَصَلْنَا بِسَبِيكُمْ﴾ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ﴾ عن سعيد بن جبیر أن هرقل كتب إلى معاوية يسأله عن أمور، منها عن البقعة التي لم تصبها الشمس إلا ساعة، فكتب معاوية إلى ابن عباس، فأجابه عن تلك الأمور وقال: وأما البقعة التي لم تصبها الشمس إلا ساعة من نهار: فالبحر الذي أفرج عن بني إسرائيل. الشوكاني
﴿فَأَنْجَيْنَاكُمْ﴾ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة، فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسئلوا عن ذلك؟ فقالوا: هذا اليوم الذي أظهر الله فيه موسى وبني إسرائيل على فرعون، فنحن نصومه تعظيماً له، فقال النبي ﷺ: «نحن أولى بموسى منكم فأمر بصومه». مسلم

﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعَجَلَ﴾ الذي صاغه لكم السامري ﴿مِّنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ ﴿الَّذِي يَفْصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ﴾ وهو التوراة ﴿لَعَلَّكُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ﴿٥٣﴾

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ الذين عبدوا العجل ﴿يَقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعَجَلَ فَتَوَبُّوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ﴾ خالقكم ﴿فَأَقِمْ وَانْقُصُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ يقتل بعضكم بعضاً ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٤﴾

﴿فَتَوْبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: أمر موسى قومه - عن أمر ربه - أن يقتل بعضهم بعضا، ولا يقتل الرجل أباه ولا أخاه. فبلغ ذلك في ساعة من نهار سبعين ألفا ... وقال أبو العالية: صاروا صفيين، فجعل يقتل بعضهم بعضا، فبلغ القتل ما شاء الله، ثم قيل لهم: قد تيب على القاتل والمقتول. الطبري

* ما أنعم الله على هذه الأمة نعمة بعد الإسلام هي أفضل من التوبة. القرطبي

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾



﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ عن السدي: لما تابت بنو إسرائيل من عبادة العجل، وتاب الله عليهم بقتل بعضهم بعضا كما أمرهم به، أمر الله تعالى موسى أن يأتيه في ناس من بنى إسرائيل؛ يعتذرون إليه من عبادة العجل، ووعدهم موعدا، فاختار موسى قومه سبعين رجلا على عينه، ثم ذهب بهم؛ ليعتذروا. فلما أتوا ذلك المكان قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾، فإنك قد كلمته فأرنا: فأخذتهم الصاعقة فماتوا. فقام موسى يبكي ويدعو الله، ويقول: رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلك خيارهم؟ رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أهلكنا بما فعل السفهاء منا؟ فأوحى الله إلى موسى: إن هؤلاء السبعين ممن اتخذ العجل، فذلك حين يقول موسى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥]... ثم إن الله جل ثناؤه أحياهم فقاموا وعاشوا رجلا رجلا ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون. الطبري

* قد تواترت الأحاديث الصحيحة بأن العباد يرون ربهم في الآخرة، وهي قطعية الدلالة لا ينبغي لمنصف أن يتمسك في مقابلها بتلك القواعد الكلامية التي جاء بها قدماء المعتزلة. الشوكاني

﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ إما الموت أو الغشية العظيمة، ﴿وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ وقوع

ذلك، كل ينظر إلى صاحبه. السعدي

* ومعنى ﴿الصَّعَقَةُ﴾: ما يصعقون منه، أي: يموتون. ومن الدليل على أنهم ماتوا، قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾ هذا قول الأكثرين. وزعم قوم أنهم لم يموتوا، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَحَرَّ مُوسَىٰ صَعَقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وهذا قول ضعيف، لأن الله تعالى فرق بين الموضعين، فقال هناك: فلما أفاق، وقال ها هنا: ثم بعثناكم، والإفاقة للمغشي عليه، والبعث للميت. ابن الجوزي

ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ ﴿٥٧﴾ جَعَلْنَا السَّحَابَ ظُلًّا مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ ﴿٥٨﴾ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ ﴿٥٩﴾ كُلَّ رِزْقٍ حَسَنٍ يُحْصِلُ بِلَا تَعَبٍ، وَمِنْهُ الْكُمَاءُ ﴿٦٠﴾ وَالسَّلَوِيُّ ﴿٦١﴾ طَائِرٌ صَغِيرٌ طَيِّبٌ اللَّحْمِ ﴿٦٢﴾ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا ﴿٦٣﴾ لَمَّا كَفَرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ ﴿٦٤﴾ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ﴾ هو اسم جامع لكل رزق حسن يحصل بلا تعب، ومنه الزنجبيل والكمأة والخبز وغير ذلك. السعدي

* عن ابن عباس: كان المن ينزل عليهم على الأشجار، فيغدون إليه فيأكلون منه ما شاءوا. ابن كثير

﴿كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ خالفوا وكفروا فظلموا أنفسهم، هذا مع ما شاهدوه من الآيات البيّنات والمعجزات القاطعات، وخوارق العادات، ومن ها هنا تبين فضيلة أصحاب محمد ﷺ ورضي عنهم على سائر أصحاب الأنبياء، في صبرهم، وثباتهم، وعدم تعنتهم. ابن كثير

﴿٨﴾

فتح بني إسرائيل لبيت المقدس

﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ بعد خروجهم من التيه ﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ أي:

قولوا احطط وضع عنا ذنوبنا ﴿تَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٥٨﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ هذه نعمة أخرى وهي أنه أباح لهم دخول البلدة وأزال عنهم التيه. ينظر تفسير القرطبي
 * هذا كان لما خرجوا من التيه بعد أربعين سنة مع يوشع بن نون عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفتحها الله عليهم عشية جمعة، وقد حبست لهم الشمس يومئذ قليلا حتى أمكن الفتح ... ولما فتحوها أمروا أن يدخلوا الباب -باب البلد- ﴿سُجَّدًا﴾ أي: شكرا لله تعالى على ما أنعم به عليهم من الفتح والنصر، ورد بلدهم إليهم، وإنقاذهم من التيه والضلال. ابن كثير

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ **قالوا: حنطة** ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا﴾ **عذابًا** ﴿مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ﴿٥٩﴾

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالوا حبة في شعرة ودخلوا يزحفون على أستاههم. تفسير الجلالين

من مواقف موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا﴾ **لا تسعوا** ﴿فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ﴿٦٠﴾ **وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعامٍ واحدٍ** ﴿أى: نوع واحد وهو المن والسلوى﴾ **فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها** ﴿البقول والخضر كالنعناع﴾ **وقشائرها** ﴿الخيار وفومها﴾ **الحنطة والحبوب التي تؤكل** ﴿وعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ قَالَ **أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ** ﴿ما ذكرتم من الطعام﴾ **بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ** ﴿المن والسلوى﴾ **أهبطوا مضرا** ﴿أى: اهبطوا أى قرية﴾ **فإن لكم مما سألتكم** ﴿تجدونها متوفرة في كل بلد﴾ **وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ** ﴿بسبب تعنتهم﴾ **الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ** ﴿فقر النفس﴾ **وَبَاءُوا** ﴿رجعوا﴾ **بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ** ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ

كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ **فَالذَّنْبُ يُجْرُ الذَّنْبَ**

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسُ لَنْ نَصْبِرَ﴾ الخطاب في هذه الآيات لأمة بني إسرائيل الذين كانوا موجودين وقت نزول القرآن، وهذه الأفعال المذكورة خوطبوا بها وهي فعل أسلافهم، ونسبت لهم لفوائد عديدة، منها: أنهم كانوا يتمدحون ويزكون أنفسهم، ويزعمون فضلهم على محمد ومن آمن به، فبين الله من أحوال سلفهم التي قد تقرر عندهم، ما يبين به لكل أحد منهم أنهم ليسوا من أهل الصبر، ومكارم الأخلاق، ومعالي الأعمال، فإذا كانت هذه حالة سلفهم، مع أن المظنة أنهم أولى وأرفع حالة ممن بعدهم فكيف الظن بالمخاطبين؟. ومنها: أن نعمة الله على المتقدمين منهم، نعمة واصله إلى المتأخرين، والنعمة على الآباء، نعمة على الأبناء، فخوطبوا بها؛ لأنها نعم تشملهم وتعمهم. السعدي

* قال الطبري: في أخبار القرآن على لسان محمد ﷺ بهذه المغيبات التي لم تكن من علم العرب، ولا وقعت إلا في حق بني إسرائيل؛ دليل واضح عند بني إسرائيل قائم عليهم بنبوته محمد ﷺ. ينظر: تفسير القرطبي

﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا﴾ أي: قرارا من الأرض التي تنبت لهم ما سأل لهم من ذلك، إذ كان الذي سألوه لا تنبته إلا القرى والأمصار، وأنه قد أعطاهم ذلك إذ صاروا إليه. وجائز أن يكون ذلك القرار «مصر»، وجائز أن يكون «الشام».

الطبري

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ المسكنة: الفقر، سمي الفقير مسكيناً؛ لأن الفقر أسكنه وأقعده عن الحركة، فترى اليهود وإن كانوا مياسير كأنهم فقراء. البغوي

﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ﴾ قال ابن عباس والحسن: لم يقتل نبي قط من الأنبياء إلا من لم يؤمر بقتال، وكل من أمر بقتال نصر. القرطبي
﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ زيادة شناعة، وإلا فمن المعلوم أن قتل النبي لا يكون بحق، لكن لثلا يظن جهلهم وعدم علمهم. السعدي

جزاء المؤمنين، وبيان شيء من مواقف اليهود مع التشريع

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ من أمة محمد ﷺ ومن آمن من الأمم السابقة قبل بعثة محمد ﷺ مثل ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ﴾ قوم باقون على فطرتهم لا دين لهم يتبعونه ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٢﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ الآية إذا وقع في بعض النفوس عند سياق الآيات بعض الأوهام، فلا بد أن تجد ما يزيل ذلك الوهم ... فلما ذكر بني إسرائيل وذمهم، وذكر معاصيهم وقبائحهم، ربما وقع في بعض النفوس أنهم كلهم يشملهم الذم، فأراد الباري تعالى أن يبين من لم يلحقه الذم منهم بوصفه. ينظر: تفسير السعدي

﴿وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى﴾ فهم اليهود. ومعنى: (هادوا): تابوا. يقال منه: هاد القوم يهودون هودا وهادة. وقيل: إنما سميت اليهود «يهودًا»، من أجل قولهم: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].. و«النصارى» سموا «نصارى» لنصرة بعضهم بعضًا، وتناصرهم بينهم. وقد قيل: إنهم سموا «نصارى»، من أجل أنهم نزلوا أرضا يقال لها «ناصر» ويقول آخرون: لقوله: ﴿مَنْ أَنْصَارِيَّ إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]. ينظر: تفسير الطبري

﴿وَالصَّبِيَّانَ﴾ أظهر الأقوال، والله أعلم، قول مجاهد ومتابعيه، ووهب بن منبه: أنهم قوم ليسوا على دين اليهود، ولا النصارى، ولا المجوس، ولا المشركين، وإنما هم قوم باقون على فطرتهم، ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه؛ ولهذا كان المشركون ينزون من أسلم بالصابئ، أي: أنه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك. ابن كثير

﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ هذا ينطبق على من مات قبل بعثة محمد ﷺ، ومعلوم أن جميع الأديان نسخت بالإسلام.

ومن أسلم فيؤتى أجره مرتين. ينظر آخر سورة الحديد.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ ﴿٦٣﴾ عَهْدَكُمْ بِالْعَمَلِ بِمَا فِي التَّوْرَةِ ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾ جَبَلِ سَيْنَاءَ رَفَعَهُمْ فَوْقَهُمْ لَمَّا أَبَوْا قَبُولَ التَّوْرَةِ ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بَجْدٍ وَاجْتِهَادٍ ﴿وَإِذْ كُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾ قال السدي: لما أبوا أن يسجدوا أمر الله الجبل أن يقع عليهم، فنظروا إليه وقد غشيهم، فسقطوا سجداً، فسجدوا على شق، ونظروا بالشق الآخر، فَرَحَّمَهُمُ اللَّهُ فكَشَفَهُ عَنْهُمْ. ابن كثير

* كان سجودهم على شق؛ لأنهم كانوا يرقبون الجبل خوفاً، فلما رَحَّمَهُمُ اللَّهُ قالوا: لا سجدة أفضل من سجدة تقبلها الله ورحم بها عباده، فأمروا سجودهم على شق واحد. القرطبي

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴿٦٤﴾ بِالتَّوْبَةِ أَوْ تَأْخِيرِ الْعَذَابِ ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ مَبُودِينَ

﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا﴾ عِبْرَةً ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ لِمَنْ حَضَرَهَا مِنَ الْأُمَمِ ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ أَي: مِنْ بَعْدِهِمْ ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ قال قتادة: صار الشبان قردة، والشيخوخ خنازير، فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا، ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة أيام ولم يتوالدوا. البغوي

قصة قتيل بني إسرائيل والبقرة التي أمروا بذبها ليضرب القتيل ببعضها فيحيا

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَ خَدَّاهُزُوا قَالَ أَأَعُودُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ الَّذِي يَقُولُ أَوْ يَفْعَلُ مَا لَا يَنْبَغِي قَوْلُهُ أَوْ فَعَلُهُ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصٌ

مَسْنَةٌ هَرَمَةٌ ﴿وَلَا يَكُرُّ﴾ صَغِيرَةٌ فَتِيَّةٌ ﴿عَوَانٌ﴾ مُتَوَسِّطَةٌ بَيْنَ الْمَسْنَةِ وَالصَّغِيرَةِ ﴿يَبِّنُ﴾ ذَلِكَ فَأَفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا ﴿شَدِيدُ الصَّفْرِ﴾ ﴿تَسْرُ النَّظِيرِينَ﴾ ﴿٦٩﴾

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾

قال ابن عباس: فلو اعترضوا بقرة فذبحوها؛ لأجزأت عنهم، ولكنهم شددوا وتعتوا موسى؛ فشدد الله عليهم. الطبري
عن أبي هريرة، قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فقال: «أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج، فحجوا»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت: نعم لوجبت، ولما استطعتم»، ثم قال: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه» مسلم.

﴿١٠﴾

﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ ﴿غَيْرُ مَذْلَلَةٍ لِلْعَمَلِ فِي الْحَرَاثَةِ﴾ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةً ﴿خَالِيَةٌ مِنَ الْعَيُوبِ﴾ ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ ﴿لَيْسَ فِيهَا﴾ علامة من لون يخالف لونها ﴿قَالُوا أَكُنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ ﴿نَطَقْتَ بِالْوَصْفِ الدَّقِيقِ﴾ ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٧١﴾

﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ لسبيين: غلاء ثمنها ... وخوف عظيم
الفضيحة على أنفسهم بإظهار الله نبيه موسى صلوات الله عليه وأتباعه - على قاتله. ينظر: تفسير الطبري

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا﴾ تنازعتم وتدافعتم تهمة القتل ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْنُحُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ

ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾

﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بَعْضَهَا﴾ قال قتادة: ذكر لنا أنهم ضربوه بفخذها، فأحياه الله فأنبأ بقاتله الذي قتله، وتكلم، ثم مات. الطبري

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ رجع ابن جرير أن بعضها كالحجارة قسوة، وبعضها أشد قسوة من الحجارة. ينظر: تفسير الطبري وتفسير ابن كثير.

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ مذهب أهل السنة والجماعة: أن الله تعالى علم في الجمادات وسائر الحيوانات -سوى العقلاء- علماً لا يقف عليه غيره، فلها صلاة وتسبيح وخشية، كما قال جل ذكره: ﴿وَإِنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقال: ﴿وَالطَّيْرُ صَفَّتْ كُلُّ قَدِّ عِلْمٍ صَلَاتُهُ، وَتَسْبِيحُهُ﴾ [النور: ٤١]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [الحج: ١٨]، فيجب على المرء الإيمان به، ويكل علمه إلى الله سبحانه وتعالى. البغوي

ثم ينتقل الخطاب لبيان إعراض اليهود عن الحق في زمن النبي

محمد ﷺ

﴿أَفَنْظَمُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا بِالْكِتَابِ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ أي: اليهود ﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا اتَّخَذُواهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴿أى: عرفكم في التوراة من نعت محمد ﷺ﴾ لِيَحَاجُّوكُمْ بِهِ، عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ أَفَلَا نَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

﴿أُولَٰئِكَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٧٧)

من مظاهر تحريفهم لدينهم وافتراءهم على الله

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ﴾ **يجهلون القراءة والكتابة** ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ **أكاذيب تلقوها عن أحبارهم** ﴿وَأِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٧٨) **فَوَيْلٌ** **هلاك ودمار** ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ **أي: مختلقا من عندهم** ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (٧٩) **وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٠)**

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ **قال قتادة:** قالت اليهود: لن

ندخل النار إلا تحلة القسم، عدد الأيام التي عبدنا فيها العجل. الطبري

﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٨١) **وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٨٢)**

﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ﴾ **أي: أحاطت بعاملها، فلم تدع له منفذا، وهذا لا يكون إلا الشرك، فإن من معه الإيمان لا تحيط به خطيئته.** ﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، وقد احتج بها الخوارج على كفر صاحب المعصية، وهي حجة عليهم كما ترى، فإنها ظاهرة في الشرك، وهكذا كل مبطل يحتج بآية، أو حديث صحيح على قوله الباطل فلا بد أن يكون فيما احتج به حجة عليه. السعدي

من المواثيق التي أخذت على بني إسرائيل ولم يقوموا بها

﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ ﴿العهد المؤكد﴾ **بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (كلامًا طيبًا) ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ**

وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ الآية

هذه الشرائع من أصول الدين، التي أمر الله بها في كل شريعة، لاشتغالها على المصالح العامة، في كل زمان ومكان، فلا يدخلها نسخ، كأصل الدين السعدي

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ لما كان الإنسان لا يسع الناس بهاله، أمر بأمر يقدر به على الإحسان إلى كل مخلوق، وهو الإحسان بالقول. السعدي

﴿١٢﴾

ومن المواثيق

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ تريقونها بقتل بعضكم بعضا
 ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ﴾ لا يخرج بعضكم بعضا من داره ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ قبلتم ذلك الميثاق ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِينِهِمْ تَبْطِغُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتِوكُمْ أَكْرَىٰ تَفْذُوهُمْ﴾ تسعون في تحريرهم من الأسر ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ﴾ ذل وفضيحة ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٨٥﴾

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ ذلك أن الأوس والخزرج - وهم الأنصار - كانوا قبل مبعث النبي ﷺ مشركين، وكانوا يقتتلون على عادة الجاهلية، فنزلت عليهم الفرق الثلاث من فرق اليهود، بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو قينقاع، فكل فرقة منهم حالفت فرقة من أهل المدينة.

فكانوا إذا اقتتلوا أعان اليهودي حليفه على مقاتليه الذين تعينهم الفرقة الأخرى من اليهود، فيقتل اليهودي اليهودي، ويخرجه من دياره إذا حصل جلاء ونهب، ثم إذا وضعت الحرب أوزارها، وكان قد حصل أسارى بين

الطائفتين فدى بعضهم بعضاً.

والأمور الثلاثة كلها قد فرضت عليهم، ففرض عليهم أن لا يسفك بعضهم دم بعض، ولا يخرج بعضهم بعضاً، وإذا وجدوا أسيراً منهم، وجب عليهم فداؤه، فعملوا بالأخير وتركوا الأولين ... توهموا أنهم إن لم يعينوا حلفاءهم حصل لهم عار، فاختاروا النار على العار. السعدي

﴿وَتَخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِكْرِهِمْ﴾ قال ابن عباس: كانوا فريقين: طائفة منهم من بني قينقاع حلفاء الخزرج، والنضير وقریظة حلفاء الأوس. الطبري

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ﴿٨٦﴾

حالمهم مع الأنبياء

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا﴾ **أتبعنا** ﴿مِّن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ﴾ **قويناه** ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ **جبريل عليه السلام** ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ **مغطاة** ﴿بَلْ لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٨٨﴾

﴿١٣﴾

حالمهم عند بعثة النبي محمد ﷺ

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ **يستنصرون به على المشركين ويتوعدونهم** **بالنبي المبعوث آخر الزمان** ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ **بئسما أشترؤا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً** **حسداً** ﴿أَن يُنْزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ **محمد ﷺ** ﴿فَبَاءُوا﴾ **رجعوا** ﴿بِعُضْبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ﴿٩٠﴾

﴿بئسما أشترؤا به أنفسهم﴾ **بئس**: كلمة مستوفية لجميع الدم، ونقيضها:

«نعم». و﴿أَشْتَرَوْا﴾ بمعنى: باعوا، والذي باعوها به قليل من الدنيا. قوله تعالى: ﴿بَغْيًا﴾ قال قتادة: حسدا. ومعنى الكلام: كفروا بغيا لأن نزل الله الفضل على النبي ﷺ. ابن الجوزي

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا﴾ **أى: التوراة** **وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ** **سواء كالقرآن** **وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ** **لم فعل ذلك أسلافكم ورضيتم بذلك** **﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** ﴿١١﴾

﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾ الخطاب للموجودين من زمن نبينا بما فعل آبائهم؛ لرضاهم به. تفسير الجلالين

* قال أبو جعفر: والصواب فيه من القول عندنا، أن الله خاطب الذين أدركوا رسول الله ﷺ من يهود بني إسرائيل - بما خاطبهم في سورة البقرة وغيرها من سائر السور - بما سلف من إحسانه إلى أسلافهم، وبما سلف من كفران أسلافهم نعمه، وارتكابهم معاصيه، واجترائهم عليه وعلى أنبيائه، وأضاف ذلك إلى المخاطبين به، نظير قول العرب بعضها لبعض: فعلنا بكم يوم كذا كذا وكذا، وفعلتم بنا يوم كذا كذا وكذا. الطبري

لا غرابة في تعنتهم في زمن النبي محمد ﷺ فقد تعنتوا في زمن موسى عَلَيْهِ السَّلَام

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ ﴿١٢﴾ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ** **امتزجت بقلوبكم حب عبادة العجل** **﴿يَكْفُرُهُمْ قُلْ بِسْمَايَا مُرْكُم بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** ﴿١٣﴾

﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ قيل: عصينا كان بلسان الحال ... ويحتمل أن قولهم عصينا وقع في زمن متأخر عن وقت نزول التوراة بأن قالوا: عصينا في حثهم

على بعض الأوامر، مثل قولهم لموسى حين قال لهم: ادخلوا القرية: ﴿لَنْ تَدْخُلَهَا أَبَدًا﴾ [المائدة: ٢٤] وهذان الوجهان أقرب من قول بعضهم: قالوه في وقت واحد. ابن عاشور بتصرف يسير

﴿وَأَشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعَجَلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ إنما عبر عن حب العجل بالشرب دون الأكل؛ لأن شرب الماء يتغلغل في الأعضاء حتى يصل إلى باطنها، والطعام مجاور لها غير متغلغل فيها. القرطبي

﴿١٤﴾

الأمر بتحدي اليهود أن يرضوا بالمباهلة، وبيان حبهم للدنيا

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٤﴾

﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾ إن كنتم تعتقدون أنكم أولياء الله من دون الناس، وأنكم أبناء الله وأحباءه، وأنكم من أهل الجنة ومن عداكم من أهل النار، فباهلوا على ذلك وادعوا على الكاذبين منكم أو من غيركم، واعلموا أن المباهلة تستأصل الكاذب لا محالة. فلما تيقنوا ذلك، وعرفوا صدقه؛ نكلوا عن المباهلة؛ لما يعلمون من كذبهم وافتراءهم وكتماهم الحق من صفة الرسول ﷺ ونعته، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ويتحققونه. فعلم كل أحد باطلهم، وخزيهم، وضلالهم وعنادهم. ابن كثير

﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٥﴾

﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ امتنعت اليهود من إجابة النبي ﷺ إلى ذلك، لعلمها أنها إن تمت الموت هلكت، فذهبت دنياها، وصارت إلى خزي الأبد في آخرتها. كما امتنع فريق النصارى -الذين جادلوا النبي ﷺ في عيسى، إذ دعوا إلى المباهلة- من المباهلة.

فبلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا، ولرأوا مقاعدهم

من النار. ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ، لرجعوا لا يجدون أهلا ولا مالا». الطبري، والحديث عند أحمد.

﴿ وَلَنَجْذِثَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوَةٍ وَمِنَ الَّذِينَ ﴾ حتى أنهم أحرص من الذين ﴿ أَشْرَكُوا يَوْمَ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَزَّحَةٍ ﴾ بمبعده ﴿ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ ٩٦ ﴾

عدواتهم لجبريل عليه السلام

﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ، عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ ٩٧ ﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿ ٩٨ ﴾

﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ ﴾ سأل ابن سوريا النبي أو عمر عمن يأتي بالوحي من الملائكة، فقال: جبريل، فقال: هو عدونا يأتي بالعذاب، ولو كان ميكائيل؛ لآمنا لأنه يأتي بالخصب والسلم. تفسير الجلالين، ويراجع مسند أحمد.

﴿ نَزَّلَهُ، عَلَى قَلْبِكَ ﴾ خص القلب بالذكر؛ لأنه موضع العقل والعلم وتلقي المعارف. القرطبي

التأكيد على نبوة محمد ﷺ وعلى حال اليهود وتعنتهم

﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ ﴿ ٩٩ ﴾ أَوْ كَلِمَاتٍ عَهْدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ، ﴿ طرحة ﴾ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ ١٠٠ ﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴿ محمد ﷺ ﴾ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ ١٠١ ﴾ ما في كتبهم من صفته وصدق رسالته

﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ هذا مثل يضرب لمن استخف بالشيء فلا يعمل به، تقول العرب: اجعل هذا خلف ظهرك ... أي اتركه وأعرض عنه. القرطبي

إقبال اليهود على السحر بعد أن أعرضوا عن الحق

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا﴾ تحدث وتقرأ ﴿الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ﴾ نسبه إلى سليمان كذباً وزوراً ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ﴾ أرض بالعراق ﴿هَارُوتَ وَمَرْوْتَ﴾ اسم ملكين أنزلهما الله ابتلاء منه لتعليم السحر والتحذير منه ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَاكِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَبِنَعْلَمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ اختاره ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ نصيب ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٠٢﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٠٣﴾

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ﴾ زعموا أن ذلك كان من علم سليمان وروايته، وأنه إنما كان يستعبد من يستعبد من الإنس والجن والشياطين وسائر خلق الله بالسحر. فحسنوا بذلك من ركوبهم ما حرم الله عليهم من السحر، فبرأ الله سليمان بن داود من السحر والكفر عند من كان منهم ينسبه إلى السحر والكفر، وأكذب الآخرين الذين كانوا يعملون بالسحر متزيين عند أهل الجهل في عملهم ذلك، بأن سليمان كان يعمل به. ينظر: تفسير الطبري * لما كان من العوائد القدرية والحكمة الإلهية أن من ترك ما ينفعه، وأمكنه الانتفاع به فلم ينتفع، ابتلي بالاشتغال بما يضره، فمن ترك عبادة الرحمن، ابتلي بعبادة الأوثان ... كذلك هؤلاء اليهود لما نبذوا كتاب الله اتبعوا ما تتلوا الشياطين. السعدي

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾ فيه دليل على كفر الساحر؛ لأنهم نسبوا سليمان إلى السحر، لا إلى الكفر. ابن الجوزي

﴿وَمَا هُمْ بِضَآئِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ في هذا دليل على أن السحر له حقيقة، وأنه يضر بإذن الله، أي: بإرادة الله، والإذن نوعان: إذن قدري، وهو المتعلق بمشيئة الله، كما في هذه الآية، وإذن شرعي. السعدي قلت: المعنى أنه وإن أذن بوجوده قدراً إلا أنه لا يرضاه ولا يحبه شرعاً.

الإشارة إلى سوء أدبهم في الخطاب، وتحذير المسلمين من ذلك، ثم بيان حسد اليهود

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ كلمة كان اليهود يقولونها للنبي بقصد السب ونسبته إلى الرعونة ﴿وَقُولُوا أَنْظِرْنَا﴾ انظر إلينا وتعهدهنا ﴿وَأَسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٠٤) مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ كان المسلمون يقولون حين خطابهم للرسول عند تعلمهم أمر الدين: ﴿رَاعِنَا﴾ أي: راع أحوالنا، فيقصدون بها معنى صحيحاً، وكان اليهود يريدون بها معنى فاسداً، فانتهزوا الفرصة، فصاروا يخاطبون الرسول بذلك، ويقصدون المعنى الفاسد، فتهى الله المؤمنين عن هذه الكلمة، سدا لهذا الباب، ففيه النهي عن الجائر، إذا كان وسيلة إلى محرم، وفيه الأدب، واستعمال الألفاظ التي لا تحمل إلا الحسن، وعدم الفحش، وترك الألفاظ القبيحة، أو التي فيها نوع تشويش، أو احتمال لأمر غير لائق، فأمرهم بلفظة لا تحمل إلا الحسن فقال: ﴿وَقُولُوا أَنْظِرْنَا﴾ فإنها كافية يحصل بها المقصود من غير محذور، ﴿وَأَسْمَعُوا﴾ لم يذكر المسموع؛ ليعم ما أمر باستماعه، فدخل فيه سماع القرآن، وسماع السنة التي هي الحكمة لفظاً ومعنى واستجابة، ففيه الأدب والطاعة. السعدي

* في هذه الآية دليلان: أحدهما: على تجنب الألفاظ المحتملة، التي فيها التعريض للتنقيص والغضب، ويخرج من هذا فهم القذف بالتعريض، وذلك يوجب الحد... الدليل الثاني: التمسك بسد الذرائع وحمايتها. القرطبي

حكم النسخ والرد على اليهود الطاعنين فيه - وفي ذلك توطئة للحديث عن القبله وتحويلها -

﴿ مَا نَنْسَخْ ﴾ نزيل ونرفع ﴿ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ نمحها من القلوب
﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿ ١٦ ﴾

﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ لما طعن الكفار في النسخ وقالوا إن محمدا يأمر أصحابه
اليوم بأمر وينهى عنه غدا نزلت. تفسير الجلالين

* في الآية: تكذيب لليهود الذين أنكروا نسخ أحكام التوراة، وجحدوا نبوة
عيسى، وأنكروا محمدا ﷺ؛ لمحيئهما بما جاء به من عند الله بتغيير ما غير الله
من حكم التوراة. الطبري

* حقيقة النسخ نقل المكلفين من حكم مشروع، إلى حكم آخر، أو إلى
إسقاطه، وكان اليهود ينكرون النسخ، ويزعمون أنه لا يجوز، وهو مذكور
عندهم في التوراة، فإنكارهم له كفر وهوى محض. السعدي

* أنكرت النسخ طوائف من اليهود، وهم محجوجون بما جاء في توراتهم
بزعمهم أن الله تعالى قال لنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ عند خروجه من السفينة: إني قد جعلت
كل دابة مأكلا لك ولذريتك، وأطلقت ذلك لكم كنبات العشب، ما خلا الدم
فلا تأكلوه. ثم قد حرم على موسى وعلى بني إسرائيل كثيرا من الحيوان، وبما
كان آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ يزوج الأخ من الأخت، وقد حرم الله ذلك على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ
وعلى غيره، وبأن إبراهيم الخليل أمر بذبح ابنه ثم قال له: لا تذبحه، وبأن
موسى أمر بني إسرائيل أن يقتلوا من عبد منهم العجل، ثم أمرهم برفع
السيف عنهم، وبأن نبوته غير متعبد بها قبل بعثه، ثم تعبد بها بعد ذلك، إلى
غير ذلك. وليس هذا من باب البداء بل هو نقل العباد من عبادة إلى عبادة،
وحكم إلى حكم، لضرب من المصلحة؛ إظهارا لحكمته، وكمال مملكته. ولا
خلاف بين العقلاء أن شرائع الأنبياء قصد بها مصالح الخلق الدينية والدنيوية،

وإنما كان يلزم البداء لو لم يكن عالما بمآل الأمور، وأما العالم بذلك فإنما يتبدل خطابه بحسب تبدل المصالح ... وجعلت اليهود النسخ والبداء شيئاً واحداً.
القرطبي

﴿ثَاتٍ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ دل على أن النسخ لا يكون لأقل مصلحة لكم من الأول؛ لأن فضله تعالى يزداد، خصوصاً على هذه الأمة، التي سهل عليها دينها غاية التسهيل. السعدي

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ﴿كَقَوْلِهِمْ ارْنَا اللَّهَ جَهْرَةً وَغَيْرَ ذَلِكَ﴾ وَمَنْ يَتَّبِدْ أَلْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وسط الطريق وهو الصراط المستقيم
رغبة اليهود في إضلال المؤمنين وبيان أن سبيل المؤمنين لكف شرهم هو الصبر وإصلاح النفوس

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ رَدُّوْنَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ الحسد: فهو تمنى زوال النعمة عن المحسود، وإن لم يصير للحاسد مثلها، وتفارقه الغبطة، فإنها تمنى مثلها من غير حب زوالها عن المغبوط ... ولا يجوز أن يكون الفاضل حسوداً؛ لأن الفاضل يجري على ما هو الجميل. وقال بعض الحكماء: كل أحد يمكن أن ترضيه إلا الحاسد، فانه لا يرضيه إلا زوال نعمتك. وقال الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد، حزن لازم، ونفس دائم، وعقل هائم، وحسرة لا تنقضي. ابن الجوزي

﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ العفو: ترك المؤاخذة بالذنب. والصفح: إزالة أثره من النفس، صفحت عن فلان: إذا أعرضت عن ذنبه. الشوكاني

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿١١٠﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ هذا الكلام وإن كان خرج مخرج الخبر، فإن فيه وعدا ووعيدا وأمرًا وزجرا. وذلك أنه أعلم القوم أنه بصير بجميع أعمالهم ليجدوا في طاعته. ابن كثير

أماني أهل الكتاب، وتنازعهم، وذكر شيء من مخازي بعض منتسبيهم
﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴿١١٢﴾ متبع للرسول ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١١٢﴾

﴿١٧﴾

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١١٣﴾ **أى: المشركون من العرب وغيرهم** ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاَللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿١١٣﴾

فإن قيل: لم وبخهم وقد صدقوا، فإن كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء؟ قلت: لم يقصدوا ذلك، وإنما قصد به كل فريق إبطال دين الآخر من أصله، والكفر بنبيه وكتابه مع أن ما لم ينسخ منها حق واجب القبول والعمل به. تفسير البيضاوي

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ المراد من منع من كل مسجد إلى يوم القيامة، وهو الصحيح، لأن اللفظ عام ورد بصيغة الجمع، فتخصيصها ببعض المساجد وبعض الأشخاص ضعيف. القرطبي

* وإذا كان لا أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، فلا أعظم إيماناً ممن سعى في عمارة المساجد بالعمارة الحسية والمعنوية، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٨]. السعدي

﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ الحسي والمعنوي، فالخراب الحسي: هدمها وتخريبها، وتقديرها، والخراب المعنوي: منع الذاكرين لاسم الله فيها. السعدي

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٥]

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ قيل: نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ إذا من الله أن يصلي التطوع حيث توجه من شرق أو غرب - في مسيره في سفره، وفي حال المسايقة وشدة الخوف - ... وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية في قوم عميت عليهم القبلة، فلم يعرفوا شطرها. ابن كثير

الرد على من نسب لله الولد كقول المشركين: الملائكة بنات الله،

وعلى من اشترط آية معينة للإيمان

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَدِينُونَ﴾ [البقرة: ١١٦]

خاضعون منقادون

فالنوع الأول كما في هذه الآية، والنوع الثاني: كما في قوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]. السعدي

* فإذا كانوا كلهم عبيده، مفتقرين إليه، وهو غني عنهم، فكيف يكون منهم أحد، يكون له ولداً، والولد لا بد أن يكون من جنس والده؛ لأنه جزء منه. السعدي

﴿كُلُّ لَّهُ قَدِينُونَ﴾ القنوت نوعان: قنوت عام: وهو قنوت الخلق كلهم، تحت تدبير الخالق، وخاص: وهو قنوت العبادة.

﴿بَدِيعُ﴾ **الخالق على غير مثال سابق** ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (١١٧) وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿أَي: كفار مكة للنبي ﷺ﴾ ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ **مما اقترحناه** ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ **من كفار الأمم الماضية؛ لأنبيائهم** ﴿مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (١١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ (١١٩)

﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ يعنون آيات الاقتراح، التي يقترحونها بعقولهم الفاسدة، وآرائهم الكاسدة، التي تجرأوا بها على الخالق، واستكبروا على رسله كقولهم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ [النساء: ١٥٣] الآية، وقالوا: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَهُهُ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ (٧) أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَظْرٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ ﴿[الفرقان: ٧-٨] الآيات، وقوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ (٩٠) [الإسراء: ٩٠] الآيات.

فهذا دأبهم مع رسلهم، يطلبون آيات التعنت، لا آيات الاسترشاد، ولم يكن قصدهم تبين الحق، فإن الرسل، قد جاءوا من الآيات، بما يؤمن بمثله البشر، ولهذا قال تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (١١٨) فكل موقن، فقد عرف من آيات الله الباهرة، وبراهينه الظاهرة، ما حصل له به اليقين، واندفع عنه كل شك وريب. السعدي

﴿ ١٨ ﴾

بيان طموح أهل الكتاب وتوجيهات لهم

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (١٢٠)

﴿وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ فهذا فيه النهي العظيم عن اتباع أهواء اليهود والنصارى، والتشبه بهم فيما يختص به دينهم. السعدي

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ **أى: ثم آمنوا بك فأولئك** ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾
 أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا
 نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي
تَغْنَى ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ **فداء** ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ
 يُنصَرُونَ﴾ ﴿١٢٣﴾

**إبراهيم عليه السلام والإمامة، وبيان فضل البيت الحرام؛ تمهيدا للحديث
 عن تحويل القبلة**

﴿وَإِذْ أُنْتَلَىٰ إِلَٰهَهُمْ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ﴾ **بأوامر ونواه كلفه بها** ﴿فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي
 جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي﴾ **الإمامة في الدين**
 ﴿الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٢٤﴾

﴿وَإِذْ أُنْتَلَىٰ إِلَٰهَهُمْ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ﴾ قيل: هي مناسك الحج. وقيل: المضمضة
 والاستنشاق والسواك وقص الشارب وفرق الشعر وقلم الأظفار ونتف الإبط
 وحلق العانة والختان والاستنجاء. تفسير الجلالين
 ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ وهذه - لعمر الله - أفضل درجة، تنافس فيها
 المتنافسون، وأعلى مقام شمر إليه العاملون، وأكمل حالة حصلها أولو العزم
 من المرسلين وأتباعهم، من كل صديق متبع لهم، داع إلى الله وإلى سبيله. فلما
 اغتبط إبراهيم بهذا المقام، وأدرك هذا، طلب ذلك لذريته؛ لتعلو درجته ودرجة
 ذريته، وهذا أيضا من إمامته، ونصحه لعباد الله، ومحبه أن يكثر فيهم
 المرشدون، فله عظمة هذه الهمم العالية، والمقامات السامية. السعدي
 ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ هذا خبر من الله جل ثناؤه عن أن الظالم لا
 يكون إماما يقتدي به أهل الخير. الطبري

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ **مرجعاً يأتونه كلما رحلوا عنه اشتاقوا إليه**
 ﴿وَأَمَّا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا
 بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ ﴿١٢٥﴾

﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ قيل: كان أثر أصابع رجليه بينا فيه فاندرس من كثرة المسح بالأيدي.

قال قتادة ومقاتل والسدي: أمروا بالصلاة عند مقام إبراهيم، ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله. البغوي

* في البخاري: أنه الحجر الذي ارتفع عليه إبراهيم حين ضعف عن رفع الحجارة التي كان إسماعيل يناولها إياه في بناء البيت، وغرقت قدماه فيه. قال أنس: رأيت في المقام أثر أصابعه، وعقبه، وأخص قدميه، غير أنه أذهب مسح الناس بأيديهم. حكاه القشيري. القرطبي

* قال قتادة: إنما أمروا أن يصلوا عنده، ولم يؤمروا بمسحه. ولقد تكلفت هذه الأمة شيئاً ما تكلفته الأمم قبلها. الطبري

* لا شك أن مقام إبراهيم ثابت وأن هذا الذي بني عليه الزجاج هو مقام إبراهيم، لكن الحفر الذي فيه لا يظهر أنها أثر القدمين، لأن المعروف من الناحية التاريخية أن أثر القدمين قد زال منذ أزمنة متطاولة، ولكن حفرت هذه أو وضعت للعلامة فقط، ولا يمكن أن نجزم بأن هذا الحفر هو موضع قدمي إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-. ابن عثيمين في مجموع فتاوى ورسائل العثيمين.

﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ قدم الطواف، لاختصاصه بالمسجد الحرام، ثم الاعتكاف، لأن من شرطه المسجد مطلقاً، ثم الصلاة، مع أنها أفضل، لهذا المعنى. السعدى

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ﴾ **أى: قال الله** ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾ **أجلته** ﴿إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ **الرجع والمقام**

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ إنما سأل إبراهيم ربه أن يجعلها آمناً من القحط والجذب والغارات، وأن يرزق أهله من الثمرات، لا على ما ظنه بعض الناس أنه المنع من سفك الدم في حق من لزمه القتل، فإن ذلك يبعد كونه

مقصودا لإبراهيم ﷺ حتى يقال: طلب من الله أن يكون في شرعه تحريم قتل من التجأ إلى الحرم، هذا بعيد جدا. القرطبي
 * كانت مكة حراماً فلم يتعبد الله الخلق بذلك حتى سأل إبراهيم فحرمها.
 ينظر: تفسير الطبري

﴿ ١٩ ﴾

بناء البيت الحرام، ودعوة إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

﴿وَإِذْ رَفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ﴾ **الأسس** ﴿مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴿**بصرنا بمعالم عبادتنا لك**﴾ وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَزُكْرَهُمْ ﴿**يطهرهم من الشرك وسوء الأخلاق وينميهم بالطاعة**﴾ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٢٩)

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ فاستجاب الله لهما، فبعث الله هذا الرسول الكريم الذي رحم الله به ذريتهما خاصة، وسائر الخلق عامة، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «أنا دعوة أبي إبراهيم». السعدي والحديث عند أحمد.

﴿وَمَنْ بَرَّغَبُ﴾ **يعرض وينصرف** ﴿عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ **سفيه جاهل** ﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ﴿**انقد لله وأخلص له دينك**﴾ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٣١)

التوحيد وصية إبراهيم ويعقوب عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَى إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٢) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٣)

﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ ﴾ سبب نزولها: أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألسنت تعلم أن يعقوب أوصى بنيه يوم مات باليهودية؟ فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. ابن الجوزي

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٣٤﴾

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ اشتغالكم بهم وادعائكم، أنكم على ملتهم، والرضا بمجرد القول، أمر فارغ لا حقيقة له، بل الواجب عليكم، أن تنظروا حالتكم التي أنتم عليها، هل تصلح للنجاة أم لا؟ السعدي

* سأل رجل الإمام أحمد عما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما فأعرض عنه فقيل له يا أبا عبدالله، هو رجل من بني هاشم، فأقبل عليه وقرا الآية. ينظر: مناقب الإمام أحمد. «ل».

الواجب على المؤمن التوحيد والإيمان بجميع الأنبياء

﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿١٣٥﴾

﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ احتج الله لنبيه محمد ﷺ بأبلغ حجة وأجزها وأكملها، وعلمها محمدا نبيه ﷺ فقال: يا محمد، أجب القائلين لك ولأصحابك من اليهود والنصارى: ﴿ كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ﴾.

وقل: بل تعالوا نتبع ملة إبراهيم التي يجمع جميعنا على الشهادة لها بأنها دين الله الذي ارتضاه واجتبه وأمر به - فإن دينه كان الحنيفية المسلمة - وندع سائر الملل التي تختلف فيها، فينكرها بعضنا، ويقر بها بعضنا. فإن ذلك - على اختلافه - لا سبيل لنا على الاجتماع عليه، كما لنا السبيل إلى الاجتماع على ملة إبراهيم... فإن قال قائل: أو ما كان من كان من قبل إبراهيم ﷺ، من الأنبياء

وأتباعهم، مستقيمين على ما أمروا به من طاعة الله استقامة إبراهيم وأتباعه؟
 قيل: بلى. فإن قال: فكيف أضيف «الحنيفية» إلى إبراهيم وأتباعه على ملته
 خاصة، دون سائر الأنبياء قبله وأتباعهم؟

قيل: إن كل من كان قبل إبراهيم من الأنبياء كان حنيفاً متبوعاً طاعة الله، ولكن
 الله تعالى ذكره لم يجعل أحداً منهم إماماً لمن بعده من عباده إلى قيام الساعة،
 كالذي فعل من ذلك بإبراهيم، فجعله إماماً فيما بينه من مناسك الحج،
 والختان، وغير ذلك من شرائع الإسلام، تعبدًا به أبداً إلى قيام الساعة. ينظر:
 تفسير الطبري

*الحنيف: المائل عن الشرك سواء شرك عبادة الأصنام أو شرك الهوى، ومن
 تبين له صدق أحد من الرسل ولم يتبعه اتباعاً للهوى فهو ليس بحنيف.

﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَّبِّهِمْ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 وَالْأَسْبَاطَ ﴾ **الأنبياء من ولد يعقوب الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل**
 ﴿ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ
 وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٣٦)

﴿ **وَالْأَسْبَاطُ** ﴾ فُسر الأسباط بأنهم أولاد يعقوب، والصواب أنه ليس المراد
 بهم أولاده لصلبه، بل ذريته، كما يقال فيهم أيضا «بنو إسرائيل»، وكان في
 ذريته الأنبياء، فالأسباط من بني إسرائيل، كالقبائل من بني إسماعيل. ابن
 تيمية في جامع المسائل

﴿ **وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ** ﴾ اليهود والنصارى
 والصابئون وغيرهم - وإن زعموا أنهم يؤمنون بما يؤمنون به من الرسل
 والكتب - فإنهم يكفرون بغيره، فيفرون بين الرسل والكتب، بعضها يؤمنون
 به وبعضها يكفرون به، وينقض تكذيبهم تصديقهم، فإن الرسول الذي زعموا
 أنهم قد آمنوا به، قد صدق سائر الرسل - وخصوصاً محمد ﷺ -، فإذا كذبوا
 محمداً، فقد كذبوا رسولهم فيما أخبرهم به، فيكون كفرا برسولهم. السعدي.

﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنُتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾
خلاف شديد ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١٣٧)
﴿ صَبَّغَهُ اللَّهُ ﴾ الزموا صبغة الله، وهو دينه ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ ﴾ (١٣٨)

﴿ **صَبَّغَهُ اللَّهُ** ﴾ الزموا صبغة الله، وهو دينه، وقوموا به قياما تاما، بجميع أعماله الظاهرة والباطنة، وجميع عقائده في جميع الأوقات، حتى يكون لكم صبغة، وصفة من صفاتكم، فإذا كان صفة من صفاتكم، أوجب ذلك لكم الانقياد لأوامره، طوعا واختيارا ومحبة، وصار الدين طبيعة لكم بمنزلة الصبغ التام للثوب الذي صار له صفة، فحصلت لكم السعادة الدنيوية والأخروية. السعدي

* قال ابن عباس: النصارى إذا ولد لأحدهم ولد فأتى عليه سبعة أيام غمسه في ماء لهم أصفر، يقال له: المعمودية، وصبغوه به؛ ليظهره بذلك الماء مكان الختان، فإذا فعلوا به ذلك قالوا: الآن صار نصرانيا حقا، فأخبر الله أن دينه الإسلام لا ما يفعله النصارى. البغوي

قطع الانتساب بين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الموحّد وبين طوائف الكفر

﴿ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾ **﴿ فله أن يصطفى من يشاء ﴾** وَلَنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿ (١٣٩) **بذلك نتميز عليكم**

﴿ **قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ** ﴾ قال اليهود للمسلمين: نحن أهل الكتاب الأول، وقبلتنا أقدم، ولم تكن الأنبياء من العرب، ولو كان محمد نبيا؛ لكان منا. تفسير الجلالين

﴿ **وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ** ﴾ كان أهل الكتاب يزعمون أنهم أولى بالله من المسلمين، وهذا مجرد دعوى تفتقر إلى برهان ودليل. فإذا كان رب الجميع واحدا، ليس ربا لكم دوننا، وكل منا ومنكم له عمله، فاستوينا نحن وإياكم بذلك. فهذا لا يوجب أن يكون أحد الفريقين أولى بالله من غيره؛ لأن التفريق مع الاشتراك في

الشيء، من غير فرق مؤثر دعوى باطلة، وتفريق بين متماثلين، ومكابرة ظاهرة. وإنما يحصل التفضيل، بإخلاص الأعمال الصالحة لله وحده، وهذه الحالة، وصف المؤمنين وحدهم. السعدي

﴿ أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ ﴾
الذين ماتوا قبل التوراة والإنجيل ﴿ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾
﴿ ١٤٠ ﴾

﴿ أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾ هذا يعرفه كل من له أدنى عقل حتى إنهم بأنفسهم حتى إنهم بأنفسهم يعرفون ذلك، ويعرفون أن إبراهيم وغيره من الأنبياء لم يكونوا هودا ولا نصارى، فكنتموا هذا العلم وهذه الشهادة، فلماذا كان ظلمهم أعظم الظلم. السعدي

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾
﴿ ١٤١ ﴾

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ كررها؛ لقطع التعلق بالخلق، وأن المعول عليه ما اتصف به الإنسان، لا عمل أسلافه وآبائه، فالنفع الحقيقي بالأعمال، لا بالانتساب المجرد للرجال. السعدي

﴿ ٢١ ﴾

بعد الأمر بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة في مكة نزل قوله تعالى (١):

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ ﴾ من اليهود وأهل النفاق والمشركين ﴿ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾
﴿ ١٤٢ ﴾

(١) ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾ العاقل لا يبالي باعتراض السفهاء، ولا يلقي له ذهنه. ودلت الآية على أنه لا يعترض على أحكام الله إلا سفهاء جاهل معاند، وأما الرشيد المؤمن العاقل فيتلقى أحكام ربه بالقبول والانقياد، والتسليم. السعدي * قيل: إن سيقول بمعنى قال، وإنما عبر عن الماضي بلفظ المستقبل للدلالة على استدامته واستمراره عليه، وقيل: إن الإخبار بهذا الخبر كان قبل التحول إلى الكعبة، وإن فائدة ذلك أن الإخبار بالمكروه إذا وقع قبل وقوعه؛ كان فيه تهوينا لصدمته، وتخفيفا لروعته، وكسرا لسورته. الشوكاني

﴿مَا وَلَّهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ آلِي كَاثِرٌ عَلَيْهَا﴾ أجمع العلماء على أن القبلة أول ما نسخ من القرآن.. ودلت أيضا على جواز نسخ السنة بالقرآن، وذلك أن النبي ﷺ صلى نحو بيت المقدس، وليس في ذلك قرآن. القرطبي

﴿آلِي كَاثِرٌ عَلَيْهَا﴾ المسلمون كانوا مأمورين باستقبال بيت المقدس، مدة مقامهم بمكة، ثم بعد الهجرة إلى المدينة، نحو سنة ونصف، لما لله تعالى في ذلك من الحكم التي سيشير إلى بعضها. ينظر: تفسير السعدي

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ عدولا خيارا معتدلين في كل أمور الدين ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ نَرَاهُ واقعًا وهو ما يوجب الجزاء﴾ من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴿يرتد عن دينه﴾ وإن كانت لكبيرة إلا على الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ ﴿أجر صلاتكم إلى بيت المقدس﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١٤٣)

﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ في الآية دليل على أن إجماع هذه الأمة، حجة قاطعة، وأنهم معصومون عن الخطأ؛ لإطلاق قوله: ﴿وَسَطًا﴾ فلو قدر اتفاقهم على الخطأ لم يكونوا وسطا إلا في بعض الأمور، ولقوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يقتضي أنهم إذا شهدوا على حكم أن الله أحله أو حرمه أو أوجبه،

(١) ونلاحظ أن ذلك كان بعد أن بين: ١/ تعنت اليهود في اتباع الأنبياء عموما. ٢/ ذكر حكم النسخ وأنه متقرر في جميع الشرائع. ٣/ ذكر اختلاف اليهود والنصارى وشيئا من ضلالهم، وعدم رضاهم إلا باتباع ملتهم. ٤/ عظم شأن الكعبة وبين أنها بنيان إبراهيم عليه السلام.

فإنها معصومة في ذلك. وفيها اشتراط العدالة في الحكم، والشهادة، والفتيا، ونحو ذلك. السعدي

﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان، ولا يحكم عليهم غيرهم، فما شهدت له هذه الأمة بالقبول؛ فهو مقبول، وما شهدت له بالرد؛ فهو مردود. فإن قيل: كيف يقبل حكمهم على غيرهم، والحال أن كل مختصمين غير مقبول قول بعضهم على بعض؟ قيل: إنما لم يقبل قول أحد المتخاصمين؛ لوجود التهمة، فأما إذا انتفت التهمة، وحصلت العدالة التامة، كما في هذه الأمة، فإنما المقصود، الحكم بالعدل والحق، وشرط ذلك، العلم والعدل، وهما موجودان في هذه الأمة، فقبل قولها. فإن شك شاك في فضلها، وطلب مزكيا لها، فهو أكمل الخلق، نبهم ﷺ، فلهذا قال تعالى: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾. السعدي

* عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «يدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فتشهدون أنه قد بلغ: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ فذلك قوله جل ذكره: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾. البخاري

﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ ارتد - فيما ذكر - رجال ممن كان قد أسلم وأتبع رسول الله ﷺ، وأظهر كثير من المنافقين - من أجل ذلك - نفاقهم، وقالوا: ما بآل محمد يحولنا مرة إلى هاهنا ومرة إلى هاهنا! وقال المسلمون، فيمن مضى من إخوانهم المسلمين وهم يصلون نحو بيت المقدس: بطلت أعمالنا وأعمالهم وضاعت! وقال المشركون: تحير محمد ﷺ في دينه! فكان ذلك فتنة للناس، وتمحيصا للمؤمنين. الطبري

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عِيمَنَكُمْ﴾ وفي هذه الآية، دليل لمذهب أهل السنة

والجماعة، أن الإيمان تدخل فيه أعمال الجوارح. السعدي
 * قال مالك: إني لأذكر بهذه الآية قول المرجئة: إن الصلاة ليست من الإيمان.
 القرطبي

**الأمر بتحويل القبلة، وعدم الالتفات إلى تعنت اليهود؛ لمعرفتهم أن
 محمدا ﷺ على حق**

﴿قَدْ زَرَى ثَقَلَبُ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُؤَيِّنَنَّ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلَّ وَجْهَكَ
 شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا
 الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ **أي: التولى إلى الكعبة ثابت في كتبهم**
 ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ١٤٤

﴿قَدْ زَرَى ثَقَلَبُ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ﴾ متطلعا إلى الوحي، ومتشوقا للأمر
 باستقبال الكعبة، وكان يود ذلك؛ لأنها قبله إبراهيم، ولأنه أدعى إلى إسلام
 العرب. تفسير الجلالين

﴿فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ فيها اشتراط استقبال الكعبة،
 للصلوات كلها، فرضها ونفلها، وأنه إن أمكن استقبال عينها، وإلا فيكفي
 شطرها وجهتها، وأن الالتفات بالبدن، مبطل للصلاة. السعدي
 * ولا يستثنى من هذا شيء، سوى النافلة في حال السفر، فإنه يصليها حيثما
 توجه قلبه، وقلبه نحو الكعبة. وكذا في حال المسابقة في القتال يصلي على كل
 حال، وكذا من جهل جهة القبلة يصلي باجتهاده، وإن كان مخطئا في نفس
 الأمر؛ لأن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها. ابن كثير

﴿فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ من جلس في المسجد الحرام فليكن
 وجهه إلى الكعبة وينظر إليها إيمانا واحتسابا، فإنه يروى أن النظر إلى الكعبة
 عبادة، قاله عطاء ومجاهد. القرطبي

﴿وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾ **على صدقك في أمر القبلة** ﴿مَا
 تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ **أي: اليهود**

قَبْلَةَ النَّصَارَى وَبِالْعَكْسِ ﴿ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ أَلْعَلِّمُ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ﴾
قطع لطمعه في إسلامهم وطمعهم في عوده إليها. تفسير الجلالين

﴿ ٢٢ ﴾

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ ﴾ **﴿ صَدَقَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِنَعْتِهِ فِي كِتَابِهِمْ ﴾** **﴿ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾** **﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَكِبِينَ ﴿١٤٧﴾** **﴿ الشَّاكِينَ ﴾** **﴿ وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيًا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾** **﴿ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾** **﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾** **﴿ سَيَقُولُ عَلَى عِبَادِهِمْ ﴾** **﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمْنَعِي عَلَيْهِمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾**

﴿ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ **﴿** اختلفوا في حكمة هذا التكرار ثلاث مرات، فقيل: تأكيد؛ لأنه أول ناسخ وقع في الإسلام على ما نص عليه ابن عباس وغيره. وقيل: بل هو منزل على أحوال، فالأمر الأول لمن هو مشاهد الكعبة، والثاني لمن هو في مكة غائبا عنها، والثالث لمن هو في بقية البلدان، هكذا وجهه فخر الدين الرازي. ابن كثير

من وسائل مواجهة شبهات اليهود والمشركين تذكر نعم الله والذكر

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَنُزَكِّيَكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا ﴾ قال بعضهم: يرجع إلى ما قبلها. معناه: ولأنتم نعمتي عليكم كما أرسلنا ... وقال مجاهد وعطاء والكلبي: هي متعلقة بما بعدها وهو قوله:

﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ ﴾ معناه: كما أرسلنا فيكم رسولا منكم فاذكروني البغوي

﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَأشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ ﴿١٥٢﴾

﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ ﴾ عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله عز وجل: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ هم خير منهم، وإن تقرب مني شبرا، تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا، تقربت منه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة». مسلم

﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا ﴾ على الأمور الدينية والدنيوية ﴿بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿١٥٣﴾

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ فيها أعظم ترغيب لعباده سبحانه إلى لزوم الصبر على ما ينوب من الخطوب. فمن كان الله معه لم يخش من الأهوال وإن كانت كالجبال. الشوكاني

﴿ ٢٣ ﴾

بيان أن الابتلاء ضرورة للتمحيص، والموقف من الابتلاء

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ ﴿١٥٤﴾

﴿ بَلْ أَحْيَاءٌ ﴾ لم تفته الحياة المحبوبة، بل حصل له حياة أعظم وأكمل ... بل قد أخبر النبي ﷺ أن أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش. السعدي، والحديث في مسلم.

* فإن قال لنا قائل: ما خصوصيتهم عن المؤمنين الذين جاء الخبر أنهم يفتح لهم من قبورهم أبواب إلى الجنة، يشمون منها رَوْحها، ويستعجلون الله قيام الساعة ... قيل: إن الذي خَصَّ الله به الشهداء في ذلك، وأفاد المؤمنين بخبره عنهم تعالى ذكره، إعلامه إياهم أنهم مرزوقون من مآكل الجنة ومطاعمها في

بَرَزَهِمْ قَبْلَ بَعْثِهِمْ، وَمَنْعَمُونَ بِالَّذِي يَنْعَمُ بِهِ دَاخِلُوهَا بَعْدَ الْبَعْثِ مِنْ سَائِرِ الْبَشَرِ، مِنْ لَذِيذِ مَطَاعِمِهَا الَّذِي لَمْ يُطْعَمْهَا اللَّهُ أَحَدًا غَيْرَهُمْ فِي بَرَزْخِهِ قَبْلَ بَعْثِهِ.

ينظر: تفسير الطبري

﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ يعني به: ولكنكم لا ترونهم فتعلموا أنهم أحياء، وإنما تعلمون ذلك بخبري إياكم به. الطبري

﴿وَلَنْبَلُوتَكُمْ بَشْيَاءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ﴾ **بموت**
الأحباب ﴿وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ
 وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ عن أبي موسى الأشعري، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة، وسموه بيت الحمد». الترمذي

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ **ثناء من الله ومغفرة** ﴿وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (١٥٧) ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن سَعَاءِ اللَّهِ فَمَنْ حَمَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (١٥٨)

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ وبين التنويه بشأن الصابرين وما جاء بعده من الأمر بالسعي بين الصفا والمروة صلة، فالصفا كان مسكن إبراهيم وإسماعيل، والمروة هو المكان الذي حدث فيه ابتلاء إبراهيم بذبح ولده، وكان هذا الابتلاء أروع مثال للصبر على أمر الله. ينظر: التفسير الموضوعي ١ / ١٨٠.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ هذا دفع لوهم من توهم وتخرج من المسلمين عن الطواف بينهما؛ لكونهما في الجاهلية تعبد عندهما الأصنام، فنفي تعالى الجناح؛ لدفع هذا الوهم، لا لأنه غير لازم، ودل تقييد نفي الجناح فيمن تطوف بهما في الحج والعمرة، أنه لا يتطوع بالسعي مفردا إلا مع انضمامه لحج أو عمرة، بخلاف الطواف بالبيت، فإنه يشرع مع العمرة والحج، وهو عبادة

مفردة. السعدي

* نفي الجناح لأجل الشبهة التي عرضت لهم من الطواف بينهما؛ لأجل ما كانوا عليه في الجاهلية من كراهة بعضهم للطواف بينهما ... ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْنِيَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: ١٠١].

فإن نفي الجناح؛ لبيان الحكم وإزالة الشبهة، لا يمنع أن يكون القصر هو السنة.

فهو سبحانه ذكر الخوف والسفر؛ لأن القصر يتناول قصر العدد وقصر الأركان، فالخوف يبيح قصر الأركان، والسفر يبيح قصر العدد، فإذا اجتمعا أبيح القصر بالوجهين، وإن انفرد السفر أبيح أحد نوعي القصر. ابن تيمية بتصرف يسير ينظر الفتاوى الكبرى ومجموع الفتاوى.

حكم كتم الحق، وبيان مآل الكفار

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا آتَيْنَاهُمْ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ **يبعدهم من رحمته** ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ (١٥٩)

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا آتَيْنَاهُمْ مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ لا يجوز تعليم المبتدع الجدل والحجاج؛ ليجادل به أهل الحق، ولا يعلم الخصم على خصمه حجة يقطع بها ماله، ولا السلطان تأويلا يتطرق به إلى مكاره الرعية، ولا ينشر الرخص في السفهاء فيجعلوا ذلك طريقا إلى ارتكاب المحظورات، وترك الواجبات، ونحو ذلك. القرطبي

﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ عن مجاهد قال: تلعنهم دواب الأرض، وما شاء الله من الخنافس والعقارب تقول: نُئِمَعَ القطر بذنوبهم. الطبري

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُمْ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١٦٠) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١٦١) ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ (١٦٢)

تنبيه

من دلائل الوجدانية لله

﴿وَالْهَكْمُ لِلَّهِ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (١٦٣)

نجد في ما يلي حديثاً عن (التوحيد - العبادات - المعاملات - الأسرة والجنائيات) وهي من مقومات صلاح الفرد والأسرة والمجتمع، وفيها أن التشريع لله ويجب التسليم لذلك خلافاً لما كان عليه بنو إسرائيل من التعنت، وفي ثانياً ذلك أتى الحديث عن جملة من القصص تنويعاً في الأسلوب القرآني، وتنشيطاً للقارئ والسماع، وفي القصص ترغيب في الجهاد بالنفس والمال، والتحذير من عناد السابقين، والحث على الإيمان بالغيب والبعث.

﴿ ٢٤ ﴾

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ﴾ السفن
﴿الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ﴾ نشر ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ﴾
تقليبها وتوجيهها ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ﴾ (١٦٤)

تبرؤ سادة المشركين من الأتباع والتحذير من خطوات الشيطان

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَخُذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ من أهل الأنداد لأندادهم ﴿وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ
الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ (١٦٥)

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ المؤمنون أشد حبا لله من المشركين الذين يحبون
الأنداد كما يحبون الله، فمن أحب شيئاً غير الله كما يحب الله فهو من المشركين،
لا من المؤمنين. ابن تيمية في الاستقامة

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ ﴿١٦٦﴾ **الصلوات** ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرِهْنَا لَنَكْرِهَنَّ فَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ **من الرؤساء** ﴿كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ﴾ **ندامات** **عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ** ﴿١٦٧﴾

﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ دليل على خلود الكفار فيها، وأنهم لا يخرجون منها. وهذا قول جماعة أهل السنة. القرطبي

﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿١٦٨﴾ **الذنب القبيح** ﴿وَالْفَحْشَاءُ﴾ **المعصية بالغة القبح** ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٦٩﴾

﴿٢٥﴾

حجة الاتباع وحالهم

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفِينَا﴾ **وجدنا** ﴿عَلَيْهِ ءَابَاءُنَا﴾ **أَوَّلُوْا كَانِ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ** ﴿١٧٠﴾ **وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾ **يصيح** ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ **على البهائم فهي لا تعى من الكلام** ﴿إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ **فلا تفهم الكلام** ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٧١﴾**

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾ مثل الذين كفروا كمثل المنعوق به من البهائم التي لا تفهم، فحذف لدلالة المعنى. ينظر: تفسير القرطبي ﴿إِلَّا دُعَاءً﴾ أي: يسمع صوتا ولا يفهم معناه. أي: الكفار في سماع الموعظة، وعدم تدبرها، كالبهائم تسمع صوت راعيها ولا تفهمه. ينظر: تفسير الجلالين * شبههم بالغنم الذي ينعق بها الراعي وهي لا تسمع إلا نداء. كما قال في الآية الأخرى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]. ابن تيمية في مجموع الفتاوى ﴿إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ فهو لاء مثلهم كمثل إنسان يدعو بهائم لا تفهم إلا

الصوت، دعاءً، ونداءً؛ و «الدعاء» إذا كان يدعو شيئاً معيناً باسمه؛ و «النداء» يكون للعموم. هناك بهائم يسميها الإنسان باسمها بحيث إذا ناداها بهذا الاسم أقبلت إليه، والنداء العام لجميع البهائم هذا لا يختص به واحدة دون أخرى، فتقبل الإبل جميعاً، لكن مع ذلك لا تقبل على أساس أنها تعقل، وتفهم، وتهدي، ربما يناديها؛ لأجل أن ينحرها. هؤلاء الكفار مثلهم - في كونهم يتبعون آباءهم بدون أن يفهموا هذه الحال التي عليها آباؤهم - كمثل هذا الناق بالماشية التي لا تسمع إلا دعاءً، ونداءً. ابن عثيمين في تفسيره.

التحريم والتحليل حق لله

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (١٧٢) ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ ما ذكر عند ذبحه اسم غير الله تعالى ﴿فَمَن اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ﴾ غير ظالم في أكله فوق حاجته ﴿وَلَا عَادٍ﴾ بأكلها وهو يجد غيرها من المباحات ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٧٣)

﴿وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ كما لو ذكر عليه اسم المسيح. يراجع ص ١٤٣. * ولما كان الحل مشروطاً بهذين الشرطين، وكان الإنسان في هذه الحالة، ربما لا يستقصي تمام الاستقصاء في تحقيقها - أخبر تعالى أنه غفور، فيغفر ما أخطأ فيه في هذه الحال، خصوصاً وقد غلبته الضرورة، وأذهبت حواسه المشقة. السعدي

التحذير من كتمان الحق لعرض من الدنيا

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَشَتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٧٤) ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ (١٧٥) ما أجراهم على عذاب النار

﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ من مسموع من العرب: «ما أصبر فلاناً على الله»، بمعنى: ما أجراً فلاناً على الله!. ينظر: تفسير الطبري

﴿ذَلِكَ﴾ العذاب ﴿يَأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿١٧٦﴾ **منازعة وخلاف بعيد عن الحق**

﴿٢٦﴾

حقيقة البر والرد على الذين أكثروا في شأن القبلة

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ﴾ **المسافر المحتاج المنقطع عن أهله** ﴿وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ **في تحرير الرقاب من الرق والأسر** ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ﴾ **الفقر** ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ **المرض** ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ **شدة القتال** ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ﴿١٧٧﴾

﴿لَيْسَ الْبِرَّ﴾ فيمن خطب بها قولان: أحدهما: أنهم المسلمون. والثاني: أهل الكتابين. فعلى القول الأول معناها: ليس البر كله في الصلاة، ولكن البر ما في هذه الآية. وهذا مروي عن ابن عباس، ومجاهد... وعلى القول الثاني معناها: ليس البر صلاة اليهود إلى المغرب، وصلاة النصارى إلى المشرق، ولكن البر ما في هذه الآية وهذا قول قتادة. ابن الجوزي

﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ فمن أخرجه مع حبه له تقرباً إلى الله تعالى، كان هذا برهانا لإيمانه، ومن إيتاء المال على حبه أن يتصدق وهو صحيح شحيح، يأمل الغنى، ويخشى الفقر، وكذلك إذا كانت الصدقة عن قلة، كانت أفضل؛ لأنه في هذه الحال، يحب إمساكه، لما يتوهمه من العدم والفقر.

وكذلك إخراج النفيس من المال، وما يحبه من ماله، كما قال تعالى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] فكل هؤلاء ممن أتى المال على

حبه. السعدي

من الأحكام الشرعية (القصاص - الوصية)

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ
وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأِيبَاءُ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ **فعلى الولي أن لا**
يحمل القاتل ما لا يطيق من الدية ﴿وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ﴾ **على القاتل أن يؤدي**
الدية من غير مطل ولا نقص ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ بِعَدَا
ذَلِكَ ﴾ **قتل قاتل صاحبه بعد أخذ الدية** ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٧٨)

﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ ﴾ فيه ترقيق وحث على العفو إلى الدية، وأحسن من
ذلك العفو مجانا. وفي قوله: ﴿أَخِيهِ ﴾ دليل على أن القاتل لا يكفر؛ لأن المراد
بالأخوة هنا أخوة الإيمان، فلم يخرج بالقتل منها. السعدي

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَأْتُوا لِي الْأَلْبَبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٧٩)

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ ﴾ تنحغن بذلك الدماء، وتنقمع به الأشقياء.
السعدي

* في الكتب المتقدمة: القتل أنفى للقتل. فجاءت هذه العبارة في القرآن أفصح،
وأبلغ، وأوجز. ابن كثير

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا ﴾ **مَالًا كَثِيرًا**
﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (١٨٠)

﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ ﴾ هذا منسوخ بآية الميراث، وبحديث لا وصية لوارث،
رواه الترمذي. تفسير الجلالين

﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ بقي الاستحباب ولكن لغير الوالدين
والأقربين الوارثين، شريطة أن تكون الوصية ثلثاً فأقل.

ولا تجوز للوالدين والورثة ولا فيما كان أكثر من الثلث إلا أن يميز ذلك
الورثة. ينظر: تفسير الجزائري

﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ **بدل الوصية من الشهود** ﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٨١﴾

﴿ ٢٧ ﴾

﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا﴾ **ميلاً عن الحق خطأ وجهلاً** ﴿أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ **بين أطراف الوصية** ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٨٢﴾

﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ ينبغي لمن حضر الموصي وقت الوصية بها، أن ينصحه بما هو الأحسن والأعدل، وأن ينهائه عن الجور والجنف... فإن لم يفعل ذلك، فينبغي له أن يصلح بين الموصي إليهم، ويتوصل إلى العدل بينهم على وجه التراضي والمصالحة، ووعظهم بتبرئة ذمة ميتهم، فهذا قد فعل معروفًا عظيمًا. السعدي

* أي: فأصلح ما أفسد الموصي، بنصحه. وأصلح بين المختلفين على الوصية، فلا إثم عليه، بل هو مأجور على إصلاحه. المختصر في التفسير.

﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ رفع الإثم عمن أبطل الجنف والإثم من وصية الموصي، ولم يجعلها بمنزلة نص الشارع الذي تحرم مخالفته. ابن القيم في إعلام الموقعين.

* وكذلك إذا ظهر للحاكم أو الوصي الجنف أو الإثم في الوقف ومصرفه، أو بعض شروطه؛ فأبطل ذلك، كان مصلحًا لا مفسدًا. وليس له أن يعين الواقف على إمضاء الجنف والإثم، ولا يصحح هذا الشرط ولا يحكم به، فإن الشارع قد رده وأبطله. فليس له أن يصحح ما رده الشارع وحرّمه، فإن ذلك مضادة له ومناقضة. ابن القيم في إغاثة اللهفان

الصيام

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٨٣﴾ **زاد في الفدية التي بدل الصيام** الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةً طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا

وهذا قبل النسخ ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١٨٤)

﴿سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ الأمر في ذلك على التخيير، وليس بحتم؛ لأنهم كانوا يخرجون مع رسول الله ﷺ في شهر رمضان. قال: «فمنا الصائم ومنا المفطر». ابن كثير، والحديث في مسلم، واستدل الجمهور بإطلاق الآية على أنه لا يجب التتابع.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ كانت رخصة من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم مسكينا، ثم نسخ وصار الصيام واجبا على كل قادر بالغ إلا من عذر. * واعلم أنه لا رخصة لمؤمن مكلف في إفطار رمضان إلا لثلاثة، أحدهم: يجب عليه القضاء والكفارة، والثاني: عليه القضاء دون الكفارة، والثالث: عليه الكفارة دون القضاء، أما الذي عليه القضاء والكفارة: فالحامل والمرضع إذا خافتا على ولديهما فإنهما تفطران وتقضيان، وعليهما مع القضاء الكفارة... وأما الذي عليه القضاء دون الكفارة: فالمريض والمسافر والحائض والنفساء، وأما الذي عليه الكفارة دون القضاء فالشيخ الكبير والمريض الذي لا يرجى زوال مرضه. البغوي

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ **بإتمام الشهر** ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ﴾ **من رؤية الهلال إلى صلاة العيد** ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٨٥)

الدعاء

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ قد حصل لكم فيه من الله الفضل العظيم، وهو القرآن الكريم، المشتمل على الهداية لمصالحكم الدينية والدنيوية... فحقيق بشهر هذا فضله، وهذا إحسان الله عليكم فيه، أن يكون موسما للعباد مفروضا فيه الصيام. السعدي

﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ فيه دليل على أن التكبير في عيد الفطر يبدأ من غروب شمس ليلة العيد.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ **فليطيعوني** ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ **يهتدون**

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ سأل جماعة النبي ﷺ أقرب ربنا فتناجيه، أم بعيد فنناديه؛ فنزلت الآية. تفسير الجلالين

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ عن أبي سعيد، أن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم، ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها» قالوا: إذا نكث، قال: «الله أكثر» مسند أحمد.

* في ذكره تعالى هذه الآية الباعثة على الدعاء متخللة بين أحكام الصيام إرشاد إلى الاجتهاد في الدعاء عند إكمال العدة، بل وعند كل فطر. ابن كثير

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ من دعا ربه بقلب حاضر، ودعاء مشروع، ولم يمنع مانع من إجابة الدعاء، كأكل الحرام ونحوه، فإن الله قد وعده بالإجابة، وخصوصا إذا أتى بأسباب إجابة الدعاء، وهي الاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره ونواهيه القولية والفعلية، والإيمان به، الموجب للاستجابة، فلهذا قال: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾. السعدي

الإذن بالأكل والشرب والجماع في ليالي رمضان حتى بعد النوم ما لم يطلع الفجر

﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ﴾ **الجماع** ﴿إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ﴾ **سكن وستر عن الحرام** ﴿وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴿تَخُونُونَ أَنْفُسَكُمْ بِفَعْلِ الْخَطَا﴾ **وقد كان الصيام يبتدئ من (نوم**

الليل أو من طلوع الفجر) أيهما وقع أولاً ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ
بَشِّرُوهُمْ﴾ جامعوهن ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ
الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ﴾ انتشار الضوء أفقياً ﴿مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ سواد الليل ﴿مِنَ
الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾
مقيمون في المساجد بنية التقرب إلى الله ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ محرماته ومنهياته
﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾ كان في أول فرض الصيام يحرم على المسلمين في
الليل بعد النوم الأكل والشرب والجماع، فحصلت المشقة لبعضهم، فخفف الله
تعالى عنهم ذلك، وأباح في ليالي الصيام كلها الأكل والشرب والجماع، سواء
نام أو لم ينم، لكونهم يختانون أنفسهم بترك بعض ما أمروا به. السعدي
﴿الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ عن ابن عباس قال: الدخول والتغشي والإفشاء
والمباشرة والرفث واللمس والمس هذا الجماع، غير أن الله حيي كريم يكتفي بما
شاء عما شاء. الشوكاني

﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ﴾ تشبيهه بليغ، والمراد هنا بالخيوط الأبيض: هو المعترض في
الأفق، لا الذي هو كذب السرحان، فإنه الفجر الكذاب الذي لا يحل شيئاً
ولا يجرمه. والمراد بالخيوط الأسود: سواد الليل، والتبين: أن يمتاز أحدهما عن
الآخر، وذلك لا يكون إلا عند دخول وقت الفجر. الشوكاني

* إذا أكل ونحوه شاكا في طلوع الفجر فلا بأس عليه. السعدي
﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ الجماع حرام في حال الاعتكاف،
ويفسد به الاعتكاف، أما ما دون الجماع من المباشرات كالقبلة واللمس
بالشهوة فمكروه، ولا يفسد به الاعتكاف عند أكثر أهل العلم، وهو أظهر
قولي الشافعي، كما لا يبطل به الحج، وقالت طائفة: يبطل بها اعتكافه، وهو
قول مالك، وقيل: إن أنزل بطل اعتكافه، وإن لم ينزل فلا، كالصوم. وأما
اللمس الذي لا يقصد به التلذذ فلا يفسد به الاعتكاف. البغوي
* كان الفقهاء المصنفون يتبعون كتاب الصيام بكتاب الاعتكاف، اقتداء

بالقرآن العظيم، فإنه نبه على ذكر الاعتكاف بعد ذكر الصوم. ابن كثير
﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ النهي عن القرب أبلغ من قوله: «فلا
تفعلوها» لأن القربان، يشمل النهي عن فعل المحرم بنفسه، والنهي عن
وسائله الموصلة. ينظر: تفسير السعدي

الرشوة، وفائدة الأهله التي هي مواقيت للصيام والحج وللأهله ارتباط بأحكام الجهاد

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَآ آى: تدفعون الرشوة﴾ إِلَى
الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ أي: أموال غيركم، أضافها إليهم؛ لأنه
ينبغي للمسلم أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويحترم ماله كما يحترم ماله؛ ولأن
أكله لمال غيره يجرئ غيره على أكل ماله عند القدرة. السعدي
﴿لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال قتادة: اعلم -يا
ابن آدم - أن قضاء القاضي لا يحل لك حراما، ولا يحق لك باطل، وإنما يقضي
القاضي بنحو ما يرى ويشهد به الشهود، والقاضي بشر يخطئ ويصيب،
واعلموا أن من قضي له بباطل أن خصومته لم تنقض حتى يجمع الله بينهما يوم
القيامة، فيقضي على المبطل للمحق بأجود مما قضي به للمبطل على المحق في
الدنيا. ابن كثير

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ﴾ جمع هلال وهو القمر بداية ظهوره **﴿قُلْ هِيَ
مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ
مَنْ أَتَقَىٰ وَآتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**
﴿١٨٩﴾

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ﴾ لم تبدو دقيقة، ثم تزيد حتى تمتلئ نورا، ثم تعود كما
بدت، ولا تكون على حالة واحدة كالشمس. تفسير الجلالين
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ﴾ يعني: الحكمة فيها بدليل الجواب: **﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ﴾**

لِلنَّاسِ وَالْحَجَّ ﴿٧١﴾ أما ما ذكره أهل البلاغة من أنهم سألوا الرسول ﷺ عن السبب في كون الهلال يبدو صغيراً، ثم يكبر؛ فأجاب الله سبحانه وتعالى ببيان الحكمة؛ وقالوا: إن هذا من أسلوب الحكيم أن يجاب السائل بغير ما يتوقع إشارة إلى أنه كان ينبغي أن يُسأل عن هذا؛ فالصواب أنهم لم يسألوا الرسول عن هذا؛ ولكن سألوه عن الحكمة من الأهلة، وأن الله سبحانه وتعالى خلقها على هذا الوجه؛ والدليل: الجواب؛ لأن الأصل أن الجواب مطابق للسؤال إلا أن يثبت ذلك بنص صحيح. ابن عثيمين في تفسيره.

﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ ﴿٧٢﴾ هذا كما كان الأنصار وغيرهم من العرب، إذا أحرموا، لم يدخلوا البيوت من أبوابها، تعبداً بذلك، وظناً أنه بر. فأخبر الله أنه ليس ببر... ويستفاد من إشارة الآية أنه ينبغي في كل أمر من الأمور، أن يأتيه الإنسان من الطريق السهل القريب. السعدي

من أحكام الجهاد، وجوازه في الشهر الحرام على سبيل المقاصة

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِيَّاهُ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿١٩٠﴾

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ﴾ ﴿١٩١﴾ لما صد ﷺ عن البيت عام الحديبية، وصالح الكفار على أن يعود العام القابل، ويخلوا له مكة ثلاثة أيام، وتجهز لعمره القضاء، وخافوا أن لا تفي قريش ويقاتلوهم، وكره المسلمون قتالهم في الحرم والإحرام والشهر الحرام. تفسير الجلالين

﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَفَمْتُمُوهُمْ﴾ ﴿١٩٢﴾ وجدتموهم ﴿١٩٣﴾ وأخرجوهم من حيث أخرجوكم وألفنته ﴿١٩٤﴾ أذى المسلمين وصد الناس عن التوحيد ﴿١٩٥﴾ أشد من القتل ولا تقتلوه عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه ﴿١٩٦﴾ فإن قتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين ﴿١٩٧﴾ فإن أنتموهم فإن الله غفور رحيم ﴿١٩٨﴾ وقتلوهم حتى لا تكون فينته ويكون الدين لله فإن أنتموهم فلا عدوان إلا على الظالمين ﴿١٩٩﴾ الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم

﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ مَا اُعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (١٩٤)

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ قيل: إن مشركي العرب قالوا للنبي ﷺ: أنهيت عن قتالنا في الشهر الحرام؟ قال: «نعم»، وأرادوا أن يفتروه في الشهر الحرام، فيقاتلوه فيه، فنزلت هذه الآية، يقول: إن استحلوا منكم شيئاً في الشهر الحرام، فاستحلوا منهم مثله، هذا قول الحسن. ينظر: زاد المسير

* وللمزيد في حكم القتال في الشهر الحرام يراجع ص ٣٤ وأول سورة المائدة.
﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ إنما سمي المقاتلة على الاعتداء اعتداء؛ لأن صورة الفعلين واحدة، وإن كان أحدهما طاعة، والآخر معصية. قال الزجاج: والعرب تقول: ظلمني فلان فظلمته، أي: جازيته بظلمه. وجهل فلان علي، فجهلت عليه. ابن الجوزي

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ الهلاك بترك الجهاد والإنفاق عليه ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٩٥)

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ مضمون الآية: الأمر بالإنفاق في سبيل الله في سائر وجوه القربات، ووجوه الطاعات، وخاصة صرف الأموال في قتال الأعداء، وبذلها فيما يقوى به المسلمون على عدوهم، والإخبار عن ترك فعل ذلك بأنه هلاك ودمار إن لزمه واعتاده. ابن كثير

* قال السدي فيها: أنفق في سبيل الله -ولو عقلاً- ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، ولا تقل: ليس عندي شيء. البغوي

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ قال ابن جرير الطبري: ومن جملة ما يدخل تحت الآية أن يقتحم الرجل في الحرب فيحمل على الجيش مع عدم قدرته على التخلص، وعدم تأثيره لأثر ينفع المجاهدين. الشوكاني

من أحكام الحج والعمرة والإحصار

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ منعم عن البيت لمرض أو عدو ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ ما يهدي إلى البيت من الأنعام ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ

أَلْهَدَىٰ مَحَلَّهُٗ ﴿١٩٦﴾ **حيث يحل ذبحه** ﴿فَن كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ﴾ **فاحتاج للأخذ من رأسه** ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ **بأن قدرتم على البيت من غير مانع عدو وغيره** ﴿فَن تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِّنَ الْهَدْيِ فَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي﴾ **ساكني** ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

﴿ ١٩٦ ﴾

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ ظاهر السياق إكمال أفعالهما بعد الشروع فيهما. ابن كثير. ، وجاء في زاد المعاد: فرض الحج تأخر إلى سنة تسع أو عشر وأما قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، فإنها وإن نزلت سنة ست عام الحديبية، فليس فيها فرضية الحج وإنما فيها الأمر بإتمامه وإتمام العمرة بعد الشروع فيهما، وذلك لا يقتضي وجوب الابتداء فإن قيل: فمن أين لكم تأخير نزول فرضه إلى التاسعة أو العاشرة؟ قيل: لأن صدر سورة آل عمران نزل عام الوفود، وفيه قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ. ا. هـ قلت والوجوب مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧] وكان نزولها في السنة التاسعة.

﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُٗ﴾ جاء في الآية الأخرى ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحَلَّهُٗ﴾ فيها دليل على أن المحصر الممنوع من البيت يذبح الهدي حيث أحصر للآية، ولأن فعله ﷺ مبين للآية الأولى إذ نحر في الحديبية وهي من الحل -وهذا قول الشافعية والحنابلة- ، وقال الحنفية: يجب في الحرم للآية الأولى ، وقال المالكية: إن قدر على إرساله للحرم فذاك، وإلا حيث حصر.

* من صد عن البيت (ولم يشترط) هل يجب عليه الهدي أو يستحب؟ قولان: الجمهور على الوجوب، خلافا للمالكية.

*المحصر إن عجز عن الهدي فهل يصوم (المذهب)، أو يطعم (الشافعية)، أو يبقى محرماً حتى يجد الهدي (الحنفية)، أو يسقط بالعجز؟ خلاف بين أهل العلم

مبسوط في كتب الفقه.

* وهل يشترط الحلق لتحلل المحصر؟ الجمهور: لا، خلافاً للشافعية (استدلوا بأمر النبي ﷺ أصحابه بذلك يوم الحديبية).

﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ عن كعب بن عجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ مر به زمن الحديبية، فقال له: «أذاك هوام رأسك؟» قال: نعم، فقال له النبي ﷺ: «احلق رأسك، ثم اذبح شاة نسكا، أو صم ثلاثة أيام، أو أطعم ثلاثة أصع من تمر، على ستة مساكين». مسلم

* فيه دليل على أن من فعل محذورا خارج الحرم فلا يجب عليه أن تكون الفدية في الحرم وهذا قول المالكية والحنابلة لعموم الآية ولم تقيده بالحرم، وذلك خلافا للحنفية والشافعية الذين أوجبوه لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَحُلَّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٣٣]، وأجيب بأن هذا في الهدي لا الفدية.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾، تكون الثلاثة بعد الإحرام إلى قبل يوم العيد، والسبعة بعد الرجوع إلى أهله. (بعد الإحرام بالعمرة عند الحنفية والحنابلة وهو أرجح - وبعد الإحرام بالحج عند المالكية والشافعية) ويجزئ أن تكون الثلاثة أو بعضها في أيام التشريق (الجواز عند الحنابلة والمالكية).

والسبعة بعد أعمال منى حتى لو لم يرجع لبلده (الجواز عند الجمهور خلافا للشافعية).

قال البغوي: ثلاثة أيام، يصوم يوماً قبل التروية، ويوم التروية، ويوم عرفة، ولو صام قبله بعد ما أحرم بالحج جاز، ولا يجوز يوم النحر ولا أيام التشريق عند أكثر أهل العلم، وذهب بعضهم إلى جواز صوم الثلاثة في أيام التشريق، يروى ذلك عن عائشة وابن عمر وابن الزبير، وهو قول مالك والأوزاعي وأحمد وإسحاق. تفسير البغوي

* دليل جواز أن تكون الثلاثة في أيام التشريق لمن لم يجد الهدي ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها: «لم يرخص في أيام التشريق أن يُصْمَنَ، إلا

لمن لم يجد الهدى».

﴿ ٣٠ ﴾

من أعمال الحج

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾ هي: شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ﴾ الجماء ومقدماته القولية والفعلية ﴿وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكَزَّوْدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ﴿١٩٧﴾

﴿الْحَجُّ﴾ قال الحسن: الحج المبرور، هو أن يرجع صاحبه زاهدا في الدنيا، راغبا في الآخرة. القرطبي «ت».

﴿وَتَكَزَّوْدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى﴾ قال ابن عباس: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون؛ فيسألون الناس؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَكَزَّوْدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى﴾. ابن الجوزي

* قال رجل لأحمد بن حنبل: أريد أن أخرج إلى مكة على التوكل بغير زاد، فقال له أحمد: اخرج في غير القافلة. فقال لا، إلا معهم. قال: فعلى جرب الناس توكلت؟! القرطبي

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ رزقا بالتجارة ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾ دفعتم بعد غروب الشمس راجعين من عرفات ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّكَاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّكَاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ هكذا ينبغي للعبد، كلما فرغ من عبادة أن يستغفر الله عن التقصير، ويشكره على التوفيق، لا كمن يرى أنه قد أكمل العبادة، ومن بها على ربه، وجعلت له محلا ومنزلة

رفيعة، فهذا حقيق بالمقت ورد الفعل، كما أن الأول حقيق بالقبول والتوفيق لأعمال آخر. السعدي

-العرب تعبر عن الخروج من عرفة الدفع لكن القرآن عبر عنه بالإفاضة إشارة إلى أنهم يفيضون كما يفيض الماء بانسيابية بلا تدافع. د. محمد نصيف

الذكر بعد الحج والدعاء

﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مَنَسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾

﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ إنما قال سبحانه كذا ذكركم آباءكم؛ لأن العرب كانوا إذا فرغوا من حجهم يقفون عند الجمرة، فيذكرون مفاخر آبائهم، ومناقب أسلافهم، فأمرهم الله بذكره مكان ذلك الذكر، ويجعلونه ذكرا مثل ذكرهم لآبائهم، أو أشد من ذكرهم لآبائهم. الشوكاني

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾

﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ قيل لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كيف يحاسب الله العباد في يوم؟ قال كما يرزقهم في يوم!. القرطبي

﴿ ٣١ ﴾

حكم التعجل والتأخر في الحج

﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ أيام التشريق الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنكُم إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾

﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ أيام التشريق يجتمع فيها للمؤمنين نعيم

أبدانهم بالأكل والشرب، ونعيم قلوبهم بالذكر والشكر، وبذلك تتم النعم، وكلما أحدثوا شكرا على النعمة كان شكرهم نعمة أخرى فيحتاج إلى شكر آخر ولا ينتهي الشكر أبدا. لطائف المعارف لابن رجب. «ل».

﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ من المعلوم أنه إذا أبيح كلا الأمرين، فالتأخر أفضل؛ لأنه أكثر عبادة. السعدي

حال المنافق وحال المؤمن أمام أوامر الله

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (٢٠٤) شديد العداوة والخصومة

﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ شديد الخصومة لك ولأتباعك؛ لعداوته لك، وهو الأخنس بن شريق، كان منافقا حلو الكلام للنبي ﷺ، يحلف أنه مؤمن به ومحب له، فيدني مجلسه، فأكذبه الله في ذلك، ومر بزرع وحرر لبعض المسلمين فأحرقه وعقرها ليلا. تفسير الجلالين

﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ﴾ (الزرع) ﴿وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (٢٠٥) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ (٢٠٦) ﴿كَافِيهِ﴾ ﴿جَهَنَّمَ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (٢٠٦) الفراش والمضطجع

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ قال عبد الله بن مسعود: إن من أكبر الذنب عند الله أن يقال للعبد: اتق الله. فيقول: عليك بنفسك، وروي أنه قيل لعمر بن الخطاب: اتق الله فوضع خده على الأرض؛ تواضعا لله عز وجل. البغوي

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٢٠٧)

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ قال سعيد بن المسيب وعطاء: أقبل صهيب مهاجرا نحو النبي ﷺ فاتبعه نفر من مشركي قريش، فنزل عن راحلته، ونثل ما في كنانته، ثم قال: يا معشر قريش لقد

علمتم إني لمن أركم رجلا، والله لا أضع سهما مما في كنانتي إلا في قلب رجل منكم، وإيم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بكل سهم من كنانتي رجلا منكم، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي، ثم افعلوا ما شئتم بي، وإن شئتم دلتكم على مالي بمكة وخليتم سبيلي، قالوا: نعم، ففعل ذلك، فأنزل الله فيه هذه الآية.

البغوي

الذي هو أولى بظاهر هذه الآية من التأويل، ما روي عن عمر بن الخطاب وعن علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم، من أن يكون غني بها الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر وذلك أن الله جل ثناؤه وصف صفة فريقين: أحدهما منافق يقول بلسانه خلاف ما في نفسه، وإذا اقتدر على معصية الله ركبها، وإذا لم يقتدر رامها، وإذا نهى أخذته العزة بالإثم بما هو به إثم، والآخر منهما بائع نفسه، طالب من الله رضا الله. فكان الظاهر من التأويل أن الفريق الموصوف بأنه شري نفسه لله وطلب رضاه، إنما شراها للوثوب بالفريق الفاجر طلب رضا الله. فهذا هو الأغلب الأظهر من تأويل الآية. أما ما روي من نزول الآية في أمر صهيب، فإن ذلك غير مستنكر، إذ كان غير مدفوع جواز نزول آية من عند الله على رسوله ﷺ بسبب من الأسباب، والمعني بها كل من شمله ظاهرها. الطبري

الحث على التمسك بشرائع الإسلام

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾ شرائع الإسلام ﴿كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٢٠٨) ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾ انحرقتم ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٠٩) ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ينتظرون ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْعَمَامِ﴾ قطع من السحاب ﴿وَالْمَلَائِكَةُ وَفُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (٢١٠)

﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْعَمَامِ﴾ يعني: يوم القيامة؛ لفصل القضاء بين الأولين والآخرين، فيجزى كل عامل بعمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

ابن كثير

التحذير من أحوال المخالفين، وسبب مخالفتهم

﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَا آتَيْنَهُمْ مِّنْ آيَةٍ بَيْنَتٍ﴾ **تدل على الحق** ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٢١١﴾

﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ المراد تسليته ﷺ من الألم النفسي الذي يحصل له من عدم إيمان أهل الكتاب والمشركين به وبما جاء به من الهدى، وضمن ذلك تقريع اليهود وتأنيبهم على كفرهم بآيات الله، وإصرارهم على عدم الدخول في الإسلام. الجزائري

﴿زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوَقَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿٢١٢﴾ **كان الناس أمة واحدة** ﴿على التوحيد قبل قوم نوح﴾ ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ **أي: في الكتاب** ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا﴾ **ظلمًا وحسدًا** ﴿بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٢١٣﴾

﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي: في الكتاب ... وقيل: الآية راجعة إلى محمد ﷺ وكتابه، اختلف فيه أهل الكتاب ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ صفة محمد ﷺ في كتبهم ﴿بَغْيًا﴾ ظلمًا وحسدًا بينهم. البغوي
﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فيها رد على المعتزلة في قولهم: إن العبد يستبد بهداية نفسه. القرطبي

الابتلاء، وبيان مصارف النفقة

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ﴾ **الفقر** ﴿وَالضَّرَاءُ﴾ **المرض** ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا

مَعَهُ، مَتَى نَصْرُ اللَّهِ؟ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾

﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ، مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ قول الرسول ومن معه: متى نصر الله ليس فيها إلا استعجال النصر من الله سبحانه، وليس فيه ما زعموه من الشك والارتباب حتى يحتاج إلى ذلك التأويل المتعسف. الشوكاني

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ * مَا لِي أَلْبَسَ ثِيَابًا أَوْ كُفً * فَلَئِنْ لَمْ يَنْفِقُوا لَمَا يَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ هذا يعم السؤال عن المنفق والمنفق عليه، فأجابهم عنهما. السعدي

﴿ ٣٣ ﴾

الجهاد، وحكم القتال في الأشهر الحرم

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ * وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾

﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ كما اتفق في بلاد الأندلس، تركوا الجهاد، وجبنوا عن القتال، وأكثروا من الفرار، فاستولى العدو على البلاد، وأي بلاد؟! وأسر وقتل وسبى واسترق، فإنا لله وإنا إليه راجعون! ذلك بما قدمت أيدينا وكسبته! القرطبي

* الغالب على العبد المؤمن أنه إذا أحب أمرًا من الأمور فقيض الله له من الأسباب ما يصرفه عنه أنه خير له، فالأوفق له في ذلك أن يشكر الله، ويجعل الخير في الواقع؛ لأنه يعلم أن الله تعالى أرحم بالعبد من نفسه، وأقدر على مصلحة عبده منه، وأعلم بمصلحته منه، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فاللائق بكم أن تتمشوا مع أقداره، سواء سرتكم أو ساءتكم.

السعدي

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ عظيم وزره لكن غير ذلك أكبر منه وهو ﴿ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ أى: لكن صدكم عن سبيل الله وكفركم بالله وصدكم عن المسجد الحرام ﴿ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ ﴾ الشرك ﴿ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢١٧)

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ روى جندب بن عبد الله أن رسول الله ﷺ بعث رهطاً واستعمل عليهم أبا عبيدة بن الحارث، فلما انطلق ليتوجه بكى صباة إلى رسول الله ﷺ، فبعث مكانه عبد الله بن جحش، وكتب له كتاباً، وأمره ألا يقرأه إلا بمكان كذا وكذا، وقال: «لا تكرهن أحداً من أصحابك على المسير معك»، فلما صار إلى المكان، قرأ الكتاب واسترجع، وقال: سمعا وطاعة لأمر الله ولرسوله، فخبرهم الخبر وقرأ عليهم الكتاب. فرجع رجلان من أصحابه، ومضى بقيتهم، فأتوا ابن الحضرمي فقتلوه، فلم يدروا ذلك اليوم، أمن رجب، أو من جمادى الآخرة؟ فقال المشركون للمسلمين: قتلتم في الشهر الحرام، فأتوا النبي فحدثوه الحديث، فنزلت هذه الآية، فقال بعض المسلمين: لئن كان أصابهم خير فما لهم أجز، فنزلت: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾ إلى قوله: ﴿ رَّجِئُ ﴾. ابن الجوزي

* الجمهور على أن تحريم القتال في الأشهر الحرم، منسوخ بالأمر بقتال المشركين حيثما وجدوا، وقال بعض المفسرين: إنه لم ينسخ؛ لأن المطلق محمول على المقيد، وهذه الآية مقيدة لعموم الأمر بالقتال مطلقاً؛ ولأن من جملة مزية الأشهر الحرم - بل أكبر مزاياها - تحريم القتال فيها، وهذا إنما هو في قتال الابتداء، وأما قتال الدفع فإنه يجوز في الأشهر الحرم، كما يجوز في البلد الحرام.

السعدي

﴿ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ ﴾ قال الشافعي: إن من ارتد ثم عاد إلى

الإسلام لم يحبط عمله ولا حجه الذي فرغ منه، بل إن مات على الردة فحينئذ تحبط أعماله. وقال مالك: تحبط بنفس الردة، ويظهر الخلاف في المسلم إذا حج ثم ارتد ثم أسلم. القرطبي

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢١٨)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ﴾ لما ظن أهل السرية أنهم إن سلموا من الإثم فلا يحصل لهم أجر نزل. تفسير الجلالين

* في هذا دليل على أن الرجاء لا يكون إلا بعد القيام بأسباب السعادة، وأما الرجاء المقارن للكسل، وعدم القيام بالأسباب، فهذا عجز وتمن وغرور، وهو دال على ضعف همة صاحبه، ونقص عقله، بمنزلة من يرجو وجود ولد بلا نكاح، ووجود الغلة بلا بذر وسقي، ونحو ذلك ... العبد ولو أتى من الأعمال بما أتى به لا ينبغي له أن يعتمد عليها، ويعول عليها، بل يرجو رحمة ربه، ويرجو قبول أعماله ومغفرة ذنوبه، وستر عيوبه. السعدي

حكم الخمر والميسر، ومقدار النفقة

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾ القمار وهو أخذ المال أو إعطاؤه بطريق المغالبات التي فيها عوض من الطرفين ﴿ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴿ ما زاد عن الحاجة ﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿ (٢١٩)

﴿ وَالْمَيْسِرِ ﴾ الميسر: كل المغالبات التي يكون فيها عوض من الطرفين، من النرد، والشطرنج، وكل مغالبة قولية أو فعلية، بعوض سوى مسابقة الخيل، والإبل، والسهام، فإنها مباحة؛ لكونها معينة على الجهاد. السعدي

﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ﴾ بحفظ أموالهم وصيانتها والاتجار ﴿وَلِنْ تَخْلَطُوهُمْ﴾ في الطعام ونحوه ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمْ ﴿لَضِيقُ عَلَيْكُمْ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾ قال ابن عباس وقتادة: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ الآية [النساء: ١٠]، تخرج المسلمون من أموال اليتامى تخرجاً شديداً، حتى عزلوا أموال اليتامى عن أموالهم، حتى كان يصنع لليتيم طعام، فيفضل منه شيء، فيتركونه ولا يأكلونه حتى يفسد، فاشتد ذلك عليهم، فسألوا رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾. البغوي.

* يجوز الاتجار بمال اليتيم بما فيه مصلحة، بلا مقابل لولي اليتيم (عند الجمهور) خلافاً للحنفية.

ومنع الجمهور الأخذ للثمة.

وأجاز ابن باز وابن عثيمين أن يفرض له القاضي حسب المصلحة.

﴿وَلِنْ تَخْلَطُوهُمْ﴾ قال أبو عبيد: مخالطة اليتامى أن يكون لأحدهم المال، ويشق على كافله أن يفرد طعامه عنه، ولا يجد بداً من خلطه بعياله، فيأخذ من مال اليتيم ما يرى أنه كافيه بالتحري، فيجعله مع نفقة أهله، وهذا قد يقع فيه الزيادة والنقصان، فجاءت هذه الآية الناسخة بالرخصة فيه. قال أبو عبيد: وهذا عندي أصل لما يفعله الرفقاء في الأسفار، فإنهم يتخارجون النفقات بينهم بالسوية، وقد يتفاوتون في قلة المطعم وكثرته، وليس كل من قل مطعمه تطيب نفسه بالتفضل على رفيقه، فلما كان هذا في أموال اليتامى واسعاً؛ كان في غيرهم أوسع، ولولا ذلك لحفت أن يضيق فيه الأمر على الناس. القرطبي

﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ وَلَأَمَّهُ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ ءَايَتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾

﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ﴾ عن مقاتل بن حيان قال: نزلت هذه الآية في أبي مرثد الغنوي، استأذن النبي ﷺ في عناق أن يتزوجها، وكانت ذات حظ من جمال، وهي مشركة، وأبو مرثد يومئذ مسلم، فقال: يا رسول الله! إنها تعجبني، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ﴾. الشوكاني

من أحكام (الحيض - الجماع - اليمين)

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ مكان الحيض فيترك الوطء ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ﴾ بالوطء ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ من الحيض ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ اغتسلن ﴿فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ﴿٢٢٢﴾

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ عن أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها، ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ؛ فأنزل الله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ إلى آخر الآية، فقال رسول الله ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح». صحيح مسلم

* ثبت في الصحيحين، عن ميمونة بنت الحارث الهلالية قالت: «كان النبي ﷺ إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه أمرها فاتزرت وهي حائض». وهذا لفظ البخاري. ابن كثير.

﴿نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ موضع زرع لكم تضعون النطفة في أرحامهن فيحملن ﴿فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ أي: كيف شئتم ﴿وَقَدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾

﴿حَرِّثْ لَكُمْ﴾ فيه دليل على تحريم الوطء في الدبر، لأن الله لم يبح إتيان المرأة إلا في الموضع الذي منه الحرث، وقد تكاثرت الأحاديث عن النبي ﷺ في تحريم ذلك، ولعن فاعله. السعدي

﴿قَاتُوا حَرِّكُمْ أَنْتُمْ شِئْتُمْ﴾ عن جابر بن عبد الله يقول: كانت اليهود تقول في الذي يأتي امرأته من دبرها في قبلها إن الولد يكون أحول، فنزلت ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرِّ لَكُمْ قَاتُوا حَرِّكُمْ أَنْتُمْ شِئْتُمْ﴾. البغوي، والحديث في الصحيحين

﴿وَقَدِّمُوا لِنَفْسِكُمْ﴾ أي: من التقرب إلى الله بفعل الخيرات، ومن ذلك أن يباشر الرجل امرأته، ويجامعها على وجه القربة والاحتساب، وعلى رجاء تحصيل الذرية الذين ينفع الله بهم. السعدي

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لم يذكر المبشر به؛ ليدل على العموم، وأن لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وكل خير واندفاع كل ضرر، رتب على الإيمان فهو داخل في هذه البشارة. السعدي

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ حجة مانعة لكم من الخير ﴿أَنْ تَبْرُوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٢٤)

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ أي: لا تجعلوا الله قوة لأيمانكم في أن لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس. ولكن إذا حلف أحدكم فرأى الذي هو خير مما حلف عليه من ترك البر والإصلاح بين الناس، فليحنت في يمينه، وليبر، وليتق الله، وليصلح بين الناس، وليكفر عن يمينه. الطبري

* السلف مجمعون - أو كالمجمعين - على أن معناها: لا تجعلوا الله مانعاً لكم إذا حلفتكم به من البر والتقوى والإصلاح بين الناس، بأن يحلف الرجل أن لا يفعل معروفاً مستحباً أو واجباً، أو ليفعلن مكرهاً حراماً أو نحوه، فإذا قيل له: افعل ذلك، أو لا تفعل هذا، قال: قد حلفت بالله، فيجعل الله عرضة ليمينه. ابن تيمية في الفتاوى الكبرى.

* ويستدل بهذه الآية على القاعدة المشهورة، أنه "إذا تزاхمت المصالح، قدم أهمها" فهنا تتميم اليمين مصلحة، وامتنال أوامر الله في هذه الأشياء، مصلحة

أكبر من ذلك، فقدمت لذلك. تفسير السعدي

﴿ ٣٥ ﴾

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ التي لا يقصدها صاحبها ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ قصدموه ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿٢٢٥﴾

من أحكام (الإيلاء - الطلاق)

﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ﴾ يحلفون على ترك الجماع ﴿مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا﴾ رجعوا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٢٢٦﴾

﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ من آلى من زوجته خاصة، فإن كان لدون أربعة أشهر، فهذا مثل سائر الأيمان، إن حنث كفر، وإن أتم يمينه، فلا شيء عليه، وليس لزوجته عليه سبيل؛ لأنه ملكه أربعة أشهر. وإن كان أبداً، أو مدة تزيد على أربعة أشهر، ضربت له مدة أربعة أشهر من يمينه، إذا طلبت زوجته ذلك، لأنه حق لها، فإذا تمت أمر بالفيئة وهو الوطء، فإن وطئ، فلا شيء عليه إلا كفارة اليمين، وإن امتنع، أجبر على الطلاق، فإن امتنع، طلق عليه الحاكم. السعدي

﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٢٧﴾ المعنى ليس لهم بعد تربص ما ذكر إلا الفيئة أو الطلاق ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ ينتظرن ﴿بأنفسهنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ ثلاث حيض ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُعْلُنَّ لَهُنَّ أَحْقُ بَرِّهِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ في وقت العدة ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٢٢٨﴾

﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ أثر الخلاف (بين من يفسر القرء بالطهر ومن يفسره بالحيض) يظهر في أن المعتدة إذا شرعت في الحيضة الثالثة تنقضي عدتها على قول من يجعلها أطهاراً (وهم المالكية والشافعية)، وتحسب بقية الطهر الذي وقع فيه الطلاق قرءاً... ومن ذهب إلى أن الأقراء هي الحيض (وهم الحنفية والحنابلة) يقول لا تنقضي عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة. ينظر: تفسير البغوي

﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمَنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ في ذلك دليل على قبول خبر المرأة، عما تخبر به عن نفسها، من الأمر الذي لا يطلع عليه غيرها، كالحيض والحمل ونحوه. السعدي

﴿وَبَعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ هذه حكمة أخرى في هذا التربص، وهي: أنه ربما أن زوجها ندم على فراقه لها، فجعلت له هذه المدة؛ ليتروى بها ويقطع نظره. وهذا يدل على محبته تعالى للآلفة بين الزوجين، وكراهته للفراق. السعدي

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: وللنساء على بعولتهن من الحقوق واللوازم مثل الذي عليهن لأزواجهن من الحقوق اللازمة والمستحبة. ومرجع الحقوق بين الزوجين يرجع إلى المعروف. السعدي

* قال ابن عباس: إني لأحب أن أترين للمرأة، كما أحب أن تتزين لي المرأة؛ لأن الله يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ﴾. ابن كثير

﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَ دَرَجَةٌ﴾ أي: فضيلة في الحق من وجوب طاعتهم لهم؛ لما ساقوه من المهر والإنفاق. تفسير الجلالين

من أحكام الطلاق

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾ من المهر ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢٢٩)

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ﴾ قال قتادة: كان الرجل في الجاهلية يطلق الثلاث والعشر وأكثر من ذلك، ثم يراجع ما كانت في العدة، فجعل الله حد الطلاق ثلاث تطليقات. ينظر: تفسير الطبري

* الطلاق الذي ثبت فيه الرجعة للأزواج هو مرتان، أي: الطلقة الأولى والثانية، إذ لا رجعة بعد الثالثة، وإنما قال سبحانه: ﴿مَرَّتَانٍ﴾ ولم يقل طلقتان إشارة إلى أن ينبغي أن يكون الطلاق مرة بعد مرة، لا طلقتان دفعة واحدة. الشوكاني

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ الخلع هو أن تكره المرأة البقاء مع زوجها؛ فتخلع نفسها منه بهال تعطيه إياه عوضاً عما أنفق عليها في الزواج بها. الجزائي

* عن ابن عباس، أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس، ما أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكنني أكره الكفر في الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «أتردين عليه حقيقته؟» قالت: نعم، قال رسول الله ﷺ: «أقبل الحديقة وطلقها تطليقة». صحيح البخاري.

* عن ثوبان عند أحمد ... قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة وقال: المختلعات هن المنافقات». الشوكاني

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ **أى: الزوج الطلقة الثالثة** ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٢٣٠)

﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ ذهب الجمهور من السلف والخلف: إلى أنه لا بد مع العقد من الوطء؛ لما ثبت عن النبي ﷺ من اعتبار ذلك، وهو زيادة يتعين قبولها. الشوكاني

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ في هذا دلالة على أنه ينبغي للإنسان، إذا أراد أن يدخل في أمر من الأمور، خصوصاً الولايات، الصغار، والكبار، نظر في نفسه، فإن رأى من نفسه قوة على ذلك، ووثق بها، أقدم، وإلا أحجم. السعدي

الواجب عند قرب انتهاء العدة، وحكم عضل الأولياء عن إنشاء عقد جديد بعد الانتهاء

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبِغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ **قاربين انقضاء عدتهن** ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾

بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَخُوهُمْ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تَمْسِكُوهُمْ ضِرَارًا ﴿٢٣١﴾ **مضارة لهم** ﴿لِنَعْنُدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ، وَلَا نَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣٢﴾

﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ **انتهت العدة** ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ **فلا يمنع الأولياء موليائهم** ﴿أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ **بعقد جديد** ﴿إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمُ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٣﴾

﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ جاء أن معقل بن يسار كانت أخته تحت رجل، فطلقها ثم خلى عنها، حتى انقضت عدتها، ثم خطبها، فحمي معقل من ذلك أنفا، فقال: خلى عنها وهو يقدر عليها، ثم يخطبها، فحال بينه وبينها، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ إلى آخر الآية «فدعاه رسول الله ﷺ فقرأ عليه»، فترك الحمية واستقاد لأمر الله. ينظر: صحيح البخاري

* هذا خطاب لأولياء المرأة المطلقة دون الثلاث إذا خرجت من العدة، وأراد زوجها أن ينكحها، ورضيت بذلك، فلا يجوز لوليها -من أب وغيره- أن يعضلها -أي: يمنعها من الزواج به- حنقا عليه، وغضبا، واشمئزازا لما فعل من الطلاق الأول. السعدي

* في هذه الآية دليل على أنه لا بد من الولي في النكاح؛ لأنه نهى الأولياء عن العضل، ولا ينهاهم إلا عن أمر هو تحت تدبيرهم، ولهم فيه حق. السعدي

* قال الشافعي: وهذه الآية أبين آية في أنه ليس للمرأة أن تتزوج إلا بولي. ابن

الجوزي

رضاع المولود

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ **أي: الأب** ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ **إذا كن مطلقات أو كن غير**

مطلقات ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَاكِرُ وَالِدَةُ يَوْلِيدَهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يَوْلِيدُهُ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾ **فطامًا له قبل الحولين** ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ **بالنظر لمصلحة الصبي** ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَزْعِمُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ **عند غير الأمهات من غير مضارة** ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ **أى: للمرضعات** ﴿وَأَنْقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٢٣٣﴾

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ خبر بمعنى الأمر، وهو أمر استحباب لا أمر إيجاب، لأنه لا يجب عليهن الإرضاع إذا كان يوجد من يرضع الولد؛ لقوله تعالى في سورة الطلاق: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَكُواهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٦]، فإن رغبت الأم في الإرضاع، فهي أولى من غيرها. البغوي

* قال أبو عمر: لا أعلم خلافا بين السلف من العلماء في المرأة المطلقة إذا لم تزوج أنها أحق بولدها من أبيه ما دام طفلا صغيرا لا يميز شيئا - إذا كان عندها في حرز وكفاية، ولم يثبت فيها فسق ولا تبرج - ثم اختلفوا بعد ذلك في تخيره إذا ميز وعقل بين أبيه وأمه، وفيمن هو أولى به. القرطبي

﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ قال سبحانه: ﴿كَامِلَيْنِ﴾ لأن العرب قد تسمي بعض الحول حولا، وبعض الشهر شهرا، كما قال الله تعالى: ﴿أَلَحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وإنما هي شهران وبعض الثالث، وقال: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، وإنما يتعجل في يوم، وبعض يوم، ويقال: أقام فلان بموضع كذا حولين، وإنما أقام به حولا وبعض آخر، فبين الله تعالى أنها حولان كاملان، أربعة وعشرون شهرا. البغوي

﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ هذا شامل لما إذا كانت في حباله، أو مطلقة، فإن على الأب رزقها، أي: نفقتها وكسوتها، وهي الأجرة للرضاع. ودل هذا على أنها إذا كانت في حباله، لا يجب لها أجرة، غير النفقة والكسوة، وكل بحسب حاله، فلهذا قال: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فلا يكلف الفقير أن ينفق نفقة الغني. السعدي

﴿لَا تُضَارُّ وَإِلَدَهُ يُؤَلِّدَهَا﴾ أي: بسببه بأن تكره على إرضاعه إذا امتنعت،
 ﴿وَلَا﴾ يضار ﴿مَوْلُودٌ لَهُ، يُؤَلِّدُهُ﴾ أي: بسببه بأن يكلف فوق طاقته، وإضافة
 الولد إلى كل منهما في الموضعين للاستعطاف. تفسير الجلالين
 * قال مجاهد: لا تأبى أن ترضعه إضرارا بأبيه، ولا يضار الوالد بولده، فيمنع
 أمه أن ترضعه؛ ليحزنها بذلك. ابن الجوزي
 ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ أي: على وارث الطفل إذا عدم الأب، وكان الطفل
 ليس له مال، مثل ما على الأب من النفقة للمرضع والكسوة، فدل على وجوب
 نفقة الأقارب المعسرين، على القريب الوارث الموسر. السعدي
 * اتفق الفقهاء على وجوب النفقة على الأصول والفروع عند الحاجة،
 واختلفوا فيما سوى ذلك فمنهم من لم يوجبها، ومنهم من أوجبها على القريب
 الوارث، ومنهم من أوجبها على ذي الرحم المحرم كالعم والأخ وابن الأخ، في
 تفاصيل مذكورة في كتب الفقه.

﴿ ٣٧ ﴾

عدة المتوفى عنها، وحكم خطبتها

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا
 بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ من مراجعتها
 للزينة والطيب ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٣٣٤)

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ هذا
 أمر من الله للنساء اللاتي يتوفى عنهن أزواجهن: أن يعتددن أربعة أشهر وعشر
 ليال وهذا الحكم يشمل الزوجات المدخول بهن وغير المدخول بهن بالإجماع.
 ابن كثير

* في هذا وجوب الإحداد مدة العدة على المتوفى عنها زوجها دون غيرها من
 المطلقات والمفارقات، وهو مجمع عليه بين العلماء. السعدي
 ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ في خطابه للأولياء

دليل على أن الولي ينظر على المرأة، ويمنعها مما لا يجوز فعله، ويجبرها على ما يجب، وأنه مخاطب بذلك، واجب عليه. السعدي

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ﴾ **﴿لَمَحْتُمْ﴾** **﴿مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾** **﴿الْمُتَوَفَى عَنْهُنَّ﴾** **﴿أَزْوَاجَهُنَّ فِي الْعَدَّةِ﴾** **﴿أَوْ أَكْنَنْتُمْ﴾** **﴿أَضْمَرْتُمْ﴾** **﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾** **﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾** **﴿بِالْخُطْبَةِ الصَّرِيحَةِ أَوْ الْاجْتِمَاعِ الْمَحْرَمِ﴾** **﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾** **﴿لَكِنْ يَجُوزُ التَّعْرِيفُ﴾** **﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾** **﴿عَقْدَ النِّكَاحِ﴾** **﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾** **﴿تَنْقُضِي الْعَدَّةَ﴾** **﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾**

﴿ ٢٣٥ ﴾

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ الفرق بينهما: أن التصريح لا يحتمل غير النكاح، فلهذا حرم؛ خوفا من استعجالها، وكذبها في انقضاء عدتها، رغبة في النكاح، ففيه دلالة على منع وسائل المحرم، وقضاء لحق زوجها الأول، بعدم مواعدها لغيره مدة عدتها. وأما التعريض، وهو الذي يحتمل النكاح وغيره، فهو جائز للبائن، كأن يقول لها: إني أريد الزوج، وإني أحب أن تشاوريني عند انقضاء عدتك، ونحو ذلك، فهذا جائز؛ لأنه ليس بمنزلة الصريح، وفي النفوس داع قوي إليه. السعدي

*** لا يجوز التعريض لخطبة الرجعية إجماعاً؛ لأنها كالزوجة. القرطبي**

أحكام الطلاق قبل الدخول

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا﴾ **﴿تَحَدُّدُوا﴾** **﴿لَهُنَّ فَرِيضَةٌ﴾** **﴿مَهْرًا﴾** **﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾** **﴿أَعْطَوْهُنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ جَبْرًا لَهُنَّ﴾** **﴿عَلَى الْمُؤْسَعِ قَدْرُهُ﴾** **﴿وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ﴾** **﴿مَتَّعَا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾**

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةٌ وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُؤْسَعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ﴾ يجب أن يمتعها وجوباً، والله - تعالى قدر المتعة بحسب حال الزوج، الموسع الغني، والمقتِر الفقير المعسر. قال الفقهاء: أعلاها

خادم، يعني يشتري لها مملوكة تخدمها، وأدناها كسوة تستر عورتها في الصلاة، وهذا الذي ذكره قد يكون موافقاً لواقعهم، لكن الله سبحانه في القرآن ما قدرها بهذا، ومعلوم أن هناك فرقاً عظيماً بين الخادم، والكسوة التي تستر عورتها، فالخادم ربما يساوي أكثر من مهر المثل ثلاث مرات، أو أربعة، والكسوة في الصلاة ليست بشيء، وعلى كل حال فقوله تعالى: ﴿عَلَى الْمُسَبِّحِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ﴾ تنبني في كل زمان ومكان على حسب ما يليق، يقال للغني: يفرض عليك شيء بقدرك، ويقال للفقير: يفرض عليك شيء بقدرك. ابن عثيمين في الشرح الممتع. ثم ذكر الخلاف في مسألة المطلقة بعد الدخول. ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ ليس لهم أن يبخسوهن، فكما تسببوا لتشوفهن واشتياقهن، وتعلق قلوبهن، ثم لم يعطوهن ما رغبن فيه، فعليهم في مقابلة ذلك المتعة. فله ما أحسن هذا الحكم الإلهي، وأدله على حكمة شارعه ورحمته ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]. السعدى

﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ **سميت المهر** **فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ** **الزوج** ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٢٣٧)

* طَلَّقَ جَبْرِ بْنُ مُطْعِمٍ امْرَأَتَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا، فَأَعْطَاهَا الصَّدَاقَ كَامِلًا، وَقَالَ: أَنَا أَحَقُّ بِالْعَفْوِ مِنْهَا التفسير الوسيط

﴿ ٣٨ ﴾

إرشاد للصلاة التي فيها صلاح أمور المجتمع

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ **أى: صلاة العصر** ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (٢٣٨) **مطيعين خاشعين**

﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ قال زيد بن أرقم: كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ الحديث. القرطبي، والحديث متفق عليه.

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرَجَالًا ﴾ **ماشين** ﴿ أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٣٩)

العدة قبل النسخ، ومتعة المطلقات

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَّتَعًا ﴾ **ما** **يتمتعن به من النفقة والكسوة** ﴿ إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٤٠)

﴿ مَّتَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ ﴾ قال قتادة: كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها كان لها السكنى والنفقة حولا في مال زوجها ما لم تخرج، ثم نسخ ذلك بعد في سورة النساء، فجعل لها فريضة معلومة: الثمن إن كان له ولد، والربع إن لم يكن له ولد، وعدتها أربعة أشهر وعشرا. الطبري

﴿ فَإِنْ خَرَجْنَ ﴾ أخبر تعالى ذكره أنه لا حرج على أولياء الميت في خروجهن وتركهن الحداد على أزواجهن؛ لأن المقام حولا في بيوت أزواجهن، والحداد عليه تمام حول كامل لم يكن فرضا عليهن. الطبري

﴿ وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢٤١) كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ (٢٤٢)

﴿ وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَعٌ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ هذه المتعة واجبة على من طلقت قبل المسيس والفرض، سنة في حق غيرها كما تقدم، هذا أحسن ما قيل فيها، وقيل إن المتعة واجبة على كل مطلقة احتجاجا بعموم هذه الآية، ولكن القاعدة أن المطلق محمول على المقيد، وتقدم أن الله فرض المتعة للمطلقة قبل الفرض والمسيس خاصة. السعدي

* اختلفوا في المطلقة بعد الدخول بها فذهب جماعة إلى أنها لا متعة لها؛ لأنها تستحق المهر، وهو قول أصحاب الرأي، وذهب جماعة إلى أنها تستحق المتعة لقوله تعالى: ﴿ وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَعٌ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ٢٤١] ... وإليه ذهب

الشافعي؛ لأن استحقاقها المهر بمقابلة ما أنلف عليها من منفعة البضع، ولها المتعة على وحشة الفراق. البغوي.

* متعة المطلقة بعد الدخول: الجمهور على عدم الوجوب اكتفاء بالمهر، خلافاً للشافعية الذين يرون أن المتعة لو حشة الفراق. واختار ابن تيمية أن لكل مطلقة متعة وجوباً إلا التي لم يدخل بها وقد فرض لها، وهو رواية عن الإمام أحمد. ينظر الفتاوى الكبرى (٥ / ٤٧٥)

الحياة والموت بأمر الله فلا يخاف المسلم من الجهاد، الأمر بالإنفاق الذي هو من مقومات الجهاد

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (٢٤٣)

﴿ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾ قال ابن عباس: خرجوا فراراً من الطاعون، قالوا: «نأتي أرضاً ليس فيها موت»! حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا، قال لهم الله: ﴿ مُوتُوا ﴾. فمر عليهم نبي من الأنبياء، فدعا ربه أن يحييهم، فأحياهم. الطبري ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ﴾ قال أبو جعفر: وإنما حث الله تعالى ذكره عباده بهذه الآية، على المواظبة على الجهاد في سبيله، والصبر على قتال أعداء دينه، وشجعهم بإعلامه إياهم وتذكيره لهم، أن الإمامة والإحياء بيديه وإليه دون خلقه، وأن الفرار من القتال والهرب من الجهاد ولقاء الأعداء إلى التحصن في الحصون، والاختباء في المنازل والدور، غير منج أحداً من قضائه إذا حل بساحته كما لم ينفع الهاربين من الطاعون الذين وصف الله تعالى ذكره صفتهم في قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ فرارهم من أوطانهم، وانتقالهم من منازلهم إلى الموضع الذي أملوا بالمصير إليه السلامة، وبالموتل النجاة من المنية، حتى أتاهاهم أمر الله، فتركهم جميعاً خموذاً صرعى، وفي الأرض هلكى، ونجاً مما حل بهم الذين باشروا كرب الوباء، وخالطوا بأنفسهم عظيم البلاء.

ينظر: تفسير الطبري

* عن أسامة بن زيد أن النبي ﷺ قال: «الطاعون رجز أو عذاب أرسل على بني إسرائيل، أو على من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض، فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا فرارا منه». صحيح مسلم

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾

﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ استدعاء القرض في هذه الآية إنما هي تأنيس وتقريب للناس بما يفهمونه، والله هو الغني الحميد، لكنه تعالى شبه عطاء المؤمن في الدنيا بما يرجو به ثوابه في الآخرة بالقرض، كما شبه إعطاء النفوس والأموال في أخذ الجنة بالبيع والشراء. القرطبي

* شبه الله تعالى عمل المؤمنين لله على ما يرجون من ثوابه بالقرض، لأنهم إنما يعطون ما ينفقون ابتغاء ما وعدهم الله من جزيل الثواب. التفسير الوسيط

* ذكر لفظ القرض تقريبا للأفهام لأن المنفق ينتظر الثواب كما ينتظر المسلف رد ما أسلف تفسير ابن جزي

﴿ ٣٩ ﴾

من قصص بني إسرائيل مع شريعة الجهاد

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُنْقِثَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ ﴿٢٤٦﴾ هَلْ الْأَمْرُ كَمَا أَتَوْقَعُهُ﴾ ﴿إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ قال وهب بن منبه وغيره: كان بنو إسرائيل بعد موسى عَلَيْهِ السَّلَام على طريق الاستقامة مدة الزمان، ثم أحدثوا الأحداث، وعبد بعضهم الأصنام، ولم يزل بين أظهرهم من الأنبياء من يأمرهم

بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويقيمهم على منهج التوراة إلى أن فعلوا ما فعلوا، فسلط الله عليهم أعداءهم، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وأسروا خلقا كثيرا، وأخذوا منهم بلادا كثيرة، ولم يكن أحد يقاتلهم إلا غلبوه، وذلك أنهم كان عندهم التوراة والتابوت الذي كان في قديم الزمان، وكان ذلك موروثا لخلفهم عن سلفهم، إلى موسى الكليم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلم يزل بهم تماديهم على الضلال حتى استلبه منهم بعض الملوك في بعض الحروب، وأخذ التوراة من أيديهم، ولم يبق من يحفظها فيهم إلا القليل. ابن كثير

﴿وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَيْنَا﴾ يعنون: أخرج بعضنا، وهم الذين سبوا منهم وقهروا. فظاهره العموم، ومعناه الخصوص. ابن الجوزي

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ وهو ليس من سبط الملوك ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾ سعة ﴿فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٤٧)

﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ قال ابن عباس: إنما قالوا ذلك؛ لأنه كان في بني إسرائيل سبطان، في أحدهما النبوة، وفي الآخر الملك، فلم يكن هو من أحد السبطين. قال قتادة: كانت النبوة في سبط لاوي، والملك في سبط يهوذا. ابن الجوزي

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ الصندوق الذي فيه التوراة ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَى وَءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (٢٤٨)

﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ عن ابن عباس: أنه لم يبق من الألواح إلا سدسها. قال: وكانت العمالقة قد سبت ذلك التابوت - والعمالقة فرقة من عاد كانوا

بأريحا- فجاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون إلى التابوت، حتى وضعته عند طالوت، فلما رأوا ذلك قالوا: نعم! فسلموا له وملكوه. قال: وكان الأنبياء إذا حضروا قتالا قدموا التابوت بين يديهم.

الطبري

* قال ابن عطية: والصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم، فكانت النفوس تسكن إلى ذلك، وتأنس به وتقوى. القرطبي ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾ قال ابن عباس: عصا موسى ورضاض الألواح. الطبري

﴿ ٤٠ ﴾

المعركة بين طالوت وجالوت

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ الشَّرْبَ الْكَثِيرَ الْمُنْهَى عَنْهُ﴾ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا﴾ أَي: قال بعض الجيش المتبقي ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يوقنون ﴿أَنَّهُمْ مُّلَكُوا بِاللَّهِ كَم مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿٢٤٩﴾

﴿فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ كان في عدم صبرهم عن الماء ساعة واحدة أكبر دليل على عدم صبرهم على القتال الذي سيتناول وتحصل فيه المشقة الكبيرة، وكان في رجوعهم عن باقي العسكر ما يزداد به الثابتون توكلًا على الله، وتضرعًا واستكانة، وتبرؤًا من حولهم وقوتهم، وزيادة صبر لقلتهم وكثرة عدوهم. السعدي

* قال البراء: كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث: «أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، ولم يجاوز معه إلا مؤمن، بضعة عشر وثلاث مائة» البخاري

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٢٥٠﴾

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ الإفراغ: يفيد معنى الكثرة. الشوكاني

﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ رماه بمقلاع فقتله ﴿وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢٥١﴾

﴿وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ ﴿الْمُلْكُ﴾ السلطان ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ النبوة. وقوله: ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ يعني: علمه صنعة الدروع والتقدير في السرد. الطبري ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ لولا أنه يدفع بمن يقاتل في سبيله كيد الفجار، وتكالب الكفار؛ لفسدت الأرض باستيلاء الكفار عليها، وإقامتهم شعائر الكفر، ومنعهم من عبادة الله تعالى، وإظهار دينه ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ حيث شرع لهم الجهاد الذي فيه سعادتهم، والمدافعة عنهم، ومكنهم من الأرض بأسباب يعلمونها، وأسباب لا يعلمونها. السعدي

﴿تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٢٥٢﴾

﴿تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ هذه شهادة من الله لرسوله برسالته التي من جملة أدلتها ما قصه الله عليه من أخبار الأمم السالفين والأنبياء وأتباعهم وأعدائهم التي لولا خبر الله إياه لما كان عنده بذلك علم، بل لم يكن في قومه من عنده شيء من هذه الأمور، فدل أنه رسول الله حقاً، ونبيه صدقاً، الذي بعثه بالحق ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. السعدي

فضل بعض الرسل عَلَيْهِ السَّلَامُ على بعض

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ **الدالات على نبوته** ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ **جبريل** ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ﴿٢٥٣﴾

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ إن قيل: فما الجمع بين هذه الآية وبين الحديث الثابت في الصحيحين عن أبي هريرة قال: استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال اليهودي في قسم يقسمه: لا والذي اصطفى موسى على العالمين. فرفع المسلم يده فلطم بها وجه اليهودي فقال: أي خبيث وعلى محمد ﷺ! فجاء اليهودي إلى رسول الله ﷺ فاشتكى على المسلم، فقال رسول الله ﷺ: «لا تفضلوني على الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق، فأجد موسى باطشا بقائمة العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور؟ فلا تفضلوني على الأنبياء» وفي رواية: «لا تفضلوا بين الأنبياء».

فالجواب من وجوه:

أحدها: أن هذا كان قبل أن يعلم بالفضل وفي هذا نظر.

الثاني: أن هذا قاله من باب الهضم والتواضع.

الثالث: أن هذا نهى عن التفضيل في مثل هذه الحال التي تحاكموا فيها عند التخاصم والتشاجر.

الرابع: لا تفضلوا بمجرد الآراء والعصبية.

الخامس: ليس مقام التفضيل إليكم، وإنما هو إلى الله عَزَّوَجَلَّ وعليكم الانقياد والتسليم له والإيمان به. ابن كثير

التأكيد على الإنفاق لينتفع الإنسان بنفخته يوم لا شفاعاة لأحد إلا بإذن الله، والتأكيد على أنه لا إكراه في الدين

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْتَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ ۖ صَدَاقَةٌ ۖ وَلَا شَفِيعَةٌ ۖ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْتَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ أمرهم بتقديم شيء مما رزقهم الله من صدقة واجبة ومستحبة؛ ليكون لهم ذخرا وأجرا موفرا في يوم يحتاج فيه العاملون إلى مثقال ذرة من الخير، فلا بيع فيه ولو افتدى الإنسان نفسه بملء الأرض ذهبا ليفتدي به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منه، ولم ينفعه خليل ولا صديق؛ لا بوجاهة ولا بشفاعة. السعدي

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ **القائم على كل شيء** ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾ **نعاس** ﴿وَلَا نَوْمٌ لَهُ، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ۖ مَوْضِعَ قَدَمِي رَبِّ سُبْحَانَهُ﴾ **الموضع قدمي الرب سبحانه** ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا يَئُودُهُ﴾ **يثقله** ﴿حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٢٥٥﴾

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ **كل ما عبد من دون الله** ﴿وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ **الدين الصحيح** ﴿لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ **أي: لا انقطاع لها دون دخول الجنة** ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٥٦﴾

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أي: لا تكرهوا أحدا على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه. ابن كثير

﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ أي: فقد استمسك من الدين بأقوى سبب، وشبه ذلك بالعروة الوثقى التي لا تنفصم، فهي في نفسها محكمة مبرمة قوية وربطها قوي شديد. ابن كثير

ولاية الله للمؤمنين، ومثال لأولياء الطاغوت

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهٖ ۖ وَهُوَ النَّمْرُودُ ۖ أَنَّ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّكَ ٱللَّهُ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ ۖ تَحِيرٌ ۖ وَانْقَطَعَتْ حَجَّتُهُ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهٖ﴾ الذي حاج إبراهيم في ربه، وهو ملك بابل: نمروذ ... قال مجاهد: وملك الدنيا مشارقها ومغاربها أربعة: مؤمنان، وكافران، فالؤمنان: سليمان بن داود، وذو القرنين. والكافران: نمروذ بن كنعان، وبختنصر. فالله أعلم. ابن كثير

* أي: حاج في شأن ربه من وجوده تعالى، وربوبيته، وألوهيته للخلق كلهم. الجزائري

﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ﴾ أي: هو المنفرد بالخلق والتدبير، والإحياء والإماتة، فذكر من هذا الجنس أظهرها، وهو الإحياء والإماتة، فقال ذلك الجبار مباحثا: ﴿أَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ﴾ وعنى بذلك أي أقتل من أردت قتله، وأستبقي من أردت استبقاءه.

ومن المعلوم أن هذا تمويه وتزوير، وحيدة عن المقصود، وأن المقصود أن الله تعالى هو الذي تفرد بإيجاد الحياة في المعدومات، وردھا على الأموات، وأنه هو الذي يميت العباد والحيوانات بأجلها بأسباب ربطها وبغير أسباب. فلما رآه الخليل مموها تمويها ربما راج على الهمح الرعاع؛ قال إبراهيم - ملزما له بتصديق قوله إن كان كما يزعم -: ﴿فَإِنَّكَ ٱللَّهُ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ

الْمَعْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴿١٠٣﴾ أي: وقف، وانقطعت حجته، واضمحلت شبهته. وليس هذا من الخليل انتقالاً من دليل إلى آخر، وإنما هو إلزام لنمرود، بطرد دليله إن كان صادقاً، وأتى بهذا الذي لا يقبل الترويح والتزوير والتمويه. السعدي.

قلت: وقد اختلف أهل العلم هل انتقل إبراهيم إلى حجة أخرى أو طرد الدليل الأول.

قال ابن الجوزي: فإن قيل: لم انتقل إبراهيم إلى حجة أخرى، وعدل عن نصره الأولى؟ فالجواب: أن إبراهيم رأى من فساد معارضته أمراً يدل على ضعف فهمه، فإنه عارض اللفظ بمثله، ونسي اختلاف الفعلين، فانتقل إلى حجة أخرى، قصداً لقطع المحاج لا عجزاً عن نصره الأولى.

قال ابن كثير: ليس كما قالوه، بل المقام الأول يكون كالمقدمة للثاني، ويبين بطلان ما ادعاه نمرود في الأول والثاني، والله الحمد والمنة.

قصة عزيز، ودلائلها على قدرة الله على البعث

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ مُنْتَهَدَةٌ ﴿١٠٤﴾ عَلَى غُرُوشِهَا ﴿١٠٥﴾ سَقُوفُهَا ﴿١٠٦﴾ قَالَ أَنَّى ﴿١٠٧﴾ كَيْفَ؟ ﴿١٠٨﴾ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴿١٠٩﴾ قَالَ لَيْسْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَيْسَتْ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴿١١٠﴾ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ﴿١١١﴾ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴿١١٢﴾ نَرَفَعُهَا وَنُصَلِّهَا ﴿١١٣﴾ ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ﴿١١٤﴾ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١٥﴾﴾

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ كان ابن عباس يقول: هو عزيز. الطبري * فإن قلنا: إن هذا الرجل نبي، فهو كلام من يؤثر أن يرى كيفية الإعادة، أو يستهولها فيعظم قدرة الله، وإن قلنا: إنه كان رجلاً كافراً، فهو كلام شك، والأول أصح. ينظر: تفسير زاد المسير.

﴿وَلَنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ لنجعلك حجة على من جهل قدرتي، وشك في عظمتي، وأنا القادر على فعل ما أشاء من إماتة وإحياء، وإنشاء، وإنعام وإذلال، وإقتار وإغناء، بيدي ذلك كله، لا يملكه أحد دوني، ولا يقدر عليه غيري. وكان بعض أهل التأويل يقول: كان آية للناس، بأنه جاء بعد مائة عام إلى ولده وولد ولده، شاباً وهم شيوخ. الطبري

* قال ابن عباس: أقبل عزيز حتى أتى قومه في بيت المقدس، فقال لهم: أنا عزيز، فقالوا: حدثنا آباؤنا أن عزيزاً مات بأرض بابل، فقال لهم: أنا هو، أرسلني الله إليكم أجدد لكم توراتكم، وكانت قد ذهبت، وليس منهم أحد يقرؤها فأملاها عليهم. ابن الجوزي

﴿٤٣﴾

إحياء الموتى الدال على البعث في قصة إبراهيم عليه السلام

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنٌ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمِئِنَّ قُلُوبُكَ﴾ بتوارد الأدلة اليقينية مما يزداد به الإيمان ويكمل ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ اضممهن إليك وقطعهن ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا مِّنْهُنَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٢٦٠﴾

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ قال أبو سليمان الخطابي: ليس في قوله ﷺ: «نحن أحق بالشك من إبراهيم» اعتراف بالشك على نفسه، ولا على إبراهيم، لكن فيه نفي الشك عنهما بقول: إذا لم أشك أنا في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى؛ فإبراهيم أولى بأن لا يشك، وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس، وكذلك قوله: «لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي»، وفيه الإعلام أن المسألة من إبراهيم عليه السلام لم تعرض من جهة الشك، لكن من قبل زيادة العلم بالعيان، فإن العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيد الاستدلال. البغوي

﴿قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنٌ﴾ سأل مع علمه بإيمانه بذلك؛ ليجيبه بما سأل، فيعلم

السامعون غرضه. تفسير الجلالين

النفقة في أوجه الخير

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٦١) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا ﴿عَدَا لِلإِحْسَانِ وَإِظْهَارًا لَهُ وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٦٢)

﴿ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى﴾ قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كان أبي يقول: إذا أعطيت رجلاً شيئاً ورأيت أن سلامك يثقل عليه؛ فكف سلامك عنه. البغوي

النهي عن المن والأذى والرياء في الصدقة

﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ﴾ ستر على الفقير بعدم إظهار فقره إن لم يُرد ﴿خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ (٢٦٣)

﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ قيل: يتجاوز عن الفقير إذا استطال عليه عند رده. البغوي

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ ﴿حَجَرٍ أَمْلَسٍ﴾ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَاصَابُهُ وَابِلٌ ﴿مَطَرٌ غَزِيرٌ﴾ فَتَرَكَّهُ صَلْدًا ﴿أَجْرَدٌ لَا تُرَابٌ عَلَيْهِ﴾ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٢٦٤)

﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾ يرى الناس في الظاهر أن هؤلاء أعمالا كما يرى التراب على هذا الصفوان، فإذا كان يوم القيامة بطل كله واضمحل لأنه لم يكن لله تعالى، كما أذهب الواابل ما على الصفوان من التراب. البغوي
﴿فَاصَابُهُ وَابِلٌ فَتَرَكَّهُ صَلْدًا﴾ أي: نزل عليه مطر شديد فأزال التراب عنه؛ فتركه أملس عارياً ليس عليه شيء، فكذلك تذهب الصدقات الباطلة ولم يبق

منها لصاحبها شيء ينتفع به يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ أي: مما تصدقوا به. الجزائري

* يستدل بهذا على أن الأعمال السيئة تبطل الأعمال الحسنة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢] فكما أن الحسنات يذهبن السيئات فالسيئات تبطل ما قابلها من الحسنات. السعدي

﴿٤٤﴾

مثل النفقة الطيبة، ومثل النفقة التي يتبعها ما يحبطها

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِسْتَانٍ ﴿٢٦٥﴾ بَرِّيَّةٍ ﴿٢٦٦﴾ مَرْتَفَعٍ مِّنَ الْأَرْضِ ﴿٢٦٧﴾ أَصَابَهَا وَابِلٌ ﴿٢٦٨﴾ مَطَرٍ غَزِيرٍ ﴿٢٦٩﴾ فَتَأْتَتْ أَكْطَاهَا ضِعْفَيْنِ ﴿٢٧٠﴾ تَضَاعَفَ ثَمَرُهَا الَّذِي يُوْكَل ﴿٢٧١﴾ فَإِنْ لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴿٢٧٢﴾ فَمَطَرٌ خَفِيفٌ يَكْفِيهَا لَطِيبٌ مِّنْبَتِهَا ﴿٢٧٣﴾ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٧٤﴾﴾

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: صدر الإنفاق على وجه منشرة له النفس، سخية به، لا على وجه التردد وضعف النفس في إخراجها، وذلك أن النفقة يعرض لها آفتان إما أن يقصد الإنسان بها محمداً الناس ومدحهم - وهو الرياء -، أو يخرجها على خور وضعف عزيمة وتردد، فهؤلاء سلموا من هاتين الآفتين فأنفقوا ابتغاء مرضات الله لا لغير ذلك من المقاصد، وتثبيتاً من أنفسهم. السعدي

﴿فَإِنْ لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ كذلك عمل المؤمن لا يبور أبداً، بل يتقبله الله، ويكثره، وينميّه، كل عامل بحسبه؛ ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: لا يخفى عليه من أعمال عباده شيء. ابن كثير

﴿أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا

﴿إِعْصَارٌ﴾ رِيحٌ شَدِيدَةٌ ﴿فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٦٦﴾

﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ هذا المثل مضروب لمن عمل عملاً لوجه الله تعالى، من صدقة أو غيرها، ثم عمل أعمالاً تفسده. السعدي

الحث على الإنفاق من الطيبات

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا﴾ **تقصدوا** ﴿الْخَيْثَ مِنْهُ﴾ **الردى** ﴿تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾ **لأنفسكم** ﴿إِلَّا أَنْ تُنْفِضُوا فِيهِ﴾ **تتغاضوا عما فيه من رداءة ونقص** ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي حَمِيدٌ﴾ ﴿٢٦٧﴾

﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ يعني: النبات والمعادن والركاز. القرطبي
﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُنْفِضُوا فِيهِ﴾ من أغمض الرجل في أمر كذا إذا تساهل فيه ورضي ببعض حقه وتجاوز ... وقد يحتمل أن يكون منتزعا من تغميض العين؛ لأن الذي يريد الصبر على مكروه يغمض عينيه. ينظر: تفسير القرطبي

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ **سائر المعاصي ومنها**
البخل ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٢٦٩﴾

﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ قال بعض الحكماء: من أعطي العلم والقرآن ينبغي أن يعرف نفسه، ولا يتواضع لأهل الدنيا؛ لأجل دنياهم، فإنها أعطي أفضل ما أعطي أصحاب الدنيا؛ لأن الله تعالى سمى الدنيا متاعاً قليلاً فقال: ﴿قُلْ مَنَعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧]، وسمى العلم والقرآن ﴿خَيْرًا كَثِيرًا﴾. القرطبي. «ت».

إظهار النفقة أو إخفائها

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ۚ﴾ (٢٧٠) **إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴿٢٧١﴾

﴿وَأِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ فيه دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها؛ لأنه أبعد عن الرياء، إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به، فيكون أفضل من هذه الحثية. ابن كثير * يرجع في ذلك إلى المصلحة، فإن كان في إظهارها إظهار شعائر الدين، وحصول الاقتداء ونحوه، فهو أفضل من الإسرار. السعدي

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾ **أى: نفعه راجع إليكم** ﴿وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ **إخبار عن نفقات المؤمنين** ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (٢٧٢)

من مصارف النفقات، وزمنها، وأجر المنفق

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ **حبسوا عن طلب الرزق** ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ **أى: سفرا للتكسب** ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ **لعلاماتهم** **وآثار الحاجة فيهم** ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا﴾ **إلحاقاً في السؤال** ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (٢٧٣)

﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا﴾ **فهؤلاء أولى الناس وأحقهم بالصدقات؛ لما وصفهم به من جميل الصفات، وأما النفقة من حيث هي على أي شخص كان، فهي خير وإحسان وبر يثاب عليها صاحبها ويؤجر. السعدي**

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْلِ وَالْثَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ

عَنْدَرِيَّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

﴿٤٦﴾

بعد أن مدح الصدقات ذم أكلة الربا

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ﴾ **بصره**
 ﴿الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ **الجنون** ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ
 اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى
 اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢٧٥﴾

﴿الرِّبَا﴾ قال محمد بن يزيد: كتب (الربا) في المصحف بالواو فرقا بينه وبين
 الزنا، وكان الربا أولى منه بالواو؛ لأنه من ربا يربو. القرطبي
 ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ
 الْمَسِّ﴾ أكل الربا يبعث يوم القيامة كمثل المصروع. البغوي

﴿يَمَحَوْ﴾ **ينقص ويذهب البركة** ﴿اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي﴾ **يزيد وينمي**
 ﴿الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ
 عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٢٧٧﴾

﴿وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «ما تصدق
 أحد بصدقة من طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن
 كانت تمرة، فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل، كما يربي أحدكم
 فلوله أو فصيله». متفق عليه

الواجب تجاه العقود الربوية

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٧٨﴾ فَإِنْ
 لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا﴾ **استيقنوا** ﴿يَحْرَبُ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وَإِنْ تَبَتُّمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ
 أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ ﴿٢٧٩﴾

﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ﴾ روى ابن عباس أنه يقال يوم القيامة لآكل الربا: خذ سلاحك للحرب. القرطبي
 وَذَرُّوْا..... فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا: استدل به على أن الترك فعل

﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ﴾ غير قادر على السداد ﴿فَنَظِرَةٌ﴾ فإمهال ﴿إِلَى مِيسْرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾ تخطوا عن المعسر من أصل الدين ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٨٠) ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢٨١)

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ قال سعيد بن جبير: آخر ما نزل من القرآن كله ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ رواه ابن أبي حاتم. ابن كثير

التوثيق في المعاملات

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾ تعاملتم بالديون ﴿بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَآكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ﴾ لا يمتنع ﴿كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلْ﴾ ليملى ويقر ﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ المدين ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ﴾ ينقص ﴿مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا﴾ مجوراً عليه لتبذيره ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ كالصغير والمجنون ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ﴾ تنسى ﴿إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمُوا أَنْ﴾ تملوا ﴿تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ﴾ أعدل ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَأَقِيمُوا لِلشَّهَادَةِ﴾ أعظم عوناً على إقامة الشهادة ﴿وَأَذِّنْ﴾ أقرب ﴿أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ تشكوا ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ حرج ﴿أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا

تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ من خصه الله بنعمة من النعم، يحتاج الناس إليها، فمن تمام شكر هذه النعمة، أن يعود بها على عباد الله، وأن يقضي بها حاجتهم؛ لتعليل الله النهي عن الامتناع عن الكتابة بتذكير الكاتب بقوله: ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ ومع هذا: فـ «من كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته». السعدي

﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ نصاب الشهادة في الأموال ونحوها رجلان، أو رجل وامرأتان، ودلت السنة أيضا أنه يقبل الشاهد مع يمين المدعي... شهادة الصبيان غير مقبولة؛ لمفهوم لفظ الرجل. السعدي

* وهذه الآية تتضمن الأمر بإثبات الدين في كتاب، وإثبات شهادة في البيع والدين. واختلف العلماء، هل هذا أمر وجوب، أم على وجه الاستحباب؟ فذهب الجمهور إلى أنه أمر ندب واستحباب، فعلى هذا هو محكم، وذهبت طائفة إلى أن الكتابة والإشهاد واجبان. ابن الجوزي

* الأصل في الأمر بالكتابة والإشهاد الندب، فقد يترك الإنسان الإشهاد أو الكتابة لسبب، والنبي ﷺ اشترى فرساً من أعرابي ولم يشهد. ينظر: سنن أبي داود والنسائي

﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ الشاهد حقيقة فيمن تحمل، فإذا دعي لأدائها فعليه الإجابة إذا تعينت وإلا فهو فرض كفاية، والله أعلم. وقال مجاهد وأبو مجلز، وغير واحد: إذا دعت لتشهد فأنت بالخيار، وإذا شهدت فدعيت فأجب. ابن كثير

* والصحيح أن أدائها فرض وإن لم يسألها إذا خاف على الحق ضياعه أو فوته. القرطبي

* تحمل الشهادة وأدائها من فروض الكفايات.

﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ بأن يكلف ما لا يقدر عليه بأن يدعي ليشهد في

مكان بعيد يشق عليه، أو يطلب إليه أن يكتب زورًا أو يشهد به. الجزائري
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ وعد من الله تعالى بأن من اتقاه علمه، أي:
 يجعل في قلبه نورًا يفهم به ما يلقي إليه، وقد يجعل الله في قلبه ابتداءً فرقانًا، أي:
 فيصلاً يفصل به بين الحق والباطل، ومنه قوله تعالى: **﴿يَتْلُوهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾** [الأنفال: ٢٩]. القرطبي. «ت».

﴿ ٤٨ ﴾

الرهن

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً﴾ هو أن يدفع
 لصاحب الحق شيئاً؛ ليضمن حقه حتى يرد المدين الدين **﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمُ**
بَعْضًا فليؤدِّ الَّذِي أُوتِئَ أَمْنَتَهُ، وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ، وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ
يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٢٨٣)

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ﴾ تقييد الرهن بالسفر - مع أنه يجوز
 حضرا وسفرا - للحاجة إليه؛ لعدم الكاتب والشهيد. السعدي
﴿فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً﴾ الرهن يلزم بالعقد في حق من هو لازم في حقه بدون قبض
 ... والقبض من التمام؛ لأننا متفقون على أن الرهن يثبت بالعقد، فإذا كان
 كذلك فقد قال الله تبارك وتعالى: **﴿يَتْلُوهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾**
 [المائدة: ١] ، وهذا يدخل فيه عقد الرهن سواء قبض المرهون أم لم يقبض ...
 وإنما نص الله تعالى على القبض ... لأنه لا يمكن أن يتمكن من التوثقة حق
 التمكن إلا إذا قبض، فهو على سفر، وليس عنده كاتب فلا يتوثق من حقه إلا
 بالرهن المقبوض؛ لأنه إذا لم يقبضه فإنه يجوز أن ينكر المدين الرهن، كما أن
 الرهن إنما كان من أجل ألا يحصل هناك تناكر بين البائع والمشتري، وعلى هذا
 فنقول: ليس في الآية ما يدل على أن القبض شرط، وإنما يدل على أن القبض من
 كمال التوثقة. ابن عثيمين في الشرح الممتع.

بيان ما يحاسب الناس عليه وما يجب عليهم أمام الأوامر والنواهي السابقة التي مرد الحكم فيها إلى الله

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٨٤)

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ عن أبي هريرة قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطبق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد انزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، قال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم، ذلت بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، قال: نعم. ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ قال: نعم. ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قال: نعم. ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قال: نعم». صحيح مسلم

﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا

وَالَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٣٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا
 اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا
 مَشْقَةً وَثَقُلًا ﴿٣٨٦﴾ كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴿٣٨٧﴾ مَنْ عَاقَبْتُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ
 كَالْيَهُودِ ﴿٣٨٨﴾ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ
 مَوْلَانَا ﴿٣٨٩﴾ مَا لَكُنَا وَسِيدَنَا وَمَتَوَلَّى أَمْرُنَا ﴿٣٩٠﴾ فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٣٩١﴾

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ قال السدي: طاقتها. وكان حديث النفس
 مما لم يطبقوا. الطبري
 ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ هذه الآية دليل للقاعدة الفقهية المشقة
 تجلب التيسير.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ العفو عن النسيان والخطأ في
 العبادات، وفي حقوق الله تعالى، وكذلك في حقوق الخلق من جهة رفع المآثم،
 وتوجه الذم. وأما وجوب ضمان المتلفات، خطأ أو نسياناً، في النفوس
 والأموال، فإنه مرتب على الإتيان بغير حق، وذلك شامل لحالة الخطأ
 والنسيان، والعمد. السعدي

﴿ ٤٩ ﴾

سورة آل عمران

سورة آل عمران سورة مدنية، فيها التأكيد على التوحيد، ورد لشبه النصارى
 في المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفيها وصايا وتحذيرات لهذه الأمة، يتخلل ذلك حديث عن
 غزوة أحد وما فيها من فوائد، وفي السورة حث على الثبات على الحق.

فضائلها

عن أبي الباهلي، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي
 يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما
 تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير
 صواف، تحاجان عن أصحابهما». مسلم

من أهم مواضعها:

- ابتدأت السورة بـ: ١/ إثبات وحدانية الله، والتحذير من ترك المحكم والأخذ بالمشابهة. ٢/ بيان عاقبة الكفار، والتحذير من الاغترار بالدنيا وترك الآخرة. ٣/ أسباب انتقال مركز الرسالة من بني إسرائيل إلى غيرهم.

* وفيها أن اصطفاء الله للرسول وتحقيق المعجزات على أيديهم لا يعني ألوهية أحدهم، وفيها قصة خلق عيسى عليه السلام، ومعجزاته، ورد لشبهه من ادعى ألوهيته، وشيء من أحوال أهل الكتاب وضلالهم.

* وفيها تأكيد لصلة المسلمين بإبراهيم عليه السلام وإثبات النسخ للأحكام والشرائع (رداً على من أنكر تحويل القبلة، أو أن تكون الشريعة المحمدية ناسخة لما سبق من الشرائع).

* وفيها وصايا لهذه الأمة، وتحذيرها من أمور، وفي ثنايا السورة الحديث عن غزوة أحد، وأهمية الطاعة، والدروس المستفادة.

سبب نزول أولها حتى آية ٨٣: جاء أنه قدم على رسول الله ﷺ وفد نجران، ستون راكباً، أميرهم (العاقب) عليهم ثياب الحِبرَات جُبب وأردية، يقول بعض من رأيهم من أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ: ما رأينا بعدهم وفداً مثلهم!، ويحتجون في قولهم: (إنه ثالث ثلاثة)، بقول الله عَزَّوَجَلَّ: (فعلنا، وأمرنا، وخلقنا، وقضينا). فيقولون: (لو كان واحداً ما قال إلا: فعلت، وأمرتُ وقضيتُ، وخلقْتُ، ولكن هو وعيسى ومريم).

وفي رواية أن النبي ﷺ أجابهم قال: أَلستم تعلمون أن ربَّنَا حيٌّ لا يموت، وأنَّ عيسى يأتي عليه الفناء؟ قالوا: بلى! قال: أَلستم تعلمون أن ربَّنَا قيِّمٌ على كل شيء يكلؤه، ويحفظه، ويرزقه؟ قالوا: بلى! قال: فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً؟ قالوا: لا! قال: أَلستم تعلمون أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟ قالوا: بلى! قال: فهل يعلم عيسى من ذلك شيئاً إلا ما علَّم؟ قالوا: لا! قال: فإنَّ ربَّنَا صوّر عيسى في الرحم كيف شاء.

وجاء أنه بعد نزول آية المباهلة رقم ٦١ دعاهم ﷺ إلى ذلك، فقالوا: يا أبا

القاسم، دعنا ننظر في أمرنا، ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه. فانصرفوا عنه، ثم خلوا بالعاقب، وكان ذا رأيهم، فقالوا: يا عبد المسيح، ما ترى؟ قال: والله يا معشر النصارى، لقد عرفتم أن محمداً لنبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم ما لآعن قوم نبياً قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فوادعوا الرجل، ثم انصرفوا إلى بلادكم حتى يريكم زمن رأيه. فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، قد رأينا أن لا نلاعنك، وأن نتركك على دينك، ونرجع على ديننا، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا، يحكم بيننا في أشياء قد اختلفنا فيها من أموالنا، فإنكم عندنا رضاء.. قال ابن عباس قال: لو خرج الذين يُباهلون النبي ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً. ينظر للتوسع تفسير الطبري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأكيد على توحيد الألوهية، وبيان اختصاص الله بإنزال الشرائع) وفي ذلك مقدمة للحوار مع النصارى

﴿الَمْ ١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ القائم على كل شيء ﴿زَلَّ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ موافقا في أصول التشريع لما قبله من الكتب ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ٣﴾ من قبل هدى للناس وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴿البراهين التي تفرق الحق عن الباطل﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴿كأهل الكتاب الذين حرفوا دينهم﴾ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴿قوى غالب﴾ ذُو أَنْقَامٍ ﴿٤﴾

﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ أنزل الفرقان أي: الفارق بين الحق والباطل، وهو القرآن، وكرر ذكره تشريفا له، وذكر التنزيل أولا، والإنزال ثانيا؛ لكونه جامعا بين الوصفين، فإنه أنزل إلى سماء الدنيا جملة، ثم نزل منها إلى النبي ﷺ مفرقا منجما

على حسب الحوادث. ينظر: تفسير الشوكاني.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ ﴿٥﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ فكيف يكون عيسى إلهًا، أو ابن إله وهو تخفى عليه الأشياء! القرطبي

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ ويدخل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا العموم ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٦﴾

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ﴾ هذه الآية فيها تعريض بل تصريح بأن عيسى ابن مريم عبد مخلوق، كما خلق الله سائر البشر؛ لأن الله تعالى صوره في الرحم، وخلقها كما يشاء، فكيف يكون إلهًا كما زعمته النصارى. ابن كثير

المحكم والمتشابه في القرآن، وصفات الراسخين في العلم

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ واضحات ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ على أهوائهم ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٧﴾ العقول السليمة

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ القرآن العظيم كله محكم كما قال تعالى ﴿كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١] فهو مشتمل على غاية الإتقان والإحكام والعدل والإحسان ... وكله متشابه في الحسن والبلاغة وتصديق بعضه لبعضه ومطابقته لفظا ومعنى، وأما الإحكام والتشابه المذكور في هذه الآية: فإن القرآن كما ذكره الله ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ أي: واضحات الدلالة، ليس فيها شبهة ولا إشكال ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي: أصله الذي يرجع إليه كل متشابه، وهي معظمه وأكثره، (و) منه آيات (أخر) ﴿مُتَشَابِهَاتٌ﴾ أي: يلتبس معناها على كثير من الأذهان: لكون دلالتها مجملة، أو يتبادر إلى بعض الأفهام غير المراد منها ... فالواجب في هذا أن يرد المتشابه إلى المحكم والخفي إلى الجلي. السعدي

﴿وَأَخْرَجُوا مُتَشَبِهَاتٍ﴾ قد ذكر أهل العلم لورود المتشابه في القرآن فوائد، منها: أنه يكون في الوصول إلى الحق مع وجودها فيه مزيد صعوبة ومشقة، وذلك يوجب مزيد الثواب للمستخرجين للحق وهم الأئمة المجتهدون. الشوكاني

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ﴾ عن سليمان بن يسار أن صبيغ بن عسل قدم المدينة، فجعل يسأل عن متشابه القرآن وعن أشياء، فبلغ ذلك عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فبعث إليه عمر، فأحضره وقد أعد له عراجين من عراجين النخل. فلما حضر قال له عمر: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ. فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وأنا عبد الله عمر، ثم قام إليه فضرب رأسه بعرجون فشجه، ثم تابع ضربه حتى سال دمه على وجهه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين فقد والله ذهب ما كنت أجد في رأسي. القرطبي

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ من العلماء من فصل في هذا المقام، فقال: التأويل يطلق ويراد به في القرآن معنيان، أحدهما: التأويل بمعنى حقيقة الشيء، وما يؤول أمره إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِكِ﴾ ... فإن أريد بالتأويل هذا، فالوقف على الجلالة؛ لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمه على الجلية إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، ويكون قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ مبتدأ و ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ خبره. وأما إن أريد بالتأويل المعنى الآخر وهو التفسير والتعبير والبيان عن الشيء كقوله تعالى: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ أي: بتفسيره، ... فالوقف على: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار، وإن لم يحيطوا علماً بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه. ابن كثير.

* جاء في تفسير ابن كثير رواية تؤيد الأول: فعن ابن عباس أنه قال: التفسير على أربعة أنحاء: فتفسير لا يعذر أحد في فهمه، وتفسير تعرفه العرب من لغاتها، وتفسير يعلمه الراسخون في العلم، وتفسير لا يعلمه إلا الله عَزَّ وَجَلَّ. ويروى هذا القول عن عائشة، وعروة، وأبي الشعثاء، وأبي نهيك ... ثم ذكر أن مما يؤيد الثاني ما جاء عن ابن عباس أنه قال: أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله. وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: والراسخون في العلم يعلمون تأويله

ويقولون آمنا به. ينظر: تفسير ابن كثير

﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ من جملة ما استدل به القائلون بالعطف: أن الله سبحانه مدحهم بالرسوخ في العلم، فكيف يمدحهم وهم لا يعلمون ذلك؟ ويجاب عن هذا بأن تركهم لطلب علم ما لم يأذن الله به، ولا جعل خلقه إلى علمه سبيلا هو من رسوخهم؛ لأنهم علموا أن ذلك مما استأثر الله بعلمه. الشوكاني.

﴿رَبَّنَا﴾ من دعاء الراسخين ﴿لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ﴿٨﴾

﴿رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا﴾ عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء» ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك». صحيح مسلم.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾ ﴿٩﴾

﴿٥٠﴾

عاقبة الكفار، والتحذير من الاغترار بالدنيا، والترغيب في الآخرة

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ ﴿١٠﴾ (مثال للكفار الذين لم تنفعهم أموالهم ولا أولادهم) ﴿كَذَّابٌ﴾ ﴿كَشَّانٌ﴾ ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ مع موسى عليه السلام ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿١١﴾ ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتْغْلُوبٌ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿بِئْسَ الْفِرَاشُ لَكُمْ﴾

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتْغْلُوبٌ﴾ عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ لما أصاب من أهل بدر ما أصاب ورجع إلى المدينة، جمع اليهود في سوق بني قينقاع قال: يا معشر يهود! أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشا، قالوا: يا محمد! لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفرا كانوا غمارا لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس، وأنت لم تلق مثلنا، فأنزل الله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتْغْلُوبٌ﴾

كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ ﴿١٢٠﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَأُؤْتِيَ الْأَبْصَرَ﴾. الشوكاني

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ علامة لليهود وللناس **عموماً** ﴿فِي فِتْنَتَيْنِ اللَّتَقَتَا فِئَةً تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِيهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ **ظاهرة لا لبس فيها** ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ ﴿١٢١﴾

﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلِيهِمْ﴾ المراد: أنه يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين، أو مثلي عدد المسلمين ... ولا يناقض هذا ما في سورة الأنفال من قوله تعالى: ﴿وَيَقِلُّ لَكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤]، بل قللوا أولاً في أعينهم ليلاقوهم ويجترئوا عليهم، فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا. الشوكاني
* وقيل: ترون أيها المسلمون المشركين مثليكم في العدد وقد كانوا ثلاثة أمثالهم فقلل الله المشركين في أعين المسلمين فأراهم إياهم مثلي عدتهم لتقوى أنفسهم. وقد كانوا أعلموا أن المائة منهم تغلب المائتين من الكفار ... إلخ. الشوكاني

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ﴾
الأموال الكثيرة ﴿مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ **الحسان المعلمة**
لتعرف من غيرها ﴿وَالْأَنْفَكِ وَالْحَرْثِ﴾ **المزارع** ﴿ذَلِكَ مَتَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَثَابِ﴾ ﴿١٢٢﴾ **المرجع**

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ﴾ خص هذه الأمور المذكورة؛ لأنها أعظم شهوات الدنيا، وغيرها تبع لها. السعدي

﴿حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ بدأ بالنساء؛ لكثرة تشوق النفوس إليهن ... وخص البنين دون البنات؛ لعدم الاطراد في محبتهن. الشوكاني

﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ عن أبي ذر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس من فرس عربي إلا يؤذن له مع كل فجر يدعو بدعوتين، يقول: اللهم إنك خولتني من خولتني من بني آدم، فاجعلني من أحب ماله وأهله إليه، أو أحب أهله وماله إليه» أحمد وصحح بعض أهل العلم وقفه

﴿ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَآءِ﴾ في هذه الآية تسلية للفقراء الذين لا قدرة لهم على هذه الشهوات التي يقدر عليها الأغنياء، وتحذير للمغترين بها، وتزهيد لأهل العقول النيرة بها. السعدي

﴿ قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ ﴾ **بخير من ملذات الدنيا** ﴿لِّلَّذِينَ اتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (١٥)

﴿٥١﴾

بعد أن ذكر نعيم المتقين يذكر سبحانه صفاتهم

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١٦)
الصَّابِرِينَ **صابرين: ١/ على الطاعة ٢/ عن المعصية ٣/ على المصيبة**
وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ (١٧)

﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ خص السحر بالذكر؛ لأنه مظان القبول، ووقت إجابة الدعاء. القرطبي

* قال ﷺ: «ينزل الله تبارك وتعالى في كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟». متفق عليه

الدين الحق

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ **بالعدل** ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٨)

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ سبب نزول هذه الآية أن حبرين من أحبار الشام قدما إلى النبي ﷺ، فلما أبصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان!. فلما دخلا على النبي ﷺ عرفاه بالصفة والنعت، فقالا له: أنت محمد؟ قال: (نعم). قالوا: وأنت أحمد؟ قال:

(نعم). قالوا: نسألك عن شهادة، فإن أنت أخبرتنا بها آمنا بك وصدقناك. فقال لهما رسول الله ﷺ: (سلاني). فقالوا: أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله. فأنزل الله تعالى على نبيه ﷺ ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ ﴾ فأسلم الرجلان، وصدقا برسول الله ﷺ. ينظر: تفسير القرطبي

﴿ شَهِدَ اللَّهُ ﴾ أما شهادته تعالى فهي فيما أقامه من الحجج والبراهين القاطعة على توحيده، وأنه لا إله إلا هو، فنوع الأدلة في الآفاق والأنفس على هذا الأصل العظيم، ولو لم يكن في ذلك إلا أنه ما قام أحد بتوحيده إلا ونصره على المشرك الجاحد المنكر للتوحيد، وكذلك إنعامه العظيم الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يدفع النقم إلا هو، والخلق كلهم عاجزون عن المنافع والمضار لأنفسهم ولغيرهم، ففي هذا برهان قاطع على وجوب التوحيد وبطلان الشرك، وأما شهادة الملائكة بذلك فنستفيدا بإخبار الله لنا بذلك وإخبار رسله، وأما شهادة أهل العلم فلا أنهم هم المرجع في جميع الأمور الدينية خصوصا في أعظم الأمور وأجلها وأشرفها وهو التوحيد، فكلهم من أولهم إلى آخرهم قد اتفقوا على ذلك، ودعوا إليه، وبينوا للناس الطرق الموصلة إليه، فوجب على الخلق التزام هذا الأمر المشهود عليه، والعمل به. السعدي

﴿ وَأُولُوا الْعِلْمِ ﴾ في هذه الآية دليل على شرف العلم من وجوه كثيرة، منها: أن الله خصهم بالشهادة على أعظم مشهود عليه دون الناس، ومنها: أن الله قرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته. السعدي

﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ أي: الدين الذي يرضاه الله ﴿ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا ﴾ ظلما وحسدا ﴿ بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرُ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (١١)

﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ خلاف أهل الكتاب لم يكن عن جهل منهم بالحق ومعرفته، ولكن كان عن علم حقيقي، وإنما حملهم على الخلاف المسبب للفتن والحروب وضياع الدين، البغي والحسد إذ كل فرقة تريد الرئاسة والسلطة الدينية والدنيوية لها دون

غيرها، وبذلك يفسد أمر الدين والدنيا. الجزائري

﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ أَخْلَصْتُ لِلَّهِ أَعْمَالِي أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ﴾ هُمْ مُشْرِكُو الْعَرَبِ، سَمُوا أُمِّيِّينَ؛ لِقَلَّةِ قُرَائِهِمْ وَكِتَابِهِمْ ﴿ أَسَلَّمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَّمُوا فَقَدْ أَهْتَكَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾

﴿ أَسَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ أَخْلَصْتُ ذَاتِي لِلَّهِ، وعبر بالوجه عن سائر الذات؛ لكونه أشرف أعضاء الإنسان، وأجمعها للحواس، وقيل: الوجه هنا: بمعنى القصد. الشوكاني

* في هذا تأييس لمن طمع فيكم، وتجديد لدينكم عند ورود الشبهات، وحجة على من اشتبه عليه الأمر. السعدي

من أحوال الكفار مع الرسل، وبيان أن التمكين والرزق من عند الله

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ بِالْعَدْلِ ﴾ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾

﴿ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ﴾ قيل: كل بلدة يكون فيها أربعة فأهلها معصومون من البلاء: إمام عادل لا يظلم، وعالم على سبيل الهدى، ومشايخ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويحرضون على طلب العلم والقرآن، ونساؤهم مستورات لا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى. القرطبي ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ ﴾ بطلت ﴿ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٢﴾

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: سبب إعراضهم ﴿ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا

مَعْدُودَاتٍ ﴿٢٤﴾ **عدد أيام عبادة العجل ٤٠ يومًا** ﴿وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ **كقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه** ﴿فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ﴾ **وأعطيت** ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ **قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴿٢٦﴾

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾ قال ابن عباس وأنس بن مالك: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة، ووعد أمته ملك فارس والروم، قال المنافقون واليهود: هيهات هيهات! من أين لمحمد ملك فارس والروم! هم أعز وأمنع من ذلك، ألم يكف محمدا مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم، فأنزل الله تعالى هذه الآية. القرطبي

﴿تُولِيهِ﴾ **تدخل** ﴿الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِيهِ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿٢٧﴾

﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ﴾ أي: تخرج الحبة من الزرع، والزرع من الحبة، والنخلة من النواة، والنواة من النخلة، والمؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، والدجاجة من البيضة، والبيضة من الدجاجة، وما جرى هذا المجرى من جميع الأشياء. ابن كثير

النهى عن موالاة أهل الكتاب، وبيان علم الله لما في نفوسنا تجاههم

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ أي: برىء الله تعالى منه ﴿لَا أَن تَكْتَفُوا مِنْهُمْ ثِقَةً﴾ **المهادنة بالكلام اللين حال الضعف دون المحبة بالقلب** ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ ﴿٢٨﴾

﴿لَا أَن تَكْتَفُوا مِنْهُمْ ثِقَةً﴾ إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتضمروا لهم العداوة، ولا

تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مُسلم بفعل. الطبري

* قال الحسن: التقية جائزة للإنسان إلى يوم القيامة. القرطبي

* حكى البخاري عن أبي الدرداء أنه قال: إنا نبش في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم. الشوكاني

﴿قُلْ إِنْ تَخْشَوْنَ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُيُوتِهِ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٩)

﴿٥٣﴾

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٣٠)

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ * أعاد تعالى تحذيرنا نفسه رافة بنا ورحمة؛ لئلا يطول علينا الأمد فتفسد قلوبنا، وليجمع لنا بين الترغيب الموجب للرجاء والعمل الصالح، والترهيب الموجب للخوف وترك الذنوب. السعدي * ونعم ما ختم به إذ لولاه لطارت قلوب العالمين فرعًا وخوفًا. الجزائري

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ * **أى: صادقين في ذلك** ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣١)

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ * قال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية. ابن كثير

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ ^ط **فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ** ﴿٣٢﴾

اصطفاء الله للرسل والصالحين، وتحقيق المعجزات والكرامات لهم لا يعني ألوهية أحدهم

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى﴾ **اختار** ﴿آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٣٣)

﴿٣٣﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى﴾ * من الفائدة والحكمة في قصه علينا أخبار هؤلاء الأصفياء أن

نحبهم ونقتدي بهم، ونسأل الله أن يوفقنا لما وفقهم، وأن لا نزال نزري أنفسنا بتأخرنا عنهم، وعدم اتصافنا بأوصافهم ومزاياهم الجميلة ... فلله ما أعظم جوده وكرمه، وأكثر فوائد معاملته، لو لم يكن لهم من الشرف إلا أن أذكاهم مخلدة، ومناقبهم مؤبدة، لكفى بذلك فضلا. السعدي

﴿وَعَالَ عِمْرَنَ﴾ قيل والد موسى، وقيل والد مريم. ينظر: زاد المسير وتفسير السعدي، ولعل الأظهر أنه والد مريم.

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣٤) إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ ﴿جَعَلْتَ لَكَ﴾ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴿خالصا للعبادة وخدمة بيت المقدس﴾ فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ قال ابن اسحاق: كان السبب في نذرها أنه أمسك عنها الولد حتى أسنت، فرأت طائرا يطعم فرخا له، فدعت الله أن يهب لها ولدا، وقالت: اللهم لك علي إن رزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس، فحملت بمريم. ابن الجوزي

﴿مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ قال الكلبي ومحمد بن إسحاق وغيرهما: كان المحرر إذا حرر جعل في الكنيسة يقوم عليها يكنسها، ويخدمها، ولا يبرح مقبلا عليها حتى يبلغ الحلم، ثم يخير إن أحب أقام فيها، وإن أحب ذهب حيث شاء، وإن أراد أن يخرج بعد التخيير لم يكن له ذلك، ولم يكن أحد من الأنبياء والعلماء إلا من نسله محرر لبيت المقدس. البغوي

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ﴾ قالت وهي متحسرة ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ فالأنثى لا تخدم المسجد كخدمة الذكر ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا﴾ أحصنها ﴿بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (٣٦)

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ قرأ الجمهور: ﴿وَضَعْتُ﴾ فيكون من كلام الله سبحانه على جهة التعظيم لما وضعته، والتفخيم لشأنه، والتجليل لها، حيث

وقع منها التحسر والتحزن، مع أن هذه الأنثى التي وضعتها سيجعلها الله وابنها آية للعالمين وعبرة للمعتبرين، ويختصها بما لم يختص به أحدا. الشوكاني.

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ **رضي سبحانه بالنذر** ﴿ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ **وهو زوج أختها** ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ ﴾ **مكان العبادة** ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ **فاكهة الشتاء في الصيف والعكس** ﴿ قَالَ يَمْرِئُ مُنِّي هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣٧)

﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا ﴾ فيه دلالة على التسمية وقت الولادة، وعلى أن للأُم تسمية الولد إذا لم يكره الأب. ينظر: تفسير السعدي
﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾: قال محمد بن إسحاق: ضمها إلى خالتها أم يحيى، حتى إذا شبت وبلغت مبلغ النساء؛ بنى لها محرابا في المسجد، وجعل بابه في وسطها لا يرقى إليها إلا بالسلم مثل باب الكعبة ولا يصعد إليها غيره، وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها كل يوم. البغوي

﴿ ٥٤ ﴾

سؤال زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه الولد، وشيء من فضائل مريم

﴿ هُنَالِكَ ﴾ **عند ذلك** ﴿ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ﴾ **عندك** ﴿ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (٣٨)

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ ﴾ قال ابن عباس: فلما رأى ذلك زكريا - يعني فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف - عند مريم قال: إن الذي يأتي بهذا مريم في غير زمانه، قادر أن يرزقني ولدا، قال الله عز وجل ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ ﴾ قال: فذلك حين دعا. الطبري

﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ الواجب على الإنسان أن يتضرع إلى خالقه في هداية ولده وزوجه بالتوفيق لهما والهداية والصلاح والعفاف والرعاية. القرطبي

﴿ فَنَادَتْ الْمَلَائِكَةُ ۖ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى ۖ ﴾ **ومن**

صفته أنه ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ بعيسى عَلَيْهِ السَّلَام ﴿وَسَيِّدًا﴾ أَي: يحيى ﴿وَحَصُورًا﴾ لا يأتي النساء وقيل لا يأت الذنوب ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٣٩﴾

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قيل جبريل وجائز في كلام العرب، أن تخبر عن الواحد بمذهب الجمع، كما يقال في الكلام: (خرج فلان على بغال البرد)، وإنما ركب بغلا واحداً، (وركب السفن)، وإنما ركب سفينة واحدة. وكما يقال: (ممن سمعت هذا الخبر؟) فيقال: (من الناس)، وإنما سمعه من رجل واحد، والظاهر من ذلك، أنها جماعة من الملائكة دون الواحد، وجبريل واحد، ولا يجوز أن يحمل تأويل القرآن إلا على الأظهر الأكثر من الكلام المستعمل في لسان العرب، دون الأقل ما وجد إلى ذلك سبيل. ولم نضطرنا حاجة إلى صرف ذلك إلى أنه بمعنى واحد. ينظر: تفسير الطبري

﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ يعني: عيسى في قول أكثر المفسرين. وسمي عيسى كلمة لأنه كان بكلمة الله تعالى التي هي (كن) فكان من غير أب. القرطبي ﴿وَحَصُورًا﴾ جاء في تفسير ابن كثير قال: ابن عباس، وابن مسعود: هو الذي لا يأتي النساء ... (ثم نقل الأقوال في ذلك. ومما جاء في التفسير): المقصود أنه مدح يحيى بأنه حصور، ليس أنه لا يأتي النساء، بل معناه أنه معصوم عن الفواحش والقاذورات، ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال، وغشيانهن، وإيلادهن، بل قد يفهم وجود النسل له من دعاء زكريا المتقدم حيث قال: ﴿هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ كأنه قال: ولدا له ذرية ونسل وعقب، والله سبحانه وتعالى أعلم. ينظر: تفسير ابن كثير

* أكثر المفسرين على أن الحصور الذي لا يأتي النساء. ينظر تفسير الثعالبي .

﴿قَالَ﴾ أَي: زكريا ﴿رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي ءَايَةً ﴿على حمل زوجتي؛ ليكمل يقينه﴾ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ﴿ينحبس لسانك من غير علة فلا تستطيع الكلام﴾ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴿إشارة﴾ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ

كَثِيرًا وَسَيَحْم بِالْعَشَى ﴿٤١﴾ **آخِر النَّهَارِ** ﴿وَالْإِبْكَرِ﴾ **أَوَّلُهُ** ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرِيئُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٢﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ الاصطفاء الأول يرجع إلى الصفات الحميدة، والأفعال السديدة، والاصطفاء الثاني يرجع إلى تفضيلها على سائر نساء العالمين، إما على عالمي زمانها، أو مطلقا، وإن شاركها أفراد من النساء في ذلك، كخديجة، وعائشة، وفاطمة، لم يناف الاصطفاء المذكور، فلما أخبرتها الملائكة باصطفاء الله إياها، وتطهيرها، كان في هذا من النعمة العظيمة، والمنحة الجسيمة، ما يوجب لها القيام بشكرها، فلهذا قالت لها الملائكة: يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي. السعدى

﴿يَمْرِيئُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ **داومي على الطاعة** ﴿وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ ﴿٤٣﴾

﴿وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي﴾ قدم السجود على الركوع؛ لكونه أفضل، أو لكون صلاتهم لا ترتيب فيها، مع كون الواو لمجرد الجمع بلا ترتيب، وقوله: ﴿وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ ظاهره: أن ركوعها يكون مع ركوعهم، فيدل على مشروعية صلاة الجماعة، وقيل: المعنى أنها تفعل مثل فعلهم وإن لم تصل معهم. الشوكاني

﴿ذَلِكَ﴾ **ما سبق من أمر زكريا ومريم** ﴿مِّنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ **يا محمد** ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ **عندهم** ﴿إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ﴾ **يطرحون السهام للاقتراع** ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ **وإنما عرفت ما سبق من جهة الوحي**

﴿إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ﴾ فاقترعوا، وجعلوا أقلامهم في الماء الجاري، على أن من وقف قلمه ولم يجر مع الماء فهو صاحبها، فجرت أقلامهم، ووقف قلم زكريا، وقد استدل بهذا من أثبت القرعة. الشوكاني

بيان حقيقة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبيان شيء من معجزاته

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ **تدنيه بلا أب لذا نسب إليها** ﴿ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾

﴿ ٤٥ ﴾

﴿ **إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ** ﴾ من حكمة الباري تعالى أن تدرج بأخبار العباد من الغريب إلى ما هو أغرب منه، فذكر وجود يحيى بن زكريا بين أبوين أحدهما كبير والآخر عاقر، ثم ذكر أغرب من ذلك وأعجب، وهو وجود عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من أم بلا أب؛ ليدل عباده أنه الفعال لما يريد، وأنه ما شاء كان، وما لم يشاء لم يكن ... سمي كلمة الله؛ لأنه كان بالكلمة من الله؛ لأن حالته خارجة عن الأسباب، وجعله الله من آياته وعجائب مخلوقاته، فأرسل الله جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى مريم، فنفخ في جيب درعها، فولجت فيها تلك النفخة الذكية من ذلك الملك الزكي، فأنشأ الله منها تلك الروح الزكية، فكان روحانيا نشأ من مادة روحانية، فلهذا سمي روح الله. السعدي

﴿ **اسْمُهُ الْمَسِيحُ** ﴾ اختلفوا في أنه لم سمي مسيحا، فمنهم من قال: هو فعيل بمعنى المفعول، يعني: أنه مسح من الأقدار، وطهر من الذنوب، وقيل: لأنه مسح بالبركة، وقيل: لأنه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن، وقيل: مسحه جبريل بجناحه حتى لم يكن للشيطان عليه سبيل، وقيل: لأنه كان مسيح القدم لا أخص له، وسمي الدجال مسيحا؛ لأنه ممسوح إحدى العينين، وقال بعضهم: هو فعيل بمعنى الفاعل، مثل عليم وعالم، وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سمي عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مسيحا؛ لأنه ما مسح ذا عاهة إلا برا، وقيل: سمي بذلك؛ لأنه كان يسبح في الأرض، ولا يقيم في مكان، وعلى هذا القول تكون الميم فيه زائدة، وقال إبراهيم النخعي: المسيح الصديق، ويكون المسيح بمعنى: الكذاب، وبه سمي الدجال. البغوي

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ **بعد الشباب** ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٤٦﴾

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «لم يتكلم في المهدي إلا ثلاثة، عيسى ابن مريم، وصاحب جريج ... وبينا صبي يرضع من أمه ...» الحديث. وللتوسع يراجع: صحيح مسلم.

﴿وَكَهْلًا﴾ قال ابن الأنباري: كان عليه السلام قد زاد على الثلاثين، ومن أربى عليها فقد دخل في الكهولة. والكهل عند العرب: الذي قد جاوز الثلاثين، وإنما سمي الكهل كهلاً؛ لاجتماع قوته، وكمال شبابه ... فإن قيل: فقد علم أن الكهل يتكلم، ... (فما يجاب عنه) أن هذا الكلام خرج مخرج البشارة بطول عمره، أي: أنه يبلغ الكهولة. ابن الجوزي بتصرف يسير.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ **لم أتزوج ولم أعاشر الرجال** ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴿٤٩﴾ **علامة على صدقي** ﴿أَنِّي أَخْلُقُ﴾ **أصوّر** ﴿لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ **أي: قدرتي خاضعة لقدرتي سبحانه** ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ﴾ **الأعمى** ﴿وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ﴾ **تخبئون** ﴿فِي بُيُوتِكُمْ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥١﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴿٥٢﴾ **وفيه إثبات النسخ** ﴿وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ﴿٥٣﴾ **إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ** ﴿٥٤﴾

حال عيسى عليه السلام مع قومه

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ **يعينني في الدعوة إليه** ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ **أصفياء عيسى عليه السلام وعددهم ١٢ حواري** ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ﴿٥٥﴾

﴿قَالَ الْخَوَارِثُ﴾ يجوز أن يكون حواريو عيسى كانوا سُمُّوا من تبييضهم الثياب، وأنهم كانوا قصّارين، فعرفوا بصحبة عيسى، واختياره إياهم لنفسه أصحابًا وأنصارًا، فجرى ذلك الاسم لهم، واستعمل، حتى صار كل خاصّة للرجل من أصحابه وأنصاره: «حواريّه». ينظر: تفسير الطبري

﴿ ٥٦ ﴾

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿٥٣﴾
 أى: لك بالواحدانية ﴿وَمَكْرُؤًا﴾ أراد كفار بنى إسرائيل قتل عيسى عليه السلام ﴿وَمَكْرَ اللَّهِ﴾ بهم بأن ألقى شبهه على غيره ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قُلْ قَابِضُكَ مِنَ الْأَرْضِ ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ من غير موت ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مبعذك من رجسهم ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿٥٥﴾

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قُلْ قَابِضُكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً، وإمامًا مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية» وثبت في الصحيح عنه «أنه ينزل على المنارة البيضاء، شرقي دمشق، وأنه يقتل الدجال». ومن فارقت روحه جسده لم ينزل جسده من السماء، وإذا أحيي فإنه يقوم من قبره. وأما قوله تعالى ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فهذا دليل على أنه لم يعن بذلك الموت؛ إذ لو أراد بذلك الموت؛ لكان عيسى في ذلك كسائر المؤمنين؛ فإن الله يقبض أرواحهم ويعرج بها إلى السماء، فعلم أن ليس في ذلك خاصية... فقله هنا: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] يبين أنه رفع بدنه وروحه كما ثبت في الصحيح أنه ينزل بدنه وروحه؛ إذ لو أريد موته لقال: وما قتلوه وما صلبوه؛ بل مات. فقله: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] يبين أنه رفع بدنه وروحه كما ثبت في الصحيح أنه ينزل بدنه وروحه. ابن تيمية في مجموع الفتاوى

﴿وَرَأَيْتُكَ إِلَى﴾ قابضك من الأرض وافيًا تامًا من غير أن ينال منك اليهود شيئًا. هذا قول الحسن، وابن جريج. ابن الجوزي
 ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ النصارى المنتسبين لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يزالوا قاهرين لليهود لكون النصارى أقرب إلى اتباع عيسى من اليهود، حتى بعث الله نبينا محمدا ﷺ، فكان المسلمون هم المتبعين لعيسى حقيقة، فأيدهم الله ونصرهم على اليهود والنصارى وسائر الكفار، وإنما يحصل في بعض الأزمان إدالة الكفار من النصارى وغيرهم على المسلمين، حكمة من الله وعقوبة على تركهم لاتباع الرسول ﷺ. السعدي

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ ﴿ما سبق من أمر عيسى﴾ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾

التأكيد على ما سبق من قصة ولادة ونشأة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأن ذلك لا يعني ألوهيته عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ﴾ شأنه الغريب ﴿عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ وهو من تشبيه الغريب بالأغرب؛ ليكون أقطع للخصم وأوقع للنفس. تفسير الجلالين.

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ما قامت الأدلة على أنه حق وجزم به العبد من مسائل العقائد وغيرها، فإنه يجب أن يجزم بأن كل ما عارضه فهو باطل، وكل شبهة تورده عليه فهي فاسدة، سواء قدر العبد على حلها، أم لا، فلا يوجب له عجزه عن حلها القدح فيما علمه؛ لأن ما خالف الحق فهو باطل، قال تعالى ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢] وبهذه القاعدة الشرعية تنحل عن الإنسان إشكالات كثيرة يوردها المتكلمون، ويرتبها المنطقيون، إن

حلها الإنسان فهو تبرع منه، وإلا فوظيفته أن يبين الحق بأدلتة ويدعو إليه.
السعدى

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾ **من النصارى** ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ
أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ **تنصرع**
بالدعاء ﴿فَنَجْعَلَ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٦١﴾ **نقول اللهم العن**
الكاذب في شأن عيسى.

﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ جاء أنه بعد نزول آية المباهلة دعاهم إلى ذلك، فقالوا: يا أبا
القاسم، دعنا ننظر في أمرنا، ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه.
فانصرفوا عنه، ثم خلوا بالعاقب، وكان ذا رأيهم، فقالوا: يا عبد المسيح، ما
ترى؟ قال: والله يا معشر النصارى، لقد عرفتم أن محمداً لنبي مرسل، ولقد
جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم ما لآعن قوم نبياً قط فبقي
كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم قد
أبيتهم إلا إلف دينكم، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم،
فوادعوا الرجل، ثم انصرفوا إلى بلادكم حتى يريكم زمن رأيه. فأتوا رسول
الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، قد رأينا أن لا نلاعنك، وأن نتركك على دينك،
ونرجع على ديننا، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا، يحكم بيننا
في أشياء قد اختلفنا فيها من أموالنا، فإنكم عندنا رضاء... قال ابن عباس قال:
لو خرج الذين يباهلون النبي ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً. ينظر تفسير
الطبري

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ﴾ **الخبر** ﴿الْحَقُّ﴾ **لا شك فيه** ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنِ
اللَّهُ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٦٢﴾
﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ **أعرضوا عن الإيمان** ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٦٣﴾
التأكيد على التوحيد

﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ﴿١٣٥﴾ **عدل** ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ **فلا** نتخذ الأحرار والرهبان أرباباً ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

﴿ ٦٤ ﴾

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٣٦﴾ لعل الفائدة في ذلك أنكم إذا قلتم لهم ذلك وأنتم أهل العلم على الحقيقة، كان ذلك زيادة على إقامة الحجة عليهم. السعدي

﴿يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴿١٣٧﴾ تتخاصمون أنه على دينكم ﴿وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ ﴿١٣٨﴾ فكيف يكون على دينكم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٣٩﴾ هَتَأْتُمْ هَٰؤُلَاءِ حُجَجَتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴿١٤٠﴾ من شأن موسى وعيسى - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - ﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ ﴿١٤١﴾ من شأن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٤٢﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا ﴿١٤٣﴾ مَائِلًا عَنِ الشَّرْكِ ﴿١٤٤﴾ مُسْلِمًا ﴿١٤٥﴾ مُوَحِّدًا لِلَّهِ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ ﴿١٤٨﴾ لِمُوافقته له بأكثر شرعه ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٤٩﴾

الحديث عن أهل الكتاب وبيان حقيقتهم

﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴿١٥٠﴾ **اليهود** ﴿لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١٥١﴾

﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾ ﴿١٥٢﴾ من المعلوم أن من ود شيئاً سعى بجهدده على تحصيل مراده، فهذه الطائفة تسعى وتبذل جهدها في رد المؤمنين، وإدخال الشبه عليهم بكل طريق يقدرُونَ عليه. السعدي. «ت».

﴿يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ ﴿١٥٣﴾ تشهدون بصحة نبوة محمد ﷺ، ويسر به بعضكم إلى بعض في بعض الأوقات.

﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابَ لِمَ تَلْسُوتَ﴾ **تخلطون** ﴿الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٧١) وَقَالَتْ طَافِيفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴿**قال اليهود لبعضهم**﴾ ﴿ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامِنُوا وَجَهَ النَّهَارِ﴾ **أول النهار** ﴿وَكَفَرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٧٢) **أى: لعل أصحاب محمد ﷺ يشكون في صحة دينهم فيرجعون للكفر، (ومن قول أهل الكتاب أيضاً)**

﴿وَقَالَتْ طَافِيفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامِنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ في إخبار الله تعالى عن تواطؤهم على هذه الحيلة من الفائدة وجوه: الأول: أن هذه الحيلة كانت مخفية فيما بينهم، فلما أخبر بها عنهم، كان إخباراً بمغيب، فيكون معجزاً. الثاني: أنه تعالى، لما أطلع المؤمنين على تواطؤهم على هذه الحيلة، لم يحصل لهذه الحيلة أثر في قلوب المؤمنين، ولولا هذا الإعلام؛ لأمكن تأثيرها في قلب من ضعف إيمانه. الثالث: أن القوم لما اقتضحوا في هذه الحيلة، صار ذلك رادعاً لهم عن الإقدام على أمثالها من الخيل والتلبس اهـ. الثعالبي

﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ **لا تصدقوا إلا لمن كان يهودياً** ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ **قل أيها الرسول: الله بيده الهداية للإسلام** ﴿أَن يُؤْتِيَ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ **حسد اليهود العرب أن نزلت فيهم الرسالة بعد أن كانت تنزل على بنى إسرائيل** ﴿أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ **أى: ولئلا يحتج عليكم المسلمون يوم القيامة أنكم كنتم تعرفون الحق** ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٧٣) **يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴿٧٤﴾

من أحوال أهل الكتاب

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنٌ إِن تَأْمَنهُ بِقِنطَارٍ﴾ **مال كثير** ﴿يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّنٌ إِن تَأْمَنهُ بِيَدِينَ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَنَ﴾ **يعنون العرب لأن كثير منهم لا يقرأ ولا يكتب** ﴿سَكِيلٌ﴾ **إثم -**

فَالْيَهُودُ يَسْتَحْلُونَ ظَلَمَ مِنْ خَالَفَ دِينَهُمْ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ ﴿٧٥﴾ أَى: بَلْ عَلَيْهِمْ سَبِيلٌ ﴿٧٥﴾ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ ﴿٧٥﴾ أَى: لَكِنْ مِنْ وَفَىٰ بِعَهْدِهِ مَعَ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَجَمِيعِ رُسُلِهِ، وَوَفَىٰ بِأَمَانَاتِهِ ﴿٧٥﴾ وَأَتَقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ يَخَالِفُونَ أَمْرَ اللَّهِ وَيَبْذِلُونَ الْإِيمَانَ الْكَاذِبَةَ مُقَابِلَ ثَمَنًا قَلِيلًا - مَتَاعِ الدُّنْيَا - ﴿٧٦﴾ أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ ﴿٧٦﴾ لَٰ نَصِيبٌ ﴿٧٦﴾ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

﴿ ٥٩ ﴾

﴿وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفَرْقًا يَلُوتُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾ يَحْرِفُونَ ثُمَّ يَرْتَلُونَ مَا حَرَفُوا ﴿٧٨﴾ لَتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ ﴿٧٨﴾ أَى: لَتَحْسَبُوا أَنَّ الْمَحْرَفَ مِنَ التَّوْرَةِ ﴿٧٨﴾ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾

مهمة الأنبياء تعبيد الناس لربهم

﴿مَا كَانَ لِشَرٍّ لِّنَبِيٍّ أَوْ غَيْرِهِ﴾ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَكَ ﴿٧٩﴾ حُكَمَاءُ مُعَلِّمِينَ ﴿٧٩﴾ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾

﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي﴾ رَوَى أَنَّ أَبَا رَافِعٍ الْقُرْظِيَّ مِنَ الْيَهُودِ، وَالرَّئِيسَ مِنْ نَصَارَى أَهْلِ نَجْرَانَ قَالَا: يَا مُحَمَّدُ تَرِيدُ أَنْ نَعْبُدَكَ وَنَتَّخِذَكَ رَبًّا، فَقَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَمُرَ بِعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ، مَا بِذَلِكَ أَمْرِي بِاللَّهِ، وَمَا بِذَلِكَ بَعْثِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ. الْبَغْوَ

﴿كُونُوا رَبَّيْنَكَ﴾ قِيلَ: الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يَرِي النَّاسَ بِصَغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ. الْبَغْوَ

* الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يَرِي النَّاسَ بِصَغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ، وَكَأَنَّهُ يَقْتَدِي بِالرَّبِّ سَبْحَانَهُ فِي تَسْيِيرِ الْأُمُورِ، رَوَى مَعْنَاهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. الْقُرْظِيُّ

* ينسب إلى الرب؛ لكثرة عبادته، وغزارة علمه، أو إلى الربان، وهو الذي يرب الناس، فيصلح أمورهم، ويقوم عليها. الجزائري

﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ **ولا ينبغي له أن يأمركم كذلك** ﴿أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٨٠)

أخذ الميثاق على الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ إن أدركوه

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ **من الكتاب والحكمة** ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ **عهدي الشديد** ﴿قَالُوا أَأَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا﴾ **على هذا الإقرار** ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٨١) ﴿فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ **الميثاق المؤكد بالشهادة من الله ورسله** ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٨٢)

﴿فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ على هذا كل من ادعى أنه من أتباع الأنبياء كاليهود والنصارى ومن تبعهم، فقد تولوا عن هذا الميثاق الغليظ، واستحقوا الفسق الموجب للخلود في النار إن لم يؤمنوا بمحمد ﷺ. السعدي

الدين عند الله هو الإسلام العام الخالص من الشرك

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ﴾ **انقاد واستسلم** ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (٨٣)

﴿٦٠﴾

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ **الأنبياء من ذرية يعقوب** ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ **بالتصديق والتكذيب** ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٨٤) **مخلصون في العبادة** ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا

فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾

الردة والإعراض عن الحق بعد معرفته، وبيان أن الكافر لا ينفعه عند الله ماله، وبيان النفقة التي تنفع المؤمنين

﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٨٦﴾

﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ هؤلاء ظلموا وتركوا الحق بعدما عرفوه، واتبعوا الباطل مع علمهم ببطلانه ظلماً وبغياً، واتباعاً لأهوائهم، فهؤلاء لا يوفقون للهداية؛ لأن الذي يرجى أن يهدي، هو الذي لم يعرف الحق، وهو حريص على التماسه. السعدي

﴿ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ عند الغرغرة ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾ ﴿٩٠﴾

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ المعنى: لن تقبل توبتهم عند الغرغرة والمعاناة. وقال أبو العالية: المعنى: لن تقبل توبتهم من تلك الذنوب التي أصابوها مع إقامتهم على كفرهم بمحمد ﷺ. الثعالبي * لن تقبل توبتهم مما ازدادوا من الكفر على كفرهم بعد إيمانهم، لا من كفرهم؛ لأن الله تعالى ذكره وعد أن يقبل التوبة من عباده. ينظر: تفسير الطبري

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ ﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٩١﴾

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا ﴾ قال ﷺ: يُجَاء بالكافر يوم القيامة فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض

ذهبًا، أكنت مفتديًا به؟ فيقول: نعم! قال فيقال: لقد سُئلت ما هو أيسر من ذلك! رواه البخاري ومسلم.

﴿٦١﴾

﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ﴾ تصلوا درجة الأبرار ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٣﴾

﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ﴾ هذا كلام مستأنف، خطاب للمؤمنين عقب ذكر ما لا ينفع الكفار. الشوكاني

﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قال أنس بن مالك: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال رسول الله ﷺ: «بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين». رواه البخاري

﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ﴾ عن حمزة بن عبد الله بن عمر، قال: قال عبد الله: حضرني هذه الآية: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ فذكرت ما أعطاني الله، فلم أجد شيئاً أحب إلي من جارية رومية، فقلت، هي حرة لوجه الله. فلو أني أعود في شيء جعلته الله لنكحتها - يعني: تزوجتها - ابن كثير

* ينبغي للإنسان أن يعمل بهذه الآية - ولو مرة واحدة -، إذا عجبه شيء من ماله فليصدق به؛ لعله ينال هذا البر. ابن عثيمين. «ل».

تأكيد صلة المسلمين بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبيان أن إنكار النسخ من تناقضات أهل الكتاب، فقد أنكروا أن تنسخ شريعتهم بالإسلام، ومنعوا أصل النسخ

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ **النبى يعقوب**
 ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾ **حرم الإبل وكان أحب الطعام إليه حرماً نذراً إن شفاه الله**
من مرضه وكان ذلك سائغا في شريعتهم ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْزَلَ التَّوْرَةُ﴾ **فلم تكن**
في عهد إبراهيم وعهد يعقوب محرمة ﴿قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا﴾ **ليتبن لكم**
صدق ما سبق تقريره ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٣)

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ **قيل في**
سبب نزول هذه الآية: أن اليهود قالوا لرسول الله ﷺ: إنك تزعم أنك على ملة
إبراهيم وكان إبراهيم لا يأكل لحوم الإبل، وأنت تأكلها، فليست على ملته،
فقال رسول الله ﷺ: «كان ذلك حلالاً لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ»، فقالوا: كل ما
نحرمة اليوم كان ذلك حراماً على نوح وإبراهيم حتى انتهى إلينا، فأنزل الله
تعالى هذه الآية: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾. البغوي
 * **نزل أيضاً في التوراة أشياء من المحرمات غير ما حرم إسرائيل مما كان حلالاً**
لهم طيباً، كما قال تعالى ﴿فِظْلُمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ
ينظر: تفسير السعدى

﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ **سبق تقريره** ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ

الظَّالِمُونَ﴾ (٩٤) **قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا** **مائلا عن الشرك** ﴿وَمَا

كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٩٥)

منزلة مكة في الإسلام، حيث بني فيها أول مسجد

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ **مكة تبك - تدق - أعناق الجبابرة**
مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (٩٦)

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ **ثبت في صحيح مسلم عن أبي ذر قال:**

سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع في الأرض قال: (المسجد الحرام). قلت: ثم أي؟ قال: (المسجد الأقصى). قلت: كم بينهما؟ قال: (أربعون عاما ...)، وعن النبي ﷺ: (أن سليمان بن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ لما بنى بيت المقدس ... الحديث ... فجاء إشكال بين الحديثين، لأن بين إبراهيم وسليمان آمادا طويلة. قال أهل التواريخ: أكثر من ألف سنة. فقيل: إن إبراهيم وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إنما جددا ما كان أسسه غيرهما. وقد روي أن أول من بنى البيت آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ كما تقدم. فيجوز أن يكون غيره من ولده وضع بيت المقدس من بعده بأربعين عاما، ويجوز أن تكون الملائكة أيضا بنته بعد بنائها البيت بإذن الله، وكل محتمل. والله أعلم. ينظر تفسير القرطبي

﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ (منها) ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿كَانَ يَقِفُ عَلَيْهِ حِينَ كَانَ بَنَى الْكَعْبَةَ﴾ ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ أُسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (١٧)

﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ أي: أدلة واضحة، وبراهين قاطعات على أنواع من العلوم الإلهية، والمطالب العالية، كالأدلة على توحيده ورحمته وحكمته وعظمته وجلاله وكمال علمه وسعة جوده، وما مَنَّ به على أوليائه وأنبيائه. السعدي

﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ وهو الحجر الذي كان يقوم عليه الخليل لبيان الكعبة لما ارتفع البنيان، وكان ملصقا في جدار الكعبة، فلما كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وضعه في مكانه الموجود فيه الآن ... ويحتمل أن المراد بمقام إبراهيم أنه مفرد مضاف يراد به مقاماته في مواضع المناسك كلها. السعدي

* في ص ١٩ كلام لأهل العلم عن مقام إبراهيم. ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا﴾ يعني وجب أن يؤمن، وليس المعنى أنه لا يقع فيه أذى لأحد، ولا قتل، بل ذلك قد يقع، وإنما المقصود أن الواجب تأمين من دخله، وعدم التعرض له بسوء. ابن باز مجموع فتاوى ابن باز. قلت: وثمة تفاصيل فقهية فيمن ارتكب ما يوجب الحد، ثم لجأ إلى الحرم، هل

يقام عليه الحد داخل الحرم، أو يُخرج؟ ... إلخ من المسائل الفقهية التي ليس هذا محل بسطها.

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ من أوضح الدلالات على الوجوب عند العرب، كما إذا قال القائل: لفلان علي كذا، فذكر الله سبحانه الحج بأبلغ ما يدل على الوجوب؛ تأكيداً لحقه، وتعظيماً لحرمة. الشوكاني

* أنكرت الملاحدة الحج، فقالت: إن فيه تجريد الثياب، وذلك يخالف الحياء. والسعي، وهو يناقض الوقار. ورمي الجمار لغير مرمى، وذلك يضاد العقل، فصاروا إلى أن هذه الأفعال كلها باطلة، إذ لم يعرفوا لها حكمة ولا علة، وجهلوا أنه ليس من شرط المولى مع العبد، أن يفهم المقصود بجميع ما يأمره به، ولا أن يطلع على فائدة تكليفه، وإنما يتعين عليه الامتثال، ويلزمه الانقياد من غير طلب فائدة، ولا سؤال عن مقصود. ولهذا المعنى كان عَلَيْهِ السَّلَام يقول في تليته: «ليكن حقاً حقاً، تعبدًا ورقاً، لبيك إله الحق». القرطبي

تعنيف أهل الكتاب، والتحذير من دسائسهم

﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ١٨﴾ قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبَغُّوهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ ١٩﴾ تعلمون أن الدين الحق هو دين الإسلام ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ٢٠﴾ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ١٠٠﴾

﴿يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ نزلت في شأن الأوس والخزرج، وذلك أن رجلاً من اليهود مر بملاً من الأوس والخزرج، فسأه ما هم عليه من الاتفاق والألفة، فبعث رجلاً معه وأمره أن يجلس بينهم ويذكرهم ما كان من حروبهم يوم بعث وتلك الحروب، ففعل، فلم يزل ذلك دأبه حتى حمت نفوس القوم، وغضب بعضهم على بعض، وتناوروا، ونادوا بشعارهم، وطلبوا أسلحتهم، وتواعدوا إلى الحرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاهم فجعل يسكنهم ويقول: «أبدعوى الجاهلية

وأنا بين أظهركم؟» وتلا عليهم هذه الآية، فندموا على ما كان منهم، واصطلحوا وتعانقوا، وألقوا السلاح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. ابن كثير

﴿ ٦٢ ﴾

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۚ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾ السبب الأعظم والموجب الأكبر لثبات المؤمنين على إيمانهم، وعدم تزلزلهم عن إيمانهم ... الآيات البينات. السعدي

الحث على التقوى، والدعوة إلى الله والحث على التمسك بالجماعة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۚ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَآذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا ۖ ﴿حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنۢ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿وَآذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ نزلت في شأن الأوس والخزرج، وذلك أن رجلاً من اليهود مر بملأ من الأوس والخزرج، فساء ما هم عليه من الاتفاق والألفة، فبعث رجلاً معه وأمره أن يجلس بينهم ويذكرهم ما كان من حروبهم يوم بعث وتلك الحروب، ففعل، فلم يزل ذلك دأبه حتى حمت نفوس القوم، وغضب بعضهم على بعض، وتناوروا، ونادوا بشعارهم، وطلبوا أسلحتهم، وتواعدوا إلى الحرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاهم فجعل يسكنهم ويقول: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟» وتلا عليهم هذه الآية، فندموا على ما كان منهم،

واصطلحوا وتعانقوا، وألقوا السلاح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. ابن كثير

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ ليس فيه دليل على تحريم الاختلاف في الفروع، فإن ذلك ليس اختلافاً، إذ الاختلاف ما يتعذر معه الائتلاف والجمع، وأما حكم مسائل الاجتهاد فإن الاختلاف فيها بسبب استخراج الفرائض ودقائق معاني الشرع، وما زالت الصحابة يختلفون في أحكام الحوادث، وهم مع ذلك متآلفون. القرطبي

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿ ٦٣ ﴾

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾﴾

**فضل أمة الإسلام، وفضل من اعتنق الدين الإسلامي من أهل الكتاب،
وعقوبة اليهود لما كفروا بالله**

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾
عن عمر بن الخطاب قال: يا أيها الناس، من سره أن يكون من تلك الأمة، فليؤد شرط الله منها. الطبري

﴿لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَتِّلُوكُمْ يُولُوكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصِرُونَ ﴿١١١﴾ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا﴾ **وجدوا** ﴿لَا يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾

بَأْمَانٍ وَذِمَّةٍ مِنَ اللَّهِ وَمِنَ النَّاسِ ﴿١١٢﴾ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٣﴾

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقَّهُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ فلا يأمنون إلا بعهد أو أمن من الله تعالى، أو من الناس. المختصر في التفسير

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ قبل بعث النبي ﷺ ومن كانت هذه صفته وأدرك البعثة أسلم

﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ عن ابن عباس - أن هذه الآيات نزلت فيمن أمن من أحبار أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام، وأسد بن عبيد، وثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية وغيرهم. ابن كثير

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يُسِرُّعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ﴿١١٥﴾﴾ لن يضيع عند الله ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١١٥﴾

﴿ ٦٤ ﴾

مال الكافر ونفقته

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿١١٦﴾﴾ في الصد عن الحق فهم لا يتنفعون به ﴿كَمَثَلُ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ برد شديد ﴿أَصَابَتْ حَرَّتَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾ فلم يتنفع بحرثه ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾

بيان موقف الكافر من المؤمن

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ﴾ غير المسلمين ﴿لَا

يَا لَوْلَاكُمْ خَبَالًا ﴿ لا يقصرون في محاولة إفسادكم ﴾ ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ ﴿يَتَمَنَوْنَ﴾
حصول ما يضرهم ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾
 قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ﴿على عداوتهم﴾ ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١١٨﴾

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ عن ابن أبي الدهقانة قال:
 قيل لعمر بن الخطاب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن هاهنا غلامًا من أهل الحيرة، حافظ كاتب،
 فلو اتخذته كاتبًا؟ فقال: قد اتخذت إذا بطانة من دون المؤمنين. ففي هذا الأثر
 مع هذه الآية دلالة على أن أهل الذمة لا يجوز استعماهم في الكتابة التي فيها
 استطالة على المسلمين واطلاع على دواخل أمورهم التي يخشى أن يفشوها إلى
 الأعداء من أهل الحرب. ابن كثير

﴿هَآئِنْتُمْ أَوْلَآءُ﴾ ﴿أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ ﴿لِقَرَابَةٍ وَنَحْوِهِ﴾ ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾
 لمخالفتكم لهم في الدين ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ ﴿كل الكتب المنزلة بيننا لا﴾
 يؤمنون بكتابكم ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِّنَ﴾
 الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿١١٩﴾

﴿هَآئِنْتُمْ أَوْلَآءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أي: والحال أنكم
 مؤمنون بكتب الله سبحانه التي من جملتها كتابهم، فما بالكم تحبونهم وهم لا
 يؤمنون بكتابكم. وفيه توبيخ لهم شديد؛ لأن من بيده الحق أحق بالصلابة
 والشدة. الشوكاني

﴿إِنْ تَمَسَّسْكُمُ حَسَنَةٌ﴾ ﴿نَصْرٌ أَوْ غَنِيمَةٌ﴾ ﴿تَسُوهُمُ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ ﴿هَزِيمَةٌ﴾
 ﴿يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِيرُوا﴾ ﴿على أذاهم﴾ ﴿وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ﴾
 شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ ﴿١٢٠﴾

الحديث عن غزوة أحد، وتذكير المؤمنين بنصر الله لهم في بدر وهم
قلة؛ ليتبين أن النصر من عند الله

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ ﴿خرجت أول النهار في غزوة أحد﴾ ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾
 مَقْعَدَ لِلْقِتَالِ ﴿تنزلهم مواقعهم من القتال﴾ ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٢١﴾

﴿وَإِذْ عَدَوْتَ﴾ لعل الحكمة في ذكرها - وقعة أحد - في هذا الموضع، وأدخل في أثنائها وقعة «بدر» لما أن الله تعالى قد وعد المؤمنين أنهم إذا صبروا واتقوا نصرهم، ورد كيد الأعداء عنهم، وكان هذا حكما عاما ووعدا صادقا لا يتخلف مع الإتيان بشرطه، فذكر نموذجا من هذا في هاتين القصتين، وأن الله نصر المؤمنين في «بدر» لما صبروا واتقوا، وأدال عليهم العدو لما صدر من بعضهم من الإخلال بالتقوى ما صدر، ومن حكمة الجمع بين القصتين أن الله يحب من عباده إذا أصابهم ما يكرهون أن يتذكروا ما يحبون، فيخف عنهم البلاء، ويشكروا الله على نعمه العظيمة التي إذا قوبلت بما ينالهم من المكروه الذي هو في الحقيقة خير لهم، كان المكروه بالنسبة إلى المحبوب نورا يسيرا.

السعدي

﴿ ٦٥ ﴾

﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ﴾ بنو سلمة وبنو حارثة ﴿أَنْ تَفْشَلَا﴾ تجبنا وتضعفا ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهِنَّ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٢٢) وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴿قَلِيلَى الْعَدَدُ وَالسَّلَاحُ﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿فِي بَدْرٍ تَطْمِينًا لَهُمْ﴾ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ﴿١٢٤﴾

﴿ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ قال قتادة: أمدوا بألف، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف. تفسير الطبري

﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا﴾ ساعتهم هذه ﴿يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (١٢٥) معلمين أنفسهم وخيولهم بعلامات واضحات

﴿مُسَوِّمِينَ﴾ عن ابن عباس قال: كانت سيما الملائكة يوم بدر: عمام بيضاء، قد أرسلوها في ظهورهم، ويوم حنين: عمام حمراء، ولم تضرب الملائكة في يوم سوى يوم بدر، وكانوا يكونون عددا ومددا لا يضربون. الشوكاني

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ **الإمداد** ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِنَ قُلُوبَكُمْ بِهِ﴾ **وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ**
عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ فلا تعتمدوا على ما معكم من الأسباب، بل
الأسباب فيها طمأنينة لقلوبكم. السعدي

﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ **ليهلك طائفة من الكفار وليس كلهم وهم**
صناديد قریش ﴿أَوْ يَكْبِتُهُمْ﴾ **يخزيهم بالهزيمة** ﴿فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ ﴿١٢٧﴾ **لَيْسَ لَكَ**
مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ عن أنس، أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته يوم
أحد، وشج في رأسه، فجعل يسלט الدم عنه، ويقول: «كيف يفلح قوم شجوا
نبيهم، وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله؟»، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْسَ لَكَ
مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾. صحيح مسلم

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِر لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ
عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٢٩﴾

أهمية الطاعة، وبيان حرمة الربا - وفيه إشارة إلى أن المعاصي سبب
لعدم حصول النصر -

﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٣٠﴾

﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ كانوا يقولون في
الجاهلية إذا حل أجل الدين: إما أن يقضي وإما أن يربي، فإن قضاؤه وإلا؛ زاده
في المدة، وزاده الآخر في القدر، وهكذا كل عام، فربما تضاعف القليل حتى
يصير كثيرا مضاعفا. ابن كثير

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٣١﴾ **وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ**
تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

* **وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** كان أبو حنيفة رضى الله عنه يقول هي أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه في اجتناب محارمه وقد أمد ذلك بما أتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله بقوله تفسير **وَأَطِيعُوا اللَّهَ** النسفي

﴿٦٦﴾

الأمر بالطاعة والنفقة في الخير

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) **الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴿١٣٤﴾

* **﴿وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ﴾** عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله عز وجل من جرعة غيظ، يكظمها ابتغاء وجه الله تعالى». أحمد

* وروي عن ميمون بن مهران أن جاريته جاءت ذات يوم بصحفة فيها مرققة حارة، وعنده أضياف، فعثرت فصبت المرققة عليه، فأراد ميمون أن يضربها، فقالت الجارية: يا مولاي، استعمل قول الله تعالى: **﴿وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ﴾**. قال لها: قد فعلت. فقالت: اعمل بما بعده **﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾**. فقال: قد عفوت عنك. فقالت الجارية: **﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾**. قال ميمون: قد أحسنت إليك، فأنت حرة لوجه الله تعالى. وروي عن الأحنف بن قيس مثله. القرطبي

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً﴾ **﴿ذُنُوبًا كَبِيرًا﴾** **﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾** **﴿بِالصَّغَائِرِ ذَكُّرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ﴾** **﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾** **﴿لَيْسَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ يَلْجَأُونَ إِلَيْهِ مَعَ أَنَّهُمْ هُوَ مِنْ عَصْوِهِ سُبْحَانَهُ﴾** **﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾** (١٣٥)

* **﴿فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ﴾** جاء في سنن أبي داود: «ما من عبد يذنب ذنبا، فيحسن

الطهور، ثم يقوم فيصلي ركعتين، ثم يستغفر الله، إلا غفر الله له، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ إلى آخر الآية.

* وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه عز وجل قال: «أذنب عبد ذنبا، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبا، فعلم أن له ربا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبا، فعلم أن له ربا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبا، فعلم أن له ربا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك»، قال عبد الأعلى: لا أدري أقال في الثالثة أو الرابعة: «اعمل ما شئت». متفق عليه

* وأما حقوق الآدميين فلا بد من إيصالها إلى مستحقيها، فإن لم يوجدوا تصدق عنهم، ومن لم يجد السبيل لخروج ما عليه لإعسار فغفو الله مأمول، وفضله مبذول، فكم ضمن من التبعات، وبدل من السيئات بالحسنات.

القرطبي

﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّتْ تَجَرَّى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾ (١٣٦)

بعد الحديث عن أهمية الطاعة يبين سبحانه بعض الحكم في هزيمة المسلمين بأحد

﴿قَدْ خَلَتْ مَضَتْ وَسَبَقَتْ﴾ من قبلكم سنن ﴿كفار أمهلوا ثم أناهم عقاب الله﴾ فسيروا في الأرض ﴿أيها المؤمنون للتأمل وعدم الحزن من الهزيمة﴾ فأنظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴿١٣٧﴾

﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ فتعلموا عند ذلك أن إدالتي من أدلت من المشركين على نبيي محمد وأصحابه بأحد، إنما هي

استدرج وإمهال؛ ليلبغ الكتاب أجله الذي أجلت لهم. الطبري

﴿ هَذَا ﴾ **القرآن** ﴿ بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿ ١٣٨ ﴾ وَلَا تَهِنُوا ﴿
عن قتالهم﴾ وَلَا تَحْزَنُوا ﴿ **على جراحكم** ﴾ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿
﴿ ١٣٩ ﴾

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ﴾ قيل للمؤمنين بعد خسارتهم في معركة
أحد ... فمهما كانت انكساراتنا السياسية أو الاقتصادية أو الحضارية فنحن
الأعلون بالإيمان. د. عبدالله بلقاسم. «ل».

﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ ﴾ **جرح** ﴿ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ
نُذِرُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ **علما يقع عليه الجزاء كما علمه**
أزلياً ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿ ١٤٠ ﴾

﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ ﴾ وفيها - أي أحد- جرح رسول الله ﷺ في وجهه،
وكسرت رباعيته اليمنى السفلى بحجر، وهشمت البيضة من على رأسه ﷺ،
وجزاه عن أمته ودينه بأفضل ما جرى به نبيا من أنبيائه على صبره. القرطبي
* قال مالك رَحِمَهُ اللهُ: قتل من المهاجرين يوم أحد أربعة، ومن الأنصار سبعون
رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُمْ. القرطبي

﴿ ٦٧ ﴾

﴿ وَلِيُمَحِّصَ ﴾ **وليظهر** ﴿ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ ﴾ **يهلك** ﴿ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿ ١٤١ ﴾
أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ ﴿ لما يعلم واقعا منهم؛ وهو سبحانه
عالم قبل ذلك وإنما يجازى على ما وقع، وقال ابن عباس: معنى العلم هاهنا:
الرؤية ﴾ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ ﴿ ﴿ ١٤٢ ﴾

شائعة مقتل النبي ﷺ والواجب على المؤمن حيال ذلك

﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ ﴾ **تتمنون معركة كبد رليل الشهادة**
﴿ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴾ ﴿ ١٤٣ ﴾ **رأي عين**

﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ ﴾ في هذه الآية دليل على أنه لا يكره تمني الشهادة،

ووجه الدلالة أن الله تعالى أقرهم على أمنيته، ولم ينكر عليهم، وإنما أنكر عليهم عدم العمل بمقتضاها. السعدي. «ت».

﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ﴾ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ ﴿، يعني: قد رأيتموه بمرأى منكم ومنظر، أي: بقرب منكم. وكان بعض أهل العربية يزعم أنه قيل: ﴿وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ﴾، على وجه التوكيد للكلام. الطبري

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ رَجَعْتُمْ عَنْ دِينِكُمْ ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤٤)

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ قال قتادة: قال أناس: «لو كان نبياً ما قتل»! وقال أناس من عليّة أصحاب نبي الله ﷺ: «قاتلوا على ما قاتل عليه محمدٌ نبيكم حتى يفتح الله لكم أو تلحقوا به». الطبري

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنَبَأٌ مُّوجِلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤٥) وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ ﴿جَمْعٌ كَثِيرٌ﴾ ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (١٤٦)

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا﴾ أي: هلا فعلتم كما كان أهل الفضل والعلم من أتباع الأنبياء قبلكم يفعلونه إذا قتل نبيهم من المضي على منهاج نبيهم، والقتال على دينه أعداء دين الله، على نحو ما كانوا يقاتلون مع نبيهم. الطبري

﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (١٤٧) فَكَانَتْ لَهُمْ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

التحذير من طاعة الكفار وموالاتهم

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ
 أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ﴿هو وحده﴾
 ينصركم وليس موالة الكفار ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ
 الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ الخوف بعد عزمهم على العودة بعد ارتحالههم من
 أحد ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَهُمُ النَّارُ
 وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ ذلك أن المشركين - بعدما انصرفوا
 من وقعة «أحد» - تشاوروا بينهم، وقالوا: كيف ننصرف بعد أن قتلنا منهم
 من قتلنا، وهزمناهم ولما نستأصلهم؟ فهموا بذلك، فألقى الله الرعب في
 قلوبهم، فانصرفوا خائبين. ولا شك أن هذا من أعظم النصر؛ لأنه قد تقدم أن
 نصر الله لعباده المؤمنين لا يخرج عن أحد أمرين: إما أن يقطع طرفا من الذين
 كفروا، أو يكتبهم فينقلبوا خائبين، وهذا من الثاني. السعدي

عدم طاعة الرماة من أسباب الهزيمة بعد النصر

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ ﴿تقتلونهم﴾ بِإِذْنِهِ ۖ
 حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ ﴿ضعفتم عن الثبات على الطاعة﴾ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي
 الْأَمْرِ ﴿أمر النبي ﷺ للرماة بالبقاء في الجبل﴾ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا
 أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ ﴿من النصر﴾ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ﴿من نزل
 عن الجبل للغنيمة﴾ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴿من ثبت على الجبل حتى
 قتل كعب الله بن جبر ومن معه﴾ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ ﴿حولكم الله عنهم﴾
 وَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَىٰ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾

﴿مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ قال ابن مسعود:
 ما علمنا أن أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ كان يريد الدنيا وعرضها، حتى

كان يومئذ الطبري

﴿ إِذْ تَصْعَدُونَ ﴾ تفرون - أصد إذا ذهب في صعيد الأرض - ﴿ وَلَا تَكُونُوا ﴾ لا تلتفتون ﴿ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ فَأَتْبِكُمْ ﴾ جازاكم ﴿ غَمًّا ﴾ خبر مقتل النبي ﷺ ﴿ بَغْمٍ ﴾ زيادة على الغم الأول وهو فوات النصر والغنيمة ﴿ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ الغم الثاني أنساهم كل ما فاتهم من الغنيمة والنصر ﴿ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ الجراحات ﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ ١٥٣ ﴾

﴿ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ ﴾ عن السدي، قال أتى ابن قمئة الحارثي فرمى رسول الله ﷺ بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجحه في وجهه فأثقله، وتفرق عنه أصحابه ودخل بعضهم المدينة وانطلق طائفة فوق الجبل إلى الصخرة، وجعل رسول الله ﷺ يدعو الناس: إلي عباد الله، إلي عباد الله. فاجتمع إليه ثلاثون رجلا ... فشا في الناس أن رسول الله ﷺ قد قتل. السيرة النبوية لابن كثير

﴿ ٦٩ ﴾

الأمنة على المؤمنين، وعفو الله عن من زل منهم، وحال المنافقين مع القضاء والقدر

﴿ ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنٌ ﴾ أمنا وعدم خوف ﴿ نَعَسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِنْكُمْ ﴾ تصديقاً لقول النبي ﷺ إن ركبوا الإيل فهم عائدون لمكة فصديق المؤمنون وأمنوا ونعسوا ﴿ وَطَآئِفَةٌ ﴾ أى: المنافقون ﴿ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾ يخافون رجوع الكفار إلى المدينة ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ يظنون أن دين الإسلام ليس بحق، وأن أمر محمد ﷺ يضمحل ﴿ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا ههنا ﴾ أى لم نخرج من المدينة ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾

مصارعهم ﴿وَلَيَبْتَلىَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿١٥٤﴾

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ كانوا خرجوا طمعا في الغنيمة، وخوف المؤمنين. فلم يغشهم النعاس، وجعلوا يتأسفون على الحضور. القرطبي

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ﴾ انهزموا عن القتال ﴿يَوْمَ اتَّقَى الْجَمْعَانِ﴾ أثناء المعركة ﴿إِنَّمَا أَسْتَرْزَلَهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ من الذنوب ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿١٥٥﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِأَخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى ﴿سافروا لطلب الرزق أو كانوا غزاة مجاهدين فقتلوا﴾ ﴿لَوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَاقَتُلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِك﴾ أى: الاعتقاد الفاسد ﴿حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتْتُمْ لِمَغْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتْتُمْ لِمَغْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أخبر تعالى أن القتل في سبيله أو الموت فيه، ليس فيه نقص ولا محذور، وإنما هو مما ينبغي أن يتنافس فيه المتنافسون، لأنه سبب مفض وموصل إلى مغفرة الله ورحمته، وذلك خير مما يجمع أهل الدنيا من دنياهم. السعدي

﴿ ٧٠ ﴾

﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿١٥٨﴾

أهمية الشورى، ووجوب طاعة الرسول، وشيء من صفاته

﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا﴾ سىء الخلق ﴿غَلِظَ الْقَلْبُ لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ وهو المؤيد بالوحي والمعجزات فكيف بمن غيره ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ﴿١٥٩﴾

﴿ فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِنْ لَّهُمْ ﴾ الأخلاق الحسنة من الرئيس في الدين، تجذب الناس إلى دين الله، وترغبهم فيه، مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة من الرئيس في الدين تنفر الناس عن الدين، وتبغضهم إليه، مع ما لصاحبها من الذم والعقاب الخاص، فهذا الرسول المعصوم يقول الله له ما يقول، فكيف بغيره؟! أليس من أوجب الواجبات، وأهم المهمات، الاقتداء بأخلاقه الكريمة، ومعاملة الناس بما يعاملهم به ﷺ من اللين وحسن الخلق والتأليف، امتثالاً لأمر الله، وجذباً لعباد الله لدين الله. السعدي

﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُم مِّنْ بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ﴾ يأخذ من الغنيمة قبل القسمة ﴿ وَمَنْ يَغُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ﴾ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «نزلت هذه الآية في قطيفة حمراء، فقدت يوم بدر، فقال: بعض الناس لعل رسول الله ﷺ أخذها، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ﴾ إلى آخر الآية». سنن أبي داود

﴿ أَفَمَن أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ ﴾ رجع ﴿ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَهَّ جَهَنَّمَ وَبَشَّ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَزُكْرِيَّتَهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْقُرْآنَ ﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾ السنة ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ من قبل بعثته ﴿ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾

مصيبة المسلمين في أحد، وسببها، وشيء من حكمها

﴿ أَوَلَمَّا أَصَبَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ ﴾ قتل منكم بأحد ٧٠ ﴿ قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَهَا ﴾ قتلتم بدر ٧٠ وأسرتم ٧٠ ﴿ فَلْتُمْ أَنَّى هَذَا ﴾ من أين أتت الهزيمة ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ بتقصيركم بتنفيذ أمر النبي ﷺ ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّتَيِّ الْجَمْعَانِ﴾ **بأحد** ﴿فَيَا ذِينَ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٦٦﴾
يتميز المؤمن من المنافق ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْ فَنُقِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ
 أَدْفَعُوا﴾ **عن محارمكم وبلدكم، إن لم يكن لكم نية صالحة** ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ
 قِتَالًا﴾ **لو نطن أن هناك قتال** ﴿لَاتَّبَعْنَكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ
 لِلْإِيمَنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ ﴿١٦٧﴾

﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَكُمْ﴾ يعني تعالى ذكره بذلك عبد الله بن أبي ابن
 سلول المنافق وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه، حين
 سار نبي الله ﷺ إلى المشركين بأحد لقتالهم، فقال لهم المسلمون: تعالوا قاتلوا
 المشركين معنا، أو ادفعوا بتكثيركم سوادنا! فقالوا: لو نعلم أنكم تقتاتلون
 لسرنا معكم إليهم، ولكننا معكم عليهم، ولكن لا نرى أنه يكون بينكم وبين
 القوم قتال! فأبدوا من نفاق أنفسهم ما كانوا يكتُمونه، وأبدوا بالستهم
 بقولهم: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَكُمْ﴾، غير ما كانوا يكتُمونه ويخفونه من
 عداوة رسول الله ﷺ وأهل الإيمان به. الطبري

﴿هُم لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَنِ﴾ استدلوا به على أن الشخص قد
 تنقلب به الأحوال، فيكون في حال أقرب إلى الكفر، وفي حال أقرب إلى
 الإيمان. ابن كثير

﴿الَّذِينَ قَالُوا لِأَخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا﴾ **عن الجهاد** ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ **في أحد**
 ﴿قُلْ فَأَدْرَأُ عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٦٨﴾

فضل الشهادة في سبيل الله

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ﴿١٦٩﴾

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ جاء في
 صحيح مسلم: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش،
 تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم

اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا».

﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَهُمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾

غزوة حمراء الأسد التي تلت أحد

﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾ الجراح ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ ﴿هو كافينا﴾ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ ذلك أن النبي ﷺ رأى أن يرفع معنويات أصحابه الذين كلموا وهزموا يوم السبت بأحد، وأن يهرب أعداءه، فأمر مؤذناً يؤذن بالخروج في طلب أبي سفيان وجيشه، فاستجاب المؤمنون وخرجوا - وإن منهم للمكلموم، والمجروح - وإن أخوين جريحين كان أحدهما يحمل أخاه على ظهره فإذا تعب وضعه فمشى قليلاً، ثم حمله حتى انتهى رسول الله ﷺ وأصحابه إلى حمراء الأسد، وألقى الله تعالى الرعب في قلب أبي سفيان فارتحل هارباً إلى مكة. الجزائري

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ جاء في تفسير ابن كثير أن أبا سفيان قال لركب متوجه للمدينة: «إذا وافيتموه - محمداً ﷺ - فأخبروه أنا قد أجمعنا المسير إليه وإلى أصحابه؛ لنستأصل بقيتهم، فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان وأصحابه، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل». ابن كثير

﴿فَانْقَلِبُوا﴾ رجعوا ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهِنَّ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾

تسليّة الرسول، والوعيد للكفار ومانعي النفقة في أوجه الخير كالجهاد، وبيان بعض حكم الابتلاء

﴿وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ ﴿نمهلهم بطول البقاء﴾ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴿بالابتلاء﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ يَصْطَفِيٰ ﴿من رُسُلِهِ من يشاء﴾ فَمَا تَمْنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَاءِ أَنفُسِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿١٨٠﴾﴾

﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل له مال لا يؤدي حق ماله، إلا جعل له طوقاً في عنقه، شجاع أقرع، وهو يفر منه وهو يتبعه»، ثم قرأ مصداقه من كتاب الله عز وجل: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَاءِ أَنفُسِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ الآية. سنن النسائي

تسليّة الرسول عن تكذيب أهل الكتاب

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾

فِي صَحَائِفِهِمْ وَنَكْتُبُ كَذَلِكَ ﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ﴿١٨١﴾

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ قال أبو بكر لفنحاص: اتق الله وأسلم، فو الله إنك لتعلم أن محمدا رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله، تجددونه مكتوبا عندكم في التوراة، فأمن، وصدق، وأقرض الله قرضا حسنا؛ يدخلك الجنة، ويضاعف لك الثواب. فقال فنحاص: يا أبا بكر تزعم أن ربنا يستقرض أموالنا، وما يستقرض إلا الفقير من الغني؟ فإن كان ما تقول حقا؛ فإن الله إذا الفقير ونحن أغنياء، وإنه ينهاكم عن الربا ويعطينا، ولو كان غنيا ما أعطانا الربا، فغضب أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وضرب وجهه فنحاص ضربة شديدة، وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك؛ لضربت عنقك يا عدو الله. البغوي

﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ﴾ كانوا راضين بما فعل أوائلهم من قتل من قتلوا من الأنبياء، وكانوا منهم، وعلى منهاجهم من استحلال ذلك واستجازته. الطبري

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ﴿١٨٢﴾

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ﴾ عبر بها عن الإنسان؛ لأن أكثر الأعمال تزاوُل بها. تفسير الجلالين.

﴿الَّذِينَ﴾ اليهود ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾ أوصانا ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ﴾ صدقة يتقرب بها إلى الله ﴿تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٨٣﴾

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ﴾ فجمعوا بين الكذب على الله، وحصر آية الرسل بما قالوه من هذا الإفك المبين، وأنهم إن لم يؤمنوا برسول لم يأتهم بقربان تأكله النار، فهم - في ذلك - مطيعون لربهم، ملتزمون وعهده، وقد علم أن كل رسول يرسله الله، يؤيده من الآيات

والبراهين، ما على مثله آمن البشر، ولم يقصرها على ما قالوه. السعدي

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ **المعجزات**
﴿وَالزُّبُرِ﴾ الكتب الكاشفة للظلمات **﴿وَالكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾** (١٨٤) **﴿كَالتَّورَةِ**

والإنجيل

الموت ومن الفائز بعده

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ﴾ **أبعد** ﴿عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْعُرُورِ﴾ (١٨٥) ﴿**متاع زائل لا يتعلق به إلا المخدوع**﴾ ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١٨٦)

﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ في الصحيحين أنه ﷺ مر بابن أبي وهو على حمار، فدعاه إلى الله تعالى، فقال ابن أبي: إن كان ما تقول حقا فلا تؤذنا به في مجالسنا! ارجع إلى رحلك، فمن جاءك فاقصص عليه. وقبض على أنفه؛ لئلا يصيبه غبار الحمار، فقال ابن رواحة: نعم يا رسول الله، فاغشنا في مجالسنا، فإننا نحب ذلك. واستبّ المشركون الذين كانوا حول ابن أبي والمسلمون، وما زال النبي ﷺ يسكنهم حتى سكنوا. ثم دخل على سعد بن عباد يعبده وهو مريض، فقال: «ألم تسمع ما قال فلان» فقال سعد: اعف عنه واصفح، فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاءك الله بالحق الذي نزل، وقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه ويعصبوه بالعصاة، فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاكه؛ شرق به، فذلك فعل به ما رأيت. فعفا عنه رسول الله ﷺ. القرطبي وقال القرطبي ونزلت هذه الآية.

نَبَذَ أَهْلَ الْكِتَابِ لِلْعَهْدِ الَّذِي أَخَذَ عَلَيْهِمْ

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ، ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُخْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (١٨٧)

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ قال ﷺ:

«من سئل عن علم فكتمه أجم يوم القيامة بلجام من نار». أبو داود

* قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا. البغوي

* قال أبو هريرة: لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء. القرطبي

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا﴾ من إضلال الناس ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ ﴿بِمَكَانٍ يَنْجُونَ بِهِ﴾ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾

من دلائل وحدانية الله، وصفات من يستفيد منها وهم أولو الألباب

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ تعاقبهما والزيادة والنقصان ﴿لَا يَتَّبِعُ أَوَّلَى الْأَلْبَابِ﴾ (١٩٠)

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ...﴾ ختم تعالى هذه السورة بالأمر بالنظر والاستدلال في آياته، إذ لا تصدر إلا عن حي قيوم قدير قدوس سلام غني عن العالمين؛ حتى يكون إيمانهم مستندا إلى اليقين، لا إلى التقليد. القرطبي

* عن ابن عباس «أنه بات ليلة عند ميمونة أم المؤمنين -وهي خالته- قال: فاضطجعت في عرض الوسادة، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها، فنام رسول الله ﷺ حتى انتصف الليل، أو قبله بقليل، أو بعده بقليل، استيقظ رسول الله ﷺ، فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران، ثم قام إلى شن معلقة، فتوضأ منها فأحسن وضوءه، ثم قام فصلى، قال ابن عباس: فقامت فصنعت مثل ما صنع رسول

الله ﷻ، ثم ذهبت فقمتم إلى جنبه، فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي، وأخذ بأذني اليمنى يفتلها، فصلى...» صحيح مسلم
﴿لَا يَنْتِ لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ عن عائشة مرفوعاً: ويل لمن قرأ هذه الآية ولم يتفكر فيها. الشوكاني

* قيل لأم الدرداء: ما كان أكثر شأن أبي الدرداء؟ قالت: كان أكثر شأنه التفكير. القرطبي

* قال عبد الرحمن بن سليمان: سألت الأوزاعي عن أدنى ما يتعلق به المتعلق من الفكر فيهن، وما ينجيه من هذا الويل؟ فأطرق هنية ثم قال: يقرؤهن وهو يعقلهن. ابن كثير

﴿لَا يَنْتِ لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ لم يقل: (على المطلب الفلاني)؛ إشارة لكثرتها وعمومها، وذلك لأن فيها من الآيات العجيبة ما يبهر الناظرين، ويقنع المتفكرين، ويجذب أفئدة الصادقين، وينبه العقول النيرة على جميع المطالب الإلهية، فأما تفصيل ما اشتملت عليه، فلا يمكن لمخلوق أن يحصره، ويحيط ببعضه، وفي الجملة فما فيها من العظمة والسعة، وانتظام السير والحركة، يدل على عظمة خالقها، وعظمة سلطانه وشمول قدرته. وما فيها من الإحكام والإتقان، وبديع الصنع، ولطائف الفعل، يدل على حكمة الله ووضع الأشياء مواضعها، وسعة علمه. وما فيها من المنافع للخلق، يدل على سعة رحمة الله، وعموم فضله، وشمول بره، ووجوب شكره. وكل ذلك يدل على تعلق القلب بخالقها ومبدعها، وبذل الجهد في مرضاته، وأن لا يشرك به سواه، ممن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. وخص الله بالآيات أولي الأبواب، وهم أهل العقول؛ لأنهم هم المتفكرون بها، الناظرون إليها بعقولهم لا بأبصارهم. السعدى

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١١١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ (١١٢) رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا

مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ ﴿الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ ﷺ﴾ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَأَمَّا رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ ﴿اسْتَرْ﴾ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاثِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

﴿رَبَّنَا وَءَاثِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ وسؤالهم ذلك - وإن كان وعده تعالى لا يخلف - سؤال أن يجعلهم من مستحقيه؛ لأنهم لم يتيقنوا استحقاقهم له. تفسير الجلالين

* وقيل: أنه سؤال لتعجيل ما وعدهم من النصر على الأعداء؛ لأنه وعدهم نصرا غير مؤقت، فرغبوا في تعجيله. ينظر: تفسير ابن الجوزي

﴿٧٥﴾

ثواب الله المعد لأولي الألباب

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنُفِي بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَأَلْزَمَ الْكُفْرَ هَاجِرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتِّلُوا وَقَتِّلُوا لَا تُكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا تُدْخِلْنَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ قال أبو الدرداء: يرحم الله المؤمنين ما زالوا يقولون: ربنا ربنا، حتى استجيب لهم. الثعالبي

عدم الاغترار بأهل الدنيا، وبيان أجر المتقين، وتوجيهات لهم

﴿لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ تنقلهم وسعة عيشهم ﴿فِي أَلْيَدٍ﴾ ﴿١٩٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ ما مهدوه لأنفسهم ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا﴾ ضيافة ومنزلاً ﴿مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴿كالنجاشي وعبدالله بن سلام﴾ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴿فيكتمونها خوفا على رئاسة الدنيا كحال اليهود﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ

عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا ﴿﴾ غَالِبُوهُمْ بِالْصَّبْرِ حَتَّى تَكُونُوا أَكْثَرَ صَبْرًا مِنْهُمْ ﴿وَرَابِطُوا﴾ بِالْجِهَادِ بِأَنْوَاعِهِ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٢٠٠﴾

﴿وَرَابِطُوا﴾ عن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ، قال: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله، أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها». صحيح البخاري

* عن شرحبيل بن السمط، عن سلمان، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأجرى عليه رزقه، وأمن الفتان». صحيح مسلم

* عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟» قالوا بلى يا رسول الله قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط». صحيح مسلم

سورة النساء

سورة النساء سورة مدنية، فيها جملة من الأحكام الشرعية لصالح المجتمع، وفيها التحذير من اليهود والمنافقين، والحث على الجهاد، وفي ثانيا ذلك توجيهات للمؤمنين، وبيان أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَام إنما هو نبي كحال من سبقه.

من موضوعات السورة:

سورة النساء سورة مدنية نجد فيها:

* تنظيم المجتمع المسلم من داخله من خلال بيان جملة من الأحكام المالية والأسرية والاجتماعية؛ والتأكيد على الأمانة والعدل، حفظاً للحقوق، وبعداً عن رواسب الجاهلية.

* تحذير المجتمع المسلم من اليهود، وبيان دورهم في إفساد المجتمع، والحديث

عن المنافقين ونفورهم عن تحكيم الشريعة، والحث على الجهاد، وبيان دوره في حماية المجتمع المسلم، وحال المنافقين معه.

* وفي ثنايا ذلك توجيهات للمؤمنين فيها صلاح للفرد والمجتمع، وتأكيد على التحذير من الكافرين والمنافقين وأهل الكتاب، وبيان لبعض انحرافاتهم.

* بيان أن الوحي على الأنبياء إنما هو لهداية الناس، وبيان أن عيسى عليه السلام إنما هو نبي كحال من سبقه.

مما ورد في بعض آياتها:

* جاء في مستدرك الحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: «إن في سورة النساء خمس آيات ما يسرني أن لي بها الدنيا وما فيها ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٠]، ﴿ إِنْ تَحْتَبُوا كَبَائِرَ مَا نُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النساء: ٣١]، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤]، ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠]» قال عبد الله: «ما يسرني أن لي بها الدنيا وما فيها». قال الحاكم: «هذا إسناد صحيح إن كان عبد الرحمن سمع من أبيه فقد اختلف في ذلك».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأمر بالتقوى، والأمر بحفظ حق اليتيم والمرأة

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ **أى: وكذلك اتقوا الأرحام أن تقطعوها** ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ تأمل كيف افتتح هذه السورة بالأمر بالتقوى، وصلة الأرحام والأزواج عموماً، ثم بعد ذلك فصل هذه الأمور أتم تفصيل، من أول السورة

إلى آخرها. فكأنها مبنية على هذه الأمور المذكورة، مفصلة لما أجمل منها، موضحة لما أبهم. السعدي

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ منبّههم بذلك على أن جميعهم بنو رجل واحد، وأم واحدة، وأن بعضهم من بعض، وأن حق بعضهم على بعض واجب وجوب حق الأخ على أخيه؛ لاجتماعهم في النسب إلى أب واحد، وأم واحدة. الطبري
﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ قال ابن عباس: لما خلق الله آدم، ألقى عليه النوم، فخلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى، فلم تؤذ بشيء، ولو وجد الأذى ما عطف عليها أبدا. ابن الجوزي

﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ فسرهما الحديث الصحيح: «إن المرأة خلقت من ضلع»، وهو ضلع الصدر، وهذا فيه إشارة ظاهرة إلى طبيعة التكامل بين الرجل والمرأة، فالمرأة خلقت من الرجل، ومن ضلعه تحديداً لا ليخنقها، بل ليعطف عليها بجناحه حباً وحماية لها، كما يفعل بأضلاع صدره، وهي كذلك لتبقى في محلها، فإن نشوز عظم الصدر مؤلم، بل ترق وتلين له كما الضلع في رقبته ولين. د. عصام العويد. ليدبروا آياته.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ وكذلك من الموجب الداعي لتقواه تساؤلكم به وتعظيمكم، حتى إنكم إذا أردتم قضاء حاجاتكم ومآربكم، توسلتم بها بالسؤال بالله. فيقول من يريد ذلك لغيره: أسألك بالله أن تفعل الأمر الفلاني؛ لعلمه بما قام في قلبه من تعظيم الله الداعي أن لا يرد من سأله بالله، فكما عظمتوه بذلك فلتعظموه بعبادته وتقواه. السعدي

﴿وَأَتُوا إِلَيْنَا أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ كانوا في الجاهلية يضمنون مال اليتيم الطيب إلى مال الولي الرديء وعند القسمة يبدل هذا بهذا ﴿وَلَا تَأْكُلُوا﴾ تضموا ﴿أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا﴾ إثمًا ﴿كَبِيرًا﴾ ٢ ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا﴾ تعدلوا في المهر والتعامل ﴿فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ أي: غير اليتيمات ﴿مَتْنًى وَثَلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ ٣ ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ ألا تجوروا وتظلموا

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ أخرج البخاري عن عائشة: أن رجلاً كانت له يتيمة فنكحها، وكان لها عذق فكان يمسكها عليه، ولم يكن لها من نفسه شيء، فنزلت: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ ... وعن سعيد بن جبير في قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ قال: كان الرجل يتزوج ما شاء فقال: كما تخافون ألا تعدلوا في اليتامى فخافوا ألا تعدلوا فيهن، فقصرهم على الأربع. الشوكاني.

﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ﴾ المقام مقام امتنان وإباحة، فلو كان يجوز الجمع بين أكثر من أربع لذكره. ابن كثير.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ أي: لا تجوروا في القسم. هكذا قال السلف وجمهور العلماء. وظن طائفة من العلماء أن المراد أن لا تكثر عيالكم؛ ... وغلط من قال ذلك لفظاً ومعنى؛ أما اللفظ فلا لأنه يقال عال يعول إذا جار؛ وعال يعيل إذا افتقر وأعال، يعيل إذا كثر عياله؛ وهو سبحانه قال: ﴿تَعُولُوا﴾ لم يقل تعيلوا؛ وأما المعنى فإن كثرة النفقة والعيال يحصل بالتسري، كما يحصل بالزوجات، ومع هذا فقد أباح مما ملكت اليمين. ينظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية.

المهر للمرأة، والحجر على السفهاء، واختبار اليتامى عند الرشد

﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ﴾ مهورهن ﴿نَحْلَةً﴾ فريضة عن طيب نفس ﴿فَإِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَاءً مَّرِيًّا﴾ ﴿٤﴾ ﴿حَلَالًا طَيِّبًا﴾ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ ﴿٥﴾ اجعلوا لهم منها نفقة ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ ﴿٥﴾ بالوعد بدفع كامل مال اليتيم له عند الرشد

﴿فَإِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ فإذا ظهر منها ما يدل على عدم طيبة نفسها لم يحل للزوج ولا للولي. الشوكاني

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ إنما أضاف إلى الأولياء فقال: أموالكم؛ لأنهم قوامها ومدبروها، والسفيه الذي لا يجوز لوليه أن يؤتیه ماله هو المستحق الحجر عليه، وهو أن يكون مبذراً في ماله، أو مفسداً في دينه. البغوي.

ومما جاء في تفسير القرطبي

* قال ابن عباس: لا تدفع مالك الذي هو سبب معيشتك إلى امرأتك وابنتك وتبقى فقيرا تنظر إليهم وإلى ما في أيديهم، بل كن أنت الذي تنفق عليهم. فالسفهاء على هذا هم النساء والصبيان، صغار ولد الرجل وامراته. القرطبي **﴿وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾** في الآية دليل على أن نفقة المجنون والصغير والسفيه في مالهم إذا كان لهم مال، لقوله: **﴿وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾**. وفيه دليل على أن قول الولي مقبول فيما يدعيه من النفقة الممكنة والكسوة؛ لأن الله جعله مؤتمنا على مالهم فلزم قبول قول الأمين. السعدى

﴿وَابْتَلُوا﴾ **اختبروا** **﴿الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ﴾** **علمتم** **﴿مِّنْهُمْ رُّشْدًا﴾** **حسن تصرف** **﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾** **مبادرة قبل كبرهم** **﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾** **عن الأكل من مال** **اليتيم** **﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾** **فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم** **﴿عند الدفع﴾** **﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾** **محاسبًا وشاهدًا**

﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِّنْهُمْ رُّشْدًا﴾ استدلل بهذه الآية على جواز الحجر على السفهاء، وبه قال الجمهور. وقال أبو حنيفة: لا يحجر على من بلغ عاقلًا. الشوكاني * لا يسلم له المال حتى يؤنس منه الرشد عند الجمهور، خلافا للحنفية الذين يرون وجوب التسليم عند بلوغ الخامسة والعشرين بلا شرط.

﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ يجوز إطعام اليتيم من ماله ولا يجوز للولي الفقير الأكل من مال اليتيم إلا الأقل (من حاجته أو أجرة مثله). وهو المذهب واختيار شيخ الإسلام، ولا يلزم بإعادته عند الميسرة خلافا لأبي يوسف من الحنفية.

والأولى أن يتعفف عن الأكل مطلقاً.

﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا﴾ معنى الكلام: أحسنوا فيمن وليتم من اليتامى، كما تحبون أن يحسن ولاية أولادكم بعدكم، وهذا المعنى مروى عن ابن عباس. ابن الجوزي

* قال ابن عطية: الرجل إذا ترك ورثته مستقلين بأنفسهم أغنياء حسن أن يندب إلى الوصية، ويحمل على أن يقدم لنفسه. وإذا ترك ورثة ضعفاء مهملين مقلين حسن أن يندب إلى الترك لهم والاحتياط، فإن أجره في قصد ذلك كأجره في المساكين. القرطبي

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتَمَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ سيدخلون ﴿١٠﴾

﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ قيل: سيأكلون يوم القيامة نارا، فسمي الأكل بما يؤول إليه أمرهم، وقيل: يأكلون ما يصيرون به إلى النار. ابن الجوزي
﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ فهذا ونحوه من نصوص الوعيد حق، لكن الشخص المعين لا يشهد عليه بالوعيد، فلا يشهد لمعين من أهل القبلة بالنار؛ لجواز أن لا يلحقه الوعيد؛ لفوات شرط، أو ثبوت مانع، فقد لا يكون التحريم بلغه، وقد يتوب من فعل المحرم، وقد تكون له حسنات عظيمة تمحو عقوبة ذلك المحرم، وقد يتلى بمصائب تكفر عنه، وقد يشفع فيه شفيع مطاع. ابن تيمية في مجموع الفتاوى

ميراث الأولاد، وميراث الأبوين

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ أى: كان الوارثات بنات دون أبناء ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثًا مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ والباقي للأب ﴿إِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ أى: اثنان فأكثر ﴿فَلِأُمِّهِ الشُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا﴾ وتكون الوصية في حدود الثلث كحد أعلى لغير وارث ﴿أَوْ دَيْنٍ أَوْ بَأْوَكُمُ وَأَبْنَاؤَكُمُ لَا

تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

﴿وَوَرِثُهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ لو وجد مع الأبوين أحد الزوجين - ويعبر عنهما بالعمريتين - فإن الزوج أو الزوجة يأخذ فرضه، ثم تأخذ الأم ثلث الباقي، والأب الباقي، وقد دل على ذلك قوله: ﴿وَوَرِثُهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ أي: ثلث ما ورثه الأبوان. السعدي

* لو لم يكن تفردهما شرطاً لم يكن في قوله: ﴿وَوَرِثُهُ أَبَوَاهُ﴾ فائدة، وكان تطويلاً يغني عنه قوله: (فإن لم يكن له ولد فلأُمِّهِ الثُّلُثُ) فلما قال: ﴿وَوَرِثُهُ أَبَوَاهُ﴾ علم أن استحقاق الأم الثلث موقوف على الأمرين، وهو - سبحانه - ذكر أحوال الأم كلها نصاً وإيماءً، فذكر أن لها السدس مع الإخوة، وأن لها الثلث كاملاً مع عدم الولد وتفرد الأبوين بالميراث، بقي لها حالة ثالثة - وهي مع عدم الولد، وعدم تفرد الأبوين بالميراث - وذلك لا يكون إلا مع الزوج والزوجة، فإما أن تعطى في هذه الحال الثلث كاملاً، وهو خلاف مفهوم القرآن، وإما أن تعطى السدس فإن الله - سبحانه - لم يجعله فرضها إلا في موضعين: مع الولد، ومع الإخوة، وإذا امتنع هذا وهذا كان الباقي بعد فرض الزوجين هو المال الذي يستحقه الأبوان، ولا يشاركهما فيه مشارك، فهو بمنزلة المال كله إذا لم يكن زوج ولا زوجة، فإذا تقاسماه أثلاثاً كان الواجب أن يتقاسما الباقي بعد فرض الزوجين كذلك؟. ابن القيم في إعلام الموقعين

﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ الإجماع على أن الدين مقدم على الوصية. ومعنى الآية الجمع لا الترتيب، وبيان أن الميراث مؤخر عن الدين والوصية جميعاً. البغوي

* قدم الوصية مع أنها مؤخرة عن الدين؛ للاهتمام بشأنها، لكون إخراجها شاقاً على الورثة، وإلا فالديون مقدمة عليها، وتكون من رأس المال. السعدي
﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه النفع في الآخرة، فالوالد إذا كان أرفع درجة من ولده، رفع إليه ولده، وكذلك الولد، رواه أبو صالح، عن

ابن عباس.

والقول الثاني: أنه النفع في الدنيا، قاله مجاهد. ينظر: زاد المسير.

﴿ ٧٨ ﴾

ميراث الزوج والزوجة، وميراث الأخوة لأم حال الكلالة - من لا ولد له ولا والد-

﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ ﴿ أَيْ: لَام ﴾ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ﴾ بالتساوي بين الذكر والأنثى ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ ﴿ ١٢ ﴾

﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً ﴾ ﴿ سئل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الكلالة فقال: إني سأقول فيها برأيي، فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان، أراه ما خلا الوالد والولد. البغوي ﴾ ﴿ غَيْرَ مُضَارٍّ ﴾ أي: غير مدخل الضرر على الورثة بمجاوزة الثلث في الوصية، قال الحسن: هو أن يوصي بدين ليس عليه. البغوي

الوعد لمن أطاع، والوعيد لمن عصى حدود الله

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ﴿ ١٣ ﴾ ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ ﴿ ١٤ ﴾

﴿ ٧٩ ﴾

الموقف ممن وقع في الزنا، والتوبة

﴿وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾ **أى: يمنع من خلطة الناس** ﴿حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ **طريقاً للخروج** بتشريع جديد، ونزل البيان بعد ذلك بحد الزنا

﴿وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَاحِشَةُ﴾ لما ذكر سبحانه في هذه السورة الإحسان إلى النساء، وإيصال صدقاتهن إليهن، وميراثهن مع الرجال، ذكر التغليظ عليهن فيما يأتين به من الفاحشة؛ لئلا يتوهمن أنه يسوغ لهن ترك التعفف. الشوكاني ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ هذه الآية ليست منسوخة، وإنما هي مغياة إلى ذلك الوقت. السعدي

﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ﴾ **أى: الفاحشة** ﴿فَعَاذُوهُمَا﴾ **أى: بالضرب** **(ونسخت بحد الزنا)** ﴿فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرَضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ **﴿١٦﴾** **إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ** **سفه** ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ **قبل الغرغرة** ﴿فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ **﴿١٧﴾**

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ﴾ عن قتادة أنه قال: أجمع أصحاب رسول الله ﷺ: على أن كل معصية فهي بجهالة عمدا كانت أو جهلا. الشوكاني * قال الزجاج: يعني قوله ﴿بِجَهْلَةٍ﴾ اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية. القرطبي

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ **﴿١٨﴾** **مضارة المرأة لتختلع**

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ كانت المرأة في الجاهلية تكون من ضمن الميراث ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ تمسكوهن مضارين لهن ﴿لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهر ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحْشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ كالزنى فلكم مضارتهن حتى الخلع ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ﴿١٩﴾

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ كانوا في الجاهلية إذا مات أحدهم عن زوجته، رأى قريبه كأخيه وابن عمه ونحوهما أنه أحق بزوجه من كل أحد، وحماها عن غيره، أحبت أو كرهت. فإن أحبها تزوجها على صداق يحبه دونها، وإن لم يرضها عضلها فلا يزوجه إلا من يختاره هو، وربما امتنع من تزويجها حتى تبذل له شيئاً من ميراث قريبه أو من صداقها.

السعدي

﴿٨٠﴾

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتَبْدَالَ زَوْجٍ مَكَاتٍ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ أَحَدَهُنَّ قِنْطَارًا﴾ مالا كثيراً ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا﴾ كذباً وظلماً ﴿وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ ﴿٢٠﴾

﴿وَءَاتَيْتُمْ أَحَدَهُنَّ قِنْطَارًا﴾ أخرج سعيد بن منصور وغيره أن عمر نهى الناس أن يزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمئة درهم، فاعترضت له امرأة من قريش، فقالت: أما سمعت ما أنزل الله: ﴿وَءَاتَيْتُمْ أَحَدَهُنَّ قِنْطَارًا﴾ فقال: اللهم غفرا كل الناس أفقه من عمر، فركب المنبر فقال: يا أيها الناس! إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمئة درهم، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب. الشوكاني.

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ بالجماع والخلوة ﴿وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ ﴿٢١﴾

﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ هل يتقرر المهر بوجود الخلوة أم لا؟ ...

الصحيح استقراره بالخلوة مطلقا. القرطبي

المحرمات من النساء

﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَهَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ **ما مضى يغفره الله** ﴿إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ ﴿٢٢﴾

﴿وَمَقْتًا﴾ أي: بغضا، أي هو أمر كبير في نفسه، ويؤدي إلى مقت الابن أباه بعد أن يتزوج بامرأته، فإن الغالب أن من تزوج بامرأة يبغض من كان زوجها قبله؛ ولهذا حرمت أمهات المؤمنين على الأمة؛ لأنهن أمهات، لكونهن زوجات النبي ﷺ، وهو كالأب للأمة، بل حقه أعظم من حق الآباء بالإجماع، بل حبه مقدم على حب النفوس صلوات الله وسلامه عليه. ابن كثير

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ أَلَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِّنَ الرِّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمْ﴾ **بنات نسائكم من غيركم** ﴿الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ **يترين غالبًا في بيتكم** ﴿مِّن نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ﴿٢٣﴾

﴿٨١﴾

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ **المتزوجات** ﴿مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ **من السبي بعد الاستبراء** ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ **كتب ذلك عليكم** ﴿وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا﴾ **تطلبوا** ﴿بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ﴾ **العفة عن الحرام** ﴿غَيْرَ مُسْفَحِينَ﴾ **قاصدين الزنا** ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ **مهورهن** ﴿فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَايَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿٢٤﴾

﴿وَأَحَلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ﴾ كُلُّ مَا لَمْ يَأْتِ النَّهْيُ عَنْهُ فَإِنَّهُ حَلَالٌ طَيِّبٌ. فالحرام محصور والحلال ليس له حد ولا حصر، لطفًا من الله ورحمة وتيسيرًا للعباد. ينظر: تفسير السعدي بتصرف.

حكم الزواج بالأمة

﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا﴾ **أى: لقلة ماله** ﴿أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ **الحرائر** ﴿الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَنَيْتِكُمْ﴾ **إمائكم** ﴿الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ﴾ **عفيفات** ﴿غَيْرِ مُسَفِّحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ **مصاحبات لشباب سرا** ﴿فَإِذَا أَحْصَيْتَ فَإِنْ أَتَيْتَ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾ **الحرائر** ﴿مِنْ الْعَذَابِ﴾ **الحد** ﴿ذَٰلِكَ﴾ **جواز الزواج بالأمة عند عدم القدرة على نكاح الحرة** ﴿لَمَنْ خَشِيَ أَلْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾ **الوقوع في الزنا** ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾ **فلا يتزوج الأحرار الإماء** ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ **يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن** **الذين من قبلكم** ﴿طرائق الأنبياء فيما حل وحرم﴾ **ويتوب عليكم** **والله** **عليه حكيم** ﴿٢٦﴾

﴿٨٢﴾

رحمته سبحانه بالمؤمنين، والنهي عن الكسب الحرام

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾ ﴿٢٧﴾

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾ **فاختاروا لأنفسكم أولى الداعين، وتخيروا أحسن الطريقتين.** **السعدي**

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ **يسهل عليكم أحكام الشرع** ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ

ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾

﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ قال طاووس: ليس يكون الإنسان في شيء أضعف منه في أمر النساء. القرطبي

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ عن عمرو بن العاص قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيمنت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟» فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلت إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً. أبو داود

﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكْفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴿الذُّنُوبُ الصَّغِيرَةُ﴾ ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ ﴿٣١﴾

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ﴾ أحسن ما حدث به الكبائر، أن الكبيرة ما فيه حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، أو نفي إيمان، أو ترتيب لعنة، أو غضب عليه. السعدي

* عن طاووس قال: قلت لابن عباس: ما السبع الكبائر؟ قال: هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع. ابن كثير

* عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، إن كنا لنعدها على عهد النبي ﷺ من الموبقات». البخاري

التأكيد على حفظ الحقوق المالية، والنهي عن الحسد

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا﴾ **من الخير** ﴿وَاللِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ﴿٣٢﴾

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ قال قتادة: كان الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصبيان، فلما ورثوا وجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، تمنى النساء أن لو جعل أنصباؤهن كأنصباء الرجال. وقال الرجال: إنا لنرجو أن نفضل على النساء بحسناتنا في الآخرة كما فضلنا عليهن في الميراث، فنزلت، ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا...﴾. القرطبي

* عن مجاهد، قال: قالت أم سلمة: أي رسول الله، أغزو الرجال ولا نغزو، وإنما لنا نصف الميراث؟ فنزلت: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ﴾. الطبري

* قال ابن عباس: لا يتمنى الرجل، يقول: «ليت أن لي مال فلان وأهله»! فنهى الله سبحانه عن ذلك، ولكن ليسأل الله من فضله. الطبري

* قال الحسن: تمنى مال فلان، ومال فلان! وما يدريك؟ لعل هلاكه في ذلك المال! الطبري

* أما حديث النبي ﷺ في قوله: «وددت أن أحيأ ثم أقتل». قلت: هذا الحديث هو الذي صدر به البخاري كتاب التمني في صحيحه، وهو يدل على تمني الخير وأفعال البر والرغبة فيها... وكان رسول الله ﷺ يتمنى إيمان أبي طالب، وإيمان أبي لهب، وصناديد قريش مع علمه بأنه لا يكون، وكان يقول: «واشوقاه إلى إخواني الذين يحيئون من بعدي، يؤمنون بي ولم يروني». وهذا كله يدل على أن التمني لا ينهى عنه إذا لم يكن داعية إلى الحسد والتباغض، والتمني المنهي عنه في الآية من هذا القبيل، فيدخل فيه أن يتمنى الرجل حال الآخر من دين أو دنيا على أن يذهب ما عند الآخر، وسواء تمنيت مع ذلك أن يعود إليك أولا. وهذا هو الحسد بعينه، وهو الذي ذمه الله تعالى. القرطبي

﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي﴾ **عصبة يرثون** ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ **من حالفتموهم على النصرة** ﴿فَعَاتُوهُمْ﴾

نَصِيْبَهُمْ ﴿٣٢﴾ من الإرث وقد نسخ بآيات الموارث ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾

﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَأَتَوْهُم نَصِيْبَهُمْ﴾: قال بعضهم: هو نصيبه من الميراث؛ لأنهم في الجاهلية كانوا يتوارثون، فأوجب الله في الإسلام من بعضهم لبعض بذلك الحلف، وبمثله في الإسلام من الموارثة مثل الذي كان لهم في الجاهلية. ثم نسخ ذلك بما فرض من الفرائض لذوي الأرحام والقربات. الطبري

﴿ ٨٣ ﴾

قوامة الرجال في الأسرة، وتحكيم الحكيمين عند خوف الشقاق

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالْصَّالِحَاتُ قَنِينَتٌ ﴿٣٣﴾ مَطِيعَاتُ اللَّهِ وَلَأَزْوَاجَهُنَّ حَفِظَتٌ لِلْغَيْبِ ﴿٣٤﴾ لَأَنْفُسِهِنَّ مِنَ الشَّرِّ حَالُ غِيَةِ أَزْوَاجَهُنَّ ﴿٣٥﴾ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيْ تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴿٣٦﴾ عَدَمُ الطَّاعَةِ ﴿٣٧﴾ فَعِظُوهُنَّ بِمَا وَهَبَ اللَّهُ فِي الْمُضَاجِرِ وَأَضْرِبُوهُنَّ ﴿٣٨﴾ ضَرْبًا غَيْرَ مَرْحٍ ﴿٣٩﴾ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾

﴿حَفِظَتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾: قال سفيان: بحفظ الله إياها أن جعلها كذلك. والثاني: بما حفظ الله لهن مهورهن، وإيجاب نفقتهن، قاله الزجاج. والثالث: أن معناه: حافظات للغيب بالشيء الذي يحفظ به أمر الله، حكاة الزجاج. ابن الجوزي

﴿فَعِظُوهُنَّ بِمَا وَهَبَ اللَّهُ وَأَهْجُرُوهُنَّ﴾: قال سعيد بن جبير: الهجر هجر الجماعة... وعن السدي: على زوجها أن يعظها، فإن لم تقبل فليهجرها في المضجع. يقول: يرقد عندها ويوليها ظهره، ويطوؤها ولا يكلمها. الطبري

* وهذا الهجر غايته عند العلماء شهر، كما فعل النبي ﷺ حين أسر إلى حفصة، فأفشته إلى عائشة، وتظاهرتا عليه. ولا يبلغ به الأربعة الأشهر التي ضرب الله

أجلا عذرا للمولي. القرطبي

* وقوله تعالى ﴿وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ مع قوله ﷺ «ولا يهجر إلا في المضجع» دليل على وجوب المبيت في المضجع، ودليل على أنه لا يهجر المنزل. ابن تيمية في الفتاوى الكبرى.

﴿وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾ عن ابن عباس: يهجرها في المضجع، فإن أقبلت وإلا فقد أذن الله لك أن تضرب ضربا غير مبرح، ولا تكسر لها عظما، فإن أقبلت وإلا فقد حل لك منها الفدية. ابن كثير

* وعن عطاء قال: قلت لابن عباس: ما الضرب غير المبرح؟ قال: السواك وشبهه، يضربها به. الطبري

* والآية مطلقة حيث قال الله تعالى: ﴿وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾، لكن النبي ﷺ قال في حجة الوداع في حق الرجال وحق النساء: «لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح»، وإذا كانت هذه المسألة الكبيرة تُضرب فيها المرأة ضرباً غير مبرح، فما بالك في النشوز؟! فأولى أن لا يكون الضرب مبرحاً. وعلى هذا فمطلق الآية يقيّد بالقياس على ما جاء في الحديث. ابن عثيمين في الشرح الممتع.

* عن إياس بن عبد الله بن أبي ذباب، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تضربوا إماء الله» فجاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: ذُترن النساء على أزواجهن، فرخص في ضربهن، فأطاف بآل رسول الله ﷺ نساء كثير يشكون أزواجهن، فقال النبي ﷺ: «لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس أولئك بخياركم». أبو داود.

﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ تهديد للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب، فإن الله العلي الكبير وليهن، وهو ينتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن. تفسير ابن كثير

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ مزيداً من الخلاف ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا﴾ إن كانا يريدان الحق بردع المخطئ أو

تقرير الفرقه ﴿يُوفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ **﴿يَقْدِرُ اللَّهُ مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ﴾** **﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَيْرًا﴾** ﴿٣٥﴾

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ الله سبحانه لم يرض بحكم واحد بين الزوجين إذا خيف الشقاق بينهما، فإنه لا يعلم أيهما الظالم؛ وليس بينهما بينة؛ بل أمر بحكمين؛ وألا يكونا متهمين؛ بل حكما من أهل الرجل، وحكما من أهل المرأة... فإن رأيا المصلحة أن يجمعا بين الزوجين جمعا، وإن رأيا المصلحة أن يفرقا بينهما فرقا: إما بعوض تبذله المرأة؛ فتكون الفرقه خلعا إن كانت هي الظالمة، وإن كان الزوج هو الظالم فرق بينهما بغير اختياره. ابن تيمية في مجموع الفتاوى، وفي المسألة خلاف في صلاحيات الحكمين.

* **اختلف أهل العلم في صلاحيات الحكمين، هل لهما التفريق بين الزوجين (بعوض أو بدون) من غير الرجوع إليهما؟**
الحنفية والحنابلة: لا.

المالكية والشافعية: نعم يفعلان الأصلح من جمع وتفريق وخلع.

من حقوق المجتمع على الفرد

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ **الجار غير القريب** ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنُبِ﴾ **الرفيق في السفر** ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ **المنقطع في السفر** ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا﴾ **متكبرا فخورا** ﴿٣٦﴾

﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾: عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الجيران ثلاثة: جار له حق واحد، وهو أدنى الجيران حقا، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق، وهو أفضل الجيران حقا، فأما الذي له حق واحد فجار مشرك لا رحم له، له حق الجوار. وأما الذي له حقان فجار مسلم، له حق الإسلام وحق الجوار، وأما الذي له ثلاثة حقوق، فجار مسلم ذو رحم، له حق

الجوار، وحق الإسلام، وحق الرحم». ابن كثير
﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ عن السدي: **﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾** الصاحب
 في السفر ... وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى: أنه قال في هذه الآية: **﴿وَالصَّاحِبِ
 بِالْجَنبِ﴾**، قال: هي المرأة. الطبري
 * قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن: للسفر مروءة، وللحضر مروءة، فأما المروءة
 في السفر فبذل الزاد، وقلة الخلاف على الأصحاب، وكثرة المزاح في غير
 مساخط الله. وأما المروءة في الحضر فالإدمان إلى المساجد، وتلاوة القرآن وكثرة
 الإخوان في الله عَزَّوَجَلَّ. القرطبي

**﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ
 مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾** (٣٧)

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ تعم البخل بكل ما ينفع في
 الدين والدنيا من علم ومال وغير ذلك. ابن تيمية في الفتاوى. «ل».

﴿ ٨٤ ﴾

**﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ
 الْآخِرِ﴾** **﴿كالمنافقين﴾** وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (٣٨) وَمَاذَا
 عَلَيْهِمْ **﴿لم يكن هناك ضرر﴾** لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ
 وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا (٣٩)

لا يضيع ربنا أجر النفقة، والتذكير بشيء من مشاهد الآخرة

**﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ أَيُّ تَكُنْ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ
 مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾** (٤٠) **﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى
 هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾** (٤١)

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ عن عبد الله بن مسعود، قال: قال لي
 النبي ﷺ: «اقرأ علي»، قلت: يا رسول الله، اقرأ عليك، وعليك أنزل، قال:
 «نعم» فقرأت سورة النساء، حتى أتيت إلى هذه الآية: **﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ**

كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤٢﴾، قال: «حسبك الآن»، فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان. البخاري

﴿يَوْمَ يَدْعُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ **يَكُونُونَ تَرَابًا** ﴿وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ ﴿٤٢﴾

﴿وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: أشياء تختلف علي في القرآن؟ فقال: ما هو؟ أشك في القرآن؟ قال: ليس بالشك، ولكنه اختلاف! قال: فهات ما اختلف عليك. قال: أسمع الله يقول: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، وقال: ﴿وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾، وقد كتموا! فقال ابن عباس: أما قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، فإنهم لما رأوا يوم القيامة أن الله يغفر لأهل الإسلام ويغفر الذنوب، ولا يغفر شركا، ولا يتعاضمه ذنب أن يغفره؛ جحد المشركون فقالوا: ﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، رجاء أن يغفر لهم، فختم على أفواههم، وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، فعند ذلك: ﴿يَدْعُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]. الطبري

النهي عن اقتراب الصلاة حال السكر والجنابة

﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ **أَي: يستثنى من يجتاز المسجد من باب إلى باب حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمْ جَامِعَتِ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا اقْصِدُوا صَعِيدًا** **ما كان على وجه الأرض من تراب ونحوه طيبًا طاهرًا** **فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا** ﴿٤٣﴾

﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ قال ابن عباس: وذلك أن رجالا كانوا يأتون الصلاة وهم سكارى، قبل أن تحرم الخمر، فقال الله:

﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ الآية. ابن كثير

﴿حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ فيه دليل لما ذهب إليه الأئمة الثلاثة: أبو حنيفة ومالك والشافعي: أنه يحرم على الجنب المكث في المسجد حتى يغتسل، أو يتيمم - إن عدم الماء، أو لم يقدر على استعماله بطريقة - . وذهب الإمام أحمد إلى أنه متى توضأ الجنب جاز له المكث في المسجد، لما روى هو وسعيد بن منصور في سننه بإسناد صحيح: أن الصحابة كانوا يفعلون ذلك. ابن كثير

﴿مَرْحَى﴾ ﴿فَتَيْمَّمُوا﴾ أما المرض المبيح للتيمم، فهو الذي يخاف معه من استعمال الماء فوات عضو، أو شينه، أو تطويل البرء. ابن كثير

﴿أَوْ لِمَسْنَمِ النِّسَاءِ﴾ عن سعيد بن جبير قال: اجتمعت الموالي والعرب في المسجد، وابن عباس في الصُّفَّة، فاجتمعت الموالي على أنّ اللمس دون الجماع، واجتمعت العرب على أنه الجماع. فقال ابن عباس: من أيّ الفريقين أنت؟ قلت: من الموالي. قال: غُلِبْتَ. الطبري

﴿صَعِيداً﴾ الأولى أن يكون من تراب خروجاً من الخلاف. ويشترط التراب عند الشافعية والحنابلة.

ويجوز بكل ما كان من جنس الأرض كصخرة مغسولة عند الحنفية والمالكية؛ لأن النبي ﷺ تيمم على جدار .

من أحوال اليهود

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ اليهود ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ ﴿٤٤﴾

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ منكم فيحذركم منه ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ ﴿٤٥﴾ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ ﴿يدعون على النبي ﷺ قائلين اسمع منا لا سمعت وَرَاعِنَا﴾ افهم عنا وأفهمنا ﴿لَيَّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ يلوون ألسنتهم بذلك وهم

يريدون الدعاء عليه بالرعونة حسب لغتهم ﴿وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعَ وَأَنْظَرْنَا﴾ وأفهمنا ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ أعدل قولاً ﴿وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٤٦﴾ منهم كعبدالله بن سلام ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ﴾ نمحو ﴿وُجُوهًا فَزَرَدَهَا عَلَىٰ أَذْبَارِهَا﴾ بعد الطمس فتكون ناحية الدبر ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ مسخوا قردة ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ ﴿٤٧﴾

﴿فَزَرَدَهَا عَلَىٰ أَذْبَارِهَا﴾ اختلف العلماء في المعنى المراد بهذه الآية: هل هو حقيقة؟ فيجعل الوجه كالقفا، فيذهب بالأنف والفم والحاجب والعين. أو ذلك عبارة عن الضلالة في قلوبهم، وسلبهم التوفيق؟ فذهب إلى الأول طائفة، وذهب إلى الآخر آخرون ... فإن قيل: كيف جاز أن يهددهم بطمس الوجوه إن لم يؤمنوا ولم يفعل ذلك بهم؟ فقول: إنه لما آمن هؤلاء ومن اتبعهم رفع الوعيد عن الباقيين. وقال المبرد: الوعيد باقٍ منتظر، وقال: لا بد من طمس في اليهود، ومسح قبل يوم القيامة. الشوكاني

الشرك لا يغفره الله، تابع أحوال اليهود الذين أشركوا بعبادة الأهواء، وبيان شيء من وعيدهم

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ﴿٤٩﴾ **الخيطة الذي في نواة التمر** ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴿لَكَفَار مَكَّة﴾ هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ ﴿٥١﴾

﴿بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ اسمان لكل معظم بعبادة من دون الله، أو طاعة، أو خضوع له، كائنًا ما كان ذلك المعظم، من حجر أو إنسان أو شيطان. الطبري

﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَتُّؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ روي أن جماعة من اليهود -منهم كعب بن الأشرف، وحبي بن أخطب- ذهبوا إلى مكة يحزبون الأحزاب؛ لحرب رسول الله ﷺ، فلما نزلوا مكة قالت قريش: نسألكم فإنهم أهل كتاب عن ديننا ودين محمد أيهما خير؟ فسألوهم فقالوا لهم: دينكم خير من دين محمد، وأنتم أهدي منه ومن اتبعه. الجزائري

﴿٨٦﴾

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ يَحْدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾ ليس لهم ولو كان لهم ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾﴾ قدر النقرة التي في ظهر النواة ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ يحسدون النبي ﷺ ﴿عَلَىٰ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ﴾ قال الحسن: ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد، نفس دائم، وحزن لازم، وعبرة لا تنفذ. وقال عبد الله بن مسعود: لا تعادوا نعم الله. قيل له: ومن يعادي نعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله... ويقال: الحسد أول ذنب عصي الله به في السماء، وأول ذنب عصي به في الأرض، فأما في السماء: فحسد إبليس لآدم، وأما في الأرض: فحسد قابيل لهابيل... والمراد تكذيب اليهود والرد عليهم في قولهم: لو كان نبيا ما رغب في كثرة النساء، ولشغلته النبوة عن ذلك، فأخبر الله تعالى بما كان لداود وسليمان يوبخهم، فأقرت اليهود أنه اجتمع عند سليمان ألف امرأة... ثلاثمائة مهريّة، وسبعمائة سرية، وعند داود مائة امرأة... ويقال: إن كل من كان أتقى فشهوته أشد، لأن الذي لا يكون تقيا فإنما يتفرج بالنظر والمس، ألا ترى ما روي في الخبر: «العينان تزنيان واليدان تزنيان». فإذا كان في النظر والمس نوع من قضاء الشهوة؛ قل الجماع، والمتقي لا ينظر ولا يمس، فتكون الشهوة مجتمعة في نفسه، فيكون أكثر جماعا. القرطبي

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِءِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ ﴿٥٥﴾ **لَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ**
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِثَاثِنَتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا
غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾

﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ قال معاذ بن جبل: تبدل في ساعة
 مائة مرة. ابن كثير

نعيم المؤمنين، والأمر برد الأمانات،

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ ﴿٥٧﴾

﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «إِنْ فِي
 الْجَنَّةِ لَشَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ، وَقَرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَضِلٌّ مَّدْوَرٌ﴾
 [الواقعة: ٣٠]» متفق عليه

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا
بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ﴿٥٨﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ أخرج ابن مردويه عن ابن عباس:
 أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لما فتح مكة، وقبض مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة، نزل
 جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ برد المفتاح، فدعا النبي ﷺ عثمان بن طلحة ورده إليه.
 الشوكاني

طاعة الله ورسوله وطاعة ولاة الأمر وبيان حال المنافقين مع تحكيم الشريعة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَدُونَهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ
 وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ﴿٥٩﴾ **عاقبة ومآلاً﴾ ﴿٦٠﴾** أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا

بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ﴿٦٠﴾ إِلَى غَيْرِ مَا شَرَعَ اللَّهُ ﴿٦١﴾ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٢﴾

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ روي أن منافقًا ويهوديًا اختلفا في شيء، فقال اليهودي نتحاكم إلى محمد ﷺ؛ لعلمه أنه يحكم بالعدل، ولا يأخذ رشوة، وقال المنافق: نتحاكم إلى كعب بن الأشرف اليهودي، فتحاكما إلى رسول الله ﷺ؛ ففضى لليهودي. الجزائري

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ والدعاء إليه بعد وفاته هو الدعاء إلى سنته ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴿٦٢﴾ من الكفر والمعاصي ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ (٦٢) بين الخصمين ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعَظَّهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ (٦٣)

﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعَظَّهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ أي: انصحهم سرا بينك وبينهم، فإنه أنجح لحصول المقصود، وبالع في زجرهم وقمعهم عما كانوا عليه، وفي هذا دليل على أن مقترف المعاصي - وإن أعرض عنه - فإنه ينصح سرًا، ويبالغ في وعظه بما يظن حصول المقصود به. السعدي

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (٦٤)

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ وهذا المجيء إلى الرسول ﷺ مختص بحياته؛ لأن السياق يدل على ذلك؛ لكون الاستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته، وأما بعد موته فإنه لا يطلب منه شيء. السعدي
* قال ابن تيمية في معرض حديثه عن بعض المخالفين: وقد يخاطبون الميت

عند قبره: سل لي ربك. أو يخاطبون الحي وهو غائب كما يخاطبونه لو كان حاضرا حيا ... ومنهم من يتأول قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ ويقولون: إذا طلبنا منه الاستغفار بعد موته كنا بمنزلة الذين طلبوا الاستغفار من الصحابة، ويخالفون بذلك إجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر المسلمين، فإن أحدا منهم لم يطلب من النبي ﷺ بعد موته أن يشفع له، ولا سألته شيئا، ولا ذكر ذلك أحد من أئمة المسلمين في كتبهم، وإنما ذكر ذلك من ذكره من متأخري الفقهاء، وحكوا حكاية مكذوبة على مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. مجموع الفتاوى.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٦٥﴾

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾ في هذا الوعيد الشديد ما تقشعر له الجلود، وترجف له الأفتدة. فإنه أولا أقسم سبحانه بنفسه، مؤكدا لهذا القسم بحرف النفي بأنهم لا يؤمنون، فنفي عنهم الإيمان الذي هو رأس مال صالحى عباد الله، حتى تحصل لهم غاية، هي: تحكيم رسول الله ﷺ. الشوكاني

ثواب الطاعة

﴿وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ من طاعة الله ورسوله ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا﴾ ﴿٦٦﴾ أقوى لإيمانهم

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ ينبغي للعبد، أن ينظر إلى الحالة التي يلزمه القيام بها فيكملها، ثم يتدرج شيئا فشيئا حتى يصل إلى ما قدر له من العلم والعمل في أمر الدين والدنيا، وهذا بخلاف من طمحت نفسه إلى أمر لم يصل إليه، ولم يؤمر به بعد، فإنه لا يكاد يصل إلى ذلك بسبب تفريق

الهمة، وحصول الكسل وعدم النشاط. السعدي

﴿وَإِذَا لَا تِنَّهُمْ مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾

﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ﴾ كان ثوبان مولى رسول الله ﷺ شديد المحبة للنبي ﷺ، فرآه رسول الله ﷺ يوما فعرف الحزن في وجهه، فقال: يا ثوبان ما غير وجهك؟ قال: ما بي من وجع غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك، فأذكر الآخرة، فأخاف أن لا أراك هناك، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. ابن الجوزي

* عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من نبي يمرض إلا خيّر بين الدنيا والآخرة»، وكان في شكواه الذي قبض فيه، أخذته بحة شديدة، فسمعه يقول: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ فعلمت أنه خير. البخاري

﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾ جمع شهيد وهو القتل في سبيل الله. وفي تسميته بالشهيد خمسة أقوال: أحدها: لأن الله تعالى وملائكته شهدوا له بالجنة، قاله ثعلب. والثاني: لأن ملائكة الرحمة تشهده. والثالث: لسقوطه بالأرض، والأرض: هي الشاهدة، ذكر القولين ابن فارس اللغوي. والرابع: لقيامه بشهادة الحق في أمر الله حتى قتل، قاله أبو سليمان الدمشقي. والخامس: لأنه يشهد ما أعد الله له من الكرامة بالقتل. ابن الجوزي

﴿ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عِلِمًا ﴿٧٠﴾﴾

التحذير من العدو، وذكر شيء من صفات المنافقين

﴿يَتَّيِبُهُا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ ﴿٧١﴾ جَمَاعَةً بَعْدَ جَمَاعَةٍ ﴿٧٢﴾ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَن لَّيْبِطَنَّ ﴿٧٤﴾ يتأخر عن الخروج متثاقلاً ويشط غيره ﴿٧٥﴾ فَإِنَّ أَصَابَكُمْ مُّصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٦﴾﴾

أى: لم أكن حاضراً ﴿ وَلَيْنَ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ ﴿٧٣﴾ **وافراً من الغنيمة**

﴿ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ﴾ ليس منكم يا معشر المؤمنين ولا بينكم وبينه المودة الإيمانية التي من مقتضاها أن المؤمنين مشتركون في جميع مصالحهم ودفع مضارهم، يفرحون بحصولها ولو على يد غيرهم من إخوانهم المؤمنين.

السعدي

﴿ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ ﴾ وقول المنافق ﴿ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ ﴾ على وجه الحسد أو الأسف على فوت الغنيمة مع الشك في الجزاء من الله. القرطبي

﴿ فليُقتل في سبيل الله الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ﴿٧٤﴾

﴿ ٨٩ ﴾

من دوافع قتال الكفار

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ ﴾ **أى: ولأجل تخليصهم** ﴿ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ﴾ **مكة قبل الفتح** ﴿ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ ﴿٧٥﴾

﴿ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ ﴾ قال مالك: واجب على الناس أن يفتدوا الأسارى بجميع أموالهم. القرطبي

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ ﴿٧٦﴾ **ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم** ﴿ **عن قتال الكفار بمكة** ﴾ وأقيموا الصلوة وءاتوا الزكاة فلما كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ ﴿ **بعد الهجرة** ﴾ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ ﴿٧٧﴾ **الخيطة في نواة التمر**

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ ﴾ هذه الحال كثيراً ما تعرض لمن هو غير رزين، واستعجل في الأمور قبل وقتها، فالغالب عليه أنه لا يصبر عليها وقت حلولها، ولا ينوء بحملها، بل يكون قليل الصبر. السعدي

﴿ قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ لذات الدنيا مشوبة بأنواع التنغيص الذي لو قوبل بين لذاتها وما يقترن بها من أنواع الآلام والهموم والغموم، لم يكن لذلك نسبة بوجه من الوجوه. السعدي

لا مفر من الموت، وحال المنافقين مع الرسول ﷺ

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ﴾ **حصون منيعة** ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ﴾ **من شؤمك** ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ (٧٨)

﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ إن تصب هؤلاء المنافقين حسنة من غنيمة أو غير ذلك، رأوا أن ذلك بالاتفاق من صنع الله، لا ببركة اتباعك والإيمان بك، ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ أي: هزيمة، أو شدة جوع، أو غير ذلك، قالوا: هذه بسببك. وقوله: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ إعلام من الله سبحانه أن الخير والشر، والحسنة والسيئة خلق له، ومن عنده، لا رب غيره. الثعالبي

﴿ مَا أَصَابَكَ ﴾ **والخطاب لكل إنسان** ﴿ مِّنْ حَسَنَةٍ ﴾ **خير** ﴿ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ ﴾ **مصيبة** ﴿ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ **بسبب ذنوبك** ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (٧٩)

من أحوال أهل النفاق

﴿ مَّنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴾ **حافظاً رقيباً** ﴿ (٨٠) وَيَقُولُونَ ﴾ **أي: المنافقون** ﴿ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ﴾ **دبروا على وجه الخفاء خلاف ما أظهروا**

لَكَ ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (٨١)
 ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٨٢)

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ المراد:
 اختلاف التناقض، والتفاوت، وعدم المطابقة للواقع، وهذا شأن كلام البشر،
 لا سيما إذا طال وتعرض قائله للإخبار بالغيب، فإنه لا يوجد منه صحيحا
 مطابقا للواقع إلا القليل النادر. الشوكاني

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ ﴿أَي: نشره﴾ ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ
 إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى الْأُولَى الْأَمْرُ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ
 اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٣)

﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ أي: يستخرجونه، أي: لعلمو ما ينبغي أن
 يفشى منه، وما ينبغي أن يكتم ... والاستنباط في اللغة الاستخراج، وهو يدل
 على الاجتهاد إذا عدم النص والإجماع. القرطبي

الحث على الجهاد، والشفاعة الحسنة، ورد التحية بأحسن منها

﴿فَقِنْلٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ ﴿لَأَنْكَ لَا تَحَاسِبُ إِلَّا عَلَيْهَا﴾
 ﴿وَحَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفَ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ
 تَنكِيلًا﴾ (٨٤) ﴿عقوبة﴾ ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ
 يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾ ﴿نصيب من وزرها﴾ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ
 شَيْءٍ مُّقِينًا﴾ (٨٥) ﴿شاهداً وحفيظاً﴾ ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِنَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ
 رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (٨٦) ﴿مجزيًا ومحاسبًا﴾

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ
 حَدِيثًا﴾ (٨٧)

الموقف تجاه بعض المنافقين والكافرين

﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكْسَهُمْ ﴾ أَوْعِهِمْ وَرُدَّهُمْ ﴿ بِمَا كَسَبُوا ﴾ ﴿ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي ﴾ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلَّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿ ٨٨ ﴾

﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ ﴾ أما السبب الذي نزلت فيه فهو اختلاف المؤمنين من أصحاب الرسول ﷺ في طائفة من المنافقين أظهروا الإسلام - وهم ضليعون في موالاة الكافرين - ، وقد يكونون في مكة ، وقد يكونون في المدينة ، فرأى بعض الأصحاب أن من الحزم الضرب على أيديهم وإنهاء نفاقهم ، ورأى آخرون تركهم والصبر عليهم ما داموا يدعون الإيمان ؛ لعلهم بمرور الأيام يتوبون . فلما اختلفا واشتد الخلاف في شأنهم ، أنزل الله تعالى هذه الآيات الجزائي

﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وُليَا وَلَا نَصِيرًا ﴿ ٨٩ ﴾

استثناء من لجأ إلى قوم مسالمين أو من اعتزل القتال من الكفار

(الصف الأول) ﴿ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ ﴾ يَلْجَأُونَ ﴿ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَقٌ ﴾
(الصف الثاني) ﴿ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ ضَاقت وكرهت ﴿ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ أَعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿ ٩٠ ﴾

﴿ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ ﴾ ثم استثنى لهم الرب تعالى صنفين من المنافقين المذكورين ، فلا يأخذونهم أسرى ، ولا يقاتلونهم ، الصف الأول : الذين ذكرهم تعالى بقوله ﴿ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ ﴾ أي : يلجأون ﴿ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَقٌ ﴾ فبحكم استجارتهم بهم طالبين الأمان منهم فأمنوهم أنتم ، حتى لا تنقضوا عهدكم .
والصف الثاني : قوم ضاقت صدورهم بقتالكم وقتال قومهم ... فلا تأخذوهم ولا تقتلوهم واصبروا عليهم . الجزائي

صنف آخر من الكفار

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا﴾ **وقعوا في أسوأ حال فلم يأمن المسلمون شرهم** ﴿فَإِنْ لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَاخْذُوهُمْ وَأَقْبِلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ **وجدتموهم** ﴿وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ (٩١)

﴿٩٢﴾

حكم قتل الخطأ

﴿وَمَا كَانَتْ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ **يعفوا عنها** ﴿فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ **فقط بدون الدية لأنهم كفار محاربين** ﴿وَإِنْ كَانَ﴾ **أى: المقتول** ﴿مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٩٢)

﴿وَمَا كَانَتْ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾ في هذا الإخبار بشدة تحريم القتل العمد وأنه مناف للإيمان أشد منافاة، وإنما يصدر ذلك إما من كافر، أو من فاسق قد نقص إيمانه نقصاً عظيماً، ويخشى عليه ما هو أكبر من ذلك، فإن الإيمان الصحيح يمنع المؤمن من قتل أخيه الذي قد عقد الله بينه وبينه الأخوة الإيمانية التي من مقتضاها محبته وموالاته، وإزالة ما يعرض لأخيه من الأذى، وأي أذى أشد من القتل؟. ينظر: تفسير السعدي

﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ﴾ من حكمته أن أوجب في القتل الدية -ولو كان خطأ-؛ لتكون رادعة وكافة عن كثير من القتل باستعمال الأسباب العاصمة عن ذلك. ومن حكمته أن وجبت على العاقلة في قتل الخطأ، بإجماع العلماء؛ لكون القاتل لم يذنب فيشق عليه أن يحمل هذه الدية

الباهظة، فناسب أن يقوم بذلك من بينه وبينهم المعاونة والمناصرة والمساعدة على تحصيل المصالح وكف المفسد ... وخففت أيضا بتأجيلها عليهم ثلاث سنين. ومن حكمته وعلمه أن جبر أهل القتل عن مصيبتهم، بالدية التي أوجبها على أولياء القاتل. السعدي، * قال أهل العلم: يجتهد الحاكم في توزيعها على العاقلة -عصبة القاتل- حسب يسرهم وعسرهم بما لا يشق عليهم.

﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ الجمهور تجب الكفارة والدية في الكافر المعصوم - كالذمي والمستأمن - خلافا للحسن البصري الذي جعلها في المؤمن، ولا يصح لأنه لا تسلم ديته لأهله حينئذ لانقطاع التوارث بين المؤمن وأهله الكفار.

﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ أي: لا يفطر بينهما من غير عذر، فإن أفطر لعذر فإن العذر لا يقطع التتابع، كالمرض والحيض ونحوهما.

وإن كان لغير عذر انقطع التتابع ووجب عليه استئناف الصوم. السعدي

* ومن علمه وحكمته أن أوجب على القاتل كفارة مناسبة لما صدر منه، فإنه تسبب لإعدام نفس محترمة، وأخرجها من الوجود إلى العدم، فناسب أن يعتق رقبة ويخرجها من رق العبودية للخلق إلى الحرية التامة، فإن لم يجد هذه الرقبة صام شهرين متتابعين، فأخرج نفسه من رق الشهوات واللذات الحسية القاطعة للعبد عن سعادته الأبدية إلى التعب لله تعالى بتركها تقربا إلى الله.

ومدها تعالى بهذه المدة الكثيرة الشاقة في عددها ووجوب التتابع فيها، ولم يشرع الإطعام في هذا الموضع لعدم المناسبة. بخلاف الظهار، كما سيأتي إن شاء الله تعالى. تفسير السعدي

قتل العمد

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (١٣)

﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ الذي عليه الجمهور من سلف الأمة

وخلفها: أن القاتل له توبة فيما بينه وبين ربه عَزَّوَجَلَّ، فإن تاب وأناب وخشع وخضع، وعمل عملاً صالحاً، بدّل الله سيئاته حسنات، وعوض المقتول من ظلامته وأرضاه عن طلابته ... أما على قول ابن عباس ومن وافقه أنه لا توبة له. ابن كثير

* روى البخاري عن سعيد بن جبير قال: اختلف فيها علماء أهل الكوفة، فرحلت فيها إلى ابن عباس فسألته عنها، فقال: نزلت هذه الآية: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ﴾ وهي آخر ما نزل، وما نسخها شيء. وقد روى النسائي عنه نحو هذا. وروى النسائي عن زيد بن ثابت نحوه. الشوكاني

* عن سعد بن عبيدة قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: ألن قتل مؤمناً متعمداً توبة؟ قال: لا، إلا النار. قال: فلما ذهب قال له جلساؤه: أهكذا كنت تفتينا؟ كنت تفتينا أن لمن قتل توبة مقبولة، قال: إني لأحسبه رجلاً مغضباً يريد أن يقتل مؤمناً. قال: فبعثوا في إثره فوجدوه كذلك. القرطبي

﴿فَجَزَاءُ ۖ جَهَنَّمَ﴾ قال ابن تيمية -رداً على من زعم كفره استدلالاً بهذه الآية-: أكثر الناس لم يحملوها على هذا؛ بل قالوا: هذا وعيد مطلق قد فسرهُ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] ... وأما القاتل عمداً ففيه القود، فإن اصطلحوا على الدية جاز ذلك بالنص والإجماع، فكانت الدية من مال القاتل؛ بخلاف الخطأ فإن ديته على عاقلته.

وأما (الكفارة) فجمهور العلماء يقولون: قتل العمد أعظم من أن يكفر، وكذلك قالوا في اليمين الغموس. هذا مذهب مالك، وأبي حنيفة، وأحمد في المشهور عنه، كما اتفقوا كلهم على أن الزنا أعظم من أن يكفر؛ فإنما وجبت الكفارة بوطء المظاهر، والوطء في رمضان. وقال الشافعي وأحمد في الرواية الأخرى: بل تجب الكفارة في العمد، واليمين الغموس. واتفقوا على أن الإثم لا يسقط بمجرد الكفارة. ابن تيمية الفتاوى الكبرى

السلام من علامات الإسلام والموقف ممن بذله

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ ۖ خَرَجْتُمْ ۖ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا

لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ ﴿٩٤﴾ أَمَارَةُ الْإِسْلَام ﴿٩٥﴾ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ﴿٩٦﴾ مَتَاعٍ ﴿٩٧﴾ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٩٨﴾ مِنَ الْغَنِيمَةِ ﴿٩٩﴾ فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَرَكَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٠٠﴾

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ عن ابن عباس، قال: مر رجل من بني سليم على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ومعه غنم له، فسلم عليهم قالوا: ما سلم عليكم إلا ليتعوذ منكم فقاموا فقتلوه، وأخذوا غنمه، فأتوا بها رسول الله ﷺ. فأنزل الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾.

الترمذي

* الأحكام تناط بالمظان والظواهر لا على القطع وإطلاع السرائر. القرطبي

درجة المجاهد، ودرجة القاعد

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٩٥﴾ وَالْجَنَّةُ ﴿٩٦﴾ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٧﴾

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ صح وثبت في الخبر أنه ﷺ قال - وقد قفل من بعض غزواته -: «إن بالمدينة رجالاً ما قطعتم وادياً، ولا سرتهم مسيراً إلا كانوا معكم، أولئك قوم حبسهم العذر». القرطبي، والحديث أصله في الصحيحين.

* في الآية الكريمة دليل على أن من عجز عن المأمور من واجب وغيره فإنه معذور. السعدي

﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ﴿٩٨﴾

الحث على الهجرة، وحكم القصر في السفر

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ﴾ **بمقامهم بين الكفار** ﴿قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿١٧﴾

﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ قال ابن القاسم: سمعت مالكا يقول: لا يحل لأحد أن يقيم بأرض يسب فيها السلف. القرطبي
 * قلت: إذا كان من قيم بين ظهري غير المسلمين لا يستطيع أن يظهر دينه وجب عليه الانتقال إلى بلد يستطيع به ذلك - إن تمكن -، أما إن كان يستطيع أن يظهر دينه، فيجب عليه أن يوازن بين المصالح والمفاسد المتعلقة ببقائه من عدمه، إن في نشر الدعوة، أو في تربية الأسرة ... إلخ، ويرجح بينها بعد أن يستشير.

﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ **لا قدرة لهم على الهجرة** ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِقًا﴾ **مهاجراً ومكاناً يتحول إليه كثيراً وسعة** ﴿فِي الرِّزْقِ﴾ ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿١٠٠﴾

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِقًا كَثِيرًا وَسِعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ عن قتادة: «قال: لما أنزل الله هؤلاء الآيات، ورجل من المؤمنين يقال له: (ضمرة) بمكة، قال: (والله إن لي من المال ما يُبَلِّغني المدينة وأبعد منها، وإني لأهتدي! أخرجوني)، وهو مريض حينئذ، فلما جاوز الحرم قبضه الله فمات، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ﴾»، الآية. الطبري
 ﴿ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ ذلك لأنه نوى وجزم، وحصل منه ابتداء وشروع في العمل، فمن رحمة الله به وبأمثاله أن أعطاهم أجرهم كاملاً ولو لم يكملوا العمل، وغفر لهم ما حصل منهم من التقصير في الهجرة وغيرها.

السعدي

﴿وَإِذَا صَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْنِيَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ (١٠١)

﴿وَإِذَا صَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ قال ابن العربي: وقد تلاعب قوم بالدين فقالوا: إن من خرج من البلد إلى ظاهره قصر وأكل، وقائل هذا أعجمي لا يعرف السفر عند العرب، أو مستخف بالدين، ولولا أن العلماء ذكروه لما رضيت أن ألمحه بمؤخر عيني، ولا أفكر فيه بفضول قلبي. القرطبي

﴿وَإِذَا صَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ اعلم أن قصر الصلاة في السفر جائز بإجماع الأمة، واختلفوا في جواز الإتمام. فذهب أكثرهم إلى أن القصر واجب ... وذهب قوم إلى جواز الإتمام. البغوي

﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْنِيَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: عن يعلى بن أمية، قال: قلت لعمر بن الخطاب: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْنِيَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فقد أمن الناس، فقال: عجبت مما عجبت منه، فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: «صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته». صحيح مسلم.

* قيل: إن هذا الشرط خرج مخرج الغالب؛ لأن الغالب على المسلمين إذ ذاك القصر للخوف في الأسفار. الشوكاني

* القصر سنة عند الجمهور، خلافاً للحنفية. واستدل الجمهور بفعل عثمان ؓ

* نفي الجناح؛ لبيان الحكم وإزالة الشبهة، لا يمنع أن يكون القصر هو السنة. فهو سبحانه ذكر الخوف والسفر؛ لأن القصر يتناول قصر العدد وقصر الأركان، فالخوف يبيح قصر الأركان، والسفر يبيح قصر العدد، فإذا اجتمعا أبيع القصر بالوجهين، وإن انفرد السفر أبيع أحد نوعي القصر. ابن تيمية بتصرف يسير ينظر الفتاوى الكبرى ومجموع الفتاوى.

صلاة الخوف

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا
أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ﴾ يريد الطائفة الأخرى
تكون في الحراسة ﴿وَلَتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ
وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ
وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى
مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَّرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ
لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ...﴾ عن أبي عياش الزرقني قال: كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان، فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القبلة،
«فصلى بنا رسول الله ﷺ الظهر»، فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرثهم،
ثم قالوا: تأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم، قال:
«فنزل جبريل عَلَيْهِ السَّلَام بهذه الآيات بين الظهر والعصر ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ
فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾...». أحمد

* قد بينت صلاة الخوف وصورتها: أن ينقسم الجيش قسمين قسم يقف تجاه
العدو، وقسم يصلي مع القائد ركعة، ويقف الإمام مكانه فيتمون لأنفسهم
ركعة، ويسلمون ويقفون تجاه العدو.

ويأتي القسم الذي كان واقفاً تجاه العدو فيصلي بهم الإمام القائد ركعة ويسلم
ويتمون لأنفسهم ركعة ويسلمون، وفي كلا الحالين هم آخذون أسلحتهم لا
يضعونها على الأرض خشية أن يميل عليهم العدو وهم عزل؛ فيكبدهم
خسائر فادحة. الجزائري

* قلت: ولصلاة الخوف صفات متعددة جاءت بها السنة وفصل في الكلام
عليها أهل العلم.

﴿فَلَنَقَمَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَّعَكَ﴾ هذه الآية تدل على أن صلاة الجماعة فرض عين من وجهين:

أحدهما: أن الله تعالى أمر بها في هذه الحالة الشديدة، وقت اشتداد الخوف من الأعداء، وحذر مهاجمتهم، فإذا أوجبها في هذه الحالة الشديدة؛ فإيجابها في حالة الطمأنينة والأمن من باب أولى وأحرى.

والثاني: أن المصلين صلاة الخوف يتركون فيها كثيرا من الشروط واللوازم، ويعفى فيها عن كثير من الأفعال المبطللة في غيرها، وما ذاك إلا لتأكد وجوب الجماعة؛ لأنه لا تعارض بين واجب ومستحب، فلولا وجوب الجماعة لم تترك هذه الأمور اللازمة لأجلها. السعدي

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ﴾ **ذهب الخوف** ﴿فَأَقِمْوُا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ (١٠٣) **محددة بأوقات معلومة** ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ **طلب العدو** ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١٠٤)

الأمر بالعدل والتثبت، والنهي عن المدافعة عن الباطل

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ (١٠٥) **لا تدافع عنهم**

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ ذكر المفسرون أن سبب نزولها: أن أهل بيت سرقوا في المدينة (قلت: واسم السارق طعمة بن أبيرق)، فلما اطلع على سرقتهم خافوا الفضيحة، وأخذوا سرقتهم فرموها ببيت من هو بريء من ذلك. واستعان السارق بقومه أن يأتوا رسول الله ﷺ ويطلبوا منه أن يبرئ صاحبهم على رؤوس الناس، وقالوا: إنه لم يسرق، وإنما الذي سرق من وجدت السرقة ببيته، وهو البريء. فهم رسول الله ﷺ أن يبرئ صاحبهم، فأنزل الله هذه الآيات؛ تذكيراً وتبييناً لتلك الواقعة، وتحذيراً للرسول ﷺ من المخاصمة عن الخائنين. السعدي

﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ مفهوم الآية جواز الدخول في نيابة الخصومة لمن لم يعرف منه ظلم. السعدي

﴿٩٥﴾

﴿وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿١٠٦﴾

﴿وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ﴾ استنبط بعض العلماء أنه ينبغي للإنسان إذا نزلت به حادثة، سواءً إفتاء، أو حكم قضائي، أن يكثر من الاستغفار. ابن عثيمين في الشرح الممتع.

﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ يخونون أنفسهم بالمعصية سرا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ ﴿يدبرون ليلاً﴾ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ يحرصون بالطرق المباحة والمحرمة على عدم الفضيحة عند الناس، وهم مع ذلك قد بارزوا الله بالعظائم، ولم يبالوا بنظره واطلاعه عليهم. السعدي

﴿هَآأَنَتمْ هَآؤُلَآءِ﴾ الخطاب لمن جادل عن غيره بالباطل ﴿جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ ﴿١٠٩﴾

الحث على التوبة، وفضل الله على نبيه

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿١١٠﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ اعلم أن عمل السوء عند الإطلاق يشمل سائر المعاصي، الصغيرة والكبيرة، وسمي: سوءاً؛ لكونه يسوء عامله بعقوبته، ولكونه في نفسه سيئاً غير حسن.

وكذلك ظلم النفس عند الإطلاق يشمل ظلمها بالشرك فما دونه. ولكن عند اقتران أحدهما بالآخر قد يفسر كل واحد منهما بما يناسبه، فيفسر عمل السوء هنا بالظلم الذي يسوء الناس، وهو ظلمهم في دماءهم وأموالهم وأعراضهم. ويفسر ظلم النفس بالظلم والمعاصي التي بين الله وبين عبده. السعدي

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝١١٢﴾
 وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ۝ **القرآن والسنة** ۝ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝١١٣﴾

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أنها متعلقة بقصة طعمة وقومه، حيث لبسوا على النبي ﷺ أمر صاحبهم، هذا قول ابن عباس من طريق ابن السائب.
 والثاني: أن وفد ثقيف قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: جنناك نبايعك على أن لا نحشر ولا نعشر، وعلى أن تمتعنا بالعزى سنة، فلم يجبههم، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس في رواية الضحاك. ابن الجوزي

﴿٩٦﴾

نجوى الخير، والحث على لزوم الجماعة المؤمنة

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ﴾ **الحديث سراً** ﴿إِلَّا مَنَ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقْ ﴿**يخالف عناداً**﴾ (الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ) ﴿**نتركه وما توجه إليه**﴾ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝١١٥﴾

﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ استدل بهذه الآية الكريمة على أن إجماع هذه الأمة

حجة، وأنها معصومة من الخطأ. ووجه ذلك: أن الله توعد من خالف سبيل المؤمنين بالخذلان والنار ... يشمل سائر ما المؤمنون عليه من العقائد والأعمال. فإذا اتفقوا على إيجاب شيء أو استحبابه، أو تحريمه أو كراهته، أو إباحته فهذا سبيلهم. السعدي

التحذير من الشرك ومن عبادة الشيطان وطاعته

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ١١٦ ﴾ **إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتَا** ﴿ **أَصْنَامًا كَاللَّاتِ** ﴿ **وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ١١٧ ﴾** **مارد على الشر والإغواء للفساد**

﴿ **إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتَا** ﴾ مسميات بأسماء الإناث كـ «العزى» و «مناة» ونحوهما، ومن المعلوم أن الاسم دال على المسمى. فإذا كانت أسماؤها أسماء مؤنثة ناقصة، دل ذلك على نقص المسميات بتلك الأسماء، وفقدتها لصفات الكمال ... ومع ذلك فعبادتهم إنما صورتها فقط لهذه الأوثان الناقصة. وبالحقيقة ما عبدوا غير الشيطان. السعدي

﴿ **لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا تَخْذَنْ مِنْ عِبَادِكْ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ١١٨** ﴾

﴿ **لَا تَخْذَنْ مِنْ عِبَادِكْ نَصِيبًا مَفْرُوضًا** ﴾ علم اللعين أنه لا يقدر على إغواء جميع عباد الله، وأن عباد الله المخلصين ليس له عليهم سلطان، وإنما سلطانه على من تولاه، وأثر طاعته على طاعة مولاه. السعدي

﴿ **وَلَا ضَلَالَتَهُمْ وَلَا أُمْتَيْنَهُمْ وَلَا مَرَنَّهُمْ فَلَيَبْتَكَنَّ ١١٩** ﴾ **يقطعن** ﴿ **أَذَاتُ** ﴿ **الْأَنْعَمِ ١٢٠** ﴾ **لتحريم ما أحل الله منها** ﴿ **وَلَا مَرَنَّهُمْ فَلَيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ** ﴿ **يَتَّخِذِ الشَّيْطَانُ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ١٢١** ﴾ ﴿ **يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ١٢٢** ﴾ ﴿ **أُولَئِكَ مَاؤُهُمْ** ﴿ **جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ١٢٣** ﴾ **مهربًا**

عاقبة المؤمنين

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ ﴿١٢٢﴾
قَوْلًا

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ أي: لا أحد أصدق منه قیلاً! فكيف تتركون العمل بما وعدكم على العمل به ربكم جنات تجري من تحتها الأنهار، خالدين فيها أبداً، وتكفرون به وتخالفون أمره، وأنتم تعلمون أنه لا أحد أصدق منه قیلاً. الطبري

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿١٢٣﴾

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ روي أن هذه الآية نزلت لما تلاهى مسلم ويهودي وتفاخرا، فزعم اليهودي أن نبيهم وكتابهم ودينهم وجد قبل كتاب ونبي المسلمين ودينهم؛ فهم أفضل، ورد عليه المسلم بما هو الحق. فحكم الله تعالى بينهما بقوله: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ﴾ أيها المسلمون ﴿وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ من يهود ونصارى، أي: ليس الأمر والشأن بالأمانى العذاب، وإنما الأمر والشأن في هذه القضية أنه سنة الله تعالى في تأثير الكسب الإرادي على النفس بالتزكية أو التدسية ... قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ إشادة منه تعالى وتفضيل للدين الإسلامي على سائر الأديان إذ هو قائم على أساس إسلام الوجه لله، وكل الجوارح تابعة له، تدور في فلك طاعة الله تعالى مع الإحسان الكامل. الجزائري

﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ قال أبو بكر: يا رسول الله، وإنا لنجزى بكل شيء نعمله؟ قال: يا أبا بكر، أأنت تنصب؟ أأنت تحزن؟ أأنت تصيبك اللاواء؟ فهذا مما تجزون به. الطبري

* هذا الجزاء على عمل السوء العام مخصوص في غير التائبين، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له. السعدي

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ (١٢٤) ﴿ قدر النقرة التي في ظهر النواة

﴿ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ﴾ فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، من أنواع المأكَل والمشارب اللذيذة، والمناظر العجيبة، والأزواج الحسنة، والقصور، والغرف المزخرفة، والأشجار المتدلّية، والفواكه المستغربة، والأصوات الشجية، والنعم السابعة، وتزاور الإخوان، وتذكرهم ما كان منهم في رياض الجنان، وأعلى من ذلك كله وأجلّ رضوان الله عليهم، وتمتع الأرواح بقربه، والعيون برؤيته، والأسماع بخطابه الذي ينسيهم كل نعيم وسرور، ولولا الثبات من الله لهم؛ لطاروا وماتوا من الفرح والحبور، فله ما أحلى ذلك النعيم، وما أعلى ما أنالهم الرب الكريم، وماذا حصل لهم من كل خير وبهجة لا يصفه الواصفون، وتمام ذلك وكمال الخلود الدائم في تلك المنازل العاليات. السعدي

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ مائلاً عن الشرك ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (١٢٥) ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴾ (١٢٦)

التحذير من هضم حقوق النساء واليتامى

﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۚ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ ﴾ في القرآن من أحكام ميراثهن وأحكام التعامل معهن ﴿ فِي يَتَمَىٰ النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ ﴾ فرض لهن من الميراث ﴿ وَتَرْغَبُونَ ﴾ أى: أيها الأولياء عن ﴿ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ﴾ لدمامتهن وتعصلوهن عن الزواج طمعاً في الميراث ﴿ وَالْمُسْتَضَعْفَيْنِ مِنَ الْوُلَدَانِ ﴾ لا تعطونهم حقوقهم ﴿ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَمَىٰ بِالْقِسْطِ ﴾ بالعدل ﴿ وَمَا تَعْلَمُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ ۚ

عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

﴿فِي يَتَمَّى النِّسَاءِ﴾ قال ابن عباس: كان الرجل في الجاهلية تكون عنده اليتيمة فيلقي عليها ثوبه، فإذا فعل بها ذلك لم يقدر أحد أن يتزوجها أبدًا. فإن كانت جميلة وهويها، تزوجها وأكل مالها. وإن كانت دميمة منعها الرجل أبدًا حتى توت، فإذا ماتت ورثها. فحرّم الله ذلك ونهى عنه. الطبري

﴿٩٨﴾

العدل بين الزوجات

﴿وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ انصرافًا عنها ﴿أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ يرضيان به في التعامل بينهما بدلًا من الطلاق ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ أي: جبلت الأنفس عليه ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ﴿١٢٨﴾

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ قال علماءنا: وفي هذا أن أنواع الصلح كلها مباحة في هذه النازلة، بأن يعطي الزوج على أن تصبر هي، أو تعطي هي على أن لا يؤثر الزوج، أو على أن يؤثر ويتمسك بالعصمة، أو يقع الصلح على الصبر والأثرة من غير عطاء، فهذا كله مباح. وقد يجوز أن تصالح إحداهن صاحبتهما عن يومها بشيء تعطيهما. القرطبي

﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ معذرة عن عبيده تعالى، أي: لا بد للإنسان بحكم خلقته وجبلته من أن يشح على إرادته حتى يحمل صاحبه على بعض ما يكره. الثعالبي

﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ في المحبة ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ التي ليست بذات زوج يرعاها ولا مطلقة ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿١٢٩﴾ ﴿وَإِنْ يَنْفَرَا مِنْ بَيْنِكُمْ فَمَا مِنْ سَعَةٍ مِنَ اللَّهِ أَنْ يُوَفِّيَهُمَا ذَاتَ الْجُنُبِ﴾ ﴿١٣٠﴾

القاعدة الأساسية للتعامل مع الحقوق السابقة هو تقوى الله الذي بيده كل شيء

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ فَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ ﴿١٣١﴾

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ من كمال غناه افتقار العالم العلوي والسفلي في جميع أحوالهم وشئونهم إليه، وسؤالهم إياه جميع حوائجهم الدقيقة والجليلة، فقام تعالى بتلك المطالب والأسئلة، وأغناهم وأقناهم، ومنَّ عليهم بلطفه وهداهم. وأما الحميد فهو من أسماء الله تعالى الجليلة الدال على أنه هو المستحق لكل حمد ومحبة، وثناء وإكرام، وذلك لما اتصف به من صفات الحمد - التي هي صفة الجمال والجلال -، ولما أنعم به على خلقه من النعم الجزال، فهو المحمود على كل حال. وما أحسن اقتران هذين الاسمين الكريمين الغني الحميد !! فإنه غني محمود، فله كمال من غناه، وكمال من حمده، وكمال من اقتران أحدهما بالآخر. السعدي

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿١٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

أمر المؤمنين بالعدل والصدق

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ تَكْذِبُوا فِي الشَّهَادَةِ﴾ ﴿١٣٥﴾ أَنْ تَعْدِلُوا ﴿١٣٦﴾ لئلا تميلوا عن الحق ﴿١٣٧﴾ وَإِنْ تَلَوْا ﴿١٣٨﴾ تحرفوا الشهادة بالستكم ﴿١٣٩﴾ أَوْ تُعْضُوا ﴿١٤٠﴾ تتركوا الشهادة ﴿١٤١﴾ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٤٢﴾

﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ أي إن يكن المقسط في حقه، أو المشهود له، غنيا أو فقيرا، فلا يكن غناه ولا فقره سببا للقضاء له أو عليه، والشهادة له أو عليه. والمقصود من ذلك التحذير من التأثر بأحوال يلتبس فيها الباطل بالحق لما يحف بها من عوارض يتوهم أن رعيها ضرب من إقامة المصالح، وحراسة العدالة، فلما أبطلت الآية التي قبلها التأثر للحمية أعقبت بهذه الآية لإبطال التأثر بالمظاهر. التحرير والتنوير. «ت».

جزاء الكفار والمنافقين، وحكم مجالس الباطل

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالِكُنَّ الَّذِي نَزَلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَالِكُنَّ الَّذِي نَزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿١٣٦﴾

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا﴾ أمر الذين آمنوا بالإيمان، وليس في ذلك تحصيل الحاصل؛ لأن المراد الثبات والاستمرار والمداومة على الأعمال المعينة على ذلك. ابن كثير

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ تقديم الملائكة على الرسل: لأنهم الوسائط بين الله وبين رسله. الشوكاني

﴿ءَالِكُنَّ الَّذِي نَزَلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَالِكُنَّ الَّذِي نَزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ نزل لأنه نزل مفرقا منجما على الوقائع بحسب ما يحتاج إليه العباد في معاشهم ومعادهم، وأما الكتب المتقدمة، فكانت تنزل جملة واحدة، لهذا قال تعالى: والكتاب الذي أنزل من قبل. تفسير ابن كثير

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ ﴿١٣٧﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا﴾ من تكرر منه الكفر بعد الإيمان فاهتدى ثم ضل، وأبصر ثم عمي، وآمن ثم كفر، واستمر على كفره وازداد منه، فإنه بعيد من التوفيق والهداية لأقوم الطريق، وبعيد من

المغفرة؛ لكونه أتى بأعظم مانع يمنعه من حصولها. السعدي

﴿ بَشِّرِ الْمُتَفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئِنَّهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُتَفِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ﴾ قد روي عن عمر بن عبد العزيز - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه أخذ قوما يشربون الخمر، ف قيل له عن أحد الحاضرين: إنه صائم، فحمل عليه الأدب وقرأ هذه الآية ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ﴾ أي إن الرضا بالمعصية معصية، ولهذا يؤاخذ الفاعل والراضي بعقوبة المعاصي حتى يهلكوا بأجمعهم. وهذه الماثلة ليست في جميع الصفات، ولكنه إلزام شبه بحكم الظاهر من المقارنة، كما قال: فكل قرين بالمقارن يقتدي. القرطبي

﴿١٠٠﴾

من صفات المنافقين

﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ يتظرون ما يحل بكم ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ﴾ نصر وغنيمة ﴿قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ﴾ نساعدكم ﴿وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ نمنع نصرهم عليكم بالتجسس وتخذيْلهم عنكم ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (١٤١) يمحوبه دولة المؤمنين، ويستبيح بيضتهم

﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ لم يقل فتح؛ لأنه لا يحصل لهم فتح، يكون مبدأ لنصرتهم المستمرة، بل غاية ما يكون أن يكون لهم نصيب غير مستقر؛ حكمة من الله. السعدي

﴿إِنَّ الْمُتَفِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى

يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُذَبِّدِينَ ﴿١٤٣﴾ مَرْدِدِينَ ﴿١٤٤﴾ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٥﴾

﴿مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ عن ابن عمر، عن النبي ﷺ، قال: «مثل المنافق، كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة». مسلم

النهي عن موالاة الكفار، وبيان عاقبة المنافقين

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ءَأُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٦﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ ﴿١٤٧﴾ الْمُنَزَّلَةِ وَالطَّبَقَةِ ﴿١٤٨﴾ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٥٠﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٥١﴾﴾

﴿١٥١﴾

حفظ المجتمع المسلم من قالة السوء، وبيان حكم جهر المظلوم بمظلمته

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ بأن يخبر عن ظالمه ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ﴾ اختلف أهل العلم: في كيفية الجهر بالسوء الذي يجوز لمن ظلم، فقيل: هو أن يدعو على من ظلمه. وقيل: لا بأس أن يجهر بالسوء من القول على من ظلمه بأن يقول: فلان ظلمني، أو هو ظالم ... والظاهر من الآية: أنه يجوز لمن ظلم أن يتكلم بالكلام الذي هو من السوء في جانب من ظلمه، ويؤيده الحديث الثابت في الصحيح بلفظ: «لي الواحد ظلم يحل عرضه وعقوبته». الشوكاني

* وعن ابن عمر أنه قال: لا يحب الله سبحانه أن يدعو أحد على أحد إلا أن

يظلم، فقد رخص له في ذلك. انتهى. الثعالبي

﴿إِنْ بُدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفَوْهُ أَوْ تَعَفَوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا﴾ ﴿١٤٩﴾

﴿أَوْ تَعَفَوْا عَنْ سُوءٍ﴾ ثم بعد أن أباح للمظلوم أن يجهر بالسوء ندب إلى ما هو الأولى والأفضل فقال: إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء تصابون به فإن الله كان عفوا عن عباده، قديرا على الانتقام منهم بما كسبت أيديهم، فاقتدوا به سبحانه، فإنه يعفو مع القدرة. الشوكاني

من انحرافات أهل الكتاب

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ **الرسول** ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُتَّخَذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ﴿١٥٢﴾

بيان شيء من عناد اليهود - وفي ذلك تسلية للرسول ﷺ إن لم يؤمنوا -

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ **اليهود** ﴿أَنْ تُنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ **جملة واحدة** **كما أنزلت التوراة على موسى عليه السلام، ويكون خاصا بهم** ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ ﴿١٥٣﴾

﴿فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ **الباء في قوله: بظلمهم للسببية، أي: بسبب ظلمهم في سؤاها الباطل، لامتناع الرؤية عيانا في هذه الحالة، وذلك لا يستلزم امتناعها يوم القيامة، فقد جاءت بذلك الأحاديث المتواترة. ومن استدل بهذه الآية على امتناع الرؤية يوم القيامة فقد غلط غلطا بينا. الشوكاني**

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ **جبل بسيناء** ﴿بِمِيثَقِهِمْ﴾ **ليخافوا فيقبلوا الميثاق**
 ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا﴾ **لا تعدوا** ﴿فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا

مِنْهُمْ مِيثَاقًا عَلِيمًا ﴿١٥٤﴾

﴿١٠٢﴾

من جرائم اليهود، وبيان رفع الله لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿فِيمَا نَقَضَهُمْ مِيثَقَهُمْ وَكَفَرَهُمْ بِثَانِتِ اللَّهِ وَقُلْنَا لَهُمُ الْآيَاتِ بَغِيرَ حَقِّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ **مغطاة لا تفهم كلامك** ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٥٥﴾ **يؤمن القليل منهم كابن سلام** ﴿وَبَكَفَرَهُمْ﴾ **بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ**
 ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا﴾ ﴿١٥٦﴾ **رموها بالزنى** ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ **مفتخرين**
 ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ **في شك من أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هو المقتول**
 ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ ﴿١٥٧﴾

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ في سبب اختلافهم في ذلك قولان: أحدهما: أنهم لما قتلوا الشخص المشبه كان الشبه قد ألقى على وجهه دون جسده، فقالوا: الوجه وجه عيسى، والجسد جسد غيره، ذكره ابن السائب.

والثاني: أنهم قالوا: إن كان هذا عيسى، فأين صاحبنا؟ وإن كان هذا صاحبنا، فأين عيسى؟ يعنون الذي دخل في طلبه، هذا قول السدي. ابن الجوزي

﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ﴿١٥٨﴾ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به**
قبل موته ﴿**قبل موت عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين ينزل للأرض**﴾ **وَوَمَّ الْيَقِيمَةَ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا** ﴿١٥٩﴾ **بأفعالهم زمن بعثته**

﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ يحتمل أن الضمير هنا في قوله: **قبل موته** يعود إلى أهل الكتاب، فيكون على هذا كل كتابي يحضره الموت ويعاين الأمر حقيقة، فإنه يؤمن بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولكنه إيمان لا ينفع، إيمان

اضطرار، فيكون مضمون هذا التهديد لهم والوعيد، وأن لا يستمروا على هذه الحال التي سيندمون عليها قبل مماتهم، فكيف يكون حالهم يوم حشرهم وقيامهم؟.

ويحتمل أن الضمير في قوله: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ راجع إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيكون المعنى: وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بالمسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل موت المسيح، وذلك يكون عند اقتراب الساعة وظهور علاماتها الكبار. السعدي

تابع جرائم اليهود

﴿فَبُطِّلَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٌ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۖ وَأَخْذَهُمُ الرَّبُّوا وَقَدْ هُمُوهَا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۖ﴾ (١٦١)

﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ الصحيح جواز معاملتهم مع رباهم واقتحام ما حرم الله سبحانه عليهم، فقد قام الدليل القاطع على ذلك قرآنا وسنة، قال الله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٥] القرطبي

﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ﴾ المتكئون ﴿فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ كعبدالله بن سلام ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ الصحابة ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١٦٢)

﴿١٠٣﴾

الوحي على الأنبياء لهداية الناس، وبيان أن عيسى ﷺ إنما هو نبي كحال من سبقه

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ هم الأنبياء من ذرية يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ الذين بعثوا في قبائل بني إسرائيل ﴿وَعِيسَى وَيُوشَعَ

وَهَرُونَ وَسَلِيمَنَ وَعَاتِنَا دَاوُدَ زُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾

﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «لا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدح من الله، من أجل ذلك مدح نفسه، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين». ابن كثير، والحديث عند مسلم.

﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ أَنْزَلَهُ، يَعْلَمُهُ، وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾

﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ روي أن يهودًا جمعهم النبي ﷺ، وأبلغهم أنه رسول الله صدقًا وحقًا، ودعاهم إلى الإيمان وبما جاء به من الدين الحق فقالوا: من يشهد لك بالرسالة إذ كانت الأنبياء توجد في وقت واحد فيشهد بعضهم لبعض، وأنت من يشهد لك. الجزائري

حال الكفار

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿١٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَأْمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾

﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ شهادة الله سبحانه: هي ما يصنعه من المعجزات الدالة على صحة النبوة، فإن وجود هذه المعجزات شهادة للنبي ﷺ بصدق ما أخبر به. الشوكاني

النهي عن الغلو بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ إذ هو نبي كحال من سبقه من الأنبياء

﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابُ﴾ **النصارى** ﴿لَا تَغْلُوا﴾ **تتجاوزوا الاعتقاد الحق** ﴿فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ **خلقه الله بالكلمة التي أرسل بها جبريل إلى مريم وهي: كن** ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ **من الأرواح التي خلقها** ﴿فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾ **أنتهوا خيرًا لكم إنما الله إله واحد سيحكنه** **أن يكون له، ولد له، ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلًا** ﴿١٧١﴾

﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ **من الأرواح التي خلقها وكملمها بالصفات الفاضلة، والأخلاق الكاملة. السعدي**
﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾ كان في اليهود رجل شجاع يقال له: بولس، قتل جماعة من أصحاب عيسى، فقال: إن كان الحق مع عيسى فقد كفرنا وجحدنا وإلى النار مصيرنا، ونحن مغبونون إن دخلوا الجنة ودخلنا النار، وإني أحتال فيهم فأضلهم فيدخلون النار، وكان له فرس يقال لها: العقاب، فأظهر الندامة ووضع على رأسه التراب، وقال للنصارى: أنا بولس عدوكم قد نوديت من السماء أن ليست لك توبة إلا أن تتنصر، فأدخلوه في الكنيسة بيتًا، فأقام فيه سنة لا يخرج ليلاً ولا نهارًا حتى تعلم الإنجيل، فخرج وقال: نوديت من السماء أن الله قد قبل توبتك فصدقوه وأحبوه، ثم مضى إلى بيت المقدس واستخلف عليهم نسطورًا، وأعلمه أن عيسى بن مريم إله، ثم توجه إلى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت. القرطبي

﴿لَنْ يَسْتَنكِفَ﴾ **يأنف ويمتنع** ﴿الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ ﴿١٧٢﴾ **فأما الذين ءامنوا وعملوا الصالحات فيؤقيهم أجورهم**

وَزَيْدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنَكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾

من صفة القرآن

﴿يَتَأْتِيَهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ دليل صادق وهو محمد ﷺ
﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ ﴿١٧٤﴾ القرآن ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ
وَاعْتَصَمُوا بِهِ﴾ ﴿بِالْقُرْآنِ﴾ ﴿فَسَيُجْزِيهِمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ
صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ ﴿١٧٥﴾

﴿١٠٥﴾

ميراث من توفي وليس له ولد ولا والد، وإنما ورث أخت أو أختين أو أخوة

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾ ﴿يَبَيِّنُ الْحُكْمَ﴾ ﴿فِي الْكَلَلَةِ﴾ ﴿مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ
لَهُ وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ﴾ ﴿إِنْ أَمَرُوا هَلْكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَا أُخْتُ﴾ ﴿أَي: شَقِيقَةٌ أَوْ لَأَبٌ
فَلَهَا نِصْفٌ مَا تَرَكَ وَهُوَ بِرِثَتِهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتْ﴾ ﴿أَي: الْأَخْتَانِ
أُثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا﴾ ﴿أَي: الْوَرِثَةُ﴾ ﴿إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً
فَلِلذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾
﴿١٧٦﴾

سورة المائدة

سورة المائدة سورة مدنية، وهي من آخر السور نزولاً، فيها تقرير جملة من
الأحكام للمجتمع المسلم، وبيان ضلال اليهود والنصارى، وموقفهم من المواثيق
التي أخذت عليهم، وفيها شيء من قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل، وقصة
ابني آدم، وحال عيسى عليه السلام مع قومه، والدروس المستفادة من ذلك.

من مواضع السورة:

سورة المائدة، من آخر سور القرآن نزولاً بعد أن أقبلت غالب ديار الجزيرة
العربية على الإسلام، تاركين الشرك وعبادة الأصنام، ومما ورد فيها :

- * التأكيد على وحدانية الله جل وعلا، وبيان موقف اليهود والنصارى من المواثيق التي أخذت عليهم، وبيان شيء من كفرهم وضلالهم.
- * شيء من قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع بني إسرائيل، وقصة ابني آدم، والدروس المستفادة، وشيء من الأحكام الشرعية والحدود.
- * النهي عن موالاة الكفار، وبيان شيء من صفاتهم، والتأكيد على التوحيد ونفي التثليث، ووجوب التحاكم إلى أمر الله.
- * بيان جملة من التشريعات التفصيلية في الإسلام في المآكل والمشرب والأيمان والشهادات، والتحذير من بدع المشركين.
- * الحديث عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه وقصة المائدة.

مما ورد فيها:

- * عن جبير بن نفير، قال دخلت على عائشة فقالت: هل تقرأ سورة المائدة؟ قال: قلت: نعم. قالت: «فإنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرموه». أحمد، وصححه الحاكم وقال على شرط الشيخين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأمر بالوفاء بالعقود ، وشيء من الأحكام الشرعية

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ **العهود** ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ **محرمون** ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾



﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ الآية

حكى النقاش أن أصحاب الفيلسوف الكندي قالوا له: أيها الحكيم اعمل لنا مثل هذا القرآن. فقال: نعم أعمل مثل بعضه. فاحتجب أيامًا كثيرة ثم خرج فقال: والله ما أقدر ولا يطيق هذا أحد، إني فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة، فنظرت فإذا هو قد نطق بالوفاء ونهى عن النكث، وحلل تحليلًا عامًا،

ثم استثنى بعد استثناء، ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطرين، ولا يقدر أحد أن يأتي بهذا. الشوكاني

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ هذا شامل للعقود التي بين العبد وبين ربه، والتي بينه وبين الرسول بطاعته واتباعه، والتي بينه وبين الوالدين والأقارب، ببرهم وصلاتهم وعدم قطيعتهم، والتي بينه وبين أصحابه من القيام بحقوق الصحبة في الغنى والفقر، واليسر والعسر، والتي بينه وبين الخلق من عقود المعاملات، والقيام بحقوق المسلمين التي عقدها الله بينهم في قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] بالتناصر على الحق. ينظر: تفسير السعدي

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ لا تنتهكوا حدوده ومعالم دينه ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾ ما يهدى للحرم من الأنعام وغيرها ﴿وَلَا الْقَلَائِدَ﴾ ما علق عليه شيء دلالة على أنه من الهدى ﴿وَلَا ءَمِينَ﴾ أى: ولا تستحلوا الذين يقصدون ﴿الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ من الإحرام ﴿فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يحملنكم ﴿شَتَائُنُ﴾ بغض ﴿قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبَرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ قال جمهور الأئمة: لا يحل للمسلمين أن يبيعوا للنصارى شيئاً من مصلحة عيدهم، لا لحما، ولا دما، ولا ثوباً، ولا يعارون دابة، ولا يعاونون على شيء من دينهم؛ لأن ذلك من تعظيم شركهم وعونهم على كفرهم وينبغي للسلطين أن ينهوا المسلمين عن ذلك. ابن تيمية في مجموع الفتاوى. «ل».

- حكم القتال في الأشهر الحرم في الملحق.

﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ الجمهور من العلماء على أن القتال في الأشهر الحرم منسوخ بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ

حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴿[التوبة: ٥] وغير ذلك من العمومات ... وبأن النبي ﷺ قاتل أهل الطائف في ذي القعدة - وهو من الأشهر الحرم - . وقال آخرون: إن النهي عن القتال في الأشهر الحرم غير منسوخ لهذه الآية وغيرها مما فيه النهي عن ذلك بخصوصه، وحملوا النصوص المطلقة الواردة على ذلك، وقالوا: المطلق يحمل على المقيد. وفصل بعضهم فقال: لا يجوز ابتداء القتال في الأشهر الحرم، وأما استدامته وتكميله إذا كان أوله في غيرها، فإنه يجوز. وحملوا قتال النبي ﷺ لأهل الطائف على ذلك، لأن أول قتالهم في حنين في شوال. وكل هذا في القتال الذي ليس المقصود منه الدفع. فأما قتال الدفع إذا ابتدأ الكفار المسلمين بالقتال، فإنه يجوز للمسلمين القتال، دفعا عن أنفسهم في الشهر الحرام وغيره بإجماع العلماء. السعدي

﴿١٠٦﴾

ما حرم أكله من الحيوانات، وشيء من أحكام الصيد

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَيْزُرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ ﴿ذكر عليه اسم غير الله﴾ ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ ﴿التي حبس نفسها حتى ماتت﴾ ﴿وَالْمَوْقُودَةُ﴾ ﴿المضروبة بعضا أو حجر﴾ ﴿وَالْمُتَرَدِّيةُ﴾ ﴿الساقطة من مكان عال﴾ ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ ﴿التي نطحتها أخرى حتى ماتت﴾ ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ ﴿أدركتموه حيًّا فذكيتموه﴾ ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ﴾ ﴿الأصنام﴾ ﴿وَأَنْ تَسْقِسُمُوا﴾ ﴿تطلبوا معرفة ما قسم لكم﴾ ﴿بِالْأَزْلَمِ﴾ ﴿قِدَاحًا مَكْتُوبًا عَلَى بَعْضِهَا: «نَهَانِي رَبِّي»، وَعَلَى بَعْضِهَا: «أَمَرَنِي رَبِّي»﴾ ﴿ذَلِكَكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ ﴿مَجَاعَةٍ﴾ ﴿غَيْرِ مُتَجَانِفٍ﴾ ﴿مَائِلٍ﴾ ﴿لِإِثْمٍ﴾ ﴿بأن يأكل أكثر مما يحمي حياته من الهلكة فيأثم﴾ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٣﴾

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ قال رجل من اليهود لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: آية آية؟ قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، فقال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة. البغوي. قال د. عمر المقبل: عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يتدع عيداً موافقة لقول اليهودي؛ لعلم الفاروق أن الأعياد مبناها على النص الشرعي. ليدبروا آياته.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ﴾ **التي تجرح بأنيابها ومخالبها كالكلاب والصقور** ﴿مُكَلِّينَ﴾ **معلمين لها الصيد** ﴿تَعْلَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ **لأجلكم** ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَانْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ﴾ يشترط أن تكون معلمة، بما يعد في العرف تعليمًا، بأن يترسل إذا أرسل، وينزجر إذا زجر، وإذا أمسك لم يأكل... وفيه فضيلة العلم، وأن الجراح المعلم -بسبب العلم- يباح صيده، والجاهل بالتعليم لا يباح صيده. السعدي

﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ أما ما ذبحه أهل الكتاب لأعيادهم، وما يتقربون بذبحه إلى غير الله، نظير ما يذبح المسلمون هداياهم وضحاياهم متقربين بها إلى الله تعالى، وذلك مثل ما يذبحون للمسيح والزهرة، فعن أحمد روايتان: أشهرهما في نصوصه أنه لا يباح أكله، وإن لم يسم عليه غير الله تعالى، ونقل النهي عن ذلك، عن عائشة وعبد الله بن عمر. ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم.

﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ فيه طهارة ما أصابه فم الكلب من الصيد؛ لأن الله أباحه ولم يذكر له غسلًا فدل على طهارته. السعدي

* اختلفوا هل إمساك الصائد عن الأكل شرط في صحة التعليم أم لا؟ على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه شرط في كل الجوارح، فإن أكلت، لم يؤكل، روي عن ابن عباس، وعطاء. والثاني: أنه ليس بشرط في الكل، ويؤكل وإن أكلت،

روي عن سعد بن أبي وقاص، وابن عمر، وأبي هريرة، وسلمان الفارسي. والثالث: أنه شرط في جوارح البهائم، وليس بشرط في جوارح الطير، وبه قال الشعبي، والنخعي، والسدي، وهو أصح لما بينا أن جراح الطير يعلم على الأكل، فأبيح ما أكل منه. ابن الجوزي

* قال ابن عثيمين فيما لو ذهب الكلب من غير إرسال: (لو قال قائل: قد يكون هذا الكلب من كثرة تعليمه أنه تعود هذا، وأنه إنما ذهب بالنيابة عن صاحبه، وهذا ممكن. لكننا نقول: ويمكن - أيضاً - أنه إنما أراد أن يأخذ لنفسه، وإذا اجتمع سببان: مبيح وحاضر، غلب جانب الحظر.

وهذا باعتبار تنزيل هذه المسألة على القواعد، أما باعتبار النص فالمسألة واضحة؛ لأنه - عليه الصلاة والسلام - قال: «إذا أرسلت كلبك» فما دام الكلب هو الذي ذهب، وراح بدون علم مني، ولا أمر مني، فأنا ما صدت في الحقيقة، وإنما الذي صاد الكلب). ابن عثيمين في الشرح الممتع.

﴿مُكَلِّينَ﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: وإنما قيل لهم: مكليين؛ لأن الغالب من صيدهم إنما يكون بالكلاب. ابن الجوزي

* ذهب بعض أهل العلم إلى جواز بيع كلب الصيد - كجابر بن عبد الله، وعطاء، والنخعي، وأبو حنيفة وبعض المالكية - ولمراجعة أقوال أهل العلم ينظر: المغني لابن قدامة (٤/ ١٨٩).

ما يحل لنا مما مصدره أهل الكتاب

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيْبُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ذَبَائِحِهِمْ﴾ ﴿حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ ﴿الْحَرَائِرُ الْعَفِيفَاتُ﴾ ﴿مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْنَهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ﴾ ﴿عَفِيفِينَ﴾ ﴿غَيْرَ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ ﴿عَشِيقَاتُ﴾ ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيْمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾

﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ الأصل حل ذبائح أهل الكتاب إن ذكيت أو جهل حالها. أما إن علم أنها صعدت أو خنقت فهي محرمة، وليس حال

ذبيحتهم أفضل من حال ذبيحة المسلم التي إن علم أنها ذبحت بالصعق والخنق فإنها تحرم.

* للتوسع في المسألة ينظر: فتوى لابن باز رحمه الله في الشبكة العنكبوتية بموقعه الرسمي بعنوان: حكم الحيوان المذبوح بالصعق الكهربائي. -وهي رد على من أجاز ما علم أنه ذبح بالصعق من قبل أهل الكتاب-
ويحرم من طعامهم كذلك ما ذبح للمسيح ونحوه (أهل لغير الله) ينظر ص ١٤٣، ويحرم كذلك ما ذبح لأعيادهم أو يتقربون به للمسيح أو للزهرة.

﴿ ١٠٧ ﴾

الوضوء، والأمر بالتقوى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا ﴿١﴾ عَلَىٰ جَنَابَةٍ ﴿٢﴾ فَأَطْهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ ﴿٣﴾ جَامِعَتُمُ ﴿٤﴾ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا ﴿٥﴾ اقصدوا ﴿٦﴾ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴿٧﴾ طَاهِرًا ﴿٨﴾ فَاْمَسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ اختلف العلماء في قدر الواجب من مسح الرأس، فقال مالك وأحمد: يجب مسح جميع الرأس كما يجب مسح جميع الوجه في التيمم، وقال أبو حنيفة: يجب مسح ربع الرأس، وعند الشافعي رَحْمَةُ اللَّهِ: يجب قدر ما يطلق عليه اسم المسح. ينظر: تفسير البغوي، والروض المربع.

* لو مسح بناصيته فقط دون بقية الرأس فإنه لا يجزئه؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ ولم يقل: «ببعض رؤوسكم» والباء في اللغة العربية لا تأتي للتبعية أبداً. قال ابن برهان: من زعم أن الباء تأتي في اللغة العربية للتبعية فقد أخطأ. ابن عثيمين في الشرح الممتع.

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾ **العهد الذي أخذ على الصحابة في البيعة** ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٧﴾

الأمر بالعدل مع الأعداء

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾ **قائمين بحقوق الله** ﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ **بالعدل** ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٨﴾

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾
 فاشهدوا له، ولو كان كافرا أو مبتدعا، فإنه يجب العدل فيه، وقبول ما يأتي به من الحق؛ لأنه حق، لا لأنه قاله، ولا يرد الحق لأجل قوله، فإن هذا ظلم للحق. السعدي

جزاء الملتزمين بالمواثيق الشرعية، وعاقبة الكفار، وشيء من نعم

الله على المؤمنين

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٩﴾

﴿١٠٨﴾

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ﴿١٠﴾ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ **يبطشوا بكم** ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١١﴾**

﴿إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ روي أن النبي ﷺ وبعض أصحابه دخلوا على كعب بن الأشرف وبني النضير يستعينهم في دية، وكانوا قد عاهدوا النبي ﷺ على ترك القتال، وعلى أن يعينوه في الديات، قالوا: نعم يا أبا

القاسم قد آن لك أن تأتينا وتسألنا حاجة، اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي سألته، فجلس رسول الله ﷺ وأصحابه، فخلا بعضهم ببعض، وقالوا: إنكم لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن، فمن يظهر على هذا البيت، فيطرح عليه صخرة؟ فيريحنا منه؟ فقال عمر بن جحاش : أنا، فجاء إلى رحي عزيمة لي طرحها عليه، فأمسك الله تعالى يده، وجاء جبريل وأخبره، فخرج النبي ﷺ راجعاً إلى المدينة ... فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال: ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾. البغوي

موقف اليهود من المواثيق التي أخذت عليهم

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ **عريفاً** ﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَرْتُمُوهُمْ ﴾ **نصرتموهم وعظمتموهم** ﴿ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (١٢) ﴿ فِيمَا نَقَضَهُمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَةً يُمِرُّونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا ﴾ **تركوا** ﴿ حَظًّا ﴾ **نصيياً** ﴿ مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ ﴾ **تكتشف منهم** **خianات** ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٣)

﴿ فِيمَا نَقَضَهُمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَةً ﴾ أي: غليظة لا تجدي فيها المواعظ، ولا تنفعها الآيات والنذر، فلا يرغبهم تشويق، ولا يزعجهم تخويف، وهذا من أعظم العقوبات على العبد أن يكون قلبه بهذه الصفة التي لا يفيد الهدى والخير إلا شراً. السعدي

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَسَوْأَ حَظًا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ ﴿فِي الْإِنْجِيلِ مِنَ التَّعَالِيمِ﴾ ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ ﴿الْقِينَا﴾ ﴿بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ﴿١٤﴾ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ ﴿كَأَيَّةِ الرِّجْمِ وَالتَّبَيِّنِ مِنْ دَلَائِلِ نُبُوته﴾ ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ ﴿مُحَمَّدٌ ﷺ﴾ ﴿وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿الْقُرْآنُ﴾

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ ﴿إِتْيَانِ الرُّسُولِ ﷺ﴾ ﴿بِهَذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الَّذِي بَيَّنَّ بِهِ مَا كَانُوا يَتَكَاثَمُونَهُ بَيْنَهُمْ - وَهُوَ أُمِّي لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ - مِنْ أَدْلِ الدَّلَائِلِ عَلَى الْقَطْعِ بِرِسَالَتِهِ. السَّعْدِي﴾

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ ﴿طَرِيقَ الْأَمْنِ وَالسَّلَامَةِ﴾ ﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿١٦﴾

كفر النصارى

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٧﴾

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿لَهُ تَدْبِيرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَتَصْرِيفُهُ، وَإِفْنَاءَهُ وَإِعْدَامَهُ، وَإِيجَادُ مَا يَشَاءُ مِمَّا هُوَ غَيْرُ مُوجُودٍ وَلَا مُنْشَأٍ. يَقُولُ: فَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ سِوَايَ، فَكَيْفَ زَعَمْتُمْ أَيُّهَا الْكَذِبَةُ أَنَّ الْمَسِيحَ إِلَهٌ، وَهُوَ لَا يُطِيقُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، بَلْ لَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ الضَّرَرِّ عَنْ نَفْسِهِ وَلَا عَنْ أُمِّهِ، وَلَا اجْتِلَابِ نَفْعٍ إِلَيْهَا إِلَّا بِإِذْنِي؟. الطَّبْرِي﴾

من دعاوى أهل الكتاب، وإقامة الحجة عليهم

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّوْهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ۖ كَالْمَسْخِ وَغَيْرِهِ﴾ ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ ﴿١٨﴾

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾ الابن في لغتهم هو الحبيب، ولم يريدوا النبوة الحقيقية، فإن هذا ليس من مذهبهم، إلا مذهب النصارى في المسيح. السعدي

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ ۖ فَتُورَ﴾ وانقطاع بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ، ومدته ٥٦٩ سنة تقريبا ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٩﴾

تمرد بني إسرائيل على دخول الأرض المقدسة

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَّا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢٠﴾

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ أي: وجعل منكم ملوكا، وإنما حذف حرف الجر لظهور أن معنى الكلام على تقديره، ويمكن أن يقال: إن منصب النبوة لما كان لعظم قدره وجلالة خطره بحيث لا ينسب إلى غير من هو له قال فيه: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾ ولما كان منصب الملك مما يجوز نسبته إلى غير من قال به، كما تقول قرابة الملك نحن الملوك، قال فيه: وجعلكم ملوكا، وقيل المراد بالملك: أنهم ملوكا أمرهم بعد أن كانوا مملوكين لفرعون، فهم جميعا ملوك بهذا المعنى... والظاهر أن المراد من الآية الملك الحقيقي، ولو كان بمعنى آخر لما كان للامتنان به كثير معنى. الشوكاني

﴿وَأَتَاكُمْ مَّا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ الجمهور على أنه خطاب من موسى

عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه، وهو محمول على عالمي زمانهم. ابن كثير

﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ **بيت المقدس وما حولها، وقيل: أريحا**
تحديداً ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾ **ترجعوا عن القتال**
 ﴿فَنَنْقَلِبُكُمْ خَبِيرِينَ﴾ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا
 حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾

﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ يقال: إن منهم عوج بن عنق المشهور
 بالطول المفرط... ولم يأت في أمر هذا الرجل ما يقتضي تطويل الكلام في شأنه،
 وما هذا بأول كذبة اشتهرت في الناس، ولسنا بملزومين بدفع الأكاذيب التي
 وضعها القصاص، ونفقت عند من لا يميز بين الصحيح والسقيم. ينظر:
 تفسير الشوكاني

﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ **هما يوشع وكالب** ﴿مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ **أى: يخافون الله**
 ﴿نَعَمْ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ **بالتوفيق لقول الحق وفعله** ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا
 دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٣﴾

﴿١١١﴾

التيه عقوبة على بني إسرائيل

﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا
 إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ
فاحكم ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ **أى:**
الأرض المقدسة ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ
 الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾

﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ لما دعا عليهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين نكلوا عن الجهاد، حكم الله
 عليهم بتحريم دخولها قدرا مدة أربعين سنة، فوقعوا في التيه يسرون دائما لا
 يهتدون للخروج منه، وفيه كانت أمور عجيبة، وخوارق كثيرة، من تظليلهم

بالغمام، وإنزال المن والسلوى عليهم، ومن إخراج الماء الجاري من صخرة صماء تحمل معهم على دابة، فإذا ضربها موسى بعصاه انفجرت من ذلك الحجر اثنتا عشرة عينا تجري لكل شعب عين، وغير ذلك من المعجزات التي أيد الله بها موسى بن عمران. وهناك أنزلت التوراة، وشرعت لهم الأحكام. ابن كثير

﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ قال رسول الله ﷺ: «جاء ملك الموت إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. فقال له: أجب ربك. قال: فلطم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عين ملك الموت ففقأها، قال: فرجع الملك إلى الله تعالى فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت، وقد فقأ عيني. قال: فرد الله إليه عينه وقال: ارجع إلى عبدي فقل: الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور، فما توارت يدك من شعرة، فإنك تعيش بها سنة، قال: ثم مه؟ قال: ثم تموت، قال: فالآن من قريب، رب أمتني من الأرض المقدسة رمية بحجر»، قال رسول الله ﷺ: «والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق، عند الكثيب الأحمر». مسلم

﴿يَتِيَهُوتُ فِي الْأَرْضِ﴾ لا يهتدون إلى طريق، ولا يبقون مطمئنين، وهذه عقوبة دنيوية، لعل الله تعالى كفر بها عنهم، ودفع عنهم عقوبة أعظم منها، وفي هذا دليل على أن العقوبة على الذنب قد تكون بزوال نعمة موجودة، أو دفع نقمة قد انعقد سبب وجودها، أو تأخرها إلى وقت آخر.

ولعل الحكمة في هذه المدة أن يموت أكثر هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة، الصادرة عن قلوب لا صبر فيها ولا ثبات، بل قد ألفت الاستعباد لعدوها، ولم تكن لها هم ترقيقها إلى ما فيه ارتقاؤها وعلوها، ولتظهر ناشئة جديدة تتربى عقولهم على طلب قهر الأعداء، وعدم الاستعباد، والذل المانع من السعادة. السعدي

﴿يَتِيَهُوتُ فِي الْأَرْضِ﴾ روي أنهم كانوا يسيرون الليل جادين فإذا أصبحوا إذا هم في الموضع الذي ابتدأوا منه، ويسيرون النهار كذلك حتى انقضوا كلهم إلا من لم يبلغ العشرين. قيل: وكانوا ستمائة ألف، ومات هارون وموسى في التيه، وكان رحمة لهما، وعذابا لأولئك، وسأل موسى ربه عند موته

أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، فأدناه كما في الحديث، ونبي يوشع بعد الأربعين، وأمر بقتال الجبارين، فسار بمن بقي معه، وقتلهم، وكان يوم الجمعة، ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم، وروى أحمد في مسنده حديث «إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس». تفسير الجلالين

قصة قابيل وهابيل

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا ﴿٢٧﴾ هَابِيلَ وَلَمْ يَنْقَبِلْ مِنَ الْآخَرِ ﴿٢٨﴾ قَابِيلَ ﴿٢٩﴾ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾

﴿٢٧﴾

﴿قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ كان قربان قابيل حزمة من سنبل؛ لأنه كان صاحب زرع، واختارها من أردأ زرعه، حتى إنه وجد فيها سنبله طيبة ففركها وأكلها، وكان قربان هابيل كبشاً؛ لأنه كان صاحب غنم، أخذه من أجود غنمه، فتقبل قربان هابيل. ينظر: تفسير الشوكاني

﴿قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ قيل: سبب هذا القربان أن حواء عَلَيْهَا السَّلَامُ كانت تلد في كل بطن ذكراً وأنثى... وكان يزوج الذكر من هذا البطن الأنثى من البطن الآخر، ولا تحل له أخته توأمته، فولدت مع قابيل أختاً جميلة واسمها إقليمياء، ومع هابيل أختاً ليست كذلك واسمها ليودا، فلما أراد آدم تزويجهما قال قابيل: أنا أحق بأختي، فأمره آدم فلم يأتمر، وزجره فلم ينزجر، فاتفقوا على التقريب. القرطبي

﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ أَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمُكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمُكَ﴾ اختلف المفسرون في المعنى فقيل: أراد هابيل إني أريد أن تبوء بالإثم الذي كان يلحقني لو كنت حريصاً على قتلك، وبإثمك الذي تحملته بسبب قتلي.

وقيل: المراد بإثمى الذي يختص بي بسبب سيأتي، فيطرح عليك بسبب ظلمك لي، وتبوء بإثمك في قتلي. وهذا يوافق معناه معنى ما ثبت في صحيح مسلم من قوله ﷺ: «يؤتى يوم القيامة بالظالم والمظلوم، فيؤخذ من حسنات الظالم فتزاد في حسنات المظلوم حتى يتتصف، فإن لم يكن له حسنات، أخذ من سيئات المظلوم فتطرح عليه»... وقال أكثر العلماء: إن المعنى إني أريد ﴿أَنْ تَبْوَأَ بِإِثْمِي﴾ أي بإثم قتلك لي ﴿وَلِإِثْمِكَ﴾ الذي قد صار عليك بذنوبك من قبل قتلي. قال الثعلبي: هذا قول عامة المفسرين. الشوكاني

﴿فَطَوَعَتْ﴾ **زينت** ﴿لَهُ، نَفْسُهُ، قَتَلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ، فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٣٠﴾
 ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ **يحفر في الأرض حفرة** ﴿لِيرِيَهُ، كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ﴾ **يستر بدن** ﴿أَخِيهِ قَالَ يَوَلَّيْتَ أَعْجَزْتَ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُؤَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ ﴿٣١﴾

﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ قال الفخر: ولم ينتفع قابيل بندمه؛ لأن ندمه كان لأسباب منها: سخط أبويه وإخوته، وعدم انتفاعه بقتله، ونحو ذلك، ولما كان ندمه لهذه الأسباب لا لأجل الخوف من الله تعالى، فلا جرم لم ينفعه هذا الندم. الثعلبي

حق النفس الإنسانية بالعيش والأمن

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾
قتلها المقتول ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾ **فعله المقتول** ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ **في الوزر** ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ **المعجزات** ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ ﴿٣٢﴾
 ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي

الْآخِرَةَ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ أي: من حارب في سابلة المسلمين وذممتهم، والمغير عليهم في أمصارهم وقراهم حرابة. الطبري
 * قال ابن عباس: إذا حارب فقتل، فعليه القتل إذا ظهر عليه قبل توبته، وإذا حارب وأخذ المال وقتل، فعليه الصلْب إن ظهر عليه قبل توبته. وإذا حارب وأخذ ولم يقتل، فعليه قطع اليد والرجل من خلافٍ إن ظهر عليه قبل توبته. وإذا حارب وأخاف السبيل، فإنما عليه النفي. الطبري

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَلَّا اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿٢٤﴾

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ ﴾ فإن تابوا من قبل أن يقدر عليهم، سقطت عنهم حدود الله تعالى، وأخذوا بحقوق الآدميين من الأنفس، والجراح، والأموال، إلا أن يعفى لهم عنها، لا نعلم في هذا خلافا بين أهل العلم. وبه قال مالك، والشافعي، وأصحاب الرأي وأبو ثور. والأصل في هذا قول الله تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَلَّا اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ... فعلى هذا يسقط عنهم تحتم القتل والصلب، والقطع والنفي، ويبقى عليهم القصاص في النفس والجراح، وغرامة المال والدية لما لا قصاص فيه. ابن قدامة في المغني

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ ﴾ أما القصاص وحقوق الآدميين فلا تسقط. ومن تاب بعد القدرة فظاهر الآية أن التوبة لا تنفع، وتقام الحدود عليه ... فأما الشراب والزناة والسراق إذا تابوا وأصلحوا وعرف ذلك منهم، ثم رفعوا إلى الإمام فلا ينبغي له أن يحدهم، وإن رفعوا إليه فقالوا تبنا لم يتركوا. القرطبي

* قلت: فإن قيل هل للإمام أن لا يؤاخذ به حقوق الآدميين أيضا. إن كان في ذلك مصلحة وحقن للدماء، نُقل أن له ذاك.

* جاء في تفسير الطبري: قال السدي: وتوبته من قبل أن يُقدر عليه: أن يكتب إلى الإمام يستأمنه على ما قتل وأفسد في الأرض: «فإن لم يؤمني على ذلك، ازددت فسادًا وقتلاً وأخذًا للأموال أكثر مما فعلت ذلك قبل». فعلى الإمام من الحق أن يؤمنه على ذلك. فإذا أئمنه الإمام جاء حتى يضع يده في يد الإمام، فليس لأحد من الناس أن يتبعه، ولا يأخذه بدم سفكه، ولا مال أخذه. وكل مال كان له فهو له، لكيلا يقتل المؤمنين أيضًا ويفسد. فإذا رجع إلى الله جل وعزّ فهو وليّه، يأخذه بما صنع، وتوبته فيما بينه وبين الإمام والناس. فإذا أخذه الإمام، وقد تاب فيما يزعم إلى الله جل ثناؤه قبل أن يؤمنه الإمام، فليقم عليه الحدّ. الطبري

* وجاء أن عليًّا الأسديّ حارب وأخاف السبيل وأصاب الدم والمال، فطلبته الأئمة والعامة، فامتنع ولم يُقدر عليه حتى جاء تائبًا، وذلك أنه سمع رجلا يقرأ هذه الآية: ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣]. الآية، فوقف عليه فقال: يا عبد الله، أعد قراءتها. فأعادها عليه، فغمّد سيفه، ثم جاء تائبًا، حتى قدّم المدينة من السّحر، فاغتسل، ثم أتى مسجد رسول الله ﷺ فصلّى الصبح، ثم قعد إلى أبي هريرة في غمار أصحابه. فلما أسفر عرفه الناس وقاموا إليه، فقال: لا سبيل لكم عليّ، جئت تائبًا من قبل أن تقدروا عليّ! فقال أبو هريرة: صدق. وأخذ بيده أبو هريرة حتى أتى مروان بن الحكم في إمرته على المدينة في زمن معاوية، فقال: هذا عليّ، جاء تائبًا، ولا سبيل لكم عليه ولا قتل. قال، فترك من ذلك كله. قال: وخرج عليّ تائبًا مجاهدًا في سبيل الله في البحر، فلحقوا الروم، فقرّبوا سفينته إلى سفينة من سفنهم، فاقتحم على الرّوم في سفينتهم، فهزّموا منه إلى سفينتهم الأخرى، فمالت بهم وبه، فغرقوا جميعًا. الطبري

الأمر بالتقوى، وجزاء الكافرين

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ ما يقربكم إليه من الطاعة ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقِيلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

﴿١١٣﴾

﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ﴿٣٧﴾

عقوبة السارق

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٣٨﴾

﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ قال الفراء: وإنما قال: فاقطعوا أيديهما؛ لأن كل شيء موحد من خلق الإنسان إذا ذكر مضافا إلى اثنين فصاعدا، جمع، تقول: قد هشمت رؤوسهما وملأت ظهورهما وبطونهما ضربا، ومثله فقد صغت قلوبكما، وإنما اختير الجمع على التثنية؛ لأن أكثر ما تكون عليه الجوارح اثنين اثنين في الإنسان: اليدين، والرجلين، والعينين، فلما جرى أكثره على هذا، ذهب بالواحد منه إذا أضيف إلى اثنين مذهب التثنية، وقد يجوز تثنيتهما. ابن الجوزي

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ قال سعيد بن جبير: شديد في انتقامه، حكيم إذا حكم بالقطع. قال الأصمعي: قرأت هذه الآية وإلى جنبي أعرابي، فقلت: والله غفور رحيم، سهوا، فقال الأعرابي: كلام من هذا؟ قلت: كلام الله. قال: أعد، فأعدت: والله غفور رحيم، فقال: ليس هذا كلام الله، فتنهت، فقلت: والله عزيز حكيم. فقال: أصبت، هذا كلام الله. فقلت له: أتقرأ القرآن؟ قال: لا. قلت: فمن أين علمت أني أخطأت؟ فقال: يا هذا عز فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع. ابن الجوزي

﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٣٩﴾

لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾

عدم الحزن على تصرفات اليهود والمنافقين

﴿ يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ﴿٤١﴾ مَقْلُدُونَ لَزَعَائِهِمُ الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوكَ إِعْرَاضًا مِنْهُمْ عَنْكَ ﴿٤٢﴾ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ ﴿٤٣﴾ إِنْ وَافَقَ حُكْمَ مُحَمَّدٍ أَهْوَاءَكُمْ فَاتَّبِعُوهُ ﴿٤٤﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ﴿٤٥﴾ إِنْ لَمْ يُوَافَقْ فَاحْذَرُوا مِنْهُ ﴿٤٦﴾ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤٧﴾

﴿ يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ في صحيح مسلم عن البراء بن عازب، قال: مر على النبي صلى الله عليه وسلم بيهودي محمداً مجلوداً، فدعاهم صلى الله عليه وسلم، فقال: «هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟»، قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم، فقال: «أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قال: لا، ولولا أنك نشدني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرفنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والضعيف، فجعلنا التحميم، والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه»، فأمر به فرجم، فأنزل الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يَسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ} [المائدة: ٤١] إلى قوله {إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ} [المائدة: ٤١]، يقول: اتوا محمداً صلى الله عليه وسلم، فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا. صحيح مسلم

من صفات اليهود

﴿ سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثَلُونَ لِلْحَقِّ ﴾ **للحرام** ﴿ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ وَإِنْ تَعَرَّضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ **العادلين**

﴿ أَكْثَلُونَ لِلْحَقِّ ﴾ سمي المال الحرام سحتاً؛ لأنه يسحت الطاعات، أي: يذهبها ويستأصلها. القرطبي
 ﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ اختلفوا في أهل الذمة إذا ترفعوا فيما بينهم، فذهب قوم إلى التخيير، وذهب آخرون إلى الوجوب، وقالوا: إن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿ وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾، وبه قال ابن عباس. الشوكاني
 ﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ قال الزهري: مضت السنة أن يرد أهل الكتاب في حقوقهم وموارثهم إلى أهل دينهم، إلا أن يأتوا راغبين في حكم الله، فيحكم بينهم بكتاب الله. القرطبي

﴿ وَكَيْفَ يُحْكِمُوكَ ﴾ **بقصة الزانين المحصنين** ﴿ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ﴾ **الرجم** ﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ **لما حكمت بالرجم** ﴿ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٤٣﴾

من التشريعات التي نزلت في التوراة

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ ﴾ **من بنى إسرائيل** ﴿ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴾ **انقادوا لله** ﴿ لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيِّينَ ﴾ **عباد اليهود** ﴿ وَالْأَحْبَارُ ﴾ **علماء اليهود** ﴿ بِمَا أَسْتَحْفَظُوا ﴾ **استودعوا** ﴿ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾ **أنه حق** ﴿ فَلَا تَخْشَوْا ﴾ **يا معشر اليهود** ﴿ النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿٤٤﴾

﴿ وَالْأَحْبَارُ ﴾ في اشتقاق هذا الاسم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه من الحبار وهو

الأثر الحسن، قاله الخليل. والثاني: أنه من الخبر الذي يكتب به، قاله الكسائي.
والثالث: أنه من الخبر الذي هو الجمال والبهاء. ابن الجوزي
﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ﴾ الحكم بغير ما أنزل الله من أعمال
أهل الكفر، وقد يكون كفرا ينقل عن الملة، وذلك إذا اعتقد حله وجوازه. وقد
يكون كبيرة من كبائر الذنوب. السعدي

﴿وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ
وَالْأَذْنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ
فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ من تصدق من المستحقين للقصاص بالقصاص، بأن عفا
عن الجاني، فهو كفارة للمتصدق يكفر الله عنه بها ذنوبه ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ
بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ٤٥

﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ الاقتصاص: أن يفعل به كما فعل. فمن جرح غيره
عمدا اقتص من الجارح جرحا مثل جرحه للمجروح، حدا، وموضعا، وطولا
وعرضا وعمقا، وليعلم أن شرع من قبلنا شرع لنا، ما لم يرد شرعنا بخلافه.
السعدي

﴿١١٥﴾

عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على إثر أنبياء بني إسرائيل

﴿وَقَفَّيْنَا﴾ أتبعنا ﴿عَلَىٰ آثَرِهِمْ﴾ أي: النبيين ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ٤٦ ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ
وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ٤٧

صفة القرآن، والأمر بالحكم بما أنزل الله

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ من
كتب الأنبياء ﴿وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ حاكما عليها شاهدا بصحتها ﴿فَأَحْكُمْ
بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ

شَرَعَةً وَمِنْهَا جَأً ﴿ شريعة وطريقة واضحة في الدين ﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَيَبْلُوَكُمْ ﴿ ليختبركم ﴾ فِي مَاءِ آتَانَكُمْ فَاسْتَيْقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾

﴿ فَاسْتَيْقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ أي: سارعوا إلى الطاعات، وهذا يدل على أن تقديم الواجبات أفضل من تأخيرها. البغوي

﴿ فَاسْتَيْقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ لا يصير فاعلها سابقا لغيره مستوليا على الأمر، إلا بأمرين: المبادرة إليها، وانتهاز الفرصة حين يجيء وقتها ويعرض عارضها، والاجتهاد في أدائها كاملة على الوجه المأمور به. السعدي

﴿ وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّهُ يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

﴿ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ ﴾ عن ابن عباس قال: قال كعب بن أسد، وابن صلوبا، وعبد الله بن سوريا، وشاس بن قيس، بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد، لعلنا نفتنه عن دينه! فأتوه، فقالوا: يا محمد، إنك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم، وإننا إن اتبعناك اتبعنا يهود ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم إليك، فتقضي لنا عليهم، ونؤمن لك، ونصدقك! فأبى ذلك رسول الله ﷺ. ابن كثير

﴿ أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

النهي عن موالاته اليهود والنصارى

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ ﴿ أي: المنافقين ﴾ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ ﴿ يبادرون في مودة اليهود ﴾ يَقُولُونَ نَحْشَى أَنْ

تُصِيبَنَا دَايِرَةٌ ﴿٥٢﴾ نَائِبَةٌ وَمُصِيبَةٌ تَدُورُ عَلَيْنَا ﴿٥٣﴾ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ ﴿٥٤﴾ النَّصْرُ ﴿٥٥﴾ أَوْ أَمْرٌ مِّنْ عِنْدِهِ ﴿٥٦﴾ بَفْضِ الْمُنَافِقِينَ ﴿٥٧﴾ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿٥٩﴾ متعجبين من حال المنافقين ﴿٦٠﴾ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴿٦١﴾ مجتهدين بالحلف بأوكد الأيمان ﴿٦٢﴾ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ ﴿٦٣﴾ بَطَلَتْ ﴿٦٤﴾ أَعْمَلُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾

التحذير من الردة، وبيان من أحق بولاية المؤمن

﴿٦٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ ﴿٦٧﴾ رَحِمَاءُ ﴿٦٨﴾ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ ﴿٦٩﴾ أَشْدَاءُ ﴿٧٠﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧١﴾

﴿٧٢﴾ مَن يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ﴿٧٣﴾ عن قتادة: لما قبض الله نبيه محمداً ﷺ، ارتدّ عامة العرب عن الإسلام إلا ثلاثة مساجد: أهل المدينة، وأهل مكة، وأهل البحرين من عبد القيس. الطبري

﴿٧٤﴾ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴿٧٥﴾ محبة الله للعبد هي أجل نعمة أنعم بها عليه، وأفضل فضيلة، تفضل الله بها عليه، وإذا أحب الله عبداً يسر له الأسباب، وهون عليه كل عسير، ووقفه لفعل الخيرات، وترك المنكرات، وأقبل بقلوب عباده إليه بالمحبة والوداد. السعدي

﴿٧٦﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ﴿٧٧﴾ لما مدحهم تعالى بما من به عليهم من الصفات الجليلة، والمناقب العالية، المستلزمة لما لم يذكر من أفعال الخير؛ أخبر أن هذا من فضله عليهم وإحسانه لئلا يعجبوا بأنفسهم، وليشكروا الذي منّ عليهم بذلك؛ ليزيدهم من فضله، وليعلم غيرهم أن فضل الله تعالى ليس عليه حجاب. السعدي. «ت».

﴿٧٨﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُمْ خَاضِعُونَ لِلَّهِ أَذْلَاءُ ﴿٨٠﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٨١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخْذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا

الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَكُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

﴿١١٧﴾

من صفات أعداء الدين

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابُ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً ﴿جَزَاءٌ وَعِقَابٌ﴾ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴿كُلٌّ مِنْ عَبْدٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ﴿أَيُّ قَالَ مُنَافِقُو الْيَهُودِ﴾ ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ ﴿مِنَ الْيَهُودِ﴾ يُسْرِعُونَ فِي الْأَثَمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ﴿الْحَرَامُ وَمِنَ الرِّشْوَةِ﴾ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا ﴿يَنْهَاهُمْ﴾ الرِّبَايُونُ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْأَثَمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمْ﴾ عن جرير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي، يقدرون على أن يغيروا عليه، فلا يغيروا، إلا أصابهم الله بعذاب من قبل أن يموتوا» أبو داود، وحسنه الألباني.

﴿الرِّبَايُونُ وَالْأَحْبَارُ﴾ الربانيون وهم: العلماء العمال أرباب الولايات عليهم، والأحبار: وهم العلماء فقط. ابن كثير

جراًة اليهود قبحهم الله

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴿مُحْبَسَةٌ عَنْ فِعْلِ الْخَيْرِ لَهُمْ﴾ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴿دَعَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعُدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴿خَذَلَهُمْ فِي مَرَادِهِمُ السَّيِّئِ﴾ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ قال عكرمة: إنما قال هذا فنحاص بن عازوراء -

لعنه الله - وأصحابه، وكان لهم أموال، فلما كفروا بمحمد ﷺ قلّ ما لهم، فقالوا: إن الله بخيل، ويد الله مقبوضة عنا في العطاء، فالآية خاصة في بعضهم. وقيل: لما قال قوم هذا ولم ينكر الباقون صاروا كأنهم بأجمعهم قالوا هذا.

القرطبي

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ مراد اليهود هنا - عليهم لعائن الله - أن الله بخيل، فأجاب سبحانه عليهم بقوله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ - دعاء عليهم بالبخل -، فيكون الجواب عليهم مطابقا لما أرادوه بقوله: يد الله مغلولة. ويجوز أن يراد غل أيديهم حقيقة بالأسر في الدنيا، أو بالعذاب في الآخرة، ويقوي المعنى الأول أن البخل قد لزم اليهود لزوم الظل للشمس فلا ترى يهوديا وإن كان ماله في غاية الكثرة إلا وهو من أبخل خلق الله، وأيضا المجاز أوفق بالمقام لمطابقته لما قبله.

الشوكاني

﴿بَلْ يَدَاهُ﴾ لو كان كما قال الزاعمون أن: ﴿يَدُ اللَّهِ﴾ في قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ هي نعمته، ل قيل: بل يده مبسوطة، ولم يقل: ﴿بَلْ يَدَاهُ﴾؛ لأن نعمة الله لا تحصى كثرة. وبذلك جاء التنزيل، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤، النحل: ١٨] ... قالوا: ولو كانت نعمتين، كانتا محصاتين. قالوا: فإن ظن ظان أن النعمتين بمعنى النعم الكثيرة، فذلك منه خطأ، وذلك أن العرب قد تخرج الجميع بلفظ الواحد؛ لأداء الواحد عن جميع جنسه، وذلك كقول الله تعالى ذكره: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ١-٢]، وكقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ [الحجر: ٢٦]، وقوله: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٥]، قال: فلم يُردَّب «الإنسان» و«الكافر» في هذه الأماكن إنسان بعينه، ولا كافر مشار إليه حاضر، بل عني به جميع الإنس، وجميع الكفار، ولكن الواحد أدّى عن جنسه، كما تقول العرب: (ما أكثر الدرهم في أيدي الناس)، وكذلك قوله: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ﴾ معناه: وكان الذين كفروا. قالوا: فأما إذا ثنى الاسم، فلا يؤدي عن الجنس، ولا يؤدي إلا عن اثنين بأعيانها دون الجميع ودون غيرهما.

قالوا: وخطأ في كلام العرب أن يقال: (ما أكثر الدرهمين في أيدي الناس)، بمعنى: ما أكثر الدراهم في أيديهم.

قالوا: وذلك أن الدرهم إذا ثني لا يؤدي في كلامها إلا عن اثنين بأعيانها.
قالوا: وغير محال: (ما أكثر الدرهم في أيدي الناس)، و (ما أكثر الدراهم في أيديهم)، لأن الواحد يؤدي عن الجميع.

قالوا: ففي قول الله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، مع إعلامه عباده أن نعمه لا تحصى، مع ما وصفنا من أنه غير معقول في كلام العرب أن اثنين يؤديان عن الجميع؛ ما ينبئ عن خطأ قول من قال: معنى (اليد)، في هذا الموضع، النعمة، وصحة قول من قال: إن يد الله هي له صفة.

قالوا: وبذلك تظاهرت الأخبار عن رسول الله ﷺ، وقال به العلماء، وأهل التأويل. الطبري

﴿وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ أفاد د. عمر المقبل: أنه سمع العلامة ابن باز يبكي عند هذه الآية، ويقول: نعوذ بالله من الخذلان. بدلاً من أن يزيدهم القرآن هدى وتقى، زادهم طغياناً وكفراً، وهذا بسبب إعراضهم وعنادهم وكبرهم، فاحذر يا عبدالله من ذلك حتى لا يصيبك ما أصابهم. "ليدبروا آياته".

آثار العمل الصالح

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ **يفيض عليهم الرزق من كل جهة** ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ **معتدلة** ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٦٦﴾

﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ يعني بذلك كثرة الرزق النازل عليهم من السماء والنابت لهم من الأرض. ابن كثير

الأمر بتبليغ الرسالة، وحال أهل الكتاب

﴿يَتَأْتِيهَا الرِّسُولُ بِلَغٍّ مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ **جميع الرسالة** ﴿وَأِنْ لَّمْ تَفْعَلْ﴾
 لم تبلغ جميع الرسالة ﴿فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ **لأن كتمان بعضها ككتمانها كلها**
 ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ **يحميك منهم** ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾
 ﴿٦٧﴾

﴿بَلَغَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ عن أبي جحيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قلت لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
 هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: «لا والذي فلق الحبة،
 وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن، وما في هذه
 الصحيفة»، قلت: وما في الصحيفة؟ قال: «العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل
 مسلم بكافر». البخاري

﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ أن يقتلوك وكان ﷺ يُحرس حتى نزلت، فقال
 انصرفوا فقد عصمني الله رواه الحاكم. تفسير الجلالين

﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ
 إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ **القرآن**
 ﴿طُعِنَا وَكُفِّرُوا فَلَا تُؤْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٦٨﴾ **إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا**
وَالصَّبِئُونَ وَالنَّصْرِيُّ مَنْ ءَامَرَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٩﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّبِئُونَ وَالنَّصْرِيُّ﴾ يراجع الكلام على مثل
 هذه الآية ص ١٠.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ **على الإيمان بالرسول** ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ
 رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا
 يَقْتُلُونَ﴾ ﴿٧٠﴾

﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ قال الزجاج: فأما التكذيب، فاليهود
 والنصارى يشتركون فيه. وأما القتل فيختص اليهود. ابن الجوزي

تعنت أهل الكتاب، وكفر النصارى والرد عليهم

﴿وَحَسِبُوا﴾ عقب تعنتهم ﴿أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ عذاب وبلاء يلحق بهم ﴿فَعَمُوا وَصَمُوا﴾ عن الحق ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ رجع بهم إلى الحق تفضلا منه سبحانه ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٧١﴾

﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ أي: ظنوا أن معصيتهم وتكذيبهم لا يجر عليهم عذابا ولا عقوبة، فاستمروا على باطلهم. السعدي

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ كسائر البشر ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ يصرفون عن الحق مع ظهوره

﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ هذا دليل على أن مريم لم تكن نبية، بل أعلى أحوالها الصديقية، وكفى بذلك فضلا وشرفا. وكذلك سائر النساء لم يكن منهن نبية. السعدي

* وإنما قيل لها صديقة لكثرة تصديقها بآيات ربها، وتصديقها ولدها فيما أخبرها به. القرطبي

﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ المحتاج إلى الغذاء قوامه بغيره. وفي قوامه بغيره وحاجته إلى ما يقيمه، دليل واضح على عجزه. والعاجز لا يكون إلا مربوبًا لا

رَبًّا. الطبري

﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٧٦)

النهي عن الغلو، وحديث عن أهل الكتاب

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (٧٧)

﴿ ١٢٠ ﴾

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (٧٨) ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٧٩)

﴿ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ قال ابن عباس: لعنوا في الإنجيل على لسان عيسى ابن مريم، ولعنوا في الزبور على لسان داود. الطبري
﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ ﴾ في الآية دليل على النهي عن مجالسة المجرمين، وأمر بتركهم وهجرانهم. وأكد ذلك بقوله في الإنكار على اليهود: ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾. القرطبي

﴿ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ ﴾ من بني إسرائيل ﴿ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ لِبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿ ٨٠ ﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿ ٨١ ﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَهُ الْيَهُودِ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ ﴿ علماء النصارى ﴾ وَرُهْبَانًا ﴿ عباد النصارى ﴾ وَأَنْهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿ ٨٢ ﴾

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً﴾ هذه الآيات نزلت في النصارى الذين آمنوا بمحمد ﷺ، كالنجاشي وغيره ممن آمن منهم. وكذلك لا يزال يوجد فيهم من يختار دين الإسلام، ويتبين له بطلان ما كانوا عليه، وهم أقرب من اليهود والمشركين إلى دين الإسلام. السعدي

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً﴾ ليس في هذا مدح للنصارى بالإيمان بالله، ولا وعد لهم بالنجاة من العذاب، واستحقاق الثواب، وإنما فيه أنهم أقرب مودة، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢]. أي بسبب هؤلاء، وسبب ترك الاستكبار يصير فيهم من المودة ما يصيرهم بذلك خيرا من المشركين، وأقرب مودة من اليهود والمشركين. ابن تيمية في الجواب الصحيح.

استجابة بعض النصارى للحق

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا﴾ بكتابك ونبيك ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٨٣)

﴿أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾ قال ابن عباس: نزلت هذه الآيات في النجاشي وأصحابه، الذين حين تلا عليهم جعفر بن أبي طالب بالحبشة القرآن بكوا حتى أخضلوا لحاهم. وهذا القول فيه نظر؛ لأن هذه الآية مدنية، وقصة جعفر مع النجاشي قبل الهجرة ... وقال قتادة: هم قوم كانوا على دين عيسى ابن مريم، فلما رأوا المسلمين وسمعوا القرآن أسلموا ولم يتلعثموا. واختار ابن جرير أن هذه الآية نزلت في صفة أقوام بهذه المثابة، سواء أكانوا من الحبشة أو غيرها. ابن كثير

﴿١٢١﴾

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ (٨٤) فَأَثْبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتِ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٨٥) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٨٦)

بيان جملة من التشريعات التفصيلية في الإسلام في المآكل والمشارب والأيمان والشهادات

لا يحرم المرء على نفسه ما أحل الله، وأحكام الأيمان

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٨٧)

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ نزل لما هم قوم من الصحابة أن يلازموا الصوم والقيام ولا يقربوا النساء والطيب ولا يأكلوا اللحم ولا يناموا على الفراش. تفسير الجلالين

* جاء رجل إلى الحسن البصري، فقال: إن لي جاراً لا يأكل الفالودج، فقال: ولم؟ قال: يقول لا يؤدي شكره، فقال الحسن: أفيشرب الماء البارد؟ فقال: نعم. فقال: إن جارك جاهل، فإن نعمة الله عليه في الماء البارد أكثر من نعمته عليه في الفالودج. القرطبي

﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (٨٨) لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴿مَا لَا يَقْصِدُ فِيهِ الْيَمِينُ﴾ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ ﴿قَصَدْتُمُ الْيَمِينَ﴾ فَكَفَّرْتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّرَهُ أَيْمَانَكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ عن أبي مالك قال: الأيمان ثلاث: يمين تكفر، ويمين لا تكفر، ويمين لا يؤاخذ بها صاحبها. فأما اليمين التي تكفر، فالرجل يحلف على الأمر لا يفعله، ثم يفعله، فعليه الكفارة. وأما اليمين التي لا تكفر: فالرجل يحلف على الأمر يتعمد فيه الكذب، فليس فيه كفارة. وأما اليمين التي لا يؤاخذ بها صاحبها، فالرجل يحلف على الأمر يرى أنه كما حلف عليه، فلا يكون كذلك، فليس عليه كفارة. وهو «اللغو». الطبري

﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ قال ابن عباس: إن كنت تشبع أهلَكَ فأشبع المساكين، وإلا فعلى ما تطعم أهلَكَ بقدره. الطبري
 ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ كفارته وظاهره أنه لا يشترط التتابع. تفسير الجلالين.

قلت: وظاهر القرآن أن التكفير بالصوم لا يشرع إلا بعد العجز عن العتق وإطعام الفقراء أو كسوتهم.

تحريم الخمر والميسر والأنصاب والأزلام

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ الْقِمَارُ وَهُوَ: المراهنة التي فيها عوض من جانبين﴾ ﴿وَالْأَنْصَابُ﴾ حجارة كان المشركون يذبحون عندها تعظيماً ﴿وَالْأَزْلَمُ﴾ قِداحاً مكتوباً على بعضها: «نهاني ربّي»، وعلى بعضها: «أمرني ربّي» يستقسمون بها ﴿رَجْسٌ﴾ إثم ﴿مَنْ عَمِلِ الشَّيْطَانُ فَاجْتَنِبْهُ لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ﴾ ﴿٩٠﴾

﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ قال ابن عباس: كل القمار من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب. الشوكاني

﴿فَاجْتَنِبْهُ﴾ أول ما نزل في أمرها ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٩]، فترك عند ذلك بعض المسلمين شربها ولم يتركه آخرون، ثم نزل قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ [النساء: ٤٣]، فتركها البعض أيضاً، وقالوا: لا حاجة لنا فيما يشغلنا عن الصلاة، وشربها البعض في غير أوقات الصلاة، حتى نزلت هذه الآية. الشوكاني

﴿١٢٢﴾

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ ﴿حَرْجٌ وَإِثْمٌ﴾ ﴿فِيمَا طَعِمُوا﴾ من الخمر قبل التحريم ﴿إِذَا مَا

مِّنْكُمْ﴾، وذلك في ثمن صيد أرنب أو نحوه قيمته ربع درهم فوض الله الحكم فيه إلى الرجال، ولو شاء أن يحكم لحكم، وقال: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ﴾ [النساء: ٣٥]، أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم... ثم أجاب عن شبههم في قصة طويلة تراجع في سير أعلام النبلاء.

﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ عدلان يعرفان الحكم، ووجه الشبه، كما فعل الصحابة رضي الله عنهم، حيث قضوا بالحماماة شاة، وفي النعامة بدنة، وفي بقر الوحش - على اختلاف أنواعه - بقرة، وهكذا كل ما يشبه شيئاً من النعم، ففيه مثله، فإن لم يشبه شيئاً ففيه قيمته، كما هو القاعدة في المتلفات، وذلك الهدي لا بد أن يكون ﴿هَدِيًّا بَلَغَ الْكَعْبَةِ﴾ أي: يذبح في الحرم. ﴿أَوْ كَفَرَةً طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ أي: كفارة ذلك الجزاء طعام مساكين، أي: يجعل مقابلة المثل من النعم، طعام يطعم المساكين. قال كثير من العلماء: يقوم الجزاء، فيشتري بقيمته طعام، فيطعم كل مسكين مَدَّ بَرٍّ أو نصف صاع من غيره. ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ﴾ الطعام ﴿صِيَامًا﴾ أي: يصوم عن إطعام كل مسكين يوماً. السعدي

﴿أَوْ كَفَرَةً طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ هل يعتبر في إخراج الطعام قيمة النظر، أو قيمة الصيد؟ فيه قولان: أحدهما: قيمة النظر، وبه قال عطاء، والشافعي، وأحمد. والثاني: قيمة الصيد، وبه قال قتادة، وأبو حنيفة، ومالك. ابن الجوزي

﴿١٢٣﴾

تابع لأحكام الصيد للمحرم، وفضل الكعبة

﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ، مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلْغَايَةِ﴾ وللغاية ﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿١٦﴾

﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ﴾ قال ابن أبي طلحة، عن ابن عباس - في رواية عنه - وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، وغيرهم في قوله: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ يعني: ما يصطاد منه طرياً ﴿وَطَعَامُهُ﴾ ما يتزود منه مليحاً يابساً. وقال ابن عباس في الرواية المشهورة عنه: صيده ما أخذ منه حياً ﴿وَطَعَامُهُ﴾ ما

لفظه ميتا. ابن كثير

﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ نقل عن عثمان بن عفان أنه لا بأس بأكل المحرم الصيد إذا لم يصد له، ولا من أجله. القرطبي

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ﴾ ما يهدي للحرم ﴿وَالْقَلِيدَ﴾ ما علق عليه شيء دلالة على أنه من الهدى ﴿ذَلِكَ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٧﴾

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾ يقوم به أمر دينهم بالحج إليه، ودنياهم بأمن داخله، وعدم التعرض له، وجبي ثمرات كل شيء إليه ... ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ بمعنى الأشهر الحرم - ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب - قياما لهم بأمنهم من القتال فيها ﴿وَالْهَدْيَ وَالْقَلِيدَ﴾ قياما لهم بأمن صاحبهما من التعرض له. تفسير الجلالين

﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٩٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَىٰ أَلَا لَبِيبٌ لَّعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ ﴿١٠٠﴾

النهي عما لا يفيد من الأسئلة، وعن الابتداع

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿١٠١﴾

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ أَسْطَاعٍ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، قالوا: يا رسول الله، أفى كل عام؟ فسكت، فقالوا: يا رسول الله، أفى كل عام؟ قال: لا، ولو قلت: نعم، لوجبت، فأنزل الله: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾. الترمذي

* عن الزهري قال: بلغنا أن زيد بن ثابت الأنصاري كان يقول إذا سئل عن

الأمر: أكان هذا؟ فإن قالوا: نعم قد كان؛ حدث فيه بالذي يعلم، وإن قالوا: لم يكن؛ قال: فذروه حتى يكون. القرطبي

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن بُدِّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ، خرج حين زاغت الشمس، فصلّى لهم صلاة الظهر، فلما سلم قام على المنبر، فذكر الساعة، وذكر أن قبلها أمورًا عظامًا، ثم قال: «من أحب أن يسألني عن شيء فليسألني عنه، فوالله لا تسألونني عن شيء إلا أخبرتكم به، ما دمت في مقامي هذا» قال أنس بن مالك: فأكثر الناس البكاء حين سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ، وأكثر رسول الله ﷺ أن يقول: «سلوني» فقام عبدالله بن حذافة فقال: من أبي؟ يا رسول الله! قال: «أبوك حذافة» فلما أكثر رسول الله ﷺ من أن يقول: «سلوني» برك عمر، فقال: رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا، قال: فسكت رسول الله ﷺ حين قال عمر ذلك، ثم قال رسول الله ﷺ: «أولى، والذي نفس محمد بيده! لقد عرضت علي الجنة والنار آنفًا، في عرض هذا الحائط، فلم أرَ كاليوم في الخير والشر» قال ابن شهاب: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: قالت أم عبد الله بن حذافة، لعبد الله بن حذافة: ما سمعت بابن قط أعق منك؟ أأمنت أن تكون أمك قد قارفت بعض ما تقارف نساء أهل الجاهلية، فتفضحها على أعين الناس؟! «مسلم

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ ﴿١٠٢﴾ بتركهم العمل بها

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ﴾ في هؤلاء القوم أربعة أقوال: أحدها: أنهم الذين سألوا عيسى نزول المائدة، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: أنهم قوم صالح حين سألوا الناقة، هذا على قول السدي. وهذان القولان يخرجان على أنها سألوا الآيات. والثالث: أن القوم هم الذين سألوا في شأن البقرة وذبحها، فلو ذبحوا بقرة لأجزأت، ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم، قاله ابن زيد. وهذا يخرج على سؤال من سأل عن الحج، إذ لو أراد الله أن يشدد عليهم بالزيادة في الفرض

لشدد. والرابع: أنهم الذين قالوا لنبي لهم: ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله، وهذا عن ابن زيد أيضا، وهو يخرج على من قال: إنما سألوا عن الجهاد والفرائض تمنيا لذلك. قال مقاتل: كان بنو إسرائيل يسألون أنبياءهم عن أشياء، فإذا أخبروهم بها؛ تركوا قولهم ولم يصدقوهم، فأصبحوا بتلك الأشياء كافرين. ابن الجوزي

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ **صفات لبهيمة الأنعام**
ابتدعوا فيها عبادات شركية ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٠٣)

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ هي: ناقة يشقون أذننها، ثم يحرمون ركوبها ويرونها محترمة، ﴿وَلَا سَائِبَةٍ﴾ وهي: ناقة، أو بقرة، أو شاة، إذا بلغت شيئا اصطلحوا عليه؛ سبوها فلا تتركب ولا يحمل عليها ولا تؤكل، وبعضهم ينذر شيئا من ماله يجعله سائبة، ﴿وَلَا حَامٍ﴾ أي: جمل يحمي ظهره عن الركوب والحمل، إذا وصل إلى حالة معروفة بينهم. السعدي
 ﴿وَلَا وَصِيلَةٍ﴾ الوصيعة من الإبل، كانت الناقة تبتكر بأنثى، ثم تشن بأنثى، فسموها الوصيعة، ويقولون: وصلت أنثيين ليس بينهما ذكر، فكانوا يجدعونها لطواغيتهم. ابن كثير

الأمر بالرجوع للقرآن والسنة، والحث على إصلاح النفوس

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ عِبَادَنَا أَوْلَوْا كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (١٠٤)

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ إذا قيل لهؤلاء الذين يبحرون البحائر ويسبون السوائب؟ تعالوا إلى تنزيل الله وآي كتابه وإلى رسوله؛ ليتبين لكم كذب قيلكم فيم تضيفونه إلى الله تعالى. ينظر: تفسير الطبري

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ أَلْزَمُوا أَنفُسَكُمْ بِالطَّاعَاتِ ۖ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فِئْتَبَتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١٠٥)

﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ عن أبي بكر الصديق، أنه قال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الناس إذا رأوا ظالماً، فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه. الترمذي

﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متعين متى رجي القبول، أو رجي رد الظالم ولو بعنف، ما لم يخف الأمر ضرراً يلحقه في خاصته، أو فتنه يدخلها على المسلمين، إما بشق عصا، وإما بضرر يلحق طائفة من الناس، فإذا خيف هذا فـ ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ محكم واجب أن يوقف عنده. ولا يشترط في الناهي أن يكون عدلاً كما تقدم، وعلى هذا جماعة أهل العلم فاعلمه. القرطبي

﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾ قد يتوهم الجاهل من ظاهر هذه الآية الكريمة عدم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن نفس الآية فيها الإشارة إلى أن ذلك فيما إذا بلغ جهده فلم يقبل منه المأمور، وذلك في قوله: إذا اهتديتم؛ لأن من ترك الأمر بالمعروف لم يهتد. الشنقيطي في أضواء البيان (ت).

شهادة غير المسلمين عند الحاجة

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَدُ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ۖ أَيْ: ليشهد ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾ غير ملتكم ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ سافرتم ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ﴾ شكتم فيها ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا﴾ لا نكذب باليمين؛ لأجل الدنيا ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ ﴾ (١٠٦)

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ...﴾ حاصل هذا، أن الميت - إذا حضره الموت في سفر ونحوه، مما هو مظنة قلة الشهود المعترين - أنه ينبغي أن يوصي شاهدين مسلمين عدلين.

فإن لم يجد إلا شاهدين كافرين، جاز أن يوصي إليهما، ولكن لأجل كفرهما فإن الأولياء إذا ارتابوا بهما فإنهم يحلفونهما بعد الصلاة، أنهما ما خانا، ولا كذبا، ولا غيرا، ولا بدلا فيبرآن بذلك من حق يتوجه إليهما.

فإن لم يصدقهما ووجدوا قرينة تدل على كذب الشاهدين، فإن شاء أولياء الميت، فليقم منهم اثنان، فيقسمان بالله: لشهادتهما أحق من شهادة الشاهدين الأولين، وأنهما خانا وكذبا، فيستحقون منها ما يدعون.

وهذه الآيات الكريمة نزلت في قصة «تميم الداري» و «عدي بن بداء» المشهورة حين أوصى لهما العدوي، والله أعلم. السعدي

﴿أَوْ ءَاخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ (من الأحكام المستفادة من الآية) أن شهادة الكافرين في هذه الوصية ونحوها مقبولة لوجود الضرورة، وهذا مذهب الإمام أحمد. وزعم كثير من أهل العلم: أن هذا الحكم منسوخ، وهذه دعوى لا دليل عليها. ومنها: أنه ربما استفيد من تلميح الحكم ومعناه، أن شهادة الكفار - عند عدم غيرهم، حتى في غير هذه المسألة - مقبولة، كما ذهب إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية. السعدي

﴿إِنْ أَرَبْتُمْ﴾ في شهادتهما، فإن صدقتموهما، فلا حاجة إلى القسم بذلك.

السعدي

﴿فَإِنْ عَثَرَ عَلَى أَنَّهُمَا أَسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ ثبتت منها خيانة ﴿فَءَاخِرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ من الورثة ﴿مَنْ الَّذِينَ أَسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ﴾ الأقربان للميت ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَدَتِهِمَا وَمَا أَعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٠٧) ذلك ﴿التشريع﴾ (أدنى) ﴿أقرب﴾ ﴿أَن يَأْتُوا بِالشَّهَدَةِ عَلَى وَجْهٍ﴾ على حقيقتها ﴿أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾ فيحلف الورثة ضدهم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا وَلِلَّهِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (١٠٨)

عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه وقصة المائدة

سؤال الله لأنبيائه عن أمهم

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ ﴿١٠٩﴾

﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ قال ابن عباس: إلا علماً أنت أعلم به منا. الطبري

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ أَذْكُرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ جبريل ﴿تَكَلَّمُ النَّاسُ فِي الْمَهْدِ﴾ تكلمهم وأنت رضيع ﴿وَكَهَلًا﴾ أي: وتكلمهم وأنت كهل ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَذْنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَهَ﴾ الأعمى ﴿وَالْأَبْرَصَ بِأَذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِأَذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿١١٠﴾

﴿وَكَهَلًا﴾ قال ابن عباس: أرسله الله وهو ابن ثلاثين سنة، فمكث في رسالته ثلاثين شهراً ثم رفعه الله إليه. البغوي

﴿وَكَهَلًا﴾ قال ابن الأنباري: كان عَلَيْهِ السَّلَامُ قد زاد على الثلاثين، ومن أربى عليها فقد دخل في الكهولة. والكهل عند العرب: الذي قد جاوز الثلاثين، وإنما سمي الكهل كهلاً؛ لاجتماع قوته، وكمال شبابه ... فإن قيل: فقد علم أن الكهل يتكلم ... (فما يجاب عنه) أن هذا الكلام خرج مخرج البشارة بطول عمره، أي: أنه يبلغ الكهولة. ابن الجوزي بتصرف يسير

طلب الحواريين للمائدة

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ أصفياء عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾

قَالُوا ءَامَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾

﴿وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْخَوَارِجِ﴾ الوحي في كلام العرب معناه الإلهام، ويكون على أقسام: وحي بمعنى إرسال جبريل إلى الرسل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - . ووحى بمعنى الإلهام كما في هذه الآية، أي ألهمتهم وقذفت في قلوبهم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨]، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾ [القصص: ٧]. القرطبي

﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٢﴾

﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ ليس قول الخواريين المحكي بهذا اللفظ في القرآن إلا لفظاً من لغتهم يدل على التلطف والتأدب في السؤال، كما هو مناسب أهل الإيمان الخالص. وليس شكا في قدرة الله تعالى، ولكنهم سألوا آية لزيادة اطمئنان قلوبهم بالإيمان بأن ينتقلوا من الدليل العقلي إلى الدليل المحسوس. فإن النفوس بالمحسوس أنس. ابن عاشور في التحرير والتنوير. «ت».

﴿قَالُوا زُبَيْدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ **تزداد** قلوبنا طمأنينة ﴿وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿١١٣﴾

﴿١٢٦﴾

سؤال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه تلبية طلب الخواريين

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ **نعظم يوم نزولها نحن ومن بعدنا من النصارى** ﴿وَأَيَّةً مِّنْكَ﴾ **علامة علي وحدانيتك ونبوت** ﴿وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١١٥﴾

المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ يتبرأ من الشرك

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾

﴿قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ هذا من كمال أدب المسيح - عليه الصلاة والسلام - في خطابه لربه، فلم يقل عَلَيْهِ السَّلَامُ : لم أقل شيئاً من ذلك، وإنما أخبر بكلام ينفي عن نفسه أن يقول كل مقالة تنافي منصبه الشريف، وأن هذا من الأمور المحالة، ونزّه ربه عن ذلك أتم تنزيهه، ورد العلم إلى عالم الغيب والشهادة. السعدي

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١١٧﴾﴾ **شاهدًا** ﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٨﴾﴾ **شَهِيدٌ** ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ﴾ عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنِّهْنِ أَضَلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ الآية [إبراهيم: ٣٦]، وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، فرفع يديه وقال: «اللهم أمتي أمتي»، وبكى، فقال الله عز وجل: «يا جبريل اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله ما يبكيك؟» فأناه جبريل عليه الصلاة والسلام، فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، وهو أعلم، فقال الله: «يا جبريل، اذهب إلى محمد، فقل: إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوؤك». مسلم

﴿وَإِنْ تُغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ لم يقل: أنت الغفور الرحيم، لأن المقام ليس مقام استعطاف واسترحام، إنما هو مقام غضب وانتقام ممن اتخذه وأمه إلهين من دون الله، فناسب ذكر العزة والحكمة، وصار أولى من ذكر الرحمة والمغفرة. السعدي في القواعد الحسان.

﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ نَفْعِ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

فِيهَا أَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

﴿ ١٢٧ ﴾

سورة الأنعام

سورة الأنعام، سورة مكية، فيها تقرير عقيدة التوحيد، ونقض الشرك بالبراهين العقلية، وبالقصص (كقصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لمكانته عند مشركي العرب)، وبضرب الأمثال.. إلخ، وفيها بيان لبعض صور جهل العرب، وشيء من فضل الله على عباده، وحقه عليهم.

من مواضيع السورة:

سورة الأنعام سورة مكية، تناقش شبهات المشركين في مكة؛ ولذا نجد فيها:

- * تقرير عقيدة التوحيد بالبراهين العقلية، وتفرد سبحانه بالخلق والتصريف والإنعام على عباده، وتقرير البعث والنشور وصدق الوحي.
- * وفيها نقض الاعتقادات الشركية بالاستفهام تارة، وبالقصص كقصة إبراهيم (لمكانته عند مشركي العرب) تارة، وبضرب الأمثال تارة، وبالوعد والوعيد تارة ... إلخ، وبيان لبعض صور جهل العرب، يتوسط ذلك ويختتم بذكر شيء من فضل الله على عباده، وحقه عليهم.
- * جاء في تفسير السعدي (ص: ٢٥٢): اعلم أن هذه السورة الكريمة، قد اشتملت على تقرير التوحيد، بكل دليل عقلي ونقلي، بل كادت أن تكون كلها في شأن التوحيد، ومجادلة المشركين بالله المكذبين لرسوله.
- * وجاء في فتح القدير (٢ / ١١٢): قال العلماء: هذه السورة أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين ومن كذب بالبعث والنشور، وهذا يقتضي إنزالها جملة واحدة؛ لأنها في معنى واحد من الحجة، وإن تصرف ذلك بوجوه كثيرة، وعليها بنى المتكلمون أصول الدين.

مما ورد فيها:

جاء في مستدرك الحاكم عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: لما نزلت سورة الأنعام سبح

رسول الله ﷺ ثم قال: «لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سد الأفق». وبنحوه عند البيهقي، وجاء عند الطبراني عن ابن عمر مرفوعاً: «نزلت علي سورة الأنعام جملة واحدة، يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على أفعاله

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ ﴿١﴾ خَلَقَ ﴿الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يسوون به غيره ويشركون

﴿الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ﴾ أفرد النور؛ لأنه جنس يشمل جميع أنواعه، وجمع الظلمات؛ لكثرة أسبابها، وتعدد أنواعها ... وتقديم الظلمات على النور؛ لأنها الأصل، ولهذا كان النهار مسلوخاً من الليل. الشوكاني

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ بخلق مادتكم وأبيكم آدم ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ لوفاتكم ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ ليوم القيامة ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ ﴿٢﴾ تشكون ﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾ الإله المعبود ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ ﴿٢﴾

﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ قيل: هو المعبود أو المالك أو المتصرف في السموات والأرض، كما تقول: زيد الخليفة في الشرق والغرب، أي: حاكم أو متصرف فيهما، وقيل: المعنى: وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الأرض، فلا تخفى عليه خافية، فيكون العامل فيهما ما بعدهما. قال النحاس: وهذا من أحسن ما قيل فيه. الشوكاني

من صور عناد المشركين

﴿وَمَا تَأْنِيهِمْ﴾ أي الكفار ﴿مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ ﴿عَوَاقِبِ﴾ مَا كَانُوا بِهِ

يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا ﴿٥﴾ يَعْلَمُوا وَيَشَاهِدُوا فِي أَسْفَارِهِمْ ﴿٥﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ
مِنْ قَرْنٍ ﴿٥﴾ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ ﴿٥﴾ مَكَتَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ
عَلَيْهِمْ مَدَدَرًا ﴿٥﴾ غَزِيرًا ﴿٥﴾ وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ
وَأُتْسَانًا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ
لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا
مَلَكًا ﴿٨﴾ ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنُوا ﴿٨﴾ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴿٨﴾ بهلاكهم ﴿٨﴾ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾ لا
يمهلون كعادة الأمم السابقة إذا وجد ما اقترحوا فلم يؤمنوا

﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ أي: برسالتنا، لكان الإيمان لا يصدر عن معرفة بالحق،
ولكان إيماننا بالشهادة الذي لا ينفع شيئاً وحده، هذا إن آمنوا، والغالب أنهم لا
يؤمنون بهذه الحالة، فإذا لم يؤمنوا قضى الأمر بتعجيل الهلاك عليهم، وعدم
إنظارهم؛ لأن هذه سنة الله فيمن طلب الآيات المقترحة فلم يؤمن بها، فإرسال
الرسول البشري إليهم بالآيات البينات التي يعلم الله أنها أصلح للعباد، وأرفق
بهم، مع إمهال الله للكافرين والمكذبين خير لهم وأنفع، فطلبهم لإنزال الملك
شر لهم لو كانوا يعلمون، ومع ذلك، فالملك لو أنزل عليهم وأرسل، لم يطيقوا
التلقي عنه، ولا احتملوا ذلك، ولا أطاقته قواهم الفانية. السعدي

﴿١٢٨﴾

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ﴾ أي: الملك ﴿رَجُلًا﴾ ليتمكنوا من رؤيته، إذ
لا قبل للبشر من حيث الأصل برؤية الملائكة على صورتهم ﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ
مَّا يَلْبَسُونَ﴾ ﴿٩﴾

﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَّا يَلْبَسُونَ﴾ فإنهم لا يستطيعون الأخذ عن الملك في
صورته، فلو أرسلنا إليهم ملكاً؛ لجعلناه رجلاً في صورة الإنسان، وحينئذ كان
يلبس عليهم الأمر، ويقولون: هو رجل، والرجل لا يكون رسولا. ابن تيمية
في الرد على المنطقيين.

﴿وَلَقَدْ أَسْهَزَيْ بَرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَّا

كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١١﴾

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ هذا السفر مندوب إليه إذا كان على سبيل الاعتبار بآثار من خلا من الأمم وأهل الديار. القرطبي

من مظاهر عظمة الله ووجوب توحيده

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾ أي: إن لم يقولوا إذ لا جواب غيره ﴿كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٤﴾

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ﴾ سبب نزولها: أن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ: قد علمنا أنه إنما يحملك على ما تدعونا إليه الحاجة، فنحن نجعل لك نصيبا في أموالنا حتى تكون من أغنانا رجلا، وترجع عما أنت عليه، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. ابن الجوزي

﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ﴾ عن مجاهد قال: سمعت ابن عباس يقول: كنت لا أدري ما ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، حتى أتاني أعرابيَان يختصمان في بئر، فقال أحدهما لصاحبه: (أنا فطرتهما)، يقول: أنا ابتدأتها. الطبري

﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ خص الإطعام دون غيره من ضروب الإنعام؛ لأن الحاجة إليه أمس. الشوكاني

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١٥﴾ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ ﴿من صرف عنه العذاب﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ ﴿١٦﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ ﴿يصبك﴾ ﴿اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

﴿١٢٩﴾

دلائل صدق محمد ﷺ في دعوة التوحيد، وبراءة المشركين من شركهم يوم القيامة

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ﴾ **أى: إن لم يقولوا إذ لا جواب غيره** ﴿اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ ۚ وَمَنْ بَلَغَ﴾ **أى: بلغه القرآن** ﴿أَيُنْكَمُ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى﴾ **استفهام إنكارى** ﴿قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّى بَرِئٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ﴾ ﴿١٩﴾

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ قال الزجاج: أمره الله تعالى أن يحتج عليهم بأن شهادة الله عَزَّوَجَلَّ في نبوته أكبر شهادة، وأن القرآن الذي أتى به، يشهد له أنه رسول الله، وهو قوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ﴾ ففي الإنذار به دليل على نبوته؛ لأنه لم يأت أحد بمثله، ولا يأتي، وفيه خبر ما كان، وما يكون، ووعد فيه بأشياء، فكانت كما قال. ابن الجوزي

﴿أَيُنْكَمُ لَتَشْهَدُونَ﴾ فوازن بين شهادة أصدق القائلين ورب العالمين وشهادة أزكى الخلق المؤيدة بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة على توحيد الله وحده لا شريك له، وشهادة أهل الشرك الذين مرجت عقولهم وأديانهم، وفسدت آراؤهم وأخلاقهم، وأضحكوا على أنفسهم العقلاء. بل خالفوا بشهادة فطرهم، وتناقضت أقوالهم على إثبات أن مع الله آلهة أخرى، مع أنه لا يقوم على ما قالوه أدنى شبهة، فضلا عن الحجج، واختر لنفسك أي الشهادتين إن كنت تعقل. السعدي

﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ **أى يعرفون محمدا ﷺ** ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ **الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴿٢٠﴾ **وَمَنْ أَظْلَمُ لَا أَحَدَ أَظْلَمُ** ﴿مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٢١﴾ **وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنُ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ** ﴿٢٢﴾

﴿إِنَّ شُرَاؤُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ قال ابن عباس: كل زعم في القرآن فهو كذب. القرطبي

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾ إجابته **﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾** (٢٣) انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضلّ **﴿غاب﴾** عنهم ما كانوا يفترون **﴿٢٤﴾** **﴿من الشركاء﴾**

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ قال الزجاج: لم يكن افتتانهم بشركهم، وإقامتهم عليه، إلا أن تبرؤوا منه. ومثل ذلك في اللغة أن ترى إنسانا يحب غاويا، فاذا وقع في هلكة تبرأ منه، فيقول: ما كانت محبتك لفلان إلا أن انتفيت منه. ابن الجوزي

سماع من لا يريد الوصول للحق

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ **﴿أغطية﴾** ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ **﴿ثقلًا وصممًا فلا يسمعون سماع تفهم وقبول﴾** ﴿وَأِنْ يَرَوْا كَلَاءِيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٥) **﴿حكاياتهم التي لا حقيقة لها﴾** ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ **﴿ينهون الناس عن النبي ﷺ﴾** ﴿وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ﴾ **﴿يبتعدون﴾** ﴿وَأِنْ يَهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ **﴿بفعلهم﴾** ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢٦)

لا تفيد الأمانى المشركين عند رؤية العذاب

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْلِنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٧)

﴿بَلْ بَدَاهُمْ مَّا كَانُوا يَخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٢٨)

﴿بَلْ بَدَاهُمْ مَّا كَانُوا يَخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ كانوا يخفون في أنفسهم، أنهم كانوا كاذبين، ويبدو في قلوبهم في كثير من الأوقات. ولكن الأغراض الفاسدة، صدهم عن ذلك، وصرفت قلوبهم عن الخير. السعدي

﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ﴾ سميت القيامة بالساعة؛ لسرعة الحساب فيها. القرطبي

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْقُوتُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾

تسليية النبي ﷺ عن صدور المشركين

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ ﴿٣٣﴾﴾ **في باطن أمرهم** ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ﴾ قال السدي: خلا الأخنس بأبي جهل، فقال: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد، أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس ههنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا! فقال أبو جهل: وَيْحَكَ، والله إن محمداً لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهب بنو قُصَيٍّ باللواء والحجابه والسقاية والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟ ينظر: تفسير الطبري

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبَايِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كِبَرُ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ ﴿٣٥﴾﴾ **أى: فافعل، ولكنك لا تستطيع بغير أمر الله، لذا فاصبر حتى يحكم الله بينك وبينهم** ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ قيل: إن الخطاب وإن كان لرسول الله ﷺ فالمراد به أمته؛ لأنها كانت تضيق صدورهم بتمرد الكفرة وتصميمهم على كفرهم، ولا يشعرون أن الله سبحانه في ذلك حكمة لا تبلغها العقول، ولا تدركها الأفهام، فإن الله سبحانه لو جاء لرسوله ﷺ بآية تضطرهم إلى الإيـان

لم يبق للتكليف الذي هو الابتلاء والامتحان معنى، ولهذا قال: ولو شاء الله لجمعهم على الهدى جمع إلقاء وقسر، ولكنه لم يشأ ذلك، والله الحكمة البالغة، فلا تكونن من الجاهلين، فإن شدة الحرص والحزن لإعراض الكفار عن الإجابة قبل أن يأذن الله بذلك هو صنيع أهل الجهل ولست منهم. الشوكاني

﴿ ١٣١ ﴾

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ سماع تفهم، أما الكفار فإنهم يشبهون الموتى لإعراضهم ﴿ وَالْمَوْتُ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ ﴿ ٣٦ ﴾

مطالب المشركين

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ كناية صالح عَلَيْهِ السَّلَام ومائدة عيسى عَلَيْهِ السَّلَام ﴿ قُلْ إِنْ أَلَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ ٣٧ ﴾ أن ذلك بهم ضار؛ لأنهم لن يمهلوا بعدها ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ ﴾ في تدبير الله لأحوالها ﴿ مَا فَرَطْنَا ﴾ تركنا ﴿ فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ ﴿ ٣٨ ﴾

﴿ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ فإن قال قائل: فما وجه قوله: ﴿ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾؟ وهل يطير الطائر إلا بجناحيه؟ فما في الخبر عن طيرانه بالجناحين من الفائدة؟ قيل: قد قدمنا القول فيما مضى أن الله تعالى ذكره أنزل هذا الكتاب بلسان قوم وبلغاتهم وما يتعارفونه بينهم ويستعملونه في منطقهم خاطبهم. فإذا كان من كلامهم إذا أرادوا المبالغة في الكلام أن يقولوا: (كلمت فلاناً بفمي)، و(مشيت إليه برجلي)، و(ضربت به يدي)، خاطبهم تعالى بنظير ما يتعارفونه في كلامهم. الطبري

﴿ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ بجناحيه: تأكيد وإزالة للإبهام، فإن العرب تستعمل

الطيران لغير الطائر، تقول للرجل: طر في حاجتي، أي أسرع، فذكر ﴿بِجَنَاحَيْهِ﴾ ليتمحض القول في الطير. القرطبي

﴿إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾ قال سفيان بن عيينة: أي ما من صنف من الدواب والطيور إلا في الناس شبه منه، فمنهم من يعدو كالأسد، ومنهم من يشبه كالحنزير، ومنهم من يعوي كالكلب، ومنهم من يزهو كالبطاووس، فهذا معنى المماثلة. واستحسن الخطابي هذا وقال: فإنك تعاشر البهائم والسباع فخذ حذرك.

القرطبي

﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ في هذه الآية، دليل على أن الكتاب الأول، قد حوى جميع الكائنات، وهذا أحد مراتب القضاء والقدر، فإنها أربع مراتب: علم الله الشامل لجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الموجودات، ومشيئته وقدرته النافذة العامة لكل شيء، وخلقه لجميع المخلوقات، حتى أفعال العباد.

السعدي

﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا ضُفُّوا لَا يَسْمَعُونَ﴾ وَبُكِّمُوا ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضِلُّهُ وَمَنْ يَشَاءُ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾

الاستدلال على المشركين بإخلاصهم عند الكرب والشدائد، من أحوال الأمم السابقة

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِلَٰهُهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَاسِ ﴿٤٢﴾ وَالضَّرَاءِ ﴿٤٣﴾ الْمَرَضِ ﴿٤٤﴾ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٤٥﴾ فَلَوْلَا ﴿٤٦﴾ لَوْ أَنَّهُمْ ﴿٤٧﴾ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ﴿٤٨﴾ لِيَكْشِفَ عَنْهُمْ ﴿٤٩﴾ وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴿٥٠﴾ وَهَذَا أَحَدُ فِرَاقِ الْكُفَّارِ لَا يَتَضَرَّعُ لِلَّهِ أَبَدًا، والفريق الآخر هو من يتضرع حال الضراء فقط، فإذا كشفت أشرك، أما المؤمن فيخلص ويتضرع في السراء والضراء ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴿٥١﴾ مِنَ النِّعَمِ اسْتُدْرَجُوا ﴿٥٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً

فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ آيسون من النجاة

﴿١٣٢﴾

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾
أخبروني ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَنَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ
 بِهِ أَنْظَرُ كَيْفَ نُصَرِّفُ﴾ **ننوع** ﴿الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ **يعرضون**

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَنَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ
 بِهِ﴾ قال مقاتل: يعني تكون العلامات في أمور شتى، فيخوفهم بأخذ الأسماع
 والأبصار والقلوب، وبما صنع بالأمم الخالية، ثم هم يصدفون. ابن الجوزي

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ﴾ **أخبروني** ﴿إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ
 إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ﴾ قال الفراء: العرب تقول: أرأيتك، وهم يريدون: أخبرني. ابن
 الجوزي

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا
 هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

مهمة الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ
 أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ
 بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ
 يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ ﴿أول النهار﴾ وَالْعِشِيِّ ﴿آخر
 النهار﴾ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ
 مِّنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ﴾ كان سبب نزول هذه الآيات، أن أناسا من قريش، أو من
 أجناس العرب قالوا للنبي ﷺ: إن أردت أن نؤمن لك ونتبعك، فاطرد فلانا

وفلانا، أناسا من فقراء الصحابة، فإننا نستحي أن ترانا العرب جالسين مع هؤلاء الفقراء. السعدي

﴿ ١٣٣ ﴾

﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا﴾ **ابتلينا** ﴿بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا﴾ **أى: الأغنياء** ﴿أَهَؤُلَاءِ﴾ **الفقراء** ﴿مَنْ أَلَّهَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ **بالهداية، والرد عليهم** ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ ﴿٥٣﴾

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ مرجع الاستحقاق لنعم الله سبحانه هو الشكر، وهو أعلم بالشاكرين له، فما بالكم تعترضون بالجهل، وتنكرون الفضل. الشوكاني

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا أَوْ جَهِلَةً﴾ **بسفاهة** ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٥٤﴾

﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا أَوْ جَهِلَةً﴾ **الجهالة أنواع منها: عدم تقدير عاقبة الذنب، ونسيان عظمة الرب. الجزائري**

﴿وَكَذَلِكَ نَفِصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٥﴾

الموقف من آلهة المشركين، وهل يملك النبي ﷺ إيقاع العذاب

﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَنْتُمْ أَهْوَاءُكُمْ قَدْ ضَلَلْتُمْ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ **يقين** **وبرهان** ﴿وَكَذَبْتُمْ بِهِ﴾ **بربى** ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ **العذاب** ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ﴾ **يخبر بالحق ليقطع المعاذير** ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ ﴿٥٨﴾

من مظاهر عظمة الله الواحد

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ خَزَائِنِ﴾ **الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**
وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا
يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله». البخاري

﴿ ١٣٤ ﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم﴾ **النوم الوفاة الصغرى** ﴿بِالَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم﴾
كسبتهم ﴿بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ **أى: في النهار بعد قبض أرواحكم بالنوم**
لتقوموا بأعمالكم ﴿لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ **فتنتهى حياتكم** ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ
مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ **وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ**
عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴿٦١﴾
لَا يَضِيعُونَ﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ
﴿٦٢﴾

فضل الله على الناس، وشرك كثير منهم

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنَ ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أَنْجَحْنَا مِنْ هَذِهِ
لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾
قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسَنَكُمْ
شِيعًا﴾ **يخلطكم فرقًا متناحرة** ﴿وَيُذِيقُ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظَرْكُمْ نَضْرَفًا﴾ **ننوع**
﴿الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ ﴿٦٥﴾

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ عن جابر بن عبد الله، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾، قال النبي ﷺ: «أعوذ بوجهك»، فقال: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، فقال النبي ﷺ: «أعوذ

بوجهك»، قال: ﴿أَوَلَيْسَ كُمْ شَيْعًا﴾، فقال النبي ﷺ: «هذا أيسر». البخاري
 ﴿عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ قال بعضهم: أما العذاب الذي توعدهم به أن يبعثه عليه
 من فوقهم، فالرجم. وأما الذي توعدهم أن يبعثه عليهم من تحتهم، فالخسف
 ... وقال آخرون: عني بالعذاب من فوقكم، أئمة السوء ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ
 أَرْجُلِكُمْ﴾، الخدم وسفلة الناس. ينظر: الطبري. ورجح الأول، وقال: (وذلك
 أن المعروف في كلام العرب من معنى «فوق» و«تحت» الأرجل، هو ذلك، دون
 غيره). الطبري

﴿وَيَذِيقُ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ أقبل ذات
 يوم من العالية، حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين،
 وصلينا معه، ودعا ربه طويلاً، ثم انصرف إلينا، فقال ﷺ: «سألت ربي ثلاثاً،
 فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي: أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها،
 وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم
 فمنعنيها». مسلم.

﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿بَرَقِيبَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ
 لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ نهاية يعرف بها أحق أم باطل ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦٧﴾

الواجب تجاه مجالس اللغو والشرك

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ﴾ يستهزؤون ﴿فِيءَ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي
 حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٦٨﴾

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ في هذه الآية موعظة عظيمة لمن يتسمح بمجالسة المبتدعة
 الذين يحرفون كلام الله، ويتلاعبون بكتابه وسنة رسوله، ويردون ذلك إلى
 أهوائهم المضلة وبدعهم الفاسدة، فإنه إذا لم ينكر عليهم ويغير ما هم فيه فأقل
 الأحوال أن يترك مجالستهم، وذلك يسير عليه غير عسير، وقد يجعلون
 حضوره معهم مع تنزهه عما يتلبسون به شبهة يشبهون بها على العامة، فيكون

في حضوره مفسدة زائدة على مجرد سماع المنكر.
وقد شاهدنا من هذه المجالس الملعونة ما لا يأتي عليه الحصر، وقمنا في نصرة الحق ودفع الباطل بما قدرنا عليه، وبلغت إليه طاقتنا. الشوكانى

﴿ ١٣٥ ﴾

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَٰكِنْ ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ﴿٦٩﴾

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ﴾ ليس على المؤمنين المتقين أنت وأصحابك يا رسولنا من تبعة ولا مسئولية، ولكن إذا خاضوا في الباطل فقوموا؛ ليكون ذلك ذكراً لهم فيكفون عن الخوض في آيات الله تعالى. الجزائري

﴿وَلَٰكِنْ ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: ولكن ليذكرهم، ويعظهم، لعلهم يتقون الله تعالى. وفي هذا دليل على أنه ينبغي أن يستعمل المذكر من الكلام، ما يكون أقرب إلى حصول مقصود التقوى. وفيه دليل على أنه إذا كان التذكير والوعظ مما يزيد الموعوظ شراً إلى شره إلى أن تركه هو الواجب؛ لأنه إذا ناقض المقصود، كان تركه مقصوداً. السعدي

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَن تَبْسَلَ﴾ ترهن وتحبس ﴿نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ﴾ تفتدى ﴿كُلُّ عَدْلٍ لَا يُوْخَذُ مِنْهَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾ ارتهنوا بذنوبهم ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ ﴿٧٠﴾

مثل من يعود للكفر بعد الإيمان

﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُردُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ هَوَتْ بِهِ فَأَضَلَّتْهُ الشَّيْطَانُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ متحير لا يدرى أين يذهب ﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ انْتِنَا﴾ له أصحاب من

أهل الخير يدعونه إلى الخير وهو يمتنع ﴿قُلْ إِنِّي هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَلَيْهِمُ الْغُيْبُ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾

﴿١٣٦﴾

قصة إبطال إبراهيم عليه السلام للشرك - وهو الذي ينتسب له مشركو العرب -

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَاذَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَىٰ أَرْكَكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَاذَرَ﴾ قال محمد بن إسحاق والضحاك والكلبي: آزر اسم أبي إبراهيم، وهو تارخ أيضاً، مثل إسرائيل ويعقوب، وكان من كوثى، قرية من سواد الكوفة. البغوي

﴿وكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ ﴿أَظْلَم﴾ عَلَيْهِ أَلِيلٌ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾ الغائبين

﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ قيل: إنما قال ذلك على وجه الإنكار منه أن يكون ذلك ربه، وعلى العيب لقومه في عبادتهم الأصنام، إذ كان الكوكب والقمر والشمس أضواءً وأحسن وأبهج من الأصنام، ولم تكن مع ذلك معبودة، وكانت آفة زائلة غير دائمة، والأصنام التي هي دونها في الحسن، وأصغر منها في الجسم، أحق أن لا تكون معبودة. ينظر: تفسير الطبري

﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ الآية

قد قيل: إنها على تقدير الاستفهام. أي أهذا ربي؟، وليس بشيء. وقيل: إنها على وجه إقامة الحجة على قومه. فتصور بصورة الموافق، ليكون أدعى إلى

القبول. ثم توسل بصورة الموافقة إلى إعلامهم بأنه لا يجوز أن يكون المعبود ناقصاً آفلاً. فإن المعبود الحق: لا يجوز أن يغيب عن عابديه وخلقه ويأفل عنهم. فإن ذلك مناف لربوبيته لهم. أو أنه انتقل من مراتب الاستدلال على المعبود حتى أوصله الدليل إلى الذي فطر السماوات والأرض. فوجه إليه وجهه حنيفاً موحداً، مقبلاً عليه، معرضاً عما سواه. والله سبحانه أعلم. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين.

﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ قول الخليل: ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ - سواء قاله على سبيل التقدير لتقريع قومه، أو على سبيل الاستدلال والترقي، أو غير ذلك - ليس المراد به: هذا رب العالمين القديم الأزلي الواجب الوجود بنفسه، ولا كان قومه يقولون: إن الكواكب أو القمر أو الشمس رب ... بل قوم إبراهيم ﷺ كانوا يتخذونها أرباباً يدعونها ويتقربون إليها بالبناء عليها، والدعوة لها، والسجود والقرايين وغير ذلك. ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل.

﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ (٧٧) ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ (٧٨) **هذا الطالع** ﴿رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوِّمُ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (٧٩) **إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا** ﴿مَثَلًا عَنِ الشِّرْكِ إِلَى التَّوْحِيدِ﴾ ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٨٠) ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجِّجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (٨١) ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨٢)

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾ **يُخْلَطُوا** ﴿إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٨٢) ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ﴾

إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾

الأنبياء من ذرية إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قدوة لمن بعدهم

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٨٤﴾

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ .. ﴿وَعِيسَى﴾ إذا أوصى الرجل لذريته، أو وقف على ذريته، أو وهبهم، دخل أولاد البنات فيهم، فأما إذا أعطى الرجل بنيه، أو وقف عليهم، فإنه يختص بذلك بنوه لصلبه، وبنو بنيه، واحتجوا بقول الشاعر العربي:

بَنُو نَائِمٍ أَنْثَاءُ نَائِمَاتِنَا

بَنُو هَذِهِ أَنْثَاءُ هَذِهِ الْأَحَانِبِ

وقال آخرون: ويدخل بنو البنات فيه أيضًا، لما ثبت في صحيح البخاري، أن رسول الله ﷺ قال للحسن بن علي: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» فسماه ابنا، فدل على دخوله في الأبناء. وقال آخرون: هذا تجوز. ابن كثير

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ يحتمل أن الضمير عائد إلى نوح؛ لأنه أقرب مذكور، ولأن الله ذكر مع من ذكر لوطا، وهو من ذرية نوح، لا من ذرية إبراهيم لأنه ابن أخيه.

ويحتمل أن الضمير يعود إلى إبراهيم؛ لأن السياق في مدحه والثناء عليه، ولوط - وإن لم يكن من ذريته - فإنه ممن آمن على يده، فكان منقبة الخليل وفضيلته بذلك أبلغ من كونه مجرد ابن له. السعدي

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ

ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ ﴿٨٩﴾ **مُشْرِكُو قَرِيشٍ** ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا﴾ **استرعينا القيام** ﴿بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ **من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان** ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّاهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٩١﴾

﴿١٣٨﴾

الاحتجاج على منكري الوحي

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ ﴿٩٠﴾ **مما فيها كنعت محمد ﷺ** ﴿وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ ﴿٩١﴾

﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ﴾ معناه: يكتبونه في قراطيس. وقيل: إنما قال: قراطيس؛ لأنهم كانوا يكتبونه في قراطيس مقطعة، حتى لا تكون مجموعة، ليخفوا منها ما شاءوا. ابن الجوزي

﴿قُلِ اللَّهُ﴾ فإذا سألتهم عمن أنزل هذا الكتاب الموصوف بتلك الصفات، فأجب عن هذا السؤال. و﴿قُلِ اللَّهُ﴾ الذي أنزله، فحينئذ يتضح الحق، وينجلي مثل الشمس، وتقوم عليهم الحجة، ثم إذا ألزمتهم بهذا الإلزام ﴿ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ أي: اتركهم يخوضوا في الباطل، ويلعبوا بما لا فائدة فيه، حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون. السعدي

﴿وَهَذَا﴾ **القرآن** ﴿كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ ﴿٩٢﴾

من أشد أنواع الظلم، وحال المشركين عند الموت وفي الآخرة

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ ﴿أهوال﴾ **الموت** وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ ﴿بالعذاب ويقولون لهم تعنيفاً﴾ أَخْرَجُوا

﴿ أَنْفُسَكُمْ ﴾ **لنقبضها** ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ﴿١٣﴾

﴿ **فِي غَمَرَاتِ اللَّوْتِ** ﴾ أي شدائده وسكراته. والغمرة الشدة، وأصلها الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها. ومنه غمره الماء. ثم وضعت في معنى الشدائد والمكاره. القرطبي

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ ﴾ **ملكناكم** ﴿ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ **زال تواصلكم** ﴿ وَضَلَّ عَنْكُمْ ﴾ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٤﴾

﴿ ١٣٩ ﴾

من مظاهر خلق الله الدالة على وحدانيته

﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْخَبِّ ﴾ **يشقه فيخرج منه الزرع** ﴿ وَالنَّوَى ط يُخْرِجُ الْخَمِيَّ مِنَ الْأَمِّيَّتِ وَيُخْرِجُ الْأَمِّيَّتِ مِنَ الْخَمِيَّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ **تصرفون عن الحق**

﴿ **يُخْرِجُ الْخَمِيَّ مِنَ الْأَمِّيَّتِ وَيُخْرِجُ الْأَمِّيَّتِ مِنَ الْخَمِيَّ** ﴾ عبروا عن هذا وهذا بعبارات كلها متقاربة مؤدية للمعنى، فمن قائل: يخرج الدجاجة من البيضة، والبيضة من الدجاجة، ومن قائل: يخرج الولد الصالح من الكافر، والكافر من الصالح. ابن كثير

﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ﴾ **يشق ضوء الصباح** ﴿ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾ **بحساب مقدر** ﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ ﴿١٦﴾

﴿ **وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا** ﴾ بهما تعرف الأزمنة والأوقات، فتضبط بذلك أوقات العبادات، وآجال المعاملات، ويعرف بها مدة ما مضى من الأوقات. السعدي

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ ﴿ **رحم**

المرأة تستقر فيه النطفة ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ صلب الرجل تحفظ فيه النطفة ﴿قَدْ فَصَّلْنَا
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ ﴿٩٨﴾

﴿مُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ قال ابن عباس: المستقر ما كان في الرحم، والمستودع ما استودع في أصلاب الرجال والدواب ... وفي لفظ: المستقر ما كان في الأرض، والمستودع ما كان في الصلب. وعن ابن مسعود في الآية: قال: مستقرها في الدنيا، ومستودعها في الآخرة ... وعن ابن مسعود قال: المستقر: الرحم، والمستودع: المكان الذي يموت فيه ... وعن الحسن وقتادة في الآية قالا: مستقر في القبر، ومستودع في الدنيا. الشوكاني

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا ﴿زُرْعًا وَشَجَرًا أَخْضَرَ﴾ ﴿تُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ يركب بعضه فوق بعض كسنابل الحنطة ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ عذوق قريبة التناول ﴿وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ﴾ نظر تفكر إلى ثمره إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴿نَضِجُهَا﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٩٩﴾

﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ﴾ يحتمل أن يرجع إلى الرمان والزيتون، أي: مشتبه في شجره وورقه، غير متشابه في ثمره. ويحتمل أن يرجع ذلك إلى سائر الأشجار والفواكه، وأن بعضها مشتبه، يشبه بعضه بعضا، ويتقارب في بعض أوصافه، وبعضها لا مشابهة بينه وبين غيره، والكل ينتفع به العباد، ويتفكهون، ويقتاتون، ويعتبرون. السعدي

ذم المشركين والرد عليهم

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ فَأُطَاعُوهُمْ فِي عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ﴿وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ﴾ ﴿اِخْتَلَقُوا﴾ ﴿بَيْنَ وَبَيْنَ بَغِيرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ ﴿١٠٠﴾

﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ في الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الجاعلين له الشركاء، فيكون المعنى: وجعلوا للذي خلقهم شركاء لا يخلقون. والثاني: أنها ترجع إلى الجن، فيكون المعنى: والله خلق الجن، فكيف يكون الشريك لله محدثا؟ ذكرهما

الزجاج. ابن الجوزي

﴿بَيْنَ وَبَيْنَ﴾ قال السدي: أما «البنون»، فقول اليهود: عزيز ابن الله، وقول النصارى: المسيح ابن الله، وأما «البنات» فقول مشركي العرب: الملائكة بنات الله. ابن الجوزي

﴿بَدِيعٌ﴾ خالق ومبدع ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَحْبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

﴿١٤٠﴾

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْيَدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ يَعْلَمُهَا وَيَحِيطُ بِهَا ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٠٣﴾

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ المؤمنون وأهل الجنة يرون ربهم بأبصارهم، ولا تدركه أبصارهم، بمعنى: أنها لا تحيط به، إذ كان غير جائز أن يوصف الله بأن شيئاً يحيط به. ونظير جواز وصفه بأنه يرى ولا يُدْرَك، جواز وصفه بأنه يعلم ولا يحاط بعلمه، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥]. قالوا: فنفي جل ثناؤه عن خلقه أن يكونوا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء. ولم يكن في نفيه عن خلقه أن يحيطوا بشيء من علمه إلا بما شاء، نفياً عن أن يعلموه. قالوا: فإذا لم يكن في نفي الإحاطة بالشيء علماً نفياً للعلم به، كان كذلك، لم يكن في نفي إدراك الله عن البصر، نفياً رؤيته له. وكما جاز أن يعلم الخلق أشياء ولا يحيطون بها علماً، كذلك جائز أن يروا ربهم بأبصارهم ولا يدركوه بأبصارهم، إذ كان معنى «الرؤية» غير معنى «الإدراك»، ومعنى «الإدراك» غير معنى «الرؤية»، وأن معنى «الإدراك»، إنما هو الإحاطة، كما قال ابن عباس. ينظر: تفسير الطبري

﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ الذي ينفذ علمه إلى بواطن الأمور، وخفايا الأسرار، فلا يحجبه شيء. الجزائري

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ﴾ **براهين** ﴿مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ﴾ **نبين** ﴿الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ **تعلمت كتب السابقين** ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾

التعامل مع المشركين، والنهي عن سب الهتهم

﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا﴾ **اعتداء** ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قال العلماء: حكمها باق في هذه الأمة على كل حال، فمتى كان الكافر في منعة، وخيف أن يسب الإسلام، أو النبي ﷺ، أو الله عز وجل، فلا يحل لمسلم أن يسب صلبانهم ولا دينهم، ولا كنائسهم، ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك؛ لأنه بمنزلة البعث على المعصية. القرطبي

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ في هذه الآية أيضًا ضرب من المवादعة، ودليل على وجوب الحكم بسد الذرائع، وفيها دليل على أن المحق قد يكف عن حق له إذا أدى إلى ضرر يكون في الدين. القرطبي

موقف المشركين من الآيات والرسل

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ **بأيمان مؤكدة** ﴿لَإِنْ جَاءَهُمْ آيَةٌ﴾ **ما اقترحوا** ﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلُوبًا ۖ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنَقَلِبُ أَفْعَادَهُمْ ۖ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ **يتحIRON**

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُ إِلَيْهِمُ الْمَلَأِيكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا﴾ **جمعنا** ﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ

شَيْءٍ قُبْلًا ﴿١١١﴾ **مواجهة** ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾

﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ يجهلون الحق وقيل: يجهلون أنه لا يجوز اقتراح الآيات بعد أن رأوا آية واحدة. القرطبي

الصراع بين الحق والباطل

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾ **القول الذي زينوه بالباطل** ﴿غُرُورًا﴾ **خداعًا** ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿١١٢﴾ **يختلقون من كذب وزور**

﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ قال مالك بن دينار: إن شيطان الإنس أشد علي من شيطان الجن؛ لأنني إذا تعودت من ذاك ذهب عني، وهذا يجربي إلى المعاصي عيانا. ابن الجوزي

﴿وَلِنَصْغِي﴾ **تميل** ﴿إِلَيْهِ أَفْعِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا﴾ **ليكتسبوا** ﴿مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ﴾ ﴿١١٣﴾

الإعراض عن الباطل

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ﴿١١٤﴾ **الساكنين** ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا﴾ **في الأخبار** ﴿وَعَدْلًا﴾ **في الأحكام** ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿١١٥﴾ **وإن تطعم أكثر من في الأرض** **يضلُّوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون** ﴿١١٦﴾ **يظنون** **يكذبون**

﴿وإن تطعم أكثر من في الأرض يضلُّوك﴾ قال بعض السلف: «عليك بطريق الحق، ولا تستوحش لقلة السالكين، وإياك وطريق الباطل، ولا تغتر بكثرة الهالكين»، وكلما استوحشت في تفردك فانظر إلى الرفيق السابق، واحرص على اللحاق بهم، وغض الطرف عمن سواهم، فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا،

وإذا صاحوا بك في طريق سيرك فلا تلتفت إليهم، فإنك متى التفت إليهم أخذوك وعاقوك. ابن القيم في مدارج السالكين.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١١٧)

ما يحل وما يحرم من الذبائح في شرع الله بعيداً عن بدع المشركين

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ (١١٨)

﴿١٤٢﴾

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾
فيجب تركه ﴿إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ (١١٩)

﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ دلت الآية الكريمة، على أن الأصل في الأشياء والأطعمة الإباحة، وأنه إذا لم يرد الشرع بتحريم شيء منها، فإنه باق على الإباحة، فما سكت الله عنه فهو حلال؛ لأن الحرام قد فصله الله، فما لم يفصله الله فليس بحرام. السعدي

﴿وَإِنْ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ﴾ قال عكرمة: كتبت فارس إلى مشركي قريش: أن محمداً وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله، فما ذبح الله بسكين من ذهب فلا يأكله محمد وأصحابه -للمية-، وما ذبحوه هم يأكلون. فكتب بذلك المشركون إلى أصحاب محمد رسول الله ﷺ، فوقع في أنفس ناس من المسلمين من ذلك شيء، فأنزل الله ﴿وَإِنَّهُ لَفَسْقٌ ۖ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾. ابن كثير

﴿وَإِنْ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ﴾ يعني المشركين حيث قالوا: ما ذبح الله بسكينه خير مما ذبحتم بسكاكينكم ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: بغير علم يعلمونه في أمر الذبح، إذ الحكمة فيه إخراج ما حرمه الله علينا من الدم، بخلاف ما مات حتف أنفه، ولذلك شرع الزكاة في محل مخصوص؛ ليكون الذبح فيه سبباً لجذب كل دم في الحيوان، بخلاف غيره من الأعضاء. القرطبي

﴿وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ **المعصية في الجهر والسر** ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ (١٣٠) **وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخِنَ** **يوسوسون** ﴿إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدَ لَهُمْ﴾ **في تحليل الميتة** ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (١٣١)

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ قال أبو الخطاب: متروك التسمية لا يحل أكله، سواء ترك التسمية عامداً أو ناسياً، وعنه إن تركها عامداً لم يحل، وإن تركها ناسياً حلت. وهو قول أبي حنيفة والثوري ومالك.. وقال الشافعي: يحل أكله سواء تركها عامداً أو ساهياً، وعن أحمد بن حنبل، ونصر أبو الخطاب التحريم مطلقاً. قال الشيخ تقي الدين: وهذا هو الصواب، فإني تدبرت نصوص الكتاب والسنة فوجدتها متظاهرة على إيجاب التسمية واشترائها في الحل، وتحريم ما لم يذكر اسم الله عليه، وكل نص منها يوافق الآخر، مع كثرة النصوص وصراحتها في الدلالة. ابن تيمية في جامع المسائل.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ تحمل ذبائح أهل الكتاب إذا ذكر اسم الله عليها أو لا.

لكن إن ذكر عليها اسم غير الله فإنها لا تحل.

قال ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «الكتاب والسنة قد دلا على حل ذبيحة أهل الكتاب... ويستثنى من ذلك عند أهل العلم ما علم أنه أهل به لغير الله» فتوى لابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ في الشبكة العنكبوتية بموقعه الرسمي بعنوان: حكم الحيوان المذبوح بالصعق الكهربائي، وينظر تفسير ابن عثيمين.

من مظاهر صدود المشركين عن الحق

﴿أَوْ مَن كَانَ مِيَّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢٢)

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ﴿**صدًا عن سبيل الله**﴾ ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٢٣) وَإِذَا جَاءَهُمْ ءَايَةٌ

قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ﴿١٢٤﴾ **فَنَحْنُ أَكْثَرُ مَالًا وَأَكْبَرُ سِنًا**
مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ بَعَثَ اللَّهُ أَعْلَمَ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا
صَغَارٌ ذُلٌّ وَهَوَانٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٥﴾

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ قال الوليد بن المغيرة: لو كانت النبوة حقا
لكنت أولى بها منك؛ لأنني أكبر منك سنا، وأكثر منك مالا. وقال أبو جهل:
والله لا نرضى به ولا نتبعه أبدا، إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه، فنزلت الآية.
القرطبي

﴿١٤٣﴾

الهداية بتوفيق الله

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ
صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ **شديد الضيق** ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ
كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ الْعَذَابَ﴾ **العذاب** ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾
وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ **(وجزاء**
المتذكرين) ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ﴾ سميت الجنة دار السلام؛ لسلامتها من كل عيب وآفة
وكدر، وهم وغم، وغير ذلك من المنغصات، ويلزم من ذلك، أن يكون نعيمها
في غاية الكمال، ونهاية التمام، بحيث لا يقدر على وصفه الواصفون، ولا يتمنى
فوقه المتمنون، من نعيم الروح والقلب والبدن، ولهم فيها ما تشتهيهِ الأنفس،
وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون. السعدي

من أحوال المشركين في الآخرة

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا لِمَعْشَرِ الْجَنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ **بإغوائكم لهم**
﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ﴾ **انتفع** ﴿بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ **زين الجن**
للإنس الشهوات وأطاع الإنس الجن ﴿وَبَلَّغْنَا أَجْلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾ **يوم القيامة**
﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَنُكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ **وكذلك**

نُؤَيِّ بِعَضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا ﴿١٣٨﴾ بَعْضُهُمْ يَفْسِدُ بَعْضٌ كَمَا يَفْسِدُ مِرْدَةُ الْجَنِّ بَعْضُ
الْإِنْسِ ﴿١٣٩﴾ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤٠﴾ يَمَعَشَرُ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ
يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا
وَعَرَّيْنَاهُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٤١﴾

﴿١٤٤﴾

ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ ﴿١٤٢﴾ صَادِرٌ مِنْ أَهْلِهَا ﴿١٤٣﴾ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ
﴿١٤٤﴾ لَمْ تَأْتِهِمْ رِسَالُ اللَّهِ ﴿١٤٥﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ
عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٦﴾

تهديد للمشركين

﴿١٤٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴿١٤٨﴾ يَا كُفَّارَ قُرَيْشٍ
﴿١٤٩﴾ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ ﴿١٥٠﴾ مِنَ الْخَلْقِ ﴿١٥١﴾ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ
ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ ﴿١٥٢﴾ إِنْ مَاتُوا عَدُونَ ﴿١٥٣﴾ مِنَ الْعَذَابِ ﴿١٥٤﴾ لَأَتَّ وَ مَا
أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٥٥﴾ قُلْ يَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ ﴿١٥٦﴾ طَرِيقَتِكُمْ ﴿١٥٧﴾ إِنِّي
عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ ﴿١٥٨﴾ الْعَاقِبَةُ وَالْمَالُ الْحَسَنُ
﴿١٥٩﴾ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٦٠﴾

بيان بعض أعمال المشركين وجهلهم

﴿١٦١﴾ وَجَعَلُوا ﴿١٦٢﴾ أَيْ كُفَّارَ مَكَّةَ ﴿١٦٣﴾ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ ﴿١٦٤﴾ خَلْقَ ﴿١٦٥﴾ مِنَ الْحَرْثِ
وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ ﴿١٦٦﴾ فَيَتَصَدَّقُونَ بِهِ ﴿١٦٧﴾ وَهَذَا
لِشُرَكَائِنَا ﴿١٦٨﴾ الْأَصْنَامِ وَسَدَنَتِهَا ﴿١٦٩﴾ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ
إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا
يَحْكُمُونَ ﴿١٧٠﴾

﴿١٧١﴾ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ
يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ ﴿١٧٢﴾ إِنْ سَقَطَ شَيْءٌ مِمَّا جَعَلُوهُ لِلَّهِ تَعَالَى فِي نَصِيبِ
الْأَوْثَانِ تَرَكُوهُ، وَقَالُوا: إِنْ اللَّهُ غَنِيَ عَنْ هَذَا، وَإِنْ سَقَطَ شَيْءٌ مِنْ نَصِيبِ

الأصنام فيما جعلوه لله ردوه إلى الأوثان، وقالوا: إنها محتاجة، وكان إذا هلك أو انتقص شيء مما جعلوه لله لم يبالوا به، وإذا هلك أو انتقص شيء مما جعلوا للأصنام جبروه بما جعلوه لله. البغوي

﴿فَمَا كَانَتْ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ﴾ فهل أسوأ من هذا الحكم. وأظلم؟ حيث جعلوا ما للمخلوق، يجتهد فيه وينصح ويحفظ أكثر مما يفعل بحق الله. ويحتمل أن تأويل الآية الكريمة، ما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال قال عن الله تعالى أنه قال: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من أشرك معي شيئاً تركته وشركه». وأن معنى الآية أن ما جعلوه وتقربوا به لأوثانهم، فهو تقرب خالص لغير الله، ليس لله منه شيء، وما جعلوه لله - على زعمهم - فإنه لا يصل إليه؛ لكونه شركاً، بل يكون حظ الشركاء والأنداد؛ لأن الله غني عنه، لا يقبل العمل الذي أشرك به معه أحد من الخلق. السعدي

﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ﴾ خشية الفقر ﴿شُرَكَائِهِمْ﴾ زَيْنَ ذَلِكَ شُرَكَائِهِمْ مِنَ الْجَنِّ ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ لِيَهْلِكُوهُمْ ﴿وَلِيَلْبِسُوا﴾ لِيُخْلَطُوا ﴿عَلَيْهِمْ دِينُهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُّهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (١٣٧)

﴿قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ﴾ قيل أشار بهذا إلى الواد الخفي وهو دفن البنت حية مخافة السباء والحاجة، وسمى الشياطين شركاء؛ لأنهم أطاعوهم في معصية الله فأشركوهم مع الله في وجوب طاعتهم. وقيل: كان الرجل في الجاهلية يحلف بالله لئن ولد له كذا وكذا غلاماً لينحرن أحدهم. ينظر: تفسير القرطبي ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ لكن اقتضت حكمته التخلية بينهم وبين أفعالهم، استدراجاً منه لهم، وإمهالاً لهم، وعدم مبالاة بما هم عليه، ولهذا قال: ﴿فَذَرُّهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ أي: دعهم مع كذبهم وافتراءهم، ولا تحزن عليهم، فإنهم لن يضرروا الله شيئاً. السعدي

بعض تحريمات المشركين في الأنعام من غير دليل

﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرِّثُ حِجْرٌ﴾ **محرمه** ﴿لَا يَطْعُمَهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَمُ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ **فلا تركب كالسوائب** ﴿وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ **عند الذبح** ﴿أَفْتِرَاءً عَلَيْهِ﴾ **زاعمين أن ذلك بأمر الله** ﴿سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (١٣٨) ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ﴾ **المحرمه كالسوائب إن ولد حيا** ﴿خَالِصَةً لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾ **النساء** ﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيِّتَةً فَهُمْ﴾ **الذكور والإناث** ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ﴾ **كذبهم على الله بالتحليل والتحريم** ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (١٣٩) ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (١٤٠)

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾ قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إذا سرك أن تعلم جهل العرب؛ فاقراً ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام، ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾. ابن كثير

من مظاهر خلق الله، والواجب تجاه ذلك

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ﴾ **أوجد** ﴿جَنَّتٍ مَّعْرُوشَتٍ﴾ **محتاجة للعريش** **كالعنب** ﴿وَعَيْرَ مَّعْرُوشَتٍ﴾ **قائمة على ساقها كالنخل** ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْلِفًا أُكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّاتِ مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (١٤١)

﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ لأن حصاد الزرع بمنزلة حولان الحول؛ لأنه الوقت الذي تتشوف إليه نفوس الفقراء، ويسهل حينئذ إخراجه على أهل

الزرع ... ولا تتكرر فيها الزكاة، لو مكثت عند العبد أحوالاً كثيرة، إذا كانت لغير التجارة؛ لأن الله لم يأمر بالإخراج منه إلا وقت حصاده. وأنه لو أصابها آفة قبل ذلك بغير تفريط من صاحب الزرع والثمر، أنه لا يضمناها، وأنه يجوز الأكل من النخل والزرع قبل إخراج الزكاة منه، وأنه لا يحسب ذلك من الزكاة، بل يزكي المال الذي يبقى بعده. السعدي

﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ قال السدي: لا تعطوا أموالكم فتغدوا فقراء. الطبري

﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ﴾ ما هو مهياً للحمل عليه كالإبل ﴿وَفَرَشَاءٌ﴾ ما هو مهياً لغير الحمل؛ لصغره وقربه من الأرض، كالغنم، سميت فرشاً؛ لأنها كالفرش للأرض لدنوه منها ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ﴾ طرده وأساليبه ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (١٤٢)

﴿١٤٦﴾

إظهار جهل المشركين وتحكمهم في التحريم والتحليل بلا مستند

﴿ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ﴾ أصناف ﴿مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾ ذكر وأنثى ﴿وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ ذكر وأنثى ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المفترين بالتحليل والتحريم ﴿الذَّكَرَيْنِ﴾ ذكر الضأن والمعز ﴿حَرَّمَ﴾ أي: الله ﴿أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا أَشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَعُوذُ بِعَلَمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٤٣)

﴿قُلْ أَلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا أَشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَرْحَامُ﴾ هم لا يقولون بشيء منها. إنما يقولون: إن بعض الأنعام التي يصطلحون عليها اصطلاحات من عند أنفسهم، حرام على الإناث دون الذكور، أو محرمة في وقت من الأوقات، أو نحو ذلك من الأقوال، التي يعلم علماً لا شك فيه أن مصدرها من الجهل المركب. السعدي

* فإن حرم الذكرين فسائر الذكور محرمة، وإن حرم الأنثيين فسائر الإناث محرمة، ﴿أَمَّا أَشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾، وحينئذ يكون كل مولود منها محرماً ذكراً كان أو أنثى، وبهذا تبين أنكم كاذبون على الله مفترون فالله تعالى لم

يحرم من هذه الأزواج الثمانية شيئاً، وإنما حرم الميتة، وما لم يذكر اسم الله عليه. الجزائري

* دلت على إثبات المناظرة في العلم، لأن الله تعالى أمر نبيه ﷺ بأن يناظرهم، ويبين لهم فساد قولهم. وفيها إثبات القول بالنظر والقياس. القرطبي

﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلَّذْكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ ﴿حضوراً﴾ ﴿إِذْ وَصَّيْكُمْ﴾ ﴿أمركم﴾ ﴿اللَّهُ بِهِذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٤٤﴾

الأشياء المحرمة على المسلمين، والأشياء التي حرمت على اليهود

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ ﴿مراقاً﴾ ﴿أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ ﴿نجس﴾ ﴿أَوْ فَسْقًا أَهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ ﴿ذكر عند ذبحه اسم غير الله﴾ ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ﴾ ﴿طالب بأكله التلذذ﴾ ﴿وَلَا عَادٍ﴾ ﴿متجاوز قدر الحاجة﴾ ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٤٥﴾

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ عند فقهاء الأمصار - منهم مالك والشافعي وأبو حنيفة وعبد الملك - أن أكل كل ذي ناب من السباع حرام، وليس يمتنع أن تقع الزيادة بعد قوله: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ بما يرد من الدليل فيها، كما قال النبي ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث..» فذكر الكفر والزنى والقتل. ثم قال علماؤنا: إن أسباب القتل عشرة بما ورد من الأدلة، إذ النبي ﷺ إنما يخبر بما وصل إليه من العلم عن الباري تعالى، وهو يمحو ما يشاء ويثبت وينسخ ويقدم ... وقد روي أنه نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطير. القرطبي

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ ما لم تفرق أصابعه كالإبل والنعام ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا﴾ ويستثنى ﴿مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ ﴿علق بالظهر﴾ ﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾ الشحم الذي حملته الأمعاء

﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ **فإنه حلال** ﴿ذَلِكَ﴾ **تحريم ما لم يستثنى** ﴿جَزَيْنَهُمْ بِغَيْرِهِمْ﴾ **بسبب عملهم السيء** ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ ﴿١٤٦﴾

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ عن مجاهد قال: النعامة والبعير، شقاً شقاً، قال قلت: (ما شقاً شقاً)؟ قال: كل ما لم تفرج قوائمه لم يأكله اليهود، البعير والنعامة.
والدجاج والعصافير تأكلها اليهود، لأنها قد فُرِجت. الطبري

﴿١٤٧﴾

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ **لم يعاجلكم بالعقوبة** ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ﴾ **عذابه عمن استمر في طغيانه** ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿١٤٧﴾

احتجاج المشركين بالقدر وبعدم عقوبة الله لهم

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ **محتجين على شركهم بالقدر** ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ **مما سبق بغير دليل** ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ **فعدم حصول العذاب أول الفعل لا يدل على محبة الله للفعل** ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ **بأن الله رضى بفعلكم** ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ ﴿١٤٨﴾

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا﴾ هذا إخبار من الله أن المشركين سيحتجون على شركهم وتحريمهم ما أحل الله بالقضاء والقدر، ويجعلون مشيئة الله الشاملة لكل شيء من الخير والشر حجة لهم في دفع اللوم عنهم ... فأخبر تعالى أن هذه الحجة، لم تزل الأمم المكذبة تدفع بها عنهم دعوة الرسل، ويحتجون بها، فلم تجد فيهم شيئاً، ولم تنفعهم ... فعلم أنها حجة فاسدة، وشبهة كاسدة، من عدة أوجه: منها: ما ذكر الله من أنها لو كانت صحيحة، لم تحل بهم العقوبة.

ومنها: أن الحجة، لا بد أن تكون حجة مستندة إلى العلم والبرهان، فأما إذا كانت مستندة إلى مجرد الظن والخرص، الذي لا يغني عن الحق شيئاً، فإنها

باطلة، ولهذا قال: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ .. ومنها: أن الله تعالى أعطى كل مخلوق قدرة وإرادة، يتمكن بها من فعل ما كلف به، فلا أوجب الله على أحد ما لا يقدر على فعله، ولا حرم على أحد ما لا يتمكن من تركه، فالاحتجاج بعد هذا بالقضاء والقدر، ظلم محض وعناد صرف.

ومنها: أن الله تعالى لم يجبر العباد على أفعالهم، بل جعل أفعالهم تبعاً لاختيارهم، فإن شاءوا فعلوا، وإن شاءوا كفوا ... ومنها: أن المحتجين على المعاصي بالقضاء والقدر يتناقضون في ذلك. فإنهم لا يمكنهم أن يتردوا ذلك، بل لو أساء إليهم مسيء بضرب أو أخذ مال أو نحو ذلك، واحتج بالقضاء والقدر لما قبلوا منه هذا الاحتجاج، ولغضبوا من ذلك أشد الغضب. فيا عجباً كيف يحتجون به على معاصي الله ومساخطه. ولا يرضون من أحد أن يحتج به في مقابلة مساخطهم؟ ومنها: أن احتجاجهم بالقضاء والقدر ليس مقصوداً، ويعلمون أنه ليس بحجة، وإنما المقصود منه دفع الحق، ويرون أن الحق بمنزلة الصائل، فهم يدفعونه بكل ما يخطر ببالهم من الكلام وإن كانوا يعتقدونه خطأ. السعدي

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾ **على بطلان شركم بما تقدم من دلائل** ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١٤٩﴾ **قُلْ هَلُمَّ هَاتُوا** ﴿شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا إِنْ شَهِدُوا﴾ **زورا بغير علم ولا حجة** ﴿فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعَدِلُونَ﴾ ﴿١٥٠﴾ **يشركون**

الوصايا العشر وأولها تحريم الشرك

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ﴾ **أقرأ** ﴿مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَنَّا نَشْكُرُ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾ **فقر** ﴿تَحْنُ نَزْفُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٥١﴾

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ﴾ عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: من أراد أن يقرأ صحيفة

رسول الله ﷺ التي عليها خاتمه، فليقرأ هؤلاء الآيات: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾... وابن عباس يقول: في الأنعام آيات محكمات هن أم الكتاب، ثم قرأ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾. ابن كثير

﴿وَلَا تَقْنُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ قال في سورة «سبحان»: ﴿وَلَا تَقْنُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]، أي: خشية حصول فقر في الآجل؛ ولهذا قال هناك: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١] فبدأ برزقهم للاهتمام بهم، أي: لا تخافوا من فقركم بسببهم، فرزقهم على الله. وأما في هذه الآية: فلما كان الفقر حاصلًا قال: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾؛ لأنه الأهم هاهنا. ابن كثير. «ت».

﴿ ١٤٨ ﴾

تابع ذكر الوصايا

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ الأكل بالمعروف عند الحاجة ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ خبر أو شهادة ﴿فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٥٢﴾

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ إنما خص مال اليتيم؛ لأن الطمع فيه -لقلة مراعيه وضعف مالكة- أقوى. ابن الجوزي

﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ يراجع للتوسع في حكم أكل مال اليتيم والاتجار به. أول سورة النساء، والوجه ٣٥ من سورة البقرة.

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ الأولى في تحقيق بلوغ الأشد: أنه البلوغ إلى سن التكليف مع إيناس الرشد، وهو أن يكون في تصرفاته بماله سالكا مسلك العقلاء، لا مسلك أهل السفه والتبذير. الشوكاني

﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ وإنما أتبع الأمر بإيفاء الكيل والميزان ذلك لأن

مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة ولا نقصان مما فيه حرج فأمر الأنعام ببلوغ الوسع وأن ما وراءه معفو عنه. مدارك التنزيل

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٥٣)

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ قال ابن عباس: هذه الآيات محكمات في جميع الكتب، لم ينسخهن شيء وهن محرمات على بني آدم كلهم، وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة، ومن تركهن دخل النار. البغوي

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ عن جابر، قال: كنا جلوسا عند النبي ﷺ فخط خطا هكذا أمامه، فقال: «هذا سبيل الله»، وخطين عن يمينه، وخطين عن شماله، قال: «هذه سبيل الشيطان»، ثم وضع يده في الخط الأوسط، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. مسند أحمد

التوراة والقرآن من عند الله، وذكر شيء من حكم إنزاله

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا﴾ للنعمة ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ القيام بحقه ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه من أمر الدين ﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ يَلْقَآءَ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ (١٥٤)

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ استشكل العطف بثم مع كون قصة موسى وإتيائه الكتاب قبل المعطوف عليه، وهو ما تقدم من قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ﴾ فقيل: إن ثم هاهنا بمعنى الواو، وقيل: تقدير الكلام: ثم كنا قد آتينا موسى الكتاب قبل إنزالنا القرآن على محمد ﷺ. وقيل: المعنى: قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم، ثم أتل إتياء موسى الكتاب. وقيل: إن التوصية المعطوف عليها قديمة لم يزل كل نبي يوصي بها أمته. وقيل: إن ثم للتراخي في الإخبار كما تقول: بلغني ما صنعت اليوم، ثم ما صنعت بالأمس أعجب.

الشوكاني

﴿وَهَذَا كِتَابٌ﴾ **أى: القرآن** ﴿أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

﴿١٥٥﴾ **أى: لئلا تقولوا** ﴿إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾

اليهود والنصارى ﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ﴾ **قراءة كتبهم** ﴿لَغَفْلِينَ﴾ ﴿١٥٦﴾ **أو**

تقولوا ﴿لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾ **لجودة أذهاننا** ﴿فَقَدْ

جاءكم بينة من ربكم وَهَدَى وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ

وَصَدَفَ ﴿**أعرض**﴾ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا

كَانُوا يُصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

﴿١٤٩﴾

ماذا بعد الحجج السابقة أيها المشركون؟

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ

يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴿**طلوع الشمس من مغربها**﴾ ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ

ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴿**لم تكن ثابت من المعاصي**﴾ ﴿قُلْ أَنْظِرُوا

إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴿١٥٨﴾

﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا**﴾ قال العلماء: وإنما لا ينفع نفسا

إيمانها عند طلوعها من مغربها؛ لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تحمد معه

كل شهوة من شهوات النفس، وتفتر كل قوة من قوى البدن، فيصير الناس

كلهم لإيقانهم بدنو القيامة في حال من حضره الموت في انقطاع الدواعي إلى

أنواع المعاصي عنهم، وبطلانها من أبدانهم، فمن تاب في مثل هذه الحال لم تقبل

توبته، كما لا تقبل توبة من حضره الموت. القرطبي. «ت».

• عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن

من عليها، فذاك حين: {لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل}

[الأنعام: ١٥٨] " صحيح البخاري

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ كاليهود والنصارى أخذوا ببعض الشريعة دون بعض ﴿وَكَانُوا شِيعًا﴾ فرقا وأحزابا ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿١٥٩﴾

من فضل الله على عباده وحقه عليهم

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿١٦٠﴾

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ قال بعض العلماء: العشر لسائر الحسنات،

والسبعمئة للنفقة في سبيل الله. القرطبي

﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ اعلم أن تارك السيئة الذي لا يعملها على ثلاثة أقسام:

تارة يتركها لله عَزَّوَجَلَّ فهذا تكتب له حسنة على كفه عنها الله تعالى، وهذا عمل ونية؛ ولهذا جاء أنه يكتب له حسنة، كما جاء في بعض ألفاظ الصحيح: «فإنما تركها من جرائي» أي: من أجلي. وتارة يتركها نسيانا وذهولا عنها، فهذا لا له ولا عليه؛ لأنه لم ينو خيرا ولا فعل شرا. وتارة يتركها عجزا وكسلا بعد السعي في أسبابها والتلبس بما يقرب منها، فهذا يتنزل منزلة فاعلها، كما جاء في الحديث، في الصحيحين: «إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار». قالوا: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان حريصا على قتل صاحبه». ابن كثير

﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا﴾ قاتما بأمر الدنيا والآخرة ﴿مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ مائلا عن الشرك إلى التوحيد ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٦١﴾ ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ ذبحي ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾

﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ أي ما أعمله في حياتي

﴿وَمَمَاتِي﴾ أي ما أوصي به بعد وفاتي. القرطبي

﴿لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ شَيْئًا ﴿كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ﴾ لا تحمل

﴿وَأَزْرَهُ﴾ **نفس آثمة** ﴿وَزَرَ﴾ **إثم** ﴿أُخْرِى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْخَلِيفَةَ الْأَرْضَ﴾ **تخلفون من سبقكم** ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ﴾ **ليختبركم** ﴿فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾

﴿١٥٠﴾

سورة الأعراف

سورة الأعراف، سورة مكية، فيها حديث عن الصراع بين الحق والباطل من عهد آدم مروراً بالأنبياء عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى قيام الساعة، وفيها توجيهات للمؤمنين، وحديث عن أصحاب السبت، والمنسلخ عن آيات الله، ومشركي قريش وضلالهم، وفيها الدعوة إلى التمسك بالقرآن.

سورة الأعراف، سورة مكية، تركز على بيان سنة الصراع بين الإيمان والكفر بدءاً من آدم في الجنة، ومن ثم هبوطه للأرض إلى قيام الساعة، وفيها أمر لذريته بالالتزام بشرع الله، وحال من التزم بشرع الله في الآخرة، وحال من لم يلتزم.

* وفي ثناياها حديث عن قصص جمع من الأنبياء يظهر فيها الصراع بين الحق والباطل، ويطول الحديث في صراع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع فرعون، ومع عنت وباطل بني إسرائيل.

* وفيها حديث عن أصحاب السبت وحيلهم، والمنسلخ عن آيات الله وضلاله.

إلى أن يصل الحديث عن جمع من أهل الباطل وهم مشركو العرب، وإنكارهم للساعة، وعلم الغيب.

* وفي الختام دعوة للتمسك بالتوحيد، والقرآن، والإنصات إليه، والاستفادة من توجيهاته.

* **مما ورد فيها:**

عن مروان بن الحكم، قال: قال لي زيد بن ثابت: «ما لك تقرأ في المغرب بقصار المفصل، وقد سمعت النبي ﷺ يقرأ بطولي الطولين» البخاري، وعند النسائي

قلت: يا أبا عبد الله ما أطول الطولين؟ قال: «الأعراف».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القرآن والواجب حياله، وموقف الأهم السابقة من دعوات الأنبياء

﴿الْمَصَّ ١﴾ كِتَبٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴿شك وضيق من تبليغه﴾ لِنُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَمْ لِلتَّكْثِيرِ ﴿٤﴾ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا ﴿عذابنا﴾ بَيِّنَاتٍ ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ نَائِمُونَ لَيْلًا ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ ﴿٥﴾ نَائِمُونَ فترة القيلولة

﴿وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾ إن قيل: ما معنى أهلكتناها فجاءها بأسنا؟ فكيف يكون مجيء البأس بعد الهلاك؟ قيل: معنى أهلكتنا حكمنا بهلاكها فجاءها بأسنا. وقيل: فجاءها بأسنا وهو بيان قوله: أهلكتناها، مثل قول القائل: أعطيتني فأحسنت إلي لا فرق بينه وبين قوله: أحسنت إلي فأعطيتني، فيكون أحدهما بدلا من الآخر. البغوي

﴿بَيِّنَاتٍ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ معنى الآية: أنهم جاءهم بأسنا وهم غير متوقعين إما ليلا أو نهارا. قال الزجاج: وأو لتصريف العذاب، أي: مرة ليلا ومرة نهارا. وقيل: معناه من أهل القرى من أهلكتناهم ليلا، ومنهم من أهلكتناهم نهارا. البغوي

﴿بَيِّنَاتٍ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ خص الوقتين؛ لأنها وقت السكون والدعة فمجيء العذاب فيها أشد وأفظع. الشوكاني

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ﴾ قولهم ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿٥﴾ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴿٦﴾ عَنْ إِيَابَتِهِمْ لِلرَّسَالَةِ ﴿وَلَنَسْأَلَنَّهُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٦﴾ عَنْ الْبَلَاغِ ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ﴾ لنخبرنهم فيما صدر منهم ﴿بِعَلْمِهِ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ ﴿٧﴾

حال الناس في الآخرة والدنيا

﴿وَالْوَزْنُ﴾ **وزن أعمال العباد** ﴿يَوْمَ يذُ الْحَقُّ﴾ **بالعدل** ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴿١٠﴾ **مكنا لكم فيها وجعلناها لكم قراراً** ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً﴾ **ما تعيشون به** ﴿فَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (١٠)

خلق آدم عليه السلام، وموقف إبليس

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ **أباكم آدم** ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ **سجود تحية وكان جائزاً ثم حرّم في شريعتنا** ﴿لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (١١)

﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ **قال مجاهد وذكر آدم بلفظ الجمع؛ لأنه أبو البشر ففي خلقه خلق من يخرج من صلبه. البغوي**

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (١٢)

﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ **قال ابن عباس: أول من قاس إبليس، فأخطأ القياس، فمن قاس الدين بشيء من رأيه قرنه الله مع إبليس. قال ابن سيرين: ما عبدت الشمس إلا بالقياس. قال محمد بن جرير: ظن الخبيث أن النار خير من الطين ولم يعلم أن الفضل لمن جعل الله له الفضل، وقد فضل الطين على النار. وقالت الحكماء: للطين فضل على النار من وجوه، منها أن من جوهر الطين الرزانة والوقار، والحلم والصبر، وهو الداعي لآدم بعد السعادة التي سبق له إلى التوبة والتواضع والتضرع؛ فأورثه الاجتباء والتوبة والهداية، ومن جوهر النار الخفة والطيش والجرأة والارتفاع، وهو الداعي لإبليس بعد الشقاوة التي سبقت له إلى الاستكبار والإصرار؛ فأورثه اللعنة والشقاوة، ولأن الطين سبب جمع الأشياء، والنار سبب تفرقها، ولأن التراب سبب الحياة؛ لأن حياة الأشجار والنبات به، والنار سبب الهلاك. البغوي**

﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ مثل قياس إبليس نفسه على عنصره - الذي هو النار - وقياسه آدم على عنصره - الذي هو الطين - واستنتاجه من ذلك أنه خير من آدم. ولا ينبغي أن يؤمر بالسجود لمن هو خير منه، مع وجود النص الصريح الذي هو قوله تعالى: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ يسمى في اصطلاح الأصوليين فاسد الاعتبار ... فكل من رد نصوص الوحي بالأقيسة فسلفه في ذلك إبليس. الشنقيطي

﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ من الجنة ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (١٣) ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي﴾ أملهني ﴿إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ (١٤) ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (١٥) ﴿قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ لَأترصدن لهم وأصدهم ﴿صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١٦)

﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ عن سبرة بن أبي فاكه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الشيطان قعد لابن آدم بطرقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال: أتسلم وتذر دينك ودين آبائك؟». قال: «فعصاه وأسلم». قال: «وقعد له بطريق الهجرة فقال: أتهاجر وتدع أرضك وسماءك، وإنما مثل المهاجر كالفرس في الطول؟ فعصاه وهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد، وهو جهاد النفس والمال، فقال: تقاتل فتقتل، فتتكح المرأة ويقسم المال؟». قال: «فعصاه، فجاهد». قال رسول الله ﷺ: «فمن فعل ذلك منهم فمات، كان حقا على الله أن يدخله الجنة، أو قتل كان حقا على الله، عَزَّوَجَلَّ، أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته دابة كان حقا على الله أن يدخله الجنة». ابن كثير، والحديث عند أحمد.

﴿ثُمَّ لَا تَنبَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (١٧) ﴿قَالَ أَخْرَجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾ ممقوتا مذموما ﴿مَذْهُورًا﴾ مطرودا ﴿لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١٨)

آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَكَلَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ بوسوسة رأس الباطل

﴿وَيَتَادَمُ أَسْكُنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٩) فوسوس لهما الشيطان ليُبْدِي لهما ما وُورِيَ عنهما ﴿ما ستر

وَأَخْفَى ﴿مِنْ سَوْءَ تَيْهَمَا﴾ عوراتهما سَمَى سَوْءًا؛ لَأَن انكشافه يسوء صاحبه ﴿وَقَالَ مَا نَهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ ﴿٢٠﴾

﴿يُبْدِي لهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَ تَيْهَمَا﴾ في الآية دليل على قبح كشف العورة، وأن الله أوجب عليهما الستر، ولذلك ابتدرا إلى سترها، ولا يمتنع أن يؤمرا بذلك في الجنة، كما قيل لهما: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾. القرطبي

﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ أقسم لهما ﴿إِنِّي لَكُمَا لِمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ ﴿٢١﴾

﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ قال ابن عباس: غرهما باليمين. وكان يظن آدم أنه لا يحلف أحد بالله كاذبًا... وقال قتادة: حلف بالله لهما حتى خدعهما. القرطبي

﴿فَدَلَّلَهُمَا بِغُرُورٍ﴾ فجرأهما وغرهما ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُ تَيْهَمَا وَطَفِقَا﴾ شرعا وأخذا ﴿يَخِصِّفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ﴿٢٢﴾

توبة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وحواء وهبوطهما للأرض، واستمرار الصراع بين

أهل الحق وأهل الباطل

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ ﴿بعض الذرية﴾ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَبْنِي ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ تَيْكُمُ ﴿يستر العورة وهو لباس الضرورة﴾ ﴿وَرِيشًا﴾ لباس الزينة ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ أن يتحلّى الإنسان بتقوى الله فهو لباس معنوي ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ ﴿٢٦﴾

﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ لباس التقوى يستمر مع العبد، ولا يبلى ولا يبيد، وهو جمال القلب والروح. السعدي

زَيْنَتَكُمْ ﴿٣٠٥﴾ الآية. وأذن مؤذن رسول الله ﷺ: ألا لا يطوف بالبيت عريان. ينظر: تفسير القرطبي

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ قال بعض السلف: جمع الله الطب كله في نصف آية: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ ... وعن المقدام بن معد يكرب الكندي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه، حسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه، فإن كان فاعلا لا محالة، فثلث طعام، وثلث شراب، وثلث لنفسه». ابن كثير، والحديث عند الترمذي.

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً﴾ خاصة بهم في ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾

الواجب على الناس تجاه الرسل - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -

﴿يَبْنِيءَ آدَمَ إِمَامًا يَأْتِينَكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ يُقْصُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي فَمَنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ ﴿حُظْمُهُمْ﴾ مِنَ الْكِتَابِ ﴿مَا كُتِبَ عَلَيْهِمْ فِي اللُّوحِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا ﴿مَلِكُ الْمَوْتِ وَأَعْوَانُهُ﴾ يَتَوَقَّوهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿فَلْتَنْفَعَكُمُ الْآنَ﴾ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾

مصير أهل الباطل، وجدالهم في النار

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ نظيرتها التي اقتدت بها ﴿حَتَّى إِذَا أَدَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ

نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٤﴾

﴿لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ أي: حين كانوا يتمتعون بالنعيم الذي أخبرت به الرسل، وصار حق يقين لهم بعد أن كان علم يقين لهم، قالوا لقد تحققنا، ورأينا ما وعدتنا به الرسل، وأن جميع ما جاءوا به حق اليقين، لا مريية فيه ولا إشكال.
السعدي

﴿١٥٥﴾

حال أهل الجنة، وحال أهل النار، وحال أهل الأعراف

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ظلم عامل لسليمان رجلاً فقال: يا أمير المؤمنين إني أحذرك يوم الأذان، قال: وما يوم الأذان قال: قوله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، قال: لا جرم لا أبرح أو تصل إلى حقتك. وفيات الأعيان. «ل».

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ﴿٤٦﴾﴾ حاجز اسمه الأعراف ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا﴾ يميزون بين المؤمن والكافر ﴿بِسِيمَتِهِمْ﴾ بعلاماتهم ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا﴾ (ثم يبين الله حال أهل الأعراف) ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة بعد ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ وهم يرجون دخولها

﴿الْأَعْرَافِ﴾ جمع عرف، وهي شرفات السور المضروب بينهم، ومنه عرف الفرس، وعرف الديك، والأعراف في اللغة: المكان المرتفع. الشوكاني
﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ﴾ عن حذيفة قال: أصحاب الأعراف: قوم كانت

لهم ذنوب وحسنات، فقصرت بهم ذنوبهم عن الجنة، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، فهم كذلك حتى يقضي الله بين خلقه، فينفذ فيهم أمره ... وعن حذيفة قال: أصحاب الأعراف، قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فيقول: ادخلوا الجنة بفضلتي ومغفرتي، لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون. الطبري

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجُلًا لَا يَعْرِفُونَهُمْ بِسْمِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهْتُولَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴿أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿أَهْتُولَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن أهل النار أقسموا أن أهل الأعراف داخلون النار معنا، وأن الله لن يدخلهم الجنة، فيقول الله تعالى لأهل النار: ﴿أَهْتُولَاءِ﴾ يعني أهل الأعراف ﴿الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ ... قال حذيفة: بينا أصحاب الأعراف هنالك، اطلع عليهم ربهم فقال لهم: ادخلوا الجنة فإني قد غفرت لكم. والثاني: أن أهل الأعراف يرون في الجنة الفقراء والمساكين الذين كان الكفار يستهزئون بهم، كسلمان، وصهيب، وخباب، فينادون الكفار: أهؤلاء الذين أقسمتم وأنتم في الدنيا لا ينالهم الله برحمة. قاله ابن السائب. فعلى هذا ينقطع كلام أهل الأعراف عند قوله: ﴿بِرَحْمَةٍ﴾ ويكون الباقي من خطاب الله لأهل الجنة. ابن الجوزي

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ ثم يخبر الله عن أهل النار ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنَسُّهُمْ ﴿نَرَكْهُمْ﴾ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾

هل لأهل الباطل عذر؟

﴿وَلَقَدْ جِئْنَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَنْتَظِرُونَ ﴿٥٤﴾ لَا تَأْوِيلَهُ ﴿٥٥﴾ مَا وَعَدُوا بِهِ مِمَّا يُوَلِّ إِلَيْهِ أَمْرَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ ﴿٥٦﴾ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ، يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا هَذَا هُوَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرْنَا أَنفُسَهُمْ وَصَلَّ ﴿٥٧﴾ ذَهَبَ وَضَاعَ ﴿٥٨﴾ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾

من دلائل عظمة الله، والترغيب في الدعاء، والنهي عن الإفساد

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ ﴿٥٢﴾ عَلَا وَارْتَفَعَ ﴿٥٣﴾ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى ﴿٥٤﴾ يَغْطِي وَيَدْخُلُ ﴿٥٥﴾ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ﴿٥٦﴾ سَرِيعًا دَائِمًا ﴿٥٧﴾ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ﴿٥٨﴾ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ ﴿٥٩﴾ تَعَالَى وَتَعَازَمَ وَتَنَزَّهَ ﴿٦٠﴾ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾﴾

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ قال سعيد بن جبير: كان الله عَزَّوَجَلَّ قادرا على خلق السموات والأرض في لحظة ولحظة، فخلقهن في ستة أيام؛ تعليما لخلقه الثبوت والتأني في الأمور. البغوي
﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ﴾ سأل رجل مالك بن أنس عن قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟ فأطرق رأسه مليا، وعلاه الرخضاء، ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا ضالا، ثم أمر به فأخرج. البغوي

* مذهب السلف الصالح أنه استوى سبحانه عليه بلا كيف على الوجه الذي يليق به مع تنزهه عما لا يجوز عليه، والاستواء في لغة العرب: هو العلو والاستقرار. الشوكاني

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ قال الخليل بن أحمد: (العرش: السرير، وكل سرير لملك يسمى عرشا) ... وقد شذ قوم فقالوا: العرش بمعنى الملك. وهذا عدول

عن الحقيقة الى التجوز، مع مخالفة الأثر، ألم يسمعو قولهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود:٧] أتراه كان الملك على الماء؟ ابن الجوزي

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ سِرًّا ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿٥٥﴾

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ الشريعة مقررة أن السر فيما لم يعترض من أعمال البر أعظم أجرا من الجهر، قال الحسن بن أبي الحسن: لقد أدر كنا أقواما ما كان على الأرض عمل يقدر على أن يكون سِرًّا فيكون جهرًا أبدًا. ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء فلا يسمع لهم صوت، إن هو إلا الهمس بينهم وبين ربهم. القرطبي

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ الاعتداء في الدعاء على وجوه: منها الجهر الكثير والصياح، كما تقدم. ومنها أن يدعو الإنسان في أن تكون له منزلة نبي، أو يدعو في محال، ونحو هذا من الشطط. ومنها أن يدعو طالبًا معصيةً وغير ذلك. ومنها أن يدعو بما ليس في الكتاب والسنة، فيتخير ألفاظًا مفقرة وكلمات مسجعة قد وجدها في كرايس لا أصل لها ولا معول عليها، فيجعلها شعاره ويترك ما دعا به رسوله ﷺ. وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء. القرطبي

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٥٦﴾

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ قال عطية: لا تعصوا في الأرض؛ فيمسك الله المطر، ويهلك الحرث بمعاصيكم. فعلى هذا معنى قوله: بعد إصلاحها، أي: بعد إصلاح الله إياها بالمطر والخصب. البغوي. «ل».

﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ الخوف على ثلاث درجات: الأولى: أن يكون ضعيفا يخطر على القلب ولا يؤثر في الباطن ولا في الظاهر، فوجود هذا كالعدم والثانية: أن يكون قويا فيوقظ العبد من الغفلة، ويحمله على الاستقامة، والثالثة: أن يشتد حتى يبلغ إلى القنوط واليأس وهذا لا يجوز، وخير الأمور أوسطها، والناس في الخوف على ثلاث مقامات: فخوف العامة من الذنوب،

وخوف الخاصة من الخاتمة، وخوف خاصة الخاصة من السابقة، فإن الخاتمة مبنية عليها، والرجاء على ثلاث درجات: الأولى: رجاء رحمة الله مع التسبب فيها بفعل طاعة وترك معصية، فهذا هو الرجاء المحمود. والثانية: الرجاء مع التفريط والعصيان فهذا غرور، والثالثة: أن يقوى الرجاء حتى يبلغ الأمن، فهذا حرام، والناس في الرجاء على ثلاث مقامات: فمقام العامة رجاء ثواب الله، ومقام الخاصة رضوان الله، ومقام خاصة الخاصة رجاء لقاء الله حبا فيه وشوقا إليه. ابن جزى في التسهيل. «ت».

﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال مطر الوراق: تنجزوا موعود الله بطاعته، فإنه قضى أن رحمته قريب من المحسنين، رواه ابن أبي حاتم. ابن كثير

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا﴾ **مبشرات بالغيب** ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتْ ﴿حملت﴾ ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ **محملاً بالماء** ﴿سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ **مجدب** ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٥٧﴾

﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ العرب كذلك تقول لكل شيء حدث قدام شيء وأمامه : (جاء بين يديه). الطبري.

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ **مثل المؤمن بانتفاعه بآيات الله** ﴿وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ **عسيرا رديئا مثل الكافر** ﴿كَذَلِكَ نُصْرِفُ﴾ **ننوع** ﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٥٨﴾

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ هذا مثال للقلوب حين ينزل عليها الوحي الذي هو مادة الحياة، كما أن الغيث مادة الحياة، فإن القلوب الطيبة حين يحييها الوحي، تقبله وتعلمه، وتنبت بحسب طيب أصلها، وحسن عنصرها. وأما القلوب الخبيثة التي لا خير فيها، فإذا جاءها الوحي لم يجد محلا قابلا، بل

يجدها غافلة معرضة، أو معارضة، فيكون كالطر الذي يمر على السباح والرمال والصخور، فلا يؤثر فيها شيء. السعدي

من صور الصراع بين الحق والباطل، قصة نوح عليه السلام وقومه

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٥٩﴾

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ﴾ هذا من نصحه عليه الصلاة والسلام وشفقته عليهم، حيث خاف عليهم العذاب الأبدي، والشقاء السرمدى، كإخوانه من المرسلين الذين يشفقون على الخلق أعظم من شفقة آبائهم وأمهاتهم. السعدي

﴿قَالَ الْمَلَأُ السَّادَةُ﴾ ﴿مِنْ قَوْمِهِ ۖ إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُوا لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أَبْلِغْكُمْ رَسُولَتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مَنَ اللَّهُ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ عَمِيَ الْقُلُوبُ عَنْ رُّؤْيَا الْحَقِّ

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ قدم الإنجاء للاهتمام بإنجاء المؤمنين، وتعجيلا لمسرة السامعين من المؤمنين بأن عادة الله إذا أهلك المشركين أن ينجي الرسول والمؤمنين. ابن عاشور في التحرير والتنوير. «ت».

ومن صور الصراع قصة هود عليه السلام وقومه عاد.

﴿وَالِإِلَٰهَ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿٦٥﴾

﴿وَالِإِلَٰهَ عَادٍ﴾ على ما ذكره محمد بن إسحاق وغيره أنهم كانوا ينزلون اليمن وكانت مساكنهم بالأحقاف، وهي رمال بين عمان وحضر موت. البغوي

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ۖ إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ ﴿٦٦﴾ حَقٌّ وَطِيشٌ

﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٦٦﴾

﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ الملأ هم: الجمهور والسادة والقادة منهم. ابن كثير
 ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ وإنما وصف الملأ بالذين كفروا دون الملأ
 من قوم نوح لأن في أشراف قوم هود من آمن منهم مرثد بن سعد فأريد التفرقة
 بالوصف ولم يكن في أشراف قوم نوح عليه السلام. تفسير النسفي
 ﴿قَالَ يَقَوْمُ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٧﴾

﴿١٥٨﴾

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ ﴿٦٨﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن
 رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءً مِنْ بَعْدِ قَوْمِ
 نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً ﴿قوة وضخامة﴾ فَأَذْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ ﴿نعم
 الله﴾ لَعَلَّكُمْ يَفْلَحُونَ ﴿٦٩﴾

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءً مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أي: واذكروا نعمة الله عليكم
 إذ جعلكم من ذرية نوح، الذي أهلك الله أهل الأرض بدعوته، لما خالفوه
 وكذبوه بالأحقاف، وهي رمال بين عمان وحضرموت، وكانوا قد فشوا في
 الأرض كلها، وقهروا أهلها بفضل قوتهم التي آتاهم الله عَزَّوَجَلَّ، وكانوا
 أصحاب أوثان يعبدونها لهم ... فبعث الله إليهم هودا نبيا، وهو من أوسطهم
 نسبا، وأفضلهم حسبا، فأمرهم أن يوحدوا الله، ويكفوا عن ظلم الناس، لم
 يأمرهم بغير ذلك، فكذبوه وقالوا من أشد منا قوة، وبنوا المصانع، وبطشوا
 بطشة الجبارين، فلما فعلوا ذلك؛ أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين، حتى
 جهدهم ذلك ... وساق الله السحابة السوداء ... بما فيها من النعمة إلى عاد،
 حتى خرجت عليهم من وادٍ لهم يقال له: المغيث، فلما رأوها استبشروا وقالوا:
 ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤]، يقول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ
 فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٢٤﴾ تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴿[الأحقاف: ٢٤-٢٥]، أي: كل شيء
 مرت به ... فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً، فلم تدع من آل

عاد أحدًا إلا هلك، واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه هود ومن معه من الريح إلا ما تلين عليه الجلود، وتلذ الأنفس، وإنها لتمر من عاد بالظعن فتحملهم بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة. ابن كثير

﴿فَاذْكُرُواْ ءَالَآءَ اللّٰهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ إن تذكرتم ذلك؛ لأن الذكر للنعمة سبب باعث على شكرها، ومن شكر فقد أفلح. الشوكاني

﴿قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّٰهَ وَحَدُّهُ وَاذْكُرُواْ ءَالَآءَ اللّٰهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا فَأَنِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رَجْسٌ عَذَابٌ وَغَضَبٌ ﴿٧١﴾ لا بد من وقوعه؛ لانعقاد أسبابه ﴿أَتَجِدُونَنِي فِيْٓ أَسْمَآءٍ سَمِيَّتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللّٰهُ بِهَا مِنْ سُلْطٰنٍ فَأَنظِرُواْ إِنِّيْ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ أَهْلَكْنَاهُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ بِآيٰتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ ولحق هود حين أهلك قومه بمن آمن معه بمكة، فلم يزالوا بها حتى ماتوا. القرطبي

ومن صور الصراع قصة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه ثمود

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صٰلِحًا قَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُواْ اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ ۚ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هٰذِهِ نَاقَةُ اللّٰهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فٰذَرُوهَا تَآْكُلْ فِيْٓ أَرْضِ اللّٰهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ ٱلْيَمِّ ۚ﴾

﴿وَإِلَى ثَمُودَ﴾ كانت ثمود بعد عاد، ومساكنهم مشهورة فيما بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله، وقد مر رسول الله ﷺ على قراهم ومساكنهم، وهو ذاهب إلى تبوك سنة تسع ... قال رسول الله ﷺ وهو بالحجر: «لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين، فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم» ابن كثير، والحديث عند البخاري.

﴿هٰذِهِ نَاقَةُ اللّٰهِ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ وكان عندهم بئر كبيرة، وهي المعروفة ببئر

الناقة، يتناولونها هم والناقة، للناقة يوم تشربها ويشربون اللبن من ضرعها، ولهم يوم يردونها، وتصدر الناقة عنهم. السعدي

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ ﴿٧٤﴾ أَسْكَنْكُمْ وَمَكَّنَ لَكُمْ ﴿٧٥﴾ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا ﴿٧٦﴾ قُصُورًا فِي الصَّيْفِ ﴿٧٧﴾ قُصُورًا وَتَنْجِحُونَ الْجِبَالَ يَوْمًا ﴿٧٨﴾ تَسْكُونُهَا فِي الشِّتَاءِ ﴿٧٩﴾ فَأَذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا ﴿٨٠﴾ تَسْعُوا ﴿٨١﴾ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وَتَنْجِحُونَ الْجِبَالَ يَوْمًا﴾ قال وهب بن منبه: كان الرجل منهم بيني البنيان، فيمر عليه مائة سنة؛ فيخرب، ثم يجدده، فيمر عليه مائة سنة؛ فيخرب، ثم يجدده، فيمر عليه مائة سنة؛ فيخرب، فأضجرهم ذلك، فاتخذوا من الجبال بيوتا. ابن الجوزي

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسِلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا ﴿٧٧﴾ قَتَلُوا ﴿٧٨﴾ النَّاقَةَ وَعَتَوْا ﴿٧٩﴾ اسْتَكْبَرُوا ﴿٨٠﴾ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَصْلِحُ أَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا ﴿٨١﴾ مِنَ الْعَذَابِ ﴿٨٢﴾ إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ قد اختلف في عاقر الناقة ما كان اسمه، فقيل: قدار بن سالف، وقيل غير ذلك. الشوكاني

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ يقال: إنهم اتفقوا كلهم على قتلها. قال قتادة: بلغني أن الذي قتل الناقة طاف عليهم كلهم أنهم راضون بقتلها حتى على النساء في خدورهن، وعلى الصبيان -أيضا-. قلت: وهذا هو الظاهر؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ [الشمس: ١٤] وقال: ﴿وَأَيْنَا ثَمُودُ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾ [الإسراء: ٥٩] وقال: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ فأسند ذلك على مجموع القبيلة، فدل على رضا جميعهم

بذلك، والله أعلم. ابن كثير

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ كان قتلهم الناقة يوم الأربعاء، فلما أمسى أولئك التسعة الرهط عزموا على قتل صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ وقالوا: إن كان صادقاً عجلناه قبلنا، وإن كان كاذباً ألحقناه بناقته! ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (٤٩) ﴿وَمَكْرُؤٌ مَكْرَؤٌ مَكْرَؤٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٥٠) ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٥١) ﴿فَلَيْكَ يُؤْتِيهِمْ خَاوِيَةً يُبَاطِلُوهَا﴾ [النمل: ٤٩-٥٢].

فلما عزموا على ذلك، وتواطؤوا عليه، وجاءوا من الليل ليفتكوا بنبي الله صالح، أرسل الله - سبحانه وتعالى، وله العزة ولرسوله - عليهم حجارة فرضختهم سلفاً وتعجلاً قبل قومهم. ابن كثير

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِيحِينَ﴾ (٧٨) ﴿لَا صَقِينَ بِالْأَرْضِ عَلَى رُكْبِهِمْ وُجُوهُهُمْ﴾ ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُورُ لَقَدْ أَتَلَعْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ﴾ (٧٩)

﴿وَقَالَ يَنْقُورُ﴾ قال لهم المقالة: ﴿لَقَدْ أَتَلَعْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ﴾ ويحتمل أنه قال لهم هذه المقالة بعد موتهم على طريق الحكاية لحالهم الماضية، كما وقع من النبي ﷺ من التكليم لأهل قلب بدر بعد موتهم، أو قالها لهم عند نزول العذاب بهم، وكأنه كان مشاهداً لذلك؛ فتحسر على ما فاتهم من الإيمان والسلامة من العذاب، ثم أبان عن نفسه أنه لم يأل جهداً في إبلاغهم الرسالة، ومحض النصيحة، لكن أبوا ذلك فلم يقبلوا منه فحق عليهم العذاب، ونزل بهم ما كذبوا به واستعجلوه. الشوكاني

ومن صور الصراع قصة لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (٨٠) ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ (٨١)

﴿وَلُوطًا﴾ لوط هو ابن هاران بن تارخ، فهو ابن أخي إبراهيم، بعثه الله إلى أمة تسمى سدوم. الشوكاني

﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّنْظَهُرُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ يتنزهون عن إتيان الرجال في الأدبار

﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّنْظَهُرُونَ﴾ قال ابن عباس: يتنزهون عن أدبار الرجال وأدبار النساء. ابن الجوزي

* وأما إتيان النساء في الأدبار، فهو اللوطية الصغرى، وهو حرام بإجماع العلماء، إلا قولاً واحداً شاذاً لبعض السلف، وقد ورد في النهي عنه أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ. ابن كثير

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ﴿٨٣﴾ الهالكين الباقين في العذاب

﴿كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ قال أبو عبيدة: وإنما قال: «من الغابرين» لأن صفة النساء مع صفة الرجال تذكر إذا أشرك بينهما. ابن الجوزي
﴿كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ يقال: غبر الشيء: إذا مضى. وغبر: إذا بقي، فهو من الأضداد. الشوكاني

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَرًا﴾ حجارة من سجيل ﴿فَأَنظَرْنَا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٨٤﴾

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ قال ابن عباس: يعني: الحجارة. قال مجاهد: نزل جبريل فأدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط ورفعها، ثم قلبها فجعل أعلاها أسفلها ثم أتبعوا بالحجارة. ابن الجوزي

﴿فَأَنظَرْنَا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ كانت فيها ذكر أربع قرى - وقيل: خمس - فيها أربعمئة ألف. القرطبي

ومن صور الصراع قصة شعيب عليه السلام ومدين

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ ﴿٨٥﴾ مَعْجَزَةٌ ﴿٨٦﴾ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا ﴿٨٧﴾ لَا تَنْقَصُوا ﴿٨٨﴾ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ﴾ مدين: اسم قبيلة، وقيل: اسم بلد، والأول أولى، وسميت القبيلة باسم أبيهم: وهو مدين بن إبراهيم كما يقال بكر وتميم. الشوكاني
 ﴿شُعَيْبًا﴾ قال المهدوي: ويروى أنه كان ابن بنت لوط. وقال مكي: كان زوج بنت لوط... ولم يذكر له معجزة في القرآن. القرطبي
 ﴿شُعَيْبًا﴾ قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ فيما ذكر لي يعقوب بن أبي سلمة إذا ذكر شعيباً قال: «ذاك خطيب الأنبياء»! لحسن مراجعته قومه فيما يراؤ بهم. الطبري

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ ﴿٨٩﴾ طَرِيقٍ ﴿٩٠﴾ تُوعَدُونَ ﴿٩١﴾ تَتَوَعَّدُونَ النَّاسَ بِالْعُقُوبَةِ ﴿٩٢﴾ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴿٩٣﴾ مَائِلَةً تَبَعًا لِأَهْوَائِكُمْ ﴿٩٤﴾ وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ ﴿٩٥﴾ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾ ذلك أنهم كانوا يجلسون على قوارع الطريق فيقولون لمن يريد الإيمان بشعيب: إن شعيب كذاب فلا يفتك عن دينك. ويتوعدون المؤمنين بالقتل ويخوفونهم. البغوي

﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَإِهْلِكَ﴾ ﴿٨٨﴾ **أنشرك حتى لو كنا كارهين للشرك**

﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ الملاء: أشرف القوم الذين يملؤون المجلس إذا جلسوا، والعين إذا نظر إليهم. الجزائري
 ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ إن قيل: ما معنى قوله: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾، ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾ [الأعراف: ٨٩]، ولم يكن شعيب قط على ملتهم حتى يصح قولهم ترجع إلى ملتنا؟
 قيل: معناه أو لتدخلن في ملتنا، فقال: وما كان لنا أن ندخل فيها.
 وقيل: معناه إن صرنا في ملتكم. ومعنى عاد: صار.
 وقيل: أراد به قوم شعيب لأنهم كانوا كفارا فأمنوا فأجاب شعيب عنهم. البغوي

﴿قَالَ أُولَئِكَ كَإِهْلِكَ﴾ أي: أتابعكم على دينكم وملتكم الباطلة، ولو كنا كارهين لها لعلمنا ببطلتها، فإنما يدعى إليها من له نوع رغبة فيها، أما من يعلن بالنهاي عنها، والتشنيع على من اتبعها، فكيف يدعى إليها؟ السعدي

﴿قَدْ أَفْرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّنا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾ **أي: نرجع إلى ملة الكفر - يقوله: من آمن مع شعيب -** ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفْتَحْ﴾ **احكم** ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ **الحاكمين** ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَيْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَسِرُونَ﴾ ﴿٩٠﴾ **فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ** **الزلزلة الشديدة** ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ﴾ ﴿٩١﴾ **هالكين باركين على ربهم**

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغيره: فتح الله عليهم بابا من جهنم، فأرسل عليهم حرا شديدا، فأخذ بأنفاسهم، ولم ينفعهم ظل ولا ماء، فكانوا يدخلون الأسراب؛ ليتبردوا فيها، فإذا دخلوها وجدوها أشد حرا من

الظاهر، فخرجوا هرباً إلى البرية، فبعث الله سحابة فيها ريح طيبة فأظلمت، فنادى بعضهم بعضاً: أن ايتوا فاستظلوا فهي الظلة. فوجدوا لها برداً ونسيماً فلما اجتمعوا تحت السحابة - رجالهم ونسأؤهم وصبيانهم - ألهبها الله عليهم نارا، ورجفت بهم الأرض؛ فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلي، وصاروا رماداً.

البغوي

﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ **لم يقيموا في ديارهم ولم يتمتعوا فيها**
 ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿١٢﴾ **فَنَوَّلَى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ**
أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَى﴾ **أحزن**
﴿عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ ﴿١٣﴾

سنة الله في أهل الباطل

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَاسَاءِ﴾ **البؤس والفقر**
﴿وَالضَّرَاءِ﴾ **المرض والألم** **﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾** ﴿١٤﴾ **يستكينون ويتذللون**
﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ﴾ **الحال السيئة من المرض والفقر** **﴿الْحَسَنَةِ﴾** **الحال**
الحسنة من العافية والغنى **﴿حَتَّىٰ عَفَوْا﴾** **كثروا ونموا عدداً ومالاً** **﴿وَقَالُوا قَدْ**
مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَاءَ وَالسَّرَاءَ فَأَخَذْنَاهُم بَغْضَةً﴾ **فجأة** **﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾** ﴿١٥﴾

البركات تصاحب الإيمان، والعقوبات للمكذابين

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

وَلَكِن كَذَبُوا فَآَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿١٦﴾ **أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ**
بَأْسُنَا﴾ **عذابنا** **﴿بَيِّنَاتٍ﴾** **ليلاً** **﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾** ﴿١٧﴾ **أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ**
بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ﴾ ﴿١٨﴾ **أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا**
الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿١٩﴾

﴿**أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾** قال الحسن البصري، رَحِمَهُ اللَّهُ: المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن. ابن كثير. «ت».

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ **﴿أو لم يتبين﴾** ﴿لِلَّذِينَ يَرْتُوثَ الْأَرْضَ﴾ **﴿يسكنون﴾** ﴿مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾
 ﴿١٠٠﴾ **﴿سماع انتفاع﴾** ﴿تِلْكَ الْقُرَى﴾ **﴿التي سبق ذكرها﴾** ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ **﴿بعد ظهور المعجزات﴾** ﴿بِمَا كَذَبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ **﴿قبل مجيء المعجزات﴾** ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٠١﴾ **﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد﴾** **﴿التزام بأمر الله﴾** ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ ﴿١٠٢﴾

﴿وَمَا وَجَدْنَا لأكثرهم من عهد﴾ قال الحسن: العهد الذي عهد إليهم مع الأنبياء أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. وقيل: أراد أن الكفار منقسمون، فالأكثرهم منهم من لا أمانة له ولا وفاء، ومنهم من له أمانة مع كفره وإن قلوا، روي عن أبي عبيدة. القرطبي

ومن صور الصراع بين الحق والباطل قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ﴾ **﴿فتأمل﴾** **﴿كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾** ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾

﴿١٠٣﴾

آيتين من آيات موسى عليه السلام العصا واليد البيضاء

﴿حَقِيقٌ﴾ **﴿جدير﴾** ﴿عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ **﴿من جيبه﴾** ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظَرِ﴾ ﴿١٠٨﴾

التشاور على طريقة تثبيت الناس على الباطل

﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ۝١٠٩ ﴾

﴿ قَالَ الْمَلَأُ ﴾ لا تنافي بين نسبة هذا القول إلى الملاء هنا وإلى فرعون في سورة الشعراء، فكلهم قد قالوه، فكان ذلك مصححا لنسبته إليهم تارة، وإليه أخرى. الشوكاني

﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ ۝١١٠ ﴿ تشيرون عليّ به

﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ فضيحة فرعون حيث نسي دعواه الربوبية، فاستشار الملاء في شأنه، إذ الرب الحق لا يستشير عباده فيما يريد فعله؛ لأنه لا يجهل ما يحدث مستقبلاً. ابن الجوزي

﴿ قَالُوا أَرْجِهْ ﴾ ۝١١١ ﴿ أَخْرَهْ ﴾ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۝١١٢ ﴿

﴿ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ قال ابن زيد: كان اجتماعهم بالإسكندرية. البغوي

﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ۝١١٢ ﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۝١١٣ ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝١١٤ ﴿ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ۝١١٥ ﴿

﴿ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾ تأدبوا مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فكان ذلك سبب إيمانهم. القرطبي. «ت».

﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْثَرَهُبُهُمْ ﴾ ۝١١٦ ﴿ خَوْفُهُمْ وَجَاءَهُو بِسِحْرِ عَظِيمٍ ۝١١٦ ﴿

غلبة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وإيمان السحرة

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ ﴾ ۝١١٧ ﴿ تَبْلَعُ ﴾ مَا يَأْفِكُونَ ۝١١٨ ﴿

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ أي: ما يكذبون؛ لأنهم جاءوا بحبال، وجعلوا فيها زئبقاً حتى تحركت. ينظر: تفسير القرطبي

﴿ فَوْقَ الْحَقِّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَعْلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا ﴾ **انصرفوا**
 ﴿ صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ أَذْلَاءَ مَقْهُورِينَ ﴾ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَحِidin ﴿١٢٠﴾

حال فرعون وملاه بعد إيمان السحرة

﴿ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِخُرجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ﴿١٢٤﴾ **يد كل منكم اليمنى ورجله اليسرى أو العكس** ثُمَّ لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٥﴾

﴿ **لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ** ﴾ قال ابن عباس، وعبيد بن عمير، وقتادة، وابن جريج: كانوا في أول النهار سحرة، وفي آخره شهداء. ابن كثير

﴿ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ **راجعون** ﴾ وَمَا نَنْقِمُ مِنْآ إِلَّا أَنْتَ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ **بالدعوة إلى مخالفة عبادة فرعون ﴿وَيَذَرُكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ يتركوا عبادتك وعبادة ما أمرتهم أن يعبدوا من أصنام ﴿قَالَ سَنُقْبِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ نتركهن أحياء ﴿وإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾**

﴿ **وَيَذَرُكَ وَءَالِهَتَكَ** ﴾ قال السدي: كان فرعون قد اتخذ لقومه أصنامًا وأمرهم بعبادتها، وقال لقومه: هذه آلهتكم وأنا ربها وربكم، فذلك قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]. البغوي

وصية موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه، وظهور الجديد من المعجزات

﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنِّي الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ

وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾

﴿ قَالُوا أَوِذِنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ وهذه كلمة الآيس المهزوم نفسياً؛ لطول ما عانوا من الاضطهاد والعذاب من فرعون وقومه الأقباط. فأجابهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قائلاً: محيياً الأمل في نفوسهم وإيصالهم بقوة الله التي لا تقهر ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ وهذا الذي رجاه موسى ورجاه بني إسرائيل قد تم كاملاً بلا نقصان والحمد لله الكريم المنان. أيسر التفاسير

﴿ ١٦٥ ﴾

حال فرعون وقومه مع المعجزات الجديدة

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ﴾ القحط والجذب ﴿ وَنَقَّصَ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴾ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ ﴿ الخصب والرزق ﴾ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا ﴿ يتشاءموا ﴾ بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۚ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرْتَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴿ ما أصابهم من القحط بقدر الله ﴾ وَلَكِنْ أَكْثَرْتَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾

﴿ إِنَّمَا طَّيَّرْتَهُمْ ﴾ قال عكرمة: كنت عند ابن عباس فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير، خير. فقال ابن عباس: ما عند هذا لا خير ولا شر. القرطبي

﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١٣٢﴾

﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا ﴾ قال المفسرون: كانت الآية تمكث من السبت إلى السبت، ثم يبقون عقيب رفعها شهراً في عافية، ثم تأتي الآية الأخرى. ابن الجوزي

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ ﴾ السيل الذي أغرق زروعهم ﴿ وَالْجَرَادَ ﴾ الذي أكل زروعهم ﴿ وَالْقُمَّلَ ﴾ الذي يفسد الثمار ويهلك الحيوانات ﴿ وَالضَّفَادِعَ ﴾ التي

ملأت آنيتهم ومضاجعهم ﴿وَالْدَّمَ﴾ الذي اختلط بمياهم ﴿ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾
مفرقات ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾

﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ عن قتادة قوله: ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾، حتى بلغ: ﴿مُجْرِمِينَ﴾، قال: أرسل الله عليهم الماء حتى قاموا فيه قيامًا، فدعوا موسى، فدعا ربه فكشفه عنهم، ثم عادوا لسوء ما يحضر بهم. ثم أنبت أرضهم، ثم أرسل الله عليهم الجراد، فأكل عامة حُرُوثهم وثمارهم. ثم دعوا موسى فدعا ربه فكشف عنهم، ثم عادوا بشرّ ما يحضر بهم. فأرسل الله عليهم القمل، هذا الدبى الذي رأيتم، فأكل ما أبقى الجراد من حُرُوثهم، فلحسه. فدعوا موسى، فدعا ربه فكشفه عنهم، ثم عادوا بشرّ ما يحضر بهم. ثم أرسل الله عليهم الضفادع حتى ملأت بيوتهم وأفنيتهم. فدعوا موسى، فدعا ربه فكشف عنهم. ثم عادوا بشرّ ما يحضر بهم، فأرسل الله عليهم الدم، فكانوا لا يغترفون من مائهم إلا دمًا أحمر، حتى لقد ذُكر أن عدو الله فرعون، كان يجمع بين الرجلين على الإناء الواحد، القبطي والإسرائيلي، فيكون مما يلي الإسرائيلي ماءً، ومما يلي القبطي دمًا. فدعوا موسى، فدعا ربه، فكشفه عنهم. الطبري

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ وكلما أصابهم عذاب **ما سبق** ﴿قَالُوا يَمْوَسَىٰ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ **من إجابة دعوتك** ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ﴿١٣٤﴾

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ أي: نزل بهم العذاب - وهو ما ذكر الله عزَّ وجلَّ من الطوفان وغيره-. وقال سعيد بن جبیر: الرجز الطاعون، وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس، حتى مات منهم سبعون ألفًا في يوم واحد، فأمسوا وهم لا يتدافعون. البغوي

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ﴾ **بدعاء موسى** ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلَغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ ﴿١٣٥﴾ **ينقضون عهدهم**

عقوبة فرعون وقومه في الدنيا، وعاقبة بني إسرائيل

﴿ فَانْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ البحر ﴿ بَأْتَهُمْ كَذِبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ (١٣٦) ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا ﴾ بلاد الشام ﴿ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ (١٣٧) ﴿ يرفعون من البناء ﴾

﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا ﴾
أرض الشام ومصر وقيل: أراد جميع الأرض، لأن من بني إسرائيل داود وسليمان وقد ملكا الأرض. ينظر: تفسير القرطبي

﴿ ١٦٦ ﴾

بداية معاناة موسى عليه السلام مع ما شاب بني إسرائيل من باطل

﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا ﴾ صنما نعبده ﴿ كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (١٣٨) ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُونَ هَالِكًا ﴾ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ (١٣٩) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (١٤٠) ﴿ فِي زَمَانِكُمْ فَرَعَٰنَ مَنَزَلْتَكُمْ بَعْدَ أَن كُنْتُمْ عِبِيدًا لِّفِرْعَوْنَ وَأَرْسَلْ إِلَيْكُمْ رَسُولًا ﴾ ﴿ وَإِذْ أَنَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ يُذِيقُونَكُمْ وَيَكْلِفُونَكُمْ ﴾ ﴿ سَوْءَ الْعَذَابِ يُقَبِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (١٤١) ﴿

موسى عليه السلام يكلم ربه

﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (١٤٢) ﴿

﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً ﴾ عن مجاهد: هو ذو القعدة، وعشر من ذي الحجة، فذلك قوله: ﴿ فَتَمَّ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾. الطبري

﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي﴾ في صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي حين خلفه في بعض مغازيه: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي». فاستدل بهذا الروافض والإمامية وسائر فرق الشيعة على أن النبي ﷺ استخلف عليًا على جميع الأمة، حتى كفر الصحابة الإمامية - قبحهم الله -؛ لأنهم عندهم تركوا العمل الذي هو النص على استخلاف علي، واستخلفوا غيره بالاجتهاد منهم. ومنهم من كفر عليًا إذ لم يقم بطلب حقه ... ولم يعلموا أن هذا استخلاف في حياة كالوكالة التي تنقضي بعزل الموكل أو بموته، لا يقتضي أنه متباد بعد وفاته، فينحل على هذا ما تعلق به الإمامية وغيرهم. وقد استخلف النبي ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم وغيره، ولم يلزم من ذلك استخلافه دائمًا بالاتفاق. على أنه قد كان هارون شرك مع موسى في أصل الرسالة. القرطبي

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ في الوقت الذي واعدناه فيه ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَبَيَّنَ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ مغشياً عليه ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٤٣﴾

﴿قَالَ لَنْ تَرَنِي﴾ عن أبي بكر الهذلي قال: لما تخلف موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد الثلاثين، حتى سمع كلام الله، اشتاق إلى النظر إليه فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي﴾، وليس لبشر أن يطيق أن ينظر إليّ في الدنيا، من نظر إلي مات! الطبري ﴿قَالَ لَنْ تَرَنِي﴾ قد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة، كما سنوردها عند قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]. وقوله تعالى إخباراً عن الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَّحُجُونَ﴾ [المطففين: ١٥]. ابن كثير.

﴿قَالَ لَنْ تَرَنِي﴾ سؤال موسى للرؤية يدل على أنها جائزة عنده في الجملة، ولو كانت مستحيلة عنده لما سألها، والجواب بقوله: ﴿لَنْ تَرَنِي﴾ يفيد أنه لا يراه

هذا الوقت الذي طلب رؤيته فيه، أو أنه لا يرى ما دام الرائي حيا في دار الدنيا، وأما رؤيته في الآخرة فقد ثبتت بالأحاديث المتواترة تواترا لا يخفى على من يعرف السنة المطهرة، والجدال في مثل هذا والمراوغة لا تأتي بفائدة، ومنهج الحق واضح، ولكن الاعتقاد لمذهب نشأ الإنسان عليه وأدرك عليه آباءه وأهل بلده، مع عدم التنبه لما هو المطلوب من العباد من هذه الشريعة المطهرة يوقع في التعصب، والمتعصب - وإن كان بصره صحيحا - فبصيرته عمياء، وأذنه عن سماع الحق صماء، يدفع الحق وهو يظن أنه ما دفع غير الباطل، ويحسب أن ما نشأ عليه هو الحق غفلة منه وجهلا بما أوجبه الله عليه من النظر الصحيح، وتلقي ما جاء به الكتاب والسنة بالإذعان والتسليم، وما أقل المنصفين بعد ظهور هذه المذاهب في الأصول والفروع، فإنه صار بها باب الحق مرتجا، وطريق الإنصاف مستوعرة، والأمر لله سبحانه، والهداية. الشوكاني

﴿قَالَ لَنْ تَرِنِي﴾ تعلق بهذا نفاة الرؤية، وقالوا: «لن» لنفي الأبد، وذلك غلط؛ لأنها قد وردت وليس المراد بها الأبد في قوله: ﴿وَلَنْ يَتَمَتَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٩٥] ثم أخبر عنهم بتمنيه في النار بقوله تعالى: ﴿يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْهِ تَارِكًا﴾ [الزخرف: ٧٧]؛ ولأن ابن عباس قال في تفسيرها: لن تراني في الدنيا. وقال غيره: هذا جواب لقول موسى: ﴿أَرْفِجْ﴾، ولم يرد: أرني في الآخرة، وإنما أراد في الدنيا، فأجيب عما سأل. وقال بعضهم: لن تراني بسؤالك. وفي هذه الآية دلالة على جواز الرؤية؛ لأن موسى مع علمه بالله تعالى، سألها، ولو كانت مما يستحيل لما جاز لموسى أن يسألها، ولا يجوز أن يجهل موسى مثل ذلك؛ لأن معرفة الأنبياء لله ليس فيها نقص؛ ولأن الله تعالى لم ينكر عليه المسألة، وإنما منعه من الرؤية، ولو استحالت عليه لقال: لا أرى ... ومما يدل على جواز الرؤية أنه علقها باستقرار الجبل، وذلك جائز غير مستحيل، فدل على أنها جائزة، ألا ترى أن دخول الكفار الجنة لما استحال علقه بمستحيل فقال: حتى يلج الجمل في سم الخياط. ابن الجوزي

﴿وَحَرَّمَ مُوسَى صَعِقًا﴾ قال رسول الله ﷺ: «لا تخيروني على موسى؛ فإن الناس

يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فأجد موسى ممسكا بجانب العرش، فلا أدري أكان ممن صعق فأفاق قبلي، أم كان ممن استثناه الله، عَزَّوَجَلَّ». أخرجاه في الصحيحين. ابن كثير

﴿سُبْحَنَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ﴾ عن الربيع قال: لما رأى موسى ذلك وأفاق، عرف أنه قد سأل أمرا لا ينبغي له، فقال: ﴿سُبْحَنَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، قال أبو العالية: عنى: إني أول من آمن بك أنه لن يراك أحد قبل يوم القيامة. الطبري

اصطفاء موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإعطاؤه الألواح

﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَتِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿١٤٤﴾

﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَتِي﴾ لما منعه الله من رؤيته - بعدما ما كان متشوقا إليها - أعطاه خيرا كثيرا. السعدي. «ت».

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ﴾ الألواح التوراة ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاجونه في الدين ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿١٤٥﴾ قيل الشام وقيل مصر

﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ قال ابن عباس: أمر موسى أن يأخذها بأشد ما أمر به قومه. الطبري

﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ قال قطرب: بأحسنها أي بحسنها وكلها حسن. وقيل: أحسنها الفرائض والنوافل، وهي: ما يستحق عليها الثواب، وما دونها المباح؛ لأنه لا يستحق عليه الثواب. وقيل: بأحسنها، بأحسن الأمرين في كل شيء كالعفو أحسن من القصاص، والصبر أحسن من الانتصار. البغوي

﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: من أهل الشام، وأعطيكم إياها لأن هذا كان

بعد انفصال موسى وقومه عن بلاد مصر. وقيل: منازل قوم فرعون، وقيل: سترون عاقبة من خالف أمري وخرج عن طاعتي كيف يصير إلى الهلاك والدمار. ينظر تفسير ابن كثير

﴿ سَاصِرْفُ عَنْ ءَايَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ
ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا
سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ
﴿ ١٤٦ ﴾

﴿ سَاصِرْفُ عَنْ ءَايَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ إذا كان المصحف الذي كتب فيه طاهرا لا يمسه إلا البدن الطاهر، فالمعاني التي هي باطن القرآن لا يمسه إلا القلوب المطهرة، وأما القلوب المنجسة لا تمس حقائقه، فهذا معنى صحيح، قال تعالى: ﴿ سَاصِرْفُ عَنْ ءَايَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾. قال بعض السلف: أمنع قلوبهم فهم القرآن. ابن تيمية في جامع المسائل. «ت».

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ
إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ ١٤٧ ﴾

عبادة قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ للعجل

﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ ﴾ من بعد ذهابه للمناجاة ﴿ مِنْ حُلِيِّهِمْ ﴾ ذهبهم
﴿ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ ﴾ صوت يسمع كصوت البقرة ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا
يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ ﴿ ١٤٨ ﴾

﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ ﴾ أي: من بعد انطلاقه إلى الجبل من حليهم التي استعاروها من قوم فرعون ... اتخذ السامري منها عجلا، وألقى في فمه من تراب أثر فرس جبريل فتحول عجلا، جسدا، حيا، لحما ودما، له خوار، وهو صوت البقر. وهذا قول ابن عباس والحسن وقتادة وجماعة أهل التفسير. البغوي

﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ **ندموا** ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿١٤٩﴾

﴿ ١٦٨ ﴾

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ۖ أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَالْقَى الْأُلُوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾ **بفعلك** ﴿وَلَا تَجْعَلَنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٥٠﴾ **لا تؤاخذني كمن عبد العجل**

﴿قَالَ ابْنُ أُمِّ﴾ إنما قال ابن أم وكان هارون أخاه لأبيه وأمه؛ ليرققه ويستعطفه. وقيل: كان أخاه لأمه دون أبيه. البغوي، قلت: والأول أظهر.

﴿وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ دلت الآية على أن لمن خشي القتل على نفسه عند تغيير المنكر أن يسكت. القرطبي

﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾ درس عظيم لأتباع الأنبياء في علاج مشاكلهم مهما كانت كبيرة، بعيداً عن أي أسلوب يجلب شناعة الأعداء والحاسدين. د. عمر المقبل. "ليدبروا آياته".

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ **ما صنعت بأخي** ﴿وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿١٥١﴾

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي﴾ قال موسى لما تبين له عذر أخيه، ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ ما صنعت إلى أخي، ﴿وَلِأَخِي﴾، إن كان منه تقصير في الإنكار على عبدة العجل. البغوي

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي﴾ أشركه في الدعاء إرضاءً له ودفعاً للشهامة به. تفسير الجلالين

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجَلَ سَيُتْلَاهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ ﴿١٥٢﴾

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ ﴾ قال سفيان بن عيينة: ليس في الأرض صاحب بدعة إلا وهو يجد ذلة تغشاه، قال: وهي في كتاب الله تعالى: قالوا: وأين هي؟ قال: أو ما سمعتم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ قالوا: يا أبا محمد، هذه لأصحاب العجل خاصة، قال: كلا، أتلو ما بعدها: ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾، فهي لكل مفتر ومبتدع إلى يوم القيامة. ابن الجوزي

﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٥٣ ﴾ وَلَمَّا سَكَتَ ﴿ سَكَنَ ﴾ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُسْخَتِهَا ﴿ مَا كُتِبَ فِيهَا ﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿ ١٥٤ ﴾

ذهاب سبعين رجلاً من بني إسرائيل؛ للاعتذار

﴿ وَأَخْبَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾ الزلزلة الشديدة بسبب أنهم طلبوا رؤية الله علانية وإلا فلن يؤمنوا ﴿ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَتْلُو أَسْمَاءَ أَمْ آتَيْنَا لَكَ الْبُحْرَيْنِ ﴾ ﴿ ١٥٥ ﴾

﴿ وَأَخْبَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقِنَا ﴾ قال السدي: أمر الله تعالى موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، فاختار موسى من قومه سبعين رجلاً، فلما أتوا ذلك المكان قالوا: ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ ﴾ [البقرة: ٥٥] فماتوا. البغوي

﴿ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم ﴾ قال السدي: قام موسى يبكي ويدعو الله ويقول: رب، ماذا أقول لبني إسرائيل إذا لقيتهم وقد أهلكت خيارهم؟ ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي ﴾. ابن كثير

﴿ وَكُتِبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ رجعنا تائبين إليك ﴿ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشْيَاءِ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

فَسَاكُتُهَا ﴿الرَّحْمَةُ الْخَاصَّةُ الْمَقْتَضِيَّةُ لِسَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعا وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة» مسلم، وبنحوه عند البخاري.

بشارة التوراة بمحمد ﷺ، وعموم رسالته للناس، ودخول متبعيه في الرحمة

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ ما كلفوه من الأعمال الشاقة ﴿وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ ﴿وَقَرَّوْهُ وَعَظَّمُوهُ﴾ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ قال مسروق: لقد كان الرجل من بني إسرائيل يذنب الذنب، فيصبح وقد كتب على باب بيته: إن كفارته أن تنزع عينيك؛ فينزعها. ابن جوزي

﴿قُلْ يَكَايْهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

صلاح جملة من بني إسرائيل

﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ ﴿١٥٨﴾

﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ وكأن الإتيان بهذه الآية الكريمة فيه نوع احتراز مما تقدم، فإنه تعالى ذكر فيها تقدم جملة من معاييب بني إسرائيل، المنافية

للكمال، المناقضة للهداية، فربما توهم متوهم أن هذا يعم جميعهم، فذكر تعالى أن منهم طائفة مستقيمة هادية مهدية. السعدي

شيء من النعم على بني إسرائيل وتعنتهم

﴿وَقَطَعْنَاهُمْ﴾ **فرقناهم** ﴿اِثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ **قبائل بعدد أبناء يعقوب** **الاثنى عشر** ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾ **في التيه** ﴿أَنْبِضْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ﴾ **فانفجرت** ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ **قبيلة** ﴿مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ﴾ **السحاب** ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ﴾ **كل رزق حسن يحصل بلا تعب، ومنه الكمأة** ﴿وَالسَّلَوَى﴾ **طائر لذيذ يشبه السمان** ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿١٦٠﴾ **وإذ** **قيل لهم أسكنوا هذه القرية** ﴿بَيْتِ الْمَقْدِسِ﴾ **وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة** ﴿حَطَّ عَنَا ذُنُوبَنَا﴾ **وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٦١﴾ **فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم** ﴿فَقَالُوا حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ وَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْطَاهُمْ﴾ **فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا عَذَابًا﴾ ﴿مَنْ السَّكَمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ ﴿١٦٢﴾****

التحايل على أحكام الله وعقوبة ذلك

﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ **قريبة من البحر الأحمر** ﴿إِذْ يَعْدُونَكَ فِي السَّبْتِ﴾ **يعتدون بالصيد في اليوم المحرم عليهم وهو السبت** ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا﴾ **ظاهرة على وجه الماء** ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾ **في غير يوم السبت** ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ **ابتلاء واختباراً** ﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ﴿١٦٣﴾

﴿إِذْ يَعْدُونَكَ فِي السَّبْتِ﴾ **تحيلوا على الصيد، فكانوا يحفرون لها حفراً،**

وينصبون لها الشباك، فإذا جاء يوم السبت، ووقعت في تلك الحفر والشباك، لم يأخذوها في ذلك اليوم، فإذا جاء يوم الأحد أخذوها، وكثر فيهم ذلك، وانقسموا ثلاث فرق. السعدي

﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ صار أهل القرية أثلاثا وكانوا نحوًا من سبعين ألفًا، ثلث نهوا، وثلث لم ينهوا وسكتوا وقالوا: لم تعظون قوما الله مهلكهم. وثلث هم أصحاب الخطيئة، فلما لم ينتهوا قال الناهون: لا نساكنكم في قرية واحدة فقسّموا القرية بجدار، للمسلمين باب، وللمعتدين باب، ولعنهم داود فأصبح الناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين أحد، فقالوا: إن لهم لشأنا، لعل الخمر غلبتهم، فتسوروا الجدار، واسترقوا عليهم، فإذا هم كلهم صاروا قردة وخنازير، فعرفت القردة أنسابها من الإنس، ولم تعرف الإنس أنسابها من القردة، فجعلت القردة تأتي أنسابها من الإنس فتشم ثيابه وتبكي فيقول: ألم نهكم فتقول برأسها: نعم. البغوي

﴿١٧١﴾

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ جماعة ﴿لَمَ تَعْظُون قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً﴾ نعظهم؛ لنعذر إلى الله فيهم ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُوتُونَ﴾ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ شَدِيدٍ ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ﴿١٦٥﴾

﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: نسمع الله يقول: أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس، فلا أدري ما فعل بالفرقة الساكتة. قال عكرمة: قلت له جعلني الله فداك ألا تراهم قد أنكروا فكرهوا ما هم عليه، وقالوا: لم تعظون قوما الله مهلكهم، وإن لم يقل الله أنجيتهم لم يقل أهلكتهم. فأعجبه قولي، فرضي، وأمر لي ببردين فكسانيهما، وقال: نجت الفرقة الساكتة. البغوي

﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ وأما الفرقة

الأخرى التي قالت للناهين: ﴿لَمْ تَعْطُوا قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ فاختلف المفسرون في نجاتهم وهلاكهم، والظاهر أنهم كانوا من الناجين؛ لأن الله خص الهلاك بالظالمين، وهو لم يذكر أنهم ظالمون.

فدل على أن العقوبة خاصة بالمعتدين في السب، ولأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الآخرين، فاكتفوا بإنكار أولئك، ولأنهم أنكروا عليهم بقولهم: ﴿لَمْ تَعْطُوا قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فأبدوا من غضبهم عليهم، ما يقتضي أنهم كارهون أشد الكراهة لفعلهم، وأن الله سيعاقبهم أشد العقوبة. السعدي

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ ﴿١٦٦﴾

الذلة على اليهود، وشيء من زيغهم، وتفرقهم في الأرض

﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رَبُّكَ﴾ **أعلمهم** ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٦٧﴾ **وقطعناهم** **فرقناهم** ﴿فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ﴾ **الرخاء في العيش** ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾ **الشدائد في العيش** ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿١٦٨﴾

﴿وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ قال ابن عباس: هم اليهود، ليس من بلد إلا وفيه منهم طائفة. وقال مقاتل: هم بنو إسرائيل. وقيل: معناه: شتات أمرهم، وافتراق كلمتهم. منهم الصالحون وهم المؤمنون بعمسى ومحمد ﷺ. ومنهم دون ذلك، وهم الكفار. ابن الجوزي

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ **ما يعرض لهم من دنى المكاسب كالرشوة** ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ **فهم مصرّون على فعلهم** ﴿أَلَمْ يَأْخُذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ﴾ **العهود والمواثيق التي في التوراة** ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ **علموا ما في الكتاب فضيعوه** ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٦٩﴾

وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

﴿يُمَسِّكُونَ﴾ قرئت بالتخفيف، أي هم أنفسهم يمسكون، وبالتشديد، أي: يمسكون غيرهم. د. محمد الربيعة "ليدبروا آياته".

﴿ ١٧٢ ﴾

﴿وَإِذْ نَنْقَنَّا﴾ رفعنا ﴿الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ أيقنوا أنه ساقط عليهم إن لم يقبلوا أحكام التوراة ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بجد ﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٧١﴾

العهد المأخوذ على ذرية آدم

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ قررهم بما أودع في فطرتهم من توحيده ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا﴾ فعلنا ذلك لئلا تقولوا ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غْفِلِينَ﴾ ﴿١٧٢﴾

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم ويصا من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال: أي رب، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، فرأى رجلاً منهم فأعجبه ويص ما بين عينيه، فقال: أي رب من هذا؟ فقال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود فقال: رب كم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة، قال: أي رب، زده من عمري أربعين سنة، فلما قضى عمر آدم جاءه ملك الموت، فقال: أولم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أولم تعطها ابنك داود قال: فبحمد آدم فحدثت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته». الترمذي وقال حسن صحيح.

﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ فقد أودع الله في فطركم، ما يدلکم على أن ما مع آبائكم باطل، وأن الحق ما جاءت به الرسل، وهذا يقاوم ما وجدتم عليه آباءكم، ويعلو عليه ...

موسى بالنساء.

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ ركن إلى الدنيا ورضى بها
﴿ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ ﴾ مثل الضال إن نصحته أبى، وإن تركته فهو فى ضلاله
﴿ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ ﴾ تطرده ﴿ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثْ ﴾
ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ
﴿ ١٧٦ ﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿ ١٧٧ ﴾ مَنْ
يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿ ١٧٨ ﴾

﴿ ١٧٣ ﴾

أهل الباطل أضل من الأنعام

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا ﴾ خلقنا ﴿ لَجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا
يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ الحق ﴿ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا ﴾ دلائل قدرته بصر من يريد
الحق ﴿ وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ المواعظ سماع تدبر ﴿ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ
أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ ﴿ ١٧٩ ﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ
يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ يميلون عن الحق كأن يسموا آلهتم بأسماء الله أو فى
معانيها بتحريفها ﴿ سَيَجْزُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ ١٨٠ ﴾

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ أي: اطلبوا منه بأسمائه، فيطلب بكل اسم ما
يليق به، تقول يا رحيم ارحمني، يا حكيم احكم لي، يا رازق ارزقني، يا هادي
اهدني، يا فتاح افتح لي. القرطبي. «ت».
﴿ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ اشتقوا اللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من
المنان، قاله ابن عباس وقتادة. القرطبي

أصناف الناس والرد على المبطلين

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ ﴿ ١٨١ ﴾ يقضون ويحكمون
﴿ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ ﴾ نفتح لهم الأرزاق؛ ليغتروا ثم نباغتهم
بالعقوبة ﴿ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ ١٨٢ ﴾

﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ قال مقاتل: نزلت في المستهزئين من قريش. ابن الجوزي

﴿وَأْمُرْ لَهُمْ﴾ **أْمَلَهُمْ** ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ (١٨٣) ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ﴾ **جَنُونَ** ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (١٨٤) ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (١٨٥)

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فإنهم إذا نظروا إليها، وجدوها أدلة دالة على توحيد ربها، وعلى ما له من صفات الكمال. السعدي
﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ﴾ لينظروا في خصوص حالهم، وينظروا لأنفسهم قبل أن يقترب أجلهم، ويفجؤهم الموت وهم في غفلة معرضون، فلا يتمكنون حينئذ، من استدراك الفارط. السعدي

﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا هَادِيَ لَهُ، وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١٨٦) **يتحIRON**
ويترددون ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ **متى وقوعها** ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا﴾ **لا يظهرها** ﴿لَوْ قَنَّا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ﴾ **عظم أمرها** ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ **حريص على العلم بها**
﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٨٧)

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ لم يعلموا أنك -لكمال علمك بربك، وما ينفع السؤال عنه- غير مبال بالسؤال عنها، ولا حريص على ذلك، فلم لا يقتدون بك، ويكفون عن الاستحفاء عن هذا السؤال الخالي من المصلحة المتعذر علمه، فإنه لا يعلمها نبي مرسل، ولا ملك مقرب. وهي من الأمور التي أخفاها الله عن الخلق؛ لكمال حكمته، وسعة علمه. السعدي

الرسول لا يعلم الغيب

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ

لَأَسْتَكْثِرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾

ذرية آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ووسوسة الشيطان لهم

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ﴿آدم﴾ ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ ﴿لِيَأْنَسَ وَيَطْمَنَ﴾ ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ ﴿جامعها﴾ ﴿حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيفًا فَمَرَّتَ بِهِ﴾ ﴿قامت به وقعدت بسهولة؛ لحفته﴾ ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾ ﴿صارت ثقيلة؛ لأجل الحمل﴾ ﴿دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْنَا صَاحِبًا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّكِرِينَ﴾ ﴿١٨٩﴾

﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ فيها بيان السر في كون الزوج من جنس الزوج، وهو الألفة والأنس والتعاون. الجزائري

﴿فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَاحِبًا جَعَلَا﴾ ﴿بعض الأزواج من ذرية آدم﴾ ﴿لَهُ شُرَكَاءُ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَلَّى اللَّهَ﴾ ﴿تعاضم وتنزه﴾ ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٩٠﴾

﴿فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَاحِبًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءُ﴾ جعل الله شركاء في ذلك الولد الذي انفرد الله بإيجاده والنعمة به، وأقر به عين والديه، فعبّدها لغير الله. إما أن يسمياه بعبد غير الله كـ (عبد الحارث) و (عبد العزيز) و (عبد الكعبة) ونحو ذلك، أو يشركا بالله في العبادة، بعدما منَّ الله عليهما بما منَّ من النعم التي لا يحصيها أحد من العباد. وهذا انتقال من النوع إلى الجنس، فإن أول الكلام في آدم وحواء، ثم انتقل إلى الكلام في الجنس، ولا شك أن هذا موجود في الذرية كثيرا، فلذلك قرره الله على بطلان الشرك، وأنهم في ذلك ظالمون أشد الظلم، سواء كان الشرك في الأقوال، أم في الأفعال. السعدي

﴿أَيُّشْرَكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ﴿١٩١﴾ ﴿أى: الأصنام﴾ ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ ﴿١٩٢﴾ ﴿وإن تدعوهم﴾ ﴿الأصنام﴾ ﴿إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ ﴿١٩٣﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٩٤﴾ ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ

يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴿١٩٥﴾ فَحَالَكُمْ أَفْضَلُ مِنَ الْأَصْنَامِ
فَكَيْفَ تَعْبُدُونَهَا ﴿١٩٦﴾ قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ ﴿١٩٧﴾ تَهْلُونَ

أولياء الرحمن، وأولياء الشيطان

﴿إِنْ وَلِيَ اللَّهُ﴾ ناصري وحافظي من كل سوء ﴿الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ تَوَلَّى﴾
الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصَرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ
يَبْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا
يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا﴾ إنما أراد الله جل ثناؤه بوصف آلهتهم بذلك
من صفتها، تنبيههم على عظيم خطئهم، وقبح اختيارهم. يقول جل ثناؤه:
فكيف يهديكم إلى الرشاد مَنْ إِنْ دُعِيَ إِلَى الرِّشَادِ وَعُرِّفَ لَمْ يَعْرِفْهُ، وَلَمْ يَفْهَمْ
رِشَادًا مِنْ ضَلَالٍ ... فكيف يُعْبَدُ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ. الطبري

﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ ما تيسر من أخلاق الناس، ولا تكلفهم ما لا يريدون بذله ﴿وَأْمُرْ
بِالْعُرْفِ﴾ وهو كل قول وعمل حسن ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿١٩٩﴾

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ الآية

هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم. السعدي
﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك: فقال بعضهم:
تأويله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ من أخلاق الناس، وهو الفضل وما لا يجهدهم ... وقال
آخرون: بل معنى ذلك: خذ العفو من أموال الناس، وهو الفضل. قالوا: وأمر
بذلك قبل نزول الزكاة، فلما نزلت الزكاة نُسخ ... وقال آخرون: بل ذلك أمر
من الله نبيه ﷺ بالعفو عن المشركين، وترك الغلظة عليهم قبل أن يفرض قتالهم
عليه ... قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معناه: خذ
العفو من أخلاق الناس، واطرك الغلظة عليهم ... وإنما قلنا ذلك أولى
بالصواب؛ لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك تعليمه نبيه ﷺ محاجته المشركين في

الكلام، وذلك قوله: ﴿قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظَرُونَ﴾، وعقبه بقوله: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ (٢٠٢) وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا آجَبْتَنَاهَا، فما بين ذلك بأن يكون من تأديبه نبيه ﷺ في عشرتهم به، أشبه وأولى من الاعتراض بأمره بأخذ الصدقة من المسلمين. الطبري

﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ يصيبك بوسوسة أو تشييط عن الخير ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ لما تقول ﴿عَلِيمٌ﴾ (٢٠٠) ﴿بِالتَّجَانُّكِ﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ ﴿عَارِضٌ مِنْ وَسْوَسة﴾ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (٢٠١) وَإِخْوَانُهُمْ ﴿إِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ﴾ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَىِّ ﴿تَعِينَهُمُ الشَّيَاطِينُ عَلَى الْغَوَايةِ﴾ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ (٢٠٢) لا يدخرون وسعاً في غوايتهم ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا آجَبْتَنَاهَا﴾ اختلقتها وأحدثتها من نفسك ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ﴾ حجب وبراهين ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٠٣)

الأمر باستماع القرآن، والحث على الذكر

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٢٠٤)

﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ اختلف أهل التأويل في الحال التي أمر الله بالاستماع لقارئ القرآن إذا قرأ والإنصات له

... وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: أمروا باستماع القرآن في الصلاة إذا قرأ الإمام، وكان من خلفه ممن يأتّم به يسمعه، وفي الخطبة. الطبري ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ يعني: في الصلاة المفروضة. ابن كثير

﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا﴾ تخشعًا وتذللًا ﴿وَخِيفَةً﴾ تواضعًا وخوفًا منه ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ﴾ أول النهار ﴿وَالْأَصَالِ﴾ آخر النهار ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٢٠٥) إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسَبِّحُونَهُ، وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾

﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ هذه أول سجدة في القرآن، مما يشرع لتاليها ومستمعها السجود بالإجماع. ابن كثير
 ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويله - وفي رواية أبي كريب: يا ويلى - أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار». مسلم.

﴿ ١٧٦ ﴾

سورة الأنفال

سورة الأنفال، سورة مدنية، فيها حديث عن غزوة بدر، وبيان أسباب النصر والهزيمة، وفيها شيء من الأحكام الشرعية المتعلقة بالعلاقات الدولية، وشيء من مثالب المشركين، وفيها حثهم على التوبة.

سبب نزول السورة:

قال أهل التفسير: سبب نزول هذه الآية هو أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «من أتى مكان كذا فله من النفل كذا، ومن قتل قتيلاً فله كذا، ومن أسر أسيراً فله كذا»، فلما التقوا تسارع إليه الشبان، وأقام الشيوخ ووجوه الناس عند الرايات، فلما فتح الله على المسلمين، جاؤوا يطلبون ما جعل لهم النبي ﷺ، فقال الأشياخ: «كنا درءا لكم، ولو انهزمتمهم؛ لا نحرفتم إلينا، فلا تذهبوا بالغنائم دوننا»، وقام أبو اليسر بن عمرو الأنصاري أخو بني سلمة فقال: يا رسول الله! إنك وعدت أن من قتل قتيلاً فله كذا، ومن أسر أسيراً فله كذا، وإننا قد قتلنا منهم سبعين، وأسروا منهم سبعين. فقام سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: والله يا رسول الله! ما منعنا أن نطلب ما يطلب هؤلاء زهادة في الآخرة، ولا جبن عن العدو، ولكن كرهنا أن تعرى مصافك فيعطف عليك خيل من المشركين فيصيبوك، فأعرض عنهما رسول الله ﷺ. فقال سعد: يا رسول الله! إن الناس كثير والغنيمة دون ذلك، فإن تعط هؤلاء الذين ذكرت لا يبقى لك ولا لأصحابك كثير شيء. فنزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ [الأنفال: ١].

البغوي

من موضوعات السورة:

سورة الأنفال، سورة مدنية، فيها حديث عن غزوة بدر، وبيان أسباب النصر والهزيمة، وبيان صفات المؤمنين المستحقين للنصر.

* وفيها شيء من الأحكام الشرعية المتعلقة بالعلاقات الدولية، مثل: (الجهاد والنهي عن التولي يوم الزحف - أحكام الغنائم - معاهدة المشركين - الأسرى - استنصار الدول المسلمة الأخرى).

* وفيها نماذج من عداوة المشركين للمؤمنين التي هي سبب لقتالهم، وحثهم على التوبة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأنفال، وأوصاف المؤمنين

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ الغنائم أو بعض أنواعها وحالاتها ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ أمر الفصل فيها لها ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

﴿الْأَنْفَالِ﴾ سميت الغنائم أنفالاً لأنها زيادة من الله لهذه الأمة على الخصوص.

البغوي

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ كاملي الإيمان ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ﴾ فزعت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته، زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ﴿٢﴾

﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ قال السدي: هو الرجل يريد أن يظلم - أو قال: يهم بمعصية - فيقال له: اتق الله؛ فيجل قلبه. ابن كثير: «ت».

﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ لا كما يفعله جهال العوام والمبتدعة الطغام من الزعيق والزئير... فيقال لمن تعاطى ذلك، وزعم أن ذلك: «وجد وخشوع»: لم تبلغ أن تساوي حال الرسول، ولا حال أصحابه في المعرفة بالله، والخوف منه، والتعظيم لجلاله، ومع ذلك، فكانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله،

والبكاء خوفا من الله، ولم يكونوا يجاوزون أن تفيض أعينهم من الدمع. ينظر : تفسير القرطبي بتصرف يسير.

﴿زَادَتْهُمْ إِيْمَانًا﴾ قال عمير بن حبيب - وكانت له صحبة-: إن للإيمان زيادة ونقصانا، قيل: فما زيادته؟ قال: إذا ذكرنا الله عَزَّوَجَلَّ وحمدناه فذلك زيادته، وإذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه. البغوي

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾

الخروج لغزوة بدر

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾ ذلك أن أبا سفيان قدم بعير من الشام، فخرج النبي ﷺ وأصحابه؛ ليغنموها، فعلمت قريش، فخرج أبو جهل ومقاتلو مكة ليزبوا عنها -وهم النفير-، وأخذ أبو سفيان بالعر طريق الساحل فنجت. ف قيل لأبي جهل: ارجع؛ فأبى، وسار إلى بدر، فشاور النبي ﷺ أصحابه، وقال: إن الله وعدني إحدى الطائفتين، فوافقوه على قتال النفير، وكره بعضهم ذلك وقالوا: لم نستعد له. تفسير الجلالين

﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ ﴿٦﴾ يَجَادِلُونَكَ فِي الْقِتَالِ بَعْدَمَا اتَّضَحَ لَهُمْ أَنَّ الْعِيرَ نَجَتْ وَأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ إِلَّا النِّفِيرُ﴾ كَانَمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ جعل فريق من المؤمنين يجادلون النبي ﷺ ... هذا وكثير من المؤمنين لم يجر منهم من هذه المجادلة شيء، ولا كرهوا لقاء عدوهم،. وكذلك الذين عاتبهم الله، انقادوا للجهاد أشد الانقياد، وثبتهم الله، وقبض لهم من الأسباب ما تطمئن به قلوبهم. السعدي

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ﴿٧﴾ عِيرَ قَرِيشٍ أَوْ قِتَالَ قَرِيشٍ ﴿٨﴾ أَنَّهُمَا لَكُمْ وَتُؤَدُّونَ أَنْ عِيرَ ذَاتِ الشَّوَكَةِ ﴿٩﴾ الطَّائِفَةُ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا سِلَاحٌ وَهِيَ الْعِيرُ

﴿تَكُونُ لَكُمْ وَرِيدُ اللَّهِ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾
لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿١٧٧﴾

استغاثة المؤمنين لربهم

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ يتبع بعضهم بعضاً

﴿مُرْدِفِينَ﴾ متتابعين يردف بعضهم بعضاً، وعدهم بها أولاً، ثم صارت ثلاثة آلاف، ثم خمسة كما في آل عمران. تفسير الجلالين

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ ﴿يلقى النعاس عليكم كالغطاء﴾ ﴿أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ ﴿أَمَانًا﴾ ﴿وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْسَ الشَّيْطَانِ﴾ ﴿وساوسه وتخوياته﴾ ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ ﴿لِيَشَدَّ﴾ ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ ﴿١١﴾﴾

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ﴾ أنزل عليكم نعاساً ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمْ﴾ أي: فيذهب ما في قلوبكم من الخوف والوجل، ويكون ﴿أَمَنَةً﴾ لكم وعلامة على النصر والطمأنينة. ومن ذلك: أنه أنزل عليكم من السماء مطراً؛ ليطهركم به من الحدث والخبث، وليطهركم به من وساوس الشيطان ورجزه. السعدي

﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْسَ الشَّيْطَانِ﴾ وسوس إليهم الشيطان، وقال: تزعمون أنكم على الحق، وفيكم نبي الله، وأنكم على الحق، وأنكم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلون محدثين ومجنبيين، فكيف ترجون أن تطهروا عليهم؟... ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ حتى لا تسوخ في الرمل بتليد الأرض. وقيل: يثبت به الأقدام بالصبر وقوة القلب للقتال. البغوي

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ

الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ **طرف ومفصل** ﴿١٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٤﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٥﴾

النهي عن التولي يوم الزحف

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا﴾ **كأنهم لكثرتهم يزحفون** ﴿فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ ﴿١٥﴾

﴿فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ لا منافاة بين هذه الآية وآية الضعف، بل هذه الآية مقيدة بها، فيكون الفرار من الزحف محرماً بشرط ما بينه الله في آية الضعف. الشوكاني

﴿وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقَالٍ﴾ **مظهرًا الفرار خدعة ثم يكرّر** ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ **منحازاً إلى جماعة من المسلمين يستنجد بها على** **الحرب فمن لم يكن كذلك** ﴿فَقَدْ بَاءَ﴾ **رجع** ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ﴿١٦﴾

﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ المتحيز إلى فئة تمنعه وتعينه على قتال الكفار، فإن ذلك جائز، فإن كانت الفئة في العسكر، فالأمر في هذا واضح، وإن كانت الفئة في غير محل المعركة كأنهم من المسلمين بين يدي الكافرين، والتجأهم إلى بلد من بلدان المسلمين، أو إلى عسكر آخر من عسكر المسلمين، فقد ورد من آثار الصحابة ما يدل على أن هذا جائز، ولعل هذا يقيد بما إذا ظن المسلمون أن الانهزام أحمد عاقبة، وأبقى عليهم.

أما إذا ظنوا غلبتهم للكفار في ثباتهم لقتالهم، فيبعد - في هذه الحال - أن تكون من الأحوال المرخص فيها؛ لأنه - على هذا - لا يتصور الفرار المنهي عنه، وهذه الآية مطلقة، وسيأتي في آخر السورة تقييدها بالعدد. السعدي

﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ من معانيها:

- أن يكون منحاذاً إلى فئة، بحيث يذكر له أن فئة من المسلمين من الجانب الآخر تكاد تنهزم، فيذهب من أجل أن يتحيز إليها تقوية لها، وهذه الحال يشترط فيها ألا يخاف على الفئة التي هو فيها، فإن خاف على الفئة التي هو فيها؛ فإنه لا يجوز أن يذهب إلى الفئة الأخرى. ابن عثيمين في الشرح الممتع.

﴿ ١٧٨ ﴾

هزيمة الكفار

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ﴾ ليس النصر بسبب كثرتم ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ﴿ لِيُخْتَبَرَهُمَ بِالنَّصْرِ فَيَنْظُرَ شُكْرَهُمْ ﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿ ١٧ ﴾

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ قيل المعنى: أثبت الرمية لرسول الله ﷺ؛ لأن صورتها وجدت منه، ونفاها عنه؛ لأن أثرها الذي لا يطيقه البشر.

ينظر: تفسير الشوكاني

* لم يكن في قدرته أن يوصل ذلك إليهم كلهم، فالله تعالى أوصل ذلك الرمي إليهم كلهم بقدرته، يقول: وما أوصلت إذ حذف، ولكن الله أوصل. ينظر: مجموع الفتاوى: (٢/ ٣٣٢)

﴿ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿ ١٨ ﴾ ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا ﴾ تطلبوا أيها الكفار من الله أن يوقع بأسه بالظالمين ﴿ فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ﴾ وقع البأس على الكفار ﴿ وَإِنْ تَنْهَوْا ﴾ عن الحرب ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعَدْ ﴾ بنصر المؤمنين عليكم ﴿ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ ﴾ جماعتكم ﴿ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ ﴾ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ ١٩ ﴾

﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا ﴾ عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير: أن أبا جهل قال يوم بدر: (اللهم أقطعنا لرحمه، وآتانا بما لا نعرف، فأحنه الغداة!). وكان ذلك استفتاحاً منه، فنزلت: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ﴾. الطبري

الأمير بطاعة الرسول ﷺ

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ ﴿سَاءَ فُهِمَ
وَتَدَبَّرَ فَيَتَفَعَّلُونَ﴾ ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ﴾ ﴿لَا يَسْمَعُونَ الْحَقَّ وَلَا
يَتَكَلَّمُونَ بِهِ﴾ ﴿الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ
أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿٢٣﴾

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ أخبر تعالى بأنهم لا فهم لهم صحيح، ولا
قصد لهم صحيح، لو فرض أن لهم فهما، فقال: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا
لَأَسْمَعَهُمْ﴾ أي: لأفهمهم، وتقدير الكلام: ولكن لا خير فيهم فلم يفهمهم؛
لأنه يعلم أنه ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ أي: أفهمهم ﴿لَتَوَلَّوْا﴾ عن ذلك قصدا وعنادا
بعد فهمهم ذلك، ﴿وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ عنه. ابن كثير

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ ﴿من
أمر الدين؛ لأنه سبب الحياة الأبدية السعيدة﴾ ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ
الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿٢٤﴾

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ خبر من الله عز وجل أنه أملك
لقلوب عباده منهم، وأنه يحول بينهم وبينها إذا شاء، حتى لا يقدر ذو قلب أن
يُدرك به شيئا من إيمان أو كفر، أو أن يعي به شيئا، أو أن يفهم إلا بإذنه
ومشيئته. الطبري

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾ ﴿عَذَابًا﴾ ﴿لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٢٥﴾

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ عن ابن عباس: قال: أمر
الله المؤمنين أن لا يقرؤا المنكر بين أظهرهم، فيعمهم الله بالعذاب. الطبري

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ
النَّاسُ﴾ **يَأْخُذْكُمْ الْكُفَّارُ بِسُرْعَةٍ** ﴿فَقَاتِلْهُمْ﴾ **أَسْكَنْتُكُمْ الْمَدِينَةَ** ﴿وَأَيَّدَكُمْ
بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢٦) **يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا
تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴿٢٧﴾ **وَأَعْلَمُوا أَنَّ
أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ فَتَنَةٌ** ﴿اختبار وابتلاء قد تحمل الإنسان على الخيانة
وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٨) **يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنَقَّوْا اللَّهَ يَجْعَلْ
لَكُمْ فُرْقَانًا** ﴿هدايةً ونورًا﴾ **وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴿٢٩﴾

﴿إِنْ تَنَقَّوْا اللَّهَ﴾ ذكر هنا أن من اتقى الله حصل له أربعة أشياء، كل واحد منها
خير من الدنيا وما فيها: الأول: الفرقان: وهو العلم والهدى الذي يفرق به
صاحبه بين الهدى والضلال ... الثاني والثالث: تكفير السيئات، ومغفرة
الذنوب، وكل واحد منهما داخل في الآخر عند الإطلاق. وعند الاجتماع يفسر
تكفير السيئات بالذنوب الصغائر، ومغفرة الذنوب بتكفير الكبائر. الرابع:
الأجر العظيم. السعدي

**نماذج من عداوة المشركين للنبي ﷺ والمؤمنين التي هي سبب
لقتالهم**

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ﴾ **واذكر يا محمد حين اجتماع قريش بدار
الندوة ليحبسوك** ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ
الْمَكْرِينَ﴾ (٣٠) **وَإِذَا نُتِيَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا
مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣١) **أكاذيب وحكايات****

﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿قَالُوا﴾ يعني:
النضر بن الحارث ﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾، وذلك أنه كان
يختلف تاجرا إلى فارس والحيرة، فيسمع أخبار رستم واسفنديار، وأحاديث
العجم، ويمر باليهود والنصارى، فيراهم يركعون ويسجدون، ويقرؤون

التوراة والإنجيل، فجاء مكة، فوجد رسول الله ﷺ يصلي ويقرأ القرآن، فقال النضر: ﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾. البغوي

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ فَامْطُرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣٢) وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٣٣)

﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ قال أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان فيكم أمانان: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، فأما النبي ﷺ فقد مضى، والاستغفار كائن فيكم إلى يوم القيامة. البغوي

﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ قال أبو جعفر: وأولى الأقوال عندي في ذلك بالصواب، قول من قال: تأويله: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ يا محمد، وبين أظهرهم مقيم، حتى أخرجك من بين أظهرهم؛ لأنِّي لا أهلك قرية، وفيها نبيها، ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، من ذنوبهم وكفرهم، ولكنهم لا يستغفرون من ذلك، بل هم مصرُّون عليه، فهم للعذاب مستحقون كما يقال: (ما كنت لأحسن إليك وأنت تسيء إلي)، يراد بذلك: لا أحسن إليك إذا أسأت إليّ، ولو أسأت إليّ لم أحسن إليك ... بل في تعجيل الله لهم ذلك يوم بدر، الدليل الواضح على أن القول في ذلك ما قلنا. الطبري.

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ من أسباب العذاب التي قامت بهم ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ ﴿كَمَا زَعَمُوا﴾ ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٤) وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً ﴿صَفِيرًا﴾ وَتَصَدِيَةً ﴿تَصْفِيْقًا﴾ فَذُوقُوا الْعَذَابَ

بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾

﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً ﴾ قال ابن عباس: كانت قریش تطوف بالبيت عراة، يصفقون ويصفرون، فكان ذلك عبادة في ظنهم. القرطبي

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ﴾ **ندامة** ﴿ ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾

حث الكفار على التوبة

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿٣٨﴾ **طريقتنا فيهم بالهلاك إذا كذبوا** ﴿ وَقِيلُوا لَهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةً ﴾ **شرك وصد عن سبيل الله** ﴿ وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا كُفُّهُ لِيَّةٍ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴿٤٠﴾

﴿ ١٨١ ﴾

حكم الغنيمة، ومشاهد من غزوة بدر

﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ **قراية الرسول ﷺ وهم بنو هاشم، وبنو المطلب جعل لهم من الخمس مكان الصدقة؛ لأنها لا تحل لهم** ﴿ وَأَلَيْتَمَنَّىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ﴾ **المسافر المنقطع** ﴿ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ ﴾ **يوم بدر فرق فيه بين الحق والباطل** ﴿ يَوْمَ اتَّخَذَ الْأَجْمَعَانِ ﴾ **جمع المؤمنين وجمع الكافرين** ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿٤١﴾

﴿غَنِمْتُمْ﴾ سمي الشرع الواصل من الكفار إلينا من الأموال باسمين: غنيمة وفيثا. فالشيء الذي يناله المسلمون من عدوهم بالسعي وإيجاف الخيل والركاب يسمى غنيمة. ولزم هذا الاسم هذا المعنى حتى صار عرفا. والفيء مأخوذ من فاء يفيء إذا رجع، وهو كل مال دخل على المسلمين من غير حرب ولا إيجاف. القرطبي

﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ أما هذا الخمس، فيقسم خمسة أسهم، سهم لله ولرسوله، يصرف في مصالح المسلمين العامة، من غير تعيين لمصلحة؛ لأن الله جعله له ولرسوله، والله ورسوله غنيان عنه. السعدي

﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ أطلق الله ذكر الأصناف؛ وليس في اللفظ ما يدل على التسوية بل على خلافها فمن أوجب باللفظ التسوية فقد قال ما يخالف الكتاب والسنة. ابن تيمية في مجموع الفتاوى.

﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ هل يجب أن نعمم أو يجب أن نقول: هذا بيان للمستحقين، فيصدق بالواحد؟ الجواب: الثاني.. إلخ. ابن عثيمين

﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ جانب الوادي الأقرب للمدينة ﴿وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ﴾ عبر قريش وتجارهم ﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ قريبا من الساحل ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافِ الْمِيعَدِ﴾ فجمعكم من غير ميعاد ﴿وَلَكِنْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٤٢﴾

﴿لَا اخْتِلَافَ فِي الْمِيعَدِ﴾ أي: لا بد من تقدم أو تأخر أو اختيار منزل، أو غير ذلك، مما يعرض لكم أو لهم، يصدقكم عن ميعادكم. السعدي

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا﴾ فأخبرت به أصحابك فسرّوا ﴿وَلَوْ أَرَبَكُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ﴾ لتردد بعض الجيش ﴿وَلَنَنْزَعْنَكُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَكَمٌ﴾ وقى من الفشل ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِيْ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِيْ أَعْيُنِهِمْ﴾ قبل

المعركة؛ ليقدم كل منكم على القتال ﴿٤٤﴾ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٥﴾

﴿وَأَذِيرُكُمْ هُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ﴾ فتكون الأولى على هذا خاصة بالنبي ﷺ، وهذه للجميع. قال ابن مسعود: قلت لإنسان كان بجانب يوم بدر: أتراهم سبعين؟ فقال: هم نحو المائة. فأسرنا رجلاً، فقلنا: كم كنتم؟ فقال: كنا ألفاً. القرطبي ﴿وَيَقِلُّ لَكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ كان هذا في ابتداء القتال حتى قال أبو جهل في ذلك اليوم: إنما هم أكلة جزور، خذوهم أخذاً، واربطوهم بالحبال. فلما أخذوا في القتال عظم المسلمون في أعينهم فكثروا، كما قال: ﴿يَرَوْنَهُمْ مَثَلَهُمْ رَأَى أَلْعَيْنَ﴾ [آل عمران: ١٣]. القرطبي

﴿وَيَقِلُّ لَكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ معنى هذا أنه تعالى أغرى كلا من الفريقين بالآخر، وقلله في عينه ليطمع فيه، وذلك عند المواجهة. فلما التحم القتال وأيد الله المؤمنين بألف من الملائكة مردفين، بقي حزب الكفار يرى حزب الإيثار ضعفيه، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّتِي قَاتَا فِئَةٌ تَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى أَلْعَيْنَ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَصَرَهُ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٣]، وهذا هو الجمع بين هاتين الآيتين. ابن كثير

توجيهات للمؤمنين في الحرب

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿١٨٢﴾

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾ **تجنبوا** ﴿وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾ **قوتكم** ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ﴾ **وهم جيش قريش** ﴿خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا﴾ **كبراً** ﴿وَرِشَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ **وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم** ﴿الخروج

للحرب ﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ ﴿من كنانة أن تغير على مكة﴾ ﴿فَلَمَّا تَرَأَتِ﴾ ﴿تقابلت﴾ ﴿أَلْفَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ﴾ ﴿رجع مدبراً﴾ ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ ﴿أن يهلكني معكم﴾ ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٤٨﴾

﴿وَأِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ قال عروة بن الزبير: لما أجمعت قريش المسير إلى بدر، ذكروا ما بينهم وبين كنانة من الحرب، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك المدلجي، وكان من أشراف بني كنانة، فقال لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ من أن تأتیکم كنانة بشيء تكرهونه، فخرجوا سراغاً... قال ابن السائب: كان إبليس في صف المشركين على صورة سراقه، أخذاً بيد الحارث بن هشام فرأى الملائكة فنكص على عقبيه، فقال له الحارث: أفراراً من غير قتال؟ فقال: ﴿إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾، فلما هزم المشركون، قالوا: هزم الناس سراقه، فبلغه ذلك، فقال: والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم. ابن الجوزي

موقف المنافقين يوم بدر

﴿إِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ﴾ ﴿فخرجوا مع قلتهم لقتال قريش﴾ ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٤٩﴾

الخزي والنكال للكفار

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿كَذَّابٌ﴾ ﴿كعادة وسنة﴾ ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٥٢﴾

﴿كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ لما ذكر الله سبحانه ما أنزله بأهل بدر، أتبعه بما يدل على أن هذه سنته في فرق الكافرين. الشوكاني

﴿كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ معناه: أن عادة هؤلاء في كفرهم كعادة آل فرعون. قال ابن عباس: هو أن آل فرعون أيقنوا أن موسى نبي من الله فكذبوه، كذلك هؤلاء جاءهم محمد ﷺ بالصدق فكذبوه، فأنزل الله بهم عقوبته كما أنزل بآل فرعون. البغوي

﴿١٨٣﴾

﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الذي أوقعه الله بالأثم المكذبين، وأزال عنهم ما هم فيه من النعم والنعيم؛ بسبب ذنوبهم وتغييرهم ما بأنفسهم ﴿بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعَمَهُ أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٥٣) كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالِ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾

من قواعد السلم والحرب

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٥) الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ أَنْ لَا يَعِينُوا الْمُشْرِكِينَ ﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مِرَّةٍ وَهُمْ لَا يَنْقُونَ﴾ (٥٦) فَمَا تَتَّقِفْنَهُمْ ﴿تَجِدْنَهُمْ﴾ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ ﴿أَنْزَلَ بِهِمْ عَذَابًا يَخَوْفُ الَّذِينَ وَرَاءَهُمْ﴾ ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (٥٧) يَتَعَذَّبُونَ ﴿وَمَا تَخَافُكَ مِنْ قَوْمٍ﴾ عَاهِدُوكَ ﴿خِيَانَةً فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ اطرَحْ عَهْدَهُمْ إِلَيْهِمْ ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ لَتَكُونُوا وَإِيَاهُمْ مَتَسَاوِينَ فِي الْعِلْمِ بِطَرَحِهِ؛ لئلا تتهموا بالخيانة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (٥٨)

﴿وَمَا تَخَافُكَ مِنْ قَوْمٍ﴾ دلت الآية على أنه إذا وجدت الخيانة المحققة منهم، لم يحتج أن ينبذ إليهم عهدهم؛ لأنه لم يخف منهم، بل علم ذلك، ولعدم الفائدة ولقوله: ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ وهنا قد كان معلوماً عند الجميع غدرهم. ودل مفهومها أيضاً أنه إذا لم يُخَفَ منهم خيانة، بأن لم يوجد منهم ما يدل على ذلك، أنه لا يجوز نبذ العهد إليهم، بل يجب الوفاء إلى أن تتم مدته. السعدي

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقُوا﴾ فاتوا ونجوا من القتل في بدر ﴿إِنَّهُمْ لَا

يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ
تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ
يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ عن عقبة بن عامر، يقول: سمعت رسول
الله ﷺ وهو على المنبر، يقول: «﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾، ألا إن القوة الرمي،
ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي». مسلم
﴿اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ من الجائز أن يكونوا اليهود أو المجوس أو المنافقين، وأن
يكونوا الجن أيضاً، وما دام الله عَزَّوَجَلَّ لم يُسمهم فلا يجوز أن يقال: (هم كذا)
بصيغة الجزم، غير أنا نعلم أن أعداء المسلمين كل أهل الأرض من أهل الشرك
والكفر من الإنس والجن. الجزائري

﴿وَإِنْ جَنَحُوا﴾ مالوا ﴿لِلسَّلَامِ﴾ المسألة وترك الحرب ﴿فَاجْنَحْ﴾ فمل
﴿لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٦١﴾

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ إذا أصلحتم وأمن بعضكم بعضاً، وتمكن كل
من معرفة ما عليه الآخر، فإن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، فكل من له عقل
وبصيرة إذا كان معه إنصاف فلا بد أن يؤثره على غيره من الأديان؛ لحسنه في
أوامره ونواهيه، وحسنه في معاملته للخلق والعدل فيهم، وأنه لا جور فيه ولا
ظلم بوجه، فحينئذ يكثر الراغبون فيه، والمتبعون له، فصار هذا السلم عوناً
للمسلمين على الكافرين، ولا يخاف من السلم إلا خصلة واحدة، وهي أن
يكون الكفار قصدتهم بذلك خدع المسلمين، وانتهاز الفرصة فيهم، فأخبرهم
الله أنه حسبهم وكافيهم خداعهم. السعدي

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾ بالصلح ليستعدوا لك ﴿فَإِنَّكَ حَسْبُكَ﴾
كافيك ﴿اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصَرِهِ﴾ وبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ

أَنْفَقَتْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾

التحريض على القتال، والأمر بالثبات

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٦٤﴾ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ **فيجب على الواحد أن يثبت أمام العشرة** ﴿أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ **فبدلاً من وجوب الثبات أمام العشرة** ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿٦٦﴾ **فيجب على الواحد أن يثبت أمام الاثنين**

التعامل مع الأسرى

﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَشْخَبَ فِي الْأَرْضِ﴾ **بالقتل لمن يستحقه** ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ **بالفداء** ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ **يريد إظهار دينه الذي به تدرك الآخرة** ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٦٧﴾

﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ﴾ قال ابن عباس: لما أسروا الأسارى -يعني: يوم بدر- قال رسول الله ﷺ: أين أبو بكر وعمر وعلي؟ قال: ما ترون في الأسارى؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله، هم بنو العم والعشيرة، وأرى أن تأخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار، وعسى الله أن يهديهم للإسلام! فقال رسول الله ﷺ: ما ترى يا ابن الخطاب؟ فقال: لا والذي لا إله إلا هو، ما أرى الذي رأى أبو بكر، يا نبي الله، ولكن أرى أن تمكنا منهم، فتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من العباس فيضرب عنقه، وتمكني من فلان - نسيب لعمر - فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها. فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت. قال عمر: فلما كان من الغد، جئت إلى رسول الله ﷺ، فإذا هو وأبو بكر قاعدان يكيان، فقلت: يا رسول الله، أخبرني من أي

شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت! فقال رسول الله ﷺ: أبكي للذي عرض لأصحابي من أخذهم الفداء، ولقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة! لشجرة قريبة من رسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل: ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَتَّخِذَ فِي الْأَرْضِ ﴾، إلى قوله: ﴿ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾، وأحل الله الغنيمة لهم. الطبري. والحديث عند أحمد.

﴿ لَوْلَا كَتَبَ مِنَ اللَّهِ سَبَقٌ ﴾ **بإحلال الفداء والأسر** ﴿ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ﴿ ٦٨ ﴾ فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله إنا لله غفورٌ رحيمٌ ﴿ ٦٩ ﴾

﴿ لَوْلَا كَتَبَ مِنَ اللَّهِ سَبَقٌ ﴾ يعني: لولا قضاء من الله سبق في اللوح المحفوظ بأنه يحل لكم الغنائم. وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير: لولا كتاب من الله سبق أنه لا يعذب أحداً ممن شهد بدرًا مع النبي ﷺ، وقال ابن جريج: لولا كتاب من الله سبق أنه لا يضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون الآية، وأنه لا يؤخذ قوماً فعلوا أشياء بجهالة ﴿ لَمَسَّكُمْ ﴾ لنالكم وأصابكم ﴿ فِيمَا أَخَذْتُمْ ﴾ من الفداء قبل أن تؤمروا به، ﴿ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾. البغوي

﴿ لَوْلَا كَتَبَ مِنَ اللَّهِ سَبَقٌ ﴾ كل هذه المعاني التي ذكرتها عن ذكر ما قد سبق في كتاب الله أنه لا يؤخذ بشيء منها هذه الأمة، وذلك: ما عملوا من عمل بجهالة، وإحلال الغنيمة، والمغفرة لأهل بدر، وكل ذلك مما كتب لهم. وإذا كان ذلك كذلك، فلا وجه لأن يخص من ذلك معنى دون معنى، وقد عم الله الخبر بكل ذلك، بغير دلالة توجب صحة القول بخصوصه. الطبري

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبٌ لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ ﴾ **من الفداء إن أسلمتم** ﴿ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿ ٧٠ ﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ ﴿ **قبل بدر بالكفر** ﴾ ﴿ فَأَمَّا كُنْ مِنْهُمْ ﴾ **أفدرك عليهم** ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ﴿ ٧١ ﴾

أقسام المؤمنين وحقوقهم، وعلاقة المجتمع المسلم بغيره

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ﴾ **بالنصرة والميراث** ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ أَسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٧٢﴾

﴿مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ فإنهم قطعوا ولايتكم بانفصالهم عنكم في وقت شدة الحاجة إلى الرجال، فلما لم يهاجروا لم يكن لهم من ولاية المؤمنين شيء. لكنهم ﴿وَإِنْ أَسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ أي: لأجل قتال من قاتلهم لأجل دينهم ﴿فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ والقتال معهم، وأما من قاتلوهم لغير ذلك من المقاصد فليس عليكم نصرهم. السعدي

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ﴾ **فلا إرث بينكم وبينهم** ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ **تولي المسلمين دون الكافرين** ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿٧٣﴾ **وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا﴾ **الأنصار الذين قاموا ببايعة المهاجرين** ﴿وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ **وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدُ﴾ **بعد السابقين الأولين** ﴿وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾ **ذوو القربات** ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٧٥﴾****

﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ أي: في الإرث، وبها نسخ التوارث بالهجرة والمعاقدة، واستقر الإرث بالمصاهرة والولاء والنسب إلى يوم القيامة. الجزائري

سورة التوبة

سورة التوبة، سورة مدنية، فيها المفاصلة مع الكافرين ببيان الموقف الشرعي منهم، وفضح المنافقين، ذاكراً في ثنايا ذلك شيئاً من أحداث غزوتي حنين

وتبوك، والدروس المستفادة منهما، وفيها كذلك الحديث عن الأشهر الحرم، والجهاد، وتوجيهات للمؤمنين.

من أسماؤها: لها أسماء: منها: سورة التوبة؛ لأن فيها التوبة على المؤمنين، وتسمى: الفاضحة؛ لأنه ما زال ينزل فيها: ومنهم، ومنهم، حتى كادت أن لا تدع أحدا، وتسمى: البحوث؛ لأنها تبحث عن أسرار المنافقين، وتسمى: المبعثرة، والبعثرة: البحث، وتسمى أيضا بأسماء: كالمقشقة؛ لكونها تقشقش من النفاق: أي تبرىء منه، والمخزية؛ لكونها أخزت المنافقين.. إلخ. الشوكاني

من مواضعها: سورة التوبة، سورة مدنية، فيها الكشف عن أحوال أهل الملل، والمفاصلة مع الكافرين ببيان الموقف الشرعي منهم، وفضح المنافقين وتمييزهم عن المؤمنين.

وفي ثانيا ما سبق يأتي الحديث عن شيء من أحداث غزوتي حين وتبوك، والدروس المستفادة منهما، وفيها كذلك الحديث عن الأشهر الحرم، وفضل الجهاد.

فائدة: لما كان سنة تسع أراد رسول الله ﷺ أن يحج، ثم قال: إنه يحضر المشركون فيطوفون عراة، فبعث أبا بكر تلك السنة أميرا على الموسم؛ ليقم للناس الحج، وبعث معه أربعين آية من صدر براءة؛ ليقراها على أهل الموسم، ثم بعث بعده عليا - كرم الله وجهه - على ناقته العضاء؛ ليقراها على الناس صدر براءة ... فإن قال قائل: كيف بعث رسول الله ﷺ أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم عزله وبعث عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

قلنا: ذكر العلماء أن رسول الله ﷺ لم يعزل أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان هو الأمير، وإنما بعث عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لينادي بهذه الآيات، وكان السبب فيه أن العرب تعارفوا فيما بينهم في عقد العهود ونقضها أن لا يتولى ذلك إلا سيدهم أو رجل من رهطه، فبعث عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إزاحة للعلة. البغوي

فائدة: تكلم بعض أهل العلم في سبب عدم ابتداء السورة بالبسملة، والراجح أن يقال: لم تكتب لأن جبريل عَلَيْهِ السَّلَام لم ينزل بها.

(سورة التوبة)

البراءة من المشركين، وحكم العهود التي معهم

﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ ﴿١﴾ ﴿٢﴾

﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ اختلف المفسرون ها هنا اختلافا كثيرا، فقال قائلون: هذه الآية لذوي العهود المطلقة غير المؤقتة، أو من له عهد دون أربعة أشهر، فيكمل له أربعة أشهر، فأما من كان له عهد مؤقت فأجله إلى مدته، مهما كان؛ لقوله تعالى: ﴿فَاتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ولما سيأتي في الحديث: «ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فعهدة إلى مدته». وهذا أحسن الأقوال وأقواها. ابن كثير

﴿وَأَذِّنْ﴾ ﴿إِعْلَامٌ﴾ ﴿مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ ﴿أى: رسوله برىء كذلك منهم﴾ ﴿فَإِنْ بُئِيتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٣﴾

﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: وقف النبي ﷺ يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج بهذا، وقال: «هذا يوم الحج الأكبر». البخاري.

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾ ﴿لم يخونوا العهد﴾ ﴿وَلَمْ يُظَاهَرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ ﴿لم يعاونوا﴾ ﴿فَاتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٤﴾

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ فيه جواز عقد المعاهدات بين المسلمين والكافرين إذا كان ذلك لدفع ضرر محقق عن المسلمين، أو جلب نفع للإسلام والمسلمين محققاً كذلك. الجزائري

﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ﴾ التي أعطيتكم المشركين فيها الأمان بناء على الآية

(٢) ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ﴾ **حاصروهم في معاقلهم إن تحصنوا** ﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٥﴾

﴿ **فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ** ﴾ عن السدي في قوله فإذا أنسلخ الأشهر الحرم، قال: هي الأربعة: عشرون من ذي الحجة، والمحرم، وصفر، وشهر ربيع الأول، وعشر من ربيع الآخر. قلت: مراد السدي أن هذه الأشهر تسمى حرما لكون تأمين المعاهدين فيها يستلزم تحريم القتال، لا أنها الأشهر الحرم المعروفة.

الشوكاني

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَا مَنَّهُ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦﴾ **دين الله وسماع القرآن، يزيد الحجة عليهم**

﴿ **يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ** ﴾ في هذا حجة صريحة لمذهب أهل السنة والجماعة، القائلين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق؛ لأنه تعالى هو المتكلم به، وأضافه إلى نفسه إضافة الصفة إلى موصوفها، وبطلان مذهب المعتزلة ومن أخذ بقولهم: أن القرآن مخلوق. السعدي

﴿ **كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** ﴾ **فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ** ﴿ **وفوا بعهدهم** ﴾ ﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٧﴾

﴿ **إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ** ﴾ فيهم ثلاثة أقوال : أحدها: أنهم بنو ضمرة، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم قريش، قاله ابن عباس أيضا. وقال قتادة: هم مشركو قريش الذين عاهدهم نبي الله ﷺ زمن الحديبية، فنكثوا وظاهروا المشركين. والثالث: أنهم خزاعة، قاله مجاهد. ابن الجوزي

﴿ **كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا** ﴾ **قِرابة** ﴿ **وَلَا ذِمَّةً** ﴾ **عهد** ﴾ ﴿ **يَرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ ﴿٨﴾ **أَشْتَرُوا**

يَايْتِ اللَّهُ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾
 لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾
 ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ
 الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ نَكَثُوا ﴿نَقَضُوا﴾ أَيْمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ
 وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ ﴿لا عهد
 لهم ولا ذمة﴾ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَنَهُمْ
 وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿وهم قريش
 بدأوا بنقض العهد بقتالهم خزاعة﴾ اتَّخَشَنَهُمْ فَإِنَّهُمْ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُمْ إِنْ كُنْتُمْ
 مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

من حكم جهاد الكفار

﴿قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْزِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ
 صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبَ غِظَ قُلُوبِهِمْ﴾ قلوب المؤمنين
 ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ من قريش بأن يسلموا ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
 ﴿١٥﴾

﴿وَيُذْهِبَ غِظَ قُلُوبِهِمْ﴾ هذا يدل على محبة الله لعباده المؤمنين واعتناؤه
 بأحوالهم، حتى إنه جعل من جملة المقاصد الشرعية شفاء ما في صدورهم
 وذهاب غيظهم. السعدي

﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ معنى الكلام: ويمنّ الله على من يشاء من عباده
 الكافرين، فيقبل به إلى التوبة بتوفيقه إياه. الطبري

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا
 مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَةً﴾ بطانة وأولياء من الكفار
 ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٦﴾

عمارة المساجد، والجهاد

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ (١٧)

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ ﴾ المراد بالعمارة: إما المعنى الحقيقي، أو المعنى المجازي، وهو ملازمته، والتعبد فيه، وكلاهما ليس للمشركين ... ومعنى ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ ما صح لهم وما استقام أن يفعلوا ذلك، و﴿ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ ﴾ حال، أي: ما كان لهم ذلك حال كونهم شاهدين على أنفسهم بالكفر، بإظهار ما هو كفر من نصب الأوثان، والعبادة لها، وجعلها آلهة، فإن هذا شهادة منهم على أنفسهم بالكفر، وإن أبوا ذلك بألسنتهم. الشوكاني

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (١٨) ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٩)

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ ﴾ عن النعمان بن بشير، قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ، فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام، وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلت، فزجرهم عمر، وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وهو يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله عز وجل: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ الآية إلى آخرها. مسلم

* فعلى هذا يجوز الاستدلال على المسلمين بما أنزل في الكافرين، ومعلوم أن أحكامهم مختلفة. قيل له: لا يستبعد أن ينتزع مما أنزل الله في المشركين أحكام تليق بالمسلمين. وقد قال عمر: إنا لو شئنا لاتخذنا سلائق وشواء، وتوضع

صحفة وترفع أخرى، ولكننا سمعنا قول الله تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠]. وهذه الآية نص في الكفار، ومع ذلك ففهم منها عمر الزجر عما يناسب أحوالهم بعض المناسبة. القرطبي

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ ﴿٢٠﴾

﴿ ١٨٩ ﴾

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ ﴿٢١﴾

﴿وَرِضْوَانٍ﴾ في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى؟ يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدا"

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٢٢﴾

التحذير من موالة المشركين ولو كانوا أقارب

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا **اكتسبتموها** وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا **انتظروا** حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ **تهديد لهم** وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾

﴿أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ عن زهرة بن معبد، عن جده، قال: كنا

مع النبي ﷺ وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال: والله لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا نفسي، فقال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه» فقال عمر: فلأنت الآن والله أحب إلي من نفسي، فقال رسول الله ﷺ: «الآن يا عمر». مسند أحمد

✽ علامة ذلك: أنه إذا عرض عليه أمران، أحدهما يحبه الله ورسوله، وليس لنفسه فيه هوى، والآخر تحبه نفسه وتشتهيه ولكنه يُفَوِّتُ عليه محبوباً لله ورسوله، أو ينقصه، فإنه إن قدم ما تهواه نفسه، على ما يحبه الله، دل ذلك على أنه ظالم، تارك لما يجب عليه. السعدي

﴿وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾ عن ابن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم». أبو داود.

نصر المؤمنين على الكفار ليس لكثرة المؤمنين

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ حتى قال بعض الجيش: لن نغلب من قلة وكانوا ١٢ ألف مقاتل ﴿فَلَمْ تَغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ ٢٥ ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ ٢٦

﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٢٧

المسجد الحرام، ودخول المشركين له

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ عام ٩ هـ ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ فقراً بانقطاع تجارتهم عنكم ﴿فَسَوْفَ يُعْطِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾

أهل الكتاب من أصناف الكفار، والموقف منهم

﴿ قَنِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (٢٩)

﴿ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ ﴾ استدل بهذه الآية الجمهور الذين يقولون: لا تؤخذ الجزية إلا من أهل الكتاب ... وقيل: إن الجزية تؤخذ من سائر الكفار من أهل الكتاب وغيرهم؛ لأن هذه الآية نزلت بعد الفراغ من قتال العرب المشركين، والشروع في قتال أهل الكتاب ونحوهم، فيكون هذا القيد إخباراً بالواقع، لا مفهوم له. ويدل على هذا أن المجوس أخذت منهم الجزية وليسوا أهل كتاب؛ ولأنه قد تواتر عن المسلمين من الصحابة ومن بعدهم أنهم يدعون من يقاتلونهم إلى إحدى ثلاث: إما الإسلام، أو أداء الجزية، أو السيف، من غير فرق بين كتابي وغيره. السعدي

﴿ الْجِزْيَةَ ﴾ لم يقدرها تقديرًا عامًا لا يقبل التغير، بل ذلك موكول إلى المصلحة واجتهاد الإمام، فكانت المصلحة في زمانه أخذها من أهل اليمن على السواء، وكانت المصلحة في زمن خلفائه الراشدين أخذها من أهل الشام ومصر والعراق على قدر يسارهم وأموالهم. ابن القيم في أحكام أهل الذمة.

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضْهِتُونَ ﴾ يشابهون ﴿ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ المشركين الذين قالوا: الملائكة بنات الله ﴿ قَنِلَهُمْ اللَّهُ أَفَى يُؤْفَكُونَ ﴾ (٣٠) كيف يصرفون عن الحق مع قيام الدليل

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ هذا قاله طائفة من اليهود، وهو معروف عن شخص يقال له فنحاص بن عازورا وأتباعه. قال أبو محمد بن حزم: والصدوقية طائفة من اليهود نسبوا إلى رجل يقال له صدوق، وهم يقولون - من بين سائر اليهود -: إن العزيز ابن الله، وكانوا بجهة اليمن. ابن تيمية في

الجواب الصحيح، وجاء في الفتاوى الكبرى: المراد باليهود جنس اليهود كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣] لم يقل: جميع الناس، ولا: قالوا: إن جميع الناس قد جمعوا لكم، بل المراد به الجنس، وهذا كما يقال الطائفة الفلانية تفعل كذا، وأهل الفلاني يفعلون كذا، وإذا قال بعضهم فسكت الباقون ولم ينكروا ذلك، فيشتركون في إثم القول. ابن تيمية في الفتاوى الكبرى.

﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ﴾ علماء اليهود ﴿وَرُهْبَنَهُمْ﴾ عباد النصارى ﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهُهُ لَا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٣١﴾

﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا﴾ عن عدي بن حاتم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ سورة براءة، فلما قرأ: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾، قلت: يا رسول الله، أما إنهم لم يكونوا يصلون لهم! قال: صدقت، ولكن كانوا يُحْلُونَ لهم ما حَرَّمَ الله فيستحلونه، ويحرمون ما أحلَّ الله لهم فيحرّمونه. الطبري. والحديث عند الترمذي.

﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا﴾ قال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى. ابن كثير

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ دينه الحق ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بكذبهم ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ﴿٣٣﴾

من صور ضلال سادة اليهود والنصارى، وعقوبة مانعي الزكاة

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ﴿٣٤﴾

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ قال ابن عمر: ما أدي زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين، وكل ما لم تؤد زكاته فهو كنز وإن كان فوق الأرض. ومثله عن جابر، وهو الصحيح. القرطبي

﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ ﴿٣٥﴾

الواجب تجاه الأشهر الحرم

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ **اللوح المحفوظ** ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ **ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب** ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٣٦﴾

﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: فلا تظلموا في الأشهر الأربعة أنفسكم، باستحلال حرامها، فإن الله عظمها وعظم حرمتها. الطبري

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ **التأخير لحزمة شهر إلى آخر** ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ﴾ **أى: النسىء** ﴿عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطَّؤُوا﴾ **ليوافقوا** ﴿عِدَّةٌ﴾ **عدد** ﴿مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٣٧﴾

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ كانت العرب في جاهليتها قد غيرت ملة

إبراهيم بالنسيء الذي ابتدعته، فزادت به في السنة شهراً جعلتها كيبساً، لأغراض لها، وغيروا به ميقات الحجّ، والأشهر الحرم، حتّى كانوا يحجّون تارة في المحرم، وتارة في صفر، حتّى يعود الحجّ إلى ذي الحجة، حتّى بعث الله المقيم لملة إبراهيم، فوافى حجّه - ﷺ - حجة الوداع، وقد استدار الزمان كما كان، ووقعت حجّته في ذي الحجة. مجموع الفتاوى

* وذكر في سبب ذلك أن العرب كانت أصحاب حروب وغارات، فكان يشق عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر متوالية لا يغيرون فيها، وقالوا: لئن توالى علينا ثلاثة أشهر لا نصيب فيها شيئاً لنهلكن. فكانوا إذا صدروا عن منى يقوم من بني كنانة ثم من بني فقيم منهم رجل يقال له القلمس، فيقول أنا الذي لا يرد لي قضاء. فيقولون: أنسنّا شهراً، أي أخر عنا حرمة المحرم واجعلها في صفر فيحل لهم المحرم. ينظر: تفسير القرطبي

العتاب على من ثاقل عن الجهاد

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقَلْتُمْ﴾ **تباطأتم كأنكم تحملون أثقالاً** ﴿إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٣٨) **إِلَّا نَفِرُوا﴾ تخرجوا للجهاد** ﴿يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٩) **إِلَّا نَضُرُّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴿٤٠﴾

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ فيها فضيلة السكينة، وأنها من تمام نعمة الله على العبد في أوقات الشدائد والمخاوف التي تطيش بها الأفتدة، وأنها تكون على حسب معرفة العبد

بربه، وثقته بوعده الصادق، وبحسب إيمانه وشجاعته. وفيها: أن الحزن قد يعرض لخواص عباد الله الصديقين، مع أن الأولى -إذا نزل بالعبد- أن يسعى في ذهابه عنه، فإنه مضعف للقلب، موهن للعزيمة. السعدي

*في الآية فضل مصاحبة أهل ليقين لما لهم أثر على الإنسان.

حال المنافين في غزوة تبوك مع الجهاد

﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ في العسر واليسر، والمنشط والمكره، والحر والبرد، وفي جميع الأحوال ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٤١) لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا ﴿مَتَاعًا مِنَ الدُّنْيَا يَسْهَلُ الْحَصُولُ عَلَيْهِ﴾ وَسَفَرًا قَاصِدًا ﴿مَتَوَسِّطًا بَيْنَ الْقَرَبِ وَالْبَعْدِ﴾ لَا تَبْعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ﴿الْمَسَافَةُ الَّتِي تَقْطَعُ بِمَشَقَّةٍ﴾ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ أَسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾

بعد إذن المصطفى ﷺ لجماعة بالتخلف عن الجهاد

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٤٣)

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ قال قتادة وعمر بن ميمون: ثنتان فعلهما النبي ﷺ ولم يؤمر بهما: إذنه لطائفة من المنافقين في التخلف عنه ولم يكن له أن يمضي شيئاً إلا بوحى، وأخذه من الأسارى الفدية، فعاتبه الله كما تسمعون.

القرطبي

﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ قال مجاهد: هؤلاء قوم قالوا: نستأذن في الجلوس فإن أذن لنا جلسنا، وإن لم يؤذن لنا جلسنا.

القرطبي

﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا﴾

بَأْمُولِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْمُنَاقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَعِزُّنَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ ﴿شَكَتْ﴾ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ
 يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴿يَتَحِيرُونَ﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴿٤٦﴾
 لَتَأْبُوا بِالزَّادِ وَالرَّاحِلَةِ ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ خُرُوجَهُمْ لِلْجِهَادِ
 مَعَكُمْ ﴿فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ ﴿٤٦﴾

﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ إذا حبست عن طاعة، فكن على
 وجل من أن تكون ممن خذلهم الله وثبطهم عن الطاعة كما ثبط المنافقين عن
 الخروج للجهاد. د. مساعد الطيار. ليدبروا آياته.

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ فسادًا واضطرابًا ﴿وَلَا وُضِعُوا﴾
 خِلَالَكُمْ ﴿لَأَسْرَعُوا السَّيْرَ بَيْنَكُمْ بِالنَّمِيمَةِ﴾ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ ﴿يَطْلُبُونَ﴾
 فَتْنَكُمْ ﴿وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ﴾ يَسْمَعُونَ لِتَشْوِيشِهِمْ وَيَتَأَثَّرُونَ ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾
 بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

﴿وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ﴾ أخبر أن في المؤمنين من يستجيب للمنافقين، ويقبل
 منهم، فإذا كان هذا في عهد النبي ﷺ كان استجابة بعض المؤمنين لبعض
 المنافقين فيما بعده أولى. ابن تيمية في بيان تلبس الجهمية. «ت».

من مواقف المنافقين

﴿لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ دبوا الحيل لإبطال
 الدين ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُوا﴾ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُمْ
 مَن يَقُولُ أَتَذْنُ لِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ النِّفَاقُ ﴿سَقَطُوا وَإِنَّ﴾
 جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾

﴿وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَتَذْنُ لِي وَلَا تَفْتِنِي﴾ قال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو
 في جهازه للجد بن قيس أخي بني سلمة: هل لك يا جدُّ العام في جلد بني
 الأصفر؟ فقال: يا رسول الله، أو تأذن لي ولا تفتني، فوالله لقد عرف قومي ما

رَجُلٌ أَشَدُّ عُجْبًا بِالنِّسَاءِ مِنِّي، وَإِنِّي أَخْشَىٰ إِن رَأَيْتِ نِسَاءَ بَنِي الْأَصْفَرِ أَنْ لَا أَصْبِرَ عَنْهُنَّ. الطبري

* قال المهدوي: والأصفر رجل من الحبشة كانت له بنات لم يكن في وقتهن أجل منهن وكان ببلاد الروم. وقيل: سموا بذلك؛ لأن الحبشة غلبت على الروم، وولدت لهم بنات فأخذن من بياض الروم وسواد الحبشة، فكن صفراً لعساً. القرطبي.

﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ﴾ **نصر وغنيمة** ﴿تَسُوَّهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾ **احتطنا للأمر ولذا لم نخرج معهم** ﴿مِنْ قَبْلُ وَيَكْتُولُوا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ **بما أصاب محمداً ﷺ وأصحابه من المصيبة** ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥١﴾

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ لم يقل ما كتب علينا؛ لأنه أمر يتعلق بالمؤمن، ولا يصيب المؤمن شيء إلا وهو له، إن كان خيراً فهو له في العاجل، وإن كان شراً فهو له ثواب في الآجل. ابن هبيرة. ينظر: ذيل طبقات الحنابلة، و"ليدبروا آياته".

كشف دواخل المنافقين، وحكم نفقتهم

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾ **تنتظرون** ﴿بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ **الشهادة أو النصر** ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ﴾ **لا سبب للمؤمنين فيه** ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا﴾ **فانتظروا عاقبتنا** ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبَّصُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ **منتظرون عاقبتكم** ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنِّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ﴿٥٣﴾

﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ﴾ سبب نزولها: أن الجدد بن قيس قال للنبي ﷺ لما عرض عليه غزو الروم: إذا رأيت النساء افتتنت ولكن هذا مالي أعينك به، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. ابن الجوزي

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ ﴿٥٤﴾

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ الأفعال كلها

شرط قبولها بالإيمان. السعدي

﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾ ينبغي للعبد أن لا يأتي الصلاة إلا

وهو نشيط البدن والقلب إليها، ولا ينفق إلا وهو منشرح الصدر ثابت القلب، يرجو ذخرها وثوابها من الله وحده، ولا يتشبه بالمنافقين. السعدي

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ﴾ في هذا أدل دليل على أن أفعال الكافر إذا كانت برا

كصلة القرابة، وجبر الكسير، وإغاثة الملهوف لا يثاب عليها ولا ينتفع بها في الآخرة، بيد أنه يُطعم بها في الدنيا. دليله ما رواه مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

قالت: قلت يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافع؟ قال: «لا ينفعه، إنه لم يقل يومًا: رب اغفر لي خطيئتي

يوم الدين». وروي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنةً يعطى بها في الدنيا، ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيُطعم بحسنات

ما عمل الله بها في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يُجزى بها» ... فإن قيل: فقد روى مسلم عن حكيم بن حزام أنه قال لرسول الله ﷺ: أي

رسول الله، أرايت أمورًا كنت أتحنت بها في الجاهلية من صدقة أو عتاقة أو صلة رحم أفيها أجر؟ فقال رسول الله ﷺ: «أسلمت على ما أسلفت من خير»

... وقد قيل: لا يبعد في كرم الله أن يشبهه على فعله ذلك بالإسلام، كما يسقط عنه ما ارتكبه في حال كفره من الآثام. وإنما لا يثاب من لم يسلم ولا تاب،

ومات كافرًا. وهذا ظاهر الحديث. وهو الصحيح إن شاء الله. ينظر: تفسير القرطبي

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا ﴿بِمَا يَلْقَوْنَ فِي تَعَامُلِهِمْ مَعَهَا وَفِي جَمْعِهَا مِنَ الْمَشَقَّةِ وَالْمَصَائِبِ﴾ وَتَزْهَقَ
أَنْفُسُهُمْ ﴿تَخْرُجُ أَرْوَاحُهُمْ﴾ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ لو قابلت لذاتهم فيها بمشقاتهم، لم يكن لها نسبة إليها، فهي - لما ألهتهم عن الله وذكره - صارت وبالا عليهم حتى في الدنيا. السعدي

وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ ﴿مُؤْمِنُونَ﴾ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ
يَفْقَرُونَ ﴿٥٦﴾ يخافون فينافقون، (ثم ذكر من جنبهم عند الشدائد أنهم)
﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾ مكان يأمنون فيه ﴿أَوْ مَغْرَبًا﴾ كهوف في الجبال
﴿أَوْ مَدَّخَلًا﴾ نفقاً ﴿لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ يسرعون

مصارف الزكاة، وأذية المنافقين للنبي ﷺ

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ﴾ يعيبك ﴿فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا
مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا
حَسْبُنَا اللَّهُ ﴿كَافِينَا اللَّهُ﴾ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ
رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ﴾ عن أبي سعيد قال: بينما رسول الله ﷺ يقسم قسماً، إذ جاءه ابن ذي الخويصرة التميمي، فقال: اعدل، يا رسول الله! فقال: ويلك، ومن يعدل إن لم أعدل! فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ائذن لي فأضرب عنقه! قال: دعه، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. الطبري، والحديث في الصحيحين.

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ الذين لا يملكون شيئاً ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ الذين يملكون بعض كفايتهم ﴿وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ السعاة الذين يجمعونها ﴿وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ﴾ من يرجى إسلامهم، أو دفع شرهم ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ عتق الرقاب وفكك الأسرى ﴿وَالْغَرَمِينَ﴾ المدينين لحاجتهم أو للإصلاح بين

الناس ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فِي الْجِهَادِ ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ الْمَسَافِرِ الْمُنْقَطِعِ ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ﴾ اختلف أهل العلم في كيفية قسم الصدقات ... فقال عامة أهل العلم: للمتولي قسمها ووضعها في أي الأصناف الثانية شاء. وإنما سمي الله الأصناف الثانية في الآية، إعلامًا منه خلقه أن الصدقة لا تخرج من هذه الأصناف الثانية إلى غيرها، لا إيجابًا لقسمها بين الأصناف الثانية الذين ذكرهم الطبري

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ﴾ لا يجوز أن يعطي من الزكاة من تلزمه نفقته، وهم الوالدان والولد والزوجة. القرطبي

﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ يستمع لكل ما يقال فيصدق **﴿قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** يصدق المؤمنين فيما يخبرون به **﴿وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**

ومن صور نفاقهم

﴿يَخْلَفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ﴾ بالأيمان الكاذبة على أنهم منكم **﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾** بالتوبة من نفاقهم **﴿إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾** **﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدُ﴾** يشاقق ويخالف **﴿اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَأَتَاهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَلِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾** **﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوا إِنَّا اللَّهُ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾** **﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾**

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ عن عبد الله بن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء، أرغب

بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء. فقال رجل في المسجد: كذبت، ولكنك منافق. لأخبرن رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن. قال عبد الله بن عمر: وأنا رأيته متعلقا بحقب ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب. ورسول الله ﷺ يقول: ﴿أَبَا اللَّهِ وَأَيْنَاهُ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥) لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ. ابن كثير

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ قال قتادة: بينما النبي ﷺ في غزوة تبوك، وركب من المنافقين يسرون بين يديه، فقالوا: يظن هذا أن يفتح قصور الروم وحصونها. هيهات هيهات. فأطلع الله نبيه ﷺ على ما قالوا، فقال: «عليّ بهؤلاء النفر». فدعاهم، فقال: «قلتم كذا وكذا». فحلفوا ما كنا إلا نخوض ونلعب. ابن كثير

﴿لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ﴾ **من تاب توبة نصوحاً** ﴿نُعَذِّبَ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (٦٦)

من خصال المنافقين، وبيان مآلهم

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٦٧) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ ﴿كافيتهم﴾ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٦٨)

حال الكفار السابقين، وحث المنافقين على الاعتبار

﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ﴾ **تمتعوا بنصيبتهم من ملاذ الدنيا** ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ﴾ **دخلتم في الكذب**

والباطل ﴿كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ
وَالْمُؤْتَفِكَةَ ﴿قري قوم لوط سميت بذلك؛ لأن الله قلبها عليهم﴾
﴿أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾ قال الزجاج: وهم جمع مؤتفكة، اتفتكت بهم الأرض،
أي: انقلبت. ابن الجوزي

من خصال المؤمنين ومآلهم

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَمُرُّونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ
فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ﴿إقامة﴾ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
﴿٧٢﴾﴾

﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله
ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة؟ فيقولون: لبيك ربنا
وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم
تعط أحدا من خلقك، فيقول: أنا أعطيتكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب،
وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم
بعده أبداً». متفق عليه.

الأمر بجهاد الكفار والمنافقين، وبيان شيء من مكرهم

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهَادَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَطَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمُ جَهَنَّمُ

﴿جَهْدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ هذا الجهاد يدخل فيه الجهاد باليد، والجهاد بالحجة واللسان، فمن بارز منهم بالمحاربة فيجاهد باليد واللسان والسيف والبيان. ومن كان مدعنا للإسلام بذمة أو عهد، فإنه يجاهد بالحجة والبرهان ويبين له محاسن الإسلام، ومساوئ الشرك والكفر، فهذا ما لهم في الدنيا. السعدي

﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ من سب للدين وأهله ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا﴾ أظهروا الكفر ﴿بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ بعد إظهارهم للإسلام ﴿وَهُمُوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ من الفتك بالنبي ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾ كرهوا وعابوا ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾

﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ قال الجلاس بن سويد بن الصامت: إن كان ما جاء به محمد حقاً لنحن أشرُّ من حُمْرنا ... وقال قتادة: ذكر لنا أن رجلين اقتتلا أحدهما من جهينة، والآخر من غفار، وكانت جهينة حلفاء الأنصار، وظهر الغفاري على الجهني، فقال عبد الله بن أبي لأوس: انصروا أخاكم، فوالله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل: «سَمَنْ كَلْبِكَ يَأْكُلُكَ»، وقال: ﴿لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَ الْأَعْرَضُ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨] ... وجائز أن يكون ذلك القول ما روي عن عروة: أن الجلاس قاله، وجائز أن يكون قائله عبد الله بن أبي ابن سلول. ينظر: تفسير الطبري

﴿وَهُمُوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ يعني المنافقين من قتل النبي ﷺ ليلة العقبة في غزوة تبوك، وكانوا اثني عشر رجلاً. القرطبي

﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ بعد أن كانوا فقراء معوزين، وهذا من أعجب الأشياء، أن يستهينوا بمن كان سبباً لإخراجهم من الظلمات

إلى النور، ومغنياً لهم بعد الفقر، وهل حقه عليهم إلا أن يعظموه، ويؤمنوا به ويجلوه؟ فاجتمع الداعي الديني وداعي المروءة الإنسانية. السعدي
﴿وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وهذا ليس مما ينقم وإنما أراد
 أن الناس لا ينقمون عليهم شيئاً، وكقول النابغة:

ه لا عيب فـ... غـ... أن سـ... فـ...
 مـ... فـ... لـ... قـ... اء الكتائب

أي: ليس فيهم عيب. ابن الجوزي
﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ قال ابن اسحاق: فلما نزل فيه -الجلال ابن
 سويد- القرآن تاب ونزع وحسنت توبته، فيما بلغني. ابن كثير

بخلهم بالنفقة في سبل الخير، ولمزهم المنفقين

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٧٥)

﴿لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ ليحذر المؤمن من هذا الوصف الشنيع،
 أن يعاهد ربه، إن حصل مقصوده الفلاني؛ ليفعلن كذا وكذا، ثم لا يفي بذلك،
 فإنه ربما عاقبه الله بالنفاق كما عاقب هؤلاء. وقد قال النبي ﷺ في الحديث
 الثابت في الصحيحين: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر،
 وإذا وعد أخلف» السعدي

﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (٧٦) فَأَعَقَبَهُمْ
صِرَّ عَاقِبَتَهُمْ وَجَزَاءَهُمْ **﴿نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا**
وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (٧٧) **أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ**
وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ (٧٨) **الَّذِينَ يَلْمِزُونَ** **﴿يَعْبُونَ**
﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾ **﴿الْمُتَصَدِّقِينَ بِالْمَالِ الْكَثِيرِ﴾** **﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي**
الْصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٩)

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ عن

أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «لما نزلت آية الصدقة، كنا نحامل، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا: مرائي، وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا، فنزلت: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ الآية». متفق عليه

لا فائدة من الاستغفار للمنافقين، وبيان فرح المنافقين بالتخلف عن الغزو

﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٨٠)

﴿سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ قيل: المقصود به اليأس بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾. وذكر السبعين هو عاداتهم في العبارة عن الكثير والإغياء، فإذا قال قائلهم: لا أكلمه سبعين سنة صار عندهم بمنزلة قوله: لا أكلمه أبداً. ينظر: تفسير القرطبي

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ﴾ بقعودهم ﴿خَلَفَ﴾ مخالفين ﴿رَسُولِ اللَّهِ وَكَرَهُوا أَنْ يَجْهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا﴾ قال بعضهم لبعض ﴿لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (٨١) ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٨٢)

﴿فَلْيَضْحَكُوا﴾ كان الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ممن قد غلب عليه الحزن فكان لا يضحك. وكان ابن سيرين يضحك ويحتج على الحسن ويقول: الله أضحك وأبكى. وكان الصحابة يضحكون، إلا أن الإكثار منه وملازمته حتى يغلب على صاحبه مذموم منهى عنه، وهو من فعل السفهاء والبطالة. وفي الخبر أن كثرت تيمت القلب. القرطبي

التعامل المستقبلي مع المنافقين - بعد غزوة تبوك -

﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَعَذَّوْكَ لِلْخُرُوجِ ﴾ **إلى غزوة أخرى**
 ﴿ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ
 فَاقْعُدُوا مَعَ الْخُلَفَاءِ ﴾ (٨٣) **المتخلفين عن الجهاد** ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ
 أَبَدًا ﴾ **أى: بعد ابن أبي سلول رأس النفاق** ﴿ وَلَا نَقُمَ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ
 وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴾ (٨٤)

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا ﴾ عن ابن عمر، قال: لما توفي عبد الله بن أبي
 ابن سلول جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ، فسأله أن يعطيه
 قميصه أن يكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ
 ليصلي عليه؟ فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله أتصلي
 عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنما خيرني الله فقال:
 استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، إن تستغفر لهم سبعين مرة وسأزيد على سبعين»
 قال: إنه منافق، فصلى عليه رسول الله ﷺ، وأنزل الله عز وجل: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى
 أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا نَقُمَ عَلَى قَبْرِهِ ﴾. متفق عليه

﴿ وَلَا نَقُمَ عَلَى قَبْرِهِ ﴾ في هذه الآية دليل على مشروعية الصلاة على المؤمنين،
 والوقوف عند قبورهم للدعاء لهم، كما كان النبي ﷺ، يفعل ذلك في المؤمنين،
 فإن تقييد النهي بالمنافقين يدل على أنه قد كان متقررًا في المؤمنين. السعدي

﴿ وَلَا تَعْجَبْ أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا ﴾ **بهم جمع**
المال ومصائبه ﴿ وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٨٥)

حال المنافقين مع الجهاد ، وحال المؤمنين

﴿ وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ
 مِنْهُمْ ﴾ **أصحاب الغنى والسعة** ﴿ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ (٨٦)

﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ﴾ **مع أصحاب الأعدار** ﴿ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ
 فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٨٧) **لكن الرسول والذين ءامنوا معه جاهدوا بأمولهم**

وَأَنْفُسَهُمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾

الأعذار عن الجهاد

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ **المعتذرون سواء لهم عذر صحيح أو لا** ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ **قعدوا وتركوا الاعتذار بالكلية؛** **لجفائهم وعدم حياتهم** ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٩٠﴾ **لَيْسَ** عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ ﴿زَادًا وَرَاحِلَةً يَتَبَلَّغُونَ بِهَا فِي سَفَرِهِمْ﴾ ﴿حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٩١﴾

﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ يستدل بهذه الآية على قاعدة وهي: أن من أحسن على غيره، في نفسه، أو في ماله، ونحو ذلك، ثم ترتب على إحسانه نقص أو تلف، أنه غير ضامن لأنه محسن، ولا سبيل على المحسنين، كما أنه يدل على أن غير المحسن - وهو المسيء - كالمفرط، أن عليه الضمان. السعدي

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ **وهم ستة أو سبعة من الأنصار** ﴿قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ ﴿٩٢﴾

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ﴾ من نوى الخير، واقترب بنيتة الجازمة سعيي فيما يقدر عليه، ثم لم يقدر، فإنه ينزل منزلة الفاعل التام. السعدي

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ **القاعدين المتخلفين من النساء والصبيان وأصحاب الأعذار** ﴿وَطَبَعَ﴾ **ختم** ﴿اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٩٣﴾

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ﴾
نصدقكم ﴿قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٤﴾

﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ في المستأنف أتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه؟ ثم تردون إلى عالم الغيب. البغوي.

﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ﴾ **رجعتم** ﴿إِلَيْهِمْ لَتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ﴾ **خبثاء الباطن** ﴿وَمَا أُولَهُمْ جَهَنَّمُ جزاء بما كانوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٩٥﴾

﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ لتصفحوا عنهم ولا تؤنبوهم ... فدعوهم، وما اختاروا لأنفسهم من النفاق. البغوي

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٩٦﴾

أقسام الأعراب

﴿الْأَعْرَابُ﴾ **سكان البادية** ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ﴾ **أحق وأحرى** ﴿أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٩٧﴾

﴿الْأَعْرَابُ﴾ قال النيسابوري: قال أهل اللغة: رجل عربي إذا كان نسبه إلى العرب ثابتا ... من استوطن القرى العربية فهو عربي، ومن نزل البادية فهو أعرابي، ولهذا لا يجوز أن يقال: للمهاجرين والأنصار أعراب، وإنما هم عرب، قال: قيل: إنما سمي العرب عرباً؛ لأن أولاد إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ نشئوا بالعرب، وهي من تهامة فنسبوا إلى بلدهم، وكل من يسكن جزيرة العرب، وينطق بلسانهم؛ فهو منهم، وقيل: لأن ألسنتهم مُعَرِّبة عما في ضمائرهم، ولما في لسانهم من الفصاحة، والبلاغة، انتهى. الشوكاني

﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ قال قتادة: لأنهم أبعد عن معرفة السنن. وقيل: لأنهم أقسى قلباً، وأجفى قولاً، وأغلظ طبعاً، وأبعد عن سماع التنزيل. القرطبي

﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا﴾ في الآية دليل على فضيلة العلم، وأن فاقده أقرب إلى الشر ممن يعرفه، لأن الله ذم الأعراب، وأخبر أنهم أشد كفرا ونفاقا، وذكر السبب الموجب لذلك، وأنهم أجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله. السعدي

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا﴾ غرامة وخسارة؛ لأنهم لا يرجون ثواب الله، وإنما فعلوه خوفا ﴿وَيَتَرَبَّصُّ﴾ ينتظر ﴿بِكُمْ الدَّوَائِرَ﴾ المصائب ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ دعاء عليهم ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٩٨﴾

﴿مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا﴾ ينبغي للمؤمن أن يؤدي ما عليه من الحقوق، منشرح الصدر، مطمئن النفس، ويحرص أن تكون مغنما، ولا تكون مغرما. السعدي

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ وسيلة للظفر بدعوات الرسول لهم ﴿أَلَّا إِنهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّا اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٩٩﴾

المهاجرون والأنصار

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿١٠٠﴾

من أحوال بعض أهل المدينة

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ ثبتوا عليه ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ﴾ في الدنيا والقبر ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١٠١﴾ ﴿وَأَخْرُونَ﴾ ممن تخلفوا عن الغزو ﴿اعْرِفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ

﴿خَاطَبُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ هذه الآية وإن كانت نزلت في أعراب فهي عامة إلى يوم القيامة، فيمن له أعمال صالحة وسيئة، فهي ترجى. القرطبي

• قال أبو عثمان النهدي: ما في القرآن آية أرجى لهذه الأمة من هذه الآية.

التفسير الوسيط

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ ترفعهم بها عن منازل المنافقين ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ ادع لهم ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ رحمة وطمأنينة ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٠٢﴾

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ قال المفسرون: لما تاب الله عزَّ وجلَّ على أبي لبابة وأصحابه، قالوا: يا رسول الله، هذه أموالنا فتصدق بها عنا، فقال «ما أمرت أن أخذ من أموالكم شيئاً» فنزلت هذه الآية. ابن الجوزي

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقة قال: «اللهم! صلِّ عليهم»، فأتاه أبي بصدقته فقال: «اللهم! صلِّ على آل أبي أوفى». متفق عليه

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ ينبغي إدخال السرور على المؤمن بالكلام اللين، والدعاء له، ونحو ذلك مما يكون فيه طمأنينة وسكون لقلبه. وينبغي تنشيط من أنفق نفقة وعمل عملاً صالحاً بالدعاء له والثناء، ونحو ذلك. السعدي

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ يقبلها وهو غني عنها ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿١٠٤﴾ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَآخَرُونَ مُرْجُونَ ﴿مُؤْخَرُونَ﴾ ﴿لَأَمْرُ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿١٠٦﴾

مسجد الضرار

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ مضارة للمؤمنين ﴿وَكُفْرًا وَتَفَرُّقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا﴾ ترقبًا ﴿لَمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى﴾ الرفق بالناس ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ﴿١٠٧﴾

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ لما فرغ الناس من أحد، ورأى أبو عامر الراهب أمر الرسول صلوات الله وسلامه عليه في ارتفاع وظهور، ذهب إلى هرقل -ملك الروم- يستنصره على النبي ﷺ، فوعده ومناه، وأقام عنده، وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويمنيهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ ويغلبه ويرده عما هو فيه، وأمرهم أن يتخذوا له معقلًا يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده؛ لأداء كتبه ويكون مرصدًا له إذا قدم عليهم بعد ذلك، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء، فبنوه وأحكموه، وفرغوا منه قبل خروج النبي ﷺ إلى تبوك، وجاءوا فسألوا رسول الله ﷺ أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم؛ ليجتجوا بصلاته ﷺ فيه على تقريره وإثباته، وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية، فعصمه الله من الصلاة فيه فقال: «إنا على سفر، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله». فلما قفل عليه السَّلام راجعا إلى المدينة من تبوك، ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم، نزل عليه الوحي بخبر مسجد الضرار، وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم مسجد قباء، الذي أسس من أول يوم على التقوى. فبعث رسول الله ﷺ إلى ذلك المسجد من هدمه قبل مقدمه المدينة، كما قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس. ينظر: تفسير ابن كثير بتصرف يسير

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ فيه رجال يحبون أن ينظروا لله ﷻ ويحبُّ المَظْهَرِينَ ﴿١٠٨﴾

﴿لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾ إذا كان مسجد قباء قد أسس على التقوى من

أول يوم، فمسجد رسول الله ﷺ بطريق الأولى والأخرى. ابن كثير، وذكر الأدلة التي تدعم ما سبق.

﴿فِيهِ رَجَالٌ مُحِبُّونَ أَنْ يُنَظَّهُرُوا﴾ عن أبي هريرة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «نزلت هذه الآية في أهل قباء: ﴿فِيهِ رَجَالٌ مُحِبُّونَ أَنْ يُنَظَّهُرُوا﴾ قال: كانوا يستنجون بالماء، فنزلت فيهم الآية». ابن كثير، والحديث عند أحمد.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَىٰ شِقَاٍ ۖ﴾ **طرف** ﴿جُرُفٍ هَارٍ﴾ **حفرة متداعية للسقوط** ﴿فَأَنهَارَهُ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٠٩﴾ **لا يَزَالُ بُيُوتُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً ۖ شَكًّا وَنِفَاقًا ۚ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ بِالْمَوْتِ أَوِ الْبِلَادِ** **والتوبة** ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿١١٠﴾

فضل الشهادة، ونعت المؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآثٍ لَهُمْ الْجَنَّةُ يُقِيمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ؟﴾ لا أحد أوفى منه سبحانه ﴿فَاسْتَبَشِرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٣٣﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ ﴿١﴾ إذا أردت أن تعرف مقدار الصفقة، فانظر إلى المشتري من هو؟ وهو الله جَلَّ جَلَالُهُ، وإلى العوض، وهو أكبر الأعواض وأجلها، جنات النعيم، وإلى الثمن المبذول فيها، وهو النفس، والمال، الذي هو أحب الأشياء للإنسان. السعدي

- قال بعضهم: ما أكرم الله، فإن أنفسنا هو خلقها، وأموالنا هو رزقها، ثم وهبها لنا، ثم اشتراها منا بهذا الثمن الغالي، فإنها لصفقة رابحة. تفسير ابن جزري

﴿التَّائِبُونَ الْعَبَدُونَ الْحَمِيدُونَ﴾ **الصَّائِمُونَ وقيل**
سفر الطاعة ﴿الرَّكَعُونَ السَّجِدُونَ﴾ **الْأَمْرُونَ** بِالْمَعْرُوفِ
 وَالنَّاهِيَةِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ **وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴿١١٢﴾

﴿السَّائِحُونَ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هم الصائمون. وقال
 سفيان بن عيينة: إنما سمي الصائم سائحًا؛ لتركه اللذات كلها من المطعم
 والمشرب والمنكح. البغوي

* قال الفراء: يرى أهل النظر أن الصائم إنما سمي سائحًا تشبيهاً بالسائح؛
 لأن السائح لا زاد معه، والعرب تقول للفرس إذا كان قائماً لا علف بين يديه:
 صائماً. ابن الجوزي

* كما وصف أزواج النبي ﷺ بذلك في قوله تعالى: ﴿سَيَحْتَبِئْنَ﴾ [التحریم: ٥]
 أي: صائمات. ابن كثير

* فسرت السياحة بالصيام، أو السياحة في طلب العلم، وفسرت بسياحة
 القلب في معرفة الله ومحبه، والإنابة إليه على الدوام، والصحيح أن المراد
 بالسياحة: السفر في القربات، كالحج، والعمرة، والجهاد، وطلب العلم، وصلة
 الأقارب، ونحو ذلك. السعدي

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لم يذكر ما يبشرهم به؛ ليعم جميع ما رتب على الإيمان من
 ثواب الدنيا والدين والآخرة، فالبشارة متناولة لكل مؤمن، وأما مقدارها
 وصفتها فإنها بحسب حال المؤمنين، وإيمانهم، قوة، وضعفاً، وعملاً بمقتضاه.
 السعدي

* وحذف المبشر به للتعظيم كأنه شيء لا يمكن بيانه تفسير الإيجي

الاستغفار للمشركين

﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَى
 قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ﴿١١٣﴾

﴿أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ عن عمرو بن دينار: أن النبي ﷺ قال: استغفر

إبراهيم لأبيه وهو مشرك، فلا أزال أستغفر لأبي طالب حتى ينهاني عنه ربي! فقال أصحابه: لنستغفرن لأبائنا كما استغفر النبي ﷺ لعمه! فأنزل الله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ إلى قوله: ﴿ تَبَرَّأ مِنْهُ ﴾. الطبري

﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ ﴾ كثير الدعاء والتضرع ﴿ حَلِيمٌ ﴾ (١١٤) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا ﴿ لِيَحْكُمَ عَلَيْهِم بِالضَّلَالِ ﴾ ﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ أي: من المحرمات فإن ارتكبوها بعد ذلك صاروا ضالين ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١١٥) ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (١١٦)

غزوة تبوك، وفضل من شارك فيها من المؤمنين

﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾ وقت الشدة والمقصود غزوة تبوك ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١١٧)

﴿ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾ سماها ساعة؛ تهوينا لأوقات الكروب، وتشجيعاً على مواجهة المكاره، فإن أمدّها يسير وأجرها عظيم. البقاعي في نظم الدرر. «ت».

الثلاثة الذين خلفوا، والتخلف عن الغزوات مع الرسول ﷺ

﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (١١٨)

﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا ﴾ عن جابر قال: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومُرارة بن الربيع، وكلهم من الأنصار. الطبري

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ قال كعب: كنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله عز وجل: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ وليس الذي ذكر الله مما خلفنا تخلفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا، وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه. القرطبي، والحديث في الصحيحين.

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، أن عبد الله بن كعب بن مالك، وكان، قائد كعب من بني، حين عمي، قال: سمعت كعب بن مالك، يحدث حين تخلف عن قصة، تبوك، قال كعب: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر، ولم يعاتب أحدا تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قریش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة، حين تواقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر، أذكر في الناس منها، كان من خبري: أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه، في تلك الغزاة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط، حتى جمعتهما في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا وري بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة، غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفرا بعيدا، ومفازا وعدوا كثيرا، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ، يريد الديوان، قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له، ما لم ينزل فيه وحي الله، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الشار والظلال، وتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، فطفقت أعدو لكي أتجهز معهم، فأرجع ولم أقض شيئا، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه، فلم يزل يتماذى بي حتى اشتد بالناس الجد، فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئا، فقلت أتجهز بعده بيوم أو يومين،

ثم ألحقهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز، فرجعت ولم أقض شيئاً، ثم غدوت، ثم رجعت ولم أقض شيئاً، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو، وهممت أن أرتحل فأدركهم، وليتني فعلت، فلم يقدر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم، أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال: وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب» فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله، حبسه برداه، ونظره في عطفه، فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله ﷺ، قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجه قافلاً حضرني همي، وطفقت أتذكر الكذب، وأقول: بماذا أخرج من سخطه غداً، واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد أظلم قادمًا زاح عني الباطل، وعرفت أني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه، وأصبح رسول الله ﷺ قادمًا، وكان إذا قدم من سفر، بدأ بالمسجد، فيركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون، فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، فحجته فلما سلمت عليه تبسم تبسم الغضب، ثم قال: «تعال» فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «ما خلفك، ألم تكن قد ابتعت ظهرك». فقلت: بلى، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً، ولكني والله، لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق، تجد علي فيه، إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله، ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى، ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، فقال رسول الله ﷺ: «أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك». فقممت، وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني، فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت

أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المتخلفون، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك، فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم، رجلان، قالا مثل ما قلت، فقليل لهما مثل ما قيل لك، فقلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين، قد شهدا بدرا، فيهما أسوة، فمضيت حين ذكروهما لي، ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف، فلبشنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا، فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا؟ ثم أصلي قريبا منه، فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي، وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي وأحب الناس إلي، فسلمت عليه، فوالله ما رد علي السلام، فقلت: يا أبا قتادة، أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت، فعدت له فنشدته فسكت، فعدت له فنشدته، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عينا، وتوليت حتى تسورت الجدار، قال: فينا أنا أمشي بسوق المدينة، إذا نبطي من أنباط أهل الشام، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يدل على كعب بن مالك، فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إلي كتابا من ملك غسان، فإذا فيه: أما بعد، فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان، ولا مضیعة، فالحق بنا نواسك، فقلت لما قرأتها: وهذا أيضا من البلاء، فتيمنت بها التنور فسجرت به، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين، إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني، فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها؟ أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل

اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقى بأهلك، فتكوني عندهم، حتى يقضي الله في هذا الأمر، قال كعب: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله: إن هلال بن أمية شيخ ضائع، ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: «لا، ولكن لا يقربك» . قالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره، ما كان إلى يومه هذا، فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه؟ فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ، وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها، وأنا رجل شاب؟ فلبثت بعد ذلك عشر ليال، حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله، قد ضاقت علي نفسي، وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ، أوفى على جبل سلع بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، قال: فخررت ساجدا، وعرفت أن قد جاء فرج، وأذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبل صاحبي مبشرون، وركض إلي رجل فرسا، وسعى ساع من أسلم، فأوفى على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني، نزعت له ثوبي، فكسوته إياهما، ببشراه والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ، فیتلقاني الناس فوجا فوجا، يهنوني بالتوبة، يقولون: لتهنك توبة الله عليك، قال كعب: حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني، والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة، قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ، قال: رسول الله ﷺ، وهو يبرق وجهه من السرور: «أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك»، قال: قلت: أمن عندك يا رسول الله، أم من عند الله؟ قال: «لا، بل من عند الله» . وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار

وجهه، حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك». قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخير، فقلت: يا رسول الله، إن الله إنما نجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا، ما بقيت. فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، أحسن مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذبا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت، وأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٧-١١٩] فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام، أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ، أن لا أكون كذبتة، فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله قال للذين كذبوا - حين أنزل الوحي - شر ما قال لأحد، فقال تبارك وتعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَاتَّكَ اللَّهُ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٥-٩٦]، قال كعب: وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ [التوبة: ١١٨]. وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو، إنما هو تخليفه إيانا، وإرجاؤه أمرنا، عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه.

﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ توبة الله على عبده بحسب ندمه وأسفه الشديد، وأن من لا ييالي بالذنب ولا يخرج إذا فعله، فإن توبته مدخولة، وإن زعم أنها مقبولة. السعدي. «ت».



﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ هذا الأمر بالكون مع أهل الصدق حسن بعد قصة

الثلاثة حين نفعهم الصدق وذهب بهم عن منازل المنافقين. القرطبي
*والآية تدل على أن الاجماع حجة لأنه أمر بالكون مع الصادقين فلزم قبول
قولهم. تفسير النسفي

﴿ مَا كَانَ ﴾ (توجيه رباني للمؤمنين بلفظ الخبر) ﴿ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ
مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ﴾ ﴿ بَأَن
يَرْضُوا لَأَنفُسِهِم الرِّاحَةَ مَعَ تَعَبِهِ ﴾ ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا
نَصَبٌ ﴾ ﴿ تَعَبٌ ﴾ ﴿ وَلَا مَخْمَصَةٌ ﴾ ﴿ مَجَاعَةٌ ﴾ ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا
يَغِيطُ الْكَفَّارُ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُنِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ
إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿ ١٢٠ ﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا
كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُنِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿ ١٢١ ﴾ ﴿ ١٢٢ ﴾ ﴿ ١٢٣ ﴾

انشغال جملة من المسلمين بالعلم

﴿ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً ﴾ ﴿ فَلَوْ لَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ
لِّيَنْفَقَهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ ﴿ ١٢٢ ﴾

﴿ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً ﴾ قال ابن عباس: فهذه مخصوصة
بالسرايا، والتي قبلها بالنهي عن تخلف واحد فيما إذا خرج النبي ﷺ. تفسير
الجلالين

﴿ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً ﴾ الجهاد ليس على الأعيان وهو فرض
كفاية كما تقدم، إذ لو نفر الكل لضاع من وراءهم من العيال، فليخرج فريق
منهم للجهاد، وليقم فريق يتفقهون في الدين، ويحفظون الحريم، حتى إذا عاد
النافرون أعلمهم المقيمون ما تعلموه من أحكام الشرع، وما تجدد نزول على
النبي ﷺ. وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا نَنْفِرُوا ﴾ [التوبة: ٣٩] وللآية
التي قبلها، على قول مجاهد وابن زيد. القرطبي

الأمر بالقتال، وحال المنافقين عند نزول القرآن

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴿١٢٣﴾ الْقَرِيِّينَ مِنْكُمْ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذَا مَا أَنزَلَتْ سُورَةٌ مِنْهُمْ مَن يَقُولُ ﴿مِنَ الْمُنَافِقِينَ﴾ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ مُسْتَهْزِئًا ﴿يَأَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿يَأَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ هذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص، كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء، بل قد حكي الإجماع على ذلك غير واحد. ابن كثير

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ ﴿١٢٦﴾ شَكٌّ وَنِفَاقٌ﴾ ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ ﴿يَتْلُونَ بِالْقَلْطِ وَالشَّدَةِ وَإِظْهَارِ مَا يَبْطُونَهُ مِنَ النِّفَاقِ﴾ ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٢٧﴾

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ أي: أيستمر هؤلاء المرضى بالنفاق على نفاقهم ولا يرون أنهم ﴿يُفْتَنُونَ﴾ أي: من أجل نفاقهم ﴿مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ أي يختبرون بالتكاليف والفضائح وغيرها. الجزائري

﴿وَإِذَا مَا أَنزَلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ﴾ ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿١٢٨﴾

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي: لا يفقهون أسرار الآيات وما تهدي إليه، فعلتهم سوء فهمهم، وعلة سوء فهمهم ظلمة قلوبهم، وعلة تلك الظلمة الشك والشرك والنفاق والعياذ بالله تعالى. الجزائري

فضل الله على المؤمنين ببعثة الرسول ﷺ

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ ﴿١٢٩﴾ صَعْبٌ وَشَاقٌ﴾ ﴿عَلَيْهِ

مَا عَنِتُّمْ ۖ عَنَّا وَمَشَقَّتْكُمْ ۖ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ إن قال قائل: وكيف يجوز أن يوصف ﷺ بأنه كان عزيزاً عليه عنتُ جميعهم، وهو يقتل كفارهم، ويسبي ذراريهم، ويسلبهم أموالهم؟ قيل: إن إسلامهم، لو كانوا أسلموا، كان أحبَّ إليه من إقامتهم على كفرهم وتكذيبهم إياه، حتى يستحقوا ذلك من الله. وإنما وصفه الله جل ثناؤه بأنه عزيزٌ عليه عنتهم، لأنه كان عزيزاً عليه أن يأتوا ما يُعنتهم، وذلك أن يضلُّوا فيستوجبوا العنت من الله بالقتل والسبي. الطبري

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ ۚ﴾ **يكفيني** ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿١٢٩﴾

﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ عن أبي الدرداء قال: من قال إذا أصبح وإذا أمسى: «حسبي الله لا إله إلا هو، عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم، سبع مرات، إلا كفاه الله ما أهمه». ابن كثير ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ خصه بالذكر؛ لأنه أعظم المخلوقات. تفسير الجلالين

﴿٢٠٧﴾

سورة يونس

سورة يونس، سورة مكية، فيها إثبات توحيد الألوهية، والتأكيد على صدق الوحي والبعث، والرد على المشركين، وفيها كذلك بيان حال الدنيا، وعاقبة المؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة، وذكر بعض القصص في ذلك، ثم تختم السورة بالتأكيد على التمسك بالتوحيد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعتراض البعض على بعثة الرسول ﷺ

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ

مِّنْهُمْ ﴿٢﴾ **محمد ﷺ** ﴿٣﴾ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴿٤﴾ منزلة عالية بما قدموا من صالح العمل ﴿٥﴾ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾

من مظاهر عظمة الله الدالة على وحدانيته

﴿١﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴿٢﴾ لا يقدم أحد منهم على الشفاعة، ولو كان أفضل الخلق، حتى يأذن الله ﴿٣﴾ ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾

﴿٥﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴿٦﴾ لو شاء لخلقهن في لحظة، والعدول عنه؛ لتعليم خلقه الثبوت. تفسير الجلالين

﴿٧﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ﴿٨﴾ يوم القيامة ﴿٩﴾ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُهُ، لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ﴿١٠﴾ بالعدل ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿١٢﴾ ماء بالغ الحرارة ﴿١٣﴾ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٤﴾ هو الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ ﴿١٥﴾ جعل القمر في منازل يسير فيها ﴿١٦﴾ لِنَعْلَمُوا ﴿١٧﴾ من خلال الشمس والقمر ﴿١٨﴾ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾

﴿٢٠﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ﴿٢١﴾ قيل: الضياء أقوى من النور، وقيل: الضياء هو ما كان بالذات، والنور ما كان بالعرض، ومن هنا قال الحكماء: إن نور القمر مستفاد من ضوء الشمس. الشوكاني

﴿٢٢﴾ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ في هذه الآيات الحث والترغيب على التفكير في مخلوقات الله، والنظر فيها بعين الاعتبار، فإن بذلك تنفتح البصيرة، ويزداد الإيمان والعقل، وتقوى القريحة، وفي إهمال ذلك تهاون بما أمر الله به، وإغلاق لزيادة الإيمان، وجمود للذهن والقريحة. السعدى

﴿٢٤﴾ إِنَّ فِيْ أٰخِنَافٍ ﴿٢٥﴾ تعاقب ﴿٢٦﴾ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

لَا يَتَّبِعُ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

﴿لَا يَتَّبِعُ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ خصهم بالذكر؛ لأنهم هم المتتبعون بها. تفسير الجلالين

﴿ ٢٠٨ ﴾

أقسام الناس، وجزأؤهم

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ لا يؤمنون بالبعث ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا﴾ دلائل التوحيد ﴿غَفِلُونَ﴾ ﴿٧﴾

﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَفِلُونَ﴾ قال الحسن: والله ما زينوها ولا رفعوها حتى رضوا بها، وهم غافلون عن آيات الله الكونية فلا يفكرون فيها، والشرعية فلا يأترون بها. ابن كثير

﴿أُولَٰئِكَ مَاؤُهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعَوْتُهُمْ ﴿دَعَاؤُهُمْ﴾ ﴿فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَّءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٠﴾

﴿دَعَوْتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَّءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قيل: إن أهل الجنة إذا مر بهم الطير واشتهوه قالوا: سبحانك اللهم، فيأتيهم الملك بما اشتهوا، فإذا أكلوا حمدوا الله، فسؤالهم بلفظ التسبيح، والختم بلفظ الحمد. القرطبي

حلم الله، وسنته في إهلاك الظالمين

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَىٰ إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿١١﴾ يترددون

ويتحIRON في حقيقة يوم الحساب

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ﴾ عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدعوا

على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء؛ فيستجيب لكم». مسلم

* قال مجاهد : «هو قول الإنسان لولده وماله إذا غضب عليه: (اللهم! لا تبارك فيه، والعنه). فلو يعجل لهم الاستجابة في ذلك، كما يستجاب لهم في الخير؛ لأهلكهم». ابن كثير

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ ۖ ﴿١٢﴾ مُضْطَجِعًا ۖ ﴿١٣﴾ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ ﴿١٤﴾ اسْتَمِرَّ عَلَىٰ كُفْرِهِ ۖ ﴿١٥﴾ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ ۚ كَذَٰلِكَ زَيْنَ الْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ﴾ هذه الحال التي ذكرها الله سبحانه للداعي لا تختص بأهل الكفر، بل تتفق لكثير من المسلمين، تلين ألسنتهم بالدعاء، وقلوبهم بالخشوع والتذلل عند نزول ما يكرهون بهم. فإذا كشفه الله عنهم غفلوا عن الدعاء والتضرع... وهذا مما يدل على أن الآية تعم المسلم والكافر كما يشعر به لفظ الناس، ولفظ الإنسان، اللهم أوزعنا شكر نعمك، وذكرنا الأحوال التي مننت علينا فيها بإجابة الدعاء، حتى نستكثر من الشكر الذي لا نطيق سواه، ولا نقدر على غيره، وما أغناك عنه وأحوجنا إليه. الشوكاني

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ ﴿١٦﴾ الْأُمَمَ الْمَكِيدَةَ ﴿١٧﴾ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴿١٨﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ ﴿٢٠﴾ الْخَطَابَ لِلنَّاسِ زَمَنَ النَّبِيِّ ﷺ وَمِنْ بَعْدِهِ ﴿٢١﴾ خَلَقَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴿٢٢﴾ اسْتَخْلَفْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ إِهْلَاكِهِمْ ﴿٢٣﴾ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾

تعنت المشركين مع القرآن

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتُنَبِّئُهُمْ بِشَرٍّ إِنْ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَآئِ نَفْسِي ۚ إِنَّ

اتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ إِنِّي أَخَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾

﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتَ بَشَرٌ مِّثْلَ بَشَرِهِمْ أَوْ بَدَّلَهُ﴾ الفرق بين تبديله والإتيان بغيره أن تبديله لا يجوز أن يكون معه، والإتيان بغيره قد يجوز أن يكون معه، وفي قولهم ذلك ثلاثة أوجه: أحدها: أنهم سألوه أن يحول الوعد وعيدا، والوعيد وعدا، والحلال حراما، والحرام حلالا، قاله ابن جرير الطبري. الثاني: سألوه أن يسقط ما في القرآن من عيب آلهتهم، وتسفيه أحلامهم، قاله ابن عيسى. الثالث: أنهم سألوه إسقاط ما فيه من ذكر البعث والنشور. القرطبي

* قد يستدل بهذا من يمنع نسخ الكتاب بالسنة؛ لأنه تعالى قال: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَآئِ نَفْسِي﴾ [يونس: ١٥]، وهذا فيه بعد، فإن الآية وردت في طلب المشركين مثل القرآن نظما، ولم يكن الرسول ﷺ قادرا على ذلك، ولم يسألوه تبديل الحكم دون اللفظ، ولأن الذي يقوله الرسول ﷺ إذا كان وحيا لم يكن من تلقاء نفسه، بل كان من عند الله تعالى. القرطبي

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَبَكُمْ بِهِ﴾ ﴿أَعْلَمُكُمْ﴾ ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ﴾ ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً لَا أَحْدِثُكُمْ شَيْءًا فَهُوَ لَيْسَ مِنِّي﴾ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿١٧﴾

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ من شاهد مسيئة من ذوي البصائر علم أمره لا محالة، بأقواله الركيكة التي ليست بفصيحة، وأفعاله غير الحسنة بل القبيحة، وقرآنه الذي يخلد به في النار يوم الحسرة والفضيحة، وكم من فرق بين قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وبين علاك مسيئة قبحه الله ولعنه: (يا ضفدع بنت الضفدعين، نقي كما تنقن لا الماء تكدرين، ولا

الشارب تمنعين). وقوله -قبح ولعن-: (لقد أنعم الله على الحبل، إذ أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق وحشى). وقوله -خدره الله في نار جهنم، وقد فعل-: (الفيل وما أدراك ما الفيل؟ له زلقوم طويل) وقوله -أبعده الله من رحمته-: (والعاجنات عجنًا، والخابزات خبزًا، واللاقمات لقمًا، إهالة وسمنًا، إن قريشًا قوم يعتدون) ... إلى غير ذلك من الهذيان والخرافات التي يأنف الصبيان أن يتلفظوا بها، إلا على وجه السخرية ... وذكروا أن وفد عمرو بن العاص على مسيلمة، وكان صديقًا له في الجاهلية، وكان عمرو لم يسلم بعد، فقال له مسيلمة: ويحك يا عمرو، ماذا أنزل على صاحبكم -يعني: رسول الله ﷺ- في هذه المدة؟ فقال: لقد سمعت أصحابه يقرؤون سورة عظيمة قصيرة فقال: وما هي؟ فقال: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿[العصر: ١-٣]، ففكر مسيلمة ساعة، ثم قال: وقد أنزل علي مثله. فقال: وما هو؟ فقال: (يا وبر إنما أنت أذنان وصدر، وسائرك حقر نقر، كيف ترى يا عمرو؟) فقال له عمرو: (والله إنك لتعلم أني أعلم أنك لتكذب)، فإذا كان هذا من مشرك في حال شركه، لم يشبهه عليه حال محمد ﷺ وصدقه، وحال مسيلمة -لعنه الله - وكذبه، فكيف بأولي البصائر والنهي. ابن كثير

من مظاهر شركهم

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١٨)

﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ الله تعالى هو العالم، الذي أحاط علما بجميع ما في السماوات والأرض، وقد أخبركم بأنه ليس له شريك، ولا إله معه، أفأنتم -يا معشر المشركين- تزعمون أنه يوجد له فيها شركاء؟ أفتخبرونه بأمر خفي عليه، وعلمتوه؟ أنتم أعلم أم الله؟ فهل يوجد قول أبطل من هذا القول المتضمن أن هؤلاء الضلال الجاهل

السفهاء أعلم من رب العالمين؟ فليكتف العاقل بمجرد تصور هذا القول، فإنه يجزم بفساده وبطلانه. السعدى

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ **على التوحيد** ﴿فَاخْتَلَفُوا وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ **بتأخير الجزاء إلى يوم القيامة** ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١٩) **بتعذيب الكافرين** ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ **معجزات طلبوها محددة** ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ **الأمر والتدبير لله** ﴿فَأَنْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (٢٠)

﴿٢١٠﴾

حال المشركين في الشدة والرخاء

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ﴾ **استهزاء وتكذيب** ﴿فِي آيَاتِنَا قُلْ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ **استدراجاً لكم وعقوبة** ﴿إِنْ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ (٢١)

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُمْ﴾ **إسناد المساس إلى الضراء بعد إسناد الإذاقة إلى ضمير الجلالة من الآداب القرآنية كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]** ونظائره، وينبغي التأدب في ذلك، ففي الخبر «اللهم إن الخير بيدك والشر ليس إليك». تفسير الألوسي في روح المعاني. «ت».

﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ **شديد الهبوب** ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٢٢)

﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ﴾ **لما ذكر تعالى القاعدة العامة في أحوال الناس عند إصابة الرحمة لهم بعد الضراء، واليسر بعد العسر، ذكر حالة تؤيد ذلك، وهي حالهم في البحر عند اشتداده، والخوف من عواقبه.**

السعدي

﴿دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ في هذه الآية بيان أن هؤلاء المشركين كانوا لا يلتفتون إلى أصنامهم في هذه الحالة، وما يشابهها، فيا عجباً! لما حدث في الإسلام من طوائف يعتقدون في الأموات؟ فإذا عرضت لهم في البحر مثل هذه الحالة دعوا الأموات، ولم يخلصوا الدعاء لله كما فعله المشركون، كما تواتر ذلك إلينا تواتراً يحصل به القطع، فانظر هداك الله ما فعلت هذه الاعتقادات الشيطانية، وأين وصل بها أهلها، وإلى أين رمى بهم الشيطان، وكيف اقتادهم وتسلبت عليهم؟ حتى انقادوا له انقياداً ما كان يطمع في مثله ولا في بعضه من عباد الأوثان، فإنا لله وإنا إليه راجعون. الشوكاني

﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ﴾ **يفسدون** ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغَيْرِكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَمَّ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٣)

مثل الحياة الدنيا في سرعة انقضائها

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ **بهجتها ونضارتها** ﴿وَأَزْيَنْتِ وَظَرَّتْ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدَرُونَ عَلَيْهَا﴾ **تمتكون من تحصيل ثمارها** ﴿أَتْنَهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا﴾ **محسودة مقطوعة** ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ﴾ **لم تكن قائمة بالأمس** ﴿كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَنْفَكُونَ﴾ (٢٤)

﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ﴾ مثل ذلك ما جاء عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا، والله يا رب ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا، من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا، والله يا رب ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط». مسلم

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ **الجنة** ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٢٥﴾

﴿**دَارِ السَّلَامِ**﴾ سميت الجنة دار السلام؛ لأن من دخلها سلم من الآفات. وقيل: المراد بالسلام التحية، سميت الجنة دار السلام، لأن أهلها يحيي بعضهم بعضا بالسلام، والملائكة تسلم عليهم. البغوي

﴿٢١١﴾

حال المؤمنين، وحال المشركين في الآخرة

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ **في العمل** ﴿الْحُسْنَى﴾ **أى: الجنة** ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ **النظر إلى وجهه الكريم سبحانه** ﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾ **يغشى** ﴿وُجُوهُهُمْ قَتَرٌ﴾ **غبار** ﴿وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢٦﴾

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ جاء في مسلم عن صهيب، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل» صحيح مسلم، وفي رواية ثم تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ **مانع يمنع عذابه** ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ﴾ **ألبست** ﴿وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ **من دخان النار وسوادها** ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ **ونوم تحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم** ﴿الزموا مكانكم﴾ **أنتم وشركاؤكم فريلنا** ﴿فرقنا بينهم بالبعد البدني والقلبي﴾ **بينهم** ﴿وَقَالَ شُرَكَائُهُم مَّا كُنْتُمْ إِلَّا نَا عَابِدُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ **فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغفلين** ﴿٢٩﴾ **هناك تبلوا** ﴿تعاين وتفقد﴾ **كل نفس مآ أسلفت ورددوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم مآ كانوا يفترون** ﴿٣٠﴾

الاحتجاج بتوحيدهم للربوبية على وجوب توحيد الألوهية

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٣١)

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ ﴾ لما بين فضائح المشركين أتبعها بإيراد الحجج الدامغة من أحوال الرزق، والحواس، والموت، والحياة، والابتداء، والإعادة، والإرشاد، والهدى، وبنى سبحانه الحجج على الاستفهام، وتفويض الجواب إلى المسؤولين؛ ليكون أبلغ في إلزام الحجة، وأوقع في النفوس. الشوكاني

﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَلُ ﴾ ما بعد عبادة الإله الحق إذا تركت عبادته إلا الضلال ﴿ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ (٣٢) كيف تصرفون عن الحق الواضح ﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ ﴾ ثبتت ووجبت ﴿ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣٣)

بطلان آلهة المشركين

﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلْ اللَّهُ يَكْبِدُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ (٣٤) ﴿ كيف تصرفون عن الحق ﴾ ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي ﴾ يرشد ﴿ إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي ﴾ لا يهتدي ﴿ إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (٣٥) وما ينبع أكثرهم إلا ظناً ﴿ شَكَّا ﴾ ﴿ إِنْ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٣٦)

القرآن كلام الله

﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ بين يدي القرآن من التوراة والإنجيل ﴿ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ ﴾ مبيناً لما أجمل فيها ﴿ لَا رَبَّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٧) أم يقولون أفتره قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مِنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ﴾ (٣٨) لم

يتدبروا القرآن ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ عاقبة ما فيه من الوعيد ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٣٩﴾

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ قيل لسفيان بن عيينة: يقول الناس: كل إنسان عدو ما جهل، فقال: هذا في كتاب الله. قيل له: أين؟ فقال: بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه. وقيل للحسين بن الفضل: هل تجد في القرآن: (من جهل شيئاً عاداه)؟ فقال: نعم، في موضعين. قوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾، وقوله: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١]. ابن الجوزي

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٤٠﴾

الأمر بالتبري من المشركين، وشيء من مظاهر تعنتهم

﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴿لَا عَلَى وَجْهِ الْإِسْتِشَادِ﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ لا على وجه الاسترشاد، بل على وجه التفرج والتكذيب وتطلب العثرات، وهذا استماع غير نافع، ولا مُجِدٍّ على أهله خيراً، لا جرم انسد عليهم باب التوفيق، وحرموا من فائدة الاستماع، ولهذا قال: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ وهذا الاستفهام، بمعنى النفي المقرر، أي: لا تسمع الصم الذين لا يستمعون القول ولو جهرت به، وخصوصاً إذا كان عقلهم معدوماً.

فإذا كان من المحال إسماع الأصم الذي لا يعقل للكلام، فهو لاء المكذبون - كذلك - ممتنع إسماعك إياهم إسماعاً ينتفعون به، وأما سماع الحجة فقد سمعوا ما تقوم عليهم به حجة الله البالغة. السعدي

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾ ﴿٤٣﴾



﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ أي: ينظرون إليك وإلى ما أعطاك الله من التَّوْدَةِ، والسمت الحسن، والخلق العظيم، والدلالة الظاهرة على نبوءتك لأولي البصائر والنهي، وهؤلاء ينظرون كما ينظر غيرهم، ولا يحصل لهم من الهداية شيء مما يحصل لغيرهم، بل المؤمنون ينظرون إليك بعين الوقار، والكافرون ينظرون إليك بعين الاحتقار. ابن كثير. «ت».

﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾ أفأنت تستطيع تبصير العمي؟ إنك لا تستطيع ذلك، وكذلك لا تستطيع هداية فاقد البصيرة. المختصر في التفسير

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٤٤﴾

قصر الدنيا، والوعيد للمخالفين

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ لقصر الإقامة في نظرهم ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ﴿٤٥﴾

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يخبر تعالى عن سرعة انقضاء الدنيا، وأن الله تعالى إذا حشر الناس وجمعهم ليوم لا ريب فيه كأنهم ما لبثوا إلا ساعة من نهار، وكأنه ما مر عليهم نعيم ولا بؤس، وهم يتعارفون بينهم، كحالهم في الدنيا، ففي هذا اليوم يربح المتقون، ويخسر الذين كذبوا بقاء الله. السعدي

﴿وَأَمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ﴾ من العذاب في حياتك ﴿أَوْ نُوَفِّيكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٤٦﴾

﴿وَأَمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ﴾ أي: من إظهار دينك في حياتك. وقال المفسرون: كان البعض الذي وعدهم قتل من قتل وأسر من أسر بدر. القرطبي

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴿٤٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا

نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ في هذه أعظم واعظ، وأبلغ زاجر لمن صار ديدنه وهجيراه المنادة لرسول الله ﷺ، والاستغاثة به عند نزول النوازل التي لا يقدر على دفعها إلا الله سبحانه، وكذلك من صار يطلب من الرسول ﷺ ما لا يقدر على تحصيله إلا الله سبحانه. فإن هذا مقام رب العالمين الذي خلق الأنبياء، والصالحين، وجميع المخلوقين، ورزقهم، وأحياهم، ويميتهم، فكيف يطلب من نبي من الأنبياء، أو ملك من الملائكة، أو صالح من الصالحين ما هو عاجز عنه، غير قادر عليه، ويترك الطلب لرب الأرباب القادر على كل شيء، الخالق، الرزاق، المعطي، المانع؟ وحسبك بما في هذه الآية موعظة، فإن هذا سيد ولد آدم، وخاتم الرسل، يأمره الله بأن يقول لعباده: لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا، فكيف يملكه لغيره، وكيف يملكه غيره - ممن رتبته دون رتبته ومنزلته لا تبلغ إلى منزلته - لنفسه فضلا عن أن يملكه لغيره، فيا عجا لقوم يعكفون على قبور الأموات الذين قد صاروا تحت أطباق الثرى، ويطلبون منهم من الخوائج ما لا يقدر عليه إلا الله عَزَّوَجَلَّ؟ كيف لا يتيقظون لما وقعوا فيه من الشرك، ولا يتنبهون لما حل بهم من المخالفة لمعنى: لا إله إلا الله، ومدلول: قل هو الله أحد؟ وأعجب من هذا اطلاع أهل العلم على ما يقع من هؤلاء ولا ينكرون عليهم، ولا يحولون بينهم وبين الرجوع إلى الجاهلية الأولى، بل إلى ما هو أشد منها، فإن أولئك يعترفون بأن الله سبحانه هو الخالق، الرزاق، المحيي، المميت، الضار، النافع، وإنما يجعلون أصنامهم شفعاء لهم عند الله، ومقربين لهم إليه، وهؤلاء يجعلون لهم قدرة على الضر والنفع، وينادونهم تارة على الاستقلال، وتارة مع ذي الجلال. وكفاك من شر سماعه، والله ناصر دينه، ومظهر شريعته من أوضار الشرك، وأدناس الكفر... إنا لله وإنا إليه راجعون. الشوكاني

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا﴾ ليلاً ﴿أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ ما أعظم ما استعجلوه ﴿أَتُمُّ إِذَا مَا﴾ أبعدما ﴿وَقَعَ أَمْنُكُمْ﴾

بِهِ ۖ ﴿٥١﴾ فَلَا يَقْبَلُ إِيمَانَكُمْ ۖ ءَأَلْتَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٣﴾ وَيَسْتَبِشِرُونَ ۖ ﴿٥٤﴾ يَسْأَلُونَكَ ﴿٥٥﴾ أَحَقُّ هُوَ ۖ الْعَذَابُ، أَوِ الْبَعْثُ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٧﴾

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ فكما ابتداء خلقكم ولم تكونوا شيئاً، كذلك يعيدكم مرة أخرى ليجازيكم بأعمالكم. السعدي

﴿ ٢١٤ ﴾

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۖ وَأَسْرِوا﴾ أَي الرُّؤساء عن **الْأَتْبَاعِ** ﴿الْندامة لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ **بالعدل** ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿٥٤﴾

﴿وَأَسْرِوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ قيل: أخفى الرؤساء الندامة من الضعفاء خوفاً من ملامتهم وتعيرهم. البغوي

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾

بيان شيء من صفات القرآن، وبيان أن حق التشريع لله المحيط بكل شيء

﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ ۖ **بالإسلام والقرآن** ﴿فَإِذْ لَكَ فُلَيْفْرَحُوهُ ۖ هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ **من حطام الدنيا** ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا﴾ **كالسائبة والبحيرة** ﴿وَحَلَلًا قُلْ ۗ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ **تكذبون**

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَلًا قُلْ ۗ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ يستدل بهذه الآية على أن الأصل في جميع الأطعمة الحل، إلا ما ورد الشرع بتحريمه؛ لأن الله أنكر على من حرم الرزق

الذي أنزله لعباده. السعدي

* استدل بهذه الآية من نفى القياس، وهذا بعيد، فإن القياس دليل الله تعالى، فيكون التحليل والتحریم من الله تعالى عند وجود دلالة نصبها الله تعالى على الحكم، فإن خالف في كون القياس دليلاً لله تعالى فهو خروج عن هذا الغرض، ورجوع إلى غيره. القرطبي

﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنْ اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ **﴿بِأَمْرِهِمْ﴾** وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ **﴿أمر من أمور﴾** **﴿وَمَا نَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾** **﴿أي: محمد ﷺ وأمته﴾** إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ **﴿تشرعون فيه وتعملونه﴾** وَمَا يَعْزُبُ **﴿يغيب﴾** عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ **﴿وزن نملة صغيرة﴾** فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾

﴿٢١٥﴾

المؤمنين هم أولياء الله، وبيان أن المشركين يتبعون الوهم

﴿إِلَّا إِنْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ **الحزن الدائم الذي يصحبه ذل**

﴿إِلَّا إِنْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ **عن عمر بن الخطاب ؓ، قال: قال النبي ﷺ: «إن من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى» قالوا: يا رسول الله، تخبرنا من هم، قال: «هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم على نور لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس»** وقرأ هذه الآية ﴿إِلَّا إِنْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. أبو داود، وصححه الألباني.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ **لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** **بالرؤيا الصالحة** **﴿وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِكَامَلَتِ اللَّهِ﴾** **لا خلف لوعده**

﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴿٦٥﴾ تَكْذِيبُهُمْ ﴿٦٦﴾﴾
 الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ
 وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ
 يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾ هو إما استفهام
 معناه: وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء؟ وقيل: وما يتبعون
 حقيقة؛ لأنهم يعبدونها على ظن أنهم شركاء؛ فيشفعون لنا، وليس على ما
 يظنون. البغوي

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنْ فِي
 ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾﴾

الله منزله عن الولد

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
 الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا ﴿٦٨﴾﴾ هل عندكم حجة ودليل
 ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ الغنى منحصر فيه، وأنواع
 الغنى مستغرقة فيه ... فإذا كان غنياً من كل وجه، فلا شيء يتخذ الولد؟
 الحاجة منه إلى الولد، فهذا مناف لغناه فلا يتخذ أحد ولداً إلا لنقص في غناه.
 السعدي

﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ وإن حصلت
 لهم بعض الشهوات فهي ﴿مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِيقُهُمْ
 الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

نصر الله للمؤمنين في الدنيا، وعقوبته للمكذبين (قصة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ)

﴿ وَآتَىٰ عَلَيْهِم نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ ﴿٧١﴾ عَظُمَ ﴿٧٢﴾ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكَّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا ﴿٧٣﴾ اعْزَمُوا وَأَعِدُوا ﴿٧٤﴾ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴿٧٥﴾ أَهْلَكُمْ ﴿٧٦﴾ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ﴿٧٧﴾ مُسْتَتْرَةً ﴿٧٨﴾ ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ ﴿٧٩﴾ أَقْضُوا عَلَيَّ بِالْعُقُوبَةِ ﴿٨٠﴾ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴿٨١﴾ تَهْلُونَ ﴾

﴿ ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴾ في هذا الكلام من نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ما يدل على وثوقه بنصر ربه، وعدم مبالاته بما يتوعد به قومه. الشوكاني

﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ ﴿٧٣﴾ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهُمْ ﴿٧٤﴾ جَعَلْنَا مِنْ نَجَا مَعَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿٧٥﴾ خَلِّفَ ﴿٧٦﴾ يَخْلَفُونَ الْمَكْذِبِينَ فِي الْأَرْضِ ﴿٧٧﴾ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٨﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ﴿٧٩﴾ فَمَا كَانَتْ الْأُمَمَ الْكَافِرَةَ لَتُؤْمِنَ بِمَا كَذَبَتْ بِهِ أَسْلَافُهُمْ ﴿٨٠﴾ كَذَلِكَ نَطْبَعُ ﴿٨١﴾ نَخْتَمُ ﴿٨٢﴾ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع فرعون وقومه

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴿٧٥﴾ أَشْرَافَ قَوْمِهِ ﴿٧٦﴾ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٨﴾ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ ﴿٧٩﴾ أَيْ: إِنَّهُ سِحْرٌ ﴿٨٠﴾ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

﴿ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا ﴾ حملوها على السحر مكابرة منهم، فرد عليهم موسى قائلا: أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا، قيل: في الكلام حذف، والتقدير: أتقولون للحق: سحر، فلا تقولوا ذلك، ثم استأنف إنكارا آخر من جهة نفسه فقال: أسحر هذا فحذف قولهم الأول اكتفاء بالثاني.

الشوكاني

﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا ﴾ **لتصرفنا** ﴿ عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ ﴾
العظمة والسلطان ﴿ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ ٧٨ ﴾

﴿ ٢١٧ ﴾

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وسحرة فرعون

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ ﴿ ٧٨ ﴾ **فائق في علم السحر** ﴿ فَلَمَّا جَاءَ
 السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمُ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴾ ﴿ ٨٠ ﴾ **فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ
 بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ﴿ ٨١ ﴾ **وَيُحَقِّقُ** ﴿ **يثبت**
ويعلی ﴿ **اللَّهُ الْحَقُّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ** ﴾ ﴿ ٨٢ ﴾ **فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةُ**
مِّن قَوْمِهِ ﴿ **شباب من بني إسرائيل** ﴿ **عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ** ﴿ **كبراء القوم**
﴿ أَنْ يَفْنِيَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ ﴿ **لجبار مستكبر** ﴿ **وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ** ﴿ ﴿ ٨٣ ﴾
المتجاوزين الحد في الكفر والفساد**

﴿ **فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةُ مِّن قَوْمِهِ** ﴾ قال مجاهد: أي لم يؤمن منهم أحد، وإنما
 آمن أولاد من أرسل موسى إليهم من بني إسرائيل، لطول الزمان هلك الآباء
 وبقي الأبناء فأمنوا، وهذا اختيار الطبري ... قال ابن عباس: كانوا ستمائة
 ألف، وذلك أن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ دخل مصر في اثنين وسبعين إنسانا، فتوالدوا
 بمصر حتى بلغوا ستمائة ألف. وقال ابن عباس أيضا: ﴿ **مِّن قَوْمِهِ** ﴾ يعني من
 قوم فرعون، منهم مؤمن آل فرعون، وخازن فرعون، وامراته، وماشطة ابنته،
 وامرأة خازنه. وقيل: هم أقوام آباؤهم من القبط، وأمهاهم من بني إسرائيل؛
 فسموا ذرية، كما يسمى أولاد الفرس الذين توالدوا باليمن وبلاد العرب
 الأبناء، لأن أمهاهم من غير جنس آبائهم، قاله الفراء. القرطبي

﴿ **وَمَلَئِهِمْ** ﴾ قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من
 قال: (الهاء والميم) عائدتان على (الذرية). ووجه معنى الكلام إلى أنه: على
 خوف من فرعون، وملاء الذرية؛ لأنه كان في ذرية القرن الذين أرسل إليهم

موسى من كان أبوه قبطياً وأمه إسرائيلية. فمن كان كذلك منهم، كان مع فرعون على موسى. الطبري
 ﴿أَنْ يَفْنِيَهُمْ﴾ وحّد ولم يقل: (أن يفتنوهم)، لدليل الخبر عن فرعون بذلك: أن قومه كانوا على مثل ما كان عليه، لما قد تقدم من قوله: ﴿عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِمْ﴾. الطبري

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع من آمن من بني إسرائيل

﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنْتُمْ ءَامِنُكُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّسْلِمِينَ﴾ (٨٤) مدعين له بالطاعة ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٥) لا تنصرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتنوا، وقيل: لا تسلطهم فيفتنونا عن الدين ﴿وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٨٦) وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا ﴿اتَّخِذَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ مساجد تصلون فيها عند الخوف ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٧)

﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ قال مجاهد: كانوا لا يصلون إلا في البيع، حتى خافوا من آل فرعون، فأمرُوا أن يصلوا في بيوتهم. الشوكاني
 * فنحن بحمد الله نصلي في المساجد والبيوت، وحيث أدركتنا الصلاة، إلا أن النافلة في المنازل أفضل منها في المساجد. القرطبي

﴿وَقَالَكَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ أتلّفها ﴿وَأَشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ اختتم عليها حتى لا تؤمن ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٨٨) دعا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأمن هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي أنها (لام كي)، ومعنى الكلام: ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم من زينة الحياة الدنيا والأموال لتفتنهم فيه، ويضلوا عن سبيلك عبادك، عقوبة منك. وهذا كما قال جل ثناؤه: ﴿لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾ (١٦) لِنَفْنِيَهُمْ فِيهِ ﴿[الجن: ١٦-١٧]﴾. الطبري

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا﴾ اثبتا على الدين واستمرا على الدعوة
﴿وَلَا تَتَّبِعَانِ﴾ **لا تسلكا** ﴿سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٩﴾

نجاة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن معه، وغرق فرعون وجنوده

﴿وَجُوزْنَا﴾ **قطعنا** ﴿بَنَى إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا
وَعَدُوًّا﴾ **ظلمًا وعدوانًا** ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي
ءَامَنْتُ بِهِ، بَنُوا إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٩٠﴾

﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ﴾ قال ابن عباس: لما أدرك فرعون الغرق جعل
جبريل يحشو في فيه التراب؛ خشية أن يغفر له. الطبري

﴿ءَاكُنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٩١﴾ **فَالْيَوْمَ نُنَجِّكَ بِدَنِكَ**
لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ ءَايَةً﴾ **عبرة** ﴿وَلِإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَن ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ ﴿٩٢﴾

﴿**فَالْيَوْمَ نُنَجِّكَ بِدَنِكَ**﴾ قال ابن عباس: لما جاوز موسى البحر بجميع من
معه، التقى البحرُ عليهم، يعني على فرعون وقومه؛ فأغرقهم، فقال أصحاب
موسى: إنا نخاف أن لا يكون فرعون غرق، ولا نؤمن بهلاكه! فدعا ربّه،
فأخرجه فنبذه البحر، حتى استيقنوا بهلاكه. الطبري

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾ **أنزلنا** ﴿بَنَى إِسْرَءِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ﴾ **منزلًا صالحًا بالشام ومصر**
﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ **القرآن فمنهم من آمن**
بمحمد ﷺ ومنهم من كفر ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿٩٣﴾

القرآن مصدق لما سبق

﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ
جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ﴿٩٤﴾ **الشاكين**

﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ ليس في الآية ما يدل على وقوع الشك ولا السؤال أصلاً، فإن الشرط لا يدل على وقوع المشروط، بل ولا على إمكانه كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]. ابن القيم في أحكام أهل الذمة.

﴿فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقرءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ ليس أكثر أهل الكتاب، رد دعوة الرسول، بل أكثرهم استجاب لها، وانقاد طوعاً واختياراً، فإن الرسول بعث وأكثر أهل الأرض المتدينين أهل كتاب.

فلم يمكث دينه مدة غير كثيرة، حتى انقاد للإسلام أكثر أهل الشام، ومصر، والعراق، وما جاورها من البلدان التي هي مقر دين أهل الكتاب، ولم يبق إلا أهل الرئاسات الذين آثروا رئاساتهم على الحق، ومن تبعهم من العوام الجهلة، ومن تدين بدينهم اسماً لا معنى، كالإفرنج الذين حقيقة أمرهم أنهم دهرية منحلون عن جميع أديان الرسل، وإنما انتسبوا للدين المسيحي، ترويحاً لملكهم، وتمويهاً لباطلهم، كما يعرف ذلك من عرف أحوالهم البيئة الظاهرة. السعدي * فيه تنبيه على أن كل من خالجه شبهة في الدين ينبغي أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى أهل العلم. تفسير البيضاوي

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٩٥) إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ رِجْسٌ ﴿وَجَبَتْ﴾ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

الإيمان النافع

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾ لم يوجد قرية آمنت عند رؤية العذاب ﴿فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا﴾ إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا ﴿آمنوا عند رؤية أمانة العذاب لا عند حلوله﴾ ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ (٩٨)

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا﴾ الحكمة في هذا ظاهرة، فإن الإيمان

الاضطراري ليس بإيمان حقيقة، ولو صرف عنه العذاب والأمر الذي اضطره إلى الإيمان؛ لرجع إلى الكفران. وقوله ﴿إِلَّا قَوْمٌ يُوْثَسَ لَمَّاءَ أَمَنُوا﴾ بعدما رأوا العذاب ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ فهم مستثنون من العموم السابق. ولا بد لذلك من حكمة لعالم الغيب والشهادة لم تصل إلينا ولم تدركها أفهامنا. قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُوْثَسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٣٩] إلى قوله ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ (١٤٧) ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٧-١٤٨]، ولعل الحكمة في ذلك أن غيرهم من المهلكين لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، وأما قوم يونس فإن الله علم أن إيمانهم سيستمر، بل قد استمر فعلا، وثبتوا عليه والله أعلم. السعدي

﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ قال بعضهم: غامت السماء غيبا أسود يظهر دخانا شديدا، فغشي مدينتهم، واسودت سطوحهم، فلما أيقنوا بالهلاك؛ لبسوا المسوح، وحثوا على رؤوسهم الرماد، وفرقوا بين كل والدها من الناس والأنعام، وعجوا إلى الله تعالى بالتوبة الصادقة، وقالوا: آمنا بما جاء به يونس، فاستجاب الله منهم. قال ابن مسعود: بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم بينهم، حتى إن كان الرجل ليأتي إلى الحجر قد وضع عليه أساس بنيانه فيقتلعه، فيرده. ابن الجوزي

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٩٩) ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ الْعَذَابَ﴾ ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٠٠) ﴿قُلْ﴾ ﴿لِلْكَفَارِ﴾ ﴿أَنْظُرُوا﴾ ﴿تَفَكَّرُوا﴾ ﴿مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي﴾ ﴿لَا تَنْفَعُ﴾ ﴿الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠١) ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا﴾ ﴿مَضُوا﴾ ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ﴿قُلْ فَانظُرُوا إِلَى مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ (١٠٢) ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠٣)

الأمر بالتوحيد، والصبر عليه

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ

وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ
لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ
وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾

﴿ ٢٢٠ ﴾

﴿وَأِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ
لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَأَيُّهَا
النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ
ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ
حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

سورة هود

سورة هود، سورة مكية، فيها تقرير العقيدة الصحيحة، وفيها التأكيد على
صدق الوحي، وبيان منهج الرسل وصبرهم في مواجهة قومهم المكذبين،
وفيها بيان مآل المؤمنين ومآل الكفار، وفيها وصايا للمؤمنين، وبيان الحكمة
من الاختلاف.

سورة هود: روى الترمذي عن ابن عباس قال: قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول
الله قد شبت! قال: «شبيتني هود، والواقعة، والمرسلات، و﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾،
و﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾». قال: هذا حديث حسن غريب ... قال أبو عبد الله:
فالفرع يورث الشيب ... وأما سورة (هود) فلما ذكر الأمم وما حل بهم من
عاجل بأس الله تعالى، فأهل اليقين إذا تلوها تراءى على قلوبهم من ملكه
وسلطانه ولحظاته البطش بأعدائه، فلو ماتوا من الفرع لحق لهم، ولكن الله
تبارك وتعالى اسمه يلفظ بهم في تلك الأحيان حتى يقرؤوا كلامه ... وقد
قيل: إن الذي شيب النبي ﷺ من سورة (هود) قول: ﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ﴾
[هود: ١١٢]. القرطبي

* والحديث المذكور في مستدرک الحاكم، وقال: هذا حديث صحيح على شرط

البخاري. ووافقه الذهبي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القرآن، وموقف المخالفين

﴿الرَّ كُتِبَ أَحْكَمَتْ ءَايَتُهُ﴾ أتقنت وأحسنيت ﴿ثُمَّ فَضِّلَتْ﴾ بينت بالأمر والنهي وآنأرها ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ ﴿١﴾

﴿كُتِبَ أَحْكَمَتْ ءَايَتُهُ﴾ إذا كان إحكامه وتفصيله من عند الله الحكيم الخبير، فلا تسأل بعد هذا عن عظمته وجلالته واشتماله على كمال الحكمة وسعة الرحمة. وإنما أنزل الله كتابه لـ ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ أي: لأجل إخلاص الدين كله لله، وأن لا يشرك به أحد من خلقه. السعدي

﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ ﴿٢﴾ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمַعْكُمْ مَنَّاً حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَتُؤْتَ كُلَّ ذِي فَضْلٍ ﴿٣﴾ عمل صالح ﴿فَضْلُهُ﴾ ﴿جزاء﴾ ﴿وَأَنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ ﴿٤﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥﴾ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ ﴿٦﴾ يحنون ظهورهم وينكسون رؤوسهم ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ ليستروا من الله، وقيل من الرسول ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ يتغطون بثيابهم ﴿يَعْلَمُ﴾ الله ﴿مَا يُسْرُونَ﴾ وما يعلنون إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾

﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ قال السعدي بعد أن ذكر التفسير الأول (أي: ليستخفوا من الله): ويحتمل أن المعنى في هذا أن الله يذكر إعراض المكذبين للرسول الغافلين عن دعوته، أنهم -من شدة إعراضهم- يثنون صدورهم، أي: يحدودبون حين يرون الرسول ﷺ؛ لئلا يراهم ويسمعهم دعوته، ويعظمهم بما ينفعهم، فهل فوق هذا الإعراض شيء؟! السعدي

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ **مسكنها**
 ﴿وَمُسْتَوْدَعُهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ 

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ قيل لبعضهم: من أين تأكل؟ فقال: الذي خلق الرحي يأتيها بالطحين، والذي شدد الأشداق هو خالق الأرزاق. وقيل لأبي أسيد: من أين تأكل؟ فقال: سبحانه الله والله أكبر! إن الله يرزق الكلب أفلا يرزق أبا أسيد! وقيل لحاتم الأصم: من أين تأكل؟ فقال: من عند الله، فقيل له: الله ينزل لك دنائير ودراهم من السماء؟ فقال: كأن ماله إلا السماء! يا هذا الأرض له، والسماء له، فإن لم يؤتني رزقي من السماء، ساقه لي من الأرض، وأنشد:

وكيف أخاف الفقر والله رازقي
 ورازق هذا الخلق في العسر واليسر
 تكفل بالأرزاق للخلق كلهم
 وللضب في البيداء والحوث في البحر

القرطبي

* لا بد لكل مخلوق من الرزق ... حتى إن ما يتناوله العبد من الحرام هو داخل في هذا الرزق، فالكفار قد يرزقون بأسباب محرمة، ويرزقون رزقا حسنا، وقد لا يرزقون إلا بتكلف، وأهل التقوى يرزقهم الله من حيث لا يحتسبون، ولا يكون رزقهم بأسباب محرمة، ولا يكون خبيثا، والتقي لا يحرم ما يحتاج إليه من الرزق، وإنما يحرم من فضول الدنيا رحمة به، وإحسانا إليه؛ فإن توسيع الرزق قد يكون مضرة على صاحبه، وتقديره يكون رحمة لصاحبه. ابن تيمية في مجموع الفتاوى. «ل».

من أحوال الكفار وحال المؤمنين

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ **من الأحد إلى الجمعة**
 ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ﴾ **ليختبركم** ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾
 وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا

أَيُّ: القرآن ﴿٧﴾ إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ باطل واضح البطلان ﴿٧﴾ وَلَيْنَ آخَرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴿٨﴾ أَجَلٌ مَعْلُومٌ ﴿٨﴾ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ﴿٩﴾ مَا يَمْنَعُهُ ﴿٩﴾ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسٌ مَّصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ ﴿١٠﴾ أَحَاطَ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿١٠﴾ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾ وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُوفُ كَافُورٌ ﴿٩﴾ وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ ﴿١٠﴾ الشَّدَائِدُ ﴿١٠﴾ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ مغرور متعالى لا يشكر ربه ﴿١١﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴿١١﴾ عَلَى الضَّرَاءِ ﴿١١﴾ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿١١﴾ حال النعماء فلا يصيبهم اليأس ﴿١١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾

تسلية الرسول ﷺ، والرد على منكري الوحي

﴿١٢﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ﴿١٢﴾ تَارِكٌ تَبْلِيغِهِمْ ﴿١٢﴾ وَضَاقَ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ﴿١٣﴾ يَصْدَقُهُ ﴿١٣﴾ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ﴿١٣﴾ فلا عليك إلا البلاغ، وليس الإتيان بما اقترحوا ﴿١٢﴾ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

﴿١٢﴾ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ﴿١٢﴾ في هذه الآيات إرشاد إلى أنه لا ينبغي للداعي إلى الله أن يصدده اعتراض المعارضين، ولا قدح القادحين. خصوصاً إذا كان القدح لا مستند له، ولا يقدر فيما دعا إليه، وأنه لا يضيق صدره، بل يطمئن بذلك، ماضياً على أمره، مقبلاً على شأنه، وأنه لا يجب إجابة اقتراحات المقترحين للأدلة التي يختارونها. بل يكفي إقامة الدليل السالم عن المعارض على جميع المسائل والمطالب. السعدي

﴿١٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَاتَّبِعُوا عَشْرَ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَتٍ وَأَدْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾

﴿١٣﴾ فَاتَّبِعُوا عَشْرَ سُورٍ مِّثْلِهِ ﴿١٣﴾ فيها أن هذا القرآن، معجز بنفسه، لا يقدر أحد من البشر أن يأتي بمثله، ولا بعشر سور من مثله، بل ولا بسورة من مثله؛ لأن الأعداء البلغاء الفصحاء تحداهم الله بذلك فلم يعارضوه؛ لعلمهم أنهم لا

قدرة فيهم على ذلك. السعدي

﴿ فَإِلَّا يُسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٤) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴿ فلا عليك إلا البلاغ لا الإتيان بما اقترحوا ﴾ ﴿ نُوفِيَ إِلَيْهِمْ أَعْمَلُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ (١٥) ﴿ لا ينقصون شيئاً من جزائهم الدنيوي ﴾ ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٦) ﴿

حال المؤمنين، وحال الظالمين

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ ﴿ يقين وهو محمد ﷺ ﴾ ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ ويشهد على صدقه القرآن ﴿ وَمِن قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿ الكفار الذين تحزبوا على نبينا ﷺ ﴾ ﴿ فَالْنَارُ مَوْعِدُهُ ﴾ ﴿ فَلَا تَكُ فِي مَرِيَّةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِّن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٧) ﴿ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ ﴿ الملائكة، والنبيون، والجوارح الذين يشهدون يوم القيامة ﴾ ﴿ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (١٨) ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا يْرِيدُونَهَا ﴾ ﴿ عَوْجًا ﴾ ﴿ معوجة موافقة لأهوائهم ﴾ ﴿ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (١٩) ﴿

﴿ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ﴿ فائتين من عذاب الله بالهرب ﴾ ﴿ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ ﴾ ﴿ لأنهم صدوا الناس عن الحق ﴾ ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ ﴾ ﴿ سماع قبول ﴾ ﴿ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ (٢٠) ﴿ آيات الله في الكون إِبْصَارَ تَدَبُّرٍ وَتَفَكُّرٍ ﴾ ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ ﴾ ﴿ ذهب عنهم ﴾ ﴿ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (٢١) ﴿ يَخْتَلِقُونَ مِنَ الشُّرَكَاءِ ﴾ ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ ﴿ حَقًّا ﴾ ﴿ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسِرُونَ ﴾ (٢٢) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ ﴿ خضعوا لله ﴾ ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ

﴿ ٢٣ ﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْبَحِ ﴿ وهذا مثل الكفار وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ﴿ وهذا مثل المؤمنين هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿ ٢٤ ﴾

من منهج الرسل في مواجهة قومهم المكذبين (قصة نوح

عَلَيْهِ السَّلَام)

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿ ٢٥ ﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿ ٢٦ ﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَبُّكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَبُّكَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّىَ الرَّأْيِ ﴿ من غير تفكير ولا روية ﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ ﴿ مال ورئاسة لتبعمكم ﴿ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿ ٢٧ ﴾

﴿ وَمَا نَرَبُّكَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّىَ الرَّأْيِ ﴾ الرسل يرسلون إلى الناس جميعا، فإذا أسلم منهم الدنيء لم يلحقهم من ذلك نقصان؛ لأن عليهم أن يقبلوا إسلام كل من أسلم منهم. قلت: الأراذل هنا هم الفقراء والضعفاء، كما قال هرقل لأبي سفيان: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فقال: بل ضعفاؤهم، فقال: هم أتباع الرسل. قال علماؤنا: إنما كان ذلك لاستيلاء الرياسة على الأشراف، وصعوبة الانفكاك عنها، والأنفة من الانقياد للغير، والفقير خلى عن تلك الموانع، فهو سريع إلى الإجابة والانقياد. وهذا غالب أحوال أهل الدنيا. القرطبي

* هذا دليل على جهلهم وقلة علمهم وعقلهم، فإنه ليس بعار على الحق رذالة من اتبعه، فإن الحق في نفسه صحيح، وسواء اتبعه الأشراف أو الأراذل، بل الحق الذي لا شك فيه أن أتباع الحق هم الأشراف -ولو كانوا فقراء-، والذين يأبونه هم الأراذل -ولو كانوا أغنياء-. ابن كثير

الرد على حجتهم بالجدال المحمود

﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَانِئِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ ﴿ فَأَخْفِيتُ عَلَيْكُمْ ﴿ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكُمْ ﴿ ٢٨ ﴾ أَنْجبركم على الإيمان ﴿ وَأَنْتُمْ لَهَا

كِرْهُونَ ﴿ لَا نَسْتَطِيعُ

﴿ ٢٢٤ ﴾

﴿وَيَقَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقَوْنَ رَبَّهُمْ وَلَكِنِّي أَرْكُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقَوْمٍ مِّنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طُرِدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ استدل بهذا من قال: إن الملائكة أفضل من الأنبياء، والأدلة في هذه المسألة مختلفة، وليس لطالب الحق إلى تحقيقها حاجة، فليست مما كلفنا الله بعلمه. الشوكاني

عناد الكفار

﴿قَالُوا يَنْحُومُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِن أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَبَهُ قُلْ إِن أَفْتَرَيْتُهُ، فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَجْحَرُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَبَهُ﴾ هذا الضمير محتمل أن يعود إلى نوح، كما كان السياق في قصته مع قومه، وأن المعنى: أن قومه يقولون: افترى على الله كذبا، وكذب بالوحي الذي يزعم أنه من الله، وأن الله أمره أن يقول: ﴿قُلْ إِن أَفْتَرَيْتُهُ، فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَجْحَرُمُونَ﴾ [هود: ٣٥] أي: كل عليه وزره ﴿وَلَا نَزِرَ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

ويحتمل أن يكون عائدا إلى النبي محمد ﷺ، وتكون هذه الآية معترضة في أثناء قصة نوح وقومه، لأنها من الأمور التي لا يعلمها إلا الأنبياء ... فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَبَهُ﴾ أي: هذا القرآن اختلقه محمد من تلقاء نفسه، أي: فهذا من

أعجب الأقوال وأبطلها، فإنهم يعلمون أنه لم يقرأ ولم يكتب، ولم يرحل عنهم لدراسة على أهل الكتاب، فجاء بهذا الكتاب الذي تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله. فإذا زعموا - مع هذا - أنه افتراه، علم أنهم معاندون، ولم يبق فائدة في حجاجهم، بل اللاتق في هذه الحال، الإعراض عنهم، ولهذا قال: ﴿قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ، فَعَلَىٰ إِجْرَامِي﴾ أي: ذنبي وكذبي، ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُخْرِمُونَ﴾ أي: فلم تستلجئون في تكذبي. السعدي

نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ، والفلك

﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا نَبْتَئِسُ﴾ **تخزن**
 ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ وَأَصْنَعُ الْفُلَکَ بِأَعْيُنِنَا ﴿بَحْفَظْنَا وَمَرَأَىٰ مِنَّا﴾
 ﴿وَوَحَيْنَا﴾ **بتعليمنا لك كيف تصنعها** ﴿وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾ ﴿٣٧﴾

﴿ ٢٢٥ ﴾

﴿وَصْنَعُ الْفُلَکَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ ﴿٣٨﴾

﴿وَصْنَعُ الْفُلَکَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ في وجه سخرتهم منه قولان: أحدهما أنهم كانوا يرونه يعمل السفينة، فيقولون: يا نوح! صرت بعد النبوة نجارا. والثاني: أنهم لما شاهدوه يعمل السفينة، وكانوا لا يعرفونها قبل ذلك، قالوا: يا نوح ما تصنع بها؟ قال: أمشي بها على الماء. فعجبوا من قوله، وسخروا به. ثم أجاب عليهم بقوله: إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون. الشوكاني

﴿فَسَوْفَ نَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ﴿نَبْعُ الْمَاءِ بَقْوَةٌ﴾ ﴿النُّورُ﴾ ﴿الْمَكَانَ الَّذِي يَخْزِي فِيهِ﴾ ﴿قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ﴿٤٠﴾

﴿وَفَارَ التَّنُورُ﴾ قال ابن عباس: التنور، وجه الأرض. قال: قيل له: إذا رأيت الماء على وجه الأرض، فاركب أنت ومن معك. قال: والعرب تسمى وجه الأرض: (تنور الأرض) ... وقال آخرون: هو تنوير الصبح ... وقال آخرون: هو التنور الذي يُخَبِّز فيه ... قال ابن عباس: إذا رأيت تنور أهلِكَ يخرج منه الماء، فإنه هلاك قومك ... قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله: (التنور)، قول من قال: (هو التنور الذي يخبز فيه)؛ لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب، إلا أن تقوم حجة على شيء منه بخلاف ذلك، فيسلم لها. وذلك أنه جل ثناؤه، إنما خاطبهم بما خاطبهم به؛ لإفهامهم معنى ما خاطبهم به. الطبري

﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ بالهلاك يعني: امرأته واعلة، وابنه كنعان. البغوي
 ﴿وَمَنْ ءَامَنَ وَمَأْمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ يصفهم بأنهم كانوا قليلا، ولم يُحَدِّد عددهم بمقدار ولا خبر عن رسول الله ﷺ صحيح، فلا ينبغي أن يتجاوز في ذلك حد الله، إذ لم يكن لبلغ عدد ذلك حد من كتاب الله، أو أثر عن رسول الله ﷺ. الطبري

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَحْرُنَهَا﴾ جريها ﴿وَمُرْسَهَا﴾ منتهى سيرها
 ورسوها ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٤١﴾

نوح عليه السلام وابنه حال الطوفان

﴿وَهِيَ تَجْرَى بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾
 منفردا في مكان ﴿يَبْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَاوِيَ إِلَى جِبَلٍ يَْعَصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَتَارِضُ آبُلَيْ مَاءُكِ وَيَسْمَأُ أَقْلِي ﴿أَمْسِكِي عَنِ الْمَطَرِ﴾ وَغِيضَ الْمَاءِ ﴿نَقَصَ وَنَضَبَ﴾ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ رَسَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴿اسْمِ جِبَلٍ﴾ وَقِيلَ بُعْدًا ﴿هَلَاكًا﴾ لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ﴾ أطبق علماء البلاغة على أن هذه الآية الشريفة بالغة من الفصاحة والبلاغة إلى محل يتقاصر عنه الوصف، وتضعف عن الإتيان بما يقاربه قدرة القادرين على فنون البلاغة، الثابتين الأقدام في علم البيان، الراسخين في علم اللغة، المطلعين على ما هو مدون من خطب مصانع خطباء العرب، وأشعار بواقع شعرائهم، المتراضين بدقائق علوم العربية وأسرارها. وقد تعرض لبيان بعض ما اشتملت عليه من ذلك جماعة منهم فأطالوا وأطابوا، رحمنا الله وإياهم برحمته الواسعة. الشوكاني

﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ قال الضحاك: الجودي: جبل بالموصل. وقال بعضهم: هو الطور. ابن كثير

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ﴾ ﴿٤٥﴾

﴿ ٢٢٦ ﴾

﴿قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الذين وعدت أن أنجيهم ﴿إِنَّهُ﴾ أي سألتك أن أنجي كافرًا ﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ﴾ لئلا تكون ﴿مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٤٦﴾

﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ قال سليمان بن قتة : سمعت ابن عباس يسأل وهو إلى جنب الكعبة عن قول الله تعالى: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحریم: ١٠]، قال: أما إنه لم يكن بالزنا، ولكن كانت هذه تخبر الناس أنه مجنون، وكانت هذه تدل، على الأضياف. ثم قرأ: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾، قال ابن عيينة: وأخبرني عمار الدّهني: أنه سأل سعيد بن جبیر عن ذلك، فقال: كان ابن نوح، إن الله لا يكذب! قال: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ ... قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: تأويل ذلك: إنه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم، لأنه كان لدينك مخالفاً، وبى كافرًا، وكان ابنه. الطبري

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي﴾

أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَنْتَوُحُّ أُمِّيطُ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمِّمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴿٤٨﴾ ذَرِيَّةٌ مِّنْ كَانُوا مَعَكَ ﴿٤٩﴾ وَأُمُّهُمْ سَخِمَ عَنْهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ هَذَا الْإِنجَاءُ، لَيْسَ بِإِنجَاءٍ لَنَا مِنْ أَنْ مِّنْ كَفَرٍ بَعْدَ ذَلِكَ أَهْلَلْنَا بِهِ الْعِقَابَ وَإِنْ مَتَعُوا قَلِيلًا ﴿٥١﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ﴿٥٢﴾ يَا مُحَمَّد ﴿٥٣﴾ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُنْقِيبِ ﴿٥٤﴾

قصة هود عليه السلام وقومه

﴿وَالِإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْتَوُحُّ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِن أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ كاذبون ﴿٥١﴾ يَنْتَوُحُّ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَنْتَوُحُّ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿٥٣﴾ مُتَابِعًا كَثِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَيَنْتَوُحُّ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ كثيرا ما يقرن الاستغفار بذكر التوبة، فيكون الاستغفار حينئذ عبارة عن طلب المغفرة باللسان، والتوبة عبارة عن الإقلاع عن الذنوب بالقلوب. تفسير ابن رجب الحنبلي. (ل).

﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ﴾ من أجل قولك ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٣﴾

﴿ ٢٢٧ ﴾

﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ﴾ أصابك ﴿بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ بجنون ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ﴿٥٤﴾

﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ ما نقول إلا أن الذي حملك على ذمها والنهي عن عبادتها، أنه أصابك منها خبلٌ من جنون. الطبري

﴿مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي﴾ اجتهدوا في إيصال الضرر لي ﴿جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ لا تمهلوني

﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾ أي: لا تؤخرون. وهذا القول مع كثرة الأعداء يدل على كمال الثقة بنصر الله تعالى. القرطبي

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ **مالكها والمتصرف فيها** ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٥٦﴾

﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ قال القتيبي: يقهرها؛ لأن من أخذت بناصيته فقد قهرته. وقيل: إنما خص الناصية بالذكر لأن العرب تستعمل ذلك إذا وصفت إنسانا بالذلة، فتقول: ناصية فلان بيد فلان، وكانوا إذا أسروا إنسانا وأرادوا إطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته؛ ليعتدوا بذلك فخرا عليه، فخطبهم الله بما يعرفون. البغوي

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يعني: إن ربي وإن كان قادرا عليهم، فإنه لا يظلمهم، ولا يعمل إلا بالإحسان والعدل، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بعصيانه. وقيل: معناه: أن دين ربي صراط مستقيم. وقيل: فيه إضمار، أي: إن ربي يحثكم ويحملكم على صراط مستقيم. البغوي

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ **فإن تهادوا في الإعراض** ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ **يأتي بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم** ﴿وَلَا تَصْرُوهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ﴾ ﴿٥٧﴾ **يحفظ من كل سوء** ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ﴿٥٨﴾ **شديد** ﴿وَذَلِكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ **من عصى واحداً لزمه عصيانهم جميعاً لاتفاق أصل دعوتهم** ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ﴾ **مستكبر** ﴿عِنْدَ﴾ ﴿٥٩﴾ **وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ إِلَّا إِنْ عَادَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ﴾ ﴿٦٠﴾**

قصة صالح عليه السلام وقومه

﴿وَالِإِيَّائِي ثُمَّ دَأَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمُ عِبْدُؤُا اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ﴾ **ابتدا خلقكم** ﴿مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ **جعلكم عماراً لها** ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ ثَوَّبُوا إِلَيْهِ إِنْ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ ﴿٦١﴾ **قالوا يصلح قد كنت فينا مرجواً** ﴿كنا نرجو أن

تكون سيداً لحسن صفاتك ﴿ قَبْلَ هَذَا أَتْنَهْنَا أَنْ تَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴾ ﴿٦٢﴾

﴿ ٢٢٨ ﴾

﴿ قَالَ يَنْقُومُ أَرَأَيْتُمْ ﴾ أخبروني ﴿ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ، فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿ تَضْلِيلٍ وَإِعَادٍ عَنِ الْخَيْرِ ﴾ وَيَنْقُومُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ ﴿ علامة على صدقي ﴾ ﴿ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ ﴿٦٤﴾

﴿ وَيَنْقُومُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ ﴾ إضافة الناقة إلى اسم الجلالة؛ لأنها خلقت بقدرة الله الخارقة للعادة. ابن عاشور في التحرير والتنوير. «ت».

﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ نحروها ﴿ فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ﴾ نجيناهم من هوان ذلك اليوم ﴿ إِنْ رَبُّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ﴾ صوت عظيم مهلك من السماء ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَثِيمٌ ﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿ هَامِدِينَ سَاقِطِينَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾ ﴿ كَانَ لَهُمْ يَغْنَوُفُهَا ﴾ لم يعيشوا ولم يقيموا ﴿ أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدُ ﴾ ﴿ هَلَاكًا وَطَرْدًا ﴾ ﴿ لَثَمُودَ ﴾ ﴿٦٨﴾

الملائكة في طريقهم لإهلاك قوم لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومرورهم بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وتبشيره

﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴾ ﴿٦٩﴾

﴿ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ﴾ في هذا مشروعية السلام، وأنه لم يزل من ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأن السلام قبل الكلام، وأنه ينبغي أن يكون الرد أبلغ من الابتداء؛ لأن سلامهم بالجملة الفعلية، الدالة على التجدد، ورده بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستمرار، وبينهما فرق كبير كما هو معلوم في علم العربية.

السعدي

﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ﴾ في هذه الآية من أدب الضيف أن يعجل قراه، فيقدم الموجود الميسر في الحال، ثم يتبعه بغيره إن كان له جدة، ولا يتكلف ما يضر به ... قال مالك: ليس على أهل الحضر ضيافة. قال سحنون: إنما الضيافة على أهل القرى، وأما الحضر فالفندق ينزل فيه المسافر. القرطبي

* ذكر الطبري أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام لما قدم العجل قالوا: لا نأكل طعاما إلا بثمان، فقال لهم: «ثمنه أن تذكروا الله في أوله وتحمدوه في آخره»، فقال جبريل لأصحابه: بحق اتخذ الله هذا خليلاً. القرطبي

﴿فَلَمَّا رَأَوْا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ أنكر ذلك منهم ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أحس في نفسه خوفا لعدم أكلهم الطعام ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ﴾ ﴿٧٠﴾

﴿فَلَمَّا رَأَوْا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ السنة إذا قدم للضيف الطعام أن يبادر المقدم إليه بالأكل، فإن كرامة الضيف تعجيل التقديم، وكرامة صاحب المنزل المبادرة بالقبول، فلما قبضوا أيديهم نكرهم إبراهيم؛ لأنهم خرجوا عن العادة، وخالفوا السنة، وخاف أن يكون وراءهم مكروه يقصدونه ... ومن أدب الطعام أن لصاحب الضيف أن ينظر في ضيفه هل يأكل أم لا؟ وذلك ينبغي أن يكون بتلفت ومسارقة لا بتحديد النظر. القرطبي

﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ قال قتادة: وذلك أنهم كانوا إذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يأت بخير وإنما جاء بشر. البغوي

﴿وَأَمَرَأْتُهُ قَائِمَةً فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾ ﴿٧١﴾

﴿وَأَمَرَأْتُهُ قَائِمَةً فَضَحِكَتْ﴾ ضحكت، أي: حاضت في الوقت، تقول العرب: ضحكت الأرنب، أي: حاضت. والأكثر على أن المراد منه الضحك المعلوم المعروف. واختلفوا في سبب ضحكها، ف قيل: ضحكت لزوال الخوف عنها وعن إبراهيم حين قالوا: لا تخف ... وقال قتادة: ضحكت من غفلة قوم لوط

وقرب العذاب منهم.. إلخ البغوي

* قال أبو جعفر: وأولى الأقوال التي ذكرت في ذلك بالصواب قول من قال: معنى قوله: ﴿فَضَحَكْتَ﴾ فعجبت من غفلة قوم لوط عما قد أحاط بهم من عذاب الله وغفلتهم عنه. وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب، لأنه ذكر عقيب قولهم لإبراهيم: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾. فإذا كان ذلك كذلك، وكان لا وجه للضحك والتعجب من قولهم لإبراهيم: ﴿لَا تَخَفْ﴾، كان الضحك والتعجب إنما هو من أمر قوم لوط. الطبري

﴿ ٢٢٩ ﴾

﴿قَالَتْ يَوَيْلَیَّ﴾ كلمة تعجب ﴿ءَالِدٌ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ (٧٢)

﴿ءَالِدٌ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ قال ابن إسحاق: كانت سارة يوم بُشِّرَتْ بإسحاق فيما ذكر لي بعض أهل العلم ابنة تسعين سنة، وإبراهيم ابن عشرين ومائة سنة. الطبري

﴿قَالُوا أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾ محمود الصفات والأفعال ﴿مَجِيدٌ﴾ (٧٣) ﴿ذُو عِظَمَةٍ﴾ ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ الخوف أمن أن يكون قُصِدَ في نفسه وأهله بسوء ﴿وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ ﴿لِصَرَفِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ﴾ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ﴾ ﴿كَثِيرِ التَّضَرُّعِ﴾ ﴿مُنِيبٌ﴾ (٧٥) ﴿يَرْجِعْ لِرَبِّهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ﴾ ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَنَا لِلْعَذَابِ عَدَدٌ مِّمَّنْ دُونَ﴾ (٧٦)

الملائكة ولوط عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا﴾ ﴿سَاءَ مَجِئُهُمْ﴾ ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ (٧٧) ﴿خَافَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَوْمِهِ وَاغْتَمَ﴾ ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ ﴿شَدِيدٌ﴾ ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ﴾ ﴿يَسْرِعُونَ﴾ ﴿إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ ﴿قَالَ يَقَوْمُ هَتُولَاءُ﴾ ﴿بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ﴾ ﴿تَفْضَحُونَ﴾ ﴿فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ﴾

رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ

﴿ قَالَ يَقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ أي: من أضيافي، وهذا كما عرض سليمان ﷺ على المرأتين أن يشق الولد المختصم فيه؛ لاستخراج الحق، ولعلمه أن بناته ممتنع مناهن، ولا حق لهم فيهن. والمقصود الأعظم، دفع هذه الفاحشة الكبرى. السعدي.

قلت: وهو كقول مانع لغيره من ضرب شخص : (اضربني بدلاً منه) وهو يعلم أنه لن يتجرأ على ذلك.

* وقال سعيد بن جبير: يعني نساءهم هن بناته، وهو أب لهم، ويقال في بعض القراءات: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم. ابن كثير

﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ﴾ حاجة ورغبة ﴿ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ﴾ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ﴿ أَخْبَرُوهُ بِحَالِهِمْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبُهُمْ ﴾ ﴿ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ﴾ ﴿ بَسْءٌ ﴾ ﴿ فَأَسْرَفَ فَخَرَجَ ﴾ ﴿ بِأَهْلِكَ يَقِطْعُ مِنَ الْآئِلِ ﴾ ﴿ بَقِيَّةٌ مِنَ اللَّيْلِ ﴾ ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ ﴾ ﴿ أَيُّ لَا يَتَخَلَّفُ مِنْكُمْ أَحَدٌ ﴾ ﴿ إِلَّا أَمْرًا نَاكِحًا ﴾ ﴿ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ ﴿٨١﴾

﴿ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ﴾ قال جبريل بجناحه، فطمس أعينهم، فانطلقوا يتوعدون لوطا بمجيء الصبح، وأمر الملائكة لوطا أن يسري بأهله ﴿ يَقِطْعُ مِنَ الْآئِلِ ﴾ أي: بجانب منه قبل الفجر بكثير؛ لئلا يتمكنوا من البعد عن قريتهم. السعدي

﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ عن سعيد، قال: قال جبريل للوط: يا لوط، إنا مهلكو أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين، فقال لهم لوط: أهلكوهم الساعة! فقال له جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾. الطبري

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٨٢﴾ طِينٍ مُّتَصَلِبٍ ﴿٨٣﴾ مَّنْضُودٍ ﴿٨٤﴾﴾ صف بعضها إلى بعض متتابعة

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا﴾ قال قتادة: احتمل جبريل قريّات لوط الأربع، في كل قرية مائة ألف، فرفعهم على جناحه بين السماء والأرض، حتى سمع أهل السماء الدنيا أصوات ديكتهم، ثم قلبهم، فجعل الله عاليها سافلها. الطبري

﴿مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾ معلمة عند الله بعلامة معروفة لا تشبه علامات الأرض ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ ليست هذه الحجارة من الظالمين من قريش وغيرهم بعيدة، بل قرية متى قدر الله إنزالها عليهم نزلت

قصة شعيب عليه السلام وقومه

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَبْقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَقَوْمُ أَوفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴿٨٥﴾ بِالْعَدْلِ ﴿٨٦﴾ وَلَا تَبْخُسُوا ﴿٨٧﴾ تَنْقُصُوا ﴿٨٨﴾ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا ﴿٨٩﴾ تَسْعُوا ﴿٩٠﴾ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ بَقِيَتْ اللَّهُ ﴿٩٢﴾ مَا بَقِيَ لَكُمْ بَعْدَ إِيفَاءِ الْكِيلِ وَالْمِيزَانِ مِنَ الرِّبْحِ الْحَلَالِ ﴿٩٣﴾ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٩٤﴾ رَقِيبٌ أَحْصَى أَعْمَالَكُمْ ﴿٩٥﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ أَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٩٦﴾ قَالَ يَبْقَوْمُ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَنْهُ ﴿٩٧﴾ لَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُمْ مِنَ الشَّرِكِ وَالْتَطْفِيفِ وَأَفْعَلَهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٩٨﴾﴾

﴿إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ لما كان هذا فيه نوع تزكية للنفس، دفع هذا بقوله: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ أي: وما يحصل لي من التوفيق لفعل الخير،

والانفكاك عن الشر إلا بالله تعالى، لا بحولي ولا بقوتي. السعدي. «ت».

﴿ ٢٣١ ﴾

﴿وَنَقَوْمٍ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي﴾ لا تحملنكم عداوتي على التكذيب لأنني أخاف عليكم
 ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ
 مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ ٨٩ ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ
 ٩٠﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴿لست من
 الرؤساء﴾ وَلَوْلَا رَهْطُكَ ﴿عشيرتك﴾ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ ﴿٩١﴾
 بصاحب قدرة ومنزلة ﴿قَالَ يَنْقَوْمٍ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ
 وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا﴾ جعلتم أوامره خلف ظهوركم ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ
 ٩٢﴾ وَنَقَوْمٍ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ ﴿طريقتكم وحالتكم﴾ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ
 تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ
 رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ
 الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ﴿وهي أحد أنواع العذاب التي حلت بهم﴾ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ
 جَثَمِينَ ﴿٩٤﴾ ساقطين على وجوههم ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا﴾ يقيموا ﴿فِيهَا إِلَّا بَعْدًا﴾
 هلاكًا وإبعادًا ﴿لَمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ﴾ ٩٥

﴿إِلَّا بَعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ﴾ في قصته من الفوائد والعبر شيء كثير.

منها: أن الكفار، كما يعاقبون، ويخاطبون، بأصل الإسلام، فذلك بشرائعه
 وفروعه، لأن شعبيًا دعا قومه إلى التوحيد، وإلى إيفاء المكيال والميزان، وجعل
 الوعيد، مرتبا على مجموع ذلك ... ومنها: أن على العبد أن يقنع بما آتاه الله،
 ويقنع بالحلال عن الحرام، وبالمكاسب المباحة عن المكاسب المحرمة، وأن ذلك
 خير له لقوله: ﴿بَقِيَتْ لِلَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ففي ذلك، من البركة، وزيادة الرزق ما
 ليس في التكالب على الأسباب المحرمة من المحق، وضد البركة ...

ومنها: أن الصلاة، لم تزل مشروعة للأنبياء المتقدمين، وأنها من أفضل الأعمال،
 حتى إنه متقرر عند الكفار فضلها، وتقديمها على سائر الأعمال، وأنها تنهى

عن الفحشاء والمنكر، وهي ميزان للإيمان وشرائعه، فبإقامتها تكمل أحوال العبد، وبعدم إقامتها تختل أحواله الدينية...

ومنها: أن من تكملة دعوة الداعي وتمامها أن يكون أول مبادر لما يأمر غيره به، وأول منته عما ينهى غيره عنه، كما قال شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ﴾ ولقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ [الصف: ٢-٣].

السعدي

﴿لَا بَعْدَ لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ﴾ من الفوائد والعبر في قصة شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ : أن من قام بما يقدر عليه من الإصلاح لم يكن ملوما ولا مذموما في عدم فعله ما لا يقدر عليه، فعلى العبد أن يقيم من الإصلاح في نفسه وفي غيره ما يقدر عليه. ومنها أن الله يدفع عن المؤمنين بأسباب كثيرة قد يعلمون بعضها، وقد لا يعلمون شيئا منها، وربما دفع عنهم بسبب قبيلتهم، أو أهل وطنهم الكفار، كما دفع الله عن شعيب رجم قومه بسبب رهطه، وأن هذه الروابط التي يحصل بها الدفع عن الإسلام والمسلمين لا بأس بالسعي فيها بل ربما تعين ذلك؛ لأن الإصلاح مطلوب على حسب القدرة والإمكان، فعلى هذا لو ساعد المسلمون الذين تحت ولاية الكفار وعملوا على جعل الولاية جمهورية يتمكن فيها الأفراد والشعوب من حقوقهم الدينية والدنيوية لكان أولى من استسلامهم لدولة تقضي على حقوقهم الدينية والدنيوية، وتحرص على إبادتهم وجعلهم عملةً وخدمًا لهم، نعم إن أمكن أن تكون الدولة للمسلمين، وهم الحكام؛ فهو المتعين، ولكن لعدم إمكان هذه المرتبة فالمرتبة التي فيها دفع ووقاية للدين والدنيا مقدمة والله أعلم. ينظر السعدي

شيء من قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٩٦﴾ **حجة تظهر لمن عاينها** ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ ﴿٩٧﴾

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ﴾ **يقودهم** ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ﴾ **أدخلهم** ﴿النَّارَ وَبِئْسَ

الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ ﴿٩٨﴾ **المكان الذي يوردهم إليه** ﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ

الْقِيَمَةِ يَبْئُسُ الرَّفْدُ﴾ **العطاء** ﴿الْمَرْفُودُ﴾ ﴿٩٩﴾ **المعطى لهم**

الحكمة من ذكر القصص

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ﴾ **آثاره باقية** ﴿وَحَصِيدٌ﴾ ﴿١٠٠﴾

﴿**محصول** قد حيت آثاره ولم يبق منه شيء﴾ **وما ظلمتهم ولكن ظلموا أنفسهم فما**

أغنت ﴿**نفعت**﴾ **عنهم** **إلهتهم** **التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر**

ربك وما زادوهم غير تنبيء ﴿١٠١﴾ **تدمير وإهلاك وخسران** ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ

إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ ﴿١٠٢﴾

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ **عن أبي**

موسى رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم

يفلته» قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ

شَدِيدٌ﴾. البخاري

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ **لعبرة** ﴿لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ

وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ ﴿١٠٣﴾ **يشهده الله وملائكته، وجميع المخلوقين** ﴿وَمَا تُؤَخِّرُهُ

إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾ ﴿١٠٤﴾

حال الناس في الآخرة

﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ ﴿١٠٥﴾ **فأما الذين شقوا**

ففي النار لهم فيها زفير وشهيق ﴿١٠٦﴾ **أصوات شنيعة تخرج مع النفس**

﴿**فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق**﴾ **قال ابن عباس رضى الله عنهما:**

الزفير الصوت الشديد، والشهيق الصوت الضعيف ... وقال أبو العالية:

الزفير في الحلق والشهيق في الصدر. البغوي

*** وقيل: الزفير: إخراج النفس، والشهيق: رد النفس. الشوكاني**

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ (١٠٧)

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ العرب إذا أرادت أن تصف الشيء بالدوام أبدًا قالت: هذا دائم دوام السموات والأرض، بمعنى أنه دائم أبدًا، وكذلك يقولون: (هو باقٍ ما اختلف الليل والنهار). و (ما سمر ابنا سَمِير)، و (ما لأت العَفْرُ بأذناها) يعنون بذلك كله (أبدًا). فخطابهم جل ثناؤه بما يتعارفون به بينهم فقال: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾، والمعنى في ذلك: خالدین فیها أبدًا. الطبري

﴿ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ اختلف أهل العلم والتأويل في معنى ذلك ... وأولى هذه الأقوال في تأويل هذه الآية بالصواب، القول الذي ذكرنا عن قتادة والضحاك: من أن ذلك استثناء في أهل التوحيد من أهل الكبائر أنه يدخلهم النار ... لأن الله جل ثناؤه أوعد أهل الشرك به الخلود في النار، وتظاهرت بذلك الأخبار عن رسول الله ﷺ، فغير جائز أن يكون استثناء في أهل الشرك، وأن الأخبار قد تواترت عن رسول الله ﷺ أن الله يدخل قومًا من أهل الإيمان به بذنوب أصابوها النار، ثم يخرجهم منها فيدخلهم الجنة، فغير جائز أن يكون ذلك استثناء في أهل التوحيد قبل دُخُولها، مع صحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بما ذكرنا. الطبري

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ أن يخرج من النار من عصاة المؤمنين ﴿ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوزٍ ﴾ (١٠٨) مقطوع

الشرك عنوان الضلالة

﴿ فَلَا تَكُ ﴾ تكن ﴿ فِي مِرْيَةٍ ﴾ شك ﴿ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ ﴾ نصيبهم ﴿ حظهم من العذاب ﴾ غير منقوص ﴿ ١٠٩ ﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْتَلَفَ فِيهِ ﴿ فآمن البعض وكفر البعض ﴾ وَلَوْلَا

كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ ﴿١٠٩﴾ بِتَأخِيرِ الْعَذَابِ ﴿١١٠﴾ لِقَضَىٰ بَيْنَهُمْ ﴿١١١﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿١١٢﴾ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٣﴾ ﴿١١٤﴾ مَوْعِدٍ فِي الرِّبَا وَقَلْقِ النَّفْسِ ﴿١١٥﴾ وَإِنْ كَلَّا لَمَا يُؤْفَيْنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١٦﴾

وصايا للمؤمنين

﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ لا تتجاوزوا ما حد الله لكم ولا تغلوا في دينكم ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿١١٦﴾

﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ﴾ قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ما نزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشد عليه من هذه الآية، ولذلك قال: «شيتني هود وأخواتها». البغوي ﴿وَلَا تَرْكَنُوا﴾ لا تميلوا ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ ﴿١١٣﴾

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كل من أمره ابتداء أن يدخل في شيء من الأعمال التي أمرها إليهم مما لم يكن من معصية الله كالمناصب الدينية ونحوها إذا وثق من نفسه بالقيام بما وكل إليه، فذلك واجب عليه فضلا عن أن يقال: جائز له، وأما ما ورد من النهي عن الدخول في الإمارة: فذلك مقيد بعدم وقوع الأمر ممن تجب طاعته من الأئمة والسلاطين والأمراء، جمعا بين الأدلة، أو مع ضعف المأمور عن القيام بما أمر به، كما ورد تعليل النهي عن الدخول في الإمارة بذلك في بعض الأحاديث الصحيحة، وأما مخالطتهم والدخول عليهم لجلب مصلحة عامة أو خاصة، أو دفع مفسدة عامة أو خاصة مع كراهة ما هم عليه من الظلم، وعدم ميل النفس إليهم، ومحبتها لهم، وكراهة المواصلات لهم لولا جلب تلك المصلحة، أو دفع تلك المفسدة، فعلى فرض صدق مسمى الركون على هذا، فهو مخصص بالأدلة على مشروعية جلب المصالح ودفع المفاسد، والأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، ولا تخفى على الله خافية، وبالجملة فمن ابتلي بمخالطة من فيه ظلم، فعليه أن يزن أقواله وأفعاله، وما يأتي وما يذر بميزان الشرع، فإن زاغ عن ذلك «فعلى نفسها براقش تجني» ...

وقال النيسابوري في تفسيره: قال المحققون: الركون المنهي عنه هو الرضا بما عليه الظلمة، أو تحسين الطريقة وتزيينها عند غيرهم، ومشاركتهم في شيء من تلك الأبواب، فأما مداخلتهم لرفع ضرر واجتلاب منفعة عاجلة، فغير داخلية في الركون. الشوكاني

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا ﴾ **ساعات** ﴿ مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَتِ يُذْهِبَنَّ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ (١١٤)

﴿ إِنَّ الْحَسَنَتِ يُذْهِبَنَّ السَّيِّئَاتِ ﴾ جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إني عاجلت امرأة في أقصى المدينة، وإني أصبت منها ما دون أن أمسها، فأنا هذا، فاقض في ما شئت، فقال له عمر: لقد سترك الله، لو سترت نفسك، قال: فلم يرد النبي ﷺ شيئاً، فقام الرجل فانطلق، فأتبعه النبي ﷺ رجلاً دعاه، وتلا عليه هذه الآية: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَتِ يُذْهِبَنَّ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ فقال رجل من القوم: يا نبي الله هذا له خاصة؟ قال: «بل للناس كافة». مسلم

﴿ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١١٥) ﴿ فَلَوْلَا ﴾ **هلا** ﴿ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ **الأمم الماضية** ﴿ أُولَؤُلَا بَقِيَّةٍ ﴾ **بقايا من أهل الخير والصلاح** ﴿ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ **لم يكن إلا القليل منهم ينهون عن الفساد؛ فأنجاهم الله، أما البقية المهلكين فإنهم** ﴿ وَأَتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ ﴾ **متعوا من لذات الدنيا** ﴿ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (١١٦) ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ (١١٧)

من حكم الاختلاف، والحكمة من القصص

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ **جماعة واحدة على دين الإسلام** ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ (١١٨)

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ اقتضت حكمته، أنه

خلقهم؛ ليكون منهم السعداء والأشقياء، والمتفقون والمختلفون، والفريق الذين هدى الله، والفريق الذين حقت عليهم الضلالة؛ ليتبين للعباد، عدله وحكمته، وليظهر ما كمن في الطباع البشرية من الخير والشر، ولتقوم سوق الجهاد والعبادات التي لا تتم ولا تستقيم إلا بالامتحان والابتلاء. السعدي

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ **فإنهم لا يختلفون في التوحيد** ﴿وَلَذَلِكَ﴾ **الاختبار بالاختلاف** ﴿خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١١٩) **وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَشِئْتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ** (١٢٠) **وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ** **حالتكم** **وطريقتكم في الإعراض** ﴿إِنَّا عَمِلُونَ﴾ (١٢١) **في الثبات على التوحيد والدعوة إليه** **وَأَنْظُرُوا** **ما ينزل بنا** ﴿إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ (١٢٢) **ما ينزل بكم** **وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** (١٢٣)

سورة يوسف

سورة يوسف، سورة مكية، فيها قصة يوسف عليه السلام -التي يستفاد منها أن التمكين عادة يكون بعد الابتلاء- وفي ذلك تثبيت ووعد للنبي ﷺ وللمؤمنين، حيث نزلت قبل الهجرة وقت ضعف المسلمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رؤيا يوسف عليه السلام

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (١) **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** (٢) **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ** (٣) **لا تدري عن قصص السابقين شيئاً**

﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ قال بعض المفسرين: واختلف العلماء لم سميت هذه السورة أحسن القصص من بين سائر الأَقاصيص؟ ف قيل: لأنه ليست قصة في القرآن تتضمن من العبر والحكم ما تتضمن هذه القصة، وبيانه قوله في آخرها:

﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: ١١١]. وقيل: سماها أحسن القصص؛ لحسن مجاوزة يوسف عن إخوته، وصبره على أذاهم، وعفوه عنهم - بعد الالتقاء بهم - عن ذكر ما تعاطوه، وكرمه في العفو عنهم، حتى قال: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾ [يوسف: ٩٢]. وقيل: لأن فيها ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين، والجن والإنس والأنعام والطير، وسير الملوك والممالك، والتجار والعلماء والجهال، والرجال والنساء وحيلهن ومكرهن، وفيها ذكر التوحيد والفقه والسير وتعبير الرؤيا، والسياسة والمعاشرة وتدبير المعاش، وجمل الفوائد التي تصلح للدين والدنيا.. إلخ.

* قيل: المعنى نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص، كما يقال: نكلمك أحسن التكليم، ونبين لك أحسن البيان. قال الزجاج: نحن نبين لك أحسن البيان... وبعض الناس ظنوا أن المراد أحسن القصص بالكسر، وأن تلك القصة قصة يوسف، وذكر هذا طائفة من المفسرين... وليس المراد بقوله: ﴿ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ قصة يوسف وحدها، بل هي مما قصه الله ومما يدخل في أحسن القصص... فقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ يتناول كل ما قصه في كتابه، فهو أحسن مما لم يقصه، ليس المراد أن قصة يوسف أحسن ما قص في القرآن. ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية.

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾

﴿ إِنِّي رَأَيْتُ ﴾ قيل لمالك: أيعبر الرؤيا كل أحد؟ فقال: أبالنبوة يلعب؟ وقال مالك: لا يعبر الرؤيا إلا من يحسنها، فإن رأى خيرا أخبر به، وإن رأى مكروها فليقل خيرا أو ليصمت، قيل: فهل يعبرها على الخير وهي عنده على المكروه لقول من قال إنها على ما تأولت عليه؟ فقال: لا! ثم قال: الرؤيا جزء من النبوة، فلا يتلاعب بالنبوة. القرطبي

* روى البخاري عن أبي سلمة قال: لقد كنت أرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت أبا قتادة يقول: وأنا كنت لأرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت رسول

الله ﷻ يقول: «الرؤيا الحسنة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره؛ فليتعوذ بالله من شرها، وليتفل ثلاث مرات، ولا يحدث بها أحدا فإنها لن تضره». قال علماؤنا: فجعل الله الاستعاذة منها مما يرفع أذاها، ألا ترى قول أبي قتادة: إني كنت لأرى الرؤيا هي أثقل علي من الجبل، فلما سمعت بهذا الحديث كنت لا أعدها شيئا. القرطبي

﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ إذا أراد الله أمرا من الأمور العظام قدم بين يديه مقدمة؛ توطئة له، وتسهيلا لأمره، واستعدادا لما يرد على العبد من المشاق، لطفا بعبد، وإحسانا إليه، فأولها يعقوب بأن الشمس: أمه، والقمر: أبوه، والكواكب: إخوته، وأنه ستنتقل به الأحوال إلى أن يصير إلى حال يخضعون له، ويسجدون له إكراما وإعظاما، وأن ذلك لا يكون إلا بأسباب تتقدمه من اجتناء الله له، واصطفائه له، وإتمام نعمته عليه بالعلم والعمل، والتمكين في الأرض. وأن هذه النعمة ستشمل آل يعقوب، الذين سجدوا له وصاروا تبعاء له فيها. السعدي

﴿ ٢٣٥ ﴾

﴿قَالَ يَبْنَى لَا نَقْصُصَ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾

﴿لَا نَقْصُصَ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ﴾ قال السدي: نزل يعقوب الشام، فكان همهم يوسف وأخاه، فحسده إخوته لما رأوا حب أبيه له. الطبري

﴿لَا نَقْصُصَ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ في هذه الآية دليل على أن مباحا أن يحذر المسلم أخاه المسلم ممن يخافه عليه، ولا يكون داخلا في معنى الغيبة. القرطبي

﴿إِخْوَتِكَ﴾ فُسر الأسباط بأنهم أولاد يعقوب، والصواب أنه ليس المراد بهم أولاده لصلبه، بل ذريته، كما يقال فيهم أيضا: (بنو إسرائيل)، وكان في ذريته الأنبياء، فالأسباط من بني إسرائيل، كالقبائل من بني إسماعيل. ابن تيمية في جامع المسائل

﴿وَكَذَلِكَ يَجْئِيكَ﴾ **بصطفيك** ﴿رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾

يوسف عليه السلام وإخوته

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِلْسَّائِلِينَ ﴿٧﴾﴾

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِلْسَّائِلِينَ﴾ قال ابن عطاء: لا يسمع سورة يوسف عليه السلام محزون إلا استراح لها. البغوي

﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ **شقيقه بنيامين** ﴿أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ **جماعة ذو عدد** ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ﴾ **خطأ** ﴿مُبِينٍ ﴿٨﴾﴾ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ **يخلص لكم فيحبكم حباً كاملاً** ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ **جوف البئر** ﴿يَلْقَظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ **المارة من المسافرين** ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ هذا القائل أحسنهم رأياً في يوسف، وأبرهم، وأتقاهم في هذه القضية، فإن بعض الشر أهون من بعض، والضرر الخفيف يدفع به الضرر الثقيل. السعدي

كيد إخوة يوسف عليه السلام

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ ﴿١١﴾﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَزْتَعْ﴾ **يأكل ما لذ وطاب** ﴿وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ **لا يصبر على فراقه** ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾﴾ قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ **جماعة قوية** ﴿إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا﴾ **عزموا وصمموا** ﴿أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا

إِلَيْهِ لَتُبَيِّنَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴿بك حال إخبارك لهم

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُبَيِّنَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فيه بشارة له، بأنه سينجو مما وقع فيه، وأن الله سيجمعه بأهله وإخوته على وجه العز والتمكين له في الأرض. السعدي

﴿وَجَاءُوا آبَاءَهُمْ عِشَاءَ يَبْكُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَجَاءُوا آبَاءَهُمْ عِشَاءَ يَبْكُونَ﴾ ذلك ليكون إتيانهم متأخرا عن عادتهم، وبكاؤهم دليلا لهم، وقرينة على صدقهم. السعدي
﴿وَجَاءُوا آبَاءَهُمْ عِشَاءَ يَبْكُونَ﴾ اختيار الليل للاعتذار دون النهار؛ لأن العين تستحي من العين كما يقال، وكما قيل:

كيف يرجو الحياء منه صديق

ومكان الحياء منه خراب

يريد عينيه لا تبصران. الجزائري

﴿قَالُوا يَتَابَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ **تسابق في الجري والرمي بالسهم** ﴿وَتَرَكَنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ **بمصدق** ﴿لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ أي: والظاهر أنك لا تصدقنا لما في قلبك من الحزن على يوسف، والرقعة الشديدة عليه. ولكن عدم تصديقك إيانا، لا يمنعنا أن نعتذر بالعدر الحقيقي، وكل هذا، تأكيد لعذرهم. ومما أكدوا به قولهم، أنهم ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَيْصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ زعموا أنه دم يوسف حين أكله الذئب، فلم يصدقهم أبوهم بذلك، و﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمُ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ أي: زينت لكم أنفسكم أمرا قبيحا في التفريق بيني وبينه؛ لأنه رأى من القرائن والأحوال، ومن رؤيا يوسف التي قصّها عليه ما دلّه على ما قال. السعدي

﴿وَجَاءُوا عَلَى قَيْصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمُ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ قال الحسن : لما جاء إخوة يوسف بقميصه إلى أبيهم، قال: جعل يقلبه ويقول: ما عهدت الذئب حليماً؟ أكل ابني، وأبقى على قميصه! الطبري

﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ الذنب الواحد يستتبع ذنوباً متعددة، ولا يتم لفاعله إلا بعدة جرائم، فإخوة يوسف لما أرادوا التفريق بينه وبين أبيه، احتالوا لذلك بأنواع من الخيل، وكذبوا عدة مرات، وزوروا على أبيهم في القميص والدم الذي فيه، وفي إتيانهم عشاء يكون، ولا تستبعد أنه قد كثر البحث فيها في تلك المدة، بل لعل ذلك اتصل إلى أن اجتمعوا بيوسف، وكلما صار البحث، حصل من الإخبار بالكذب، والافتراء. السعدي. «ت».

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ قال مجاهد: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أي: ليس فيه جزع. الطبري

يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد أن وضع في البئر

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ جماعة من المسافرين ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ من يتقدمهم لصب الماء ﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾ أرسلها في البئر ليملأها بالماء ﴿قَالَ يَبْشُرِي هَذَا غُلْمٌ وَأَسْرُوهُ يَضَعَةٌ﴾ لما علم إخوته أتوا وكتبوا ذكر أنه أخوهم؛ ليعبوه، وسكت يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ خوفاً من إخوته ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٩﴾

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾ قال قتادة: لما أدلى المدلي دلوه تعلق بها يوسف فقال: يا بشرى هذا غلام، بشر أصحابه بأنه وجد عبداً. ينظر: تفسير القرطبي

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٩﴾ وهذا، وإن كان خبراً من الله تعالى ذكره عن يوسف نبيه صلى الله عليه وسلم، فإنه تذكير من الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم، وتسليية منه له عما كان يلقي من أقربائه وأنسابه المشركين من الأذى فيه، يقول: فاصبر، يا محمد، على ما نالك في الله، فإنني قادرٌ على تغيير ما ينالك به هؤلاء المشركون، كما كنت قادراً على تغيير ما لقي يوسف من إخوته في حال ما كانوا يفعلون به ما فعلوا، ولم يكن تركي ذلك لهوان يوسف عليّ، ولكن لماضي علمي فيه وفي إخوته، فكَذلك تركي تغيير ما ينالك به هؤلاء

المشركون لغير هوان بك عليّ، ولكن لسابق علمي فيك وفيهم، ثم يصير أمرُك وأمرهم إلى علوّك عليهم، وإذعانهم لك، كما صار أمر إخوة يوسف إلى الإذعان ليوسف بالسؤدد عليهم، وعلوّ يوسف عليهم تفسير الطبرى

﴿ وَشَرَّوْهُ ﴾ **باعه إخوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ** ﴿بِثْمَنٍ بَخْسٍ﴾ **قليل** ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ﴿مقامه﴾ ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَخْذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ﴿متهى قوته في شبابه﴾ ﴿ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٢٢﴾

﴿ ٢٣٧ ﴾

يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وامرأة العزيز

﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ **دعته إلى نفسها برفق ولين** ﴿وَعَلَّقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ **هلم إلى** ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي﴾ **سيدي** ﴿أَحْسَنَ مَثْوًى﴾ **منزلي** ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٢٣﴾

﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ هذه المحنة العظيمة أعظم على يوسف من محنة إخوته، وصبره عليها أعظم أجراً، لأنه صبر اختيار مع وجود الدواعي الكثيرة لوقوع الفعل، فقدم محبة الله عليها، وأما محتته بإخوته، فصبره صبر اضطرار، بمنزلة الأمراض والمكاهرة التي تصيب العبد بغير اختياره، وليس له ملجأ إلا الصبر عليها، طائعا أو كاره. السعدي

﴿وَعَلَّقَتْ الْأَبْوَابَ﴾ فهما أمان من دخول أحد عليهما، بسبب تغليق الأبواب، وقد دعته إلى نفسها ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ أي: افعل الأمر المكروه وأقبل إليّ، ومع هذا فهو غريب، لا يحتشم مثله ما يحتشمه إذا كان في وطنه وبين معارفه، وهو أسير تحت يدها، وهي سيدته، وفيها من الجمال ما يدعو إلى ما هنالك، وهو شاب عزب، وقد توعدته إن لم يفعل ما تأمره به بالسجن، أو

العذاب الأليم. فصبر عن معصية الله ... والحاصل أنه جعل الموانع له من هذا الفعل تقوى الله، ومراعاة حق سيده الذي أكرمه، وصيانة نفسه عن الظلم الذي لا يفلح من تعاطاه ... والجامع لذلك كله أن الله صرف عنه السوء والفحشاء، لأنه من عباده المخلصين له في عباداتهم. السعدي

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ﴾ مالت نفسها لفعل الفاحشة ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ خطر بقلبه إجابتها ﴿لَوْلَا أَن رَّءَا بُرْهَانَ رَبِّهٖ﴾ آية من الله زجرته عن هذا الخاطر ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿٢٤﴾ الذين أخلصوا في عبادتهم

﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة، فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعمل، فإذا عملها، فأنا أكتبها بعشر أمثالها، وإذا تحدث بأن يعمل سيئة، فأنا أغفرها له ما لم يعملها، فإذا عملها، فأنا أكتبها له بمثلها» وقال رسول الله ﷺ: «قالت الملائكة: رب، ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة، وهو أبصر به، فقال: ارقبوه فإن عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة، إنها تركها من جراي» مسلم.

﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ أسرعاً للباب يريد الخروج وهي تمنعه ﴿وَقَدَّتْ﴾ شقت ﴿قَيْصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا﴾ وجدا ﴿سَيِّدَهَا﴾ زوجها ﴿لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٢٥﴾

﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ ينبغي للعبد إذا رأى محلا فيه فتنة وأسباب معصية، أن يفر منه ويهرب غاية ما يمكنه، ليتمكن من التخلص من المعصية؛ لأن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لما راودته التي هو في بيتها - فر هاربا، يطلب الباب ليتخلص من شرها. السعدي

﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾ أي: وجدا العزيز هنالك، وعنى بالسيد الزوج؛ لأن القبط يسمون الزوج سييدا، وإنما لم يقل سيدهما؛ لأن ملكه ليوسف لم يكن

صحيحاً فلم يكن سيداً له. الشوكاني

﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ لم تقل: (من فعل بأهلك سوءاً) تبرئة لها، وتبرئة له أيضاً من الفعل. السعدى

﴿قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدِّمَ مِن قَبْلِ﴾ شق من الأمام ﴿فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾ ﴿٢٦﴾

﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدِّمَ مِن قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾ لأن ذلك يدل على أنه هو المقبل عليها، المارود لها المعالج، وأنها أرادت أن تدفعه عنها، فشقت قميصه من هذا الجانب. ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدِّمَ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ لأن ذلك يدل على هروبه منها، وأنها هي التي طلبته فشقت قميصه من هذا الجانب ... ومنها: أن القرائن يعمل بها عند الاشتباه، فلو تخاصم رجل وامرأته في شيء من أواني الدار، فما يصلح للرجل فإنه للرجل، وما يصلح للمرأة فهو لها، إذا لم يكن بينة. السعدى

﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدِّمَ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدِّمَ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ثم قال الزوج: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ الآمين

النسوة وحديثهم عن يوسف عليه السلام

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ بلغ الحب منها شغاف قلبها (وهو غلافه) ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٣٠﴾

﴿ ٢٣٨ ﴾

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا﴾ ما يتكى عليه من الوسائد ﴿وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ لتقطيع الطعام ﴿وَقَالَتِ آخُذْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ جَرَحَهُنَّ﴾ جرحن أيديهن ﴿وَهُنَّ يَحْسِبْنَ أَنَّهُنَّ يَاقُوتُ الذَّهَبِ﴾ ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ تنزيها لله ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٣١﴾

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ كان هذا القول منهن مكرًا، ليس المقصود به مجرد اللوم لها والقدح فيها، وإنما أردن أن يتوصلن بهذا الكلام إلى رؤية يوسف الذي فتنت به امرأة العزيز لتحقق امرأة العزيز، وتريهن إياه ؛ ليعذرنها، ولهذا سماه مكرًا، فقال: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾. السعدي

﴿وَوَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ كان في جملة ما أتت به وأحضرتة في تلك الضيافة، طعام يحتاج إلى سكين، إما أترج، أو غيره، ﴿وَوَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ ليقطعن فيها ذلك الطعام. السعدي

﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ قال مجاهد: حزا بالسكين، قال النحاس: يريد مجاهد أنه ليس قطعًا تبين منه اليد، إنما هو خدش وحز، وذلك معروف في اللغة أن يقال: إذا خدش الإنسان يد صاحبه قطع يده. القرطبي

﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لَيَسْجَنَ لَّيَكُونَ مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿فحشنته على الإجابة فكان رده﴾ قال ﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿أميل إليهن﴾ ﴿وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٣٣﴾

﴿فَاسْتَعْصَمَ﴾ الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها وهذا بيان جلي على أن يوسف عليه السلام بريء مما فسر به أولئك الفريق الهم والبرهان. تفسير النسفي

﴿قَالَ رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ هذا يدل على أن النسوة جعلن يشرن على يوسف في مطاوعة سيده، وجعلن يكدنه في ذلك، فاستحب السجن والعذاب الدنيوي على لذة حاضرة توجب العذاب الشديد. السعدي

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٣٤﴾

يوسف عليه السلام في السجن

﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿الأدلة على براءته﴾ ﴿لَيَسْجُنَنَّهُ فَحَىٰ حِينٍ﴾

﴿لَيْسَ جُنَّتُهُ حَتَّىٰ حِينَ﴾ لينقطع بذلك الخبر ويتناساه الناس، فإن الشيء إذا شاع لم يزل يذكر ويشاع مع وجود أسبابه، فإذا عدمت أسبابه نسي، فرأوا أن هذا مصلحة لهم، فأدخلوه في السجن. السعدي

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرْنِي آعَصِرُ خَمْراً﴾ **أعصر عبناً ليصير خمراً** ﴿وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ **بتفسيره** ﴿إِنَّا نُرَدِّكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ **من حسن أخلاقه وعبادته في السجن** ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُزْقَاهُ إِلَّا نَبَاتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ **٣٧**

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُزْقَاهُ إِلَّا نَبَاتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾ أي: فلتطمئن قلوبكما، فإني سأبادر إلى تعبير رؤياكما، فلا يأتكما غداؤكما أو عشاؤكما أول ما يجيء إليكما إلا نباتكما بتأويله قبل أن يأتكما. ولعل يوسف -عليه الصلاة والسلام- قصد أن يدعوها إلى الإيمان في هذه الحال التي بدت حاجتهما إليه، ليكون أنجع لدعوته، وأقبل لهما. السعدي

﴿ ٢٣٩ ﴾

يوسف عليه السلام يدعو إلى الله في السجن، وتعبير رؤيا الرجلين

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ **٣٨** ﴿يَصْحَبِي السَّجْنَ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ﴾ **أعبادة آلهة شتى؟** ﴿خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ **٣٩** ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مِمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ **حجة وبرهان** ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ **٤٠** ﴿يَصْحَبِي السَّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ **٤١**

﴿يَصْحَبِي السِّجْنُ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ أي: سيطلق سراحه ويعود إلى عمله عند الملك فيسقيه الخمر كما كان يسقيه من قبل، وأما الآخر وهو طباح الملك المتهم بأنه أراد أن يضع في طعام الملك السم ليقته؛ فيصلب فتأكل الطير من رأسه بعد صلبه. الجزائري

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ سيدك وهو الملك فأخبره أنا مظلوم ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ أنسى الشيطان الساقى ذكر يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ عند الملك ﴿فَلَيْثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ ﴿٤٢﴾

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ من الفوائد: أن من وقع في مكروه وشدة، لا بأس أن يستعين بمن له قدرة على تخليصه، أو الإخبار بحاله، وأن هذا لا يكون شكوى للمخلوق، فإن هذا من الأمور العادية التي جرى العرف باستعانة الناس بعضهم ببعض، ولهذا قال يوسف للذي ظن أنه ناج من الفتين: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾. السعدي

رؤيا الملك

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ ضعيفات هزيلات ﴿وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ أي: يأكل اليابسات الخضر ﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونًا فِي رُءْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ تفسرون ﴿٤٣﴾

﴿قَالُوا أَضْغَتْ﴾ أخلاط ﴿أَحْلَمَ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٤﴾

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ هذا أيضا من لطف الله بيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ. فإنه لو عبرها ابتداء - قبل أن يعرضها على الملأ من قومه وعلمائهم، فيعجزوا عنها - لم يكن لها ذلك الموقع، ولكن لما عرضها عليهم فعجزوا عن الجواب، وكان الملك مهتما لها غاية الاهتمام، فعبرها يوسف - وقعت عندهم موقعا عظيما، وهذا نظير إظهار الله فضل آدم على الملائكة بالعلم، بعد أن سألهم فلم يعلموا،

ثم سأل آدم، فعلمهم أسماء كل شيء، فحصل بذلك زيادة فضله، وكما يظهر فضل أفضل خلقه محمد ﷺ في القيامة، أن يلهم الله الخلق أن يتشفعوا بآدم، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى عليه السلام، فيعتذرون عنها، ثم يأتون محمدا ﷺ فيقول: «أنا لها أنا لها» فيشفع في جميع الخلق، وينال ذلك المقام المحمود، الذي يغطه به الأولون والآخرين. فسبحان من خفيت ألطافه، ودقت في إيصاله البر والإحسان، إلى خواص أصفياه وأوليائه. السعدي

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ﴾ تذكر ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ مدة من الزمن ﴿أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ ٤٥ ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ وفيها احترام المسؤول ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ٤٦ ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا﴾ متتابعة وأنتم دائبون ﴿جَادُونَ﴾ ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ﴾ ٤٧

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ﴾ ذكر له يوسف عليه السلام تعبيرها من غير تعنيف لذلك الفتى في نسيانه ما وصاه به، ومن غير اشتراط للخروج قبل ذلك. ابن كثير

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾ ٤٨ ﴿تَحْفَظُونَ وَتَدْخِرُونَ﴾

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾ ينبغي للمسئول أن يدل السائل على أمر ينفعه مما يتعلق بسؤاله، ويرشده إلى الطريق التي ينتفع بها في دينه ودنياه، فإن هذا من كمال نصحه وفطنته، وحسن إرشاده، فإن يوسف عليه السلام لم يقتصر على تعبير رؤيا الملك، بل دلهم - مع ذلك - على ما يصنعون في تلك السنين المخصبات من كثرة الزرع، وكثرة جبايته. السعدي

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصِرُونَ﴾ ٤٩ ﴿يعصرون الثمار﴾ لكثرة الخصب

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصِرُونَ﴾ لعل استدلاله على وجود هذا العام الخصب، مع أنه غير مصرح به في رؤيا الملك؛ لأنه فهم من التقدير

بالسبع الشداد، أن العام الذي يليها يزول به شدتها. ومن المعلوم أنه لا يزول الجذب المستمر سبع سنين متواليات، إلا بعام مخصب جدًا، وإلا لما كان للتقدير فائدة، السعدي

براءة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلْهُ ۚ لَتُظْهِرَ بَرَاءَتَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ وَتَذْهَبَ عَنْهُ الْمَلَامَةُ ۚ ﴿٥٠﴾ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۖ﴾

﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «لو كنت أنا لأسرعت الإجابة، وما ابتغيت العذر». ابن كثير. قلت الحديث عند أحمد وأصله في الصحيحين.

﴿مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ ذكر السؤال عن تقطيع الأيدي، ولم يذكر مراودتهن له، تنزها منه عن نسبة ذلك إليهن، ولذلك لم ينسب المراودة فيها تقدم إلى امرأة العزيز إلا بعد أن رمت بدائها وانسلت. وقد اكتفى هنا بالإشارة الإجمالية بقوله: إن ربي بكيدهن عليم، فجعل علم الله سبحانه بما وقع عليه من الكيد منهن مغنيا عن التصريح. الشوكاني

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾ شأكن ﴿إِذْ رَوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ۖ﴾ هل وجدتن منه ميلاً ﴿قُلْتُ حَشَ لِّلَّهِ﴾ تنزيهاً لله ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ۖ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْمَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ ظهر بعد خفائه ﴿أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ۖ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (ثم قالت امرأة العزيز) ﴿٥١﴾

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَوَدْتُنَّ﴾ إنما نسب إليهن المراودة؛ لأن كل واحدة منهن وقع منها ذلك كما تقدم، ومن جملة من شمله خطاب الملك امرأة العزيز، أو أراد بنسبة ذلك إليهن وقوعه منهن في الجملة كما كان من امرأة العزيز تحاشيا عن التصريح منه بنسبة ذلك إليها لكونها امرأة وزيره وهو العزيز. الشوكاني

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ يحتمل أن مرادها بذلك زوجها أي: ليعلم أي حين أقررت أي راودت يوسف أي لم أخنه بالغيب، أي: لم يجر مني إلا مجرد المراودة، ولم أفسد عليه فراشه، ويحتمل أن المراد بذلك ليعلم يوسف حين أقررت أي أنا الذي راودته، وأنه صادق أي لم أخنه في حال غيبته عني. السعدي

* تقول: إنما اعترفت بهذا على نفسي، ذلك ليعلم زوجي أن لم أخنه في نفس الأمر، ولا وقع المحذور الأكبر، وإنما راودت هذا الشاب مراودة، فامتنع؛ فلهذا اعترفت ليعلم أي بريئة ... وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام. وقد حكاها الماوردي في تفسيره، وانتدب لنصره الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية - رَحِمَهُ اللَّهُ - فأفرده بتصنيف على حدة. ابن كثير

﴿ ٢٤١ ﴾

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ ﴿٥٣﴾ كَثِيرَةٌ أَمْرٌ بِالْمَعَاصِي﴾ ﴿بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمْتُ﴾ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾

التمكين بعد البلاء

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهَذَا أَسْتَخْلَصُهُ لِنَفْسِي﴾ أ جعله من خلصائي وأهل مشورتي ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ ﴿٥٤﴾ عظيم المكانة

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهَذَا﴾ فيه فضيلة العلم، علم الأحكام والشرع، وعلم تعبير الرؤيا، وعلم التدبير والتربية؛ وأنه أفضل من الصورة الظاهرة، ولو بلغت في الحسن جمال يوسف، فإن يوسف - بسبب جماله - حصلت له تلك المحنة والسجن، وبسبب علمه حصل له العز والرفعة والتمكين في الأرض، فإن كل خير في الدنيا والآخرة من آثار العلم وموجباته. السعدي

﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٥٥﴾

﴿إِنِّي حَفِيزٌ عَلَيْهِ﴾ قال الربيع بن أنس: أي: على خراج مصر ودخله، ﴿إِنِّي حَفِيزٌ عَلَيْهِ﴾، أي: حفيظ للخزائن عليم بوجوه مصالحها. البغوي
﴿إِنِّي حَفِيزٌ عَلَيْهِ﴾ مدح نفسه، ويجوز للرجل ذلك إذا جهل أمره، للحاجة.

ابن كثير

* استدل بهذه الآية على أنه يجوز تولي الأعمال من جهة السلطان الجائر، بل الكافر لمن وثق من نفسه بالقيام بالحق. الشوكاني

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ﴾ ينزل ﴿مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ وَلَا أَجْرَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾

يوسف وإخوته في اللقاء الأول بعد السجن، وبعد مجيئهم من فلسطين إلى مصر

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (وكان من تدبير يوسف أنه يعطي للناس الطعام بثمانه)

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ روي أن الناس قد قصدوا مصر من كل النواحي يمتارون الطعام فجعل يوسف لا يمكن أحدا منهم، وإن كان عظيماً أكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس، وتزاحم الناس عليه، فأصاب أرض كنعان وبلاد الشام ما أصاب الناس في سائر البلاد من القحط والشدة، ونزل بيعقوب ما نزل بالناس من الضيق والجهد في المعيشة، فأرسل بنيه إلى مصر للميرة، وأمسك بنيامين أخا يوسف لأمه. البغوي. (قلت: أي أن بنيامين شقيق ليوسف)

﴿وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ إن قيل: كيف يخفى من قد أعطي نصف الحسن، وكيف يشتبه بغيره؟ فالجواب: أنهم فارقوه طفلاً ورأوه كبيراً، والأحوال تتغير، وما توهموا أنه ينال هذه المرتبة. ابن الجوزي

* وقد تكلم بعض أهل العلم في معنى شطر الحسن. يراجع للتوسع: بدائع

الفوائد لابن القيم ، وزاد المسير .

﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ ﴾ أعطاهم ما طلبوا، ووفى الكيل لهم، وسأل عن حالهم فأخبروه بعدد أسرهم وأن لهم أخا تركوه عند والدهم ﴿ قَالَ أَتَأْتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ ٥٩ ﴿ خير المضيفين

﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ ﴾ كان قد سألهم عن حالهم، فأخبروه أن لهم أخا عند أبيه، وهو بنيامين. السعدي
﴿ قَالَ أَتَأْتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ ﴾ إن قيل: كيف استجاز يوسف إدخال الحزن على أبيه بطلب أخيه؟ قيل له: من الأجوبة أنه يجوز أن يكون الله عز وجل أمره بذلك ابتلاء ليعقوب؛ ليعظم له الثواب، فاتبع أمره فيه.. إلخ. القرطبي.
بتصرف يسير.

﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَّكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ ٦٠ ﴿ قَالُوا سَنُرَوِّدُ عَنْهُ أَبَاهُ ﴾ سنبدل جهدنا لإقناع أبيه ﴿ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾ ٦١

﴿ سَنُرَوِّدُ عَنْهُ أَبَاهُ ﴾ دل هذا على أن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَام كان مولعا به لا يصبر عنه، وكان يتسلى به بعد يوسف، فلذلك احتاج إلى مراودة في بعثه معهم.
السعدي

﴿ وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ ﴾ الثمن الذي دفعوه ﴿ فِي رِحَالِهِمْ ﴾ أمتعتهم وأوعيتهم
﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ٦٢

﴿ اجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ ﴾ اختلفوا في السبب الذي فعله يوسف من أجله، قيل: أراد أن يريهم كرمه في رد البضاعة وتقديم الضمان في البر والإحسان؛ ليكون أدعى لهم إلى العود، لعلهم يعرفونها أي: كرامتهم علينا. وقيل: رأى لؤما في أخذ ثمن الطعام من أبيه وإخوته مع حاجتهم إليه، فردده عليهم من حيث لا يعلمون تكrema. وقال الكلبي: تخوف أن لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به مرة أخرى.. إلخ. البغوي

حوار الإخوة مع الأب المكلوم

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَتَابَنَّا مِنْهُ مِنَ الْكِدِ ﴿٦٣﴾ يَمْنَعُ مِنَّا الْكِدَ إِن لَّمْ يَذْهَبْ أَخُونَا مِنَّا ۖ فَارْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا نَّكْتُلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

﴿ ٢٤٢ ﴾

﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ۖ فَاللَّهُ خَبِيرٌ حَافِظٌ ﴾ هو يحفظه ولا أتق بعهودكم ﴿ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَتَابَنَّا مَا نَبْغِي ﴿ مَاذَا نَطْلُبُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الْكَرَمِ ۖ هَذِهِ بَضْعَتُنَا ﴾ الثمن المدفوع ﴿ رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا ﴾ نجلب طعاماً وفيراً ﴿ وَنَحْفَظُ أَخَانًا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾ حمل بعير بسبب اصطحابه ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾

﴿ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾ أي: سهل لا ينالك ضرره؛ لأن المدة لا تطول، والمصلحة قد تبينت. السعدي

﴿ قَالَ لَنُؤْتِيَنَّكَ مِائَةً مِنْ مِائَةِ نَسِيبَةٍ ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مِنْ ذَلِكَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَكُنِ الْيُوسُفُ فِي الدُّنْيَا لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ ﴿٦٦﴾

وصية يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لأولاده

﴿ وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ ۖ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ﴾ يريد دفع العين عنهم من باب فعل الأسباب ﴿ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ فَالْأَمْرُ إِلَيْهِ وَتَأْثِيرُ السَّبَبِ تَحْتَ أَمْرِهِ ﴾ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾

﴿ وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ ﴾ قال قتادة: خشي نبي الله ﷺ العين على بنيه، كانوا ذوي صورة وجمال. الطبري

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ آبَاؤُهُمْ مَّا كَانَتْ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ۖ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٦٨﴾

اللقاء الثاني: يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ يستبقي أخاه بنيامين بأمر الله

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَىٰ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فيه أقوال: أحدها: أنهم كانوا يعيرون يوسف وأخاه بعبادة جدتهما أبي أمهما للأصنام، فقال: لا تبتئس بما كانوا يعملون من التعيير لنا، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس ... وقيل: لا تحزن بما عملوا من حسدنا، وحرصوا على صرف وجه أبنينا عنا، وإلى هذا المعنى ذهب ابن إسحاق. ينظر: زاد المسير

﴿ ٢٤٣ ﴾

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ﴾ الإناء الذي كان يكيل به للناس، وهو مكيال الملك ﴿فِي رَحْلِ﴾ متاع ﴿أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾ القافلة فيها الأحمال ﴿إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ ﴿٧٠﴾﴾ وهذا حسب ظن المنادي ﴿قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَقْقِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ ﴿أَي: قبل التفتيش﴾ حِمْلٌ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾﴾ ضامن وكافل

﴿وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلٌ بَعِيرٍ﴾ فيه دليل على مشروعية الجعالة.
* استدل به على صحة ضمان المجهول إذا آل إلى علم وهو قول الجمهور خلافا للشافعية.

﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ أي: كفيل، وهذا يقوله المؤذن المتفقد. السعدي

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ أَيْ رَقَبَةُ السَّارِقِ ﴿جَزَاؤُهُ﴾ يكون عبداً للمسروق منه ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿أي: كذلك

نفعل في الظالمين إذا سرقوا أن يسترقوا، وكان هذا من دين يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ وحكمه. وقولهم هذا قول من لم يسترب نفسه؛ لأنهم التزموا استرقاق من وجد في رحله، وكان حكم السارق عند أهل مصر أن يغرم ضعفي ما أخذ. القرطبي

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ حكمه وقضائه؛ لأن ليس في قضاء ملك مصر استبعاد السارق ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ﴾ (٧٦)

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ وذلك لتزول الريبة التي يظن أنها فعلت بالقصد، فلما لم يجد في أوعيتهم شيئاً ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ ولم يقل: وجدها، أو سرقها أخوه. مراعاة للحقيقة الواقعة. السعدي

﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ أي: يسرنا له هذا الكيد، الذي توصل به إلى أمر غير مذموم ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ لأنه ليس من دينه أن يملك السارق، وإنما له عندهم جزاء آخر، فلو ردت الحكومة إلى دين الملك، لم يتمكن يوسف من إبقاء أخيه عنده، ولكنه جعل الحكم منهم، ليتم له ما أراد. السعدي

* فيه جواز التوصل إلى الأغراض بالحيل إذا لم تخالف شريعة، ولا هدمت أصلاً. القرطبي

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُّوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ (٧٧)

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ﴾ يعنون يوسف أيام صباه، كان يسرق الطعام ويعطيه للمساكين، وسرق صنماً لأبي أمه فكسره حتى لا يعبد، وليس هذا من السرقة المحرمة ولا المذمومة. الجزائري

﴿فَأَسْرَهَا يُّوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾ ذكرها

سرا في نفسه ولم يصرح بها، يريد: أنتم شر مكانا أي: منزلا عند الله ممن رميتموه بالسرقة في صنيعكم بيوسف؛ لأنه لم يكن من يوسف سرقة حقيقية وخيانتكم حقيقة. البغوي

﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرْنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٧٨)

﴿ ٢٤٤ ﴾

﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾ نعصم بالله ونستجير به ﴿ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مِنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا الظَّالِمُونَ ﴾ (٧٩)

﴿ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ ﴾ من وجدنا متاعنا عنده، ولم يقل إلا من سرق تحرزا من الكذب. البغوي

حوار الإخوة، وموقفهم تجاه أبيهم المكلم

﴿ فَلَمَّا أَسْتَيْسَسُوا ﴾ يسوا ﴿ مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ انفردوا يتشاورون فيما بينهم ﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا ﴾ عهدًا مؤكدًا ﴿ مِنْ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ ﴾ أترك أرض مصر ﴿ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي ﴾ يسمح لي بالرجوع ﴿ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ (٨٠) ﴿ أَرْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَتَابَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾ (٨١) ﴿ لَمَّا غَابَ عَنَّا سَرَقَ، وَلَا قُدْرَةَ لَنَا بِعَلْمِ حَقِيقَةِ ذَلِكَ، وَلَا حِفْظَ أَخَانَا عَنِ الْخَطَا ﴾

﴿ فَقُولُوا يَتَابَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا ﴾ الحال أنا ما شهدنا بشيء لم نعلمه، وإنما شهدنا بما علمنا، لأننا رأينا الصواع استخرج من رحله، ﴿ وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾ أي: لو كنا نعلم الغيب لما حرصنا وبذلنا المجهود في ذهابه معنا، ولما أعطيناك عهدونا ومواثيقنا، فلم نظن أن الأمر سيبلغ ما بلغ. السعدي

﴿ وَسَلَّ الْقَرِيَّةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ ﴾ **القافلة** ﴿ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴾ ﴿ ٨٢ ﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴿ **زينت** ﴿ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴿ لا شكوى معه ﴾ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿ ٨٣ ﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَفُ عَلَى يَوْسُفَ وَأَبِیضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿ ٨٤ ﴾ **شديد الکتان لحزنه** ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْأُ ﴿ ما تزال ﴿ تَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرْصًا ﴿ **تشرف على الهلاك** ﴿ أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿ ٨٥ ﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي ﴿ **همى الشديد** ﴿ وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴿ وهذا لا ينافي الصبر ﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿ ٨٦ ﴾ **من رؤيا يوسف**

﴿ ٢٤٥ ﴾

﴿ يَبْنِي أَدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ **استقصوا خبرهما** ﴿ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ﴿ **لا تقطعوا رجاءكم من رحمته** ﴿ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿ ٨٧ ﴾

اللقاء الثالث: بين يوسف وعليه السلام وإخوته

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ ﴿ **القحط والجذب** ﴿ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزَجَّجَةٍ ﴿ **ثمن رديء قليل** ﴿ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴿ **برد أخينا إلينا** ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿ ٨٨ ﴾ **فلما سمع ذلك يوسف رق لهم**

﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ ﴿ الآية

قال ابن إسحاق: ذكر لي أنهم لما كلموه بهذا الكلام أدركته الرقة، فرفض دمه، فباح بالذي كان يكتمه. البغوي ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ يعني في الآخرة، يقال: هذا من معاريض الكلام؛ لأنه لم يكن عندهم أنه على دينهم، لذلك لم يقولوا: إن الله يجزيك بصدقتك، فقالوا لفظاً يوهمه أنهم أرادوه. القرطبي

﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿ ٨٩ ﴾

﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ إن قيل: كيف قال: ما فعلتم بيوسف وأخيه، وما كان منهم ضرر إلى أخيه شيء، وهم لم يسعوا في حبسه؟ قيل: قد قالوا له في الصباح: ما رأينا منكم يا بني راحيل خيرا، وقيل: لما كانا من أم واحدة، كانوا يؤذونه من بعد فقد يوسف. البغوي

﴿ قَالُوا أَيْنَ نَكَ لَأَنْتَ يَوْسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٩٠)

﴿ قَالُوا أَيْنَ نَكَ لَأَنْتَ يَوْسُفُ ﴾ سبب معرفتهم له بمجرد قوله لهم: ﴿ مَا فَعَلْتُمْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ أنهم لما قال لهم ذلك، تنبهوا وفهموا أنه لا يخاطبهم بمثل هذا إلا هو. وقيل: إنه لما قال لهم بهذه المقالة وضع التاج عن رأسه، فعرفوه. وقيل: أنه تبسم فعرفوا ثناياه. الشوكاني

اعتراف إخوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالخَطَأِ، والتَّائِبُ شَمْلُ الْعَائِلَةِ

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ ﴾ فَضْلَكَ واختارك ﴿ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ (٩١) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴿ لَا تَأْنِيبَ ﴾ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿ ٩٢ ﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ ٩٣ ﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ ﴿ خَرَجَتِ الْقَافِلَةُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ ﴾ ﴿ قَالَ أَبُوهُمْ إِنَِّّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ ﴿ ٩٤ ﴾ تَسْفَهُونِ

﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي ﴾ لما كان مبدأ الهم الذي أصابه من القميص الذي جاؤوا عليه بدم كذب، عين هذا القميص مبدأ للسرور دون غيره من آثاره عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ ليدخل عليه السرور من الجهة التي دخل عليه الهم منها. الألوسي في روح المعاني. «ت».

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ الْقَدِيمِ ﴾ (٩٥) توهمك السابق بإمكانية رؤية يوسف مرة أخرى

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي
أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٩٦﴾

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: أنه سيرد عليّ يوسف،
ويجمع بيني وبينه، وكنتم لا تعلمون أنتم من ذلك ما كنت أعلمه؛ لأن رؤيا
يوسف كانت صادقة، وكان الله قد قضى أن آخر أنا وأنتم له سجوداً، فكنت
موقناً بقضائه. الطبري

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ
رَبِّي ﴿٩٨﴾ **آخره للسحر** ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٩٨﴾

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ قال ابن مسعود: أخرهم إلى السحر. الطبري
﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَى﴾ **ضم** ﴿إِلَيْهِ أَبُوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن
شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبُوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوْا لَهُ سُجَّدًا ﴿١٠٠﴾ **حيوه بالسجود**
تكريماً لا عبادة، وهو في شرعهم جائز ﴿وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ
جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ **البادية**
﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ﴾ **أفسد** ﴿الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ
إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١٠٠﴾

﴿وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ﴾ قال سلمان الفارسي: كان بين رؤيا يوسف إلى
أن رأى تأويلها أربعون سنة. الطبري
﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ لم يقل من الجب مع كونه أشد بلاء من
السجن؛ استعماً لا للكرم؛ لكيلا يخجل إخوته بعد ما قال لهم: ﴿لَا تَتْرِبَ
عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾، ولأن نعمة الله عليه في إخراجه من السجن أعظم.. إلخ.
البغوي

﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ قال مسروق: كانوا ثلاثة وتسعين، فلما دنا من مصر
كلم يوسف الملك الذي فوقه، فخرج يوسف والملك في أربعة آلاف من

الجنود، وركب أهل مصر معها يتلقون يعقوب، وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على يهوذا، فنظر إلى الخيل والناس فقال: يا يهوذا هذا فرعون مصر، قال: لا هذا ابنك. البغوي

* قال ابن مسعود: دخلوا وهم ثلاثة وتسعون، وخرجوا مع موسى وهم ستمائة ألف وسبعون ألفا. ابن الجوزي
﴿نَزَعَ الشَّيْطَانُ﴾ نسب الإساءة التي كانت من إخوته إلى الشيطان؛ تلطيفاً للجو، ومبالغة في إذهاب الهم من نفس إخوته. الجزائري
* قيل: ذكر الجفا في وقت الصفا جفا، وهو قول صحيح. القرطبي

شكر يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لربه على نعمه، ودعوته بحسن الخاتمة

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾
﴿١٠١﴾

﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ قيل: إن يوسف لم يتمن الموت، وإنما تمنى الوفاة على الإسلام، أي إذا جاء أجلي توفني مسلماً، وهذا قول الجمهور ... وثبت في الصحيح عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتمن أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لا بد متمنياً؛ فليقل: اللهم! أحييني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي» رواه مسلم. القرطبي

التأكيد على أن علم النبي ﷺ بما سبق كان بوحى من الله، وبيان جهل المكذبين وعقوبتهم

﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا﴾
أي: إخوة يوسف ﴿أَمْرُهُمْ وَهَمُّ يَمْكُرُونَ﴾ ﴿١٠٢﴾ ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٠٣﴾

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ روي أن اليهود وقريشا سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف، فلما أخبرهم على موافقة التوراة لم يسلموا،

فحزن النبي ﷺ، فقليل له: إنهم لا يؤمنون ولو حرصت على إيمانهم. البغوي

﴿ ٢٤٧ ﴾

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ﴾ **على القرآن** ﴿مَنْ أَجَرَ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٤)
 ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ آيَةٍ﴾ **كثير من الآيات** ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ
 عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (١٠٥) **عن دلالتها على الوحدانية** ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا
 وَهُمْ مُّشْرِكُونَ﴾ (١٠٦)

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ﴾ فهم وإن أقروا بربوبية الله تعالى،
 وأنه الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور، فإنهم يشركون في ألوهية الله
 وتوحيده. السعدي

﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ﴾ **عذاب يعمهم ويغشاهم** ﴿مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ
 السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ **فجأة** ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٠٧) **قل هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ
 عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ علم ﴿أَنَا وَمَنْ أَتَّبَعْنِي﴾ **ندعو إلى الله** ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٨) **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى
 أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ أي: أهل مكة ﴿فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَقِيبَةُ الَّذِينَ
 مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٠٩)****

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا﴾ ليس في النساء نبية، وإنما فيهن صديقات،
 كما قال تعالى مخبرا عن أشرفهن مريم بنت عمران حيث قال: ﴿مَا الْمَسِيحُ
 ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا
 يَاكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] فوصفها في أشرف مقاماتها بالصديقية، فلو
 كانت نبية لذكر ذلك في مقام التشريف والإعظام، فهي صديقة بنص القرآن.
 ابن كثير

التمكين بعد البلاء مع جملة من الرسل، والحكمة من القصص

﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾ **يسسوا من أقوامهم** ﴿وَوَضُّوْا أَنفُسَهُمْ قَدْ كَذَّبُوا﴾ **ظن**

قَوْمَهُمُ الْكَافِرَ أَنْ الرِّسْلَ قَدْ كَذَبُوا فِيهَا وَعِدُوا بِهِ مِنَ النِّصْرِ ﴿١١٠﴾ جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا ﴿١١١﴾ عَذَابَنَا ﴿١١٢﴾ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٣﴾ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١٤﴾

﴿ ٢٤٨ ﴾

سورة الرعد

سورة الرعد، سورة مكية فيها مظاهر قوة الله وقدرته، وبيان العقيدة الصحيحة، والرد على ضلالات المشركين، وفيها صفات المؤمنين، وصفات الكافرين، وموقف الفريقين من الوحي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من مظاهر قدرة الله الدالة على وحدانيته

﴿الْمَرْ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴿٢﴾ دُونَ دَعَائِمٍ تَشَاهِدُونَهَا ﴿٣﴾ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ ﴿٤﴾ بَيْنَ ﴿٥﴾ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَواسِيَ ﴿٧﴾ جبالاً ثَبَتَ الْأَرْضَ ﴿٨﴾ وَأَنْهَرًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغِشِّي ﴿٩﴾ يَغْطِي ﴿١٠﴾ أَلْيَلُ النَّهَارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ ﴿١٢﴾ بَقَاعٍ مُّخْتَلِفَةٌ ﴿١٣﴾ مُتَجَوِّزَاتٌ ﴿١٤﴾ يَجَاور بعضها بعضاً، بعضها طيبة وبعضها سبخة مالحة ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ ﴿١٦﴾ مجتمعة في منبت واحد ﴿١٧﴾ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴿١٨﴾ كل شجرة على حداثها ﴿١٩﴾ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضْلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ﴿٢٠﴾ هذا حامض، وهذا حلو ﴿٢١﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾

﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضْلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ تأثير الاختلاف فيما يخرج منها ويحصل من ثمراتها لا يكون

في نظر العقلاء إلا لسبيين: إما اختلاف المكان الذي هو المنبت، أو اختلاف الماء الذي تسقى به، فإذا كان المكان متجاورا وقطع الأرض متلاصقة، والماء الذي تسقى به واحدا، لم يبق سبب للاختلاف في نظر العقل إلا تلك القدرة الباهرة والصنع العجيب. الشوكاني

من صور ضلال المشركين

﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ **قول المنكرين البعث** ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلُلُ﴾ **السلاسل يوم القيامة** ﴿فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

﴿ ٢٤٩ ﴾

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ **بطلب العقوبة استهزاء** ﴿وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُتُ﴾ **عقوبات أمثالهم من المكذبين** ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ السيئة هاهنا هي العقوبة، والحسنة العافية، وذلك أن مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من العافية استهزاء منهم، يقولون: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. البغوي

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ **آيات اقترحوها** ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ هذا مكابرة من الكفار وعناد، وإلا فقد أنزل الله على رسوله من الآيات ما يغني البعض منه. الشوكاني ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ لا تلتفت إلى ما يطالبون به من الآيات، واستمر على دعوتك، فإن لكل قوم هادياً وأنت هادي هذه الأمة، وداعيها إلى ربها فادع واصبر. الجزائري

الله العليم، الحافظ القادر

﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ ﴾ تنقصه الأرحام فيسقط قبل تمامه ﴿ وَمَا تَرْدَادُ ﴾ زاد على التسعة أشهر ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ ٨ ﴿ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾ ٩ ﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ. وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِالَّيْلِ وَسَارِبٌ ﴾ من جهر بأعماله ﴿ بِالنَّهَارِ ﴾ ١٠ ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ ﴾ ملائكة يتعاقبون على الإنسان لحفظه وإحصاء عمله ﴿ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ إِبْنُ اللَّهِ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومَ شَيْئًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ. وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ ١١ ﴿ وَلِي يَتَوَلَّى أُمُورَهُمْ وَيُدْفَعِ الْبَلَاءَ عَنْهُمْ ﴾

﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ قال كعب الأحبار: لولا أن الله عزَّ وجلَّ وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفنكم الجن. البغوي

* ﴿ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ أي: بأمر الله وبإذنه، ف(من) بمعنى الباء، وحروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض. وقيل: (من) بمعنى عن، أي يحفظونه عن أمر الله، وهذا قريب من الأول، أي حفظهم عن أمر الله لا من عند أنفسهم، وهذا قول الحسن، تقول: كسوته عن عري ومن عري، ومنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ﴾ [قريش: ٤] أي عن جوع. القرطبي

* قيل: معقبات من أمر الله يحفظونه. وقيل: يحفظونه من أمر الله الذي ورد ولم يحصل، يحفظونه أن يصل إليه وحفظهم بأمر الله. ابن تيمية في منهاج السنة

﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾ ١٢

﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ خوفا للمسافرين من الصواعق، ﴿ وَطَمَعًا ﴾ للمقيم في المطر. تفسير الجلالين

﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ ﴾

يَهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴿١٣﴾ ﴿الحول والقوة والبطش﴾

﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ نزل في رجل بعث إليه النبي ﷺ من يدعوه، فقال: من رسول الله؟ وما الله؟ أمن ذهب هو أم من فضة أم نحاس؟ فنزلت به صاعقة فذهبت بقحف رأسه. تفسير الجلالين

﴿ ٢٥٠ ﴾

بيان عجز آلهة المشركين ، وعظمة الله جل وعلا

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِيَبْلُغُهُ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ ﴿١٤﴾

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ أي: لمن يدعوها ويعبدها بشيء قليل ولا كثير، لا من أمور الدنيا ولا من أمور الآخرة ﴿إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ﴾ الذي لا تناله كفاه لبعده، ﴿لِيَبْلُغَ﴾ يبسط كفيه إلى الماء ﴿فَاهُ﴾ فإنه عطشان ومن شدة عطشه يتناول بيده، ويسطها إلى الماء الممتنع وصولها إليه، فلا يصل إليه.

كذلك الكفار الذين يدعون معه آلهة لا يستجيبون لهم بشيء، ولا ينفعونهم في أشد الأوقات إليهم حاجة؛ لأنهم فقراء، كما أن من دعوهم فقراء، لا يملكون مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وما لهم فيهما من شرك، وما له منهم من ظهير ... وتشبيه دعاء الكافرين لغير الله بالذي يبسط كفيه إلى الماء ليلبغ فاه من أحسن الأمثلة؛ فإن ذلك تشبيه بأمر محال، فكما أن هذا محال، فالمشبه به محال، والتعليق على المحال من أبلغ ما يكون في نفي الشيء. السعدي

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمًا لَهُمُ الْغُدُوُّ﴾ أول النهار ﴿وَالْأَصَالُ﴾ ﴿١٥﴾ آخر النهار

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ من حكمة السجود عند قراءتها أن يضع المسلم نفسه في عداد ما يسجد لله طوعا بإيقاعه السجود. وهذا

اعتراف فعلي بالعبودية لله تعالى. ابن عاشور في التحرير والتنوير. «ت».

﴿وَطَلَّاهُمْ﴾ يسجد له ظلال المخلوقات أول النهار وآخره، وسجود كل شيء بحسب حاله، كما قال تعالى: ﴿وَلِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]. السعدي

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ **فإن لم يحيوها** ﴿قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْرُ﴾ (١٦)

مثان لبيان الفرق بين من ينتفع بالوحي، ومن لا ينتفع

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ **بقدر صغرها وكبرها** ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا﴾ **غثاء لا نفع فيه** ﴿رَابِيًا﴾ **مرتفعًا** ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ **من الجواهر والمعادن** ﴿أَبْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ﴾ **كالأواني** ﴿زَبَدٌ مِثْلُهُ﴾ **له زبد لا حاجة إليه مثل زبد الماء** ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ **متلاشيًا أو يرمى به إذ لا فائدة منه** ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ (١٧)

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فمثل المؤمن واعتقاده وعمله كالماء المتنفع به، ومثل الكافر واعتقاده وعمله كالزبد. ابن الجوزي

﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ فيما ضرب له هذان المثلان أقوال: أحدها: أنه القرآن، شبه نزوله من السماء بالماء، وشبه قلوب العباد بالأودية، تحمل منه على قدر اليقين والشك، والعقل والجهل، فيستكن فيها، فينتفع المؤمن بما في قلبه كانتفاع الأرض التي يستقر فيها المطر، ولا ينتفع الكافر بالقرآن لمكان شكه وكفره، فيكون ما حصل عنده من القرآن كالزبد، وكخبث الحديد، لا ينتفع به.

والثاني: أنه الحق والباطل، فالحق شبه بالماء الباقي الصافي، والباطل مشبه

بالزبد الذاهب، فهو وإن علا على الماء فانه سيمحق، كذلك الباطل وإن ظهر على الحق في بعض الأحوال؛ فإن الله سيطله. ابن الجوزي

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ﴾ **الجنة** ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾ **من عذاب يوم القيامة ولا يقبل منهم** ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوِلُهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ ﴿١٨﴾ **الفراش والمستقر**

﴿ ٢٥١ ﴾

المؤمن والكافر، ومدى استجابتهم لأوامر الله ومواثيقه

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكَ أَوَّلُوا الْآلَبِ﴾ ﴿١٩﴾ **أصحاب العقول** ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ ﴿٢٠﴾ **العهد المؤكد** ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ ﴿٢١﴾

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ هذا عام في كل ما أمر الله بوصله، من الإيمان به وبرسوله، ومحبه، ومحبة رسوله، والانقياد لعبادته وحده لا شريك له، ولطاعة رسوله. السعدي

* عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسِطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيَنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ». متفق عليه

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ﴾ **يدفعون** ﴿بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ﴿٢٢﴾ **العاقبة المحمودة في الآخرة**

﴿وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ قال ابن زيد: يدفعون الشر بالخير، لا يكافئون الشر بالشر، ولكن يدفعونه بالخير. الطبري

﴿جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ ﴿٢٣﴾ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ

عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
 أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴿٢٦﴾ **يضيق**
 ﴿٢٧﴾ **وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿٢٨﴾ فرح بطر** وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ ﴿٢٩﴾ **شيء**
قليل يتمتع به سرعان ما يزول ﴿٣٠﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ
 إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ﴿٣١﴾ **فلا تغنى عنه الآيات شيئاً** ﴿٣٢﴾ وَهَدَىٰ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٣٣﴾
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٣٤﴾

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ تطمئن القلوب، تسكن قلوب
 المؤمنين ويستقر فيها اليقين ... فإن قيل: أليس قد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا
 الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، فكيف تكون الطمأنينة
 والوجل في حالة واحدة؟. قيل: الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب، والطمأنينة
 عند ذكر الوعد والثواب، فالقلوب توجل إذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه،
 وتطمئن إذا ذكرت فضل الله وكرمه. البغوي
 ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ تقديم المفعول يدلّ على أنّها لا تطمئن إلا
 بذكره. ابن تيمية في النبوات.

﴿ ٢٥٢ ﴾

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ **فرح وقرّة عين وحال طيبة**
 ﴿وَحُسْنُ مَتَابٍ﴾ ﴿٢٩﴾

﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ أي: لهم حالة طيبة ومرجع حسن. وذلك بما ينالون من رضوان
 الله وكرامته في الدنيا والآخرة، وأن لهم كمال الراحة وتمام الطمأنينة، ومن جملة
 ذلك شجرة طوبى التي في الجنة، التي يسير الراكب في ظلها مائة عام ما
 يقطعها، كما وردت بها الأحاديث الصحيحة. السعدي

الوحي، والرسالة

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
 وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ﴾ ﴿٣٠﴾

وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَا سِيرَتْ بِهٖ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهٖ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَتْ بِهٖ الْمَوْتُ ﴿٣١﴾ أَى: لو أن ثمة كلاما لو قرئ على الجبال لزال، أو على الأرض لتشقت، أو على الموتى لصاروا أحياء لكان هذا القرآن يحصل به ذلك؛ لوضوح حججه، وعظم تأثيره على من يريد الحق ﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ ﴿فَمَا بِالْمُكَذِّبِينَ يَقْتَرِحُونَ مِنَ الْآيَاتِ مَا يَقْتَرِحُونَ؟﴾ مع وجود هذا القرآن ﴿أَفَلَمْ يَأْيَسَ﴾ ﴿يَعْلَمُ﴾ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾ ﴿مُصِيبَةٌ﴾ ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ ﴿٣١﴾

﴿أَفَلَمْ يَأْيَسَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ ﴿فَلْيَعْلَمُوا أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى هِدَايَتِهِمْ جَمِيعًا وَلَكِنَّهُ لَا يَشَاءُ ذَلِكَ، بَلْ يَهْدِي مَن يَشَاءُ، وَيَضِلُّ مَن يَشَاءُ. السَّعْدِي﴾

تسليّة الرسول ﷺ، والرد على المشركين، وبيان مآل المؤمنين والمشرّكين

﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُ بُرْسُلَ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ﴾ ﴿أَمَهَلْتُ﴾ ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ﴾ ﴿رَقِيبٌ﴾ ﴿عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ ﴿أَى: أهو أولى أن يعبد أم من ليس كذلك كالأصنام﴾ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُل سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بَيِّظُهُ مِّنَ الْقَوْلِ﴾ ﴿تسمونهم شركاء في ظاهر القول من غير أن يكون لهم حقيقة﴾ ﴿بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ ﴿مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ وَالدَّعْوَةُ إِلَيْهِ﴾ ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿يَحْمِيهِم مِّنَ الْعَذَابِ﴾

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ ﴿صِفَةُ الْجَنَّةِ﴾ ﴿الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا﴾ ﴿ثَمَرُهَا﴾ ﴿دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى﴾ ﴿عَاقِبَةُ﴾ ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ ﴿كَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَمَن آمَنَ مِّن

اليهود ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾ المتحزبين المتجمعين على الكفر ﴿مَنْ يُكْرِ بِعَضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَثَابُ ۝٣٦﴾ وكذلك أُنْزِلَتْهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴿بَلُغَةَ الْعَرَبِ تَحْكُمُ بِهِ بَيْنَ النَّاسِ﴾ وَلَيْنَ أَتَبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِنَآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝٣٨﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا﴾ فيه مسألتان: الأولى: قيل: إن اليهود عابوا على النبي ﷺ الأزواج، وعيرته بذلك وقالوا: ما نرى لهذا الرجل همة إلا النساء والنكاح، ولو كان نبيا لشغله أمر النبوة عن النساء، فأنزل الله هذه الآية، وذكرهم أمر داود وسليمان، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾، أي: جعلناهم بشرا يقضون ما أحل الله من شهوات الدنيا، وإنما التخصيص في الوحي. الثانية: هذه الآية تدل على الترغيب في النكاح، والحض عليه، وتنهى عن التبتل، وهو ترك النكاح، وهذه سنة المرسلين كما نصت عليه هذه الآية. القرطبي

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ من الأحكام ﴿وَيُثَبِّتُ ۖ وَعِنْدَهُ ۖ أُمُّ الْكِتَابِ ۝٣٩﴾ اللوح المحفوظ

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ۖ وَعِنْدَهُ ۖ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي: اللوح المحفوظ الذي ترجع إليه سائر الأشياء، فهو أصلها، وهي فروع له وشعب. فالتغير والتبديل يقع في الفروع والشعب، كأعمال اليوم والليلة التي تكتبها الملائكة، ويجعل الله لثبوتها أسبابا، ولمحوها أسبابا، لا تتعدى تلك الأسباب ما رسم في اللوح المحفوظ، كما جعل الله البر والصلة والإحسان من أسباب طول العمر وسعة الرزق، وكما جعل المعاصي سببا لمحق بركة الرزق والعمر، وكما جعل أسباب النجاة من المهالك والمعاطب سببا للسلامة، وجعل التعرض لذلك سببا للعطب، فهو الذي يدبر الأمور بحسب قدرته وإرادته، وما يدبره

منها لا يخالف ما قد علمه وكتبه في اللوح المحفوظ. السعدي

﴿وَإِنْ مَا نُزِيتَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ **من العذاب** ﴿أَوْ نَتُوفِيتَكَ فِإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ ﴿٤٠﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ **بفتح** **المسلمين بلاد المشركين** ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾ **لا راد ولا مبطل** ﴿وَهُوَ سَكِرِيٌّ الْحِسَابِ﴾ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقِيَ الدَّارِ﴾ ﴿٤٢﴾

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ لا يقدر أحد أن يمكر مكرًا إلا بإذنه، وتحت قضائه وقدره، فإذا كانوا يمكرون بدينه فإن مكرهم سيعود عليهم بالخيبة والندم، فإن الله ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ أي: همومها وإراداتها وأعمالها الظاهرة والباطنة. والمكر لا بد أن يكون من كسبها فلا يخفى على الله مكرهم. السعدي

﴿ ٢٥٤ ﴾

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ ﴿٤٣﴾ **العلماء الصادقين من اليهود والنصارى**

سورة إبراهيم

سورة إبراهيم، سورة مكية، فيها بيان وظيفة الرسل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وحرصهم على إخراج الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، وفيها بيان عاقبة الظالمين وعاقبة المؤمنين في الآخرة، وشيء من دعاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القرآن، والحكمة من إنزاله، وبيان الوعيد لمن خالفه

﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ ﴿١﴾ **الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ووَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ** ﴿٢﴾ **الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ**

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَبِعَوْنِهَا عَوَجًا ۖ
يُرَدُّونَهَا مَعُوجَةً مُوَافِقَةً لَأَهْوَائِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ
رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ۚ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ
يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾

شيء من قصة موسى عليه السلام وقومه

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا ۖ إِنَّهُمْ لَكَاذِبِينَ﴾ ﴿أَيَّامُ نَعْمَةٍ عَلَيَّهِمْ وَنَقَمَةٌ عَلَى النَّاسِ الْمَكَذِبِينَ﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّعِبَادٍ مُّوَفَّاءٍ﴾ ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ﴿٥﴾

﴿وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ أيام كانت معلومة عندهم، أنعم الله عليهم فيها نعمًا جليلاً، أنقذهم فيها من آل فرعون بعد ما كانوا فيما كانوا فيه من العذاب المهين، وغرق عدوهم فرعون وقومه، وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم.

الطبري

❖ ❷❷❷

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أُنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ
فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ ﴿٦﴾ بِذُنُوبِكُمْ ﴿٧﴾ سَوَاءَ الْعَذَابِ وَيَذُبُّونَ أَبْنَاءَكُمْ
وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴿٨﴾ يَقْتُلُونَ أَوْلَادَكُمْ لِإِذْلَاكِهِمْ ﴿٩﴾ وَفِي ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ
رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَيَذِجُوكَ آبْنَاءَ كُومَ﴾ وذلك لقول بعض الكهنة: إن مولودا يولد في بني إسرائيل يكون سبب ذهاب ملك فرعون. تفسير الجلالين

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ﴾ ﴿ أَعْلَمَ إِعْلَامًا ﴾ ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾
وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ ﴿ فَالله غنى عن عبادة الناس لا كما يظن الكفار ﴾

وجوب أخذ العظة من الأقوام السابقين المكذبين للرسول

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ
 مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي
 أَفْوَاهِهِمْ ﴾ **عضوا أيديهم غيظاً على الرسل ودينهم** ﴿ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ
 بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ **موجب للريبة والشك** ﴿ قَالَتْ
 رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ﴿١٠﴾ **منشئ ومبدع** ﴿ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا
 إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا
 بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ **حجة ودليل**

﴿ ٢٥٦ ﴾

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ
 عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ ﴾ **حجة ودليل** ﴿ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ
 اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا
 سُبُلَنَا وَلَنْصِيرَكَ عَلَىٰ مَا أَدَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾

تهديد الأمم لرسلهم، وبشارة الله للرسل، وعاقبة الكفار

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي
 مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ
 بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ **استنصر الرسل** **بالله على الكافرين** ﴿ وَخَابَ ﴾ **هلك وخسر** ﴿ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾

﴿ **وَاسْتَفْتَحُوا** ﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم الرسل، قاله ابن عباس،
 ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنهم الكفار، واستفتحهم: سؤلهم العذاب، كقولهم:
 ربنا عجل لنا قطنا وقولهم: إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة
 من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، هذا قول ابن زيد. ابن الجوزي

﴿ **مِّنْ وَرَائِهِ** ﴾ **أمام كل جبار** ﴿ **جَهَنَّمَ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ القيقح**
والصديد الذي يسيل من جسد أهل النار ﴿ **يَتَجَرَّعُهُ** ﴾ **يحاول ابتلاعه** ﴿ وَلَا

يَكَادُ يُسِيغُهُ. ﴿ لا يستطيع ابتلاعه إلا بمشقة حرارته وقذارته ﴾ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ ﴿ ١٧ ﴾ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ ﴿ من أمامه ﴾ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿ عذاب آخر شديد ينتظره ﴾

﴿ يَتَجَرَّعُهُ ﴾ تناول المشروب جرعة جرعة، لا في مرة واحدة، وذلك لشدة كراهته له، وإنما يكره على شربه. ابن الجوزي
﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾ يأتيه الموت من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وشماله، ومن كل موضع من أعضاء جسده. ﴿ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾ لأنه لا تخرج نفسه فيموت فيستريح، ولا يحيا لتعلق نفسه بالحناجر، فلا ترجع إلى مكانها. الطبري

﴿ وَمِنْ وَرَائِهِ ﴾ سئل ثعلب: لم قيل: الراء للأمام؟ فقال: الراء: اسم لما توارى عن عينك، سواء أكان أمامك أو خلفك. وقال الفراء: إنها يجوز هذا في المواقيت من الأيام والليالي والدهر، تقول: وراءك برد شديد، وبين يديك برد شديد. ولا يجوز أن تقول للرجل وهو بين يديك: هو وراءك، ولا للرجل وراءك: هو بين يديك. ابن الجوزي

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ شديد هبوب الريح ﴿ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ﴾ وهكذا أعمال الكفار عصف بها الكفر فلم تنفع أصحابها يوم القيامة ﴿ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾

﴿ ١٨ ﴾

﴿ ٢٥٧ ﴾

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ ﴿ ١٩ ﴾ ﴿ أطوع الله منكم ﴾ ﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ ﴿ ٢٠ ﴾ ﴿ وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَدَنَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا ﴾ يستوي علينا وعليكم ﴿ أَجْزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴾ ﴿ ٢١ ﴾ ﴿ مهرب من العذاب ﴾

براءة الشيطان من أتباعه

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴿٢١﴾ حجة وقوة أفهركم بها على اتباعي ﴿ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَمُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ﴿٢٢﴾ بمغيثكم ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي ﴾ إِنِّي كَفَرْتُ ﴿ تَبَرَأْتُ ﴿٢٣﴾ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿٢٤﴾

﴿ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ قال سبحانه في آية أخرى: ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ [النحل: ١٠٠]، فالسلطان الذي نفاه عنه هو سلطان الحجة والدليل، فليس له حجة أصلاً على ما يدعو إليه، وإنما نهاية ذلك أن يقيم لهم من الشبه والتزيينات ما به يتجرؤون على المعاصي. وأما السلطان الذي أثبتته فهو التسلط بالإغراء على المعاصي لأوليائه، يؤزرهم إلى المعاصي أزا، وهم الذين سلطوه على أنفسهم بموالياته والالتحاق بحزبه، ولهذا ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون. السعدي. «ت».

مآل المؤمنين، ومثل كلمة الإسلام وكلمة الكفر

﴿ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحَيِّئُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴿٢٤﴾ كلمة التوحيد ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ النخلة ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ ﴿٢٥﴾

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ الحكمة في تمثيل الإيمان بالنخلة، من أوجه: أحدها: أنها شديدة الثبوت، فشبه ثبات الإيمان في قلب المؤمن بثباتها. والثاني: أنها شديدة الارتفاع، فشبه ارتفاع عمل المؤمن بارتفاع فروعها. والثالث: أن ثمرتها تأتي في كل حين، فشبه ما يكسب المؤمن من بركة الإيمان وثوابه في كل وقت بثمرتها المجتناة في كل حين على اختلاف صنوفها. ابن الجوزي

﴿ تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ كذلك الإيمان وآثاره من الخير ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٢٥﴾

﴿ تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ قال قتادة: يؤكل ثمرها في الشتاء والصيف. الطبري

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ كلمة الكفر ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ شجرة الحنظل ﴿ أَجْتَثَّتْ ﴾ اقتلعت ﴿ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ ﴿٢٦﴾ أصل ثابت، كذلك كلمة الكفر لا ثبات لها ولا بركة ﴿ يُمَيِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ ﴿٢٧﴾

﴿ يُمَيِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ الصواب من القول في ذلك ما ثبت به الخبر عن رسول الله ﷺ في ذلك، وهو أن معناه: ﴿ يُمَيِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾، وذلك تثبته إياهم في الحياة الدنيا بالإيمان بالله وبرسوله محمد ﷺ، ﴿ وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ بمثل الذي تثبتهم به في الحياة الدنيا، وذلك في قبورهم حين يُسألون عن الذي هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله ﷺ. الطبري

مصير الكافر، ووصايا للمؤمنين، وشيء من مظاهر نعم الله على الناس

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ ﴾ من اتبعهم في الكفر ﴿ دَارَ الْبُورِ ﴾ ﴿٢٨﴾ الهلاك ﴿ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيَنَسُّ الْقَرَارُ ﴾ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا ﴿ شُرَكَاءَ ﴾ ﴿ لِيُضِلُّوا ﴾ من اتبعهم ﴿ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَنُفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾ ﴿ صَدَاقَةٌ ﴾ ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ ۖ

مَنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ ﴿٣٢﴾ السِّفْنَ ﴿٣٣﴾ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٤﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ﴿٣٥﴾ جَارِيَيْنِ لَا يَفْتَرَانِ ﴿٣٦﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٧﴾ يَتَعَاقَبَانِ لَكُمْ وَعَمَلَكُمْ

﴿ ٢٥٩ ﴾

﴿وَأَتَيْنَكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ﴿٣٤﴾

﴿وَأَتَيْنَكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ أعطاكم من كل ما تعلق به أمانيتكم وحاجتكم مما تسألونه إياه بلسان الحال، أو بلسان المقال، من أنعام، وآلات، وصناعات وغير ذلك. السعدي

دعاء إبراهيم عليه السلام

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ يعني مكة وذلك بعد أن أسكن فيها بعض أهله ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ وهذا من شفقتك ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَصَلْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ مكة ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ تميل إليهم وتحن ﴿وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٣٧﴾

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَصَلْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ لا يجوز لأحد أن يتعلق بهذا في طرح ولده وعياله بأرض مضیعة اتكالا على العزيز الرحيم، واقتداء بفعل إبراهيم الخليل، كما تقول غلاة الصوفية في حقيقة التوكل، فإن إبراهيم فعل ذلك بأمر الله لقوله كما في الحديث - لما سألت هاجر: الله أمرك بهذا؟ - قال:

نعم. ينظر: تفسير القرطبي، والحديث في البخاري

﴿فَاجْعَلْ أَفْعِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ قال مجاهد: لو قال أفعدة الناس، لازدحمت عليه فارس والروم والترك والهند. التفسير الوسيط

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (٣٨)

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ إنما ذكر السموات والأرض؛ لأنها المشاهدة للعباد، وإلا فعلمه سبحانه محيط بكل ما هو داخل في العالم، وكل ما هو خارج عنه، لا تخفى عليه منه خافية. قيل: ويحتمل أن يكون هذا من قول إبراهيم تحقيقاً لقوله الأول، وتعميماً بعد التخصيص. الشوكاني

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ الدُّعَاءِ ﴾ (٣٩) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾

إمهال الله للظالمين، وحالهم يوم القيامة

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمَ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ (٤٢) ﴿ ترافع فيه عيونهم ولا تغمض ﴾

﴿ ٢٦٠ ﴾

﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ مسرعين ﴿ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ﴾ رافعي رؤوسهم ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ لا يغمضون أعينهم من الخوف ﴿ وَأَقْبَدَتْهُمُ هَوَاءٌ ﴾ (٤٣) ﴿ قلوبهم خالية من شدة الهول ﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ ﴿ أقسموا ما لهم انتقال من الدنيا إلى الآخرة لإنكارهم البعث ﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمُ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾

﴿ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي: فكان ينبغي لكم أن تنزجروا عن المخالفة اعتباراً بمساكنهم بعد ما علمتم فعلنا بهم. ابن الجوزي

﴿ وَقَدْ مَكَّرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ
لِتَنْزُولٍ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ ﴿٤٦﴾

﴿ وَقَدْ مَكَّرُوا مَكْرَهُمْ ﴾ حيث أرادوا قتل النبي أو تقييده أو إخراجه،
﴿ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ ﴾ أي: علمه أو جزاؤه. تفسير الجلالين
﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَنْزُولٍ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ أي: ولقد كان مكر الكفار
المكذبين للرسول بالحق وبمن جاء به - من عظمه - لتزول الجبال الراسيات
بسببه عن أماكنها ... والقصد أن مكرهم لم يغن عنهم شيئا، ولم يضروا الله
شيئا، وإنما ضرروا أنفسهم. السعدي

* الجبال لا تزول ولكن العبارة عند العرب عن تعظيم الشيء هكذا تكون.
ينظر: تفسير القرطبي

﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفَ وَعْدِهِ رَسُولُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ ﴿٤٧﴾
﴿ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا ﴾ ﴿٤٨﴾ خَرَجُوا ظَاهِرِينَ ﴿لِلَّهِ الْوَحِيدِ
الْقَهَّارِ﴾

﴿ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ ﴾ وذلك يوم القيامة، فيحشر الناس على أرض بيضاء نقية
كما في حديث الصحيحين، وروى مسلم حديث سئل النبي ﷺ أين الناس
يومئذ؟ قال: على الصراط. تفسير الجلالين

﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ ﴿٤٩﴾ مَقِيدِينَ بِالْقِيدِ، قَدْ
قَرَنْتَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ بِالسَّلَاسِلِ ﴿ثِيَابُهُمْ﴾ ثِيَابُهُمْ ﴿مِنْ قَطِرَانٍ﴾ مَادَّةٌ شَدِيدَةٌ
الاشْتِعَالِ ﴿وَتَعَشَّى﴾ تَعْلُو وَتَلْفَحُ ﴿وَجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ ﴿٥٠﴾

﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ ﴾ ذلك - والله أعلم - لأن له أربع خصائص: حار على
الجلد، وسريع الاشتعال في النار، ومنتن الريح، وأسود اللون. ينظر الكشف
للزخشري. «ل».

﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلَّغٌ

لِّلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوهُ بِهِ. وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرُوا الْأَلْبَابَ ﴿٥٢﴾

﴿ ٢٦١ ﴾

سورة الحجر

سورة الحجر، سورة مكية، فيها بيان عناد الكافرين، وإقامة الحجة عليهم بذكر مظاهر قدرة الله، وفيها إنذارهم بالعقاب من خلال عرض مشاهد للمهلكين، مثل: (إبليس - قوم لوط - قوم شعيب وقوم صالح).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عناد الكافرين

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾

﴿آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾ أي: الآيات الدالة على أحسن المعاني، وأفضل المطالب، ﴿وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾ للحقائق بأحسن لفظ، وأوضحه، وأدله على المقصود. السعدي

﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٢﴾ سَيَمْنَى الْكُفَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ ﴿٣﴾ يشغلهم الطمع في الدنيا وطول البقاء فيها ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ﴾ يروى عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قام على درج مسجد دمشق فقال: يا أهل دمشق، ألا تسمعون من أخ لكم ناصح؟ إن من كان قبلكم كانوا يجمعون كثيراً، وبينون مشيداً، ويأملون بعيداً، فأصبح جمعهم بوراً، وبنيانهم قبوراً، وأملهم غروراً. هذه عاد قد ملأت البلاد أهلاً ومالاً وخيلاً ورجالاً، فمن يشتري مني اليوم تركتهم بدرهمين! القرطبي

* قال الحسن: ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل. وصدق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ! فالأمل يكسل عن العمل ويورث التراخي والتواني، ويعقب التشاغل والتفاسد، ويخلد إلى الأرض، ويميل إلى الهوى. وهذا أمر قد شوهد بالعيان. القرطبي

﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ أَجَلٌ مُقَدَّرٌ ﴿٥﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعْجِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا ﴿٦﴾ كُفَّارٌ مَكَّةُ ﴿٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ ﴿٨﴾ يَعْنُونَ مُحَمَّدًا ﴿٩﴾ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿١٠﴾ لَوْ مَا ﴿١١﴾ هَلَا ﴿١٢﴾ تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

﴿ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ وهذا من أعظم الظلم والجهل، أما الظلم فظاهر، فإن هذا تجرؤ على الله وتعنت بتعيين الآيات التي لم يخترها، وحصل المقصود والبرهان بدونها من الآيات الكثيرة الدالة على صحة ما جاء به، وأما الجهل، فإنهم جهلوا مصلحتهم من مضرتهم، فليس في إنزال الملائكة خير لهم، بل لا ينزل الله الملائكة إلا بالحق الذي لا إمهال على من لم يتبعه وينقده له. السعدي

﴿ مَا نُزِّلَ الْمَلَكَةُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴿١٤﴾ بِالْعَذَابِ ﴿١٥﴾ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴿١٦﴾ مَهْلِينَ ﴿١٧﴾ وَمُؤَخَّرِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ قال يحيى بن أكثم: كان للمأمون - وهو أمير إذ ذاك - مجلس نظر، فدخل في جملة الناس رجل يهودي حسن الثوب حسن الوجه طيب الرائحة، قال: فتكلم فأحسن الكلام والعبارة، قال: فلما أن تقوض المجلس، دعاه المأمون، فقال له: إسرائيلي؟ قال نعم. قال له: أسلم حتى أفعل بك وأصنع، ووعدته. فقال: ديني ودين آبائي! وانصرف. قال: فلما كان بعد سنة جاءنا مسلماً، قال: فتكلم على الفقه فأحسن الكلام، فلما تقوض المجلس دعاه المأمون، وقال: أأنت صاحبنا بالأمس؟ قال له: بلى. قال: فلما كان سبب إسلامك؟ قال: انصرفت من حضرتك، فأحببت أن أمتحن هذه الأديان، وأنت مع ما تراني حسن الخط، فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها الكنيسة فاشتريت مني، وعمدت إلى الإنجيل فكتب ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها البيعة فاشتريت مني، وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ وزدت فيها ونقصت، وأدخلتها

الوراقين فتصفحوها، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها، فعلمت أن هذا كتاب محفوظ، فكان هذا سبب إسلامي. قال يحيى بن أكثم: فحجبت تلك السنة فلقيت سفيان بن عيينة فذكرت له الخبر، فقال لي: مصداق هذا في كتاب الله عز وجل. قال قلت: في أي موضع؟ قال: في قول الله تبارك وتعالى في التوراة والإنجيل: ﴿بِمَا أَسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]، فجعل حفظه إليهم فضاع، وقال عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ فحفظه الله عز وجل علينا فلم يضع. القرطبي

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعْرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾﴾ **فرق الأمم السابقة** ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾﴾ **كذلك نسلكه** ﴿ندخل الكفر﴾ **في قلوب المجرمين ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْهُ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ **مضت** ﴿سنة الأولين﴾ **في إهلاك المشركين فليعتبر كفار مكة** ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾﴾ **يصعدون** ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ﴾ **سحرت** ﴿أَبْصُرْنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾**

﴿ ٢٦٢ ﴾

من مظاهر قدرة الله وفضله على عباده الموجبة لتوحيدهم له

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ﴿١٦﴾﴾ **منازل للكواكب تنزل فيها** ﴿وَزَيَّتْهَا لِلنَّظِيرِ ﴿١٧﴾﴾ **وحفظناها من كل شيطان رجيم** ﴿مطرود من رحمة الله﴾ **إلا من أَسْرَقَ ﴿١٨﴾﴾ اختلس** ﴿السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ﴾ **فأدركه** ﴿شَهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٩﴾﴾ **كوكب مضى محرق** ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ﴿٢٠﴾﴾ **جبال راسية تثبتها** ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿٢١﴾﴾ **وجعلنا لكم فيها معيش** ﴿ما تعيشون فيه من معادن وحجارة ونبات ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرِزْقَيْنَ ﴿٢٢﴾﴾ **كالدواب رزقها على الله** ﴿وَلِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ لا ننزله إلا على حسب مشيئتنا، وعلى حسب حاجة الخلق إليه. القرطبي

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَّاحَةً ﴿٢٢﴾ تَلْقَحُ السَّحَابَ فَتَمْلَأُ بِالْمَاءِ ﴿٢٣﴾ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴿٢٤﴾ فَاسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ لا قدرة لكم على خزنه وادخاره

﴿ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ لا قدرة لكم على خزنه وادخاره، ولكن الله يخزنه لكم ويسلكه ينابيع في الأرض؛ رحمة بكم وإحسانا إليكم. السعدي

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

﴿ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾ نحن نرث الأرض ومن عليها بأن نميت جميعهم، فلا يبقى حي سوانا. الطبري

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَخْرِينَ ﴿٢٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ﴿٢٨﴾ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَخْرِينَ ﴾ قال أبو جعفر: وأولى الأقوال عندي في ذلك بالصحة قول من قال: معنى ذلك: ولقد علمنا الأموات منكم يا بني آدم فتقدم موته، ولقد علمنا المستأخرين الذين استأخر موتهم ممن هو حي ومن هو حادث منكم ممن لم يحدث بعد، لدلالة ما قبله من الكلام، وهو قوله ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾ وما بعده وهو قوله: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ﴾ .. إلخ. الطبري

خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ ﴿٣٠﴾ طِينٍ يَابِسٍ يَسْمَعُ لَهُ صَوْتُ إِذَا نَقَرَ ﴿٣١﴾ مِّنْ حَمِإٍ ﴿٣٢﴾ طِينٍ أَسْوَدَ ﴿٣٣﴾ مَسْنُونٍ ﴿٣٤﴾ مَتَغِيرَ لَوْنِهِ وَرِيحِهِ ﴿٣٥﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ ﴿٣٦﴾ مِّنَ النَّارِ الشَّدِيدَةِ الْحَرَارَةِ ﴿٣٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلِيقُ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمِإٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي ﴿٣٩﴾ أَضَافَ الرُّوحَ الْمَخْلُوقَةَ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ لِلتَّشْرِيفِ وَمِثْلَهُ عِيسَى ﴿٤٠﴾ فَفَقَعُوا لَهُ سَكِّدِينَ ﴿٤١﴾ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ سَجُودَ تَكْرِيمٍ لَا عِبَادَةَ ثُمَّ نَسَخَ فِي شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَصَارَ لَا يَجُوزُ ﴿٤٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ

﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ ﴿٣١﴾ لَكِنْ إِبْلِيسَ الَّذِي كَانَ مَعَ الْمَلَائِكَةِ -وَلَمْ يَكُن مِنْهُمْ-
﴿أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ ﴿٣١﴾﴾

﴿ ٢٦٣ ﴾

استكبار إبليس، وسببه، ومآله

﴿قَالَ يٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ، مِنْ صَلَاصِلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَاجِعٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي ﴿٣٦﴾ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٨﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَفَاتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤١﴾﴾

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ ﴿٤١﴾ دليل على جواز استثناء القليل من الكثير، والكثير من القليل، مثل أن يقول: عشرة إلا درهما. أو يقول: عشرة إلا تسعة. وقال أحمد بن حنبل: لا يجوز أن يستثنى إلا قدر النصف فما دونه. وأما استثناء الأكثر من الجملة فلا يصح. ودليلنا هذه الآية، فإن فيها استثناء ﴿الْغَاوِينَ﴾ من العباد، والعباد من الغاوين، وذلك يدل على أن استثناء الأقل من الجملة واستثناء الأكثر من الجملة جائز. القرطبي

* واستثناء أكثر من النصف جائز عند الجمهور خلافا للحنابلة.

* قال القاضي: هذا استثناء من جميع الجنس، فيجوز أن يقال فيه: إنه يجوز إخراج الأكثر من الأقل. وأما استثناء الأكثر من الأعداد المحصورة فلا. والفرق ورود اللغة في أحدهما دون الآخر، ولأن حمل جميع الجنس على العموم إنما هو من طريق الظاهر، لا من جهة القطع على جميع الجنس، بخلاف الأعداد فإن جميعها منطوق به فصار صريحا. ينظر: المستدرك على مجموع الفتاوى (٢/ ١٩١).

* ومن أهل العلم من يرى أن الاستثناء منقطع.

﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ ﴾ طريق ﴿ عَلَى مُسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴿ قُوَّة ﴾ ﴿٤٢﴾ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾
أي: قد كتب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلونه، لا محيد لهم عنه - أجارنا الله منها - وكل يدخل من باب بحسب عمله، ويستقر في درك بقدر فعله. ابن كثير

مَالِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْوَعِيدَ لِلْعَاصِينَ

﴿ إِنَّا الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ ﴿٤٥﴾ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ﴿٤٦﴾ سَالِمِينَ مِنْ كُلِّ سَوْءٍ ﴿٤٧﴾ وَمُنْقَبِلِينَ ﴿٤٨﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ ﴿٤٩﴾ حَقْدٍ ﴿٥٠﴾ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُنْقَبِلِينَ ﴾ ﴿٤٨﴾ دخل عمران بن طلحة على علي رضي الله عنه بعدما فرغ من أصحاب الجمل، فرحب به، وقال: إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُنْقَبِلِينَ ﴾. قال: ورجلان جالسان على ناحية البساط، فقالا: الله أعدل من ذلك، تقتلهم بالأمس، وتكونون إخوانا! فقال علي رضي الله عنه: قوما أبعد أرض وأسحقها! فمن هو إذا إن لم أكن أنا وطلحة. ابن كثير.

﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ﴾ ﴿٥١﴾ نَعَبٍ ﴿٥٢﴾ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٥٣﴾ نَبِيِّ ﴿٥٤﴾ أَخْبَرِ ﴿٥٥﴾ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٦﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٧﴾

قِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ

﴿ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ﴿٥٨﴾

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ ﴿فَزَعُونَ خَائِفُونَ؛ لَأَنَّهُمْ أَتَوْا فِي غَيْرِ وَقْتِ طُرُقِ الضَّيْفِ﴾ ﴿قَالُوا لَا نَوْجَلُ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ﴾ صار نوع إياس منه ﴿فِيمَ تَبَشِّرُونَ﴾ أي: على أي وجه تبشرون وقد عدت الأسباب؟ السعدي

﴿قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَنِطِيتِ ﴿٥٥﴾﴾ ﴿الْيَائِسِينَ﴾ ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ ﴿مَا شَأْنُكُمْ الْخَطِيرِ﴾ ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾ إِلَّا ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمَنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾﴾ إِلَّا أَمْرَاتَهُ قَدَرْنَا ﴿قَضِينَا﴾ ﴿إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ﴿٦٠﴾﴾ ﴿الباقين في العذاب﴾

الملائكة عند لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿فَلَمَّا جَاءَ ءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكَرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ ﴿غَيْرِ مَعْرُوفِينَ لِي﴾ ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ ﴿يَشْكُونَ﴾ ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ بِجَزَاءٍ ﴿مَنْ أَلِيلٍ وَاتَّبِعْ أَذْبَرَهُمْ﴾ ﴿سِرِّ رِءَاؤِهِمْ﴾ ﴿وَلَا يَلْنِفْتَ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَآمَضُوا﴾ ﴿أَسْرَعُوا﴾ ﴿حَيْثُ تَوَمَّرُونَ﴾ ﴿٦٥﴾﴾

﴿وَاتَّبِعْ أَذْبَرَهُمْ﴾ وذلك ليكون أحفظ لهم. وهكذا كان رسول الله ﷺ يمشي في الغزاة إنما يكون ساقية، يزجي الضعيف، ويحمل المنقطع. ابن كثير ﴿وَلَا يَلْنِفْتَ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ لأن الملتفت غير ثابت، لأنه إما غير مستيقن لخبرنا، أو متوجع لهم، فمن التفت ناله العذاب، وذلك أيضاً أجد في الهجرة، وأسرع في السير، وأدل على إخراج ما خلفوه من منازلهم وأمتعته من قلوبهم، وعلى أنهم لا يرقون لمن غضب الله عليهم، مع أنهم ربما رأوا ما لا تطيقه أنفسهم. البقاعي في نظم الدرر. «ت».

﴿وَقَضِينَا﴾ ﴿أَوْحِينَا﴾ ﴿إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ ﴿٦٦﴾﴾

﴿ سَيَسْتَأْصِلُونَ بِإِهْلَاكِ آخِرِهِمْ إِذَا دَخَلُوا فِي الصَّبْحِ ﴾ ﴿ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ ﴿ ٦٧ ﴾ ﴿ طَمَعًا فِي فِعْلِ الْفَاحِشَةِ ﴾ ﴿ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴾ ﴿ ٦٨ ﴾ ﴿ وَأَنْقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴾ ﴿ ٦٩ ﴾ ﴿ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ ٧٠ ﴾

﴿ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ أي: ألم ننهك عن أن تضيف أحدا من العالمين. وقيل: ألم ننهك أن تدخل الغرباء المدينة فإننا نركب منهم الفاحشة. البغوي

﴿ ٢٦٥ ﴾

﴿ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ ﴿ ٧١ ﴾

﴿ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ قلت: تقدم الحديث في سورة هود، وتم إيراد نقلين يوضحان المعنى، وهما:

١- هذا كما عرض سليمان عليه السلام، على المرأتين أن يشق الولد المختصم فيه؛ لاستخراج الحق، ولعلمه أن بناته ممتنع مناهن، ولا حق لهم فيهن. والمقصود الأعظم، دفع هذه الفاحشة الكبرى. السعدي.

قلت: وهو كقول مانع لغيره من ضرب شخص: (اضربني بدلاً منه) وهو يعلم أنه لن يتجرأ على ذلك.

٢- قال سعيد بن جبير: يعني نساءهم هن بناته، وهو أب لهم، ويقال في بعض القراءات: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم. ابن كثير

﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ ﴿ قَسَمَ مِنْ اللَّهِ بِحَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ ﴾ ﴿ وَلِلَّهِ أَنْ يَقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ ﴾ ﴿ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ ﴾ ﴿ غَفَلْتَهُمْ ﴾ ﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ ﴿ ٧٢ ﴾ ﴿ يَتَادُونَ ﴾

﴿ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ إذا أراد الله تعالى أن يهلك قرية ازداد شرهم وطغيانهم، فإذا انتهى أوقع بهم من العقوبات ما يستحقونه. السعدي

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴾ ﴿ ٧٣ ﴾ ﴿ وَقَدْ شَرُوعَ الشَّمْسُ ﴾ ﴿ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴾ ﴿ ٧٤ ﴾ ﴿ طِينٍ مُتَصَلِبٍ مَتِينٍ ﴾ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

لَلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ النَّاظِرِينَ الْمُعْتَبرِينَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّمَا لِبَسِيلٍ ﴿٧٧﴾ طَرِيقٌ ﴿٧٨﴾ ثَابِتٌ يَرَاهُ الْمَسَافِرُونَ الْمَارُونَ بِهَا ﴿٧٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٠﴾

قصة قوم شعيب، وقوم صالح -عليهما السلام-

﴿وَلَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ﴿٧٥﴾ الْبُسْتَانِ كَثِيرَ الْأَشْجَارِ وَهُمْ قَوْمٌ شَعِيبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿وَلَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ هؤلاء هم قوم شعيب، نعتهم الله، وأضافهم إلى الأيكة، وهو البستان كثير الأشجار؛ ليذكر نعمته عليهم، وأنهم ما قاموا بها. السعدي

﴿فَأَنقَمْنَا مِنْهُمْ ﴿٧٦﴾ بِأَن أَهْلَكْنَاهُمْ بِشِدَّةِ الْحَرِّ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّمَا ﴿٧٨﴾ دِيَارُ قَوْمِ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ﴿٧٩﴾ لِبِأَمَارٍ مُّبِينٍ ﴿٨٠﴾﴾ طَرِيقٌ وَاضِحٌ يَرَاهُ النَّاسُ ﴿٨١﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ ﴿٨٢﴾ وَهُمْ قَوْمٌ صَالِحٌ ﴿٨٣﴾ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٢﴾﴾ هم قوم صالح الذين كانوا يسكنون الحجر المعروف في أرض الحجاز، أنهم كذبوا المرسلين أي: كذبوا صالحا، ومن كذب رسولا فقد كذب سائر الرسل؛ لاتفاق دعوتهم، وليس تكذيب بعضهم لشخصه، بل لما جاء به من الحق الذي اشترك جميع الرسل بالإتيان به. السعدي

﴿وَأَئْيَّتُهُمْ عَايَتُنَا ﴿٨٣﴾ كَالنَّاقَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ دَلَائِلِ الْوَحْدَانِيَّةِ ﴿٨٤﴾ فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨٥﴾﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٦﴾ مِنْ الْمَخَافِ مَطْمَئِنِينَ فِي دِيَارِهِمْ ﴿٨٧﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ ﴿٨٨﴾ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ ﴿٨٩﴾ مُصْبِحِينَ ﴿٩٠﴾ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩١﴾﴾ من الأموال

الحكمة من الخلق، والامتنان بالقرآن والرسالة والواجب تجاهها

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآيَةٌ ﴿٩٢﴾ فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٩٣﴾﴾ تجاوز واعف

﴿فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٩٣﴾﴾ المأمور به هو الصَّفْحُ الجميل، أي: الحسن الذي قد سلم من الحقد والأذية القولية والفعلية، دون الصَّفْحِ الذي ليس بجميل، وهو

الصفح في غير محله، فلا يصفح حيث اقتضى المقام العقوبة، كعقوبة المعتدين الظالمين الذين لا ينفع فيهم إلا العقوبة، وهذا هو المعنى. السعدى

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ﴾ سبع آيات تكرر في كل صلاة وهي الفاتحة ﴿ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ عن أبي سعيد بن المعلى، قال: كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: «ألم يقل الله: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]؟!». ثم قال لي: «لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد». ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت له: «ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن»، قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ «هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته». البخاري

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ من أعظم فضائلها أن الله تعالى جعلها في حيز، والقرآن كله في حيز، وامتن عليه بها كما امتن عليه بالقرآن كله.

ابن الجوزي

﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾ لا تنظر بعينك ولا تتمن ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا﴾ أصنافاً ﴿مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ تواضع ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨٨﴾

﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ ﴾ قال ابن عباس: نهي الرجل أن يتمنى مال صاحبه. ابن كثير

﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ الذين قسموا القرآن فآمنوا ببعض وكفروا ببعض

﴿ ٢٦٦ ﴾

﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ ﴿٩١﴾ أجزاء فقال بعضهم سحر وقال بعضهم كهانة وغير ذلك

﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ عَضِينَ جمع عضة، وأصلها عضوة فعلة من

عضى الشاة إذا جعلها أجزاء، فيكون المعنى على هذا: الذين جعلوا القرآن أجزاء متفرقة، بعضه شعر، وبعضه سحر، وبعضه كهانة، ونحو ذلك ... وقيل: معنى عضين: إيمانهم ببعض الكتاب وكفرهم ببعض، ومما يؤيد أن معنى عضين التفريق، قول روبة: وليس دين الله بالعضين أي: بالمفرق. الشوكاني

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ إن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية، وبين قوله: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ [٣٩]؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنه لا يسألهم: هل عملتم كذا؟ لأنه أعلم، وإنما يقول: لم عملتم كذا؟ رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنهم يسألون في بعض مواطن القيامة، ولا يسألون في بعضها، رواه عكرمة عن ابن عباس. ابن الجوزي

﴿ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ ﴿فاجهر﴾ ﴿بِمَا تُوْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ الْعَابِدِينَ الْمَصْلِينَ ﴾

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ فافزع فيما نابك من أمر تكرهه منهم إلى الشكر لله والثناء عليه والصلاة، يكفك الله من ذلك ما أهمك، وهذا نحو الخبر الذي روي عن رسول الله ﷺ، أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة. الطبري * عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه، وهو ساجد، فأكثروا الدعاء». مسلم

﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ الموت

﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ اليقين: الموت ... والمراد استمرار العبادة مدة حياته، كما قال العبد الصالح: ﴿ وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [مريم: ٣١]. القرطبي

سورة النحل

سورة النحل، سورة مكية، فيها التذكير بنعم الله الكثيرة الدالة على وحدانيته، وفيها الرد على شبه المشركين، وفيها جملة من التوجيهات للمؤمنين، وردُّ لبعض الشبه حول القرآن، وفي ثناياها بيانٌ لعاقبة الموحدين وعاقبة الكافرين. هذه السورة تسمى سورة النعم، فإن الله ذكر في أولها أصول النعم وقواعدها، وفي آخرها متمماتها ومكملاتها. السعدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإنذار بقرب الساعة

﴿أَفَئِنَّ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١)

﴿أَفَئِنَّ أَمْرُ اللَّهِ﴾ قيل: ﴿أَفَئِنَّ﴾ بمعنى يأتي، فهو كقولك: إن أكرمتني أكرمتك. وقد تقدم أن إخبار الله تعالى في الماضي والمستقبل سواء؛ لأنه آت لا محالة، كقوله: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ [الأعراف: ٤٤]. و﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ عقابه لمن أقام على الشرك وتكذيب رسوله ... وقيل: هو يوم القيامة أو ما يدل على قربها من أشراطها. القرطبي

﴿يُنْزِلُ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ﴾ بالوحي الذي تحيا به القلوب ﴿مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (٢)

من مظاهر خلق الله ونعمه الموجبة للتوحيد

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٣) ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ شديد الخصومة ﴿مُبِينٌ﴾ (٤)

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ لما ذكر خلق السماوات والأرض ذكر خلق ما فيها وبدأ بأشرف ذلك وهو الإنسان. السعدي

﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ يحتمل أن المراد: فإذا هو خصيم لربه، يكفر به، ويجادل رسله، ويكذب بآياته. ونسي خلقه الأول، وما أنعم الله عليه به من النعم، فاستعان بها على معاصيه، ويحتمل أن المعنى: أن الله أنشأ الآدمي من

نطفة، ثم لم يزل ينقله من طور، إلى طور حتى صار عاقلا متكلمًا، ذا ذهن ورأي: يخاصم ويجادل، فليشكر العبد ربه الذي أوصله إلى هذه الحال التي ليس في إمكانه القدرة على شيء منها. السعدي

﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ مما تتخذون من أصوافها وأوبارها، وأشعارها، وجلودها، من الثياب والفرش والبيوت ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ٥ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ﴾ تردونها إلى منازلها في المساء ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ ٦ تخرجونها للمرعى في الصباح

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ أي: في وقت راحتها وسكونها، ووقت حركتها وسرحها، وذلك أن جمالها لا يعود إليها منه شيء، فإنكم أنتم الذين تتجملون بها، كما تتجملون بشياكم وأولادكم وأموالكم، وتعجبون بذلك. السعدي

﴿ ٢٦٧ ﴾

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ أمتعتكم الثقيلة ﴿إِلَى بَلَدٍ لَّمَّ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ٧ ﴿حَيْثُ سَخَرَهَا لَكُمْ﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٨

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ لم يذكر الأكل لأن البغال والحمير محرم أكلها، والخيول لا تستعمل -في الغالب- للأكل، بل ينهى عن ذبحها لأجل الأكل؛ خوفا من انقطاعها، وإلا فقد ثبت في الصحيحين، أن النبي ﷺ أذن في لحوم الخيل. السعدي

* فيه طهارة العرق الصادر من جسم البغل والحمير وهو قول الجمهور خلافا للمذهب الحنبلي، لأن الله ذكرها في معرض الامتنان على العباد بركوبها. ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ مما يكون بعد نزول القرآن من الأشياء، التي يركبها الخلق في البر والبحر والجو، ويستعملونها في منافعهم ومصالحهم، فإنه لم يذكرها بأعيانها، لأن الله تعالى لا يذكر في كتابه إلا ما يعرفه العباد، أو يعرفون

نظيره، وأما ما ليس له نظير في زمانهم فإنه لو ذكر لم يعرفوه، ولم يفهموا المراد منه، فيذكر أصلاً جامعاً يدخل فيه ما يعلمون وما لا يعلمون، كما ذكر نعيم الجنة وسمى منه ما نعلم ونشاهد نظيره، كالنخل والأعناب والرمان، وأجمل ما لا نعرف له نظيراً في قوله: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن: ٥٢] فكذلك هنا ذكر ما نعرفه من المراكب كالخيل والبغال والحمير والإبل والسفن، وأجمل الباقي في قوله: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. السعدي

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ بيان الطريق المستقيم ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ من الطرق - وهي طرق الشيطان - مائل عن الحق ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَّيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١)

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ لما ذكر تعالى الطريق الحسي، وأن الله قد جعل للعباد ما يقطعونه به من الإبل وغيرها، ذكر الطريق المعنوي الموصل إليه، فقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ أي: الصراط المستقيم، الذي هو أقرب الطرق وأخصرها، موصل إلى الله. السعدي
﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ قال ابن الأنباري: لما ذكر السبيل، دل على السبل، فلذلك قال: ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾. ابن الجوزي

تابع مظاهر خلق الله ونعمه الموجبة للتوحيد

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ (١٠) ﴿فِيهِ تَرْعُونَ دُوبَابَكُمْ﴾ يُثْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ ﴿خلق﴾ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْلِفاً لَوْنَهُ ﴿من حيوان وأشجار ونبات﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ﴾ (١٣) ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ مثل اللؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ﴾ تجري فيه وتشق الماء

﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿١٤﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ وصفه بالطراوة للإشعار بلطافته، والإرشاد إلى المسارعة بأكله؛ لكونه مما يفسد بسرعة.
الشوكاني

﴿ ٢٦٨ ﴾

﴿وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ جبالاً ثوابت ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ تميل وتضطرب ﴿وَأَنْهَزَ أَوْسُبُلًا﴾ طرقاً ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ﴿١٥﴾

﴿وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ حتى إنك تجد أرضاً مشتبكة بالجبال، سلسلة فيها، وقد جعل الله فيما بينها منافذ ومسالك للسالكين. السعدي

﴿وَعَلَّمَتِ﴾ معالم تستدلون بها على الطرق نهراً ﴿وَيَا لَنَجْمٍ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ﴿١٦﴾

﴿وَيَا لَنَجْمٍ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إنما خلق الله النجوم لثلاثة أشياء؛ لتكون زينة للسماء، ومعالم للطرق، ورجوماً للشياطين. فمن قال غير هذا فقد تكلف ما لا علم له به. البغوي

أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ، وَعَاقِبَةُ الْمَكْذِبِينَ

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٨﴾

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ عددًا مجردًا عن الشكر ﴿لَا تُحْصُوهَا﴾ فضلاً عن كونكم تشكرونها، فإن نعمه الظاهرة والباطنة على العباد بعدد الأنفاس واللحظات. السعدي

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوبُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ كالأصنام ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ أموات ﴿جَاهِدَات﴾ ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ﴾ وقت ﴿يُبْعَثُونَ﴾ ﴿٢١﴾ إلهكم إلهٌ واحدٌ ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ﴾ جاحدة للوحدة ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ لا جرم ﴿حَقًّا﴾

﴿أَنْتَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ **وسيجازيهم سبحانه** ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
 الْمُسْتَكَبِرِينَ﴾ (٢٣) **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَادَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** ﴿٢٤﴾
 ﴿**ما يأتي به محمد قصص وأباطيل إنكارا للوحي**﴾ **لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ** ﴿**آثامهم**
كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ **المقلدين** ﴿**أَلَا**
سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ (٢٥)

﴿**وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ قال مجاهد: يحملون وزر من
 أضلوه، ولا ينقص من إثم المضل شيء ... و(من) للجنس لا للتبعض، فدعاة
 الضلالة عليهم مثل أوزار من اتبعهم. وقوله: ﴿**بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ أي: يضلون الخلق
 جهلاً منهم بما يلزمهم من الآثام، إذ لو علموا لما أضلوا. القرطبي

﴿**قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾ **أي: دبروا المكائد للرسل** ﴿**فَأَتَى اللَّهُ**
بُنْيَنَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ﴾ **سقط** ﴿**عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمْ**
الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢٦)

﴿**قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَنَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ**
السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ هذا من أحسن الأمثال في إبطال الله مكر أعدائه. فإنهم
 فكروا وقدرُوا فيما جاءت به الرسل لما كذبوهم، وجعلوا لهم أصولاً وقواعد
 من الباطل يرجعون إليها، ويردون بها ما جاءت به الرسل، واحتالوا أيضاً على
 إيقاع المكروه والضرر بالرسول ومن تبعهم، فصار مكرهم وبالا عليهم، فصار
 تدبيرهم فيه تدميرهم. السعدي

﴿**ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ**﴾ **يفضحهم ويذلهم بالعذاب** ﴿**وَيَقُولُ أَيْنَ**
شُرَكَاءِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ﴾ **تحاربون وتجادلون الأنبياء لأجلهم**
 ﴿**قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ (٢٧) **الَّذِينَ**
تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ ﴿**فاستسلموا لأمر الله، وقالوا**﴾ **مَا**
كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ ﴿**أي: بل كنتم تعملون السوء**﴾ **إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ**

تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيدِينَ فِيهَا فَلْيُسْ مَثْوًى ﴿٢٩﴾ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٣٠﴾

المؤمنون وجزاؤهم

﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾ بالحياة الطيبة ﴿ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿٣٠﴾

﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ﴾ قال الثعلبي: فإن قيل لم ارتفع الجواب في قوله: أساطير الأولين - في آية ٢٤ - وانتصب في قوله: خيرا فالجواب أن المشركين لم يؤمنوا بالتنزيل، فكأنهم قالوا الذي يقوله محمد هو أساطير الأولين، والمؤمنون آمنوا بالنزول، فقالوا أنزل ﴿ خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾. ينظر: تفسير الشوكاني

﴿ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ نُوفِّقُهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾

ماذا ينتظر المشركون ليؤمنوا

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ ينتظرون ﴿ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ لقبض أرواحهم، وضرب وجوههم وأدبارهم ﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ بالعذاب ﴿ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ كذبوا وكفروا ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ ﴿ أَحَاطَ بِهِمْ ﴾ ﴿ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ ﴿٣٤﴾

من صور زيغ المشركين استدلالهم بالقدر، وإنكار البعث، والرد عليهم

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا ﴾

وَلَا حَرَمًا مِّن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ﴿٣٥﴾ كَالْبَحِيرَةِ وَالْوَصِيلَةِ وَالْحَامِ ﴿٣٦﴾ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٧﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾ أي: احتج المشركون على شركهم بمشيئة الله، وأن الله لو شاء ما أشركوا، ولا حرموا شيئاً من الأنعام التي أحلها، كالبحيرة والوصيلة والحام ونحوها من دونه، وهذه حجة باطلة، فإنها لو كانت حقا ما عاقب الله الذين من قبلهم حيث أشركوا به، فعاقبهم أشد العقاب. السعدي

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ ما يعبد من دون الله ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ فسيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٨﴾ إِن تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٩﴾ ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ مجتهدين بالحلف بأغلظ الأيمان ﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ إنكارا للبعث ﴿بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ ﴿من أمر التوحيد والشرائع﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾

جزاء المهاجرين

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ لنسكنهم ﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ دارا طيبة ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الْأَخْرَةَ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ بشر لا ملائكة، وتحذير المشركين

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٣﴾

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾ قال المفسرون: لما أنكر مشركو قريش نبوة محمد ﷺ وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا، فهلا بعث إلينا ملكا! فنزلت هذه الآية. والمعنى: أن الرسل كانوا مثلك آدميين، إلا أنهم يوحي إليهم... وأهل الكتاب والعلم بالسير متفقون على أن الأنبياء كلهم من البشر. ابن الجوزي

﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ **الكتب الساهوية** ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ ﴿دبروا المكاييد﴾ ﴿أَنْ يَخْشِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُبِهِمْ ﴿أسفارهم وتصرفاتهم﴾ ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ﴿حال خوف ونقص في الأموال والأنفس﴾ ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمُ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٤٧﴾

الخلق خاضع لله وهو الواحد المنعم

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَيُّوهُ﴾ **يميل** ﴿ظِلَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ **خاضعون لعظمة الله**

﴿يَنْفَيُّوهُ ظِلَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ **يميل** من جانب إلى جانب، ويكون أول النهار على حال، ويتقلص، ثم يعود في آخر النهار على حالة أخرى. الشوكاني ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ قيل: إن العرب إذا ذكرت صيغتي جمع عبرت عن أحدهما بلفظ الواحد، كقوله: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]. الشوكاني

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴿الذي هو فوقهم بذاته وقهره وسلطانه﴾ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونَ﴾ ﴿٥١﴾ **فخافون** ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾ **ثابتًا** ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تُنْفِقُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ **تضجون بالدعاء** ﴿ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٥٤﴾

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانَيْنَهُمْ فَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٥﴾

من صور الشرك، والكفر

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ تختلقون من الكذب

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ قال المفسرون: وهؤلاء مشركو العرب، جعلوا لأوثانهم جزءا من أموالهم، كالبحيرة والسائبة وغير ذلك. ابن الجوزي

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ بقولهم الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ ﴿٥٧﴾
﴿أَيُّ الْبَنُونَ﴾ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ﴿٥٨﴾
تمتلى غمًا وحزنًا

﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً﴾ أي متغيراً، وليس يريد السواد الذي هو ضد البياض، وإنما هو كناية عن غمه بالبت. والعرب تقول لكل من لقي مكروها: قد اسود وجهه غمًا وحزنًا. القرطبي

﴿يَتَوَرَّى﴾ يستخفى ﴿مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ﴾ أيبقى المولود ﴿عَلَى هُوبٍ﴾ ذل وهوان ﴿أَمْ يَدُسُّهُ﴾ يدفنه ﴿فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ﴿الصفة القبيحة﴾ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴿الصفات العليا﴾ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾ أي: صفة السوء من احتياجهم إلى الولد، وكرهتهم للإناث؛ خوف الفقر والعار ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ أي: الصفة العليا من تنزهه وبرأته عن الولد. ابن الجوزي.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمَ مَا تَرَكُوا عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَخْرِجُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ قيل: إن معنى الآية: لو يؤاخذ الله آباء الظالمين بظلمهم انقطع النسل، ولم توجد الأبناء فلم يبق في الأرض أحد. البغوي

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ الإناث ﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمْ ﴾ تقول ﴿ الْكَذِبَ أَنْ لَهُمُ الْحُسْنَى ﴾ حسن العاقبة في حال وجود البعث ﴿ لَا جَرَمَ أَنْ لَهُمُ النَّارَ وَأَنْهُمْ مُفْرَطُونَ ﴾ ﴿ ٦٣ ﴾ متروكون في النار منسيون ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿ ٦٣ ﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿ ٦٤ ﴾

﴿ ٢٧٣ ﴾

من ممن الله على خلقه الموجبة للتوحيد، والنكير على من سوى بين الرب وبين عبيده

﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ ﴿ ٦٥ ﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ ﴿ مَا فِي الْكَرْشِ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا ﴾ لذيد لا يغص شاربہ ﴿ لِلشَّارِبِينَ ﴾ ﴿ ٦٦ ﴾

﴿ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ ﴾ من بين فرث ودم فيه دليل على طهارة لبن الميته، إذ الملاقاة للنجاسة في الباطن لا حكم لها، والقول بطهارتها هو مذهب الحنفية واختيار ابن تيمية. ينظر: مجموع الفتاوى (١٠٣ / ٢١)

﴿ لَبَنًا خَالِصًا ﴾ يخرج اللبن خالصاً من شائبة الدم، وشائبة الفرث فلا يرى ذلك في لون اللبن، ولا يشم في رائحته، ولا يوجد في طعمه، بدليل أنه سائغ للشاربين، فلا يغص به شارب ولا يشرق به، حقاً! إنها عبرة من أجل العبر، تنقل صاحبها إلى نور العلم والمعرفة بالله في جلاله وكماله، فتورثه محبة الله، وتدفعه إلى طاعته والتقرب إليه. الجزائري

﴿ لَبَنًا خَالِصًا ﴾ روى أبو داود وغيره عن ابن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ

بلبن فشرب، فقال رسول الله ﷺ: «إذا أكل أحدكم طعاما فليقل: اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه، وإذا سقي لبنا فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه، فإنه ليس شيء يجزي عن الطعام والشراب إلا اللبن». قال علماؤنا: فكيف لا يكون ذلك وهو أول ما يغتذي به الإنسان، وتنمى به الجثث والأبدان، فهو قوت خلي عن المفسد، به قوام الأجسام، وقد جعله الله تعالى علامة لجبريل على هداية هذه الأمة التي هي خير الأمم ... قال في الصحيح: «فجاءني جبريل بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال لي جبريل: اخترت الفطرة، أما إنك لو اخترت الخمر غوت أمتك» ثم إن في الدعاء بالزيادة منه علامة الخصب، وظهور الخيرات والبركات، فهو مبارك كله. القرطبي

﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ ﴿خمرًا مسكرًا وذلك قبل التحريم﴾ ﴿وَرَزَقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿وَأَوْحَى﴾ ﴿أَلْهَم﴾ ﴿رَبُّكَ إِلَى النَّخْلِ أَنْ اتَّخِذَ مِنْ لِبْءَالِ بُيُوتِهِمُ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿يَبْنُونَ مِنَ الْبُيُوتِ وَالسَّقْفَ لِلنَّحْلِ﴾

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّخْلِ﴾ قد تقدم الكلام في الوحي وأنه يكون بمعنى الإلهام، وهو ما يخلقه في القلب ابتداء من غير سبب ظاهر. الشوكاني

﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ ﴿اسْلُكِي الطَّرِيقَ الَّتِي أَلْهَمَكَ اللَّهُ مَذَلَّةً مَسْحُورَةً﴾ ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٦٩﴾

﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ ﴿اختلف العلماء في قوله تعالى: فيه شفاء للناس هل هو على عمومه أم لا، فقالت طائفة: هو على العموم في كل حال ولكل أحد، فروي عن ابن عمر أنه كان لا يشكو قرحة ولا شيئا إلا جعل عليه عسلا، حتى الدمل إذا خرج عليه طلى عليه عسلا ... وقالت طائفة: إن ذلك على الخصوص، ولا يقتضي العموم في كل علة، وفي كل إنسان، بل إنه خبر عن أنه يشفي كما يشفي غيره من الأدوية في بعض، وعلى

حال دون حال، ففائدة الآية إخبار منه في أنه دواء لما كثر الشفاء به، وصار خليطاً ومعيناً للأدوية في الأشربة والمعاجين، وليس هذا بأول لفظ خصص، فالقرآن مملوء منه، ولغة العرب يأتي فيها العام كثيراً بمعنى الخاص، والخاص بمعنى العام. ومما يدل على أنه ليس على العموم أن ﴿شِفَاءً﴾ نكرة في سياق الإثبات، ولا عموم فيها باتفاق أهل اللسان ومحققى أهل العلم ومختلفي أهل الأصول. لكن قد حملته طائفة من أهل الصدق والعزم على العموم. فكانوا يستشفون بالعسل من كل الأوجاع والأمراض، وكانوا يشفون من عللهم ببركة القرآن وبصحة التصديق والإيقان ... إن قال قائل: قد رأينا من ينفعه العسل ومن يضره، فكيف يكون شفاء للناس؟ قيل له: الماء حياة كل شيء وقد رأينا من يقتله الماء إذا أخذه على ما يضاده من علة في البدن، وقد رأينا شفاء العسل في أكثر هذه الأشربة. القرطبي

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُدْ إِلَى أَزْوَاجِكُمْ أَرَادَ أَعْمَارَكُمْ وَهُوَ الْهَرَمَ لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادَى رِزْقِهِمْ﴾ فكما أن سادتهم الذين فضلهم الله عليهم بالرزق ليسوا ﴿بِرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ ويرون هذا من الأمور الممتنعة، فكذلك من أشركتم بها مع الله، فإنها عبيد ليس لها من الملك مثقال ذرة، فكيف تجعلونها شركاء لله تعالى؟! السعدي

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبَنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٧٣) ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ ﴿الْأَشْيَاءَ الَّذِينَ تَشْرِكُونَ مَعَهُ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٧٤) ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ آرِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥)

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ آرِزْقًا حَسَنًا﴾
قال مجاهد والسدي: مثل ضربه الله تعالى لنفسه وللأوثان، لأنه مالك كل شيء، وهي لا تملك شيئاً. ابن الجوزي

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ ﴿أَخْرَسَ لَا يَتَكَلَّمُ﴾ ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ﴾ ﴿عَبء ثَقِيلٌ﴾ ﴿عَلَى مَوْلَاهُ﴾ ﴿مِنْ بِلَى أُمُورِهِ وَيَعُولُهُ﴾ ﴿أَيْنَمَا يُوجَّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٧٦)

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ قال مجاهد، وقتادة، وابن السائب: مثل ضربه الله تعالى لنفسه، وللوثن. فالوثن: هو الأبكم، والله تعالى: هو الأمر بالعدل. ابن الجوزي

الغيب لله، وشيء من مظاهر نعمه على الخلق

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ﴾ ﴿فِي سُرْعَةٍ مَجِيئُهَا إِذَا أَرَادَ اللَّهُ﴾ ﴿إِلَّا كَلِمَةٍ الْبَصَرِ﴾ ﴿نَظْرَةً سَرِيعَةً﴾ ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٧٧)

﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلِمَةٍ الْبَصَرِ﴾ سبب نزول هذه الآية: أن كفار مكة سألوا رسول الله ﷺ: متى الساعة؟ فنزلت هذه، قاله مقاتل. ابن الجوزي

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨)

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ قال المفسرون: ومقصود الآية: أن الله تعالى أبان نعمه عليهم حيث أخرجهم جهالا بالأشياء، وخلق لهم الآلات التي يتوصلون بها إلى العلم. ابن الجوزي

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ مذللات للطيران ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عند قبض أجنحتهن وبسطها أن يقعن على الأرض ﴿إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٧٩)

﴿٢٧٥﴾

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ راحة واستقرارًا ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ يخف عليكم حملها ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ ترحالكم ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا﴾ الأصواف من الضأن ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ الأوبار من الإبل ﴿وَأَشْعَارِهَا﴾ الأشعار من المعز ﴿أَثْنًا وَمَتَعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ (٨٠)

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ إما من الجلد نفسه، أو مما نبت عليه، من

صوف وشعر ووبر. السعدي

* وقد كان للنبي ﷺ قبة من آدم، وناهيك من آدم الطائف غلاء في القيمة، واعتلاء في الصنعة، وحسنا في البشرية، ولم يعد ذلك ﷺ ترفا ولا رآه سرفا، لأنه مما امتن الله سبحانه من نعمته، وأذن فيه من متاعه، وظهرت وجوه منفعته في الاكتنان والاستغلال الذي لا يقدر على الخروج عنه جنس الإنسان. ومن غريب ما جرى أني زرت بعض المتزهدين من الغافلين مع بعض المحدثين، فدخلنا عليه في خباء كتان، فعرض عليه صاحبي المحدث أن يحمله إلى منزله ضيفا، وقال: إن هذا موضع يكثر فيه الحر، والبيت أرفق بك، وأطيب لنفسي فيك، فقال: هذا الخباء لنا كثير، وكان في صنعنا من الحقير، فقلت: ليس كما زعمت فقد كان لرسول الله ﷺ وهو رئيس الزهاد قبة من آدم طائفي يسافر معها، ويستظل بها، فبهت، ورأيته على منزلة من العي فتركته مع صاحبي

وخرجت عنه. القرطبي

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا ﴿٨١﴾ أَشْيَاءَ تَسْتَظِلُونَ بِهَا كَالْأَشْجَارِ
﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ﴿٨٢﴾ مَوَاضِعَ تَسْكُنُونَ بِهَا مِنَ الْكُهوفِ
﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَبِيلَ ﴿٨٣﴾ ثِيَابًا ﴾ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَبِيلَ ﴿٨٤﴾ دُرُوعًا ﴿٨٥﴾ تَقِيكُمْ
بِأَسْكُمْ ﴿٨٦﴾ حَرْبَكُمْ ﴿٨٧﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨٨﴾

﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ﴾ إن قال قائل: كيف قال ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ﴾ ولم يذكر السهل، وقال: ﴿ تَقِيكُمْ الْحَرَّ ﴾ ولم يذكر البرد؟ فالجواب: أنهم كانوا أصحاب جبال ولم يكونوا أصحاب سهل، وكانوا أهل حر ولم يكونوا أهل برد، فذكر لهم نعمه التي تختص بهم كما خصهم بذكر الصوف وغيره، ولم يذكر القطن والكتان ولا الثلج - كما تقدم - فإنه لم يكن ببلادهم. قال معناه عطاء الخراساني وغيره وأيضاً: فذكر أحدهما يدل على الآخر. القرطبي، وينظر: تفسير ابن كثير.

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يَنكِرُونَهَا
وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يَنكِرُونَهَا ﴾ أي: هم يعرفون نعمة الله التي عددها، ويعترفون بأنها من عند الله سبحانه، ثم ينكرونها بما يقع من أفعالهم القبيحة من عبادة غير الله، وبأقوالهم الباطلة، حيث يقولون هي من الله ولكنها بشفاعة الأصنام، وحيث يقولون: إنهم ورثوا تلك النعم من آبائهم، وأيضاً كونهم لا يستعملون هذه النعم في مرضاة الرب سبحانه. الشوكاني

حال المشركين في الآخرة

﴿ وَتَوَمَّنْ عَنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴿٨٤﴾ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْهَا ﴾ ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ
كَفَرُوا ﴿٨٥﴾ فِي الْاِعْتِدَارِ ﴿٨٦﴾ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٧﴾ لَا يَطْلُبُونَ مِنْهُمْ إِرْضَاءَ رَبِّهِمْ
بِالتَّوْبَةِ ﴿٨٨﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٩﴾

يُؤْخِرُونَ وَيَمْهَلُونَ ﴿ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شَرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ ﴿ فَرُدُّوهُم عَلَيْهِمْ ﴿ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿ ﴿ ٨٦ ﴾ ﴿ فِي زَعَمِكُمْ أَنَّا شُرَكَاءُ اللَّهِ ﴿ وَالْقَوْلُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامُ ﴿ الْإِسْتِسْلَامُ وَالْخُضُوعُ ﴿ وَضَلَّ ﴿ غَاب ﴿ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿ ﴿ ٨٧ ﴾ ﴿ يَخْتَلِقُونَ مِنَ الْأَكَاذِبِ

﴿ وَالْقَوْلُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامُ ﴾ حينئذ استسلموا لله، وخضعوا لحكمه، وعلموا أنهم مستحقون للعذاب. ﴿ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ فدخلوا النار وقد امتلأت قلوبهم من مقت أنفسهم، ومن حمد ربهم، وأنه لم يعاقبهم إلا بما كسبوا. السعدي

﴿ ٢٧٦ ﴾

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾ ﴿ ﴿ ٨٨ ﴾

كل نبي يشهد على أمته

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿ ﴿ ٨٩ ﴾

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ هذا من كمال عدل الله تعالى أن كل رسول يشهد على أمته؛ لأنه أعظم اطلاعا من غيره على أعمال أمته، وأعدل وأشفق من أن يشهد عليهم إلا بما يستحقون. السعدي ﴿ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ ﴾ هذا تكرير لما سبق؛ لقصد التأكيد والتهديد. الشوكاني

توجيهات ربانية

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى ﴾ ﴿ إعطاء الأقارب ما يحتاجون ﴾ وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ ﴿ ما قبح قولاً أو فعلاً ﴾ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ﴿

الظلم والتعدي ﴿يَعْظُمُ لَعَلَّكُمْ تَذَكُّرُونَ﴾ ﴿٩٠﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ﴾ الآية، قال ابن مسعود: هذه أجمع آية في القرآن خير يمثل، ولشر يجتنب. القرطبي

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ ضامناً وشاهداً ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا ﴿ما يحل بعد إبرامه﴾ نَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ﴿خديعة حسب مصلحتكم﴾ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ ﴿أكثر مالا وأنفع﴾ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخِلِفُونَ ﴿٩٢﴾

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا﴾ قال قتادة: فلو سمعتم بامرأة نقضت غزلها من بعد إبرامه لقلتم: ما أحق هذه! وهذا مثل ضربه الله لمن نكث عهده. الطبري

* قال مجاهد وقتادة: وذلك ضرب مثل، لا على امرأة معينة. القرطبي ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ قال المفسرون: نزلت هذه الآية في العرب الذين كانت القبيلة منهم إذ حالفت أخرى، ثم جاءت إحداها قبيلة كثيرة قوية فداخلتها غدرت الأولى ونقضت عهدها ورجعت إلى هذه الكبرى - قاله مجاهد - فقال الله تعالى: لا تنقضوا العهود من أجل أن طائفة أكثر من طائفة أخرى، أو أكثر أموالا فتنقضون أيمانكم إذا رأيتم الكثرة والسعة في الدنيا لأعدائكم المشركين. والمقصود النهي عن العود إلى الكفر بسبب كثرة الكفار وكثرة أموالهم. القرطبي

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أهل دين واحد وهو الإسلام ﴿وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٣﴾

﴿وَلَا نَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ خديعة يخدع بعضكم بعضاً ﴿فَنَزَلَ قَدَمُ﴾

بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴿أَقْدَامُكُمْ عَنْ حُجَّةِ الْإِسْلَامِ﴾ وَتَذَوُّقُوا أَلْسُوَ مَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ ﴿يَذْهَبُ﴾ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مِّنْ عَمَلٍ صَالِحٍ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

القرآن، والرد على الشبه حوله

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ﴿٩٨﴾ المطرود من رحمة الله

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ فالطريق إلى السلامة من شره الالتجاء إلى الله، والاستعاذة به من شره، فيقول القارئ: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) متدبراً لمعناها، معتمداً بقلبه على الله في صرفه عنه، مجتهداً في دفع وساوسه وأفكاره الرديئة، مجتهداً على السبب الأقوى في دفعه، وهو التحلي بحلية الإيمان والتوكل. السعدي

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ﴾ تسلط ﴿عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ ﴿يَتَخَذُونَهُ وَلِيًّا مَّطَاعًا﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ﴿بِالنَّسخِ﴾ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ كاذب مختلق على الله ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٠١﴾

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ﴾ المعنى: إذا نسخنا آية بآية، إما نسخ الحكم والتلاوة، أو نسخ الحكم مع بقاء التلاوة، والله أعلم بما ينزل من ناسخ ومنسوخ، وتشديد وتخفيف، فهو عليم بالمصلحة في ذلك. ابن الجوزي

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ جبريل ﴿مِّنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿١٠٢﴾

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ ﴿نَسَبُوا إِلَيْهِ تَعْلِيمَ النَّبِيِّ ﷺ﴾ ﴿أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ ﴿١٠٣﴾

﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾ يشيرون إلى رجل أعجمي كان بين أظهرهم غلام لبعض بطون قريش، وكان بياعاً يبيع عند الصفا، فربما كان رسول الله ﷺ يجلس إليه ويكلمه بعض الشيء، وذلك كان أعجمي اللسان لا يعرف العربية، أو أنه كان يعرف الشيء اليسير بقدر ما يرد جواب الخطاب فيما لا بد منه. ابن كثير

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بَيَّاتِ اللَّهُ لَا يَهْدِيهِمْ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بَيَّاتِ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ ﴿١٠٥﴾

حال المرتد إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٠٦﴾

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ قال قتادة: أخذ بنو المغيرة عماراً وغطوه في بئر ميمون، وقالوا له: اكفر بمحمد، فتابعهم على ذلك وقلبه كاره، فأخبر رسول الله ﷺ بأن عمارا كفر، فقال: «كلا إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه» فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي، فقال رسول الله ﷺ: «ما وراءك؟» قال: شر يا رسول الله إني نلت منك وذكرت ألهتهم بخير، قال: «كيف وجدت قلبك؟» قال: مطمئنا بالإيمان فجعل النبي ﷺ يمسح عينيه وقال: إن عادوا لك، فعد لهم بما قلت، فنزلت هذه الآية. البغوي

* الآية عامة فيمن أكره من غير فرق بين القول والفعل، ولا دليل لهؤلاء

القاصرين للآية على القول، وخصوص السبب لا اعتبار به مع عموم اللفظ كما تقرر في علم الأصول. الشوكاني

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ أُسْتَحَبُّوا الْحَيَوةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٠٧) ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (١٠٨) ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ ﴿ حَقًّا ﴾ ﴿ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَسِرُونَ ﴾ (١٠٩)

من تاب إلى الله

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ﴾ ﴿ عَذِبُوا وَابْتَلُوا ﴾ ﴿ ثُمَّ جَهِدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١١٠)

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ﴾ ﴿ ثُمَّ جَهِدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿ ذكر عن بعض أهل التأويل أن هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا تخلفوا بمكة بعد هجرة النبي ﷺ، فاشتد المشركون عليهم حتى فتنوهم عن دينهم، فأيسوا من التوبة، فأنزل الله فيهم هذه الآية: فهاجروا ولحقوا برسول الله ﷺ. الطبري * ذكر بعض المحققين أن السورة مكية إلا هذه الآية فهي مدنية.

﴿ ٢٧٩ ﴾

﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ﴾ ﴿ تعطي الجزاء ﴾ ﴿ وَافِيًا ﴾ ﴿ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (١١١)

مثل لمكة

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا ﴾ ﴿ هَنِيئًا سَهْلًا ﴾ ﴿ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذْهَبَ اللَّهُ لَهَا لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (١١٢)

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً ﴾ ﴿ هذه القرية هي مكة المشرفة، التي كانت آمنة مطمئنة،

لا يهاج فيها أحد، وتحترمها الجاهلية الجهلاء، حتى إن أحدهم يجد قاتل أبيه وأخيه، فلا يبيحه مع شدة الحمية فيهم، والنصرة العربية، فحصل لها من الأمن التام ما لم يحصل لسواها، وكذلك الرزق الواسع.

كانت بلدة ليس فيها زرع ولا شجر، ولكن يسر الله لها الرزق يأتيها من كل مكان، فجاءهم رسول منهم يعرفون أمانته وصدقه، يدعوهم إلى أكمل الأمور، وينهاهم عن الأمور السيئة، فكذبوه وكفروا بنعمة الله عليهم، فأذاقهم الله ضد ما كانوا فيه، وألبسهم لباس الجوع الذي هو ضد الرغد، والخوف الذي هو ضد الأمن، وذلك بسبب صنيعهم وكفرهم وعدم شكرهم.

السعدي

﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ قطع العرب عنهم الميرة بأمر النبي ﷺ، حتى أكلوا العظام المحرقة، والجيفة، والكلاب الميتة، والجلود، والعلهز - وهو الوبر يعالج بالدم -. ثم إن رؤساء مكة كلموا رسول الله ﷺ حين جهدوا وقالوا: هذا عذاب الرجال، فما بال النساء والصبيان. وقال له أبو سفيان: يا محمد، إنك جئت تأمر بصلة الرحم والعفو، وإن قومك قد هلكوا، فادع الله لهم. فدعا لهم رسول الله ﷺ، وأذن للناس بحمل الطعام إليهم وهم بعد مشركون. القرطبي

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾

﴿١١٣﴾

توجيهات بالأكل من الطيبات، واجتناب ما لا يحل

﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ ﴿ما مات بغير تذكية﴾ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِزْيِرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ ﴿مريد للمحرم﴾ وَلَا عَادٍ ﴿متجاوزاً حد الضرورة﴾ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى

الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

﴿ ٢٨٠ ﴾

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهَلَةٍ﴾ ﴿جهلوا بارتكابهم معصية الله﴾ ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾

إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، إمام الموحدين، السبت على اليهود

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ ﴿إمامًا جامعًا لخصال الخير﴾ ﴿قَانِتًا لِلَّهِ﴾ ﴿خاضعًا مداوما على الطاعة﴾ ﴿حَنِيفًا﴾ ﴿مائلا عن الشرك إلى التوحيد﴾ ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٢٠﴾ ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَجْتَبَنَاهُ﴾ ﴿اختاره﴾ ﴿وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿١٢١﴾ ﴿وَعَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٢٢﴾ ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٢٣﴾ ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾ ﴿تعظيم السبت﴾ ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿١٢٤﴾

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ ﴿وجه الاتصال بما قبله أن النبي ﷺ أمر باتباع الحق، وحذر الله الأمة من الاختلاف عليه، فيشدد عليهم كما شدد على اليهود. القرطبي

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ ﴿لا شك أن الله تعالى شرع في كل ملة يوما من الأسبوع، يجتمع الناس فيه للعبادة، فشرع تعالى لهذه الأمة يوم الجمعة؛ لأنه اليوم السادس الذي أكمل الله فيه الخليقة، واجتمعت الناس فيه، وتمت النعمة على عباده. ويقال: إنه تعالى شرع ذلك لبني إسرائيل على لسان موسى، فعدلوا عنه واختاروا السبت؛ لأنه اليوم الذي لم يخلق فيه الرب شيئا من المخلوقات الذي كمل خلقها يوم الجمعة، فالزمهم تعالى به في شريعة التوراة، ووصاهم أن يتمسكوا به وأن يحافظوا عليه، مع أمره إياهم بمتابعة محمد ﷺ إذا بعثه. وأخذ موثيقهم وعهودهم على ذلك، ولهذا قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾

قال مجاهد: اتبعوه وتركوا الجمعة. ثم إنهم لم يزلوا متمسكين به، حتى بعث الله عيسى بن مريم، فيقال: إنه حولهم إلى يوم الأحد. ويقال إنه: لم يترك شريعة التوراة إلا ما نسخ من بعض أحكامها وإنه لم يزل محافظا على السبت حتى رفع، وإن النصراني بعده في زمن قسطنطين هم الذين تحولوا إلى يوم الأحد؛ مخالفة لليهود، وتحولوا إلى الصلاة شرقا عن الصخرة، والله أعلم. ابن كثير

توجيهات ربانية

﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ **دين ربك وطريقه المستقيم** ﴿ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدَلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١٢٥) ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ (١٢٦)

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ ﴾ عن عامر: أن المسلمين قالوا لما فعل المشركون بقتلاهم يوم أحد: لئن ظهرنا عليهم لنفعلن ولنفعلن، فأنزل الله تعالى ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ قالوا: بل نصبر. الطبري

﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ (١٢٧) ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (١٢٨)

سورة الإسراء

سورة الإسراء، سورة مكية، فيها الحديث عن : الإسراء - بني إسرائيل - أصول العقيدة (التوحيد والبعث والحساب) - توجيهات للنبي ﷺ وللمؤمنين - بيان فضل القرآن- الرد على المشركين وبيان موقفهم من الوحي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإسراء

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ **بالثَّار والزروع ومنازل الأنبياء** ﴿لَنُرِيَهُ مِنْ أَيْنَأَنَّا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ 

﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ الأدلة الواضحة، والأخبار المتتابعة عن رسول الله ﷺ أن الله أسرى به على دابة يُقال لها البراق، ولو كان الإسراء بروحه لم تكن الروح محمولة على البراق، إذ كانت الدواب لا تحمل إلا الأجسام. إلا أن يقول قائل: إن معنى قولنا: أسرى روحه: رأى في المنام أنه أسرى بجسده على البراق، فيكذب حينئذ بمعنى الأخبار التي رُويت عن رسول الله ﷺ، أن جبرائيل حمله على البراق. الطبري

* أسرى به ﷺ من المسجد كما في حديث أنس في الصحيحين، وأما ما روي أنه من بيت أم هانئ فمعلول.

﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ جاء في تفسير البغوي: قال رسول الله ﷺ: «لما كانت ليلة أسري بي أصبحت بمكة، فضقت بأمرى، وعرفت أن الناس يكذبوني»، فروي أنه -عليه الصلاة والسلام- قعد معتزلاً حزيناً، فمر به أبو جهل، فجلس إليه، فقال له كالمستهزئ: هل استفدت من شيء؟ قال: «نعم إني أسري بي الليلة» قال: إلى أين؟ قال: «إلى بيت المقدس»، قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا، قال: «نعم»، فلم ير أبو جهل أنه ينكر ذلك مخافة أن يحجده الحديث، قال: أتحدث قومك بما حدثني به؟ قال: «نعم»، قال أبو جهل: يا معشر بني كعب بن لؤي هلموا، قال: فانفضت إليه المجالس فجاءوا حتى جلسوا إليهما، قال: فحدث قومك بما حدثني، قال: «نعم إنه أسري بي الليلة»، قالوا إلى أين؟ قال: «إلى بيت المقدس»، قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم، قال: فكان القوم فمن بين مصفق، ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً، وارتد ناس ممن كان

آمن به وصدقه، وسعى رجل من المشركين إلى أبي بكر، فقال: هل لك في صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس، قال: أوقد قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: وتصدقه أنه ذهب إلى بيت المقدس في ليلة وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم إني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة، فلذلك سمي أبو بكر الصديق، قال: وفي القوم من قد أتى المسجد الأقصى، فقال: هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد الأقصى؟ قال: «نعم»، قال: «فذهبت أنعت وأنعت، فما زلت أنعت حتى التبس علي بعض النعت، قال: فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع دون دار عقيل، فنعت المسجد، وأنا أنظر إليه»، فقال القوم: أما النعت فوالله لقد أصاب، ثم قالوا: يا محمد أخبرنا عن عيرنا فهي أهم إلينا فهل لقيت منها شيئاً؟ قال: «نعم مررت على عير بني فلان، وهي بالروحاء وقد أضلوا بعيراً لهم وهم في طلبه، وفي رحالهم قده من ماء، فعطشت، فأخذته فشربته ثم وضعته كما كان، فاسألوهم هل وجدوا الماء في القده حين رجعوا إليه»، قالوا: هذه آية، قال: «ومررت بعير بني فلان وفلان وفلان راكبان قعوداً لهما بذئ طوى فنفر بعيرهما مني فرمى بفلان فانكسرت يده فسلوهما عن ذلك»، فقالوا: وهذه آية، قالوا: فأخبرنا عن عيرنا نحن متى تحيى؟ قال: «مررت بها بالتنعيم»، قالوا: فما عدتها وأحماها وهيئتها ومن فيها، فقال: «نعم هيئتها كذا وكذا، وفيها فلان وفلان يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان، تطلع عليكم عند طلوع الشمس»، قالوا: وهذه آية أخرى، ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وهم يقولون والله لقد قص محمد شيئاً وبينه حتى أتوا كدى، فجلسوا عليه فجعلوا ينتظرون متى تطلع الشمس، فيكذبونه، إذ قال قائل منهم: والله هذه الشمس قد طلعت، وقال آخر: وهذه والله الإبل قد طلعت، يقدمها بعير أورق فيها فلان وفلان كما قال لهم فلم يؤمنوا، وقالوا إن هذا إلا سحر مبين.

البغوي

﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنَى إِسْرَءِيلَ إِلَّا تَنَحَّضُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا ﴿٢﴾﴾ معبودًا تفوضون أموركم إليه ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ أي: يا ذرية من مننا عليهم وحملناهم مع نوح ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ ﴿٣﴾

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿فيه التنويه بالثناء على نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ بقيامه بشكر الله، واتصافه بذلك، والحث لذريته أن يقتدوا به في شكره ويتابعوه عليه. السعدي﴾

إفساد بني إسرائيل

﴿وَقَضَيْنَا﴾ أخبرنا وأوحينا ﴿إِلَى بَنَى إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ أرض الشام بالمعاصي ﴿وَلِنُعَلِّنَ عُلُومًا كَبِيرًا﴾ ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴿ذَوِي شَجَاعَةٍ وَقُوَّةٍ﴾ فَجَاسُوا ﴿طَافُوا﴾ خِلَالَ الدِّيَارِ ﴿وَسَطَ الدِّيَارِ﴾ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾

﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾ بعثنا قدريا، وسلطنا عليكم تسليطا كونيا جزائيا ... واختلف المفسرون في تعيين هؤلاء المسلطين. السعدي. قلت: قيل: في الأولى سنحاريب وفي الثانية بختنصر، وقيل غير ذلك. ولم أر فائدة في التوسع في الأقوال. ينظر للتوسع: تفسير الطبري وتفسير ابن الجوزي.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ الغلبة والظهور ﴿وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ ﴿٦﴾ ﴿عَدَدًا﴾ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ ﴿موعد الإفساد الثاني﴾ لِيَسْتَوُوا ﴿لِيَذُلُّوا وَيَمِينُوا﴾ وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ ﴿بيت المقدس﴾ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّوْا ﴿ليدمروا﴾ مَا عَلَوْا ﴿ما وقع تحت أيديهم﴾ تَبِيرًا ﴿٧﴾ تدميرا كاملاً

﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَلَئِنْ عُدْتُمْ﴾ بالإفساد في الأرض ﴿عُدْنَا﴾ بِأَنْ نَسْلُطَ عَلَيْكُمْ مِنْ

تذلون على يديه ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ سجنًا لا خروج منه أبدًا

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عَلَيْنَا﴾ في هذه الآيات التحذير لهذه الأمة من العمل بالمعاصي؛ لئلا يصيبهم ما أصاب بني إسرائيل، فسنة الله واحدة لا تبدل ولا تغير. ومن نظر إلى تسليط الكفرة على المسلمين والظلمة، عرف أن ذلك من أجل ذنوبهم عقوبة لهم، وأنهم إذا أقاموا كتاب الله وسنة رسوله؛ مكن لهم في الأرض، ونصرهم على أعدائهم. السعدي

القرآن

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ **أعدل وأصوب** ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ ﴿على نفسه وأهله إذا ضجر فيه ذم لذلك﴾ دُعَاهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحُونًا ﴿طمسنا﴾ آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴿مضيئة﴾ لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّاعَاتِ وَالْحِسَابِ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾

مع كل إنسان كتاب أعماله، والتحذير من الضلال

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ﴾ **ما عمله من خير أو شر** ﴿فِي عُنُقِهِ﴾ **وَنُخِّرُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾**

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ **خص العنق بالذكر؛ لأن اللزوم فيه أشد.** ينظر: تفسير الجلالين

﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ مِّنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزُرُ ﴿لا تحمل﴾ وَازْرَهُ ﴿نفس آثمة﴾ وَزُرْ أُخْرَىٰ ﴿وقد تحمل مثله إذا دعت إليه﴾ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا ﴿كثيرًا ما أهلكنا﴾ مِنَ الْقُرُونِ ﴿الأمم المكذبة﴾ مِّنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾

أصناف الناس، وجزاؤهم

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾ الدنيا ﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا﴾ يدخلها ويقاسى حرها ﴿مَذْمُومًا﴾ مَلُومًا ﴿مَذْهُورًا﴾ ﴿١٨﴾ ﴿مُطْرُودًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا نُمَدُّ ﴿نَزِيدُ مِنَ الْعَطَاءِ﴾ هَتُؤَلَاءِ وَهَتُؤَلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴿مَمْنُوعًا﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾

توجيهات ربانية

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿غَيْرِ مَنْصُورٍ وَلَا مُعَانَ مِنْ اللَّهِ﴾ ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ أَمْرٌ وَالْزَمَ وَأَوْجَبَ ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَقِي﴾ كلمة تضرع وتبرم ﴿وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ ﴿تَوَاضَعْ لَهَا﴾ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾

﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ فهم من هذا أنه كلما ازدادت التربية ازداد الحق، وكذلك من تولى تربية الإنسان في دينه ودنياه تربية صالحة غير الأبوين، فإن له على من رباه حق التربية. السعدي

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ من إضمار البر ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ ﴿٢٥﴾ لما صدر منهم في حق الوالدين من بادرة وهم لا يضمرون عقوقا ﴿وَأَتَىٰ ذَا الْقُرْنَىٰ حَقُّهُ وَالْمَسْكِينُ وَابْنُ السَّبِيلِ﴾ المسافر المنقطع في سفره ﴿وَلَا تُبْذَرِ تَبَذِّرَ﴾ ﴿٢٦﴾ لا تنفق مالك من غير طاعة، أو على وجه الإسراف ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ ﴿٢٧﴾

﴿وَأَمَّا تُعْرَضْنَ عَنْهُمْ﴾ **عن المحتاجين** ﴿أَبْتَغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ **رِزْقًا تَنْتَظِرُهُ** ﴿تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ ﴿٢٨﴾

﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ هذا من لطف الله تعالى بالعباد، أمرهم بانتظار الرحمة والرزق منه؛ لأن انتظار ذلك عبادة، وكذلك وعدهم بالصدقة والمعروف عند التيسر عبادة حاضرة؛ لأن الهم بفعل الحسنة حسنة، ولهذا ينبغي للإنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير، وينوي فعل ما لم يقدر عليه؛ ليثاب على ذلك. السعدي

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ **يلومك** **الناس ويذمونك** ﴿مَحْسُورًا﴾ ﴿٢٩﴾ **نادماً على تنذيرك**

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ هذا مثل ضربه الله تبارك وتعالى للممتنع من الإنفاق في الحقوق التي أوجبها في أموال ذوي الأموال، فجعله كالمشدودة يده إلى عنقه، الذي لا يقدر على الأخذ بها والإعطاء. الطبري ﴿فَقَعْدُ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ أي: فتقعد يلومك سائلوك إذا لم تعطهم حين سألوك، وتلومك نفسك على الإسراع في مالك وذهابه. ﴿مَحْسُورًا﴾ يقول: معيباً، قد انقطع بك، لا شيء عندك تنفقه. الطبري

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ **يضيق** ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ ﴿٣٠﴾

تابع توجيهات للمؤمنين

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ **فقر** ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا﴾ **ذنبًا** ﴿كَبِيرًا﴾ ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّفَّةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ **طريقًا** ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ﴾ **من تولى أمره من وارث أو حاكم** ﴿سُلْطَنًا﴾ **حجة** ﴿فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ﴾ **بأن يقتل غير قاتله أو بغير ما قتل به** ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ **من مات أبوه قبل البلوغ** ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ

أَشَدُّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿٣٥﴾ **الميزان السوى** ﴿٣٥﴾ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ **عاقبة عند الله في الآخرة** ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ ﴿٣٥﴾ لَا تَتَّبِعْ ﴿٣٥﴾ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ ﴿٣٦﴾ **نصرفاته بهن** ﴿٣٦﴾ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴿٣٧﴾ **مختلًا متكبرًا** ﴿٣٧﴾ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ ﴿٣٧﴾ تَنْقُبُهَا حَتَّى تَبْلُغَ آخِرَهَا بِكِبَرِكَ ﴿٣٧﴾ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ **فعلام التكبر؟** ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

﴿ ٢٨٥ ﴾

﴿٣٩﴾ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا ﴿٣٩﴾ **يلومك الناس ونفسك** ﴿٣٩﴾ مَدْحُورًا ﴿٣٩﴾

من صور زيف الكفار، والرد عليهم

﴿٤٠﴾ أَفَأَصْفَكُمْ ﴿٤٠﴾ **أنفخصكم** ﴿٤٠﴾ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ ﴿٤١﴾ **نوعنا الأساليب ووضحناها** ﴿٤١﴾ لِيَذْكُرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ **بعدًا عن الحق** ﴿٤١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا بُغْوَا إِلَى ذِي الْعَرْشِ ﴿٤٢﴾ **صاحب العرش وهو الله تعالى** ﴿٤٢﴾ سَيَلَا ﴿٤٢﴾

﴿٤٢﴾ **قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا بُغْوَا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَيَلَا** ﴿٤٢﴾ قال قتادة: المعنى إذا لا ابتغت الآلهة القربة إلى ذي العرش سيلا، والتمست الزلفة عنده؛ لأنهم دونه، والقوم اعتقدوا أن الأصنام تقربهم إلى الله زلفى، فإذا اعتقدوا في الأصنام أنها محتاجة إلى الله سبحانه وتعالى؛ فقد بطل أنها آلهة. القرطبي

﴿٤٣﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾

موقف المشركين من القرآن

﴿٤٥﴾ وَإِذَا قُرَأَ الْقُرْآنُ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾

حجابا يمنعهم من فهم القرآن عقابا لهم على إعراضهم

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾
 كان النبي ﷺ إذا قرأهن يستتر من المشركين. قال كعب رضي الله عنه : فحدثت
 بهن رجلاً من أهل الشام، فأتى أرض الروم فأقام بها زمناً، ثم خرج هارباً
 فخرجوا في طلبه، فقرأ بهن فصاروا يكونون معه على طريقه ولا يبصرونه، قال
 الثعلبي: وهذا الذي يروونه عن كعب حدثت به رجلاً من أهل الري فأسر
 بالديلم، فمكث زمناً ثم خرج هارباً فخرجوا في طلبه، فقرأ بهن حتى جعلت
 ثيابهن لتلمس ثيابه فما يبصرونه ... قلت: ولقد اتفق لي ببلادنا الأندلس
 بحصن مشور من أعمال قرطبة مثل هذا. وذلك أي هربت أمام العدو وانحزرت
 إلى ناحية عنه، فلم ألبث أن خرج في طلبي فارسان وأنا في فضاء من الأرض
 قاعد ليس يسترني عنهما شيء، وأنا أقرأ أول سورة يس، وغير ذلك من القرآن،
 فعبرا علي ثم رجعا من حيث جاءا وأحدهما يقول للآخر: هذا ديبلة، يعنون
 شيطانا. وأعمى الله عَزَّوَجَلَّ أبصارهم فلم يروني، والحمد لله حمدا كثيرا على
 ذلك. القرطبي

﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ **أَغْطِيَةٌ** ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ **صَمًّا وَثِقَلًا فِي السَّمْعِ** ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ، وَلَوُا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ ﴿٤٦﴾ **نَافِرِينَ** ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ **يَتَنَاجُونَ فِيهَا بَيْنَهُمْ** ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ ﴿٤٧﴾ **أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا** ﴿٤٨﴾

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ أي: فلا يهتدون لطريق الحق لضلالهم عنه وبعدهم
 منه، وأن الله قد خذهم عن إصابته، فهم لا يقدرّون على المخرج. الطبري

إنكارهم للبعث، والرد عليهم

﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفُنًا﴾ **فَنَآئًا** ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ ﴿٤٩﴾

﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ ﴾

﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾ المعنى أنهم قد أقروا بخالقهم، وأنكروا البعث، فقل لهم: استشعروا أن تكونوا ما شئتم، فلو كنتم حجارة أو حديدًا؛ لبعثتم كما خلقتهم أول مرة. القرطبي

﴿ أَوْ خَلَقًا مِّمَّا يَكْفُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۝٥١ ﴾ يعظم عن قبول الحياة فلو كنتم كذلك لبعثتم ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ۝٥٢ ﴾ يحركونها مستهزئين ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ ۝٥٣ ﴾ استهزاء ﴿ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا يَوْمَ يَدْعُوكُمْ ۝٥٤ ﴾ بالنفخة الأخيرة في الصور ﴿ فَتَسْجُدُونَ بِحَمْدِهِ ۝٥٥ ﴾ بأمره

﴿ وَتَقْنُونَ إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۝٥٦ ﴾ لقصر ذلك أمام الآخرة ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۝٥٧ ﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ ۝٥٨ يفسد ﴿ بَيْنَهُمْ ۝٥٩ ﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ۝٦٠﴾

﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ هذا أمر بكل كلام يقرب إلى الله من قراءة وذكر وعلم وأمر بمعروف ونهي عن منكر وكلام حسن لطيف مع الخلق على اختلاف مراتبهم ومنازلهم، وأنه إذا دار الأمر بين أمرين حسنين فإنه يأمر بإيثار أحسنهما إن لم يمكن الجمع بينهما. والقول الحسن داع لكل خلق جميل، وعمل صالح، فإن من ملك لسانه ملك جميع أمره. السعدي

﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۝٦١ ﴾ إِنْ يَشَأْ يُرْحَمَكُمُ ۝٦٢ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝٦٣ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۝٦٤ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ۝٦٥ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۝٦٦﴾

مناقشة المشركين في عقيدتهم

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ ۝٦٧ ﴾ كالملائكة وعيسى وعزير ﴿ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٦٨ ﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴿ الْقربة بالطاعة ۝٦٩ ﴾ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَبَرَّحُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۝٧٠ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۝٧١﴾

﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْنَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أَلْوَسِيلَةً** ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن نفرا من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن، فأسلم الجن والنفر من العرب لا يشعرون، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، روي عن ابن مسعود. والثاني: أن المشركين كانوا يعبدون الملائكة، ويقولون: هي تشفع لنا عند الله قاله مقاتل. ابن الجوزي

﴿ **وَلِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا** ﴾ **بالموت** ﴿ **قَبْلَ يَوْمِ أَلْقِيَمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ** ﴾ **اللوحي المحفوظ** ﴿ **مَسْطُورًا** ﴾ ﴿ ٥٨ ﴾ مكتوبًا

﴿ **وَلِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا** ﴾ ما من قرية من القرى المكذبة للرسول إلا لا بد أن يصيبهم هلاك قبل يوم القيامة، أو عذاب شديد. السعدي

من حكم الله في تدبيره

﴿ **وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ** ﴾ التي اقترحها أهل مكة ﴿ **إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ** ﴾ **وَأَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةِ مَبْصُرَةً** ﴾ **معجزة واضحة** ﴿ **فَظَلَمُوا بِهَا** ﴾ **وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا** ﴾ ﴿ ٥٩ ﴾

﴿ **وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ** ﴾ ما منعه أن يرسلها إلا خوفا من تكذيبهم لها، فإذا كذبوا بها عاجلهم العقاب، وحل بهم من غير تأخير، كما فعل بالأولين الذين كذبوا بها ... وهؤلاء كذلك لو جاءتهم الآيات الكبار لم يؤمنوا، فإنه ما منعهم من الإيمان خفاء ما جاء به الرسول واشتباهاه هل هو حق أو باطل؟ فإنه قد جاء من البراهين الكثيرة ما دل على صحة ما جاء به، الموجب لهداية من طلب الهداية، فغيرها مثلها، فلا بد أن يسلكوا بها ما سلكوا بغيرها، فترك إنزالها والحالة هذه خير لهم وأنفع. السعدي

﴿ **وَأَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةِ مَبْصُرَةً** ﴾ خص بالذكر ثمود وآيتها؛ لشهرة أمرهم بين العرب، ولأن آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من أهل مكة، يبصرها

صادرهم وواردهم في رحلاتهم بين مكة والشام. ابن عاشور. «ت».

﴿وَمَا تُرْسِلُ إِلَّا نَذِيرًا﴾ جاء في الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكن الله تعالى يخوف بها عباده».

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْتَكَ﴾ ما رأيت عيانا ليلة الإسراء من العجائب ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ أهل مكة إذ كذبوا بها وارتد بعضهم لما أخبرهم بها ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ شجرة الزقوم ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْتَكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةُ﴾ المعنى: إذا كان هذان الأمران قد صارا فتنة للناس حتى استلج الكفار بكفرهم، وازداد شرهم، وبعض من كان إيمانه ضعيفا رجع عنه بسبب أن ما أخبرهم به من الأمور التي كانت ليلة الإسراء ومن الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كان خارقا للعادة. والإخبار بوجود شجرة تنبت في أصل الجحيم أيضا من الخوارق، فهذا الذي أوجب لهم التكذيب. فكيف لو شاهدوا الآيات العظيمة والخوارق الجسيمة؟. أليس ذلك أولى أن يزداد بسببه شرهم؟! فلذلك رَحِمَهُمُ اللَّهُ وصرفها عنهم. السعدي

﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ هي شجرة الزقوم، كما أخبرهم رسول الله ﷺ أنه رأى الجنة والنار، ورأى شجرة الزقوم، فكذبوا بذلك حتى قال أبو جهل - لعنه الله -: هاتوا لنا تمرا وزبدا، وجعل يأكل هذا بهذا ويقول: ترقموا، فلا نعلم الزقوم غير هذا. ابن كثير

إبليس، والتكبر

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ أَخْبَرَنِي هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأُحْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ ﴿٦٢﴾ لَأَسْتُولِينَ عَلَيْهِمْ ﴿٦٣﴾ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٦٤﴾ قَالَ

أَذْهَبَ فَمَنْ تَبَعَكَ مِنْهُمْ فَاِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ ﴿وَافِرًا﴾
 وَأَسْتَفْزَزُ ﴿استخف واستعجل﴾ ﴿مَنْ أَسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ ﴿بَدْعَاكَ إِيَاهُمْ﴾
 لِلْمَعَاصِي وَبِالْغَنَاءِ وَالْمَزَامِيرِ ﴿وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿أَجْمَعَ وَصَحَ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿بِخَيْلِكَ﴾
 وَرَجَلِكَ ﴿بِجُنُودِكَ الرَّاكِبِينَ وَالرَّاجِلِينَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ﴾ ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾
 وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴿بَاطِلًا وَخَدَاعًا﴾

﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ ذلك شامل لكل معصية تعلقت بأموالهم وأولادهم ... بل ذكر كثير من المفسرين أنه يدخل في مشاركة الشيطان في الأموال والأولاد ترك التسمية عند الطعام والشراب والجماع، وأنه إذا لم يسم الله في ذلك شارك فيه الشيطان كما ورد فيه الحديث. السعدى

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ ﴿٦٥﴾

من منن الله على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون

﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي﴾ يسير ويجري ﴿لَكُمْ الْفُلُكُ﴾ السفن ﴿فِي الْبَحْرِ﴾
 لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴿بِالصَّيْدِ وَنَقْلِ الْبَضَائِعِ﴾ ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ ﴿٦٦﴾

﴿ ٢٨٨ ﴾

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ﴾ غاب ﴿مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ﴾
 أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ﴾
 عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴿حجارة من السماء﴾ ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿حَافِظًا﴾
 يُحَفِّظُكُمْ ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ﴾
 رِيحٌ شَدِيدَةٌ لَا تَرَىٰ شَيْءَ إِلَّا قَاصِفَةً ﴿فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ﴾
 بِتَيْعًا ﴿٦٩﴾ ﴿تَبِعَةً وَمَطَالِبًا يَطَالِبُنَا بِمَا فَعَلْنَا﴾ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي﴾
 الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا﴾
 تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَاثٍ بِأُمِّهِمْ﴾ ﴿مَنْ كَانُوا يَقْتَدُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا﴾
 ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ يَمِينًا فَاؤْتِيكَ يَقرءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَظْلَمُونَ﴾ لا
 يَنْقُصُونَ ﴿فَتِيلًا﴾ ﴿٧١﴾ ﴿قَدَرِ الْخِيطِ الَّذِي يَكُونُ فِي شِقِ النَّوَاةِ﴾ ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ﴾

أَعْمَى ﴿٧٢﴾ عَنْ الْحَقِّ ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾

﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن حجج الله على أنه المنفرد بخلقها وتديرها، وتصريف ما فيها، فهو في أمر الآخرة التي لم يرها ولم يعاينها، وفيما هو كائن فيها ﴿أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ يقول: وأضل طريقا منه في أمر الدنيا التي قد عاينها ورآها. الطبري

موقف المشركين من الرسول ﷺ

﴿وَأِنْ كَادُوا﴾ قاربوا ﴿لِيَفْتِنُونَكَ﴾ يصرفونك ويوقعونك في الفتنة ﴿عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ﴾ لتخلق وتكذب ﴿عَلَيْنَا غَيْرُهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ ﴿٧٣﴾ حبيبا خالصا ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ ﴿٧٤﴾

﴿لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ عن مجاهد قال: قالوا له: ائت آهتنا فامسسها، فذلك قوله: ﴿شَيْئًا قَلِيلًا﴾ ... وعن ابن عباس، أن ثقيفا كانوا قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله أجّلنا سنة حتى يُهْدَى لآهتنا، فإذا قبضنا الذي يُهْدَى لآهتنا أخذناه، ثم أسلمنا وكسرنا الآلهة، فهم رسول الله ﷺ أن يعطيهم، وأن يؤجلهم، فقال الله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾. والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن نبيه ﷺ أن المشركين كادوا أن يفتنوه عما أوحاه الله إليه ليعمل بغيره، وذلك هو الافتراء على الله، وجائز أن يكون ذلك كان ما ذكر عنهم من ذكر أنهم دعوه أن يمس آهتهم، ويلم بها، وجائز أن يكون كان ذلك ما ذكر عن ابن عباس من أمر ثقيف، ومسألته إياه ما سألوه مما ذكرنا، وجائز أن يكون غير ذلك، ولا بيان في الكتاب، ولا في خبر يقطع العذر أي ذلك كان. ينظر: تفسير الطبري

﴿إِذَا لَا ذَقْنَكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ﴾ عذابا مضاعفا في الدنيا ﴿وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ عذابا مضاعفا في الآخرة ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ ﴿٧٥﴾

﴿وَأِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ **ليخرجونك من مكة**
بإزعاجهم إياك ﴿وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٧٦﴾ **لعدّبناهم بعد قليل**
من خروجك وهو ما حصل بيدر ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا
تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ ﴿٧٧﴾ **تغيرا**

توجيهات ربانية

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ **من وقت زوال الشمس عند الظهر** ﴿إِلَى غَسَقِ

الَّيْلِ﴾ **ظلمته** ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ **صلاة الصبح التي تطال فيها قراءة القرآن** ﴿إِنَّ

قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ ﴿٧٨﴾ **تحضرها ملائكة الليل والنهار**

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ **قال الأزهري: معنى الدلوك في كلام العرب**
الزوال ... والمعنى: أقم الصلاة من وقت دلوك الشمس إلى غسق الليل،
فيدخل فيها الظهر والعصر، وصلاتا غسق الليل، وهما العشاءان، ثم قال:
﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ هذه خمس صلوات. الشوكاني

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾ **قم من نومك في الليل للصلاة** ﴿نَافِلَةً لَكَ﴾ **زيادة لك في**
علو القدر ورفع الدرجات ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ ﴿٧٩﴾ **مقام**
الشفاعة العظمى لفصل القضاء يوم القيامة

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾ **قال ابن عباس: (يعني بالنافلة أنها للنبي**
ﷺ خاصة، أمر بقيام الليل وكتب عليه) ... وذلك أن رسول الله ﷺ كان الله
تعالى قد خصه بما فرض عليه من قيام الليل، دون سائر أمته. الطبري

﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِي مِنْ لَدُنْكَ

سُلْطٰنًا﴾ **حجة وقوة** ﴿نَصِيرًا﴾ ﴿٨٠﴾

﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ **قال ابن عباس: كان**
النبي ﷺ بمكة، ثم أمر بالهجرة، فأنزل الله: ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ

وَأَخْرِجَنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨١﴾ ابن كثير
 * وقال مجاهد: أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق
 الجنة، وأخرجني من الدنيا وقد قمت بما وجب علي من حقها مخرج صدق.
 البغوي

﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ ﴾ **بطل واضمحل** ﴿الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ﴿٨١﴾
 لا بقاء له ولا يثبت

﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ أي: هذا وصف الباطل، ولكنه قد يكون له صولة
 وروجان إذا لم يقابله الحق فعند مجيء الحق يضمحل الباطل، فلا يبقى له
 حراك. ولهذا لا يروج الباطل إلا في الأزمان والأمكنة الخالية من العلم بآيات
 الله وبياناته. السعدي

﴿ وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ ﴿٨٢﴾

﴿ وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ ﴾ اختلف أهل العلم في معنى كونه شفاء على
 القولين: الأول: أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وذهاب الريب وكشف
 الغطاء عن الأمور الدالة على الله سبحانه. القول الثاني: أنه شفاء من الأمراض
 الظاهرة بالرقى والتعوذ ونحو ذلك، ولا مانع من حمل الشفاء على المعنيين.
 الشوكاني

﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَ بِجَانِبِهِ ﴾ **تباعده عن طاعة ربه كبراً وعناداً** ﴿وَإِذَا
 مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ ﴿٨٣﴾ **قنطاً من رحمة الله** ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾
طريقته وما يليق به ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ ﴿٨٤﴾ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ**
قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ قالت اليهود لقريش: سلوا
 محمداً عن ثلاث، فإن أخبركم عن اثنتين وأمسك عن الثالثة فهو نبي، سلوه
 عن فتية فقدوا، وسلوه عن ذي القرنين، وسلوه عن الروح. فسألوه عنها،

ففسر لهم أمر الفتية في الكهف، وفسر لهم قصة ذي القرنين، وأمسك عن قصة الروح، فنزلت هذه الآية، رواه عطاء عن ابن عباس... فأما السلف، فانهم أمسكوا عن ذلك، لقوله تعالى: قل الروح من أمر ربي، فلما رأوا أن القوم سألوا عن الروح فلم يجابوا، والوحي ينزل، والرسول حي، علموا أن السكوت عما لم يحط بحقيقة علمه أولى. الخ. ابن الجوزي

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ في هذه الآية ما يزر الخائضين في شأن الروح المتكلفين لبيان ما هيئته وإيضاح حقيقته أبلغ زجر، ويردعهم أعظم ردع، وقد أطلوا المقال في هذا البحث بما لا يتم له المقام، وغالبه بل كله من الفضول الذي لا يأتي بنفع في دين ولا دنيا. وقد حكى بعض المحققين أن أقوال المختلفين في الروح بلغت إلى ثمانية عشر ومائة قول، فانظر إلى هذا الفضول الفارغ، والتعب العاقل عن النفع. الشوكاني

عظمة القرآن، وإعراض المشركين

﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ ﴿٨٦﴾

﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ أي: قيماً يقوم لك، فيمنعنا من فعل ذلك بك، ولا ناصراً ينصرك، فيحول بيننا وبين ما نريد بك... وكان عبد الله بن مسعود يتأول معنى ذهاب الله عز وجل به - القرآن - رفعه من صدور قارئيه. ينظر تفسير الطبري

﴿ ٢٩٠ ﴾

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ ﴿٨٧﴾

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ الاستثناء إن كان متصلاً فمعناه: إلا أن يرحمك ربك فلا نذهب به، وإن كان منقطعاً فمعناه: لكن لا يشأ ذلك رحمة من ربك، أو لكن رحمة من ربك تركته غير مذهب به. الشوكاني

﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ

بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَفْنَا ﴿٨٩﴾ نَوْعَنَا الْأَسَالِيبَ وَبَيْنَا
 ﴿٩٠﴾ لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴿٩١﴾ مِنَ الْأَمْثَالِ الَّتِي يَكُونُ بِهَا الْإِعْتِبَارُ ﴿٩٢﴾ فَأَبَى
 أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٣﴾ وَقَالُوا ﴿٩٤﴾ كَفَارٌ مَكَّةُ ﴿٩٥﴾ لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ
 لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٦﴾ ﴿٩٧﴾ عَيْنًا جَارِيَةً ﴿٩٨﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ
 وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩٩﴾ أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتْ
 عَلَيْنَا كِسْفًا ﴿١٠٠﴾ قِطْعًا ﴿١٠١﴾ أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿١٠٢﴾ ﴿١٠٣﴾ نَشَاهِدُهُمْ مُقَابَلَةً
 وَعِيَانًا ﴿١٠٤﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ ﴿١٠٥﴾ مَزْخَرٍ بِالذَّهَبِ ﴿١٠٦﴾ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ ﴿١٠٧﴾
 بِسَلَمٍ أَمَامَ أَعْيُنِنَا ﴿١٠٨﴾ وَلَنْ تُؤْمِنَ لِرُقِيكَ حَتَّى تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ ﴿١٠٩﴾ قُلْ سُبْحَانَ
 رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿١١٠﴾

﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ ﴿١١٠﴾ لما كانت هذه تعنتات وتعجيزات
 وكلام أسفه الناس وأظلمهم، المتضمنة لرد الحق، وسوء الأدب مع الله، وأن
 الرسول ﷺ هو الذي يأتي بالآيات، أمره الله أن ينزله، فقال: ﴿قُلْ سُبْحَانَ
 رَبِّي﴾ ﴿١١١﴾ عما تقولون علواً كبيراً، وسبحانه أن تكون أحكامه وآياته تابعة
 لأهوائهم الفاسدة، وآرائهم الضالة. ﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ ﴿١١٢﴾ ليس بيده
 شيء من الأمر. السعدي

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ ﴿١١٣﴾
 ﴿١١٤﴾ قُلْ لَوْ كُنْتُ فِي الْأَرْضِ مَلَكًا يَمْشُونَ ﴿١١٥﴾ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ
 مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿١١٦﴾ ﴿١١٧﴾ فَالْحِكْمَةُ أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ مِنْ جِنْسٍ مِنْ
 أَرْسَلِ إِلَيْهِمْ ﴿١١٨﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا
 بَصِيرًا ﴿١١٩﴾

عاقبة المشركين

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَيَنْحَرُّهُمْ﴾
 ﴿١٢٠﴾ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَٰ وَبُكْمًا ﴿١٢١﴾ لا ينطقون ﴿١٢٢﴾ وَصُمًّا مَّا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا

خَبَتْ ﴿ سَكَنَ لَهَا ﴾ ﴿ زِدْنَهُمْ سَعِيرًا ﴾ ﴿ ٩٧ ﴾

﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾ يسحبون يوم القيامة على وجوههم إلى جهنم، كما يفعل في الدنيا بمن يبالغ في هوانه وتعذيبه. لحديث أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله، الذين يحشرون على وجوههم، أيحشر الكافر على وجهه؟ قال رسول الله ﷺ: «أليس الذي أمشاه على الرجلين قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟» قال قتادة حين بلغه: بلى، وعزة ربنا. أخرجه البخاري ومسلم. القرطبي

﴿ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَّتًا أَيْنَا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ ﴿ ٩٨ ﴾ ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾ ﴿ ٩٩ ﴾ ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي ﴿ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ أَمْلَاكٍ رَبِّي مِنَ الْأَمْوَالِ ﴾ ﴿ إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴾ ﴿ ١٠٠ ﴾ ﴿ مِبَالِغًا فِي الْبَخْلِ ﴾

آيات موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ معجزات وهي: العصا، واليد، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنون (القحط) في بواديهم، ونقص الثمرات في قراهم ﴿ فَسَّئَلْ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ ﴿ ١٠١ ﴾ ﴿ تعمل السحر ﴾

﴿ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ يجوز أن يكون مراداً به إني لأظنك يا موسى ساحراً، فوضع مفعول موضع فاعل، كما قيل: إنك مشئوم علينا وميمون، وإنما هو شائم ويامن. الطبري ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ قيل في تحديد المعجزات التسع أقوال ولكن لموسى ﷺ معجزات أكثر من تسع ولكن التسع أظهر من غيرها وهو ما وقع الخلاف فيه فبعضهم ذكر غير الطوفان البُحْرُ، وبعضهم ذكر الطمس والحجر.

﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾ يستدل بها
 أهل البصائر على وحدانية الله وعلى صدقي ﴿ وَإِنِّي لَأُظَنُّكَ ﴾ موقن ﴿ يَفْرَعُونَ ﴾
 مَثْبُورًا ﴿ ١٠٢ ﴾ هالك مغلوب ﴿ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَعْرَفْنَاهُ وَمَنْ
 مَعَهُ جَمِيعًا ﴾ ﴿ ١٠٣ ﴾

﴿ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ أي: أراد فرعون أن يخرج بني إسرائيل
 وموسى ويزعجهم من الأرض - يعني أرض مصر - بإبعادهم عنها، وقيل:
 أراد أن يقتلهم، وعلى هذا يراد بالأرض مطلق الأرض. الشوكاني

﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ اأَسْكُنُوا الْأَرْضَ ﴾ أرض الشام ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ
 الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ ﴿ ١٠٤ ﴾ جميعًا

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ مختلطين من أحياء وقبائل، أجناس شتى
 لا ميزة لأحد على آخر، حفاة عراة لفصل القضاء ثم الحساب والجزاء.
 الجزائري

﴿ ٢٩٢ ﴾

نزول القرآن مفرقًا، وموقف الناس منه

﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ ﴿ ١٠٥ ﴾ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ ﴿ بَيِّنَاتٍ
 وَفَصْلاناه فارقًا بين الهدى والضلال ﴾ ﴿ لِنُقَرِّاهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ﴾ تَوْدَةٌ وَتَمَهْلُ ﴿ وَنَزَّلْنَاهُ
 نَزِيلًا ﴾ ﴿ ١٠٦ ﴾ أَنْزَلْنَاهُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ عَلَى حَسَبِ الْمَصَالِحِ ﴿ قُلْ ﴾ أي: لكفار مكة
 ﴿ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ قبل نزوله وهم مؤمنو أهل
 الكتاب ﴿ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ ﴿ ١٠٧ ﴾ يسجدون على وجوههم،
 ويتأثرون به غاية التأثر، ويخضعون له ﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا
 وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ ﴿ ١٠٨ ﴾ ﴿ ١٠٩ ﴾

﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ هؤلاء كالذين من الله عليهم من
 مؤمني أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وغيره، ممن آمن في وقت النبي ﷺ

وبعد ذلك. السعدي

﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾ هذه مبالغة في صفتهم ومدح لهم. وحق لكل من توسم بالعلم وحصل منه شيئاً أن يجري إلى هذه المرتبة، فيخشع عند استماع القرآن ويتواضع ويذل. وفي مسند الدارمي أبي محمد عن التيمي قال: من أوتي من العلم ما لم ييكه لخليق ألا يكون أوتي علماً، لأن الله تعالى نعت العلماء، ثم تلا هذه الآية. القرطبي

* فيه دليل على جواز البكاء في الصلاة من خوف الله تعالى، أو على معصيته في دين الله، وأن ذلك لا يقطعها ولا يضرها، وجاء عن عبد الله بن الشخير أنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء. ينظر: تفسير القرطبي

﴿ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا ﴾ لا تسر ﴿ وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ ﴿ ١١٠ ﴾ كن وسطاً

﴿ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾ عن ابن عباس. قال: كان النبي ﷺ ساجدا يدعو: يا رَحْمَنُ يا رَحِيمُ، فقال المشركون: هذا يزعم أنه يدعو واحداً، وهو يدعو مثني مثني، فأنزل الله تعالى: ﴿ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى .. ﴾ الآية. الطبري

﴿ فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً كُلُّهَا فِي الْقُرْآنِ، مَنْ أَحْصَاهُمْ دَخَلَ الْجَنَّةَ». الطبري

﴿ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا ﴾ روى ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا ﴾ قال: نزلت ورسول الله ﷺ متوار بمكة، وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع ذلك المشركون سبوا القرآن، ومن أنزله، ومن جاء به، فقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ ﴾ فيسمع المشركون قراءتك، ﴿ وَلَا تَخَافُوهَا ﴾ عن أصحابك. أسمعهم القرآن، ولا تجهر ذلك الجهر. ﴿ وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ قال: يقول بين الجهر والمخافتة، أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم. واللفظ لمسلم. القرطبي

* عن أبي قتادة، أن النبي ﷺ خرج ليلة، فإذا هو بأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصلي يخفض من صوته، قال: ومر بعمر بن الخطاب، وهو يصلي رافعا صوته، قال: فلما اجتمعا عند النبي ﷺ، قال: «يا أبا بكر، مررت بك وأنت تصلي تخفض صوتك»، قال: قد أسمعت من ناجيت يا رسول الله، قال: وقال لعمر: «مررت بك، وأنت تصلي رافعا صوتك»، قال: فقال: يا رسول الله، أوقظ الوسنان، وأطرد الشيطان فقال النبي ﷺ: «يا أبا بكر ارفع من صوتك شيئا»، وقال لعمر: «اخفض من صوتك شيئا». أبو داود.

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلَكُوتِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدِّينِ ﴾ لا يتولى أحدا من خلقه ليتعزز به ويعاونه ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْيَمِينِ ﴾

سورة الكهف

سورة الكهف، سورة مكية، فيها بيان المنهج الشرعي في التعامل مع الفتن، وبعض القصص في ذلك، وفي السورة توجيهات للمؤمنين.

فضائلها: جاء في صحيح مسلم عن أبي الدرداء أن نبي الله ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال». وفي رواية عند أبي داود: «من آخر الكهف». والأولى أصوب عند المحققين. وفي مسلم أيضا من حديث النواس بن سمعان: «فمن أدركه -يعني: الدجال- فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف».

وثمة روايات عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق». سنن الدارمي، وفي رواية عند البيهقي والحاكم: «ما بينه وبين الجمعةين». قال الألباني: حسن.

وما ورد في سبب نزولها: ما جاء تفسير الطبري: قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بعثت قريش النضر بن الحارث، وعُقبه بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد، ووصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجوا حتى قدما المدينة، فسألوا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ، ووصفوا لهم أمره وبعض

قوله، وقالوا: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم؛ لتخبرونا عن صاحبنا هذا، قال: فقالت لهم أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهنّ، فإن أخبركم بهنّ فهو نبيّ مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقوّل، فروا فيه رأيكم: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأوّل ما كان من أمرهم، فإنه قد كان لهم حديث عجيب. وسلوه عن رجل طوّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك، فإنه نبيّ فاتبعوه، وإن هو لم يخبركم؛ فهو رجل متقوّل، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم. فأقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة على قريش، فقالوا: يا معشر قريش! قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور، فأخبروهم بها، فجاءوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد أخبرنا، فسألوه عما أمروهم به، فقال لهم رسول الله ﷺ: «أخبركم غداً بما سألتُم عنه» - ولم يستثن -، فانصرفوا عنه، فمكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة، لا يُحدث الله إليه في ذلك وحيًا، ولا يأتيه جبرائيل عليه السّلام، حتى أرجف أهل مكة، وقالوا: وَعَدَنَا مُحَمَّدٌ غَدًا، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه، وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكثُ الوحي عنه، وشقّ عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبرائيل عليه السّلام من الله عزّ وجلّ بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سأله عنه من أمر الفتية والرجل الطوّاف، وقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التمسك بالقرآن عصمة من الفتن والضلال

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝١﴾ ﴿مِيلًا عَنِ الْحَقِّ ۝٢﴾ ﴿فِيمَا ۝٣﴾ ﴿مُسْتَقِيمًا ۝٤﴾ ﴿مَعْتَدًا ۝٥﴾ ﴿لِيُنْذِرَ بَأْسًا ۝٦﴾ ﴿عَذَابًا ۝٧﴾ ﴿شَدِيدًا ۝٨﴾ ﴿مَنْ لَدُنْهُ ۝٩﴾ ﴿مَنْ عِنْدَهُ ۝١٠﴾ ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝١١﴾ ﴿مَكْتَبِينَ ۝١٢﴾ ﴿فِيهِ أَبَدًا ۝١٣﴾ ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝١٤﴾

﴿ مَا لَهُمْ بِهِ ﴾ **بهذا القول** ﴿ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ ﴿٥﴾ **فَلَعَلَّكَ بَنِمْ** ﴿ **مهلك** ﴾ ﴿ نَفْسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ ﴿٦﴾ **حزنًا وغمًا** ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ ﴾ **من الحيوان والنبات والشجر والأنهار وغير ذلك** ﴿ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ ﴿٧﴾ **وإِنَّا لَجَعَلُونَ** ﴿ **عند انقضاء الحياة في الأرض** ﴾ ﴿ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ ﴿٨﴾ **ترابًا لا نبات فيه**

قصة أصحاب الكهف وموقفهم من فتنه الدنيا مع شبابهم، وجور سلطانهم، وزيف مجتمعهم.

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ ﴾ **اللوحة الذي كتبت فيه أسماءهم** ﴿ كَانُوا مِنْ ءَايَتِنَا عَجَبًا ﴾ ﴿١﴾

﴿ **أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ** ﴾ **لم نخبرنا بمكان هذا الكهف في أي البلاد من الأرض؛ إذ لا فائدة لنا فيه، ولا قصد شرعي. وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالاً ... ولو كان لنا فيه مصلحة دينية؛ لأرشدنا الله ورسوله إليه.**

ابن كثير

﴿ **وَالرَّقِيمِ** ﴾ **قد قال أهل الأخبار: إن ذلك لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وخبرهم حين أووا إلى الكهف. الطبري**

* **قال ابن عطية: ويظهر من هذه الروايات أنهم كانوا قومًا مؤرخين للحوادث، وذلك من نبل المملكة، وهو أمر مفيد. القرطبي**

﴿ **أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَتِنَا عَجَبًا** ﴾ **لا تظن أن قصة أصحاب الكهف وما جرى لهم غريبة على آيات الله، وبديعة في حكمته، وأنه لا نظير لها، ولا مجانس لها، بل لله تعالى من الآيات العجيبة الغريبة ما هو كثير من جنس آياته في أصحاب الكهف، وأعظم منها. السعدي**

﴿ **إِذْ أَوَى** ﴾ **التجأ** ﴿ **الْفِتْيَةِ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ**

لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ هذا شروع في ذكر قصتهم العجيبة، أي: اذكر للسائلين لك عن قصة هؤلاء الفتية، إذ أواوا إلى الغار في الكهف فنزلوا فيه، واتخذوه مأوى لهم ومنزلاً هروباً من قومهم الكفار أن يفتنوهم في دينهم. الجزائري

﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ ﴾ سددنا آذانهم بالنوم الغالب عن سماع الأصوات ﴿فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أيقظناهم من نومهم ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾ الطائفتين المتنازعتين في مدة لبثهم ﴿أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾ مدة وغاية

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ أي: الطائفتين اللتين اختلفتا في قدر لبثهم في الكهف كانت أحصى لمدة لبثهم في الكهف، حيث اختلف الناس إلى حزبين: حزب يقول: لبثوا في كهفهم كذا سنة، وآخر يقول: لبثوا إلى مدى أي غاية كذا من السنين. الجزائري

﴿لِنَعْلَمَ﴾ عبارة عن خروج ذلك الشيء إلى الوجود ومشاهدته، وهذا على نحو كلام العرب، أي: نعلم ذلك موجوداً، وإلا فقد كان الله تعالى علم أي الحزبين أحصى الأمد. القرطبي

﴿ تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ قوينا قلوبهم بالإيمان وشددنا عزيمتهم به ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ ءِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾ بعيداً عن الحق ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءِلَهَةً لَّوَلَا يَأْتُواكَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ بحجة واضحة ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ﴾ اختلق ﴿عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾

﴿وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْنَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ ﴿١٦﴾ ما تنتفعون به في حياتكم من أسباب العيش

﴿وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ﴾ هجروا أوطانهم وتركوا أرضهم وديارهم وأهاليهم وأولادهم وقرباتهم وإخوانهم؛ رجاء السلامة بالدين، والنجاة من فتنة الكافرين ... وقد جعلت طائفة من العلماء العزلة: اعتزال الشر وأهله بقلبك وعملك، وإن كنت بين أظهرهم. وقال ابن المبارك في تفسير العزلة: أن تكون مع القوم فإذا خاضوا في ذكر الله فحضر معهم، وإن خاضوا في غير ذلك فاسكت. وروى البغوي عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، أفضل من المؤمن الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم». وروي عن النبي ﷺ قال: «نعم صوامع المؤمنين بيوتهم» من مراسل الحسن وغيره. وقال عقبة بن عامر لرسول الله ﷺ: ما النجاة يا رسول الله؟ فقال: «يا عقبة أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك». وقال ﷺ: «يأتي على الناس زمان خير مال الرجل المسلم الغنم، يتبع بها شعف الجبال، ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن». أخرجه البخاري. القرطبي

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَوُّرًا﴾ **تميل** ﴿عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّصُهُمْ﴾ **تركهم وتتجاوز عنهم** ﴿ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ﴾ **متسع** ﴿مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ عَائِتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ ﴿١٧﴾ **وتحسبهم أيقاظًا** ﴿لأن أعينهم منفتحة﴾ **وهم رُقُودٌ** **ونقلبهم** ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴿لئلا تأكل الأرض لحومهم﴾ **وكلبهم بسط ذراعيه بالوصيد** ﴿بفناء الكهف﴾ **لو أطلعت عليهم لوليت منهم فرارًا ولملت منهم رعبًا** ﴿١٨﴾

﴿وَنَقْلِبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ قال ابن عباس: لو لم يقلبوا لأكلتهم الأرض. ابن كثير

﴿وَلَمَلِئْتُ مِنْهُمْ رُعبًا﴾ أي: خوفاً وفزعاً، ذلك أن الله تعالى ألقى عليهم من الهيبة والوقار حتى لا يدنو منهم أحد، ويمسهم بسوء، إلى أن يوقظهم عند نهاية الأجل الذي ضرب لهم؛ ليكون أمرهم آية من آيات الله الدالة على قدرته، وعظيم سلطانه، وعجيب تدبيره في خلقه. الجزائري

قيامهم من النوم بعد سنين طويلة

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ﴾ بنقودكم الفضية ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ فليَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى﴾ أحل وأطيب ﴿طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ في الدخول والخروج والتعامل ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾ كما أرقدنا هؤلاء الفتية في الكهف، فحفظناهم من وصول واصل إليهم، وعين ناظر أن ينظر إليهم، وحفظنا أجسامهم من البلاء على طول الزمان، وثيابهم من العفن على مر الأيام بقدرتنا، فكذلك بعثناهم من رقدتهم، وأيقظناهم من نومهم؛ لنعرفهم عظيم سلطانا، وعجيب فعلنا في خلقنا، وليزدادوا بصيرة في أمرهم الذي هم عليه من براءتهم من عبادة الآلهة، وإخلاصهم لعبادة الله وحده لا شريك له، إذا تبينوا طول الزمان عليهم، وهم بهيئتهم حين رقدوا. الطبري

﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾ في هذه البعثة بالورق دليل على الوكالة وصحتها. القرطبي

﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾ أضاف الورق إليهم جميعاً، وهذا لا شك أنه اشتراك في تصرف؛ لأن الظاهر أنهم ليسوا ورثة ورثوا هذه الدراهم. ابن عثيمين في الشرح الممتع

﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا﴾ بطلعوا ﴿عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبْكَدَا﴾

علم الناس بحقيقة حالهم، ومدة لبثهم

﴿وَكَذَلِكَ أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ﴾ **أطلعنا عليهم أهل ذلك الزمان** ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾ **أصحاب النفوذ فيهم** ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ ﴿٢١﴾

﴿وَكَذَلِكَ أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ﴾ ذكر غير واحد من السلف أنه كان قد حصل لأهل ذلك الزمان شك في البعث، وفي أمر القيامة. وقال عكرمة: كان منهم طائفة قد قالوا: تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد. فبعث الله أهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك. ابن كثير

* كان ورق ذلك الزمان كباراً، فأرسلوا أحدهم يأتيهم بطعام وشراب، فلما ذهب ليخرج، رأى على باب الكهف شيئاً أنكره، فأراد أن يرجع، ثم مضى حتى دخل المدينة، فأنكر ما رأى، ثم أخرج درهماً، فنظروا إليه فأنكروه، وأنكروا الدرهم، وقالوا: من أين لك هذا، هذا من ورق غير هذا الزمان، واجتمعوا عليه يسألونه، فلم يزالوا به حتى انطلقوا به إلى ملكهم، وكان لقومهم لوح يكتبون فيه ما يكون، فنظروا في ذلك اللوح، وسأله الملك، فأخبره بأمره، ونظروا في الكتاب متى فقد، فاستبشروا به وبأصحابه، وقيل له: انطلق بنا فأرنا أصحابك، فانطلق وانطلقوا معه، ليرى، فدخل قبل القوم، فضرب على آذانهم، فقال الذين غلبوا على أمرهم: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾. الطبري

﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: قال المشركون: نحن أحقّ بهم هؤلاء أبناء آبائنا، وقال المسلمون: نحن أحقّ بهم، هم مسلمون منا. فانطلقوا معه إلى الكهف، فلما أتوا باب الكهف قال: دعوني حتى أدخل على أصحابي حتى أبشرهم، فإنهم إن

رأوكم معي أرعبتموهم، فدخل فبشّرهم، وقبض الله أرواحهم، قال: وعمى الله عليهم مكانهم، فلم يهتدوا. ينظر: تفسير الطبري

* وقد اختلف في قائي هذه المقالة -أي: ﴿لَتَتَّخِذَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾، أهم

الرهط المسلمون، أم هم الكفار. ينظر: تفسير الطبري

* وتنشأ هنا مسائل ممنوعة وجائزة، فاتخاذ المساجد على القبور والصلاة فيها

والبناء عليها إلى غير ذلك مما تضمنته السنة من النهي عنه ممنوع لا يجوز، لما

روى أبو داود والترمذي عن ابن عباس قال: «لعن رسول الله ﷺ زوارات

القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج». قال الترمذي: وفي الباب عن أبي

هريرة وعائشة حديث ابن عباس حديث حسن. وروى الصحيحان عن

عائشة أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير لرسول

الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات

بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله

تعالى يوم القيامة». لفظ مسلم. قال علماؤنا: وهذا يجرم على المسلمين أن

يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد. القرطبي

* دلّ القرآن على مثل ما دل عليه هذا الحديث، وهو قول الله عز وجل في قصة

أصحاب الكهف: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾،

فجعل اتخاذ القبور على المساجد من فعل أهل الغلبة على الأمور، وذلك يشعر

بأن مستنده القهر والغلبة واتباع الهوى، وأنه ليس من فعل أهل العلم والفضل

المتبعين لما أنزل الله على رسله من الهدى. فتح الباري لابن رجب.

* قد يذكر في القصة ما هو محرم، ولا ينص على تحريم الفعل، كما ورد في قصة

يوسف، من بيع إخوة يوسف له، وهذا بيع للحر ولم ينص الله في القصة على

تحريم ذلك، وكذلك الاستدلال بقصة بلقيس في سورة النمل على تولية المرأة.

ينظر: آيات العقيدة المتوهم إشكالها للعامر.

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا

بِالْغَيْبِ ﴾ قولاً بالظن من غير دليل ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي

أَعْلَمَ بَعْدَتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ ﴿ لا تَجَادِلْ فِي عَدْتِهِمْ ﴾ إِلَّا مِرَّةً ظَهَرَ ﴿ إِلَّا جَدًّا ظَاهِرًا لَا عَمَقَ فِيهِ أَنْ تَتْلُو مَا أَوْحَى إِلَيْكَ ﴾ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ ﴿ فِي شَأْنِ أَهْلِ الْكَهْفِ ﴾ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿ ٢٢ ﴾ ﴿ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

﴿ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ ﴾ العبرة هو العلم بنبأهم وتبؤهم مما عليه قومهم، وأما غيره فالجهل به لا يضر. د. محمد الخضير. ليدبروا آياته

﴿ وَلَا نَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿ ٢٣ ﴾

﴿ وَلَا نَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿ ٢٣ ﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ سبب نزولها أن قريشا سألوا النبي ﷺ عن ذي القرنين، وعن الروح، وعن أصحاب الكهف، فقال: غدا أخبركم بذلك، ولم يقل: إن شاء الله، فأبطأ عليه جبريل خمسة عشر يوما لتركه الاستثناء، فشق ذلك عليه، ثم نزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس: ومعنى الكلام: ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا، إلا أن تقول: إن شاء الله. ابن الجوزي

﴿ وَلَا نَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿ ٢٣ ﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ أخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال سليمان بن داود: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة، وفي رواية: تسعين، تلد كل امرأة منهن غلاما يقاتل في سبيل الله، فقال له الملك: قل إن شاء الله، فلم يقل، فطاف فلم يلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان، قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لم يحنث، وكان دركًا لحاجته». الشوكاني

﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَأَذْكُرَنَّ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿ ٢٤ ﴾ وَلِبِشُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿ ٢٥ ﴾

﴿ وَلِبِشُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ عن علي أنه قال: عند أهل الكتاب أنهم لبشوا ثلاثمائة شمسية، والله تعالى ذكر ثلاثمائة قمرية والتفاوت بين الشمسية والقمرية في كل مائة سنة ثلاث سنين، فيكون في الثلاثمائة تسع سنين، فلذلك قال: وازدادوا تسعا. البغوي

﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا لَهُ غِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ ﴾ ما أبصر الله
بكل شيء ﴿ وَأَسْمِعْ ﴾ ما أسمع سبحانه لكل شيء ﴿ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا
يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ ﴿٢٦﴾

توجيهات ربانية، والتحذير من الدنيا، ومآل الناس في الآخرة

﴿ وَأَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ
مُلْتَحَدًا ﴾ ﴿٢٧﴾ ملجأ تلجأ إليه

﴿ ٢٩٦ ﴾

﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ في الصباح والمساء
﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ لا تصرف نظرك ﴿ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَلَا نُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ ﴿٢٨﴾ هلاكاً
وضياعاً

﴿ وَلَا نُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ ﴾ سبب نزولها أن أمية بن خلف الجمحي دعا رسول
الله ﷺ إلى طرد الفقراء عنه، وتقريب صناديد أهل مكة، فنزلت هذه الآية،
رواه الضحاك عن ابن عباس. ابن الجوزي

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ
نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ سورها ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ ﴾
كالزيت العكر ﴿ يَشْوِي الْوُجُوهُ بِسُكِّ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ ﴿٢٩﴾ قبحت
منزلاً ومقاماً ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ
عَمَلًا ﴾ ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ ﴿ إِقَامَةٌ ﴾ تجري من تحتهم الأنهار يحملون فيها من
أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس ﴿ رقيق الحرير ﴾ وإستبرق ﴿ غليظ
الحرير ﴾ متكئين فيها على الأرائك ﴿ الأسرة المزينة بالستائر الجميلة ﴾ ﴿ نِعَمَ الثَّوَابِ
وَحَسَنَتِ مُرْتَفَقًا ﴾ ﴿٣١﴾

فتنة المال، وقصة المشرك الغني، والمسلم الفقير

﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ ﴿٣٢﴾ حَدِيقَتَيْنِ ﴿ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا ﴾ أَحَطْنَاهُمَا ﴿ بَنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا ﴿ أَثْمَرَتْ ثَمَرَهَا ﴿ وَلَمْ تَظْلِمْ ﴿ تَنْقُصْ ﴿ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا ﴿ بَيْنَهُمَا ﴿ نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ﴿ ثَمَارُ وَأَمْوَالٌ أُخْرَى كَثِيرَةٌ ﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا

﴿ ٢٩٧ ﴾

﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ ﴿ لَا أَعْتَقِدُ ﴿ أَن يَبِيدَ ﴿ تَهْلِكَ ﴿ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي ﴿ وَلَئِنْ كَانَ الْبَعْثُ حَقًّا ﴿ لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ مَرْجِعًا وَمَرَدًا ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴿ لَكِن أَنَا لَا أَكْفُرُ بِاللَّهِ ﴿ وَلَا أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَنِعْمَةُ الْإِسْلَامِ هِيَ النِّعْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ ﴿ فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا ﴿ عَذَابًا ﴿ مِنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَرْضًا مَلْسَاءَ جُرْدَاءَ لَا تَثْبِتُ عَلَيْهَا قَدَمٌ وَلَا تَنْبِتُ شَيْئًا ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا ﴿ غَائِرًا فِي الْأَرْضِ ﴿ فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ ﴿ أَهْلَكَتْ أَمْوَالَهُ وَحَدِيقَتَهُ ﴿ فَأُصْبِحَ يَقْلِبُ كَفْيِهِ ﴿ نَدَامَةٌ وَحَسْرَةٌ ﴿ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴿ سَقَطَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ﴿ وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ ﴿ جَمَاعَةٌ بَنَصْرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًّا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ عَاقِبَةُ

﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ﴾ أي: في تلك الحال التي أجرى الله فيها العقوبة على من طغى، وآثر الحياة الدنيا، والكرامة لمن آمن وعمل صالحا، وشكر الله، ودعا غيره لذلك، تبين وتوضح أن الولاية لله الحق، فمن كان مؤمنا به تقيا كان له وليا؛ فأكرمه بأنواع الكرامات، ودفع عنه الشرور والمثالات، ومن لم يؤمن بربه

ويتولاه، خسر دينه ودنياه. السعدي

مثل الحياة الدنيا، والتذكير بالآخرة وأهوالها

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ ثم بعد اخضراره ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ يابسًا متكسرًا ﴿نَذَرُوهُ الرِّيحَ﴾ تنسفه إلى كل جهة ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِّرًا﴾ ﴿٤٥﴾

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا نَذَرُوهُ الرِّيحَ﴾ كذلك هذه الدنيا، بينما صاحبها قد أعجب بشبابه، وفاق فيها على أقرانه وأترابه، وحصل درهمها ودينارها، واقتطف من لذته أزهارها، وخاض في الشهوات في جميع أوقاته، وظن أنه لا يزال فيها سائر أيامه، إذ أصابه الموت أو التلف لماله، فذهب عنه سروره، وزالت لذته وحبوره، واستوحش قلبه من الآلام، وفارق شبابه وقوته وماله، وانفرد بصالح أو سيئ أعماله... فالعاقل الجازم الموفق، يعرض على نفسه هذه الحالة، ويقول لنفسه: قدرتي أنك قد مت، ولا بد أن تموتي، فأَيُّ الحالتين تختارين؟ الاغترار بزخرف هذه الدار، والتمتع بها كتمتع الأنعام السارحة، أم العمل لدار أكلها دائم وظلها، وفيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين؟ فبهذا يعرف توفيق العبد من خذلانه، وربحه من خسرانه. السعدي

﴿ ٢٩٨ ﴾

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ الأعمال الصالحة ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ ﴿٤٦﴾ خير ما يرجى عند الله

﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ قال ابن عباس: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. الطبري

* الذي يبقى للإنسان وينفعه ويسره... وهذا يشمل جميع الطاعات الواجبة والمستحبة. السعدي

﴿ وَتَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ ظاهرة ليس عليها ما كان يسترها من المخلوقات ﴿ وَحَشَرْنَهُمْ ﴾ جمعناهم ﴿ فَلَمْ نَغَادِرْ ﴾ نترك ﴿ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ ٤٧ ﴿ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴾ ٤٨ ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ ﴾ كتاب أعمال كل واحد في يمينه أو شماله ﴿ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلُنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ ﴾ لا يترك ﴿ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ﴾ مثبتًا ﴿ وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ ٤٩ ﴿

﴿ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلُنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ قال قتادة: اشتكى القوم الإحصاء، وما اشتكى أحد ظلمًا، فإياكم ومحقرات الذنوب فإنها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه. القرطبي

آدم، وإبليس وفتنة إغوائه، وحال المجرمين في الآخرة

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ ﴾ فخرج ﴿ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفْتَحِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِي ﴾ أعوانًا تطيعونهم ﴿ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ ٥٠ ﴿

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ قال الحسن: كان من الجن، ولم يكن من الملائكة، فهو أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس. البغوي

﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ خرج عن طاعته، ولم يكن من الملائكة، بل كان من الجن، لذا أمكنه أن يعصي ربه. الجزائري

﴿ أَفْتَحِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِي ﴾ قال الشعبي: سألتني رجل فقال هل لإبليس زوجة؟ فقلت: إن ذلك عرس لم أشهده، ثم ذكرت قوله: ﴿ أَفْتَحِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أُولِيَاءَ ﴾، فعلمت أنه لا تكون ذرية إلا من زوجة، فقلت: نعم ... قال القشيري أبو نصر: والجملة أن الله تعالى أخبر أن لإبليس

أتباعا وذرية، وأنهم يوسوسون إلى بني آدم وهم أعداؤهم، ولا يثبت عندنا كيفية في كيفية التوالد منهم وحدوث الذرية عن إبليس، فيتوقف الأمر فيه على نقل صحيح. القرطبي

﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ جاء في صحيح مسلم عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئا، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله، قال: فيدنيه، أو قال: فيلتزمه، ويقول: نعم أنت». القرطبي

﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ ٥١ ﴾ ﴿أَيِ إبليس وذريته﴾ ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتَ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا﴾ ﴿أَعْوَانًا﴾ ﴿وَنَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ٥٢﴾ ﴿مَهْلِكًا فِي جَهَنَّمَ يَهْلِكُونَ فِيهِ جَمِيعًا﴾ ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا﴾ ﴿أَبْقُوا﴾ ﴿أَنَّهُمْ مُّوَاقِعُوهَا﴾ ﴿وَأَقْعُونَ فِيهَا﴾ ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ٥٣﴾ ﴿مَكَانًا يَنْصَرِفُونَ إِلَيْهِ غَيْرَهَا﴾

﴿ ٢٩٩ ﴾

القرآن به العصمة من الفتن وموقف الكفار من الوحي

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ ﴿وضحنا ونوعنا﴾ ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ ﴿٥٤﴾

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ عن علي بن أبي طالب: أن رسول الله ﷺ طرده وفاطمة بنت النبي ﷺ ليلة، فقال: «ألا تصليان؟» فقلت: يا رسول الله، أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف حين قلنا ذلك ولم يرجع إلي شيئا، ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه، وهو يقول: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾. البخاري ومسلم

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾ ﴿أَي: كفار مكة﴾ ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ﴾ ﴿ما حال بينهم وبين الإيمان نقص البيان، وإنما التعت الذي أدى بهم إلى طلب

العذاب كما حصل للسابقين ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ إهلاك المكذبين ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ٥٥﴾ عياناً ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴿أَغْطِيَةً﴾ أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴿صَمًّا وَثِقَلًا فِي السَّمْعِ﴾ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ٥٧ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجْدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ٥٨ ﴿مَلَجَأً وَخَلَصًا﴾ وَتِلْكَ الْقُرَى ﴿مِنْ عَادٍ وَثَمُودَ وَأَصْحَابِ الْأَيْكَةِ﴾ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ٥٩

رحلة موسى للخضر؛ لتحصيل العلم الذي هو عصمة من الفتن، وفيها التحذير من الافتتان بالعلم

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ﴾ لخدمته يوشع بن نون كان يتبعه ويخدمه ويأخذ عنه العلم ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ لا أزال أتابع المسير ﴿حَتَّى أَتْلُغَ مَجْجَمَ﴾ ملتقى ﴿الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ٦٠﴾ زمنًا طويلاً

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ﴾ روى البخاري حديث إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم، فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب كيف لي به، قال: تأخذ معك حوتا فتجعله في مكمل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثم، فأخذ حوتا فجعله في مكمل، ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى أتيا الصخرة، ووضعاً رأسيهما فناما، واضطرب الحوت في المكمل، فخرج منه فسقط في البحر ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ وأمسك الله عن الحوت جرية الماء، فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتها، حتى إذا كانا من الغداة قال موسى لفتاه: ﴿ءَإِنَّا غَدَاءَنَا﴾ إلى قوله ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾، قال: وكان للحوت سرباً، ولموسى ولفته عجباً إلخ. تفسير الجلالين

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ﴾ في هذا من الفقه رحلة العالم في طلب الازدياد من العلم، والاستعانة على ذلك بالخدام والصاحب، واغتنام لقاء الفضلاء والعلماء وإن بعدت أقطارهم. القرطبي
 ﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ أي: مسافة طويلة، المعنى: أن الشوق والرغبة، حمل موسى أن قال لفتاه هذه المقالة، وهذا عزم منه جازم، فلذلك أمضاه. السعدي

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسِيَا حُوتَهُمَا﴾ نسي يوشع حملة عند الرحيل ونسي موسى تذكيره ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ﴾ أصبح الحوت حيًا واتخذ طريقًا في البحر ﴿سَرَبًا﴾ طريقًا مفتوحًا

﴿ ٣٠٠ ﴾

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَإِنَّا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ تعباً
 ﴿قَالَ لِفَتْنِهِ ءَإِنَّا غَدَاءَنَا﴾ فيه استحباب إطعام الإنسان خادمه من مأكله، وأكلهما جميعاً، لأن ظاهر قوله: ﴿ءَإِنَّا غَدَاءَنَا﴾ إضافة إلى الجميع، أنه أكل هو وهو جميعاً. السعدي
 ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ فيه جواز إخبار الإنسان عما هو من مقتضى طبيعة النفس، من نصب أو جوع، أو عطش، إذا لم يكن على وجه التسخط. السعدي

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ﴾ أنذكر ﴿إِذْ أَوْينَا﴾ لجأنا ﴿إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾

﴿وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾ في هذا جواز إضافة الشر وأسبابه إلى الشيطان على وجه التسويل والتزيين، وإن كان الكل بقضاء الله وقدره. ينظر: تفسير السعدي

﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ﴾ نطلب ﴿فَارْتَدَّا﴾ رجعا ﴿عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾

يتبعان آثار مشيها

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾ **الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ** ﴿ءَاتَيْنَتْهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ
مِن لَّدُنَّا﴾ **عندنا** ﴿عِلْمًا﴾ ﴿٦٥﴾

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾ روى أبو بكر النقاش أن محمد بن إسماعيل البخاري سئل عن الخضر وإلياس: هل هما في الأحياء؟ فقال: كيف يكون ذلك وقد قال النبي ﷺ: «لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد»؟! ابن الجوزي

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْلِمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ ﴿٦٦﴾

﴿هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْلِمَ﴾ أخرج الكلام بصورة الملاحظة والمشاورة، وأنت هل تأذن لي في ذلك أم لا؟ وإقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو الكبر. السعدي
* وفيه تواضع الفاضل للتعليم ممن دونه، فإن موسى -بلا شك- أفضل من الخضر. السعدي

﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، خُبْرًا ﴿٦٨﴾
ما يخفى عليك علمه ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ ﴿٦٩﴾
قَالَ فَإِنْ أَتَيْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ
إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴿قُلْعَ لَوْحًا مِنَ الْوَاحِهَا﴾ ﴿٧١﴾ قَالَ أَخْرَقَهَا لِنُفُوسٍ غَافِلِينَ أَهْلَهَا لَقَدْ
جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧٢﴾ أَمْرًا مِّنْكَرًا ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ﴿٧٣﴾
قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي ﴿لَا تَكْلِفْنِي﴾ ﴿٧٤﴾ مِنْ أَمْرِ عُسْرًا ﴿٧٥﴾ فَأَنْطَلَقَا
حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً ﴿طَاهِرَةً لَمْ تَبْلُغْ حَدَّ التَّكْلِيفِ﴾ ﴿بَغِيرِ
نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ ﴿٧٦﴾ مِّنْكَرًا عَظِيمًا

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ ﴿٧٥﴾

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ ﴾ زاد في الثانية لفظة لك؛ ليفيد التأكيد في بيان عدم صبر موسى على علمه، وهكذا عادة العرب، تزيد في التأكيد كلما زاد الإنكار. ينظر: ملاك التأويل للغرناطي. «ل».

﴿ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾ ﴿٧٦﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنْيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا ﴿ طلبا طعامًا على سبيل الضيافة ﴾ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ﴿ يوشك أن يسقط ﴾ فَأَقَامَهُ، قَالَ لَوْ شِئْتُ لَخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿ ﴾ ﴿٧٧﴾

﴿ أَنْيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا ﴾ يظهر من ذلك أن الضيافة كانت عليهم واجبة، وأن الخضر وموسى إنما سألا ما وجب لهما من الضيافة، وهذا هو الأليق بحال الأنبياء، ومنصب الفضلاء والأولياء. القرطبي ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ﴾ معناه: قد قارب من أن يقع أو يسقط، وإنما خاطب جل ثناؤه بالقرآن من أنزل الوحي بلسانه، وقد عقلوا ما عنى به. الطبري

﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ ﴿ بمآل وعاقبة ﴾ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ ﴿٧٨﴾

جواب الخضر عن أسئلة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ ﴾ سفينة صالحة ﴿ غَصَبَهَا ﴾ ﴿٧٩﴾

﴿ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ ﴾ المسكين قد يكون له مال لا يبلغ كفايته، ولا يخرج بذلك عن اسم المسكنة، لأن الله أخبر أن هؤلاء المساكين، لهم سفينة. السعدي ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ في هذا من الفقه العمل بالمصالح إذا تحقق وجهها، وجواز إصلاح كل المال بإفساد بعضه. القرطبي

﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ فيه استعمال الأدب مع الله تعالى في الألفاظ، فإن الخضر أضاف عيب السفينة إلى نفسه بقوله ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ وأما الخير، فأضافه إلى

الله تعالى لقوله: ﴿فَارَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ﴾ كما قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]
وقالت الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ يَمِّنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠] مع أن الكل بقضاء الله وقدره. السعدي

﴿وَرَاءَهُمْ﴾ قال ابن عطية: ﴿وَرَاءَهُمْ﴾ هو عندي على بابيه، وذلك أن هذه الألفاظ إنما تجيء مراعى بها الزمان، وذلك أن الحدث المقدم الموجود هو الأمام، والذي يأتي بعده هو الوراء. القرطبي

﴿وَأَمَّا الْغُلَمَ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا﴾ يكلفهما ويحملهما ﴿طُغَيْنَا وَكُفِّرَا﴾ ﴿٨٠﴾

﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغَيْنَا وَكُفِّرَا﴾ قال قتادة: فرح به أبواه حين ولد، وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما، فليرض امرؤ بقضاء الله، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب. ابن كثير. «ت».

﴿فَارَدْنَا أَنْ يَبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً﴾ صلاحاً وطهارة ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ ﴿٨١﴾
﴿بَرًّا بِهِمَا وَرَحْمَةً عَلَيْهِمَا﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزُ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ﴿يَكْبُرَا وَيَبْلُغَا قُوَّتَهُمَا﴾ وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ تَسْطِعْ ﴿عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ ﴿٨٢﴾

﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزُ لَهُمَا﴾ لو أن الخضر لم يقم الحائط؛ لنقض، وأخذ ذلك الكنز قبل بلوغهما. ابن الجوزي
﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ فيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته. ابن كثير. «ت».

﴿وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ﴾ الخضر نبي عند الجمهور. وقيل: هو عبد صالح غير نبي، والآية تشهد بنبوته. القرطبي
﴿وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ هذه القضايا التي أجراها

الخضر هي قدر محض، أجراها الله وجعلها على يد هذا العبد الصالح؛ ليستدل العباد بذلك على ألطافه في أقضيته، وأنه يقدر على العبد أموراً يكرهها جداً، وهي صلاح دينه، كما في قضية الغلام، أو وهي صلاح دنياه كما في قضية السفينة، فأراهم نموذجاً من لطفه وكرمه؛ ليعرفوا ويرضوا غاية الرضا بأقداره المكروهة. السعدي

* ﴿تَسْطِعْ﴾ لما أن فسره له وبينه ووضحه وأزال المشكل قال تسطع وقبل ذلك كان الإشكال قويا ثقيلا، فقال سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا، فقابل الأثقل بالأثقل، والأخف بالأخف، كما قال: فما استطاعوا أن يظهره وهو الصعود إلى أعلاه وما استطاعوا له نقبا [الكهف: ٩٧] وهو أشق من ذلك، فقابل كلاهما يناسبه لفظا ومعنى، والله أعلم. تفسير ابن كثير

قصة ذي القرنين، وعدم افتتانه بالسلطان، بل توظيف السلطان في خدمة الدين والناس

﴿وَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ ملك صالح ملك ما بين المشرق والمغرب ﴿قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ (٨٣)

﴿ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ اختلفوا هل كان نبيا، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنه كان نبيا، قاله عبد الله بن عمرو، والضحاك بن مزاحم. والثاني: أنه كان عبدا صالحا، ولم يكن نبيا، ولا ملكا، قاله علي رضي الله عنه. ابن الجوزي

﴿ ٣٠٢ ﴾

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ (٨٤) أسباباً وطرقاً توصله إلى ما يريد من فتح المدن وقهر الأعداء ﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾ (٨٥) أخذ بتلك الأسباب بجد ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَرْغَبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا﴾ وجدها كذلك في نظر العين ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ حارة ذات طين أسود ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَلَاذِ الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ﴾ الظاهر أنهم كفار أو فساق أو فيهم شيء من ذلك؛ لأنهم لو كانوا مؤمنين غير فساق، لم يرخص في تعذيبهم ﴿وَإِمَّا أَنْ نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ (٨٦)

﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ كأنها تغرب في عين حمئة، أي: سوداء، وهذا هو المعتاد لمن كان بينه وبين أفق الشمس الغربي ماء، رآها تغرب في نفس الماء، وإن كانت في غاية الارتفاع. السعدي

﴿ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ، ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا ﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿ عَظِيمًا ﴾ وأما مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿ الجنة ﴾ ﴿ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ ﴿٨٨﴾

﴿ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ هذا يدل على كونه من الملوك الصالحين الأولياء، العادلين العالمين، حيث وافق مرضاة الله في معاملة كل أحد، بما يليق بحاله. السعدي

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ ﴾ ﴿ مكان جهة المشرق ﴾ ﴿ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِّنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿ يسترهم من الشمس ﴾

﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِّنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴾ وجدها تطلع على أناس ليس لهم ستر من الشمس، إما لعدم استعدادهم في المساكن، وذلك لزيادة همجيتهم وتوحشهم وعدم تمدنهم، وإما لكون الشمس دائمة عندهم، لا تغرب عنهم غروباً يذكر. السعدي

﴿ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾ ﴿٩١﴾ ﴿ عِلْمًا ﴾ ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ ﴿٩٢﴾

يأجوج ومأجوج

﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ﴾ ﴿ الجبلين الحاجزين لما وراءهما ﴾ ﴿ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿ لعجمة ألسنتهم، واستعجاب أذهانهم وقلوبهم ﴾ ﴿ قَالُوا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ﴾ ﴿ أمتان عظيمتان كثيرتا العدد من بني آدم ﴾ ﴿ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ﴾ ﴿ أَجْرًا ﴾ ﴿ عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ ﴿٩٤﴾

﴿ قَالُوا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ ﴾ اختلفوا في سبب تسميته بذئ القرنين، قال الزهري: لأنه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها. وقيل: لأنه كان ملك الروم وفارس ...

وقيل لأنه رأى في المنام كأنه أخذ بقربي الشمس. وقيل: لأنه كانت له ذؤابتان حستان.. إلخ. البغوي

﴿ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ﴾ فيه مشروعية الجعالة للقيام بالمهام من الأعمال. الجزائري

﴿ عَلَى أَنْ نَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ دليل على اتخاذ السجون، وحبس أهل الفساد فيها.

القرطبي. «ل».

﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿ سَدًّا ﴾

﴿ أَتَأْتُونِي مُبْهَتِينَ ﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿ قَطَعَ الْحَدِيدَ الْعَظِيمَةَ ﴾ ﴿ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ ﴾ ﴿ جَانِبِي الْجَبَلَيْنِ ﴾

﴿ قَالَ أَنْفِخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلُهُ نَارًا ﴾ ﴿ قَالَ أَتَأْتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿ نَحَاسًا مَذَابًا ﴾

﴿ فَمَا أَصْطَعُوا ﴾ ﴿ أَي: يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ ﴿ أَنْ يَظْهَرُوهُ ﴾ ﴿ يَصْعَدُونَ فَوْقَ السِّدِّ ﴾ ﴿ وَمَا أَصْطَعُوا لَهُ نُقْبًا ﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿ خَرْقًا ﴾

﴿ ٣٠٣ ﴾

﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ﴾ ﴿ مِنْهَدَمًا مُّسْتَوِيًّا بِالْأَرْضِ ﴾ ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ ﴿٩٨﴾

حال من أضلته الفتن في الآخرة ، ومن عصم منها

﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ ﴾ ﴿ يَخْتَلِطُ ﴾ ﴿ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ ﴿ الْقُرْنِ الَّذِي يَنْفِخُ فِيهِ ﴾

﴿ إِسْرَافِيلَ ﴾ ﴿ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿ وَعَرَضْنَا ﴾ ﴿ أَبْرَزْنَا ﴾ ﴿ جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾ ﴿١٠٠﴾

﴿ لِيَحْصِلَ لَهُمُ اللَّهُ قَبْلَ دُخُولِهَا ﴾ ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ ﴿١٠١﴾

﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي ﴾ ﴿ أَي: عن سبب ذكرى، وهو الآيات التي يشاهدها من له تفكر واعتبار، فيذكر الله بالتوحيد والتمجيد، فأطلق المسبب على السبب، أو عن القرآن العظيم، وتأمل معانيه وتدبر فوائده ... وكانوا لا يستطيعون سمعاً أي: لا يقدرّون على الاستماع لما فيه الحق من كلام الله وكلام رسوله. الشوكاني

﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ ﴾ ﴿ أَظُنُّوا أَنْ جَعَلَهُمُ الْعِبَادَ مَعْبُودِينَ نَافِعًا لَهُمْ ﴾ ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴾ ﴿ ١٠٢ ﴾ ﴿ مَنْزِلًا ﴾ ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ ﴿ ١٠٣ ﴾

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ هم الذين لم يكن عملهم الذي عملوه في حياتهم الدنيا على هدى واستقامة، بل كان على جور وضلالة، وذلك أنهم عملوا بغير ما أمرهم الله به، بل على كفر منهم به. ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ يقول: وهم يظنون أنهم بفعلهم ذلك لله مطيعون، وفيما ندب عباده إليه مجتهدون، وهذا من أدل الدلائل على خطأ قول من زعم أنه لا يكفر بالله أحد إلا من حيث يقصد إلى الكفر بعد العلم بوحدايته، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآية، أن سعيهم الذي سعوا في الدنيا ذهب ضلالا، وقد كانوا يحسبون أنهم محسنون في صنعهم ذلك. الطبري

﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ ﴿ ١٠٤ ﴾ ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ ﴾ ﴿ فَبَطَلَتْ ﴾ ﴿ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴾ ﴿ ١٠٥ ﴾ ﴿ قَدَرًا ﴾

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴾ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة»، وقال: «اقرأوا»، ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴾ البخاري ومسلم

﴿ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوءًا ﴾ ﴿ ١٠٦ ﴾ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ ﴾ ﴿ هِيَ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُهَا وَأَفْضَلُهَا ﴾ ﴿ نُزُلًا ﴾ ﴿ ١٠٧ ﴾

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ ﴾ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتهم الله، فاسألوهم

الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة - أراه - فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة». البخاري

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۖ ﴿١٠٨﴾ تَحَوَّلًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا ﴿١١٠﴾ لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ۖ ﴿١١١﴾ ﴾

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي ﴾ قيل: لما نزلت: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، قالت اليهود: أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء، فأنزل الله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا﴾، سمي المداد مدادًا لإمداد الكاتب، وأصله من الزيادة ومجيء الشيء بعد الشيء. البغوي

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا ۖ ﴿١١٠﴾ ﴾

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري؛ تركته وشركه». مسلم.

* قال الماوردي: قال جميع أهل التأويل في تفسير هذه الآية: إن المعنى لا يراني بعمله أحداً. وأقول: إن دخول الشرك الجلي الذي كان يفعله المشركون تحت هذه الآية هو المقدم على دخول الشرك الخفي الذي هو الرياء، ولا مانع من دخول هذا الخفي تحتها، إنما المانع من كونه هو المراد بهذه الآية. الشوكاني

سورة مريم

سورة مريم، سورة مكية، فيها بيان مظاهر رحمة الله بأوليائه، كهبة الولد الصالح لذكريا ومريم، وعنايته - سبحانه - بجملة من الأنبياء، وفيها تنزيه الله - تعالى - عن الولد، وبيان أحوال الناس في الآخرة، والرد على منكري البعث.

* تلا السورة جعفر بن أبي طالب ﷺ على النجاشي لما طلب مشركو قريش من

النجاشي أن يرجع إليهم من هاجر من المؤمنين، جاء في مسند أحمد في سياق القصة أنه بعد تلاوة جعفر: «بكى النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكم أبدا، ولا أكاد». أحمد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ يسأل ربه الولد

﴿كَهَيْعَصَ ١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ هذا ذكر رحمة ربك بعبد زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ نقصه عليك للاعتبار به ﴿إِذْ نَادَى﴾ ﴿دَعَا﴾ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾

﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ أخفاه؛ لأنه يسمع الخفي كما يسمع الجهر، ولأن الإخفاء أقرب إلى الإخلاص، وأبعد من الرياء، ولئلا يلومه الناس على طلب الولد. ابن جزي في التسهيل. «ت».

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ٤﴾

﴿وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ هذه الاستعارة من أبداع الاستعارات وأحسنها. قال الزجاج: يقال للشيب إذا كثر جدا: قد اشتعل رأس فلان. الشوكاني * الشيب دليل الضعف والكبر، ورسول الموت ورائده، ونذيره، فتوسل إلى الله تعالى بضعفه، وعجزه، وهذا من أحب الوسائل إلى الله؛ لأنه يدل على التبري من الحول والقوة، وتعلق القلب بحول الله وقوته. السعدي. «ت».

﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ كان ربه قد عوده الإجابة، ولذلك قال: «ولم أكن بدعائك رب شقيا»، أي: بدعائي إياك. وهذه وسيلة حسنة، أن يتشفع إليه بنعمه، ويستدر فضله بفضل له، يروى أن حاتم الجود لقيه رجل فسأله، فقال له حاتم: من أنت؟ قال: أنا الذي أحسنت إليه عام أول، فقال:

مرحبا بمن تشفع إلينا بنا. فإن قيل: كيف أقدم زكريا على مسألة ما يخرق العادة دون إذن؟ فالجواب أن ذلك جائز في زمان الأنبياء، وفي القرآن ما يكشف عن هذا المعنى، فإنه تعالى قال: ﴿كَلَّمَآ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ أَنَّى لَئِذَا هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧] فلما رأى خارق العادة استحکم طمعه في إجابة دعوته، فقال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: ٣٨]. القرطبي

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوْلَى﴾ أقارب وعصبي ﴿مِنْ وَرَأَى وَكَانَتْ أَمْرَاتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ ولدًا وارثًا ومعينًا يلي الأمر من بعدي

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوْلَى مِنْ وَرَأَى﴾ أي: وإنني خفت من يتولى على بني إسرائيل من بعد موتي، أن لا يقوموا بدينك حق القيام، ولا يدعوا عبادك إليك، وظاهر هذا أنه لم ير فيهم أحدا فيه لياقة للإمامة في الدين، وهذا فيه شفقة زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ ونصحه، وأن طلبه للولد، ليس كطلب غيره، قصده مجرد المصلحة الدنيوية، وإنما قصده مصلحة الدين، والخوف من ضياعه، ورأى غيره غير صالح لذلك، وكان بيته من البيوت المشهورة في الدين، ومعدن الرسالة، ومظنة للخير، فدعا الله أن يرزقه ولدا، يقوم بالدين من بعده، واشتكى أن امرأته عاقرة، أي: ليست تلد أصلا، وأنه قد بلغ من الكبر عتيا، أي: عمرا يندر معه وجود الشهوة والولد. السعدي

﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ هذه الولاية، ولاية الدين، وميراث النبوة، والعلم والعمل. السعدي

﴿يَرْثُنِي وَيَرْثُ مِنْ عَالٍ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ ﴿٦﴾

﴿يَرْثُنِي﴾ أي: من ميراث النبوة؛ ولهذا قال: ﴿وَيَرْثُ مِنْ عَالٍ يَعْقُوبَ﴾، كما قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾ [النمل: ١٦] أي: في النبوة؛ إذ لو كان في المال لما خصه من بين إخوته بذلك، ولما كان في الإخبار بذلك كبير فائدة، إذ من المعلوم المستقر في جميع الشرائع والمثل أن الولد يرث أباه، فلولا أنها وراثته

خاصة لما أخبر بها، وكل هذا يقرره ويثبته ما صح في الحديث: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا فهو صدقة». ابن كثير

رحمة الله تعالى بنبيه زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿يَزَكِّرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾﴾

﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ لم نجعل للغلام الذي نهب لك الذي اسمه يحيى من قبله أحدا مسمى باسمه. الطبري

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى؟﴾ كيف؟ ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَأَنِّي آمُرَاتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾﴾ النهاية في الكبر

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَأَنِّي﴾ هذا تعجب من زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ حين أجيب إلى ما سأل، وبشر بالولد، ففرح فرحا شديدا، وسأل عن كيفية ما يولد له، والوجه الذي يأتيه منه الولد، مع أن امرأته كانت عاقرا لم تلد من أول عمرها مع كبرها، ومع أنه قد كبر وعتا. ابن كثير

﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴿علامة على حصول ما بشرتني به الملائكة﴾ قَالَ آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ﴿لا تقدر على الكلام﴾ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ وَأَنْتَ صَاحِبُ مَعَانِي ﴿فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم﴾ أَشَارَ إِلَيْهِمْ ﴿أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ صباحا ومساءً

﴿ ٣٠٥ ﴾

﴿يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد حفظا وفهما وعلمًا وعملاً ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾ وَحَنَانًا ﴿رحمة ومحبة﴾ مِّنْ لَّدُنَا وَزَكَاةً ﴿طهارة من الذنوب﴾ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾

مريم، وحملها بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ ﴿١٦﴾ ﴿اعْتَزَلَتْ فِي

مكان نحو الشرق

وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمٌ وُلِدَ وَيَوْمٌ يَمُوتُ وَيَوْمٌ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ قال سفيان بن عيينة: أوحش ما يكون الخلق في ثلاث مواطن: يوم ولد فيرى نفسه خارجا عما كان فيه، ويوم يموت فيرى أحكاما ليس له بها عهد، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر لم يره. فخص الله يحيى بن زكريا بالكرامة والسلام في المواطن الثلاثة.

التفسير الوسيط

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ لما ذكر قصة زكريا ويحيى، وكانت من الآيات العجيبة، انتقل منها إلى ما هو أعجب منها، تدريجاً من الأدنى إلى الأعلى.

السعدي

﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ ﴿سُتْرًا تَسْتَرُ بِهِ﴾ ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ جبریل
 عَلَيْهِ السَّلَام ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ ﴿۱۷﴾ ﴿تَامَ الْخَلْقُ﴾

﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ وهذا التباعد منها، واتخاذ الحجاب، لتعتزل، وتنفرد بعبادة ربها، وتقنت له في حالة الإخلاص والخضوع والذل لله تعالى.

السعدي

﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾ ١٨ ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ ١٩ ﴿ طَاهِرًا مِنَ الذَّنُوبِ ﴾

﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ قال السدي: نفخ في جيب درعها وكان مشقوقا من قدامها، فدخلت النفخة في صدرها فحملت من وقتها. ابن الجوزي

﴿٢١﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٢﴾ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَ لَكَ آيَةً ۚ إِنَّ لِلنَّاسِ لَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢٣﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ ﴿٢٤﴾ تَحْتَ ﴿٢٥﴾ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٦﴾ بَعِيدًا مِنْ أَهْلِهَا ﴿٢٧﴾

﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ ﴾ فَأَلْجَأَهَا طَلِقَ الْحَمْلُ ﴿ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا ﴾ ﴿٢٣﴾ فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا ﴿ أَيْ: جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴾ ﴿ أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿ جَدُولَ الْمَاءِ ﴾ ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿ غَضًّا جَنِي مِنْ سَاعَتِهِ ﴾

﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ ﴾ استدل بعض الناس من هذه الآية على أن الرزق وإن كان محتوما، فإن الله تعالى قد وكل ابن آدم إلى سعي ما فيه، لأنه أمر مريم بهز النخلة؛ لترى آية، وكانت الآية تكون بالألتهمز. القرطبي

﴿ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴾ قال الربيع بن خيثم: ما للنفساء عندي خير من الرطب؛ لهذه الآية، ولو علم الله شيئا هو أفضل من الرطب للنفساء لأطعمه مريم ولذلك قالوا: التمر عادة للنفساء من ذلك الوقت وكذلك التحنيك. القرطبي

﴿ ٣٠٦ ﴾

﴿ فُكِّلِي وَأَشْرِي وَقَرِّي عَيْنًا ﴾ ﴿ طَبِىْ نَفْسًا ﴾ ﴿ فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴾ ﴿ إِمْسَاكَ عَنِ الْكَلَامِ ﴾ ﴿ فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ ﴿٢٦﴾

﴿ فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴾ إنما لم تؤمر بخطابهم في نفي ذلك عن نفسها؛ لأن الناس لا يصدقونها، ولا فيه فائدة، وليكون تبرئها بكلام عيسى في المهد، أعظم شاهد على براءتها. السعدي

حديث عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَهْدِ

﴿ فَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ﴾ قَالُوا يَمْرِي لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ ﴿ أَمْرًا عَظِيمًا ﴾ ﴿ مَفْتَرِي ﴾ ﴿ يَتَأَخَتْ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴾ ﴿٢٨﴾

﴿ يَتَأَخَتْ هَرُونَ ﴾ عن المغيرة بن شعبة، قال: أرسلني النبي ﷺ في بعض حوائجه إلى أهل نجران، فقالوا: أليس نبيك يزعم أن هارون أخو مريم هو أخو موسى؟ فلم أدر ما أرد عليهم حتى رجعت إلى النبي ﷺ فذكرت له ذلك، فقال: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَسْمَاءٍ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ». الطبري، وأصله في

مسلم.

* قال قتادة: وكان هارون مصلحا محبا في عشيرته، وليس بهارون أخي موسى. الطبري

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ (٢٩) ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ (٣٠)

﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾ قال وهب: أقر على نفسه بالعبودية لله عز وجل أول ما تكلم؛ لئلا يتخذ لها. البغوي. «ل».

﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ ﴾ عظيم الخير والنفع ﴿ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ (٣١) ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ (٣٢)

﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي ﴾ قال ابن عباس: لما قال هذا، ولم يقل: «بوالدي» علموا أنه ولد من غير أب. ينظر: زاد المسير
﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ قال بعض السلف: لا تجد أحدا عاقا لوالديه إلا وجدته جبارا شقيا. ابن كثير

﴿ وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ (٣٣)

﴿ وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ لما كلمهم عيسى بهذا علموا براءة مريم، ثم سكت عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فلم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان. البغوي

﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمَتُّونَ ﴾ (٣٤) ﴿ يَشْكُونَ ﴾ ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٣٥) ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (٣٦)

ضلال كثير من الناس عن الحق

﴿ فَأَخْلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ﴾ الطوائف من أهل الكتاب في شأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ فَوَيْلٌ ﴾ ﴿ فَهَلَاكٌ ﴾ ﴿ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ ﴾ ﴿ شَهِودٌ ﴾ ﴿ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (٣٧) ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ

وَأَبْصَرَ ﴿٣٨﴾ مَا أَشَدَّ سَمْعَهُمْ وَبَصَرَهُمْ ﴿٣٩﴾ تَوَمَّ يَأْتُونَنَا ﴿٤٠﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٤١﴾ لَكِنَّ الظَّالِمُونَ
الْيَوْمَ ﴿٤٢﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿٤٣﴾ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٤﴾

﴿لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ليس لهم عذر في هذا الضلال؛ لأنهم بين معاند ضال على بصيرة، عارف بالحق، صادق عنه، وبين ضال عن طريق الحق، متمكن من معرفة الحق والصواب، ولكنه راض بضلاله وما هو عليه من سوء أعماله، غير ساع في معرفة الحق من الباطل. السعدي

﴿ ٣٠٧ ﴾

﴿وَأَنْذَرَهُمْ﴾ خوف يا محمد كفار مكة ﴿تَوَمَّ الْحَسْرَةَ﴾ الندامة ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾

﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يجاء بالموت يوم القيامة، كأنه كبش أملح - زاد أبو كريب: فيوقف بين الجنة والنار، واتفقا في باقي الحديث - فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشربون وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت، قال: ويقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ قال فيشربون وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت، قال فيؤمر به فيذبح، قال: ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت" قال: ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ { [مريم: ٣٩] وأشار بيده إلى الدنيا

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ معنى هذا أنه حكم بفناء، هذه المخلوقات وأن يوماً سيأتي يفنى فيه كل من عليها، والجميع سيرجعون إليه ويقفون بين يديه، ويحاسبهم بما كتبت أيديهم، ويجزيهم به. الجزائري

رحمة الله بإبراهيم عليه السلام، وحوار إبراهيم مع أبيه

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾ عظيم الصدق لا يكذب ﴿نَبِيًّا﴾ ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَّبِعْ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَتَّبِعْ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ طَرِيقًا لَا عِوَجَ فِيهِ

﴿إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ لم يقل له: جاهل لا علم عندك، بل عدل عن هذه العبارة إلى اللفظ عبارة تدل على هذا المعنى. ابن القيم في بدائع الفوائد.

﴿يَتَابَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ ﴿٤٤﴾ يَتَابَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴿قَرِينًا فِي النَّارِ﴾ قَالَ أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴿زَمَنًا طَوِيلًا﴾ قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ رَحِيمًا بِحَالِي يُجِيبُنِي إِذَا دَعَوْتَهُ

﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ لم يزل يستغفر الله له رجاء أن يهديه الله، فلما تبين له أنه عدو لله، وأنه لا يفيد فيه شيئاً، ترك الاستغفار له، وتبرأ منه. السعدي

﴿وَأَعْتَزَلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾

﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ﴾ لما كان مفارقة الإنسان لوطنه ومآلفه وأهله وقومه، من أشق شيء على النفس؛ لأمر كثيرة معروفة، ومنها انفراده عمن يتعزز بهم ويتكثر، وكان من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، واعتزل إبراهيم قومه، قال الله في حقه: ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾. السعدي

﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ ﴿٥٠﴾ ذَكَرًا حَسَنًا وَثَنَاءً بَاقِيَا فِي النَّاسِ

موسى وإسماعيل وإدريس عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾ مصطفى مختاراً ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾

﴿وَنَدَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ **جبل بسيناء** ﴿الْأَيْمَنَ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿مَنَاجِيًّا لَنَا﴾ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾

﴿إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ إن قيل: كيف خص بصدق الوعد إسماعيل، وليس في الأنبياء من ليس كذلك؟ فالجواب: أن إسماعيل عانى في الوفاء بالوعد ما لم يعاناه غيره من الأنبياء، فأثني عليه بذلك. ابن الجوزي

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ ﴿٥٦﴾

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾ قال ابن عباس: كان إدريس خياطاً، وكان لا يغرز غرزة إلا قال: سبحان الله. وكان يمسي حين يمسي وليس على الأرض أفضل عملاً منه. الشوكاني

﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ ﴿٥٧﴾

﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قال كعب: أما إدريس، فإن الله أوحى إليه: إني رافع لك كل يوم مثل عمل جميع بني آدم، فأحب أن تزداد عملاً فأتاه خليل له من الملائكة، فقال: إن الله أوحى إليّ كذا وكذا، فكلم لي ملك الموت، فليؤخرني حتى أزداد عملاً، فحمله بين جناحيه، ثم صعد به إلى السماء، فلما كان في السماء الرابعة تلقاهم ملك الموت منحدراً، فكلم ملك الموت في الذي كلمه فيه إدريس، فقال: وأين إدريس؟ فقال: هو ذا على ظهري، قال ملك الموت: فالعجب بعثت أقبض روح إدريس في السماء الرابعة، فجعلت أقول: كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض؟ فقبض روحه هناك، فذلك قول الله تبارك وتعالى ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾. الطبري

قال ابن كثير عما سبق هذا من أخبار كعب الأخبار الإسرائيلية، وفي بعضه نكارة، والله أعلم. ابن كثير

حال الأصفياء، وحال من خلفهم

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ﴾ يعقوب عليه السلام ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾ **اصطفينا** ﴿إِذَا نُنَادِيهِمْ﴾ آيَةُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾

﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ عن إبراهيم، قال: قرأ عمر بن الخطاب سورة مريم فسجد، وقال: هذا السجود، فأين البكي؟ يريد: فأين البكاء. الطبري

﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ ﴿٥٩﴾ **شراً وخيبة في جهنم**

﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ قال مجاهد وقتادة: هم قوم في هذه الأمة، أضاعوا الصلاة، أي: تركوا الصلاة المفروضة. وقال ابن مسعود وإبراهيم: أخروها عن وقتها، وقال سعيد بن المسيب: هو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر، ولا العصر حتى تغرب الشمس. البغوي

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ ﴿٦٠﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ، بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ **آتياً لا محالة** ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ **باطلاً** ﴿إِلَّا﴾ **لكن يسمعون** ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ ﴿٦٢﴾

﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قال: كانت العرب إذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء عجب له، فأخبرهم الله أن لهم في الجنة بكرة وعشيا، قدر ذلك الغداء والعشاء. الطبري

﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ﴾ **نعطي** ﴿مَنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ ﴿٦٣﴾

﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ﴾ قال المفسرون: ومعنى ﴿نُورِثُ﴾: نعطي المساكن التي كانت لأهل النار - لو آمنوا - للمؤمنين. ويجوز أن يكون معنى ﴿نُورِثُ﴾: نعطي، فيكون كالميراث لهم من جهة أنها تمليك مستأنف. ابن الجوزي

لما قال النبي ﷺ لجبريل: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟» نزلت: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ ﴿٦٤﴾
تاركًا لك بتأخير الوحي عنك

﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ قال قتادة: ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ من أمر الآخرة
﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ من أمر الدنيا. الطبري
﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾: ما بين ما لم يمض من أمر الدنيا إلى الآخرة، لأن ذلك هو
الذي بين ذينك الوقتين. ينظر: تفسير الطبري

﴿ ٣٠٩ ﴾

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ﴾ اثبت ﴿لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ﴿٦٥﴾
مثيلاً ومضاهياً في ذاته وصفاته

إنكار الكافر للبعث، والرد عليه، وأحوال الناس في الآخرة

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَنُ﴾ المنكر للبعث ﴿إِنَّمَا مَاتَ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ ﴿٦٦﴾ يقول ذلك
مستبعداً مستهزئاً ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَنُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ ﴿٦٧﴾
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ ﴿٦٨﴾
باركين على ربهم من الهول ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ طائفة﴾ ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى
الرَّحْمَنِ عَيْنًا﴾ ﴿٦٩﴾ تمرداً وعصيانياً ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ ﴿٧٠﴾
دخولاً ومقاساة لحرها فنبذهم ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ مارة بالصرط المنصوب على
متن جهنم ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ ﴿٧١﴾ حتماً لازماً

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ كان عبد الله بن رواحة يبكي ويقول: أنبت أني وارد،
ولم أنبأ أني صادر. ابن الجوزي

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ ﴿٧٢﴾ باركين على ربهم
﴿وَإِذَا نُتِلَّىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا
منزلاً في الدنيا﴾ وأحسن ندياً ﴿٧٣﴾ مجلساً ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أمة ﴿هُمْ
أَحْسَنُ أَثْنًا﴾ متاعاً ﴿وَرِئَاءَ﴾ ﴿٧٤﴾ منظرًا ومرأى ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ

لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴿٧٥﴾ يَمَهْلُهُ وَيَمْلِي لَهُ اسْتِدْرَاجًا ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ ﴿٧٧﴾ الْمَعْلُومَ فِي الدُّنْيَا ﴿٧٨﴾ وَإِمَّا السَّاعَةَ ﴿٧٩﴾ وَمَا فِيهَا مِنْ عَذَابٍ ﴿٨٠﴾ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٨١﴾

﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ أي: أعوانا. أهم أم المؤمنون؟
وجندهم الشياطين

وجند المؤمنين عليهم الملائكة. تفسير الجلالين

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَتُ﴾ الطاعات ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ ﴿٧٦﴾ مرجعاً وعاقبة

﴿٣١٠﴾

﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ أعلمت؟ ﴿الَّذِي كَفَرَ بآيَاتِنَا وَقَالَ لَا أُوتِيكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ ﴿٧٧﴾

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بآيَاتِنَا﴾ جاء في الحديث الصحيح أنه العاص بن وائل
والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

* في الصحيحين عن خباب، قال: «كان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته
أتقاضاه»، فقال لي: لن أقضيك حتى تكفر بمحمد، قال: فقلت له: "إني لن
أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث، قال: وإني لمبعوث من بعد الموت؟"
فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مال وولد، قال وكيع: كذا قال الأعمش، قال:
فنزلت هذه الآية: {أفرايت الذي كفر بآياتنا} [مريم: ٧٧] وقال: {لأوتين مالا
وولدا} [مريم: ٧٧] إلى قوله: {ويأتينا فردا} [مريم: ٨٠]

﴿أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ ﴿٧٨﴾ كَلَّا ﴿٧٩﴾ لَيْسَ كَمَا يَزْعُمُ ﴿٨٠﴾ سَنَكْنُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ ﴿٨١﴾ نَزِيدَ لَهُ ﴿٨٢﴾ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٨٣﴾ وَنَرْتُهُ، مَا يَقُولُ
وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٤﴾ وَاتَّخَذُوا ﴿٨٥﴾ أَي: كفار مكة ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ
عِزًّا﴾ ﴿٨٦﴾ شَفْعَاءُ وَأَنْصَارًا ﴿٨٧﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٨﴾
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْرَهُمْ آزًا﴾ ﴿٨٩﴾ تدفعهم عن الطاعة
وتغريهم بالمعصية ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿٩٠﴾ بِالْعَذَابِ ﴿٩١﴾ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ﴿٩٢﴾ يَوْمَ

نَحْشُرُ ﴿٨٥﴾ نَجْمٌ ﴿٨٦﴾ الْمَتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا ﴿٨٧﴾ وفودًا مكرمين ﴿٨٨﴾ وَنَسُوقُ ﴿٨٩﴾ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرَدًا ﴿٩٠﴾ مشاة عطاشًا ﴿٩١﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ ﴿٩٢﴾ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٩٣﴾ شهادة أن لا إله إلا الله

زعم الكافر أن لله ولدًا

﴿٩٤﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٩٥﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٩٦﴾ شيئًا عظيمًا منكرًا ﴿٩٧﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ ﴿٩٨﴾ يتشققن ﴿٩٩﴾ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ ﴿١٠٠﴾ هَذَا ﴿١٠١﴾ تَسْقُطُ سَقُوطًا شَدِيدًا ﴿١٠٢﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿١٠٣﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ ﴿١٠٤﴾ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿١٠٥﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿١٠٦﴾ خَاضِعًا ﴿١٠٧﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿١٠٨﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿١٠٩﴾ ﴿١١٠﴾

﴿٣١١﴾

الخير للمؤمنين، والهلاك للكافرين

﴿١١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿١١٢﴾ حبة في قلوب عباده ﴿١١٣﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ ﴿١١٤﴾ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنْذِرَ ﴿١١٥﴾ بِهِ قَوْمًا لَدَّا ﴿١١٦﴾ شَدِيدِ الْخَصُومَةِ بِالْبَاطِلِ ﴿١١٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ ﴿١١٨﴾ أُمَّةٌ ﴿١١٩﴾ هَلْ تُحْشَى ﴿١٢٠﴾ تَرَى وَتُجَدِّ ﴿١٢١﴾ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿١٢٢﴾ صَوْتًا ﴿١٢٣﴾ خَفِيًّا

سورة طه

سورة طه، سورة مكية، فيها تقوية النبي ﷺ لحمل الرسالة والصبر عليها، وفيها الحديث عن قصة نبي الله موسى عليه السلام مع فرعون ومع بني إسرائيل؛ تنبيها على وجوب صبر الدعاة، وعناية الله بهم، وفيها عقوبة الإعراض عن القرآن، وبيان حال الناس في الآخرة.

* كانت السورة سببًا في إسلام عمر رضي الله عنه حين سمع قراءة في بيت أخته فاطمة فدخل وقال: ما هذه الهيمنة التي سمعت؟ قالوا له: ما سمعت شيئًا،

قال: بلى والله، لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه، وبطش بختنه سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها، فضر بها فشجها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه: نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك. فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع، فارعوى، وقال لأخته: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتمكم تقرأون آثافا؛ أنظر ما هذا الذي جاء به محمد ... فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفة، وفيها: «طه» فقرأها، فلما قرأ منها صدرا، قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! ... ثم ذهب وأسلم. ينظر سيرة ابن هشام ١ / ٣٤٥.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقوية قلب النبي ﷺ بذكر الغاية من إنزال القرآن، وبعض صفات من أنزله

﴿طه ١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾

﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ معنى لتشقى: لتتعب بفراط تأسفك عليهم وعلى كفرهم، وتحسرك على أن يؤمنوا، كقوله تعالى ﴿فَلَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ﴾ [الكهف: ٦] أي: ما عليك إلا أن تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك أن يؤمنوا. القرطبي

﴿إِلَّا﴾ **لكن أنزلناه** ﴿نَذْكُرَكَ لِمَنِ يَخْشَى﴾ ﴿٢﴾ تَزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَىٰ ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾ **ما تحت التراب من مخلوقات** ﴿وَأِنْ تَجْهَر بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ﴾ ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾

قصة موسى عليه السلام وما فيها من صبره على الدعوة ورعاية الله لنبيه

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ ﴿٩﴾ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ ﴿١٠﴾ أَبْصَرْتُ ﴿نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ﴾ **بشعلة تستدفئون بها** ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى

﴿ ١٠ ﴾ هَادِيًا يَدُلُّنَا الطَّرِيقَ ﴿ ١١ ﴾ فَلَمَّا أَنْهَأَ نُودَى يَمُوسَى ﴿ ١٢ ﴾

بداية بعثة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وتأييده بالمعجزات

﴿ ١٣ ﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿ ١٤ ﴾

﴿ ٣١٢ ﴾

﴿ ١٣ ﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿ ١٤ ﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿ ١٥ ﴾ لَتَجْزِيَّ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿ ١٦ ﴾ هَوَاهُ فَرَدْنِي ﴿ ١٧ ﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَى ﴿ ١٨ ﴾

﴿ ١٨ ﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَى ﴿ ١٩ ﴾ مع علمه تعالى، ولكن لزيادة الاهتمام في هذا الموضوع، أخرج الكلام بطريق الاستفهام. السعدي
* معنى السؤال تقرير أنها عصا فيتبين له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها، وبعد أن قلبها. ابن جزي في التسهيل. «ت».

﴿ ٢٠ ﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا ﴿ ٢١ ﴾ أَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فِي الْمَشْيِ ﴿ ٢٢ ﴾ وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي ﴿ ٢٣ ﴾ أَضْرِبُ أَغْصَانُ الشَّجَرِ لِيَسْقُطَ رِيقُهَا لِيُغْنِيَنِي ﴿ ٢٤ ﴾ وَلِيَّ فِيهَا مَشَارِبُ ﴿ ٢٥ ﴾ مَنَافِعُ وَحَاجَاتُ ﴿ ٢٦ ﴾ أُخْرَى ﴿ ٢٧ ﴾

﴿ ٢٨ ﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا ﴿ ٢٩ ﴾ من أدب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن الله لما سأله عما في يمينه، وكان السؤال محتملا عن السؤال عن عينها، أو منفعتها، أجابه بعينها ومنفعتها. السعدي

﴿ ٣٠ ﴾ قَالَ أَلْقَهَا يَمُوسَى ﴿ ٣١ ﴾ فَالْقَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿ ٣٢ ﴾ تَمْشِي بِسُرْعَةٍ وَخَفَةٍ ﴿ ٣٣ ﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ﴿ ٣٤ ﴾ حَالَتَهَا ﴿ ٣٥ ﴾ الْأُولَى ﴿ ٣٦ ﴾ وَأَضْمَمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ ﴿ ٣٧ ﴾ جَنِبَكَ نَحْتَ الْعَصَدِ ﴿ ٣٨ ﴾ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ ﴿ ٣٩ ﴾ بَرَصٌ ﴿ ٤٠ ﴾ آيَةٌ أُخْرَى ﴿ ٤١ ﴾ لِرَبِّكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿ ٤٢ ﴾

أمر موسى عليه السلام بالذهاب لفرعون

﴿ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۖ ﴿٢٥﴾

﴿ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ أي: وسعه وأفسحه؛ لأتحمل الأذى القولي والفعلي، ولا يتكدر قلبي بذلك، ولا يضيق صدري، فإن الصدر إذا ضاق، لم يصلح صاحبه لهداية الخلق ودعوتهم. السعدي

﴿ وَبَيَّرَ لِي أَمْرِي ۖ ﴿٢٦﴾ وَأَحْلَلْتُ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۖ ﴿٢٧﴾ أَطْلُقَ لِسَانِي بِفَصِيحِ الْمُنْطَقِ

﴿ وَأَحْلَلْتُ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴾ قال السدي: لما تحرّك الغلام، يعني: موسى، أرتته أمه آسية صبيًا، فبينما هي ترقصه وتلعب به، إذ ناولته فرعون، وقالت: خذه، فلما أخذه إليه أخذ موسى بلحيته فنتفها، فقال فرعون: عليّ بالذباحين، قالت آسية: ﴿ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ [القصص: ٩] إنما هو صبي لا يعقل، وإنما صنع هذا من صباه، وقد علمت أنه ليس في أهل مصر أحلى مني، أنا أضع له حليا من الياقوت، وأضع له جمرًا، فإن أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه، وإن أخذ الجمر فإنه هو صبي، فأخرجت له ياقوتها ووضعت له طستا من جمر، فجاء جبرائيل ﷺ فطرح في يده جمرة، فطرحها موسى في فيه، فأحرقت لسانه، فهو الذي يقول الله عز وجل ﴿ وَأَحْلَلْتُ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۖ ﴿٢٧﴾ يَقْفَهُوْا قَوْلِي ۖ ﴿٢٨﴾ الطبري

﴿ وَأَحْلَلْتُ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴾ ما سأل أن يزول ذلك بالكلية، بل بحيث يزول العي، ويحصل لهم فهم ما يريد منه وهو قدر الحاجة. ولو سأل الجميع لزال. ابن كثير

﴿ يَقْفَهُوْا قَوْلِي ۖ ﴿٢٨﴾ وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۖ ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ۖ ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ ۚ ﴿٣١﴾ قَوْنِي بِهِ وَشَدَّ بِهِ ظَهْرِي ۖ ﴿٣٢﴾ وَأَشْرَكُهُ فِي أَمْرِي ۖ ﴿٣٣﴾ النَّبُوَّةُ ۖ ﴿٣٤﴾ كَيْ نَسِيحَكَ كَثِيرًا ۖ ﴿٣٥﴾ وَنَذْرَكَ كَثِيرًا ۖ ﴿٣٦﴾

﴿ وَنَذْرَكَ كَثِيرًا ﴾ قال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا، حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا. ابن كثير

﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ۖ ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يٰمُوسَىٰ ۖ ﴿٣٦﴾

تذكير الله لعبده بالمنن السابقة

﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾﴾

﴿٣١٣﴾

﴿إِذْ أَوْحَيْنَا ﴿٣٨﴾ إِلَيْنَا أَمْرًا مَّا يُوحَىٰ﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿أَن أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾
 نهر النيل ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴿٣٩﴾
 وضعت عليك محبة مني، فأحبك الناس ﴿وَلَنُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾﴾ ولتتربى على عيني
 وفي حفظي وكلاءتي ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ﴾ ﴿٤٠﴾ يريه
 ويرضعه ﴿فَرَجَعْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ تطيب نفسها ﴿وَلَا تَحْزَنَ وَقَلَلْتَ
 نَفْسًا﴾ القبطى الذى وكزه موسى ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ من العقوبة ﴿وَفَنَّاكَ فُتُونًا﴾
 ابتليناك ابتلاء وخلصناك من كل ابتلاء تعرضت له ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ
 جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ على وفق الوقت المقدر لإرسالك ﴿يَمُوسَىٰ﴾ ﴿٤٠﴾

﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمُوسَىٰ﴾ ليس لأحد استعمال القرآن لغير ما أنزله الله له،
 كقول القائل لمن قدم لحاجة: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمُوسَىٰ﴾ وقوله عند
 الخصومة: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾. مختصر
 الفتاوى المصرية، لابن تيمية.

﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾﴾ اصطفتيك لرسالتي

﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ أي: أجريت عليك صنائعي ونعمي، وحسن عوائدي،
 وتربيتي؛ لتكون لنفسي حبيباً مختصاً، وتبلغ في ذلك مبلغاً لا يناله أحد من
 الخلق، إلا النادر منهم. السعدي

خوف موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من بطش فرعون، وتثبيت الله له

﴿أَذْهَبَ أَنتَ وَأَخُوكَ بِأَيْتِي وَلَا نُبَيِّنَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾﴾ لا تضعفاه عنه ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ
 فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا يَعْلَهُ، يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾
 ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا﴾ قرأ رجل عند يحيى بن معاذ هذه الآية: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا﴾

فبكى يحىي، وقال: إلهي هذا رفئك بمن يقول: أنا الإله. فكيف رفئك بمن يقول: أنت الإله؟! البغوي

﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا ﴾ يعاجلنا بالعقوبة ﴿ أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴾ ﴿٤٥﴾

﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا ﴾ الخوف من الأعداء سنة الله في أنبيائه وأوليائه، مع معرفتهم به وثقتهم. القرطبي

﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ ﴿٤٦﴾

﴿ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ أي: أنتما بحفظي ورعايتي، أسمع أقوالكما، وأرى جميع أحوالكما، فلا تخافا منه، فزال الخوف عنها واطمأنت قلوبهما بوعده ربهما. السعدي

﴿ فَأَنبَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعْذِِبْهُمْ ﴾ أي: بالسخرة والتعب في العمل ﴿ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ أَتَبَعَ الْهُدَى ﴾ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَقَتْلَى ﴿٤٨﴾

﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَقَتْلَى ﴾ قال ابن عباس: هذه أرجى آية للموحدين؛ لأنهم لم يكذبوا، ولم يتولوا. القرطبي

حوار موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع فرعون

﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى ﴾ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ. صورته اللائقة به ﴿ ثُمَّ هَدَى ﴾ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾ الأمم الماضية التي كانت على غير عبادة الله

﴿ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ ﴿٥٢﴾

﴿ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي ﴾ مضمون ذلك، أنهم قدموا إلى ما قدموا، ولاقوا أعمالهم، وسيجازون عليها، فلا معنى لسؤالك واستفهامك يا فرعون عنهم، فتلك أمة قد خلت، لها ما كسبت، ولكم ما كسبتم، فإن كان الدليل الذي أوردناه

عليك، والآيات التي أريناها، قد تحققت صدقها ويقينها، وهو الواقع، فانقد إلى الحق، ودع عنك الكفر والظلم، وكثرة الجدال بالباطل، وإن كنت قد شككت فيها أو رأيته غير مستقيمة، فالطريق مفتوح وباب البحث غير مغلق، فرد الدليل بالدليل، والبرهان بالبرهان. السعدي

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا ﴿٥٣﴾ ميسرة للانتفاع بها ﴿٥٤﴾ وَسَلَكَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا ﴿٥٥﴾ طَرَقًا ﴿٥٦﴾ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا ﴿٥٧﴾ أَنْوَاعًا مُخْتَلَفَةً ﴿٥٨﴾ مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٩﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ ﴿٦٠﴾ لَذَوِي الْعُقُولِ السَّالِمَةِ ﴿٦١﴾ مِنْهَا خَلَقْنَكُمْ وَفِيهَا نَعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٦٢﴾﴾

كفر فرعون، واستعانته بالسحرة

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٦٣﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَى ﴿٦٤﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوَى ﴿٦٥﴾ وَسَطًا بَيْنَنَا وَمَعْتَدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ ﴿٦٧﴾ يَوْمَ الْعِيدِ ﴿٦٨﴾ وَأَنْ يُحْشَرَ ﴿٦٩﴾ يَجْمَعُ ﴿٧٠﴾ النَّاسُ ضُحًى ﴿٧١﴾﴾

﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ هو عيدهم، الذي يتفرغون فيه، ويقطعون شواغلهم ... وإنما سأل موسى ذلك؛ لأن يوم الزينة، ووقت الضحى، فيه يحصل كثرة الاجتماع، ورؤية الأشياء على حقائقها، ما لا يحصل في غيره. السعدي

﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ﴿٧٢﴾ سِحْرَتَهُ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ أَتَى ﴿٧٤﴾ قَالَ لَهُمُ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا ﴿٧٥﴾ لَا تَخْتَلِقُوا ﴿٧٦﴾ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ ﴿٧٧﴾ فَيَسْأَلُكُمْ ﴿٧٨﴾ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ﴿٧٩﴾ فَتَنْزَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴿٨٠﴾ قَالُوا إِنَّ هَٰذِهِ لَسِحْرُنَ إِنْ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ﴿٨١﴾﴾

طريقة السحر العظيمة

﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ أي: طريقة السحر حسدكم عليها، وأراد أن يظهر عليكم؛ ليكون له الفخر والصيت والشهرة، ويكون هو المقصود بهذا العلم، الذي أشغلتكم زمانكم فيه، ويذهب عنكم ما كنتم تأكلون بسببه. السعدي

﴿ فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ﴾ أحكموا كيدكم واعزموا عليه ولا تختلفوا ﴿ ثُمَّ اتَّوُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ﴾ ٦٤ ﴿ غلب

﴿ ٣١٥ ﴾

هزيمة السحرة، وإيمانهم بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴾ ٦٥ ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِجَابُهُمْ وَعَصِيَّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾ ٦٦ ﴿

﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾ استدل قوم بهذه الآية على أن السحر ليس بشيء. قالوا: إنما خيل إلى موسى، والجواب: أنا لا ننكر أن يكون ما رآه موسى تخيلاً، وليس بحقيقة، فإنه من الجائز أن يكونوا تركوا الزئبق في سلوخ الحيات حتى جرت، وليس ذلك بحيات. فأما السحر، فإنه يؤثر، وهو أنواع. وقد سحر رسول الله ﷺ حتى أثر فيه، ابن الجوزي

﴿ فَأَوْجَسَ ﴾ فشعر وأحس ﴿ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾ ٦٧ ﴿ خاف أن يلتبس الأمر على الناس فلا يؤمنوا به ﴾ ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾ ٦٨ ﴿ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ ﴾ تبلع ﴿ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ ٦٩ ﴿ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ ٧٠ ﴿ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنِ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَأَقْطَعْ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ﴾ مخالفاً بين الأيدي والأرجل فيقطع يداً من جهة ورجلاً من جهة أخرى ﴿ وَلَا أَصْلَبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾ ٧١ ﴿

﴿ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنِ لَكُمْ ﴾ علم أن العقاب على الإيمان بموسى - بعد أن فتح باب المناظرة معه - نكت لأصول المناظرة، فاختلق للتشفي من الذين آمنوا علة إعلانهم الإيمان قبل استئذان فرعون، فعد ذلك جرأة عليه، وأوهم أنهم لو استأذنوه لأذن لهم، واستخلص من تسرعهم بذلك أنهم تواطؤوا مع موسى من قبل، فأظهروا العجز عند مناظرته. ومقصد فرعون من هذا إقناع الحاضرين بأن موسى لم يأت بما يعجز السحرة؛ إدخالاً للشك على نفوس

الذين شاهدوا الآيات. وهذه شنشنة من قديم الزمان، اختلاق المغلوب بارد العذر. ومن هذا القبيل اتهام المحكوم عليهم الحاكمين بالارتشاء، واتهام الدول المغلوبة في الحروب قواد الجيوش بالخيانة. ابن عاشور في التحرير والتنوير. «ت».

﴿فَلَا قُطِعَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَا صَلَبْنَاكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ الظاهر أن فرعون صمم على ذلك وفعله بهم، رَحِمَهُمُ اللَّهُ؛ ولهذا قال ابن عباس وغيره من السلف: أصبحوا سحرة، وأمسوا شهداء. ينظر: تفسير ابن كثير

﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ **نفضلك** ﴿عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا﴾ **خلقنا** ﴿فَاقْضِ﴾ **فافعل** ﴿مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٧٢) ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِئَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (٧٣)

﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ أي: الذي عارضنا به الحق. وهذا دليل على أنهم غير مختارين في عملهم المتقدم، وإنما أكرههم فرعون إكراها. ينظر: تفسير السعدي

﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ (٧٤) ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ **لا يموت فيها** **فيستريح ولا يحيا حياة يهنا بها** ﴿وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾ (٧٥) ﴿جَنَّتٌ عَدْنٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ (٧٦) **تطهر من الذنوب**

نجاة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه، وغرق فرعون وجنده

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَسْرِ﴾ **اخرج ليلاً** ﴿بِعِبَادِي فَأَضْرَبْ لَهُمُ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ **يابسا** ﴿لَا تَخَفْ دَرَكًا﴾ **أن يدركك فرعون** ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ (٧٧) ﴿غَرَقَا﴾ **فأنبعهم فرعونُ بجُنُودِهِ فغشيهم فغمرهم وغطاهم** ﴿مِّنَ الْيَمِّ﴾ **البحر** ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ (٧٨) ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ﴾ (٧٩) ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكَ مِّنْ عَدُوِّكَ وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ **الجهة اليمنى من جبل الطور** ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَ﴾

طعام كالغسل ﴿وَالسَّلَوَى﴾ طير كالسماني

﴿وَوَاعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ﴾ يذكر تعالى بني إسرائيل منته العظيمة عليهم بإهلاك عدوهم، ومواعده لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بجانب الطور الأيمن لينزل عليه الكتاب، الذي فيه الأحكام الجليلة، والأخبار الجميلة، فتم عليهم النعمة الدينية، بعد النعمة الدنيوية. السعدي

﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ **بأن تكفروا النعمة به** ﴿فِيَحْلِلَ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ **خسر وهلك** ﴿وَأِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾

فتنة قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع العجل، وصبر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عليهم

﴿وَمَا أَعَجَلَكْ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى﴾ **وذلك لما قدم إلى الطور قبلهم** ﴿قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ﴾ **هؤلاء** ﴿عَلَى أَثَرِي﴾ **خلفى سوف يلحقون بي** ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ **عنى بمسارعتي إليك** ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾

﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ أي: دعاهم إلى الضلالة، وكان من قوم يعبدون البقر، فدخل في دين بني إسرائيل في الظاهر وفي قلبه ما فيه من عبادة البقر، وكان من قبيلة تعرف بالسامرة، وقال لمن معه من بني إسرائيل: إنما تخلف موسى عن الميعاد الذي بينكم وبينه لما صار معكم من الحلي، وهي حرام عليكم، وأمرهم بالقائها في النار ... فإنهم كانوا استعاروها منهم حين أرادوا الخروج مع موسى، وأوهموهم أنهم يجتمعون في عيد لهم، أو وليمة، وقيل: هو ما أخذه من آل فرعون لما قذفهم البحر إلى الساحل، وسميت أوزارا، أي: آثاما؛ لأنه لا يحل لهم أخذها، ولا تحل لهم الغنائم في شريعتهم ... ثم ألقى عليه قبضة من أثر الرسول وهو جبريل ... رأى جبريل على فرس الحياة، فألقى في ذهنه أن يقبض قبضة من أثر الرسول، وأن ذلك الأثر لا يقع على جماد إلا صار حيا. الشوكاني

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا﴾ ﴿حزينا﴾ ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾ ﴿الوعد بإنزال التوراة﴾ ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ ﴿مدة مفارقتي إياكم﴾ ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿بالثبات على الطاعة حتى أرجع إليكم﴾

﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ أي: المدة، فتناولتم غيبي وهي مدة قصيرة؟ هذا قول كثير من المفسرين، ويحتمل أن معناه: أفضال عليكم عهد النبوة والرسالة، فلم يكن لكم بالنبوة علم ولا أثر، واندرست آثارها، فلم تقفوا منها على خبر، فانمحت آثارها؛ لبعد العهد بها، فعبثتم غير الله؛ لغلبة الجهل، وعدم العلم بآثار الرسالة؟ أي: ليس الأمر كذلك، بل النبوة بين أظهركم، والعلم قائم، والعتذر غير مقبول؟ أم أردتم بفعالكم أن يحل عليكم غضب من ربكم؟ أي: فتعرضتم لأسبابه، واقتحمتم موجب عذابه، وهذا هو الواقع. السعدي

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا﴾ ﴿باختيارنا﴾ ﴿وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا﴾ ﴿أثقالاً﴾ ﴿مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ ﴿من حلّ قوم فرعون﴾ ﴿فَقَذَفْتَهَا﴾ ﴿ألقيناها في حفرة﴾ ﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ ﴿٨٧﴾

﴿حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ أي: أن السبب الداعي لذلك أننا تأثمنا من زينة القوم التي عندنا، وكانوا فيما يذكرون استعاروا حلياً كثيراً من القبط، فخرجوا وهو معهم، وألقوه، وجمعوه حين ذهب موسى؛ ليراجعوه فيه إذا رجع. السعدي

﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ قيل: قال السامري: رأيت جبريل على الفرس وهي تلقي خطوها مد البصر فألقي في نفس: أن أقبض من أثرها، فما ألقيته على شيء إلا صار له روح ودم. وقيل: رأى جبريل يوم نزل على رمكة وديق، فتقدم خيل فرعون في ورود البحر. القرطبي

﴿فَأَخْرَجَ﴾ ﴿فصنع﴾ ﴿لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾ ﴿مجسداً من ذهب﴾ ﴿لَهُمْ خُورٌ﴾ ﴿يَخُورُ خِوَارٌ﴾

البقر ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ ﴿٨٨﴾ ادعى أن موسى عليه السلام نسي ربه هنا وذهب يطلبه

﴿عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ﴾ هذا من بلادهم، وسخافة عقولهم، حيث رأوا هذا الغريب الذي صار له خوار بعد أن كان جمادا، فظنوه إله الأرض والسموات. السعدي

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ لا يرد عليهم جواباً ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ۖ ﴿اخْتَبَرْتُمْ بِهِ﴾ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ ﴿لَنْ نَزَالَ﴾ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ ﴿مُقِيمِينَ عَلَىٰ عِبَادَتِهِ﴾ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَ ﴿تَسِرُ وَرَائِي بِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَفَارِقَهُمْ﴾ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ ﴿تَنْتَظِرُ﴾ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ رَأَيْتُ فِي الْأَمْرِ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾ فَمَا شَأْنُكَ ﴿يَسْمُرُ﴾ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ ﴿رَأَيْتُ﴾ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ۖ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً ۖ أَخَذْتُ بِكَفْيِ تَرَابًا ﴿مَنْ أَثَرُ الرَّسُولِ﴾ مِنْ أَثَرِ حَافِرِ فَرَسِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿فَبَدَّتْهَا﴾ أَلْقَيْتُهَا عَلَى الْحِلْيِ ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ﴾ زَيْنَتِ ﴿إِلَىٰ نَفْسِي﴾ ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ أَيُّ تَكُونُ مَنبُودًا تَقُولُ لِكُلِّ أَحَدٍ: لَا أُمَسَ وَلَا أُمَسَ ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنِ تَخْلَفُهُ، وَأَنْظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ ۖ أَقَمْتَ عَلَىٰ عِبَادَتِهِ﴾ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾

﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ هذه الآية أصل في نفي أهل البدع والمعاصي وهجرانهم وألا يخالطوا. القرطبي

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿٩٨﴾

﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ۖ عِندَنَا ۖ ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ ۖ إِنَّمَا عَظِيمًا ۖ خَالِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ۖ الْقُرْنُ الَّذِي يَنْفَخُ فِيهِ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ۖ وَتُحْشَرُ ۖ نَسُوقُ ۖ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَفَتُونَ ۖ يَتَسَارُونَ ۖ وَيَتَهَامِسُونَ ۖ يَنْهَنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ ۖ أَيُّ: فِي الدُّنْيَا ۖ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً ۖ أَعْلَمَهُمْ وَأَوْفَاهُمْ عَقْلًا ۖ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ۖ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ ۖ يَذِلُّهَا عَنْ أَمَاكِنِهَا فَيَجْعَلُهَا هَبَاءً مُنَبِّثًا ۖ فَيَذَرُهَا ۖ فَيَتَرَكُهَا ۖ قَاعًا ۖ أَرْضًا مَلْسَاءَ لَا نَبَاتَ فِيهَا ۖ صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ ۖ مُسْتَوِيَةً ۖ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ۖ مِيلًا وَلَا ارْتِفَاعًا وَلَا انْخِفَاضًا ۖ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ۖ لَا مَحِيدَ لَهُمْ عَنْ اتِّبَاعِهِ ۖ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ ۖ سَكَتَ خَضُوعًا ۖ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ ۖ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۖ وَعَنْتِ ۖ خَضَعْتَ وَذَلْتَ ۖ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ الْقَائِمُ عَلَى شُؤْنِ خَلْقِهِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا ۖ زِيَادَةً فِي سَيِّئَاتِهِ ۖ وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ ۖ نَقَصًا فِي حَسَنَاتِهِ ۖ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ ۖ فَصَلْنَا فِيهِ أَنْوَاعَ الْوَعِيدِ وَنَوَعْنَاهَا ۖ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ۖ تَذَكُّرًا وَعِظَةً

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ ۖ أَيُّ: نَوَعْنَاهَا أَنْوَاعًا كَثِيرَةً، تارة بذكر أسماؤه الدالة على العدل والانتقام، وتارة بذكر المثالات التي أحلها بالأثم السابقة، وأمر أن تعتبر بها الأثم اللاحقة، وتارة بذكر آثار الذنوب، وما تكسبه من العيوب، وتارة بذكر أهوال القيامة، وما فيها من المزعجات والمقلقات، وتارة بذكر جهنم وما فيها من أنواع العقاب وأصناف العذاب، كل هذا رحمة بالعباد، لعلهم يتقون الله. السعدي

﴿فَعَلَىٰ﴾ فتنزه وارتفع وتقدس عن كل نقص ﴿اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ
بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (١١٤)

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ أي:
لا تبادر بتلقف القرآن حين يتلوه عليك جبريل، واصبر حتى يفرغ منه، فإذا
فرغ منه فاقراه، فإن الله قد ضمن لك جمعه في صدرك وقراءتك إياه، كما قال
تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١١٧) فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَغْ
قُرْآنَهُ (١١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿ولما كانت عجلته ﷺ على تلقف الوحي، ومبادرته
إليه تدل على محبته التامة للعلم، وحرصه عليه، أمره الله تعالى أن يسأله زيادة
العلم، فإن العلم خير، وكثرة الخير مطلوبة، وهي من الله. السعدي

من أوائل صور الصراع بين الحق والباطل، ورحمة الله بالتائبين

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ لَا يَأْكُلَ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ
نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (١١٥) حفظاً لما أمر به

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْكُلَ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ كان آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ قد
وطن نفسه على أن لا يأكل من الشجرة، وصمم على ذلك، فلما وسوس إليه
إبليس؛ لانت عريكته، وفتّر عزمه، وأدركه ضعف البشر، وقيل: العزم الصبر،
أي: لم نجد له صبرا عن أكل الشجرة. قال النحاس: وهو كذلك في اللغة،
يقال: لفلان عزم، أي: صبر وثبات على التحفظ عن المعاصي حتى يسلم منها،
ومنه: ﴿كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾. الشوكاني

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ (١١٦)
﴿فَقُلْنَا يَتَّعِدُمْ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ (١١٧) ﴿لَا يَصْبِيحُ الْعَرَى﴾
تتعب بالحرث والزرع والحصد والطحن والخبز وغير ذلك، واقتصر على شقائه؛ لأن الرجل
يسعى على زوجته ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ (١١٨) ﴿لَا يَصْبِيحُ الْعَرَى﴾
وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ (١١٩) ﴿لَا يَصْبِيحُ حَرُ الشَّمْسِ﴾ ﴿فَوْسَوْسَ﴾
إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّعِدُمْ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ (١٢٠) لا

ينقضى ولا ينقطع ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَ تَهُمَا ﴾ عوراتهما ﴿ وَطَفِقَا ﴾
 أَخَذَا ﴿ يَخْصِفَانِ ﴾ يلصقان ﴿ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَى ﴿١٢١﴾ ثُمَّ
 أَجْنَبَهُ رَبُّهُ، فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٢﴾ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ
 عَدُوٌّ فَاإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ قال ابن عباس: ضمن الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، وتلا الآية. وعنه: من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب. القرطبي

عقوبة المعرضين عن الحق والعبر

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ ضيقة شاقة ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ قال سعيد بن جبير: نسلبه

القناعة حتى لا يشبع. البغوي

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ أي: ضيقة تضيق بها نفسه، فلا يشعر بالغبطة والسعادة، وإن اتسع رزقه، كما يضيق عليه قبره، ويشقى فيه طيلة حياة البرزخ. الجزائري

* فلاطمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج؛ لضلاله - وإن تنعم ظاهره، ولبس ما شاء، وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء - فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى؛ فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد. فهذا من ضنك المعيشة. ابن كثير

﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾

﴿ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا ﴾ أعرضت عنها ﴿ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴾ ﴿١٢٦﴾ ترك في النار ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾ ﴿١٢٧﴾

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴿١٢٨﴾ يَكُنْ سَبِيًّا لَهْدَايَتِهِمْ ﴿١٢٩﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ ﴿١٣٠﴾ الْأُمَمِ الْمَكْذِبَةِ ﴿١٣١﴾ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ ﴿١٣٢﴾ يَشَاهِدُونَ آثَارَهُمْ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿١٣٤﴾ لَدَوِي الْعُقُولِ ﴿١٣٥﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴿١٣٦﴾ بِتَأْخِيرِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ إِلَى الْآخِرَةِ ﴿١٣٧﴾ لَكَانَ لِرِزْمًا ﴿١٣٨﴾ لَكَانَ هَلَاكًا عَاجِلًا لَّازِمًا ﴿١٣٩﴾ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٤٠﴾

توجيهات ربانية

﴿١٢٨﴾ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ ﴿١٢٩﴾ سَاعَاتِ ﴿١٣٠﴾ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣١﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴿١٣٢﴾ لَا تَنْظُرْ وَتَلْتَفِتْ وَتَطْلُعَ ﴿١٣٣﴾ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ ﴿١٣٤﴾ أَصْنَافًا مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣٦﴾

﴿١٢٨﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ ﴿١٢٩﴾ يَرَوَى أَن عروة بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ إِذَا رَأَى شَيْئًا مِّنْ أَخْبَارِ السُّلَاطِينِ وَأَحْوَالِهِمْ، بَادِرَ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ فَدَخَلَهُ، وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ. القرطبي

﴿١٣١﴾ وَأَمْرَ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَقِبَةُ لِلنَّفْوَى ﴿١٣٢﴾

﴿١٣١﴾ وَأَمْرَ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ﴿١٣٢﴾ كَانَ بَعْضُ السَّلَفِ إِذَا أَصَابَ أَهْلَهُ خِصَاصَةً قَالَ: قَوْمُوا فَصَلُّوا، بِهَذَا أَمَرَكَ اللَّهُ. تَفْسِيرُ ابْنِ جَزِي فِي التَّسْهِيلِ. «ت».

﴿١٣٣﴾ وَقَالُوا لَوْلَا ﴿١٣٤﴾ يَأْتِينَا بَيِّنَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ﴿١٣٥﴾ أَوَلَمْ يَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٣٦﴾

﴿١٣٣﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بَيِّنَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ﴿١٣٤﴾ أَوَلَمْ يَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٣٥﴾ وَهَذَا تَعَنَّتْ مِنْهُمْ وَعِنَادٌ وَظُلْمٌ، فَإِنَّهُمْ هُمُ وَالرَّسُولُ بَشَرٌ عَبِيدُ اللَّهِ، فَلَا يَلِيقُ مِنْهُمْ الْإِقْتِرَاحُ بِحَسَبِ أَهْوَائِهِمْ، وَإِنَّمَا الَّذِي يَنْزِلُهَا، وَيَخْتَارُ مِنْهَا مَا يَخْتَارُ بِحَسَبِ حُكْمَتِهِ هُوَ اللَّهُ، وَلَٰئِنْ قَوْلُهُمْ ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ ﴿العنكبوت: ٥٠﴾ يَقْتَضِي أَنَّهُ لَمْ يَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ عَلَى صِدْقِهِ، وَلَا بَيِّنَةٌ عَلَى حَقِّهِ، وَهَذَا

كذب وافتراء، فإنه أتى من المعجزات الباهرات، والآيات القاهرة ما يحصل ببعضه المقصود، ولهذا قال: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ﴾ إن كانوا صادقين في قولهم، وأنهم يطلبون الحق بدليله ﴿بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ أي: هذا القرآن العظيم المصدق لما في الصحف الأولى، من التوراة والإنجيل والكتب السابقة، المطابق لها، المخبر بما أخبرت به، وتصديقه -أيضا- مذكور فيها، ومبشر بالرسول بها. السعدي

* أو لم تأتيتهم الآية الدالة على نبوته بما وجدوه في الكتب المتقدمة من البشارة. وقيل: أو لم يأتهم إهلاكنا الأمم الذين كفروا واقترحوا الآيات، فما يؤمنهم إن أتتهم الآيات أن يكون حالهم حال أولئك. ينظر: تفسير القرطبي

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ﴾ من قبل إرسال محمد ﷺ ﴿لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِّن قَبْلِ أَنْ نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ ﴿قُلْ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبِينَ﴾ ﴿كُلُّ مُتَّبِعٍ﴾ متظر ﴿فَتَرْبَصُوا فَمَا تَعْلَمُونَ مِّنْ أَصْحَابِ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ المستقيم ﴿وَمَنْ أَهْتَدَىٰ﴾ ﴿١٣٥﴾

﴿ ٣٢١ ﴾

سورة الأنبياء

سورة الأنبياء، سورة مكية، فيها الرد على المشركين وإنذارهم، والإخبار بحال جمع من الرسل، ودعوتهم المتحدة لعبادة الله وتوحيده، وذكر شيء من إنابتهم لله، وصبرهم على أقوامهم، وفي السورة بيان حال الناس في الآخرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

غفلة كثير من الناس

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿١﴾

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ﴾ في معنى الآية قولان: أحدهما أن هذه الأمة هي آخر الأمم، ورسولها آخر الرسل، وعلى أمته تقوم الساعة، فقد قرب الحساب منها بالنسبة لما قبلها من الأمم، لقوله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، وقرن بين إصبعيه،

السبابة والتي تليها. والقول الثاني: أن المراد بقرب الحساب الموت، وأن من مات، قامت قيامته. السعدي

﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٌ ﴾ حديث التنزيل يجدد الذكرى لهم ﴿ إِلَّا أَصْغَوْا هُنَالِكَ وَلَهُمْ يَلْعَابُونَ ﴾ ٢ ﴿ لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ بالغوا في إخفاء ما يتناجون به قائلين ﴿ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ فلا ميزة له عليكم ﴿ أَفَتَتُوبُكَ السِّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴾ ٣ ﴿ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ سِحْرٌ ﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ ٤ ﴾

من شبه المشركين، والرد عليهم

﴿ بَلْ قَالُوا ﴾ واصفين القرآن ﴿ أَضْغَثُ أَحْلَمٍ ﴾ أخلاط أحلام لا حقيقة لها ﴿ بَلْ أَفْتَرَنَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْنِئْنَا بِثَايَةٍ ﴾ ٥ ﴿ كَالنَّاقَةِ وَالْعُصَا وَالْيَدِ ﴾ مَاءً آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴿ من الأمم التي اقترحت آية على رسلها ﴾ ﴿ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ ٦ ﴿ ثم أجاب سبحانه عن قول المشركين هلا كان ملكاً ﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا ﴿ لا ملائكة ﴾ ﴿ نُوحِي إِلَيْهِمْ ﴾ كإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ العلم بحدوث ما سبق ﴿ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ٧

﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ فيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه، وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم نهي عن سؤال المعروف بالجهل وعدم العلم، ونهي له أن يتصدى لذلك، وفي هذه الآية دليل على أن النساء ليس منهن نبيه لا مريم ولا غيرها لقوله ﴿ إِلَّا رِجَالًا ﴾. السعدي

﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾ لم نجعلهم أجساداً خارجة عن طباع البشر ﴿ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾ ٨ ﴿ فِي الدُّنْيَا ﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ ﴿ بإنجاء الرسل بعد أن كذب قومهم بآيات طلبوها ﴾ ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَّشَاءُ ﴾ ومن آمن بهم ﴿ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴾ ٩

﴿ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ ﴾ أي: ثم صدقنا رسلنا الذين كذبهم أمهم، وسألهم

الآيات، فأتيناهم ما سألوه من ذلك، ثم أقاموا على تكذيبهم إياها، وأصروا على جحودهم نبوتها بعد الذي أتتهم به من آيات ربها، وعدنا الذي وعدناهم من الهلاك على إقامتهم على الكفر برهم بعد مجيء الآية التي سألوا، وذلك كقوله جل ثناؤه ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنَّ أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أَعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٥] وكقوله ﴿وَلَا تَمْسُوهَا إِسْوَاءَ فَإِخْذَكُمُ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود: ٦٤] ونحو ذلك من المواعيد. الطبري

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ فيه عزكم وشرفكم إن آمنتم به ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٠﴾

﴿ ٣٢٢ ﴾

هلاك الظالمين

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾ كثيرا أهلكنا ﴿مِن قَرِيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ﴿١١﴾ ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا﴾ رأوا ﴿بَأْسَنَا﴾ عذابنا ﴿إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ ﴿١٢﴾ يسرعون هاربين من العذاب ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ نعمتم فيه فبطرتم ﴿وَمَسَكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ ﴿١٣﴾ تسألون من دنياكم شيئا، استهزاء بهم ﴿قَالُوا يَنْوَلِّنَا﴾ يا هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿١٤﴾ ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾ كالزرع المحصود ﴿خُمِدِينَ﴾ ﴿١٥﴾ ميتين

الخلق لحكمة، والرد على المشركين

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ ﴿١٦﴾ بل دالين على قدرتنا ونافعين عبادنا ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُوًّا لَّآ تَخَذَنَّهُ مِن لَّدُنَّا﴾ ﴿١٧﴾

﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُوًّا لَّآ تَخَذَنَّهُ مِن لَّدُنَّا﴾ قال ابن جريج: لا نتخذنا نساء وولدا من أهل السماء، لا من أهل الأرض. ابن الجوزي ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ قيل: إن كنا فاعلين ذلك ولكن لسنا بفاعلين ذلك لاستحالة أن يكون لنا ولد، إذ لو كان ذلك؛ لم نخلق جنة، ولا نارا، ولا موتا، ولا بعثا، ولا حسابا. القرطبي

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ۖ يَمْحَقُهُ وَيُدْحَضُهُ ۖ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ ذَاهِبٌ ۖ وَلَكُمْ الْوَيْلُ ۚ الْعَذَابُ ۖ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿١٨﴾ تَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ ۖ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ ۖ أَيُّ الْمَلَائِكَةِ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ۖ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَمْلُونَ، فَلَيْسَ سُبْحَانَهُ بِحَاجَةٍ لِّصَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ ۖ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ لَا يَضَعُفُونَ وَلَا يَسْأَمُونَ ۖ أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿٢١﴾ هُمْ يَحْيِيونَ الْمَوْتَى؟ كَلَّا ۖ لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۖ غَيْرَ اللَّهِ لَا خِلَافَ لِّنِظَامِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ فَسُبِّحَنَ اللَّهُ ۖ تَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ ۖ رَبُّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ۝

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۖ ﴾ بيان ذلك: أن العالم العلوي والسفلي على ما يرى، في أكمل ما يكون من الصلاح والانتظام، الذي ما فيه خلل ولا عيب، ولا ممانعة، ولا معارضة، فدل ذلك، على أن مدبره واحد، وربّه واحد، وإلهه واحد، فلو كان له مدبران وربان أو أكثر من ذلك، لاختل نظامه، وتقوضت أركانه فإنهما يتمانعان ويتعارضان، وإذا أراد أحدهما تدبير شيء، وأراد الآخر عدمه، فإنه محال وجود مرادهما معاً، ووجود مراد أحدهما دون الآخر، يدل على عجز الآخر، وعدم اقتداره، واتفاقهما على مراد واحد في جميع الأمور غير ممكن، فإذا يتعين أن القاهر الذي يوجد مراده وحده - من غير ممانع ولا مدافع - هو الله الواحد القهار، ولهذا ذكر الله دليل التمانع. السعدي

﴿ لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ إِلَهًا ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّن مَّعِيَ الْقُرْآنُ ۖ وَذِكْرٌ مِّن قَبْلِي ۖ ﴾ الكتب السابقة ليس في واحد منها أن مع الله إلهاً ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ۖ ﴾ والسبب إعراضهم لذا قال سبحانه ﴿ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ ۝

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ۖ

الرد على من زعم الولد لله - سبحانه -، فالولد دليل على الافتقار، والله هو الغني

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾ من الملائكة ﴿ سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ ﴾ أي: الملائكة ﴿ مُكْرَمُونَ ﴾ ٣٦ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿ ٣٧ ﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴿ مَا عَمِلُوا وَمَا هُمْ عَامِلُونَ ﴾ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿ ٣٨ ﴾

﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ قال ابن عباس: هم أهل شهادة أن لا إله إلا الله. وقال مجاهد: هم كل من رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والملائكة يشفعون غدا في الآخرة - كما في صحيح مسلم وغيره - وفي الدنيا أيضا، فإنهم يستغفرون للمؤمنين، ولمن في الأرض. القرطبي

* من كان كثير الذنوب وأراد أن يحطها الله عنه بغير تعب؛ فليغتنم ملازمة مكان مصلاه بعد الصلاة؛ وذلك ليستكثر من دعاء الملائكة واستغفارهم له، فهو مرجو إجابته لقوله: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾. ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال. «ل».

﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌُ مِّنْ دُونِهِ ﴾ على سبيل الفرض والتنزل ﴿ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ ٣٩ ﴿ فَمِنْ هَذِهِ صِفَتِهِ مِنَ المَخْلُوقَاتِ فليس له من العبودية شيء ﴾

من مظاهر قدرة الباري الدالة على وحدانيته

﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا ﴾ ملتصقتين ﴿ فَفَنَقَّاهُمَا ﴾ ففصلناهما بقدرتنا ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ٣٠

﴿ كَانَا رَتْقًا فَفَنَقَّاهُمَا ﴾ خُلِقَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وفق سنة التدرج، فقد خلقنا ملتزقتين، ثم فصل بينهما. المختصر في التفسير

﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ ﴾ جبَالًا تَشْتَبِهَا ﴿ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ ﴾ لئلا تضطرب

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا﴾ ﴿طَرَقًا وَاسِعَةً مَسْلُوكَةً﴾ ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ﴿٣١﴾
 وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ﴿لَا تَسْقُطُ وَلَا تَخْرَقُهَا الشَّيَاطِينُ﴾ ﴿وَهُمْ عَنْ
 عَايِنِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ
 يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ ﴿فِي مَدَارٍ يَجْرِي فِيهِ لَا يَحِيدُ عَنْهُ﴾

﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ الأفلاك مستديرة بالكتاب والسنة والإجماع؛ ولفظ
 «الفلك» يدل على الاستدارة ومنه قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾. ابن
 تيمية في مجموع الفتاوى
 * وجاء في تفسير الطبري (ت ٣١٠): الفلك في كلام العرب هو كل شيء
 دائر.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّنْ فَهْمٍ لِّلْخُلْدُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿اسْتَفْهَامُ
 انْكَارِي﴾ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمُ﴾ ﴿نَخْتَبِرُكُمْ﴾ ﴿بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾
 ﴿كَفَفَرُوا غَنَى وَسَقَمَ وَصَحَّة﴾ ﴿وَالْيَنَّا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٣٥﴾

﴿ ٣٢٤ ﴾

استهزاء المشركين بالنبي ﷺ، واستعجالهم العذاب، والرد عليهم

﴿وَإِذَا رَأَوْاكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي
 يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ ﴿يَعِيبُهَا﴾ ﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿٣٦﴾
 خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴿لَكثْرَةُ اسْتِعْجَالِهِ فِي أَحْوَالِهِ كَأَنَّهُ خُلِقَ مِنْ عَجَلٍ﴾ ﴿سَأُورِيكُمْ
 عَايَتِي﴾ ﴿مَوَاعِيدِي بِالْعَذَابِ﴾ ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ﴿٣٧﴾

﴿سَأُورِيكُمْ عَايَتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ المؤمنون، يستعجلون عقوبة الله للكافرين،
 ويتباطؤونها، والكافرون يتولون ويستعجلون بالعذاب، تكذبا وعنادا.
 السعدي

﴿وَيَقُولُونَ﴾ ﴿الْكَفَار﴾ ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ

الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ ﴿٣٩﴾ لَا يَدْفَعُونَ ﴿٤٠﴾ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً ﴿٤٢﴾ فَجَاءَهُمْ فَتَحِيرَهُمْ ﴿٤٣﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ أَسْرَزَىٰ بَرُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ ﴿٤٥﴾ فَحَلٌّ وَأَحَاطَ ﴿٤٦﴾ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٧﴾ قُلْ ﴿٤٨﴾ ذَاكِرًا عِزِّ هَؤُلَاءِ ﴿٤٩﴾ مَن يَكْلُؤُكُمْ ﴿٥٠﴾ يَحْفَظُكُمْ وَيَحْرُسُكُمْ ﴿٥١﴾ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ لَدَى اللَّيْلِ؛ لَأَنَ الْمَخَافِ فِيهِ أَكْثَرُ ﴿٥٣﴾ مِّنَ الرَّحْمَنِ ﴿٥٤﴾ مَن عَذَابُهُ إِن حُلَّ بِكُمْ ﴿٥٥﴾ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٥٦﴾ أَمَلْتُمْ أَنَّ إِلَهَهُ تَمْنَعُهُمْ مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٥٧﴾ أَيْ: الْإِلَهَةُ ﴿٥٨﴾ نَصَرَ أَنْفُسَهُمْ وَلَا هُمْ مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٥٩﴾ يَجَارُونَ وَيَمْنَعُونَ ﴿٦٠﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ﴿٦١﴾ فَافْتَرَوْا بِذَلِكَ ﴿٦٢﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴿٦٣﴾ بِالْفَتْحِ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُؤْمِنِينَ الْأَرْضَ بَعْدَ الْأَرْضِ ﴿٦٤﴾ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٦٥﴾

﴿٣٢٥﴾

﴿٦٦﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ ﴿٦٧﴾ مَن اللَّهُ لَا مَن قَبْلَ نَفْسِي ﴿٦٨﴾ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمَّةُ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٦٩﴾ وَكَذَلِكَ الْكُفَّارُ لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنَ الْوَحْيِ ﴿٧٠﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ ﴿٧١﴾ نَصِيبٌ يَسِيرٌ ﴿٧٢﴾ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لِيَقُولَنَّ يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٧٣﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ ﴿٧٤﴾ ذَوَاتِ عَدَلٍ ﴿٧٥﴾ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴿٧٦﴾ مَن نَقَصَ حَسَنَةً أَوْ زَادَ سَيِّئَةً ﴿٧٧﴾ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٧٨﴾

بعثة موسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ ﴿٨٠﴾ التَّوْرَةَ الْفَارِقَةَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ﴿٨١﴾ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُنْقِيَةِ ﴿٨٢﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٨٣﴾ وَهَذَا ﴿٨٤﴾ أَيْ الْقُرْآنُ ﴿٨٥﴾ ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٨٦﴾

إنكار إبراهيم عليه السَّلَامُ على قومه التماثيل

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ ﴾ هداية ﴿ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَلِيمِينَ ﴾ ٥١ ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ ﴾ الأصنام التي صنعتموها ﴿ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ ٥٢ ﴿ مَقِيمُونَ عَلَىٰ عِبَادَتِهَا مَلَاذِمُونَ لَهَا ﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿ ٥٣ ﴾ فافتدينا

٣٣

﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾ من المعلوم أن فعل أحد من الخلق سوى الرسل ليس بحجة، ولا تجوز به القدوة، خصوصاً، في أصل الدين، وتوحيد رب العالمين. السعدي

﴿ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ٥٤ قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ ﴿ فِي قَوْلِكَ هَذَا ﴾ أَمَرْتَ أَنْتَ مِنَ اللَّعِينِ ﴿ ٥٥ ﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ ﴿ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ ﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ ﴿ خَلَقَهُنَّ ﴾ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿ ٥٦ ﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ ﴿ لَأَمْكُرَنَّ وَلَا أُكْسِرَنَّ ﴾ أَصْنَمَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ ﴿ ٥٧ ﴾

ذاهبين

﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ ﴾ قال ابن مسعود: لما خرج قوم إبراهيم إلى عيدهم مروا عليه فقالوا: يا إبراهيم ألا تخرج معنا؟ قال: إني سقيم. وقد كان بالأمس قال: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ ﴾ فسمعه ناس منهم. ابن كثير

* قال مجاهد وقتادة: إنما قال ذلك إبراهيم في سر من قومه، ولم يسمعه إلا رجل واحد وهو الذي أفشاه عليه. والواحد يخبر عنه بخبر الجمع إذا كان ما أخبر به مما يرضى به غيره. ومثله: ﴿ يَقُولُونَ لِنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَ الْأَعْرَضُ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ [المنافقون: ٨]. القرطبي

﴿ ٣٢٦ ﴾

﴿ فَجَعَلَهُمْ جُودًا ﴾ قطعاً صغيرة ﴿ إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ٥٨ ﴿ رَجَاءُ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَيْهِ لِيَسْأَلُوهُ عَمَّنْ هُتِمَ عَنِهَا ﴾

﴿ إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ ﴾ تأمل هذا الاحتراز العجيب، فإن كل ممقوت عند الله، لا

يطلق عليه ألفاظ التعظيم، إلا على وجه إضافته لأصحابه، كما كان النبي ﷺ إذا كتب إلى ملوك الأرض المشركين يقول: «إلى عظيم الفرس» «إلى عظيم الروم» ونحو ذلك، ولم يقل: «إلى العظيم» وهنا قال تعالى: ﴿إِلَّا كَبِيرًا هُمْ﴾ ولم يقل كبيرا من أصنامهم، فهذا ينبغي التنبيه له، والاحتراز من تعظيم ما حقره الله، إلا إذا أضيف إلى من عظمه. السعدي

﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ (٥٨) فعل ذلك إبراهيم بأهنتهم ليعتبروا ويعلموا أنها إذا لم تدفع عن نفسها ما فعل بها إبراهيم، فهي من أن تدفع عن غيرها من أرادها بسوء أبعد، فيرجعوا عما هم عليه مقيمون من عبادتها إلى ما هو عليه من دينه وتوحيد الله، والبراءة من الأوثان. تفسير الطبري

﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذْكُرُهُمْ ﴿يَعِيبُهُمْ﴾ يُقَالُ لَهُ يُزَيِّرُهُمْ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتَوْا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ ﴿بِمَرَأَىٰ مِنَ النَّاسِ﴾ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ عَلَىٰ إِقْرَارِهِ ﴿قَالُوا﴾ أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَتَّبِعُهُمْ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾

﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ قال ابن قتيبة: هذا من المعاريض، ومعناه: إن كانوا ينطقون، فقد فعله كبيرهم ... قال ابن الأنباري: كلام إبراهيم كان صدقا عند البحث، ومعنى قول النبي ﷺ: «كذب إبراهيم ثلاث كذبات»: قال قولا يشبه الكذب في الظاهر، وليس بكذب، قال المصنف: وقد ذهب جماعة من العلماء إلى هذا الوجه، وأنه من المعاريض، والمعارض لا تدم، خصوصا إذا احتيج إليها. ابن الجوزي

* زعم بعضهم أن معنى قوله ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ إنما هو: بل فعله كبيرهم هذا إن كانوا ينطقون فاسألوهم، أي إن كانت الآلهة المكسورة تنطق، فإن كبيرهم هو الذي كسرهم، وهذا قول خلاف ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أن إبراهيم لم يكذب إلا ثلاث كذبات كلها في الله، قوله ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، وقوله لسارة:

هي أختي، وغير مستحيل أن يكون الله تعالى ذكره أذن لخليله في ذلك، ليقرّع قومه به، ويحتجّ به عليهم، ويعرفهم موضع خطئهم، وسوء نظرهم لأنفسهم. الطبري

﴿فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ (قيل) أنه وإن كان في صورة الكذب، إلا أن المراد به التنبيه على أن من لا قدرة له لا يصلح أن يكون إلهًا، ومثله قول الملكين لداود: إن هذا أخي ولم يكن أخاه له تسع وتسعون نعجة، ولم يكن له شيء، فجرى هذا مجرى التنبيه لداود على ما فعل، أنه هو المراد بالفعل والمثل المضروب ومثل هذا لا تسميه العرب كذبا. ابن الجوزي

* ولهذا يجوز عند الأمة فرض الباطل مع الخصم حتى يرجع إلى الحق من ذات نفسه، فإنه أقرب في الحجة وأقطع للشبهة، كما قال لقومه: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦]. القرطبي

* قال علماؤنا: الكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه. والأظهر أن قول إبراهيم فيما أخبر عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ كان من المعارض، وإن كانت معاريض وحسنات وحججا في الخلق ودلالات، لكنها أثرت في الرتبة، وخفضت عن محمد المنزلة، واستحيا منها قائلها، على ما ورد في حديث الشفاعة، فإن الأنبياء يشفقون مما لا يشفق منه غيرهم إجلالا لله، فإن الذي كان يليق بمرتبه في النبوة والخلقة، أن يصدع بالحق، ويصرح بالحق لأمر كيفما كان، ولكنه رخص له فقبل الرخصة فكان ما كان من القصة. القرطبي

﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿بِعَادَتِكُمْ مِنْ لَا يَنْطِقُ﴾ ﴿ثُمَّ نَكْسُوْا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ ﴿رَجِعُوا إِلَى عِبَادِهِمْ﴾ ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿أَفِ لَكُمْ﴾ ﴿قَبْحًا لَكُمْ﴾ ﴿وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ﴿٦٨﴾

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾ قال شعيب الحماني: ألقى إبراهيم في النار، وهو ابن ست عشرة سنة. القرطبي

﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿٦٩﴾

﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ قال كعب الأحبار: ما أحرقت النار من إبراهيم شيئاً غير وثاقه الذي أوثقوه به. الطبري

* روى معتمر بن سليمان التيمي، عن بعض أصحابه أنه قال: جاء جبريل إلى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يوثق أو يَقمَط ليلقى في النار، قال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أمّا إليك فلا ... وعن أرقم: أن إبراهيم قال حين جعلوا يوثقونه؛ ليلقوه في النار: لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين، لك الحمد، ولك الملك لا شريك لك ... وعن أبي العالية، في قوله ﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ قال: السلام لا يؤذيه بردها، ولولا أنه قال: وسلاما لكان البرد أشدّ عليه من الحرّ ... وقال قتادة: لم تأت يومئذ دابة إلا أطفأت عنه النار، إلا الوزغ. الطبري

﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ ﴿٧٠﴾

خروج إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ من العراق

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا﴾ من العراق ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ أرض الشام ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٧١﴾

﴿الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ أي: الشام ... كان يقال: هي أرض المحشر والمنشر، وبها مجمع الناس، وبها ينزل عيسى ابن مريم، وبها يهلك الله شيخ الضلالة الكذاب الدجال. الطبري

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ زيادة عما سأل ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ ﴿٧٢﴾

لوط، ونوح عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ

الصَّلَاةَ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةَ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدَ ﴿٧٣﴾ وَلَوْ طَآءَنَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ ﴿٧٤﴾ أَهْلُ فُسَادٍ وَقَبِحٍ ﴿٧٤﴾ فَاسْقِينِ ﴿٧٤﴾

﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ﴾ كانت الخبائث التي يعملونها: إتيان الذكران في أديارهم، وخدْفهم الناس، وتضارطهم في أنديةهم، مع أشياء آخر كانوا يعملونها من المنكر. الطبري

﴿وَادْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَجَعَلْنَاهُ وَاهِلَةً مِنْ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾ الغرق وتكذيب قومه له ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾

قصة داود وسليمان عليهما السلام

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ يقضيان بين خصمين عدت غنم أحدهما على زرع الآخر ﴿إِذْ نَفَقَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ انتشرت فيه ليلاً ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿إِذْ نَفَقَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ قال ابن مسعود: كرم قد أنبت عناقيده فأفسدته، قال: فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم، فقال سليمان غير هذا يا نبي الله، قال: وما ذاك؟ قال: يدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها، حتى إذا كان الكرم كما كان دفعت الكرم إلى صاحبه، ودفعت الغنم إلى صاحبها، فذلك قوله ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾. الطبري

* عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «كانت امرأتان معهما ابناهما فجاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت صاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكما إلى داود فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان وأخبرتا، فقال: اتئوني بالسكين أشقه بينكما، فقالت الصغرى: لا

تفعل - يرحمك الله - هو ابنها، ففضي به للصغرى». البغوي، والحديث في الصحيحين.

﴿فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنَ ۖ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۖ وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ ۖ تَسْبِيحَ الْجِبَالِ مَعَهُ إِذَا سَبَحَ ۖ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ﴿٧٩﴾

﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ قال الحسن: لولا هذه الآية لرأيت أن القضاة هلكوا، ولكنه تعالى أثنى على سليمان بصوابه، وعذر داود باجتهاده. القرطبي
﴿وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ قيل: كان داود إذا فتر يسمعه الله تسبيح الجبال والطير؛ لينشط في التسبيح، ويشتاق إليه. البغوي

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ صناعة الدروع يعملها حلقاً متشابهة
﴿لِنُحْصِنَكُمْ﴾ لتحميمكم ﴿مِّنْ بَأْسِكُمْ﴾ حربكم ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ ﴿٨٠﴾

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ قال قتادة: أول من صنع الدروع داود، وإنما كانت صفائح، فهو أول من سردها وحلقها. القرطبي

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ شديدة الهبوب ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ ﴿٨١﴾

﴿٣٢٨﴾

﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ فِي الْبَحَارِ لِاسْتِخْرَاجِ اللَّائِئِ ۖ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ سوى الغوص من البناء وغيره ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ﴾ ﴿٨٢﴾

﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ﴾ أي: لا يقدرُونَ على الامتناع منه وعصيانه، بل حفظهم الله له، بقوته، وعزته، وسلطانه. السعدي

الحديث عن جملة من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ۖ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ ﴿٨٣﴾

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ بفقد جميع ماله وولده، وتمزيق جسده، وهجر جميع الناس له إلا زوجته سنين ثلاثا أو سبعا أو ثماني عشرة وضيق عيشه. تفسير الجلالين

* قال الحسن: لقد مكث أيوب مطروحا على كنانة سبع سنين وأشهرها ما يسأل الله أن يكشف ما به، قال: وما على وجه الأرض خلق أكرم على الله من أيوب، فيزعمون أن بعض الناس قال: لو كان لرب هذا فيه حاجة ما صنع به هذا، فعند ذلك دعا الطبري

* وروي أن إبليس اتخذ تابوتا وجعل فيه أدوية وقعد على طريق امرأته يداوي الناس، فمرت به امرأة أيوب فقالت: يا شيخ إن لي مريضا أفنداويه؟ قال: نعم، والله لا أريد شيئا إلا أن يقول إذا شفيتها: أنت شفيتني، فذكرت ذلك لأيوب، فقال: هو إبليس قد خدعك، ثم حلف إن شفاه الله أن يضربها مائة جلدة. وقال وهب وغيره: كانت امرأة أيوب تعمل للناس وتجيئه بقوته، فلما طال عليه البلاء، وسئمها الناس، ولم يستعملها أحد، التمست يوما من الأيام ما تطعمه فما وجدت شيئا، فجزت قرنا من رأسها، فباعته برغيف، فأتته به، فقال لها أين قرنك، فأخبرته، فحينئذ قال: مسني الضر، وقال قوم: إنما قال ذلك حين قصدت الدودة إلى قلبه ولسانه، فخشي أن يفتر عن الذكر والفكر ... روي أنه قيل له بعد ما عوفي ما كان أشد عليك في بلائك؟ قال: شاة الأعداء. البغوي

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ لم يتعلق أيوب بشيء من عمله أو صبره، لكن تعلق بإيمانه العميق أن ربه أرحم الراحمين. د. عبدالله بلقاسم. ليدبروا آياته

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ، وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ فيصبرون اقتداء به

﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ قال مجاهد وعكرمة: قيل لأيوب عليه السلام: قد آتيناك أهلك في الجنة، فإن شئت تركناهم لك في الجنة، وإن شئت آتيناهم في

الدنيا. قال مجاهد: فتركهم الله عز وجل له في الجنة، وأعطاه مثلهم في الدنيا. قال النحاس: والإسناد عنهما بذلك صحيح. قلت: وحكا المهدوي عن ابن عباس. وقال الضحاك: قال عبدالله بن مسعود كان أهل أيوب قد ماتوا إلا امرأته فأحياهم الله عز وجل في أقل من طرف البصر، وآتاه مثلهم معهم. القرطبي

﴿وَلِإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿٨٥﴾

﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ سمي ذا الكفل لأنه تكفل بصيام جميع نهاره، وقيام جميع ليله، وأن يقضي بين الناس ولا يغضب، فوفى بذلك. تفسير الجلالين
* الجمهور على أنه ليس بنبي. وقال الحسن: هو نبي قبل إلياس. القرطبي
قال ابن كثير: وأما ذو الكفل، فالظاهر من السياق أنه ما قرن مع الأنبياء إلا وهو نبي. وقال آخرون: إنما كان رجلاً صالحاً، وكان ملكاً عادلاً، وحكماً مقسطاً، وتوقف ابن جرير في ذلك، فالله أعلم

﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٨٦﴾

يونس وزكريا عليهما السلام

﴿وَذَا النُّونِ﴾ صاحب الحوت وهو يونس عليه السلام ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا﴾ غضبان عليهم مما قاسى منهم ولم يؤذن له في الخروج ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ نضيق عليه ونؤاخذه على خروجه بلا إذن ﴿فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ يَلَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾

﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ ذهب جمهور العلماء أن معناها: فظن أن لن نضيق عليه، كقوله: يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي: يضيق، ومنه قوله: ومن قدر عليه رزقه. الشوكاني

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ، وَكَذَلِكَ نُجَيِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨٨﴾
﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ، رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ خير
الباقين وخير من خلفني بخير ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا

لَهُ زَوْجُهُ ﴿﴾ جَعَلْنَاهَا تَحْمِلَ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ عَاقِرًا ﴿﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي
الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴿﴾ رجاء في الثواب وخوفًا من العقاب
﴿﴾ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴿﴾ خاضعين متذللين

﴿ ٣٢٩ ﴾

مريم الصديقة

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ حفظته من الفواحش ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ نفخ جبريل
في جيب قميصها فوصل النفخ للرحم ﴿مِنْ رُّوحِنَا﴾ من جهة روحنا وهو جبريل
﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً﴾ علامة على قدرة الله ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٩١﴾

﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ حيث حملت به، ووضعت، من دون
مسيس أحد، وحيث تكلم في المهد، وبرأها مما ظن بها المتهمون، وأخبر عن
نفسه في تلك الحالة، وأجرى الله على يديه من الخوارق والمعجزات ما هو
معلوم، فكانت وابنها آية للعالمين، يتحدث بها جيلا بعد جيل، ويعتبر بها
المعتبرون. السعدي

حال الناس في الآخرة

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ملتكم ملة واحدة وهي الإسلام ﴿وَأَنَا
رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ ﴿٩٢﴾

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: هؤلاء الرسل المذكورون هم أمتكم،
وأمتكم الذين بهم تأتمون، وبهديهم تقتدون، كلهم على دين واحد، وصراط
واحد، والرب أيضا واحد. السعدي

﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ اختلفوا على رسلهم وتفرقوا ﴿كُلُّ إِلَيْنَا
رَاجِعُونَ﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ
لِسَعْيِهِ﴾ فلا جحود لعمله ﴿وَأَنَا لَهُ كَاشِبُونَ﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿وَحَرَامٌ﴾ مستحيل
﴿عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿مستحيل أن يرجو إلى الدنيا

ليستدرکوا ما فرطوا فيه

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ سد يأجوج ومأجوج ﴿ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ ﴾ مرتفع من الأرض ﴿ يَنْسِلُونَ ﴾ ينسلون ﴿ ٩٦ ﴾ يسرعون ﴿ وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ﴾ يوم القيامة ﴿ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ مفتوحة لا تكاد تطرف ﴿ يَوَلِّينَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ ﴿ ٩٧ ﴾

المشركون وما يعبدون من دون الله

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ ﴾ وقودها وحطبها ﴿ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴾ ﴿ ٩٨ ﴾ داخلون

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴾ الحكمة في دخول الأصنام النار، وهي جماد لا تعقل، وليس عليها ذنب، بيان كذب من اتخذها آلهة، ويزداد عذابهم، فلهذا قال: ﴿ لَوْ كَانَتْ هَتُولاَءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ﴾. السعدي. «ت».

﴿ لَوْ كَانَتْ هَتُولاَءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ﴿ ٩٩ ﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ ﴿ تنفس شديد تنتفخ منه الضلوع يدل على شدة عذابهم ﴾ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿ ١٠٠ ﴾ صم بكم عمى، أو لا يسمعون من الأصوات غير صوتها ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ ﴾ كمن عبد من الأنبياء ﴿ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ ﴿ ١٠١ ﴾

﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ ﴾ جاء عند القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا ﴾ [الزخرف: ٥٧] قال ابن عباس: أراد به مناظرة عبد الله بن الزبعرى مع النبي ﷺ في شأن عيسى، وأن الضارب لهذا المثل هو عبد الله بن الزبعرى السهمي حالة كفره لما قالت له قريش: إن محمدا يتلو: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ ﴾ الآية [الأنبياء: ٩٨]، فقال: لو حضرته لرددت عليه، قالوا: وما كنت تقول له؟ قال: كنت أقول له: هذا المسيح تعبد النصارى، واليهود تعبد عزيزا، أفهما من حصب جهنم؟

فعبجت قريش من مقالته، ورأوا أنه قد خصم، وذلك معنى قوله: ﴿يَصُدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧] فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]. ولو تأمل ابن الزبيري الآية ما اعترض عليها؛ لأنه قال: ﴿تَعْبُدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] ولم يقل: ومن تعبدون، وإنما أراد الأصنام ونحوها مما لا يعقل، ولم يرد المسيح ولا الملائكة، وإن كانوا معبودين. القرطبي

﴿ ٣٣٠ ﴾

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ صوت لهيها واحترق الأجساد فيها ﴿وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ (١٠٢) لَا يَخْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ ﴿الهُولُ الْأَعْظَمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وَنُنَقِّلُهُمُ الْمَلَكَةَ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴿كَمَا تَطْوِي الصَّحِيفَةَ عَلَى مَا كَتَبَ فِيهَا﴾ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾

﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ قال ابن عباس: قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً بموعظة، فقال: «يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاةً عراءً غرلاً، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ ألا وإن أول الخلائق يكسى، يوم القيامة إبراهيم عليه السلام». مسلم.

وعد الله للمؤمنين

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ الكتب المنزلة على الأنبياء ﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿أَنْتَ الْأَرْضُ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (١٠٥) إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَاكِدِينَ ﴿١٠٦﴾

محمد ﷺ على درب الأنبياء في الدعوة للتوحيد

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٧)

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ أصح القولين في قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ أنه على عمومته، وفيه على هذا التقدير

وجهان:.... (١).

الوجه الثاني: أنه رحمة لكل أحد، لكن المؤمنون قبلوا هذه الرحمة فانتفعوا بها دنيا وأخرى، والكفار ردوها فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمة لهم، لكن لم يقبلوها، كما يقال: هذا دواء لهذا المرض، فإذا لم يستعمله المريض؛ لم يخرج عن أن يكون دواء لذلك المرض. ابن القيم في جلاء الأفهام. قلت ولعل الوجه الثاني أقرب.

﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ ﴾ أعلمتكم ما أمرت به ﴿ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ على أمر مستو بيني وبينكم من المفاصلة ﴿ وَإِنْ أَدْرَى ﴾ لست أدري ﴿ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾ (١٠٩) إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ ﴾ لعل تأخير العذاب الذي استعجلتموه استدراج لكم ﴿ وَمَنْعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ (١١١) قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ ﴾ افصل بيننا وبين المكذبين بالقضاء بالحق ﴿ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ (١١٢)

﴿ ٣٣١ ﴾

سورة الحج

سورة الحج، تركز على قضية التعظيم والاستسلام لله من خلال عرض مشاهد العظمة والقدرة الإلهية، ولذلك فتحت بالتخويف، وتضمنت سجدين، وفيها إيضاح لجملة من أصول العقيدة، وجملة من التشريعات التي يجب الخضوع فيها لحكم الله (كالحج والجهاد)، وهي مكة مدنية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) أحدهما: أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته، أما أتباعه فنالوا به كرامة الدنيا والآخرة، وأما أعداؤه فالمحاربون له عجل قتلهم وموتهم خير لهم من حياتهم؛ لأن حياتهم زيادة لهم في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة، وهم قد كتب عليهم الشقاء، فتعجيل موتهم خير لهم من طول أعمارهم في الكفر، وأما المعاهدون له فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته، وهم أقل شرا بذلك العهد من المحاربين له. وأما المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهلهم، واحترامها، وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيره، وأما الأمم النائية عنه فإن الله سبحانه رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض؛ فأصاب كل العالمين النفع برسالته.

الأمر بالتسليم لله والتذكير بأهوال القيامة

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ ﴿١﴾ أَهْوَالُ الْقِيَامَةِ واضطراب الأرض يومها ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٢﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ ﴿بِسَبِّهَا﴾ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴿من شدة الهول﴾ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٤﴾ متمرّد

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ نزلت في النضر بن الحارث وجماعته. قالوا: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، وأنكروا البعث، وإحياء من صار ترابا. تفسير الجلالين

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ ﴿اتَّخَذَهُ وَلِيًّا وَتَبِعَهُ﴾ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ، وَهَدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ ﴿٤﴾

مراحل الخلق، والاستدلال به وبإنبات الزرع على البعث

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ ﴿١﴾ ابتداءنا خلق أبيكم آدم ﴿مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ﴾ أنشأنا ذريته من المنى ﴿ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ﴾ دم أحمر غليظ تعلق في الرحم ﴿ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ﴾ قطعة لحم صغيرة قدر ما يمضغ ﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ المخلقة المصورة خلقا تاما، وغير مخلقة: السَّقَط قبل تمام خلقه ﴿لِّنُبَيِّنَ لَّكُمْ ﴿٢﴾ كَمَالِ قُدْرَتِنَا بِتَصْرِيفِنَا أَطْوَارَ خَلْقِكُمْ﴾ وَنَقْرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِّتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ﴿٣﴾ وقت شبابكم واکتھال قوتكم ﴿وَمِنْكُمْ مَّن يُمُوتُ وَمِنْكُمْ مَّن يُرْدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ﴾ سن الهرم وضعف العقل ﴿لِّكَيْلَا يَعْلَمَ مَن بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ يابسة ميتة ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ ﴿٤﴾ تحركت بالنبات وَوَرَبَّتْ ﴿٥﴾ ارتفعت وزادت لارتوائها ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ ﴿٦﴾ نوع من أنواع النبات ﴿بَهِيحٍ﴾ ﴿٧﴾ حسن يسر الناظرين

﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ أي: أطفالا، فهو اسم جنس. وأيضا فإن العرب قد

تسمي الجمع باسم الواحد. القرطبي

﴿ ٣٣٢ ﴾

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتِ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾

من أحوال الكفار، وحال المؤمنين

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عَظْفِهِ﴾ ﴿لَاوِيًا عُنُقَهُ فِي تَكْبَرٍ﴾ ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾﴾

﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ لا تجد داعيا من دعاة الكفر والضلال، إلا وله من المقت بين العالمين، واللعنة، والبغض، والذم، ما هو حقيق به، وكل بحسب حاله. السعدي

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ ﴿ضَعْفٌ وَشَكٌّ وَتَرَدُّدٌ﴾ ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾ ﴿صَحَّةٌ وَسَعَةٌ رِزْقٌ﴾ ﴿أَطْمَأَنَّ بِهِ﴾ ﴿وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ﴾ ﴿ابْتِلَاءٌ بِمَكْرُوهِهِ وَشِدَّةٌ﴾ ﴿أَنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾

﴿وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أَنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ قال ابن عباس: الفتنة البلاء، كان أحدهم إذا قدم المدينة وهي أرض وبيئة، فإن صحَّ بها جسمه، وتنجت فرسه مئها حسنا، وولدت امرأته غلاما؛ رضي به واطمأن إليه، وقال: ما أصبت منذ كنت على ديني هذا إلا خيرا، وإن أصابه وجع المدينة، وولدت امرأته جارية، وتأخرت عنه الصدقة، أتاه الشيطان، فقال: والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شرا، وذلك الفتنة. الطبري

﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ﴾ ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ﴾ ﴿إِثْمٌ عِبَادَتِهِ﴾ ﴿أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَى﴾ الناصر

﴿ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴾ (١٣) صاحب

﴿ يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ﴾ إن قيل: قد قال لمن ضره أقرب من نفعه ولا نفع في عبادة الصنم أصلاً؟ قيل هذا على عادة العرب، فإنهم يقولون لما لا يكون أصلاً: بعيد، كقوله: ﴿ ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ [ق: ٣] أي: لا رجوع أصلاً. البغوي

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ (١٤)

الله سينصر نبيه ﷺ

﴿ مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ أي لن ينصر الله رسوله ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ ويرقى إليها ﴿ ثُمَّ لْيَقْطَعْ ﴾ النصر النازل عليه من السماء ﴿ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴾ (١٥) أي هل يذهب فعله ما يغیظه من ظهور

دينه

﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴾ ومعنى هذه الآية الكريمة: يا أيها المعادي للرسول محمد ﷺ الساعي في إطفاء دينه، الذي يظن بجهله، أن سعيه سيفيده شيئاً، اعلم أنك مهما فعلت من الأسباب، وسعيت في كيد الرسول، فإن ذلك لا يذهب غيظك، ولا يشفي كمدك، فليس لك قدرة في ذلك، ولكن سنشير عليك برأي، تتمكن به من شفاء غيظك، ومن قطع النصر عن الرسول - إن كان ممكناً - انت الأمر مع باب، وارتق إليه بأسبابه، اعمد إلى حبل من ليف أو غيره، ثم علقه في السماء، ثم اصعد به حتى تصل إلى الأبواب التي ينزل منها النصر، فسدها وأغلقها واقطعها، فبهذه الحال تشفي غيظك، فهذا هو الرأي: والمكيدة، وأما ما سوى هذه الحال فلا يخطر ببالك أنك تشفي بها غيظك، ولو ساعدك من ساعدك من الخلق. وهذه الآية الكريمة فيها من الوعد والبشارة بنصر الله لدينه ولرسوله وعباده المؤمنين ما لا يخفى، ومن تأيس الكافرين، الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم،

والله متم نوره، ولو كره الكافرون، أي: وسعوا مهما أمكنهم. السعدي
 ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ أي: من
 كان يظن أن الله لا ينصر رسوله ودينه وعباده المؤمنين ... فإننا نرشدته إلى ما
 يذهب عنه غيظه حيث يسوؤه نصر الله تعالى لرسوله وكتابه ودينه وعباده
 المؤمنين، وهو أن يأتي بحبل، وليربطه بخشبة في سقف بيته، ويشده على عنقه،
 ثم ليقطع الحبل، وينظر بعد هذه العملية الانتحارية، هل كيده هذا يذهب عنه
 الذي يغيبه؟. الجزائري

﴿ ٣٣٣ ﴾

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَنِ يُرِيدُ﴾ ﴿١٦﴾

الفصل بين الناس، وخضوع كل شيء لله

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ﴾ عبدة الملائكة أو الكواكب
 ﴿وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ﴾ عبدة النار ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ إنا الله يَفْصِلُ
 بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴿عَالِمٌ بِهِ عِلْمُ مَشَاهِدَةٍ﴾ الْمُرْتَرِ
 أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ
 وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴿لَكَفَرَهُمْ﴾
 ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ، مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿١٨﴾

جزاء المؤمن، وجزاء الكافر

﴿هَٰذَا نِ حَصْمَانِ﴾ فريقان، وهم: أهل الإيمان وأهل الكفر ﴿أَخْصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾
 ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ﴾ جعلت لهم ثياب من نار
 يلبسونها ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ ﴿١٩﴾ الماء المتناهي في حرارته

﴿هَٰذَا نِ حَصْمَانِ أَخْصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ الآية نزلت في علي وحزمة وعبيدة بن الحارث
 هذا الخصم المؤمن، وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وهذا
 الخصم الكافر، وذلك أنهم تقاتلوا يوم بدر بالمبارزة، ونصر الله الخصم المؤمن
 على الكافر. الجزائري

﴿يُصْهَرُ بِهِ﴾ ﴿يَذَابُ بِهِ﴾ ﴿مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ ﴿مطارق﴾
 ﴿مِنْ حَدِيدٍ﴾ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ ﴿من شدة غمهم وكرهم﴾
 ﴿أُعِيدُوا فِيهَا وَذُقُوا﴾ ﴿أَيُّ وَقِيلَ لَهُمْ: ذُقُوا﴾ ﴿عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 يُحْكَمُونَ ﴿يزنون﴾ ﴿فِيهَا مِنْ أَسْكَورٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا
 حَرِيرٌ﴾ ﴿٢٣﴾

﴿ ٣٣٤ ﴾

﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ﴾ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً
 الْعَاكِفُ فِيهِ ﴿المقيم فيه﴾ ﴿وَالْبَادِ﴾ ﴿القادم إليه من خارج مكة﴾ ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ
 بِالْحِكْمِ يُظْلَمِ﴾ ﴿بميل عن الحق ظلماً﴾ ﴿نَذِقَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ ﴿٢٥﴾

﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحِكْمِ يُظْلَمِ نَذِقَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ ﴿إن قيل: هل يؤاخذ
 الإنسان إن أراد الظلم بمكة، ولم يفعله؟... (قيل) إذا هم بذلك في الحرم
 خاصة عوقب، هذا مذهب ابن مسعود، فإنه قال: لو أن رجلاً هم بخطيئة، لم
 تكتب عليه ما لم يعملها، ولو أن رجلاً هم بقتل مؤمن عند البيت، وهو ب
 «عدن أبين»، أذاقه الله في الدنيا من عذاب أليم. ابن الجوزي
 * معني بالظلم في هذا الموضع كل معصية لله، وذلك أن الله عم بقوله ﴿وَمَنْ
 يُرِدْ فِيهِ بِالْحِكْمِ يُظْلَمِ﴾ ولم يُخصص به ظلم دون ظلم في خبر ولا عقل، فهو
 على عمومه. الطبري

الخشوع لله في الحج

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا﴾ ﴿هِيَا نَا وَبَيْنَا﴾ ﴿لِابْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا
 وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ ﴿٢٦﴾

﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ ﴿أي: طهره لهؤلاء
 الفضلاء، الذين همهم طاعة مولاهم وخدمته، والتقرب إليه عند بيته، فهؤلاء

لهم الحق، ولهم الإكرام، ومن إكرامهم تطهير البيت لأجلهم، ويدخل في تطهيره تطهيره من الأصوات اللاغية والمرتفعة التي تشوش المتعبدين بالصلاة والطواف، وقدم الطواف على الاعتكاف والصلاة؛ لاختصاصه بهذا البيت، ثم الاعتكاف، لاختصاصه بجنس المساجد. السعدي

﴿وَأَذِّنْ﴾ أعلم ﴿فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ يمشون على أقدامهم ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ البعير خفيف اللحم من الأعمال لا من الهزال ﴿يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فِجٍّ عَمِيقٍ﴾ (٢٧) طريق بعيد

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ لما فرغ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ من بناء البيت، وقيل له: أذن في الناس بالحج، قال: يا رب! وما يبلغ صوتي؟ قال: أذن وعلي الإبلاغ. القرطبي

﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ استدل بعض العلماء بسقوط ذكر البحر من هذه الآية على أن فرض الحج بالبحر ساقط ... وهذا تأنس، لا أنه يلزم من سقوط ذكره سقوط الفرض فيه، وذلك أن مكة ليست في ضفة بحر فيأتيها الناس في السفن، ولا بد لمن ركب البحر أن يصير في إتيان مكة: إما راجلا، وإما على ضامر، فإنما ذكرت حالتا الوصول، وإسقاط فرض الحج بمجرد البحر ليس بالكثير، ولا بالقوى. القرطبي

﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفَعَهُمْ لَهُمْ﴾ منافع الدنيا والآخرة ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا﴾ من بهيمة الأنعام التي نحرتموها أو ذبحتموها تقرباً إلينا كهدي التمتع أو التطوع ﴿وَأَطْعَمُوا﴾ الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨)

﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا﴾ قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ يعني: الأنعام التي تنحر وهذا أمر إباحة. وكان أهل الجاهلية لا يستحلون أكل ذبائحهم، فأعلم الله عز وجل أن ذلك جائز، غير أن هذا إنما يكون في الهدى المتطوع به ... وقد روى عطاء عن ابن عباس أنه قال: من كل

الهدى يؤكل، إلا ما كان من فداء أو جزاء أو نذر. ابن الجوزي

﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ ليكملوا حجهم بإحلالهم من إحرامهم وإزالة وسخ أبدانهم
 ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ التي أوجبوها على أنفسهم، من الحج، والعمرة والهدايا
 ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ ﴿٢٩﴾ القديم الذي أعتقه الله من تسلط الجبارين عليه
 وهو أول بيت وضع للناس

﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ أي: التي أوجبوها على أنفسهم، من الحج، والعمرة
 والهدايا. انتهى السعدي

* وقيل: أراد به الخروج عما وجب عليه نذر أو لم ينذر. والعرب تقول لكل من
 خرج عن الواجب عليه: وفي بنذره. البغوي

﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ عند الشافعية والحنابلة لا وقت لآخر
 الطواف، ولا يلزم لأجل التأخير دم، خلافاً للحنفية الذين يرون أنه إن أخره
 عن أيام النحر فعليه دم استدلالاً بالآية، لعطف الطواف على الذبح، فدل عندهم
 على وجوب الطواف في وقت الذبح، وذهب المالكية إلى أنه إن أخره عن شهر
 ذي الحجة لزم الدم، لعموم قوله تعالى ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾.

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتُ اللَّهِ﴾ شعائر الدين ومناسك الحج ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾
 عند ربه، وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم ﴿أنه حرام كما﴾
 في سورة المائدة ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ ابتعدوا عن القدر الذي هو
 الأوثان ومن للبيان ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ ﴿٣٠﴾ الكذب والافتراء على الله

﴿حُفَاءَ لِلَّهِ﴾ مستقيمين على الإخلاص مائلين عن الشرك ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ وَمَنْ
 يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ
 سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ بعيد مهلك

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي﴾
 مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿من ترك الإيمان فهو بمنزلة الساقط من السماء عرضة للآفات

والبليات، فإما أن تخطفه الطير فتقطعه أعضاء، كذلك المشرك إذا ترك الاعتصام بالإيمان تخطفته الشياطين من كل جانب، ومزقوه، وأذهبوا عليه دينه ودنياه. ينظر: تفسير السعدي

﴿فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ﴾ أي تأخذه بسرعة وتمزقه أشلاء كما تفعل البازات والعقبان بصغار الطيور. الجزائري

* أي: تقطعه بمخالبتها. وقيل: هذا عند خروج روحه وصعود الملائكة بها إلى سماء الدنيا، فلا يفتح لها فيرمى بها إلى الأرض. القرطبي

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَيْرَ اللَّهِ﴾ ما أشعرتكم به وأعلمتم من أعمال الحج والذبائح التي تنحر فيه ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (٣٢)

﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَيْرَ اللَّهِ﴾ هي البدن التي تهدي للحرم بأن تستحسن وتستسمن. وسميت شعائر؛ لإشعارها بما تعرف به أنها هدي كطعن حديد بسنامها. تفسير الجلالين

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنْفَعٌ﴾ محل الانتفاع بها بالركوب وشرب اللبن ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا﴾ موضع ذبحها ﴿إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (٣٣) الحرم

﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ المراد به: الحرم كله؛ لأننا نعلم أنها لا تذبح عند البيت، ولا في المسجد. ابن الجوزي

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ جماعة مؤمنة من قبلكم ﴿جَعَلْنَا مَنَسَكًا﴾ نسكاً بذبح الأنعام تقرباً لله ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٤) الخاضعين المتواضعين ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ﴾ خافت قلوبهم والصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (٣٥)

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ في الآية من المفيدة للتبعض؛ ليعلم سهولة ما أمر الله به، ورغب فيه، وأنه جزء يسير مما رزق الله، ليس للعبد في تحصيله قدرة، لولا تيسير الله له ورزقه إياه. فيا أيها المرزوق من فضل الله، أنفق مما رزقك الله، ينفق

الله عليك، ويزدك من فضله. السعدي

الأمر بنحر البدن

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أعلام دينه ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَادْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ﴾ قائمت قد صفت ثلاث من قوائمها وقيدت الرابعة ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ سقطت على الأرض بعد النحر ﴿فَكُلُّوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ﴾ الفقير الذي لم يسأل تعففاً ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾ الذي يسأل لحاجته ﴿كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ ﴿لا يرفع إلى الله﴾ لِحُومِهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ النَّقْوَى مِنْكُمْ ﴿ولكن تقواه بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه هو ما يرفع﴾ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِشُكْرِكُمْ وَلِأَنَّ اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾

﴿وَلَكِنْ يَنَالُهُ النَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ في هذا حث وترغيب على الإخلاص في النحر، وأن يكون القصد وجه الله وحده، لا فخرا ولا رياء، ولا سمعة، ولا مجرد عادة، وهكذا سائر العبادات، إن لم يقترن بها الإخلاص وتقوى الله، كانت كالقشور الذي لا لب فيه، والجسد الذي لا روح فيه. السعدي

الإذن بالقتال - وهي أول آيات الجهاد - والواجب على المسلمين -

عند التمكين - الخضوع لأحكام الله

﴿إِنِ اللَّهُ يَدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ كثير الخيانة لأمانة ربه ﴿كُفُورٍ﴾ ﴿٣٨﴾ لنعم الله

﴿إِنِ اللَّهُ يَدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ كل مؤمن له من هذه المدافعة والفضيلة بحسب إيمانه، فمستقل ومستكثر. السعدي

﴿ ٣٣٦ ﴾

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ ﴿٣٩﴾

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ﴾ كان المسلمون في أول الإسلام ممنوعين من قتال الكفار، وأمورين بالصبر عليهم، لحكمة إلهية، فلما هاجروا إلى المدينة،

وأوذوا، وحصل لهم منعة وقوة، أذن لهم بالقتال. السعدي

﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ
النَّاسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ هَلاَكَتْ صَوَامِعُ﴾ **معابد رهبان النصارى** ﴿وَبِيعُ﴾ **كنائس**
النصارى ﴿وَصَلَوَاتُ﴾ **معابد اليهود** ﴿وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا
وَلْيَنْصُرَكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ﴾ أولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه لولا دفاعه الناس بعضهم ببعض، لهدم ما ذكر، من دفعه تعالى ذكره بعضهم ببعض، وكفَّ المشركين بالمسلمين عن ذلك؛ ومنه كفَّ ببعضهم التظالم، كالسلطان الذي كفَّ به رعيته عن التظالم بينهم؛ ومنه كفَّ لمن أجاز شهادته بينهم بعضهم عن الذهاب بحق من له قبله حق، ونحو ذلك. وكل ذلك دفع منه الناس بعضهم عن بعض، لولا ذلك لتظالموا، فهدم القاهرون صوامع المهوديين، وبيعهم، وما سمى جل ثناؤه. ولم يضع الله تعالى دلالة في عقل على أنه عنى من ذلك بعضا دون بعض، ولا جاء بأن ذلك كذلك خبر يجب التسليم له، فذلك على الظاهر والعموم على ما قد بيَّنته قبل؛ لعموم ظاهر ذلك جميع ما ذكرنا. الطبري

* أي: لولا القتال والجهاد لتغلب على الحق في كل أمة. فمن استبشع من النصارى والصابئين الجهاد فهو مناقض لمذهبه، إذ لولا القتال لما بقي الدين الذي يذب عنه. وأيضا هذه المواضع التي اتخذت قبل تحريفهم وتبديلهم، وقبل نسخ تلك الملل بالإسلام إنما ذكرت لهذا المعنى، أي: لولا هذا الدفع؛ لهدم في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى الصوامع والبيع، وفي زمن محمد ﷺ المساجد. القرطبي

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾

عاقبة المستكبرين عن الخضوع لله

﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿ فِيهِ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ ﴾ ﴿ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴾ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ﴿٤٤﴾ ﴿ أَمَهَلْتَهُمْ وَلَمْ أُعَاجِلْهُمْ بِالْعُقُوبَةِ ﴾ ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿ إِنكَارِي عَلَيْهِمْ كَفَرَهُم بِالْعَذَابِ وَاهْلَاكَ

﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ أي: فكيف كان إنكاري عليهم، ومعاقبتي لهم؟! ذكر بعض السلف أنه كان بين قول فرعون لقومه: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ [النازعات: ٢٤]، وبين إهلاك الله له أربعون سنة. ابن كثير

﴿ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ ﴾ فكثير من القرى ﴿ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ متهدمة قد سقطت حيطانها على سقفوها ﴿ وَبِئْسَ مُعْطَلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ ﴾ ﴿٤٥﴾ مرفوع البنيان مزخرف قد خلا من ساكنيه ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: كفار مكة ﴿ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ ما نزل بالمكذبين قبلهم ﴿ أَوْ أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ أخبارهم بالإهلاك ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ ﴿٤٦﴾

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ قال ابن عباس ومقاتل: لما نزل: ﴿ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى ﴾ [الاسراء: ٧٢] قال ابن أم مكتوم: يا رسول الله، فأنا في الدنيا أعمى، أفأكون في الآخرة أعمى؟ فنزلت: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾. أي من كان في هذه أعمى بقلبه عن الإسلام، فهو في الآخرة في النار. القرطبي

استعجال الكفار بالعذاب ومآلهم

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا ﴾ أمهلتها ولم أعاجلها ﴿ بِالْعُقُوبَةِ ﴾ وهي ظالمة ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ

كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا ﴿٥١﴾ اجْتَهِدُوا فِي الْكِيدِ لِإِبْطَالِ الْقُرْآنِ ﴿٥٢﴾ مُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ مَغَالِينِ ظَانِينَ أَنَّهُمْ يَعْجِزُونَا ﴿٥٤﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾

إبطال الله لكيد الشيطان في قراءة الرسل - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى﴾ ﴿٥٠﴾ قرأ الوحي على أصحابه ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ ﴿٥١﴾ وضع الوسواس والشبه صدًا عن اتباع القراءة ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ﴾ ﴿٥٢﴾ يبطل ويزيل ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٥٣﴾

﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ ﴿٥١﴾ قال الشوكاني في قصة الغرائيق: لم يصح شيء من هذا، ولا ثبت بوجه من الوجوه، ومع عدم صحته بل بطلانه، فقد دفعه المحققون بكتاب الله سبحانه، قال الله: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِلِ﴾ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٦]، وقوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ﴿٤٧﴾ [النجم: ٣] وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ ﴿٤٨﴾ [الإسراء: ٧٤] فنفي المقاربة للركون فضلاً عن الركون. قال البزار: هذا حديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بإسناد متصل. وقال البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم أن رواة هذه القصة مطعون فيهم. وقال إمام الأئمة ابن خزيمة: إن هذه القصة من وضع الزنادقة. الشوكاني

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فَتْنَةً﴾ ﴿٥٢﴾ اختباراً ﴿لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿٥٣﴾ عداوة شديدة وخلاف بعيد عن الصواب ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ﴾ ﴿٥٤﴾ تخضع وتسكن ﴿لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٥٥﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَةٍ مِنْهُ ﴿٥٦﴾ أي: القرآن ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ ﴿٥٧﴾ فجأة ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ ﴿٥٨﴾ لا خير فيه

لهم كيوم بدر

مَالِ النَّاسِ فِي الْآخِرَةِ

﴿الْمَلَأْتُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴿٥٨﴾ لِيَدْخِلْنَهُمْ مُّدْخَلَ رِضْوَانِهِ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ الْجَنَّةُ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ ﴿٦١﴾ اعْتَدِي عَلَيْهِ لِيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُؤٌ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾

﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ من جني عليه وظلم، فإنه يجوز له مقابلة الجاني بمثل جنايته، فإن فعل ذلك، فليس عليه سبيل، وليس بملوم، فإن بغى عليه بعد هذا، فإن الله ينصره؛ لأنه مظلوم، فلا يجوز أن يبغى عليه، بسبب أنه استوفى حقه... فالنصر إليه أقرب. السعدي ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُؤٌ غَفُورٌ﴾ فيه إشارة إلى ترغيب المؤمن في العفو عن أخيه إذا ظلمه، فإن العفو خير من المعاقبة، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَجَزَا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ [الشورى: ٤٠-٤١]. الجزائري

مظاهر عظمة الله ونعمه على العباد، وبيان شيء من حقوقه

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ ﴿٦١﴾ يَدْخُلُ ﴿٦٢﴾ الْيَلَّ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي الْيَلِّ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٦﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ﴾ السفن ﴿تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ
وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾
﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ ﴿٦٦﴾
لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا ﴿شريعة وعبادة﴾ هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزَعُ عَنْكَ فِي
الْأَمْرِ ﴿لا يَنَازِعُونَكَ أَيُّهَا الرِّسُولُ فِي شَرِيعَتِكَ الْخَاتَمَةِ﴾ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلى
هُدًى مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٧﴾ وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يُحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
مَّا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ﴿وهو اللوح المحفوظ﴾ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى
اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ﴾ حجة وبرهاناً ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ
عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ ﴿٧١﴾ وَإِذَا نُتِلَى عَلَيْهِمُ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ
الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ ﴿الكراهة ظاهرة على وجوههم﴾ يَكَادُوكَ
يَسْطُوتُونَ ﴿يَبْطِشُونَ﴾ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمُ آيَاتُنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِّن
ذَلِكَمُ النَّارِ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَبْسُ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ المكان الذي يصيرون إليه

﴿قُلْ أَفَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ قل لهم أيها الرسول: أفأخبركم بما هو شر من
غيطكم وعبوسكم؟ هو النار التي وعد الله الكفار أن يدخلهم فيها. المختصر
في التفسير

حجارة الأصنام، وحماقة من يعبدها، وعظمة الله

﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِّثْلُ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ
مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ ﴿المعبود من دون الله الذي أخذ منه شيء﴾ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾
﴿الذباب﴾ مَا قَدَرُوا ﴿ما عظموا﴾ اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾
اللَّهُ يَصْطَفِي ﴿يختار﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ

سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا يَنْتَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾

توجيهات ربانية

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ ﴿اصطفاكم﴾ ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ ﴿ضييق وشدة﴾ ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿أى الزموا هذه الملة السمحة ملة أبيكم﴾ ﴿هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ ﴿الله سماكم المسلمين فى الكتب السابقة وفى القرآن﴾ ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ ﴿مالككم وناصركم ومتولى أموركم﴾ ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ ﴿٧٨﴾

﴿وَجَاهِدُوا﴾ الجهاد بذل الوسع فى حصول الغرض المطلوب، فالجهاد فى الله حق جهاده، هو القيام التام بأمر الله، ودعوة الخلق إلى سبيله بكل طريق موصل إلى ذلك، من نصيحة، وتعليم، وقتال، وأدب، وزجر، ووعظ، وغير ذلك. السعدي

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أخبر أنه ما جعل علينا فى الدين من حرج نفيا عاما مؤكدا، فمن اعتقد أن فيما أمر الله به مثقال ذرة من حرج فقد كذب الله ورسوله، فكيف بمن اعتقد أن المأمور به قد يكون فسادا وضرا لا منفعة فيه ولا مصلحة لنا. جامع الرسائل لابن تيمية. «ت».

﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ إن قيل: ما وجه قوله: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ﴾. وليس كل المسلمين يرجع نسبه إلى إبراهيم؟ قيل: خاطب به العرب وهم كانوا من نسل إبراهيم. وقيل: خاطب به جميع المسلمين، وإبراهيم أب لهم على معنى وجوب احترامه، وحفظ حقه، كما يجب احترام الأب، وهو كقوله تعالى: ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ أمتهنهم [الأحزاب: ٦]. البغوي

سورة المؤمنون

سورة المؤمنون، سورة مكية، فيها بيان حقيقة الإيمان وثماره، وفيها ذم للكافرين وبيان حالهم، والرد عليهم، وبيان عاقبتهم، وفيها توجيهات للمؤمنين، وفي السورة شيء من مشاهد الآخرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفلاح للمؤمنين، وصفاتهم

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾

﴿فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ الخشوع في الصلاة: هو حضور القلب بين يدي الله تعالى، مستحضرا لقربه، فيسكن لذلك قلبه، وتطمئن نفسه، وتسكن حركاته، ويقل التفاته، متأدبا بين يدي ربه، مستحضرا جميع ما يقوله ويفعله في صلاته، من أول صلاته إلى آخرها، فتنتفي بذلك الوسوس والأفكار الردية، وهذا روح الصلاة، والمقصود منها، وهو الذي يكتب للعبد، فالصلاة التي لا خشوع فيها ولا حضور قلب، وإن كانت مجزئة مثابا عليها، فإن الثواب على حسب ما يعقل القلب منها. السعدي

* قد اختلف الناس في الخشوع هل هو من فرائض الصلاة أو من فضائلها؟ على قولين: قيل: الصحيح الأول، وقيل: الثاني. وادعى عبد الواحد بن زيد: إجماع العلماء على أنه ليس للعبد إلا ما عقل من صلاته، ومما يدل على صحة هذا القول، قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلُفْقَرَأَن﴾ [النساء: ٨٢] والتدبر لا يتصور بدون الوقوف على المعنى، وكذا قوله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤] والغفلة تضاد الذكر، ولهذا قال: ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] وقوله: ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣] نهى للسكران، والمستغرق في هموم الدنيا بمنزلته. الشوكاني

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾ ما لا خير فيه من الأقوال والأفعال ﴿مُعْرِضُونَ﴾

وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ
 أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ
 فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ المجاوزون الحلال إلى الحرام ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ
 وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ حافظون ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾
 أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ
 أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ مَنْزِلَانِ: مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، وَإِنْ مَاتَ وَدَخَلَ النَّارَ
 وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ» فذلك قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾. الطبري،
 والحديث عند ابن ماجة.

﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ أعلى الجنة وأوسطها ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿١١﴾

من الأدلة الموجبة للإيمان بوحداية الله وبالبعث

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ ﴿١٢﴾ خلاصة مأخوذة من جميع الأرض
 ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾ مني الرجال يخرج من أصلابهم ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ ﴿١٣﴾ هو
 الرحم تستقر فيه النطفة ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ دمًا أحمر ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ
 مُضْغَةً﴾ قطعة لحم قدر ما يمضغ ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا
 الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا﴾ بنفخ الروح فيه ﴿ءَاخِرَ قَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ
 الْخَلْقَيْنِ﴾ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ
 ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ ﴿١٧﴾ سماءات بعضها فوق بعض ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ
 الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ ﴿١٧﴾

﴿سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ العرب تسمي كل شيء فوق شيء طريقة. وإنما قيل للسموات
 السبع سبع طرائق؛ لأن بعضهن فوق بعض، فكل سماء منهن طريقة. الطبري

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ بمقدار حاجة الخلق ﴿فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ
 ذَهَابٍ بِهِمْ لَقَادِرُونَ﴾ ﴿١٨﴾

﴿وَأَنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَدِيرُونَ﴾ أي: لو شئنا ألا تمطر لفعلنا، ولو شئنا لصرفناه عنكم إلى السباح والبراري والبحار والقفار لفعلنا، ولو شئنا لجعلناه أجاجا لا ينتفع به لشرب ولا لسقي لفعلنا، ولو شئنا لجعلناه لا ينزل في الأرض، بل ينجر على وجهها لفعلنا. ولو شئنا لجعلناه إذا نزل فيها يغور إلى مدى لا تصلون إليه ولا تتنفعون به لفعلنا. ولكن بلطفه ورحمته ينزل عليكم الماء من السحاب عذبا فراتا زلالا، فيسكنه في الأرض، ويسلكه ينابيع في الأرض، فيفتح العيون والأنهار، فيسقي به الزروع والثمار، وتشربون منه ودوابكم وأنعامكم، وتغتسلون منه وتطهرون. ابن كثير

﴿فَأَشَانَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَكِهٌ كَثِيرٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ ١٩ وَشَجَرَةً ۝ هِيَ شَجَرَةُ الزَّيْتُونِ ۝ تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَبْتُ بِالذَّهْنِ ۝ بِالزَّيْتِ وَصَبَّغَ لِلَّا كِلَيْنِ ۝ ٢٠﴾ إدام لهم يغمس فيه الخبز

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ﴾ المراد بهذه الشجرة: شجرة الزيتون. فإن قيل: لماذا خص هذه الشجرة من بين الشجر؟ فالجواب من أوجه: أحدها: لكثرة انتفاعهم بها، فذكرهم من نعمه ما يعرفون، وكذلك خص النخيل والأعناب في الآية الأولى، لأنها كانا جل ثمار الحجاز وما والاها، وكانت النخيل لأهل المدينة، والأعناب لأهل الطائف... إلخ. ينظر: زاد المسير.

﴿تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ﴾ أي: أنبتها الله في الأصل من هذا الجبل الذي بارك الله فيه. وطور سيناء من أرض الشام، وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. القرطبي

﴿تَبْتُ بِالذَّهْنِ وَصَبَّغَ لِلَّا كِلَيْنِ﴾ المراد من الآية تعديد نعمة الزيت على الإنسان، وهي من أركان النعم التي لا غنى بالصحة عنها. ويدخل في معنى الزيتون شجر الزيت كله على اختلافه بحسب الأقطار. القرطبي

* قال رسول الله ﷺ: «كلوا الزيت وادهنوا به؛ فإنه من شجرة مباركة» أحمد. ابن كثير.

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (٢١) وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ ﴿السفن﴾ تَحْمِلُون ﴿٢٢﴾

وجوب الإيمان بالرسول ورسالتهم، وقصة نوح عَلَيْهِ السَّلَام

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ۖ فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٢٣) فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ۖ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا ﴿بيعة البشر﴾ فِي عِبَادِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾

﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ ﴾ ... ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ ﴾ هذا من تناقضهم ينسبون له العقل ثم الجنون. السعدي بتصرف. «ت».

﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ ﴾ ﴿ مس من الجنون ﴾ ﴿ فَتَرَبَّصُوا بِهِ ۖ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (٢٥) ﴿ فانتظروا حتى يفتضح أمره ﴾ ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴾ (٢٦) ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ ﴿ بمرأى منا وحفظنا وكلاءتنا ﴾ ﴿ وَوَحَيْنَا ﴾ ﴿ وتعليمنا إياك كيف تصنعها ﴾ ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾ ﴿ نبع الماء من التنور المعروف ﴾ ﴿ فَاسْلُكْ فِيهَا ﴾ ﴿ فادخل في السفينة ﴾ ﴿ مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ﴾ ﴿ أى: استحق العذاب ﴾ ﴿ وَلَا تَخْطُبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴾ (٢٧)

﴿ وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾ ﴿ جعل له علامة على بداية هلاك القوم أن يفور التنور (تنور طبخ الخبز) بالماء، وأمره إذا رأى تلك العلامة أن يدخل في السفينة من كل زوج أي ذكر وأنثى. الجزائري

﴿ ٣٤٣ ﴾

﴿ فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢٨) وَقُلِ رَبِّ أُنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ﴿ المختبرين

قصة عاد قوم هود عَلَيْهِ السَّلَام

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا﴾ **جِيلًا** ﴿ءَاخَرِينَ﴾ (٣١) ﴿وَهُمْ قَوْمٌ عَاد﴾ ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٣٢) ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ **أشراف قوم هود ووجهائهم** ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلْقَائِ الْآخِرَةِ وَاتَّرفَتْهُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ (٣٣)

﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ استبعدوا أن تكون النبوة لبشر فيا عجباً منهم إذ أثبتوا الربوبية لحجر! ابن جزي في التسهيل. «ت».

﴿وَلَيْنَ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلُكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ﴾ (٣٤)

﴿وَلَيْنَ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلُكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ﴾ من ضعف حجج الملأ وغريبتها قولهم لأقوامهم - تكذيباً للرسول - ﴿وَلَيْنَ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلُكُمْ﴾ فيقال لهم: فإن اتبعوكم في تحذيركم هذا هل سيخرجون عن أن يتبعوا بشرًا مثلهم؟ د. مساعد الطيار. ليدبروا آياته.

﴿أَيَعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ﴾ **للبعث** (٣٥)

﴿أَيَعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ﴾ قال الفراء والجرمي والمبرد: إن «أن» الثانية مكررة للتوكيد، وحسن تكريرها؛ لطول الكلام. الشوكاني

﴿هَهِاتَ﴾ **بعيد حقًا** ﴿هَهِاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ﴾ (٣٦) ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (٣٧) ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٨) ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُون﴾ (٣٩) ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ **بعد زمن قريب** ﴿لَيُصِصِحَّنَّ نَادِمِينَ﴾ (٤٠) ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ **كغشاء السيل** (بقايا الشجر المتفتتة التي تطفوا على الماء) ﴿فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ **فهلاكًا وإبعادًا من**

الرحمة (٤١)

من الأمم المكذبة

﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿ أَمَّا وَأَجْبَالًا ﴾

﴿ ٣٤٤ ﴾

﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ﴾ ﴿ موعد هلاكها المحدد ﴾ ﴿ وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرًا ﴾ ﴿ يتبع بعضهم بعضًا ﴾ ﴿ كُلٌّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا ﴾ ﴿ بالهلاك ﴾ ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ﴾ ﴿ أخبارًا لمن بعدهم ﴾ ﴿ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٤٤﴾

موسى وهارون وعيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا ﴾ ﴿ بالمعجزات التسع ﴾ ﴿ وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿ متكبرين ﴾ ﴿ فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِيدُونَ ﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿ متذللون مطيعون ﴾ ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَءَاوَيْنَهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ﴾ ﴿ مكان مرتفع من الأرض ﴾ ﴿ ذَاتِ قَرَارٍ ﴾ ﴿ مستو للاستقرار عليه ﴾ ﴿ وَمَعِينٍ ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿ ماء جار ظاهر للعيون ﴾

﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾ ﴿ أي: وجعلنا ابن مريم وأمه حجة لنا على من كان بينهم، وعلى قدرتنا على إنشاء الأجسام من غير أصل، كما أنشأنا خلق عيسى من غير أب. الطبري

﴿ إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ ﴿ قال الضحاك، وقتادة: هو بيت المقدس. وهذا والله أعلم هو الأظهر؛ لأنه المذكور في الآية الأخرى. والقرآن يفسر بعضه بعضا. وهو أولى ما يفسر به، ثم الأحاديث الصحيحة، ثم الآثار. ابن كثير

توجيهات ربانية، وسبب إهمال الكفار

﴿ يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ ﴾ ﴿ دينكم يا معشر الأنبياء ﴾ ﴿ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ ﴿ دين واحد وهو الإسلام ﴾ ﴿ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَانْقَبُوا ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ﴾ ﴿ ففرق الأتباع في الدين ﴾ ﴿ زُبُرًا ﴾ ﴿ أحزابًا

وَشِيعَا ﴿٥٣﴾ كُلِّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٤﴾

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ قيل: إنهم فرقوا الكتب فاتبعت فرقة الصحف، وفرقة التوراة، وفرقة الزبور، وفرقة الإنجيل، ثم حرف الكل وبدل، قاله قتادة. وقيل: أخذ كل فريق منهم كتابا آمن به وكفر بما سواه. القرطبي

﴿فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ﴾ ضلالتهم وجهلهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ﴿٥٤﴾ إلى وقت نزول العذاب

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ ﴿٥٥﴾﴾ يحسبونه لفضلهم؟! إنما هو استدراج ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٥٦﴾

من صفات المؤمنين

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ وجلون ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿٣٤٥﴾

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ خائفة من عدم القبول ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ ﴿٦٠﴾

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ عن عائشة - رضي الله عنها -؛ أنها قالت: يا رسول الله، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾، هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر، وهو يخاف الله عز وجل؟ قال: «لا يا بنت أبي بكر، يا بنت الصديق، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق، وهو يخاف الله عز وجل». ابن كثير، والحديث عند الترمذي.

﴿أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كَنْزٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ لما ذكر مسارعتهم إلى الخيرات، وسبقهم إليها، ربما وهم واهم أن المطلوب منهم ومن غيرهم أمر غير مقدور أو متعسر، أخبر

تعالى أنه لا يكلف ﴿نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: بقدر ما تسعه، ويفضل من قوتها عنه، ليس مما يستوعب قوتها، رحمة منه وحكمة، لتيسير طريق الوصول إليه، ولتعمر جادة السالكين في كل وقت إليه. السعدي

حال الكفار

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرٍ مِّنْ هَذَا﴾ **غفلة عن هذا القرآن** ﴿وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمِلُونَ﴾ (٦٣) **حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجثرون** (٦٤) ﴿يرفعون أصواتهم متضرعين﴾ **لا تجثروا اليوم** ﴿لا تصرخوا ولا تستغيثوا﴾ **إنكم منا لا تنصرون** (٦٥) ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ (٦٦) ﴿تنفرون من سماع الآيات كالذي يرجع للوراء﴾ **مستكبرين به** ﴿مستعلين على الناس بسبب الحرم تقولون نحن أهلنا لا نغلب عليه﴾ **سمرًا تهجرون** (٦٧) ﴿تسامرون حول الحرم بالسيء من القول﴾ **أفلم يدبروا القول** ﴿أي: القرآن الدال على صدق النبي﴾ **أمر** ﴿صددهم عن الحق أن﴾ **جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين** (٦٨) **أمر لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون** (٦٩)

﴿**أمر لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون**﴾ أي: أفهم لا يعرفون محمداً، وصدقه، وأمانته، وصيانته التي نشأ بها فيهم، أفقدرون على إنكار ذلك والمباهة فيه؟ ولهذا قال جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنجاشي ملك الحبشة: أيها الملك، إن الله بعث إلينا رسولا نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته. وهكذا قال المغيرة بن شعبة لنائب كسرى حين بارزهم، وكذلك قال أبو سفيان صخر بن حرب لملك الروم هرقل، حين سألته وأصحابه عن صفات النبي ﷺ ونسبه، وصدقه، وأمانته، وكانوا بعد كفارا لم يسلموا، ومع هذا ما أمكنهم إلا الصدق فاعترفوا بذلك. ابن كثير

﴿**أمر يقولون به** جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كرهون﴾ (٧٠) ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم﴾ **بما فيه عزهم لو اتبعوه** ﴿فهم عن ذكرهم معرضون﴾ (٧١) **أمر**

تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا ﴿٧٢﴾ وَأَنْكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُونَ ﴿٧٤﴾ مائلون

﴿ ٣٤٦ ﴾

﴿ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ ﴿٧٥﴾ أَي: جوع أصابهم بمكة سبع سنين لِلَّجْوَا ﴿٧٦﴾ لَتَمَادُوا ﴿٧٧﴾ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٨﴾ يتحIRON ويتخبطون ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ ﴿٨٠﴾ الْجُوعِ ﴿٨١﴾ فَمَا أَسْتَكَانُوا ﴿٨٢﴾ خضعوا ﴿٨٣﴾ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَرَعُونَ ﴿٨٤﴾

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا أَسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَرَعُونَ ﴾ قال ابن عباس: جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، أنشدك الله والرحم، فقد أكلنا العلhez -يعني: الوبر والدم- فأنزل الله: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا أَسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَرَعُونَ ﴾، وهكذا رواه النسائي عن محمد بن عقيل، عن علي بن الحسين، عن أبيه، به. وأصل هذا الحديث في الصحيحين: أن رسول الله ﷺ دعا على قريش حين استعصوا فقال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف». ابن كثير

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ آيسون من كل خير متحIRON

من أفعال الله الموجبة لتوحيدهم لو تفكروا

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ ﴿٧٩﴾ خَلَقَكُمْ وَبَثَّكُمْ ﴿٨٠﴾ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٨١﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٢﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨٣﴾

﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴾ فيها بيان سوء التقليد وآثاره في السلوك الإنساني بحيث ينكر المقلد عقله. الجزائري بتصرف يسير.

﴿ قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

الاستدلال بتوحيد الربوبية على الإيمان بتوحيد الألوهية

﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِزُ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ ﴿٨٨﴾ يَحْمِي وَيَغِيثُ مَنْ يَشَاءُ ﴿٨٩﴾ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴿٩٠﴾ لَا يَغَاثُ أَحَدٌ وَيَحْمِي مِنْهُ سُبْحَانَهُ ﴿٩١﴾ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٢﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٩٣﴾ كَيْفَ تَذْهَبُ عَقُولُكُمْ وَتُخَدَعُونَ عَنْ تَوْحِيدِهِ ﴾

﴿ ٣٤٧ ﴾

﴿ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ ﴿٩١﴾ لَانْتَصِرَ ﴿٩٢﴾ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩٣﴾ عَنِ وَصْفِهِمْ إِيَّاهُ بِالْشَرِيكِ وَالْوَلَدِ ﴾

﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾
فالغالب يكون هو الإله، وإلا فمع التمانع لا يمكن وجود العالم، ولا يتصور أن ينتظم هذا الانتظام المدهش للعقول، واعتبر ذلك بالشمس والقمر، والكواكب الثابتة، والسيارة، فإنها منذ خلقت، وهي تجري على نظام واحد، وترتيب واحد، كلها مسخرة بالقدرة، مدبرة بالحكمة؛ لمصالح الخلق كلهم، ليست مقصورة على مصلحة أحد دون أحد، ولن ترى فيها خللا ولا تناقضا، ولا معارضة في أدنى تصرف، فهل يتصور أن يكون ذلك، تقدير إلهين ربين؟.
السعدي

﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تُرِيئِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ مِنْ عَذَابِهِمْ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَى أَنْ تُرِيكَ مَا نَعُدُّهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴿٩٥﴾ لَكِنْ قَدْ يُوْخِرُ ﴾

لحكمة ﴿١٦﴾ ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿١٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿١٧﴾ وَسَاوَسَهُمْ وَنَزَغَاتِهِمْ ﴿١٨﴾ وَاعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿١٩﴾﴾

أمنية الكافر عند الاحتضار، وجزاء الناس في الآخرة

﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٩﴾﴾

﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ قال العلاء بن زياد يقول: لينزل أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت، فاستقال ربه فأقاله، فليعمل بطاعة الله عز وجل. ابن كثير

﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ قال قتادة: ما تمنى أن يرجع إلى أهله وعشيرته، ولا ليجمع الدنيا ويقضي الشهوات، ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله، فرحم الله امرأ عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب. البغوي
﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ يعني: سؤاله الرجعة، كلمة هو قائلها، ولا ينالها. البغوي

* وقيل: ترجع إلى الله تعالى، أي لا خلف في خبره، وقد أخبر أنه لن يؤخر نفسا إذا جاء أجلها. القرطبي
﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: أمامهم وبين أيديهم حاجز، إلى يوم يبعثون... قال الضحاك: البرزخ ما بين الموت إلى البعث. البغوي

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ إذا نفخ في الصور نفخة النشور، وقام الناس من القبور، ابن كثير

﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ قال ابن مسعود: يؤخذ بيد العبد والأمة يوم القيامة فينصب على رؤوس الأولين والآخرين، ثم ينادي مناد: هذا فلان ابن فلان،

فمن كان له قبله حق فليأت إلى حقه، فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده، وولده، وزوجته، أو أخيه، فيأخذ منه، ثم قرأ ابن مسعود: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾. وقال ابن عباس: لا يتفخرون بالأنساب يومئذ كما كانوا يتفخرون في الدنيا، ولا يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا: من أنت، ومن أي قبيلة أنت؟ ولم يرد أن الأنساب تنقطع. ينظر: تفسير البغوي

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ **كثرت حسناته** ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿تَلَفُمْ﴾ **تحرقت** ﴿وُجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ (١٠٤) **عابسون احترقت شفاههم وبرزت أسنانهم**

﴿ ٣٤٨ ﴾

توبيخ الله للكفار

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ (١٠٥) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ (١٠٦) ﴿قَالَ أَخْسُوا فِيهَا﴾ **امكثوا أذلاء** ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (١٠٨)

﴿قَالَ أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ قال عبد الله بن عمرو: إن أهل جهنم يدعون مالكا، فلا يجيبهم أربعين عاما، ثم يرد عليهم: إنكم ماكثون. قال: هانت دعوتهم -والله- على مالك ورب مالك. ثم يدعون ربهم فيقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿قَالَ﴾ فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين، ثم يرد عليهم: ﴿أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ قال: والله ما نبس القوم بعدها بكلمة واحدة، وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم. قال: فشبهت أصواتهم بأصوات الحمير، أولها زفير، وآخرها شهيق. ابن كثير

﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ

الرَّحِيمِ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا ﴿١١٠﴾ اِشْتَغَلْتُمْ بِالْاِسْتِهْزَاءِ بِهِمْ ﴿١١١﴾ حَتَّى اَنْسَوَكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٢﴾ اِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا اَنَّهُمْ هُمُ الْفَآيِزُونَ ﴿١١٣﴾ قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْاَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا لَيْثَنَا يَوْمًا اَوْ بَعْضُ يَوْمٍ فَسْئَلُ الْعَادِّينَ ﴿١١٥﴾ الْحُسَابُ الَّذِي يَعْدُونَ الْاَيَّامَ

﴿قَالُوا لَيْثَنَا يَوْمًا اَوْ بَعْضُ يَوْمٍ﴾ أي: استقصروا مدة لبثهم في الدنيا، وفي القبور، وراؤهم يسيرا بالنسبة إلى ما هم بصددده. القرطبي

﴿قُلْ اِنْ لَبِثْتُمْ اِلَّا قَلِيْلًا لَّوْ اَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ﴾ ﴿١١٤﴾ اَفَحَسِبْتُمْ اَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَاَنْتُمْ اِلَيْنَا لَا تُرْجَعُوْنَ﴾ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اَللّٰهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اَللّٰهِ اِلٰهًا اٰخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَاِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهٖ اِنَّهٗ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُوْنَ﴾ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اَرْحَمْ وَاَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيْمِ﴾ ﴿١١٨﴾

﴿ ٣٤٩ ﴾

سورة النور

سورة النور، سورة مدنية، فيها توجيهات لحماية المجتمع المسلم من قالة السوء وأسباب الفاحشة، وفيها جملة من الآداب الشرعية كالاستئذان وغض البصر.. إلخ، وفيها بيان حال أعمال المؤمنين، وأعمال الكافرين والمنافقين، وفيها شيء من مظاهر خلق الله الموجهة للانقياد لأوامره.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

حد الزنا لغير المحصن، وحد القذف

﴿سُوْرَةُ اَنْزَلْنٰهَا وَفَرَضْنٰهَا﴾ ﴿١﴾ اَوْجَبْنَا الْعَمَلَ بِاَحْكَامِهَا ﴿٢﴾ وَاَنْزَلْنَا فِيْهَا آيٰتٍ يَّبَيِّنُ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُوْنَ ﴿٣﴾ ثم شرع في بيان تلك الأحكام المشار إليها

﴿سُوْرَةُ﴾ جاء في بعض الآثار المرفوعة: «علموا رجالكم سورة المائدة، وعلموا نساءكم سورة النور» شعب الإيمان للبيهقي. وصحح بعضهم وقفه على عمر

رضي الله عنه

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢﴾

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ﴾ هذا الحكم في الزاني والزانية البكرين، أنهما يجلد كل منهما مائة جلدة، وأما الثيب، فقد دلت السنة الصحيحة المشهورة، أن حده الرجم. السعدي

﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ ليس المنهي عنه الرأفة الطبيعية ... وإنما هي الرأفة التي تحمل الحاكم على ترك الحد. ابن كثير. «ت».

* قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إقامة حد بأرض خير لأهلها من مطر أربعين ليلة. القرطبي، والأثر عند النسائي.

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرَكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣﴾

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ﴾ هذا بيان لرديلة الزنا، وأنه يندس عرض صاحبه، وعرض من قارنه ومازجه، ما لا يفعله بقية الذنوب، فأخبر أن الزاني لا يقدم على نكاحه من النساء، إلا أنثى زانية، تناسب حاله حالها، أو مشركة بالله، لا تؤمن بيعث ولا جزاء، ولا تلتزم أمر الله، والزانية كذلك، لا ينكحها إلا زان أو مشرك ﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: حرم عليهم أن ينكحوا زانيا، أو ينكحوا زانية. ومعنى الآية: أن من اتصف بالزنا، من رجل أو امرأة، ولم يتب من ذلك، أن المقدم على نكاحه، مع تحريم الله لذلك، لا يخلو إما أن لا يكون ملتزما لحكم الله ورسوله، فذاك لا يكون إلا مشركا، وإما أن يكون ملتزما لحكم الله ورسوله، فأقدم على نكاحه مع علمه بزناه، فإن هذا النكاح زنا، والناكح زان مسافح، فلو كان مؤمنا بالله حقا، لم يقدم على ذلك، وهذا دليل صريح على تحريم نكاح الزانية حتى تتوب، وكذلك إنكاح الزاني حتى يتوب.

السعدي

﴿ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ يَقْذِفُونَ بِالزَّانَا ﴾ ﴿ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ الْعَفِيفَاتِ ﴿ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ جاء عن سعيد بن المسيب: أن عمر بن الخطاب ضرب أبا بكر، وشبل بن معبد، ونافع بن الحارث بن كلدة حدّهم. وقال لهم: من أكذب نفسه أجزت شهادته فيما استقبل، ومن لم يفعل؛ لم أجز شهادته، فأكذب شبل نفسه، ونافع، وأبى أبو بكر أن يفعل. قال الزهري: هو والله سنة، فاحفظوه. ينظر: تفسير الطبري

اللعان عند قذف الرجل لزوجته من غير شهود

﴿ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدُوا أَحَدُهُمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾

﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ﴾ سبب نزولها: أن هلال بن أمية وجد عند أهله رجلاً، فرأى بعينه وسمع بأذنه، فلم يهجه حتى أصبح، فغدا على رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله: إني جئت أهلي، فوجدت عندها رجلاً، فرأيت بعيني وسمعت بأذني، فكره رسول الله ﷺ ما جاء به، واشتد عليه، فقال سعد بن عبادة: الآن يضرب رسول الله ﷺ هلالاً ويبطل شهادته، فقال هلال: والله إني لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجاً، فو الله إن رسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربه إذ نزل عليه الوحي، فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس. ابن الجوزي، وقصة هلال في الصحيحين بألفاظ أخرى

﴿ وَالْخَمْسَةُ أَنْ لَعَنَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴾ ﴿٧﴾ وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ ﴿٨﴾ يَدْفَعُ الْعُقُوبَةَ ﴿٩﴾ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذِبِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

﴿وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ﴾ هل يقام عليها الحد، بمجرد لعان الرجل ونكولها أم تحبس؟ فيه قولان للعلماء، الذي يدل عليه الدليل، أنه يقام عليها الحد، بدليل قوله: ﴿وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ﴾ إلى آخره، فلولا أن العذاب -

وهو الحد - قد وجب بلعانه، لم يكن لعانها دارئاً له. السعدى

﴿وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

﴿ ٣٥٠ ﴾

حديث الإفك

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ أشنع الكذب وهو رمى أم المؤمنين عائشة بالزنى ﴿عُصْبَةُ مِنْكُمْ﴾ جماعة منكم ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ وهم بعض الصحابة وقد تابوا ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾ تحمل معظمه وهو عبدالله بن أبي بن سلول ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١١﴾

﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ يأجركم الله به، ويظهر براءة عائشة ومن جاء معها ... وهو صفوان فإنها قالت كنت مع النبي ﷺ في غزوة بعد ما أنزل الحجاب، ففرغ منها، ورجع، ودنا من المدينة، وأذن بالرحيل ليلة، فمشيت، وقضيت شأني، وأقبلت إلى الرحل، فإذا عقدي انقطع ... فرجعت ألتمسه وحملوا هودجي - هو ما يركب فيه على بعيري - يحسبونني فيه، وكانت النساء خفافاً إنها يأكلن العلقة من الطعام - أي: القليل - ووجدت عقدي، وجئت بعد ما ساروا، فجلست في المنزل الذي كنت فيه، وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إلي، فغلبتني عياني، فنمت وكان صفوان قد عرس من وراء الجيش، فأدلىج ... أي نزل من آخر الليل للاستراحة، فسار منه، فأصبح في منزله، فرأى سواد إنسان نائم - أي: شخصه - فعرفني حين رأي، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي - أي: غطيته بالملاءة - والله ما كلمني بكلمة، ولا سمعت منه كلمة، غير استرجاعه حين أناخ راحلته، ووطئ على يدها، فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة، حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا ... فهلك من هلك، وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله بن أبي بن سلول. ينظر: تفسير الجلالين والقصة بطولها في الصحيحين

﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ المشهور من الأخبار، والمعروف عند العلماء، أن الذي حُد حسان، ومسطح، وحمئة. القرطبي
 ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ دخل الزهري على أحد ولادة بني أمية فقال الوالي: يا ابن شهاب من الذي تولى كبره؟ فقال الزهري: ابن أبي. قال: كذبت هو علي. قال: أنا أكذب - لا أبالك -، والله لو نادى مناد من السماء أن الله قد أحل الكذب ما كذبت. ينظر: تفسير الشوكاني بتصرف يسير.

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾
 ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴿١٣﴾

﴿إِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ ذلك وإن كانوا في أنفسهم قد تيقنوا ذلك، فإنهم كاذبون في حكم الله؛ لأن الله حرم عليهم التكلم بذلك من دون أربعة شهود، ولهذا قال: ﴿فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ ولم يقل: فأولئك هم الكاذبون، وهذا كله من تعظيم حرمة عرض المسلم، بحيث لا يجوز الإقدام على رمي، من دون نصاب الشهادة بالصدق. السعدي

﴿وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾
 خضتم فيه من حديث الإفك ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ ﴿تَلَقُّوْنَهُ وَتَنْقُلُونَهُ﴾
 ﴿بِالْسِّنِّكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ ﴿كَذِبٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٦﴾ يَعْظَكُمُ ﴿يَنْهَاكُمُ﴾ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾

جزاء من يحب إشاعة الفاحشة

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ المنكرات ومنها القذف بالزنا ﴿فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

التحذير من خطوات الشيطان، والحث على العفو

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ **طرقه ومذاهبه** ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا﴾ **ما تطهر من الذنوب** ﴿مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٣١﴾

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ﴾ ذلك لضعفهم، واستعدادهم الفطري للاستجابة لعدوهم، فعلى الذين شعروا بكمالهم؛ لأنهم نجوا مما وقع فيه عصابة الإفك من الإثم أن يستغفروا لإخوانهم، وأن يقللوا من لومهم وعتابهم، فإنه لولا فضله عليهم ورحمته بهم؛ لوقعوا فيما وقع فيه إخوانهم، فليحمدوا الله الذي نجاهم، وليتطامنوا تواضعاً لله وشكراً له. الجزائري

﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ **لا يحلف** ﴿أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ **أهل الفضل في الدين والمال في الامتناع عن** ﴿أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٣٢﴾

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا﴾ نزلت في أبي بكر حلف أن لا ينفق على مسطح -وهو ابن خالته- مسكين، مهاجر، بدري، لما خاض في الإفك بعد أن كان ينفق عليه وناس من الصحابة، أقسموا أن لا يتصدقوا على من تكلم بشيء من الإفك للمؤمنين ... ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قال أبو بكر: بلى، أنا أحب أن يغفر الله لي، ورجع إلى مسطح ما كان ينفقه عليه. تفسير الجلالين، والحديث في الصحيحين

﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: كما تحبون عفو الله عن ذنوبكم، فكذلك اغفروا لمن دونكم، وينظر إلى هذا المعنى قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من لا يرحم لا يرحم». القرطبي، والحديث في الصحيحين

الوعيد لمن رمى المؤمنين المحصنات

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ﴾ العفيفات اللواتي لم تخطر الفاحشة بقلوبهن ﴿الْمُؤْمِنَاتِ لَعْنُوا﴾ طردوا وأبعدوا من رحمة الله ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوفِّهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ﴿جزاءهم بالعدل﴾ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْخَيْثِثُ لِلْخَيْثِثِ وَالْخَيْثُوثُ لِلْخَيْثِثِ وَالطَّيِّبُ لِلطَّيِّبِ وَالطَّيِّبُ لِلطَّيِّبِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

من آداب البيوت

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ تستأذنون ﴿أهل البيوت﴾ وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

﴿ ٣٥٢ ﴾

﴿فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى﴾ أظهر ﴿لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٢٨)

﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ قال قتادة: قال رجل من المهاجرين: لقد طلبت عمري كله هذه الآية، فما أدركتها، أن أستاذن على بعض إخواني، فيقول لي: ارجع، فأرجع وأنا مغتبط، لقوله: ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾. الطبري. «ت».

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ﴾ فيها منفعة ومصالحة لكم كالبيوت المدة صدقة للمسافرين ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ (٢٩)

من أحكام النظر

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣٠)

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «من

ملاً عينيه من قاعة بيت فقد فسق». القرطبي

﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ إلا الثياب الظاهرة التي جرت العادة بلبسها إذا لم يكن فيها فتنة ﴿ وَلِيَضْرِبْنَ ﴾ وليلقين ﴿ بِخُمُرِهِنَّ ﴾ بأغطية رؤوسهن ﴿ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ على فتحات صدورهن فيغطين وجوههن ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ لأزواجهن ﴿ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّبِيعِ غَيْرِ أُولَى الْإِرَبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ﴾ الرجال الذين لا شهوة لهم ﴿ أَوْ الطِّفْلَ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾ كالخلاخل التي تلبس في الأرجل ﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿ ٣١ ﴾

﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ عن ابن مسعود، قال: هي الثياب... وعن ابن عباس: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ قال: الكحل والخاتم. الطبري

* معلوم أن الزينة التي تظهر في عموم الأحوال بغير اختيار المرأة هي الثياب، فأما البدن فيمكنها أن تظهره، ويمكنها أن تستره، ونسبة الظهور إلى الزينة؛ دليل على أنها تظهر بغير فعل المرأة، وهذا كله دليل على أن الذي ظهر من الزينة الثياب. ابن تيمية في شرح العمدة.

﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾ أيهما أعظم فتنة: أن يسمع الرجل خلخلاً بقدم امرأة لا يدري ما هي؟ وما جماها؟! لا يدري أشابة هي أم عجوز؟! ولا يدري أشوها هي أم حسناء؟! أيهما أعظم فتنة هذا أو أن ينظر إلى وجه سافر جميل ممتلئ شباباً ونضارة وحسناً وجمالاً وتجميلاً بها يجلب الفتنة ويدعو إلى النظر إلهاء؟.. ينظر: رسالة في الحجاب لابن عثيمين «ل».

﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ المعنى: وتوبوا إلى الله، فإنكم لا تخلون من سهو وتقصير في أداء حقوق الله تعالى، فلا تتركوا التوبة في كل حال. القرطبي

النكاح والكتابة

﴿وَأَنْكِحُوا﴾ زوجوا ﴿الْأَيْمَى﴾ من لا زوج له ﴿مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾ عبيدكم ﴿وَأِمَائِكُمْ﴾ جواريتكم ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٣٢﴾

﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ﴾ قال ابن مسعود: التمسوا الغنى في النكاح، يقول الله: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾. الطبري

﴿وَلَيْسَتَعْفِى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ﴾ يطلبون ﴿الْكِتَابَ﴾ المكاتبه بأن يشتروا أنفسهم من أسيادهم بهال مقسط يؤدونه إليهم ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ رشدًا وقدرة على الكسب ﴿وَعَاثُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ فتعينونهم على الدين ﴿وَلَا تُكْرَهُوا﴾ فَيَتَيْتُكُمْ ﴿جَوَارِيكُمْ﴾ عَلَى الْبَغَاءِ ﴿الزَّانَا﴾ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴿تَعَفُّا﴾ لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْنَنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾

﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَيَتَيْتُكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ﴾ قال مجاهد: أمر عبد الله بن أبي ابن سلول أمة له بالزنا، فجاءته بدينار، أو ببرد (شك أبو عاصم) فأعطته، فقال: ارجعي فازني بآخر، فقالت: والله ما أنا براجعة، فالله غفور رحيم للمكرهات على الزنا. الطبري

* إنما هذا نهى لما كانوا يستعملونه في الجاهلية، من كون السيد يجبر أمته على البغاء، ليأخذ منها أجرة ذلك، ولهذا قال: ﴿لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فلا يليق بكم أن تكون إماءكم خيرا منكم، وأعف عن الزنا، وأنتم تفعلون بهن ذلك؛ لأجل عرض الحياة، متاع قليل يعرض ثم يزول. السعدي

مثل نور الله

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ ﴾ الذي يهدي إليه، وهو نور الإيمان
والقرآن في قلوب المؤمنين ﴿ كَمَشْكُوفَةٍ ﴾ الكوة في الحائط غير النافذة ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ
الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ مضى ﴿ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ
مُبْرَكَةٍ ﴾ يوقد من زيت الزيتون الذي ناره من أنور ما يكون ﴿ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا
غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا ﴾ لصفائه ﴿ يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ
لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣٥)

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الحسي والمعنوي، وذلك أنه تعالى بذاته نور،
وحجابه - الذي لولا لطفه، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من
خلقه - نور ... وكذلك النور المعنوي يرجع إلى الله، فكتابه نور، وشرعه نور،
والإيمان والمعرفة في قلوب رسله وعباده المؤمنين نور. فلولا نوره تعالى،
لتراكمت الظلمات. السعدي

* في الصحيحين، عن ابن عباس: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يقول:
«اللهم! لك الحمد، أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد،
أنت نور السموات والأرض ومن فيهن» الحديث. ابن كثير

﴿ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ الزيتون لا شرقية ولا غربية في موقعها من البستان
لا ترى الشمس إلا في الصباح، ولا غربية لا ترى الشمس إلا في المساء، بل هي
وسط البستان، تصيبها الشمس في كامل النهار، فلذا كان زيتها في غاية الجودة،
يكاد يشتعل لصفائه. الجزائري

﴿ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ كزيتون الشام، تصيبها الشمس أول النهار
وآخره، فتحسن وتطيب، ويكون أصفى لزيتها، ولهذا قال: ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا ﴾ من
صفائه ﴿ يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ فإذا مسته النار، أضاء إضاءة بليغة ﴿ نُورٌ
عَلَى نُورٍ ﴾ أي: نور النار، ونور الزيت. ووجه هذا المثل الذي ضربه الله،
وتطبيقه على حالة المؤمن، ونور الله في قلبه، أن فطرته التي فطر عليها، بمنزلة
الزيت الصافي، ففطرته صافية، مستعدة للتعاليم الإلهية، والعمل المشروع، فإذا
وصل إليه العلم والإيمان، اشتعل ذلك النور في قلبه، بمنزلة اشتعال النار في

فتيلة ذلك المصباح، وهو صافي القلب من سوء القصد، وسوء الفهم عن الله، إذا وصل إليه الإيمان، أضاء إضاءة عظيمة، لصفائه من الكدورات، وذلك بمنزلة صفاء الزجاج الدرية، فيجتمع له نور الفطرة، ونور الإيمان، ونور العلم، وصفاء المعرفة، نور على نوره. ولما كان هذا من نور الله تعالى، وليس كل أحد يصلح له ذلك، قال: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ السعدي

﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾ هذا النور في المساجد ﴿أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ تعظم بالتعمير والتطهير ﴿وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ ﴿٣٦﴾ أول النهار وآخره

﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾ المعنى: كمشكاة في بيوت ويجوز أن تكون متصلة بقوله: يسبح له فيها، فتكون فيها تكريرا على التوكيد، والمعنى: يسبح لله رجال في بيوت. ابن الجوزي

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ ﴾ هذان مجموع أحكام المساجد، فيدخل في رفعها، بناؤها، وكنسها، وتنظيفها من النجاسة والأذى، وصونها من المجانين والصبيان الذين لا يتحرزون عن النجاسة، وعن الكافر، وأن تصان عن اللغو فيها، ورفع الأصوات بغير ذكر الله. السعدي

﴿ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ ﴾ يدخل في ذلك الصلاة كلها، فرضها، ونفلها، وقراءة القرآن، والتسبيح، والتهليل، وغيره من أنواع الذكر، وتعلم العلم وتعليمه، والمذاكرة فيها، والاعتكاف، وغير ذلك من العبادات التي تفعل في المساجد. السعدي

*من مجموع ما سبق نستفيد أن المساجد من أحسن ما يزيد في بصيرة المسلم ويزداد فيها من النور وغض البصر من أحسن ما يحميها. مفاد من د. محمد نصيف

جزاء المؤمنين

﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا

نَقَلَبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ ❦ أي: بين الرجاء والخوف

﴿رِجَالٌ لَا نُلْهِمُهُمْ تَجَرَّةً﴾ ❦ إغلاق المحلات وقت الصلاة - تعظيماً لهذه الشعيرة، وحفزاً للجماعة - أمر معروف في زمان السلف، بل استنبط ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من القرآن، فقد كان مرة في السوق، فأقيمت الصلاة، فأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد، فقال: فيهم نزلت: ﴿رِجَالٌ لَا نُلْهِمُهُمْ﴾. تفسير عبدالرزاق الصنعاني. «ل».

﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ❦ بلا عد ويعطي من الأجر ما لا يبلغه عمل العامل

مثل أعمال الكافرين

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوهُمْ﴾ ❦ في الآخرة ﴿كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ﴾ ❦ ما يشاهد كالماء على الأرض المستوية في الظهيرة ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿٣٩﴾ ❦

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوهُمْ﴾ ❦ هذان مثلاً، ضربهما الله لأعمال الكفار في بطلانها وذهابها سدى وتحسر عامليها منها. السعدي
﴿كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ﴾ ❦ كذلك أعمال الكفار، بمنزلة السراب، ترى ويظنها الجاهل الذي لا يدري الأمور، أعمالاً نافعة، فيغره صورتها، ويخلبه خيالها، ويحسبها هو أيضاً أعمالاً نافعة لهواه، وهو أيضاً محتاج إليها بل مضطر إليها، كاحتياج الظمآن للماء، حتى إذا قدم على أعماله يوم الجزاء، وجدها ضائعة، ولم يجدها شيئاً. السعدي

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ ❦ عميق ﴿يَغْشَاهُ﴾ ❦ يعلوه ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ﴾ ❦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ ﴿سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكْدِ يَرْنَهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ ﴿٤٠﴾ ❦

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ ❦ هذا المثل الثاني، لبطلان أعمال الكفار ﴿كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ ❦ بعيد قعره، طويل مداه ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ﴾ ❦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ ﴿سَحَابٌ

ظَلُمْتُ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴿ ظلمة البحر اللجي، ثم فوقه ظلمة الأمواج المتراكمة، ثم فوق ذلك، ظلمة السحب المدلهمة، ثم فوق ذلك ظلمة الليل البهيم، فاشتدت الظلمة جدا، بحيث أن الكائن في تلك الحال ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رَنَّهُا ﴾ مع قربها إليه، فكيف بغيرها، كذلك الكفار، تراكمت على قلوبهم الظلمات، ظلمة الطبيعة، التي لا خير فيها، وفوقها ظلمة الكفر، وفوق ذلك، ظلمة الجهل، وفوق ذلك، ظلمة الأعمال الصادرة عما ذكر، فبقوا في الظلمة متحيرين، وفي غمرتهم يعمهون، وعن الصراط المستقيم مدبرين ...
يحتمل أن هذين المثالين، لأعمال جميع الكفار، كل منهما، منطبق عليها، وعددهما لتعدد الأوصاف، ويحتمل أن كل مثال، لطائفة وفرقة. فالأول، للمتبوعين، والثاني، للتابعين، والله أعلم. السعدي

كل يسبح لله ويخضع لأمره

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ ﴾ التي بين السماء والأرض ﴿ صَفَّتْ ﴾ باسطات أجنحتهن في الهواء ﴿ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿ ٤١ ﴾

﴿ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ أي: كل له صلاة وعبادة بحسب حاله اللائقة به ... ويحتمل أن الضمير في قوله: ﴿ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ يعود إلى الله، وأن الله تعالى قد علم عباداتهم. السعدي

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ ﴿ ٤٢ ﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ﴿ يسوقه برفق ﴾ ثُمَّ يُؤَلِّفُ ﴿ يجمع ﴾ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا ﴿ متراكما ﴾ فَتَرَى الْوَدْقَ ﴿ المطر ﴾ يُخْرَجُ مِنْ خَلِيلِهِ ﴿ من بينه ﴾ وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ ﴿ ضوء البرق ﴾ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿ ٤٣ ﴾

﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ ﴿ ٤٤ ﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ

اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾

﴿خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ الدابة كل ما دب على وجه الأرض من الحيوان، يقال: دب يدب فهو داب، والهاء للمبالغة. القرطبي
 ﴿مِنْ مَّاءٍ﴾ لم يدخل في هذا الجن والملائكة، لأننا لم نشاهدهم، ولم يثبت أنهم خلقوا من ماء، بل في الصحيح «أن الملائكة خلقوا من نور والجن خلقوا من نار». وقد تقدم. وقال المفسرون: ﴿مِنْ مَّاءٍ﴾ أي من نطفة ... وقال قوم: لا يستثنى الجن والملائكة، بل كل حيوان خلق من الماء، وخلق النار من الماء، وخلق الريح من الماء، إذ أول ما خلق الله تعالى من العالم الماء، ثم خلق منه كل شيء. القرطبي

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٤٦﴾

من زيغ المنافقين

﴿وَقَوْلُوكَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلَّى فِرْقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٤٧﴾
 ﴿٤٨﴾

﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ نزلت هذه الآية في بشر المنافق كان بينه وبين رجل من اليهود خصومة في أرض، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد ﷺ، وقال المنافق: نتحاكم إلى كعب بن الأشرف، فإن محمداً يحيف علينا، فأنزل الله هذه الآية. البغوي

﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ ﴿٤٩﴾ طائعين منقادين ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾
 نفاق ﴿أَمْ أَرَأَيْتُمْ أَشْكُوا فِي النُّبُوَّةِ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ﴾ ﴿يَجُورُ﴾ ﴿اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾
 ﴿بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿وَأَقْسَمُوا﴾ ﴿المنافقون﴾
 ﴿بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ ﴿مجتهدين في الحلف بأوكدها﴾ ﴿لَنْ أَمْرَتَهُمْ لِيُخْرِجَنَّا قُلْ لَا تُقْسِمُوا

طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ﴿ طاعتكم معروفة بأنها في اللسان فقط ﴾ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ



﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أُمِّرْتُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾ يخبر تعالى عن حالة المتخلفين عن الرسول ﷺ في الجهاد من المنافقين، ومن في قلوبهم مرض وضعف إيمان. السعدي

﴿ ٣٥٦ ﴾

الطاعة ووعد الله للمطيعين

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ على الرسول فعل ما أمر به من تبليغ الرسالة ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ عليكم فعل ما كلفتم به من الامتثال ﴿وَإِن تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانُ الْمُبِينِ﴾ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿٥٥﴾

﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ وعدهم الله هذه الأمور وقت نزول الآية، وهي لم تشاهد الاستخلاف في الأرض والتمكين فيها، والتمكين من إقامة الدين الإسلامي، والأمن التام، بحيث يعبدون الله ولا يشركون به شيئاً، ولا يخافون أحداً إلا الله، فقام صدر هذه الأمة، من الإيثار والعمل الصالح بما يفوقون على غيرهم، فمكّنهم من البلاد والعباد، وفتحت مشارق الأرض ومغاربها، وحصل الأمن التام والتمكين التام، فهذا من آيات الله العجيبة الباهرة، ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة، مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح، فلا بد أن يوجد ما وعدهم الله، وإنما يسلط عليهم الكفار والمنافقين، ويديلهم في بعض الأحيان، بسبب إخلال المسلمين بالإيمان والعمل الصالح. السعدي

﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كما فعل من قبلهم ذلك ببني إسرائيل،

إِذْ أَهْلَكَ الْجَبَابِرَةُ بِالشَّامِ، وَجَعَلَهُمْ مَلُوكَهَا وَسَكَانَهَا. الطبري

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ٥٦ لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ﴿ فَاثْنَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ بِالْهَرَبِ ﴾ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿ ٥٧ ﴾

أوقات استئذان الصغار والمملوكين

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ﴾ دون سن الاحتلام والبلوغ ﴿ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ ﴿ حَرَجٌ ﴾ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ ﴿ طَائِفٌ ﴾ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿ ٥٨ ﴾

﴿ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ﴾ ينبغي للواعظ والمعلم ونحوهم، ممن يتكلم في مسائل العلم الشرعي، أن يقرن بالحكم، بيان مأخذه ووجهه، ولا يلقيه مجرداً عن الدليل والتعليل؛ لأن الله - لما بين الحكم المذكور - علله بقوله: ﴿ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ﴾. السعدي

﴿ ٣٥٧ ﴾

﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿ ٥٩ ﴾

الحجاب للقواعد

﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ العجائز من النساء اللاتي قعدن عن الحيض والولد والاستمتاع لكبرهن ﴿ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ﴾ مظهرات للزينة الخفية ﴿ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ٦٠

﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ قال ربيعة: هي التي إذا رأيتهَا تستقذرهما من كبرها.

وقال أبو عبيدة: اللاتي قعدن عن الولد، وليس ذلك بمستقيم؛ لأن المرأة تقعد عن الولد وفيها مستمتع. القرطبي
﴿يَضَعَنَّ ثِيَابَهُنَّ﴾ قال القاضي أبو يعلى: في هذه الآية دلالة على أنه يباح للعجوز كشف وجهها ويديها بين يدي الرجال، وأما شعرها، فيحرم النظر إليها كشعر الشابة. ابن الجوزي

الأكل من بيوت الأقارب من غير استئذان

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ أي: بيوت الأبناء **﴿أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾** البيوت التي وكلتم بحفظها في غيبة أصحابها **﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾** متفرقين **﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** ﴿٦١﴾

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ أي: ليس على هؤلاء جناح في ترك الأمور الواجبة التي تتوقف على واحد منها، وذلك كالجهاد ونحوه، مما يتوقف على بصر الأعمى، أو سلامة الأعرج، أو صحة للمريض، ولهذا المعنى العام الذي ذكرناه، أطلق الكلام في ذلك، ولم يقيد السعدي

﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا﴾ الآية. هذا الحرج المنفي عن الأكل من هذه البيوت، كل ذلك إذا كان بدون إذن، والحكمة فيه معلومة من السياق، فإن هؤلاء المسمين قد جرت العادة والعرف بالمساحة في الأكل منها؛ لأجل القرابة القريبة، أو التصرف التام، أو الصداقة، فلو قدر في أحد من هؤلاء عدم المساحة والشح في الأكل المذكور، لم يحز الأكل، ولم يرتفع الحرج، نظرا

للحكمة والمعنى. السعدي

﴿تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ فيها دليل على أن الأب يجوز له أن يأخذ ويتملك من مال ولده ما لا يضره، لأن الله سمى بيته بيتا للإنسان. السعدي

﴿جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ أولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله وضع الحرج عن المسلمين أن يأكلوا جميعا معا إذا شاءوا، أو أشتاتا متفرقين إذا أرادوا، وجائز أن يكون ذلك نزل بسبب من كان يتخوف من الأغنياء الأكل مع الفقير، وجائز أن يكون نزل بسبب القوم الذين ذكر أنهم كانوا لا يطعمون وحدانا، وبسبب غير ذلك. الطبري

﴿ ٣٥٨ ﴾

سورة الفرقان

سورة الفرقان، سورة مكية، فيها تركيز على قضية الانتصار للرسول بعد تناول المشركين عليه، وبيان مهمته، وجزاء من كذبه، وفي السورة بيان لصفات المؤمنين وجزائهم.

الاستئذان من الرسول ﷺ عند الأمر الجامع، وأدب مناداته

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ أمر مهم جمع لأجله المسلمون ﴿لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٦٢﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ ﴿نداءكم له بأن تقولوا: يا محمد، ولكن قولوا: يا رسول الله﴾ كدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ﴾ يخرجون خفية بغير إذن ﴿لِوَادٍ﴾ يستتر بعضهم ببعض في الخروج ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ محنة وشر وعذاب ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٦٣﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَتَوْمَ تَرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٦٤﴾

﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: قد أحاط علمه بما أنتم عليه، من خير وشر، وعلم جميع أعمالكم، أحصاها علمه، وجرى بها قلمه، وكتبها عليكم الحفظة الكرام الكاتبون. السعدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإله الخالق الحق

﴿تَبَارَكَ﴾ كثر خيره وعظمت بركته وكملت صفاته ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ القرآن الفارق بين الحق والباطل ﴿عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴿٢﴾ سواه على ما يناسب من الخلق

﴿ ٣٥٩ ﴾

من سفاهة المشركين، والرد عليهم

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً﴾ هي الأصنام ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ ﴿٣﴾ بعثًا بعد الموت ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ﴾ كذب اخترعه من عند نفسه ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ ﴿٤﴾ كذبًا شنيعًا ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أحاديثهم المسطرة في كتبهم ﴿أَكْتَتَبَهَا﴾ استنسخها محمد ﴿فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ﴿٥﴾ أول النهار وآخره

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا﴾ جاء أن النضر بن الحارث كان يقول: إن هذا القرآن ليس من الله، وإنما هو مما سطره الأولون مثل: حديث رستم وإسفنديار.

﴿أَكْتَتَبَهَا﴾ انتسخها محمد من جبر ويسار وعداس. البغوي

﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿٦﴾

﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ ﴾ أي: قل يا محمد: أنزل هذا القرآن الذي يعلم السر، فهو عالم الغيب، فلا يحتاج إلى معلم. وذكر (السر) دون الجهر؛ لأنه من علم السر فهو في الجهر أعلم. ولو كان القرآن مأخوذاً من أهل الكتاب وغيرهم لما زاد عليها، وقد جاء بفنون تخرج عنها، فليس مأخوذاً منها. وأيضاً ولو كان مأخوذاً من هؤلاء لتمكن المشركون منه أيضاً كما تمكن محمد ﷺ، فهلاً عارضوه فبطل اعتراضهم من كل وجه. القرطبي

﴿ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ إن قيل: ما مناسبة قوله: ﴿ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ لما قبله؟ فالجواب أنه لما ذكر أقوال الكفار: أعقبها بذلك، لبيان أنه غفور رحيم في كونه لم يعجل عليهم بالعقوبة، بل أمهلهم، وإن أسلموا؛ تاب عليهم وغفر لهم. ابن جزى في التسهيل. «ت».

﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾ ﴿٧﴾

﴿ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ عيروه بأكل الطعام؛ لأنهم أرادوا أن يكون الرسول ملكاً، وعيروه بالمشي في الأسواق حين رأوا الأكاسرة والقيصرة والملوك الجبابرة يترفعون عن الأسواق، وكان ﷺ يخالطهم في أسواقهم، ويأمرهم وينهاهم، فقالوا: هذا يطلب أن يتملك علينا، فماله يخالف سيرة الملوك، فأجابهم الله بقوله، وأنزل على نبيه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان: ٢٠] فلا تغتم ولا تحزن، فإنها شكاة ظاهر عنك عارها. القرطبي

﴿ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ ﴾ **بستان مشر** ﴿ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾ وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً ﴿٨﴾ أنظر كيف ضربوا لك الأمثال ﴿ قالوا في حقك الأقوال العجيبة التي تشبه في غرابتها الأمثال ﴾ فضلوا ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ ﴿٩﴾ تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنت تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً ﴿١٠﴾

السبب الحقيقي لتكذيب الكفار وبيان مآلهم

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾ نار حارة تسعر بهم

﴿ ٣٦٠ ﴾

﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ صوتًا شديدًا من شدة الغيظ ﴿وَإِذَا أَلْقَاوْا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا ﴿١٣﴾﴾ رُمُوا فِي مَكَانٍ ضَيِّقٍ ﴿مُقَرَّرِينَ﴾ قرنت أيديهم بالسلاسل إلى أعناقهم ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٤﴾﴾ هلاكًا ﴿لَّا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٥﴾﴾ ولن يجابوا فالعذاب سرمدى

مآل المؤمنين، وبراءة من عبد من دون الله ممن عبده

﴿قُلْ أَذِلَّكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ لهم فيها ما يشاءون خالدين ﴿كَانَ عَلَى رَيْكَ وَعَدًا مَّسْئُولًا ﴿١٦﴾﴾

﴿كَانَ عَلَى رَيْكَ وَعَدًا مَّسْئُولًا﴾ قيل مطلوبًا. وفي الطالب له قولان. أحدهما: أنهم المؤمنون، سألوا الله في الدنيا إنجاز ما وعدهم به. والثاني: أن الملائكة سألته ذلك لهم، وهو قوله: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾ [غافر: ٨]. وقيل: إن معنى المسؤل: الواجب. ينظر: زاد المسير

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يُنْبِئُنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ ﴿بِالنَّعِيمِ الدُّنْيَوِيِّ﴾ ﴿حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ﴾ تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾﴾ هالكين ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ كذب المعبودون العابدين ﴿بِمَا نَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا﴾ دفعًا للعذاب ﴿وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِم مِّنكُمْ نُدِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾

الرد على شبهة المشركين

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ

وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴿٢٠﴾ ابتلاء واختباراً، فالغنى فتنة للفقير يقول: مالى لا أكون مثله ونحو ذلك ﴿أَتَصِيرُونَ﴾ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

﴿ ٣٦١ ﴾

من صور تعنت الكفار

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ لا يؤمنون باليوم الآخر ﴿لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْنَا الْمَلَكِيَّةَ أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾ فيخبرنا بصدق محمد ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا﴾ تجاوزوا الحد في الطغيان ﴿عُتُوا كَبِيرًا﴾ ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَكِيَّةَ ﴿وذلك يكون عند الموت﴾ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا ﴿٢٢﴾ ﴿تقول الملائكة لهم: الجنة مكان محرم عليكم﴾ وَقَدْ مَنَّآ إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ ﴿لغير الله﴾ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً ﴿كالهباء وهو ما يرى في ضوء الشمس من خفيف الغبار﴾ مَنثورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ الْأَجْنَةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ ﴿منزلاً مريحاً﴾

﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ وهي الاستراحة نصف النهار في الحر، وأخذ من ذلك انقضاء الحساب في نصف نهار كما ورد. تفسير الجلالين * أي: مستقرهم في الجنة وراحتهم التي هي القيلولة، هو المستقر النافع، والراحة التامة؛ لاشتغال ذلك على تمام النعيم الذي لا يشوبه كدر، بخلاف أصحاب النار، فإن جهنم ساءت مستقرًا ومقيلًا، وهذا من باب استعمال أفعال التفضيل، فيما ليس في الطرف الآخر منه شيء؛ لأنه لا خير في مقيل أهل النار ومستقرهم كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]. السعدي

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ﴾ بالسحاب الأبيض الرقيق ﴿وَنُزِّلَ الْمَلَكِيَّةَ تَنْزِيلًا﴾ ﴿٢٥﴾

﴿وَنُزِّلَ الْمَلَكِيَّةَ تَنْزِيلًا﴾ قال ابن عباس: تشقق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن في الأرض من الجن والإنس، ثم تشقق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممن في السماء الدنيا، ومن الجن والإنس، ثم كذلك حتى تشقق

السماء السابعة وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء التي قبلها، ثم ينزل الكروبيون - سادة الملائكة، وهم المقربون - ثم حملة العرش. البغوي

﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ مما يرتاح له القلب، وتطمئن به النفس، وينشرح له الصدر أن أضاف الملك في يوم القيامة لاسمه (الرحمن). السعدي. «ت».

ندامة الظالم

﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾

طريقاً إلى الجنة

﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ﴾ قال ابن عباس: كان أبي بن خلف يحضر النبي ﷺ فزجره عقبة بن أبي معيط، فنزل: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾... إلى قوله ﴿خَذُولًا﴾ قال: ﴿الظَّالِمُ﴾: عقبة، و﴿فُلَانًا خَلِيلًا﴾ أبي بن خلف. الطبري

﴿يَوَلَّيْتَنِي لَمَّا أَخَذْتُ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۚ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾

الرسول ﷺ يشكو مخالفه

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾

بينا في تثبت ومهلة

﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ نقوي به قلبك فتعيه وتحمله، لأن الكتب المتقدمة أنزلت على أنبياء يكتبون ويقرؤون، والقرآن أنزل على نبي أمي، ولأن من القرآن الناسخ والمنسوخ، ومنه ما هو جواب لمن سأل عن أمور، ففرقناه ليكون أوعى للنبي ﷺ، وأيسر على العامل به، فكان كلما نزل وحي جديد زاده قوة قلب.

قلت: فإن قيل هلا أنزل القرآن دفعة واحدة وحفظه إذا كان ذلك في قدرته؟
 قيل: في قدرة الله أن يعلمه الكتاب والقرآن في لحظة واحدة، ولكنه لم يفعل ولا
 معترض عليه في حكمه، وقد بينا وجه الحكمة في ذلك. القرطبي

﴿ ٣٦٢ ﴾

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (٣٣)

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ﴾ هذا بيان الحكمة في نزول القرآن مفرقا لا جملة
 واحدة، وهو أنهم كلما جاءوا بمثل، أو عرض شبهة؛ ينزل القرآن الكريم
 بإبطال دعواهم، وتفنيد كذبهم، وإلغاء شبهتهم، وإحقاق الحق في ذلك،
 وبأحسن تفسير لما اشتبه عليهم واضطربت نفوسهم. الجزائري

﴿الَّذِينَ يَحْشُرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ
 سَبِيلًا﴾ (٣٤)

وجوب الاعتبار بالأمم السابقة

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ (٣٥) فَقُلْنَا
 أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْزَلْنَهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا
 كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا
 أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ ﴿أَصْحَابَ الْبَرْ﴾ ﴿وَقُرُونًا﴾ أَمَّا ﴿بَيْنَ﴾
 ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾

﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ الرس: بئر كانت تسمى الرس، قاله ابن عباس في رواية
 العوفي. وقال في رواية عكرمة: هي بئر بأذربيجان. وزعم ابن السائب أنها بئر
 دون اليمامة. وقال السدي: بئر بأنطاكية. ابن الجوزي
 * اسم بئر، ونبيهم قيل: شعيب، وقيل: غيره، كانوا قعودا حولها، فانهارت
 بهم وبمنازلهم. تفسير الجلالين

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ﴾ ﴿أَقَمْنَا عَلَيْهِمُ الْحَجَجَ﴾ ﴿وَكُلًّا تَبَرْنَا﴾ ﴿أَهْلَكْنَا﴾

﴿تَنْبِيْرًا ٣٩﴾ وَلَقَدْ أَنْوَأَ عَلَى الْقَرْيَةِ ﴿قرية قوم لوط﴾ ﴿الَّتِي أَمْطَرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ ﴿حجارة من السماء أهلكتهم﴾ ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَكُونُهَا بَلْ كَانُوا﴾ ﴿مُشْرِكُو مَكَّة﴾ ﴿لَا يَرْجُونَ نَشُورًا ٤٠﴾

﴿وَلَقَدْ أَنْوَأَ عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَكُونُهَا﴾ قال ابن عباس: كانت قريش في تجارتها إلى الشام تمر بمدائن قوم لوط، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ﴾ [الصافات: ١٣٧]. القرطبي

استهزاء المشركين

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا أَهْذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ٤١﴾ ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ ﴿قارب أن يصرفنا عن عبادتنا للأصنام﴾ ﴿لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَن أَضَلُّ سَبِيلًا ٤٢﴾ ﴿أَرَأَيْتَ﴾ ﴿أَخْبَرَنِي عَنْ﴾ ﴿مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ٤٣﴾ ﴿حفيظًا تمنعه من الكفر﴾

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ قال ابن عباس: كان أحدهم يعبد الحجر، فاذا رأى ما هو أحسن منه رمى به وعبد الآخر. وقال قتادة: هو الكافر لا يهوى شيئاً إلا ركه. وقال ابن قتيبة: المعنى: يتبع هواه ويدع الحق، فهو له كالإله. ابن الجوزي

﴿ ٣٦٣ ﴾

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِن هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ٤٤﴾

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ يعني أهل مكة، والمراد: يسمعون سماع طالب للإفهام، أو يعقلون ما يعاينون من الحجج والأعلام. ابن الجوزي

﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ في وجه تشبيههم بالأنعام قولان: أحدهما: أن الأنعام تسمع الصوت ولا تفقه القول. والثاني: أنه ليس لها هم إلا المأكل والمشرب.

قوله تعالى: بل هم أضل سبيلاً؛ لأن البهائم تهتدي لمراعيها، وتنقاد لأربابها، وتقبل على المحسن إليها، وهم على خلاف ذلك. ابن الجوزي

من دلائل قدرة الله ووحدانيته الموجبة لتفكر المشركين

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ بسطه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ﴾ ثابتاً مستقراً ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ﴾ لو لم تكن الشمس لما عرف الظل

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ معناه ألم تر إلى مد ربك الظل وهو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، جعله ممدوداً؛ لأنه ظل، لا شمس معه، كما قال: «(في ظل الجنة)»، ﴿ وَظِلٌّ مَمْدُودٌ ﴾ [الواقعة: ٣٠] لم يكن معه شمس. ولو شاء لجعله ساكناً، أي: دائماً ثابتاً لا يزول ولا تذهب الشمس. قال أبو عبيدة: الظل ما نسخته الشمس. وهو بالغداة، والفيء ما نسخ الشمس، وهو بعد الزوال، سمي فيئاً؛ لأنه فاء من جانب المشرق إلى جانب المغرب، ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً، يعني على الظل، ومعنى دلالتها عليه أنه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل، ولولا النور لما عرفت الظلمة، والأشياء تعرف بأضدادها. البغوي

﴿ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ ﴿٤٦﴾

﴿ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ كلما ارتفعت الشمس تقلص الظل شيئاً فشيئاً، حتى يذهب بالكلية، فتوالي الظل والشمس على الخلق الذي يشاهدونه عياناً وما يترتب على ذلك من اختلاف الليل والنهار، وتعاقبهما، وتعاقب الفصول، وحصول المصالح الكثيرة بسبب ذلك من أدل دليل على قدرة الله، وعظمته، وكمال رحمته، وعنايته بعباده. وأنه وحده المعبود المحمود المحبوب المعظم، ذو الجلال والإكرام. السعدي

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ ساتراً لكم بظلامه ﴿ وَالنَّوْمَ سُبَاتًا ﴾ راحة لأبدانكم ﴿ وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾ ﴿٤٧﴾ وقتاً للانتشار والسعي في الأرض ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ مبشرات بالرحمة وهي المطر ﴿ وَأَنْزَلْنَا

مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُخْجِيَ بِهِ بَلَدَةً مَّيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا
وَأَنَاسِي كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ ﴿قَسَمْنَاهُ عَلَى الْأَرْضِ﴾ لِيَذْكُرُوا فَأَبَتْ
أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا﴾ أي: ليدذكروا بإحياء الله الأرض الميتة أنه قادر على
إحياء الأموات، والعظام الرفات. أو: ليدكر من منع القطر أنها أصابه ذلك
بذنب أصابه، فيقلع عما هو فيه. ابن كثير
* قال ابن عباس: ما عام بأمطر من عام، ولكن الله يصرفه في الأرض. التفسير
الوسيط

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ ﴿٥١﴾ فَلَا تَطِيعُ الْكَافِرِينَ
وَجَهْدُهُمْ بِهِ ﴿بَلَّغْنَاهُمُ الْقُرْآنَ بَازِلًا وَسَعَك﴾ ﴿جَهَادًا كَبِيرًا﴾ ﴿٥٢﴾ لَا يَخَالُطُهُ
فِتْنَةٌ ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ﴾ ﴿خَلَطَ﴾ ﴿الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ ﴿شَدِيدُ الْعَذُوبَةِ﴾
﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ ﴿شَدِيدُ الْمُلُوحَةِ﴾ ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ ﴿حَاجِرًا يَمْنَعُ إِفْسَادَ أَحَدُهُمَا
لِلْآخَرِ﴾ ﴿وَحَجَرًا مَّحْجُورًا﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿سِتْرًا يَمْنَعُ وَصُولَ أَحَدِهِمَا لِلْآخَرِ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ
مِنَ الْمَاءِ﴾ ﴿مَنْى الرَّجُلَ وَالْمَرْأَةَ﴾ ﴿بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا﴾ ﴿قَرَابَةً النَّسَبِ﴾ ﴿وَصِهْرًا﴾ ﴿قَرَابَةً
الْمَصَاهِرَةِ﴾ ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ
وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴿تَابِعَا لِلشَّيْطَانِ عَلَى مَا يَسْخَطُ اللَّهُ﴾

﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: معينا للشيطان على
ربه؛ لأن عبادته الأصنام، معاونة للشيطان. والثاني: معينا للمشركين على أن لا
يوحيدوا الله تعالى. والثالث: معينا على أولياء ربه. والرابع: وكان الكافر على
ربه هينا ذليلا، من قولك: ظهرت بفلان: إذا جعلته وراء ظهره ولم تلتفت
إليه. ابن الجوزي

مهمة الرسول ﷺ دعوة الناس لربهم

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴿أَي: عَلَى

تبليغ ما أرسلت به ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ﴾ لكن من شاء، فهو استثناء منقطع ﴿أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رِبِّهِ سَبِيلًا﴾ ﴿٥٧﴾ طريقا بإنفاق ماله في مرضاته تعالى فلا أمنعه من ذلك ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بُذُوبَ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ ﴿٥٨﴾ ومن صفات الله ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ﴾ ﴿٥٩﴾ علا وارتفع استواء يليق بجلاله ﴿عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَبِيرًا﴾ ﴿٥٩﴾ وإذا قيل لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنْسَجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿بَعْدًا﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿نَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ منازل للنجوم والكواكب ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾ شمسًا مضيئة ﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ ﴿٦١﴾ وهو الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ﴿مَتَعَايِنٍ يَخْلِفُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ﴾ ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ ﴿٦٢﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ أطلال عمر صلاة الضحى فقليل له: صنعت اليوم شيئا لم تكن تصنعه، فقال: إنه بقي علي من وردي شيء وأحبيت أن أتمه. وتلا هذه الآية. الدر المنثور في التفسير بالمأثور. «ل».

من صفات المؤمنين

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ بسكينة ووقار وتواضع ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ ﴿٦٣﴾ خاطبوا الجاهل بكلام يسلمون فيه من الإثم ولم يقابلوه بجهله

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ لما ذكر جهالات المشركين وطعنهم في القرآن والنبوة ذكر عباده المؤمنين -أيضا- وذكر صفاتهم، وأضافهم إلى عبوديته تشريفا لهم، كما قال: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١]، وقد تقدم. فمن أطاع الله وعبده وشغل سمعه وبصره ولسانه وقلبه بما أمره؛ فهو الذي يستحق اسم العبودية، ومن كان بعكس هذا شمله قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ كَانُوا لَعَنَةً بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩] يعني في عدم الاعتبار. القرطبي

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ﴾ كأنه قال: وعباد الرحمن هم الذين يمشون على الأرض، فحذف هم، كقولك: زيد الأمير، أي زيد هو الأمير. القرطبي

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾ ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ ﴿٦٥﴾ ملازمًا كالغريم يلزم غريمه وهذا لمن مات كافرًا ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ يضيّقوا في النفقة ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ ﴿٦٧﴾ وسطًا

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا﴾ الإسراف مجاوزة الحد في الإنفاق، حتى يدخل في حد التبذير، والإقتار التقصير عما لا بد منه ... قال عمر بن الخطاب: كفى سرفا أن لا يشتهي الرجل شيئًا إلا اشتراه فأكله. البغوي

* فأدب الشرع فيها ألا يفرط الإنسان حتى يضيع حقا آخر، أو عيالا ونحو هذا، وألا يضيّق -أيضا- ويقتّر حتى يضيع العيال ويفرط في الشح، والحسن في ذلك هو القوام، أي العدل، والقوام في كل واحد بحسب عياله وحاله، وخفة ظهره وصبره وجلده على الكسب، أو ضد هذه الخصال، وخير الأمور أوساطها، ولهذا ترك رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق يتصدق بجميع ماله؛ لأن ذلك وسط بنسبة جلده وصبره في الدين، ومنع غيره من ذلك. ونعم ما قال إبراهيم النخعي: هو الذي لا يجمع ولا يعري، ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف. القرطبي

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ ﴿٦٨﴾ عقابًا ﴿يُضَاعَفْ لَهُ﴾ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ ﴿٦٩﴾ ذليلاً حقيراً ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿٧٠﴾

﴿قَاوَلَتِكَ يُدِلُّ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَتٍ﴾ في صحيح مسلم عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة، وآخر أهل النار خروجا منها، رجل يؤتى به يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها، فتعرض عليه صغار ذنوبه، فيقال عملت يوم كذا وكذا وكذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا وكذا وكذا، فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر، وهو مشفق في كبار ذنوبه أن تعرض عليه، فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول: يا رب قد عملت أشياء لا أراها ها هنا، فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه». القرطبي

* قال مكحول: جاء شيخ كبير هرم قد سقط حاجباه على عينيه، فقال: يا رسول الله، رجل غدر وفجر، ولم يدع حاجة ولا داجة إلا اقتطعها بيمينه، لو قسمت خطيئته بين أهل الأرض لأوبقتهم، فهل له من توبة؟ فقال له رسول الله ﷺ: «أسلمت؟» قال: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله. فقال النبي ﷺ: «فإن الله غافر لك ما كنت كذلك، ومبدل سيئاتك حسنات». فقال: يا رسول الله، وغدراي وفجراي؟ فقال: «وغدرايك وفجراتك». فولى الرجل يهمل ويكبر. ابن كثير

﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَنْوِبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ ﴿٧١﴾ ﴿رَجوعًا صحيحًا﴾
 ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ لا يشهدون بالكذب ولا يحضرون مجالس الكذب
 ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ بأهل الباطل والكلام القبيح وما لا ينفع ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ ﴿٧٢﴾
 معرضين منكربين يتنزهون عنه

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ وسماع الغناء مما هو مستقبح في أهل الدين فيدخل في معنى اللغو. ينظر: تفسير الطبري

﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ تأويل الكلام: وإذا مرّوا بالباطل، فسمعوه أو رأوه، مرّوا كراما، مرورهم كراما في بعض ذلك بأن لا يسمعوه، وذلك كالغناء. وفي بعض ذلك بأن يعرضوا عنه ويصفحوا، وذلك إذا أودوا بإسماع القبيح من القول، وفي بعضه بأن ينهوا عن ذلك، وذلك بأن يروا المنكر ما يغير بالقول

فيغيروه بالقول. وفي بعضه بأن يضاربوا عليه بالسيوف، وذلك بأن يروا قوما يقطعون الطريق على قوم، فيستصرخهم المراد ذلك منهم، فيصرخونهم، وكل ذلك مرورهم كراما. الطبرى

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿ لَمْ يَقْعُوا عَلَى الْأَرْضِ لئلا يروا ما يكرهون فتلك الحالة غاية الإعراض ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ ﴿ تَقْرَبُهُمْ عِيُونُنَا وَبِهِمْ نَأْنِسُ وَنَفْرَحُ ﴾ ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿ قدوة يقتدى بنا في الخير

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ قال الحسن البصري: أن يري الله العبد المسلم من زوجته، ومن أخيه، ومن حميمه طاعة الله. لا والله ما شيء أقر لعين المسلم من أن يرى ولدا، أو ولد ولد، أو أخا، أو حميما مطيعا لله عز وجل. ابن كثير

عاقبة أصحاب الصفات السابقة

﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ ﴾ ﴿ أعلى منازل الجنة ﴾ ﴿ بِمَا صَبَرُوا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا نَجِيَّةً وَسَلَامًا ﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿ تسليما من الملائكة وسلامة من الآفات ﴾ ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿ قُلْ مَا يَعْبُؤُكُمْ رَبِّي ﴾ ﴿ ما يكثر بكم ولا يبالي ﴾ ﴿ لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ ﴿ عبادتكم وسؤالكم إياه ﴾ ﴿ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿ عذابا ملازما لكم

﴿ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ فكأنه قال لقريش منهم: أي ما يبالي الله بكم لولا عبادتكم إياه أن لو كانت، وذلك الذي يعبأ بالبشر من أجله ... ثم يقول لقريش: فأنتم قد كذبتم ولم تعبدوه فسوف يكون التكذيب هو سبب العذاب لازما. القرطبي

سورة الشعراء

سورة الشعراء، سورة مكية، فيها التركيز على مواجهة المصرين على التكذيب

بالرسول ﷺ والوحي، وتهوين شأنهم، وبيان عاقبة المخالفين لرسولهم من الأمم السابقة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إعراض الكفار عن القرآن

﴿طَسَّرَ ١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ ﴿لَعَلَّكَ بَخِيْءٌ مُّهْلِكٌ ٣﴾ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ٤ ﴿

﴿لَعَلَّكَ بَخِيْءٌ نَفْسَكَ﴾ لا تذهب نفسك عليهم حسرات، فإن الهداية بيد الله، وقد أدبت ما عليك من التبليغ. السعدي

﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ ٥﴾ معجزة ﴿فَطَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ٦﴾ ولم يشأ الله ذلك ليظهر من لا يؤمن بالغيب

﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ ٥﴾ فَطَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿ولكن لا حاجة إلى ذلك، ولا مصلحة فيه، فإنه إذ ذاك الوقت، يكون الإيمان غير نافع، وإنما الإيمان النافع: الإيمان بالغيب. السعدي

﴿وَمَا يَأْنِيهِمْ مِّنْ ذِكْرِ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٌ ٧﴾ حديث النزول ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَتُوا ٩ ﴿عَوَاقِب ١٠﴾ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ١١ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ١٢﴾ ﴿نوع حسن نافع ١٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ١٤ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ١٥﴾

قصة موسى عليه السلام، وعاقبة فرعون وجنده

﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ اتَّبِعْ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ١٦﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَنْقُوتُونَ ١٧ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ١٨﴾

﴿إِنِّي أَخَافُ﴾ فيه دليل على أن الخوف قد يحصل مع الأنبياء، فضلا عن الفضلاء. الشوكاني
* لا بأس بإبداء التخوف عند الأقدام على الأمر الصعب، ولا يقدر في الإيمان

ولا في التوكل . الجزائري

﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ ﴿١٤﴾ بِقَتْلِ الْقَبْطِيِّ مِنْهُمْ ﴾ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ﴿١٥﴾ لَنْ يَقْتُلُوكَ ﴿١٥﴾ فَاذْهَبَا بِأَيَّتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنَىٰ إِسْرَءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾

﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا ﴾ كان بين خروج موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين قتل القبطي وبين رجوعه نبيا أحد عشر عاما غير أشهر . القرطبي
﴿ وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ أي : ثلاثين سنة . الجزائري

﴿ وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ أَلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿١٩﴾ الجاحدين لنعمتي
عليك بالتربية

﴿ ٣٦٧ ﴾

﴿ قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ ﴿٢٠﴾ قبل نزول الوحي علي

﴿ قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ بين له موسى ، أن قتله كان على وجه الضلال والخطأ ، الذي لم يقصد نفس القتل ، وأن فضل الله تعالى غير ممنوع منه أحد ، فلم منعتم ما منحني الله ، من الحكم والرسالة ؟ السعدي

﴿ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا ﴾ النبوة ﴿٢١﴾ وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدَتْ بَنَىٰ إِسْرَءِيلَ ﴿٢٢﴾ جعلتهم عبيداً

﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدَتْ بَنَىٰ إِسْرَءِيلَ ﴾ قيل : هو من موسى على جهة الإنكار ، أي : أتمن علي بأن ربيتني وليدا ، وأنت قد استعبدت بني إسرائيل ، وقتلتهم وهم قومي ؟ ... وفيه تبكيت للمخاطب على معنى : أنك لو كنت لا تقتل أبناء بني إسرائيل ، لكانت أُمي مستغنية عن قذفي في اليم ، فكأنك تمن علي ما كان بلاؤك سببا له . الشوكاني

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَنْ اتَّخَذَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾

﴿قَالَ لَنْ اتَّخَذَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ قال الكلبي: كان سجنه أشد من القتل؛ لأنه كان يأخذ الرجل فيطرحه في مكان وحده فردا لا يسمع، ولا يبصر فيه شيئا من عمقه، يهوي به في الأرض. البغوي

* لما انقطع فرعون لعنه الله في باب الحجة رجع إلى الاستعلاء والتغلب، فتوعد موسى بالسجن، ولم يقل ما دليلك على أن هذا الإله أرسلك؛ لأن فيه الاعتراف بأن ثم إلها غيره. وفي توعدده بالسجن ضعف. القرطبي

﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٠) ﴿برهان بين على رسالتي﴾ ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٣١)

إظهار موسى عليه السلام للمعجزات

﴿فَأَتَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ (٣٢) ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ ﴿أَخْرَجَهَا مِنْ جِيبِهِ﴾ ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ﴾ (٣٣) ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ (٣٤) ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (٣٥)

﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ أي: ما رأيكم فيه، وما مشورتكم في مثله؟ فأظهر لهم الميل إلى ما يقولونه؛ تألفا لهم، واستجلابا لمودتهم؛ لأنه قد أشرف ما كان فيه من دعوى الربوبية على الزوال، وقارب ما كان يغرر به عليهم الاضمحلال، وإلا فهو أكبر تيتها، وأعظم كبرا من أن يخاطبهم مثل هذه المخاطبة المشعرة بأنه فرد من أفرادهم، وواحد منهم، مع كونه قبل هذا الوقت يدعي أنه إلههم، ويدعون له بذلك ويصدقونه في دعواه.

الشوكاني

﴿ قَالُوا أَرْجَاهُ وَأَخَاهُ ﴾ ﴿ أَمْرُهُمَا ﴾ ﴿ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ ﴿ ٣٦ ﴾ ﴿ جُنُودًا يَجْمَعُونَ السَّحَرَةَ ﴾ ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾ ﴿ ٣٧ ﴾ ﴿ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ ﴿ ٣٨ ﴾ ﴿ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴾ ﴿ ٣٩ ﴾

﴿ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴾ قالوا للناس: اجتمعوا لتنظروا غلبة السحرة لموسى، وأنهم ماهرون في صناعتهم، فتبعهم، ونعظمهم، ونعرف فضيلة علم السحر، فلو وفقوا للحق، لقالوا: لعنا نتبع المحق منهم، ولنعرف الصواب. السعدي

﴿ ٣٦٨ ﴾

﴿ لَعَلَّنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴾ ﴿ ٤٠ ﴾

سحرة فرعون، وإيمانهم بعد بطلان سحرهم

﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَأَجْرَاءُ لَكَ أَنْتَ نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ ﴿ ٤١ ﴾ ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ ﴿ ٤٢ ﴾ ﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَقْبُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴾ ﴿ ٤٣ ﴾ ﴿ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعَصِيَّتَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ ﴾ ﴿ ٤٤ ﴾ ﴿ أَقْسَمُوا بِعِزَّتِهِ وَقُوَّتِهِ ﴾ ﴿ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾ ﴿ ٤٤ ﴾

﴿ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعَصِيَّتَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾ أرادوا بذلك إلقاء الخوف في نفس موسى؛ ليكون ما سيلقيه في نوبته عن خور نفس؛ لأنهم يعلمون أن العزيمة من أكبر أسباب نجاح السحر وتأثيره على الناظرين. ابن عاشور في التحرير والتنوير. «ت».

﴿ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ ﴾ ﴿ تَبْتَلِعُ بِسَرْعَةٍ ﴾ ﴿ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ ﴿ ٤٥ ﴾ ﴿ مَا يَفْعَلُونَهُ مِنَ الْكُذْبِ وَالتَّزْوِيرِ ﴾ ﴿ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴾ ﴿ ٤٦ ﴾ ﴿ قَالُوا أَمَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ ٤٧ ﴾ ﴿ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ ﴿ ٤٨ ﴾ ﴿ لَعَلَّهُمْ بَأْسٌ مَا شَاهَدُوهُ مِنَ الْعَصَا لَا يَتَأْتَى بِالسَّحَرِ ﴾ ﴿ ٤٩ ﴾ ﴿ قَالَ أَمْسِرْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَعِزَّ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا قُطْعَانَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ ﴾ ﴿ بَقِطْعِ الْيَدِ الْيُمْنَى وَالرَّجْلِ الْيُسْرَى أَوْ عَكْسَ ذَلِكَ ﴾ ﴿ وَلَا صِلَبَتَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿ ٤٩ ﴾ ﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ ﴾ ﴿ لَا ضَرَرَ ﴾ ﴿ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُتَقَلِّبُونَ ﴾ ﴿ ٥٠ ﴾ ﴿ رَاجِعُونَ ﴾ ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ ٥١ ﴾

نَجَاةُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ مَعَهُ، وَهَلَكَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ مَعَهُ

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٰ إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَلَأَيْنِ حَاشِرَيْنِ ﴿٥٣﴾ جَامِعِينَ لِلْجَيْشِ مِنَ الْمَدَائِنِ ﴿٥٤﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ ﴿٥٥﴾ طَائِفَةٌ حَقِيرَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ ﴾ قال الزجاج: والشرذمة في كلام العرب: القليل. قال المفسرون: وكانوا ستمائة ألف، وإنما استقلهم بالإضافة إلى جنده، وكان جنده لا يحصى. ابن الجوزي

﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ مما عسى أن يكون منهم ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ ﴿٥٨﴾ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ منازل حسان

﴿ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ ذكر بعضهم: أنه كان إذا قعد فرعون على سريريه وضع بين يديه ثلاثمائة كرسي من ذهب، يجلس عليها الأشراف، عليهم الأقبية من الديباج، مخصوصة بالذهب. البغوي

﴿ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ وقت شروق الشمس

﴿ ٣٦٩ ﴾

﴿ فَلَمَّا تَرَىٰ الْجَمْعَانِ ﴿٦١﴾ رَأَىٰ كُلُّ فَرِيقٍ الْآخَرَ ﴿٦٢﴾ ﴾ قَالَ أَصْحَبُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمَذْكُونُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرِيقٍ ﴿٦٣﴾ قِطْعَةً مِنَ الْبَحْرِ ﴿٦٤﴾ كَالطُّوْدِ ﴿٦٥﴾ كَالْجَبَلِ ﴿٦٦﴾ الْعَظِيمِ ﴿٦٧﴾ ﴾

﴿ فَكَانَ كُلُّ فَرِيقٍ ﴾ قال ابن عباس: صار البحر اثني عشر طريقا، لكل سبط طريق. ابن كثير

﴿ وَأَزَلَمُنَا ثُمَّ ﴾ وقربنا هناك ﴿ الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ فرعون وجنوده ظانين أن الطريق سالك ﴿ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ فرعون وقومه ﴿ ٦٧ ﴾

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾

قصة إبراهيم عليه السلام، وعاقبة المكذبين في الآخرة

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا عَنكِفِينَ ﴿٧١﴾﴾ ﴿مقيمين على عبادتها﴾ ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾ ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾ نزعوا إلى التقليد من غير حجة ولا دليل. القرطبي

﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ ﴿٧٥﴾ أَبْصَرْتُمْ بَتَدْبِيرِ ﴿٧٦﴾﴾ ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾﴾ ﴿أَنْتُمْ وَعِبَادُكُمْ﴾ ﴿الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾﴾ ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ﴾ إن قيل: وكيف يوصف الخشب والحديد والنحاس بعبادة ابن آدم؟ فالجواب أن معنى ذلك: فإنهم عدو لي لو عبدتهم يوم القيامة، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾﴾ ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١-٨٢]. تفسير الطبري

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾﴾ ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾﴾

﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ أي: يرزقني. ودخول (هو) تنبيه على أن غيره لا يطعم ولا يسقي. القرطبي

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾ أضاف المرض إلى نفسه، وإن كان المرض والشفاء كله من الله، استعمالا لحسن الأدب، كما قال الخضر: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]، وقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢]. البغوي

﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾ ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ ﴿٨٢﴾

﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ قال الزجاج: الأنبياء بشر فيجوز أن تقع منهم الخطيئة، نعم لا تجوز عليهم الكبائر؛ لأنهم معصومون

عنها. القرطبي

* في صحيح مسلم عن عائشة، قالت: قلت: يا رسول الله: ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذلك نافعه؟ قال: «لا ينفعه؛ إنه لم يقل يوما: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين». القرطبي، والحديث في مسلم.

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا ﴾ ﴿ عَلِيمًا وَفَهُمَا ﴾ ﴿ وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ ﴿ ٨٣ ﴾

﴿ ٣٧٠ ﴾

﴿ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ ﴾ ﴿ ثَنَاءً حَسَنًا ﴾ ﴿ فِي الْآخِرِينَ ﴾ ﴿ ٨٤ ﴾ ﴿ مِنْ يَأْتُونَ بَعْدِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ﴿ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ ﴿ ٨٥ ﴾ ﴿ وَأَغْفِرْ لِأَيِّئِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ ﴿ ٨٦ ﴾ ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ ﴿ ٨٧ ﴾ ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ ﴿ ٨٨ ﴾ ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ ﴿ ٨٩ ﴾ ﴿ سَالِمٍ مِنَ الشَّرِكِ وَالنَّفَاقِ وَالضَّغِينَةِ فَإِنَّهُ يَتَنَفَعُ بِمَا لَهُ الَّذِي أَنْفَقَهُ وَأَبْنَاءَهُ الَّذِينَ يَدْعُونَ لَهُ ﴾ ﴿ وَأُزْلِفَتْ ﴾ ﴿ قُرْبَتِ ﴾ ﴿ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿ ٩٠ ﴾ ﴿ وَرُزِزَتْ ﴾ ﴿ أَظْهَرَتْ ﴾ ﴿ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ ﴿ ٩١ ﴾ ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ ﴿ ٩٢ ﴾ ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصَرُونَ ﴾ ﴿ ٩٣ ﴾ ﴿ فَكُفُّوا ﴾ ﴿ فَبْجَمِعُوا وَالْقُوا ﴾ ﴿ فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾ ﴿ ٩٤ ﴾ ﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ ﴿ ٩٥ ﴾ ﴿ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴾ ﴿ ٩٦ ﴾ ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ﴿ ٩٧ ﴾ ﴿ إِذْ نُسَوِّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ ٩٨ ﴾ ﴿ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْأَلْمُجْرُمُونَ ﴾ ﴿ ٩٩ ﴾ ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴾ ﴿ ١٠٠ ﴾ ﴿ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ ﴿ ١٠١ ﴾ ﴿ مَشْفُقٍ يَهْتَمُّ بِأَمْرِنَا ﴾ ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾ ﴿ رَجَعَةَ إِلَى الدُّنْيَا ﴾ ﴿ فَكَفُونا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ ١٠٢ ﴾ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ ١٠٣ ﴾ ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿ ١٠٤ ﴾

قصة نوح عليه السلام، وعاقبة المكذبين

﴿ كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿ ١٠٥ ﴾

﴿ كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿ جعل تكذيب نوح كتكذيب جميع المرسلين؛ لأنهم كلهم اتفقوا على دعوة واحدة، وأخبار واحدة، فتكذيب أحدهم تكذيب بجميع ما جاءوا به من الحق. السعدي

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ ﴾ ﴿ الَّذِي يَعْرِفُونَ سِيرَتَهُ ﴾ ﴿ نُوحُ أَلَا تَنْقُونَ ﴾ ﴿ ١٠٦ ﴾ ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾

﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١١٠﴾ ﴿١١١﴾ الضعفة من الناس

﴿ ٣٧١ ﴾

﴿١١٢﴾ قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٣﴾ لَوْ تَشْعُرُونَ مَا قَلْتُمْ ذَلِكَ ﴿١١٤﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٥﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٦﴾ الْقَتُولِينَ رَمِيًا بِالْحِجَارَةِ ﴿١١٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٨﴾ فَأَنْتُمْ ﴿١١٩﴾ فَاحْكُم بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَبِحُجَّتِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكَ الْمَشْحُونِ ﴿١٢١﴾ الْمَمْلُوءِ بِالنَّاسِ وَالِدُوبَابِ وَالْمَتَاعِ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ ﴿١٢٤﴾ لَعِبْرَةٌ ﴿١٢٥﴾ وَمَا كَانَتْ أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢٦﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٧﴾

قصة هود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعاقبة المكذبين

﴿١٢٨﴾ كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٩﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٣٠﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٣١﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣٢﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٣﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ﴿١٣٤﴾ مَكَانٍ مَرْتَفِعٍ ﴿١٣٥﴾ آيَةً ﴿١٣٦﴾ بِنَاءً عَالِيًا ﴿١٣٧﴾ نَعْبَثُونَ ﴿١٣٨﴾ بِلَا فَائِدَةٍ تَسْتَفِيدُونَ مِنْهَا ﴿١٣٩﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ ﴿١٤٠﴾ قُصُورًا مَنِيعَةً وَحِصُونًا مَشِيدَةً ﴿١٤١﴾ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٤٢﴾

﴿١٤٣﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ ﴿١٤٤﴾ الْمَصَانِعَ جَمْعُ مَصْنَعَةٍ، والعرب تسمي كل بناء مصنعة، وجائز أن يكون ذلك البناء كان قصورًا وحصونا مشيدة، وجائز أن يكون كان مأخذ للماء. الطبري

﴿١٤٥﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٤٦﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٧﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٤٨﴾ أَمَدَّكُمْ ﴿١٤٩﴾ أَعْطَاكُمْ وَأَنْعَمَ عَلَيْكُمْ ﴿١٥٠﴾ بِأَنْعَمٍ وَبَيْنَ ﴿١٥١﴾ وَجَنَّتْ وَعُيُونُ ﴿١٥٢﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٣﴾ قَالُوا سَوَاءٌ ﴿١٥٤﴾ يَسْتَوِي عِنْدَنَا ﴿١٥٥﴾ عَلَيْنَا أَوْعَظْتَ ﴿١٥٦﴾ أَخَوْفُ؟ ﴿١٥٧﴾ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٥٨﴾

﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقٌ﴾ **دين وعادة** ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ **﴿١٣٧﴾** وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴿لَعِبْرَةً﴾ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾

قصة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ وعاقبة المكذبين

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ **﴿١٤١﴾** إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُرْكُونَ فِي مَا هَاهُنَا ﴿أَي: أَتَطْمَعُونَ أَنْ تتركوا في هذا النعيم﴾ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعَتْ هَاضِمٌ ﴿١٤٨﴾ ثَمَرَهَا يَنْعَمُونَ ﴿١٤٩﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ مَا هَرَيْنَ بَنَحْتَهَا

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾ كانوا يتخذون تلك البيوت المنحوتة في الجبال أشرا وبطرا وعبثا، من غير حاجة إلى سكناها، وكانوا حاذقين متقنين لنحتها ونقشها، كما هو المشاهد من حالهم لمن رأى منازلهم. ابن كثير

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ **﴿١٥٠﴾** وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ **﴿المتعدين في معصية الله﴾** ﴿الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ **﴿١٥٢﴾** قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ **﴿المنكسرين﴾** **﴿١٥٤﴾** قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ هَآ شَرِبُ ﴿نصيب من الماء﴾ وَلَكُمْ شَرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا ﴿فَنَحَرُوهَا﴾ فَأَصْبَحُوا نَدِيمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

قصة لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعاقبة المكذبين

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ **﴿١٦٠﴾** إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾

﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ لُوطٌ﴾ هذه أخوة الوطن لا غير، إذ لوط بابلي الموطن، ودينه الإسلام، وأبوه هاران -أخو إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام-، وإنما لما أرسل لوط إلى أهل هذه البلاد، وسكن معهم، قيل لهم أخوهم بحكم المعاشرة والمواطنة الحاصلة. الجزائري

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴿متجاوزون ما أباحه الله لكم من الحلال إلى الحرام﴾ ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ ﴿١٦٧﴾ ﴿المطرودين من بلادنا﴾ ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ ﴿١٦٨﴾ ﴿المبغضين الهاجرين﴾ ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٦٩﴾ فَنجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ﴿الباقين في العذاب﴾ ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ ﴿١٧٣﴾ فَقَبْحَ ﴿١٧٤﴾ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٦﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٧﴾

قصة شعيب عَلَيْهِ السَّلَام، وعاقبة المكذبين

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ أصحاب الأرض ذات الشجر الملتف ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ﴾ هؤلاء -أعني أصحاب الأيكة- هم أهل مدين على الصحيح. وكان نبي الله شعيب من أنفسهم، وإنما لم يقل هنا أخوهم شعيب؛ لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة... فقطع نسبة الأخوة بينهم؛ للمعنى الذي نسبوا إليه، وإن كان أخاهم نسبا. ومن الناس من لم يتفطن لهذه النكتة، فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين، فزعم أن شعيبا عَلَيْهِ السَّلَام، بعثه الله إلى أمتين، ومنهم من قال: ثلاث أمم. ابن كثير

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ ﴿١٨١﴾

المنقصين لحقوق الناس ﴿ ١٨٢ ﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ ﴿ ١٨٣ ﴾ الْمُسْتَقِيمِ ﴿ ١٨٤ ﴾ العدل
السوى ﴿ ١٨٥ ﴾ وَلَا تَبْخَسُوا ﴿ ١٨٦ ﴾ لَا تَنْقُصُوا ﴿ ١٨٧ ﴾ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا ﴿ ١٨٨ ﴾ لَا تَكْثُرُوا الفساد
﴿ ١٨٩ ﴾ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿ ١٩٠ ﴾

﴿ ٣٧٤ ﴾

﴿ ١٩١ ﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِلَّةَ الْأُولَى ﴿ ١٩٢ ﴾ وَخَلَقَ الْخَلِيقَةَ وَالْأُمَمَ الْمَاضِينَ ﴿ ١٩٣ ﴾
قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿ ١٩٤ ﴾ مِنْ أَصَابِهِمْ سِحْرٌ شَدِيدٌ فَذَهَبَ بِعَقُولِهِمْ ﴿ ١٩٥ ﴾ وَمَا
أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لِمَنِ الْكَذِبِينَ ﴿ ١٩٦ ﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا ﴿ ١٩٧ ﴾ قِطْعًا
مِنَ الْعَذَابِ ﴿ ١٩٨ ﴾ مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿ ١٩٩ ﴾ قَالَ رَبِّ أَعْلَمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿ ٢٠٠ ﴾
فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴿ ٢٠١ ﴾ سَحَابَةٌ أَظْلَمَتْهُمْ وَجَدُوا تَحْتَهَا بَرْدًا فَلَمَّا
اجْتَمَعُوا أَحْرَقَتْهُمْ بَنَارُهَا ﴿ ٢٠٢ ﴾ إِنَّهُ كَانَ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿ ٢٠٣ ﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿ ٢٠٤ ﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿ ٢٠٥ ﴾

الوحي

﴿ ٢٠٦ ﴾ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ ٢٠٧ ﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿ ٢٠٨ ﴾ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ ٢٠٩ ﴾ عَلَى
قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿ ٢١٠ ﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿ ٢١١ ﴾

﴿ ٢١٢ ﴾ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ ٢١٣ ﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿ ٢١٤ ﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿ ٢١٥ ﴾
﴿ ٢١٦ ﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿ ٢١٧ ﴾ تأمل كيف اجتمعت هذه الفضائل الفاخرة في هذا
الكتاب الكريم، فإنه أفضل الكتب، نزل به أفضل الملائكة، على أفضل الخلق،
على أفضل بضعة فيه وهي قلبه، على أفضل أمة أخرجت للناس، بأفضل
الأسنة وأفصحها، وأوسعها، وهو: اللسان العربي المبين. السعدي

﴿ ٢١٨ ﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأُولَى ﴿ ٢١٩ ﴾ كَتَبَ الْأَنْبِيَاءُ السَّابِقَةَ بَشَّرَتْ بِالْقُرْآنِ ﴿ ٢٢٠ ﴾ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ
آيَةٌ ﴿ ٢٢١ ﴾ لِكُفَارِ مَكَّةَ عَلَامَةً عَلَى صَحْةِ نَبِيِّكَ ﴿ ٢٢٢ ﴾ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَوُا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿ ٢٢٣ ﴾ مِثْلَ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ﴿ ٢٢٤ ﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿ ٢٢٥ ﴾ الَّذِينَ لَا يَتَكَلَّمُونَ الْعَرَبِيَّةَ ﴿ ٢٢٦ ﴾
فَفَقَرَاهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿ ٢٢٧ ﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ ﴿ ٢٢٨ ﴾ أَدْخَلْنَا التَّكْذِيبَ ﴿ ٢٢٩ ﴾ فِي
قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿ ٢٣٠ ﴾

﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: أدخلنا التكذيب، وأنظمناه في قلوب أهل الإجمام، كما يدخل السلك في الإبرة، فتشربته، وصار وصفها، وذلك بسبب ظلمهم وجرمهم. السعدي

﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (٢٠١) ﴿فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢٠٢) ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ (٢٠٣) ﴿ممهلون مؤخرون﴾ ﴿أَفِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ (٢٠٤)

الإمهال لا ينفع الكثير

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ (٢٠٥) ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (٢٠٦)

﴿ ٣٧٥ ﴾

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ﴾ (٢٠٧)

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ﴾ أي: أي شيء أغنى عنهم التأخير الذي أخرنا في آجالهم، والمتاع الذي متعناهم به من الحياة، إذ لم يتوبوا من شركهم، هل زادهم تمتعنا إياهم ذلك إلا خبالاً؟، وهل نفعهم شيئاً؟، بل ضرهم بازديادهم من الآثام، واكتسابهم من الإجمام ما لو لم يمتعوا لم يكتسبوه. الطبري

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ﴾ عن الزهري أن عمر بن عبد العزيز كان إذا أصبح أمسك بلحيته ثم قرأ: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ (٢٠٥) ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (٢٠٦) ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧] ثم يبكي ويقول:

نهارك يا مغرور سهو وغفلة
وليلك نوم والردى لك لازم
فلا أنت في الأيقاظ يقظان حازم
ولا أنت في النوام ناج فسالـم
تسر بما يفنى وتفرح بالمنى

كما سر باللذات في النوم حالم
وتسعى، إلى، ما سوف تكره غبه
كذلك في الدنيا تعيش البهائم

القرطبي

﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴾ (٢٠٨) ﴿ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ (٢٠٩)

لا علاقة للشياطين بالوحي

﴿ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴾ (٢١٠) ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ (٢١١)

﴿ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴾ لما بين تعالى كمال القرآن وجلالته، نزله عن كل صفة نقص، وحماه - وقت نزوله، وبعد نزوله - من شياطين الجن والإنس، فقال: ﴿ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴾ (٢١٠) ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ ﴾ أي: لا يليق بحالهم ولا يناسبهم ﴿ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ ذلك. السعدي

﴿ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ ﴾ استماع القرآن من السماء ﴿ لَمَعَزُولُونَ ﴾ (٢١٢) ﴿ لمحبوبون مرجومون بالشهب ﴾ ﴿ فَلَا نَذْرَ مَعَ اللَّهِ إِلَهَاءَ آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴾ (٢١٣) ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (٢١٤)

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ قال ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: لما نزلت: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾، صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي» - لبطن قريش - حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً؛ لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «أرأيتمكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكتتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعنا؟ فنزلت: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ (١) ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ [المسد: ١-٢] متفق عليه.

﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ ﴾ ﴿ أَلَنْ جَانِبِكَ وَكَلَامِكَ تَوَاضَعًا ﴾ ﴿ لَمَنْ أُنْبِعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢١٥) ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنْ بَرِئْتُ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢١٦) ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْغَزِيِّزِ الرَّحِيمِ ﴾ (٢١٧)

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ التوكل هو اعتماد القلب على الله تعالى، في جلب المنافع، ودفع المضار، مع ثقته به، وحسن ظنه بحصول مطلوبه، فإنه عزيز رحيم، بعزته يقدر على إيصال الخير، ودفع الشر عن عبده، وبرحمته به، يفعل ذلك. السعدي

﴿ الَّذِي يَرِنُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ (٢١٨) ﴿ تصلي الليل وحدك ﴾ ﴿ وَتَقَبَّلَكَ فِي السَّجْدَيْنِ ﴾ (٢١٩) ﴿ صلاتك مع المصلين ﴾ ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٢٢٠) ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَا تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ ﴾ (٢٢١) ﴿ تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ ﴾ ﴿ كَذَابٌ ﴾ ﴿ أَثِيمٌ ﴾ ﴿ كثير الآثام ﴾ (٢٢٢) ﴿ يُلْقُونَ السَّمْعَ ﴾ ﴿ يلقون إلى الكهان ما يسترقون من الملاء الأعلى ﴾ ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ كَذِبُونَ ﴾ (٢٢٣) ﴿ إن صدقوا في واحدة كذبوا في مائة ﴾

﴿ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَذِبُونَ ﴾ يضمنون إلى المسموع كذبا كثيرا وكان هذا قبل أن حجب الشياطين عن السماء. تفسير الجلالين

﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ (٢٢٤)

﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ قال أبو عمر: ولا ينكر الحسن من الشعر أحد من أهل العلم، ولا من أولي النهى، وليس أحد من كبار الصحابة وأهل العلم وموضع القدوة إلا وقد قال الشعر، أو تمثل به، أو سمعه ... ما كان حكمة أو مباحا، ولم يكن فيه فحش، ولا خنا، ولا لمسلم أذى. القرطبي

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ ﴾ ﴿ فن من فنون الباطل والكذب ﴾ ﴿ يَهيمُونَ ﴾ (٢٢٥) ﴿ يخوضون ﴾ ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٢٢٦)

﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ أي: هذا وصف الشعراء، أنهم تخالف أقوالهم أفعالهم، فإذا سمعت الشاعر يتغزل بالغزل الرقيق، قلت: هذا أشد الناس غراما، وقلبه فارغ من ذاك، وإذا سمعته يمدح أو يذم، قلت: هذا صدق، وهو كذب، وتارة يتمدح بأفعال لم يفعلها، وتروك لم يتركها، وكرم لم يحم حول ساحته، وشجاعة يعلو بها على الفرسان، وتراه أجبن من كل جبان، هذا وصفهم. السعدي

﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْنَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ ﴾ مرجع ﴿يَنْقَلِبُونَ﴾ ﴿٢٢٧﴾

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ روي عن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله:

فبتن بجـانبي مصـرعات

وبت أفض أغلاق الختام

فقال: قد وجب عليك الحد. فقال: يا أمير المؤمنين قد درأ الله عني الحد بقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾. القرطبي

﴿ ٣٧٦ ﴾

سورة النمل

سورة النمل، سورة مكية ، فيها الامتنان على النبي ﷺ بالوحي، وحال من آمن بالرسول، وحال من لم يتمسك بركب الإيثار، وفيها شيء من مظاهر الخلق الدالة على الوحدةانية، وشيء من مشاهد القيامة، وفيها جملة من التوجيهات والعبر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القرآن هدى للمؤمنين، ونذير للكافرين

﴿طَسَّ تِلْكَ ءَايَتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿١﴾

﴿تِلْكَ ءَايَتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ أي: هي أعلى الآيات، وأقوى البينات، وأوضح الدلالات، وأبينها على أجل المطالب، وأفضل المقاصد. السعدي

﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ يترددون في أعمالهم القبيحة متحيرين ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسُونَ﴾ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتَلْقَىٰ لَتَلْقَىٰ ﴿الْقُرْآنُ مِنْ لَدُنِّ﴾ أي: من عند ﴿حَكِيمٍ﴾

عَلِيمٍ ﴿٦﴾

رسالة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وكفر فرعون

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ ﴾ عند مسيره من مدين إلى مصر ﴿ إِنِّي ءَانَسْتُ ﴾ أبصرت ﴿ نَارًا ﴾ سَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ ﴿ عن الطريق ﴾ أَوْ ءَاتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ ﴿ بشعلة نار ﴾ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ تستدفئون بها من البرد

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا سَاتِيكُمْ بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ ﴾ هذا دليل على أنه تائه، ومشتد برده، هو وأهله. السعدي

﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ ﴾ قدس الله المكان وطهره وباركه فجعله موضعًا للتكليم ﴿ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ ﴾ تنزيهاً لله ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٨﴾ يَمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقَىٰ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ ﴿ تتحرك في خفة ﴾ كَأَنَّهُا جَانٌّ ﴿ حية ﴾ وَلَىٰ مُدِيرٌ ﴿ هارباً ﴾ وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴿ يرجع على عقبه ﴾ يَمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾

﴿ وَأَلْقَىٰ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهُ جَانٌّ ﴾ يقول: كأنها حية عظيمة، والجان: جنس من الحيات معروف. الطبري

﴿ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ﴾ لكن من ظلم نفسه ﴿ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴿ فتحة القميص التي يدخل منها الرأس ﴾ تَخْرُجْ بِيضَاءً مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴿ من غير برص ﴾ فِي تِسْعِ ءَايَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَتُنَا ﴿ معجزاتنا ﴾ مُبْصِرَةٌ ﴿ ظاهرة بينة ﴾ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ واضح بين

﴿ ٣٧٧ ﴾

﴿ وَجَحِّدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنْتَهَا أَنْفُسُكُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ تكبراً ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ﴿١٤﴾

﴿ وَجَحِّدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنْتَهَا أَنْفُسُكُمْ ﴾ أي: ليس جحدهم مستنداً إلى الشك

والريب، وإنما جردهم مع علمهم ويقينهم بصحتها. السعدي

النعمة على داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بالرسالة

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٥) ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ ﴿خلف أباه في النبوة والعلم والملك﴾ ﴿وَقَالَ يَتَائِفُ النَّاسُ عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ (١٦)

﴿عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ قال كعب : صاح ورشان عند سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنها تقول: لدوا للموت وابنوا للخراب. البغوي

﴿وَحُشِرَ﴾ ﴿جمع﴾ ﴿لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (١٧) ﴿يساقون بنظام﴾ ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَتَائِفُهَا النَّمْلُ أَدْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ ﴿لا يهلكنكم﴾ ﴿سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٨)

﴿وَادِ النَّمْلِ﴾ قد ألهم الله النمل كثيرا من مصالحها تزيد به على الحيوانات، فمن ذلك أنها تكسر كل حبة تدخرها قطعتين لثلاث تنبت، إلا الكزبرة فإنها تكسرها أربع قطع، لأنها تنبت إذا كسرت قطعتين، فسبحان من ألهمها هذا! ابن الجوزي

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ نصحت هذه النملة، وأسمعت النمل إما بنفسها، ويكون الله قد أعطى النمل أسماعا خارقة للعادة، لأن التنبيه للنمل الذي قد ملأ الوادي بصوت نملة واحدة من أعجب العجائب. وإما بأنها أخبرت من حولها من النمل، ثم سرى الخبر من بعضهن لبعض حتى بلغ الجميع، وأمرتهن بالحدز، والطريق في ذلك وهو دخول مساكنهن. السعدي

﴿فَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ ﴿ألهمني﴾ ﴿أَن أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي وَأَن أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٩) ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ (٢٠)

﴿وَنَقَّذَ الطَّيْرَ﴾ في هذه الآية دليل على تفقد الإمام أحوال رعيته، والمحافظة عليهم. فانظر إلى الهدهد مع صغره كيف لم يخف على سليمان حاله، فكيف بعظام الملك. ويرحم الله عمر فإنه كان على سيرته، قال: لو أن سخلة على شاطئ الفرات أخذها الذئب ليسأل عنها عمر. القرطبي

﴿لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنَّ بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢١﴾ ﴿حجة ظاهرة

﴿لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ العذاب هنا فيه أقوال، منها: أن يفرق بينه وبين إلفه. زاد المسير بتصرف.

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ بقى زمنا غير طويل ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ﴾ ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ﴾ مدينة باليمن ﴿بَنِيَّ يَقِينٍ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿خبر صادق لا شك فيه

﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ﴾ في هذا رد على من قال: إن الأنبياء تعلم الغيب. القرطبي

* وفي الآية دليل على أن الصغير يقول للكبير والمتعلم للعالم: عندي ما ليس عندك، إذا تحقق ذلك وتيقنه. هذا عمر بن الخطاب مع جلالته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعلمه لم يكن عنده علم بالاستئذان، وكان علم التيمم عند عمار وغيره، وغاب عن عمر وابن مسعود حتى قالوا: لا يتيمم الجنب.. الخ. القرطبي

﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ﴾ قال الزجاج: سبأ اسم مدينة تعرف بمأرب اليمن، بينها وبين صنعاء ثلاثة أيام... وأقول: لا شك أن سبأ اسم لمدينة باليمن كانت فيها بلقيس، وهو أيضا اسم رجل من قحطان! وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود، ولكن المراد هنا أن الهدهد جاء إلى سليمان بخبر ما عاينه في مدينة سبأ مما وصفه. الشوكاني

﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ **سرير**

﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً﴾ كان اسمها بلقيس بنت شراحيل، من نسل يعرب بن قحطان، وكان أبوها ملكا عظيم الشأن، قد ولد له أربعون ملكا وكان يملك أرض اليمن كلها ... وكانت بأرض يقال لها: مأرب. ينظر تفسير القرطبي وتفسير البغوي

﴿تَمْلِكُهُمْ﴾ قد يذكر في القصة ما هو محرم، ولا ينص على تحريم الفعل؛ كما ورد في قصة يوسف من بيع إخوة يوسف له، وهذا بيع للحر ولم ينص الله في القصة على تحريم ذلك، وكذلك الاستدلال بقصة بلقيس في سورة النمل على تولية المرأة. ينظر: آيات العقيدة المتوهم إشكالها، للعامر.

* روى البخاري من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ لما بلغه أن أهل فارس قد ملكوا بنت كسرى قال: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» ... وقد روي عن عمر أنه قدم امرأة على حبة السوق. ولم يصح، فلا تلتفتوا إليه، فإنما هو من دسائس المبتدعة في الأحاديث. القرطبي

﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ قال الزجاج: معناه: من كل شيء يعطاه الملوك ويؤتاه الناس. والعرش: سرير الملك. ابن الجوزي

﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ **زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ ذَلِكَ لِنَلَا يَسْجُدُوا** ﴿لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ **المخبوء المستور** ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ ﴿٢٥﴾

﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ أي: يخرج خباء الأرض والسماء بإنزال المطر وإنبات النباتات، ويخرج خباء الأرض عند النفخ في الصور، وإخراج الأموات من الأرض ليجازيهم بأعمالهم. السعدي

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ

مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ ﴿٢٨﴾ تَنَحَّ عَنْهُمْ قَرِيبًا مِنْهُمْ ﴿٢٩﴾ فَانْظُرْ ﴿٣٠﴾ تَأْمَلْ وَاسْمَعْ ﴿٣١﴾ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٣٢﴾ مَا يَتَرَدَّدُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْكَلَامِ

حوار الملكة مع مستشاريها

﴿قَالَتْ يَتَأْتِيَهَا الْمَلَكُ﴾ أَشْرَافُ النَّاسِ ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكِ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٢٩﴾ جَلِيلُ الْقَدْرِ

﴿كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ قال عطاء والضحاك: سمته كريماً؛ لأنه كان مختوماً ... وقيل: سمته كريماً؛ لأنه كان مصدراً بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. البغوي
 * قال ابن المقفع: من كتب إلى أخيه كتاباً ولم يختمه فقد استخف به. القرطبي
 * تعني بكرمه: ما رآته من عجيب أمره، كون طائر أتى به، فألقاه إليها، ثم تولى عنها أدباً. وهذا أمر لا يقدر عليه أحد من الملوك، ولا سبيل لهم إلى ذلك.
 ابن كثير

﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿٣٠﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فيه استحباب ابتداء الكتب بالبسملة كاملة، وتقديم الاسم في أول عنوان الكتاب. السعدي
 ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال أبو الليث في كتاب «البستان» له: ولو بدأ بالملكتوب إليه لجاز؛ لأن الأمة قد اجتمعت عليه وفعلوه لمصلحة رأوا في ذلك، أو نسخ ما كان من قبل، فالأحسن في زماننا هذا أن يبدأ بالملكتوب إليه، ثم بنفسه، لأن البداية بنفسه تعد منه استخفافاً بالملكتوب إليه، وتكبراً عليه، إلا أن يكتب إلى عبد من عبيده، أو غلام من غلمانه ... وإذا ورد على إنسان كتاب بالتحية أو نحوها ينبغي أن يرد الجواب، لأن الكتاب من الغائب كالسلام من الحاضر. وروي عن ابن عباس أنه كان يرى رد الكتاب واجباً كما يرى رد السلام. القرطبي، قلت ومما يعتبر في ذلك الأعراف، ومقامات الناس.

﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ﴾ تَكْبَرُوا عَلَىٰ ﴿وَأَنْتَوْنِ مُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَتَأْتِيَهَا الْمَلَكُ أَفْتُونِي ﴿أَشِيرُوا عَلَيَّ﴾ فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا ﴿قَاضِيَةٌ أَمْرًا وَفَاصِلَةٌ فِيهِ﴾ حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ تَحْضُرُونَ وَتُظْهِرُونَ رَأْيَكُمْ فِيهِ ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا﴾ أَصْحَابُ ﴿قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ

شَدِيدٌ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾

﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه من تصديق الله تعالى لقولها، قاله الزجاج. والثاني: من تمام كلامها والمعنى: وكذلك يفعل سليمان وأصحابه إذا دخلوا بلادنا. حكاها الماوردي. ابن الجوزي

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ﴾ فمنتظرة ﴿بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿٣٥﴾

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال ابن زيد: قالت: إن هذا الرجل إن كان إنما همته الدنيا فسنرضيه، وإن كان إنما يريد الدين فلن يقبل غيره. الطبري

* قال قتادة: رَحِمَهُ اللَّهُ ورضي عنها، ما كان أعقلها في إسلامها وفي شركها!! علمت أن الهدية تقع موقعا من الناس. ابن كثير

﴿ ٣٧٩ ﴾

موقف سليمان عَلَيْهِ السَّلَام

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أْتِمِدُّونِي بِمَالٍ فَمَاءَ اتْنِءَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ يفرحون بحطام الدنيا أما سليمان فلا يقبل إلا إسلامهم

﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ يعني إذا أهدى بعضكم إلى بعض فرح، فأما أنا فلا. ابن الجوزي

﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيِّنَهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾ لا طاقة لهم بمقاومتها ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ مهانون

﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيِّنَهُمْ بِجُنُودٍ﴾ قال يزيد بن رومان: فلما رجعت إليها الرسل ... قالت: قد - والله - عرفت، ما هذا بملك، وما لنا به من طاقة، وما نصنع بمكائرتة شيئا. وبعثت إليه: إني قادمة عليك بملوك قومي؛ لأنظر ما أمرك وما تدعوننا إليه من دينك. ابن كثير

﴿ قَالَ يَأْتِيَهَا الْمَلَأُ ﴾ من سخرهم الله له من الجن والإنس ﴿ أَتَيْكُمْ يَأْتِي بَعْرَشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُوَنِي مُسْلِمِينَ ﴾ ﴿ ٣٨ ﴾

﴿ أَتَيْكُمْ يَأْتِي بَعْرَشَهَا ﴾ اختلفوا في السبب الذي لأجله أمر سليمان بإحضار عرشها، ... قيل: ليرىها قدرة الله وعظيم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها، وقال قتادة: لأنه أعجبه صفته لما وصفه الهدهد، فأحب أن يراه. قال ابن زيد: أراد أن يأمر بتنكيره وتغييره؛ ليختبر بذلك عقلها. البغوي

﴿ قَالَ عَفَرْتُ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ مارد قوي شديد ﴿ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ ﴾ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ ﴿ مَجْلِسكَ ﴾ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيَّ أَمِينٌ ﴿ ٣٩ ﴾

﴿ لَقَوِيَّ أَمِينٌ ﴾ (أمين) فيه قولان: أحدهما: أمين على ما فيه من الجوهر والدر وغير ذلك، قاله ابن السائب. والثاني: أمين أن لا آتيك بغيره بدلا منه. ابن الجوزي

﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ ﴾ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴿ قَبْلَ ارْتِدَادِ أَجْفَانِكَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى شَيْءٍ ﴾ ﴿ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ ﴾ ﴿ حَاضِرًا لَدَيْهِ ثَابِتًا عِنْدَهُ ﴾ ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ ﴿ ٤٠ ﴾

﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ قال المفسرون: هو رجل عالم صالح عند سليمان يقال له: «آصف بن برخيا» كان يعرف اسم الله الأعظم الذي إذا دعا الله به أجاب، وإذا سأل به أعطي. السعدي ﴿ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ فيه أقوال: أحدها: قبل أن يأتيك أقصى ما تنظر إليه، قاله سعيد بن جبير. (وقيل) بمقدار ما تفتح عينك ثم تطرف، قاله الزجاج. ابن الجوزي

إسلام الملكة

﴿ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا ﴾ غيروا في هيئته ﴿ نَنْظُرْ أَنَاهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾

﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ وهذا من ذكائها وفطنتها لم تقل « هو » لوجود التغيير فيه والتنكير، ولم تنف أنه هو؛ لأنها عرفته، فأنت بلفظ محتمل للأمرين، صادق على الحالين. السعدي
 * قال عكرمة: كانت حكمة، قالت: لئن قلت هو هو خشيت أن أكذب، وإن قلت لا خشيت أن أكذب. فقالت: كأنه هو. شبهته به. التفسير الوسيط للواحيدي (٣/ ٣٧٩)

﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا﴾ أي: فقال سليمان متعجبا من هدايتها وعقلها وشاكر الله أن أعطاه أعظم منها: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا﴾ أي: الهداية والعقل والحزم من قبل هذه الملكة، ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ وهي الهداية النافعة الأصلية. ويحتمل أن هذا من قول ملكة سبأ: وأوتينا العلم عن ملك سليمان وسلطانه وزيادة اقتداره من قبل هذه الحالة التي رأينا فيها قدرته على إحضار العرش من المسافة البعيدة فأدعنا له وجئنا مسلمين له خاضعين لسلطانه. السعدي

﴿وَصَدَّهَا﴾ عن التوحيد ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ ﴿٤٣﴾

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ انفراد الواحد عن أهل الدين والعادة المستمرة بأمر يراه بعقله من ضلالهم وخطئهم من أندر ما يكون فلهذا لا يستغرب -مع عقلها- بقاؤها على الكفر، ثم إن سليمان أراد أن ترى من سلطانه ما يبهر العقول، فأمرها أن تدخل الصرح وهي: المجلس المرتفع المتسع، وكان مجلسا من قوارير تجري تحته الأنهار ... فحينئذ لما وصلت إلى سليمان، وشاهدت ما شاهدت، وعلمت نبوته ورسالته، تابت ورجعت عن كفرها. ينظر: تفسير السعدي

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ القصر، وكان صحنه من زجاج تحته ماء ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ ظنته ماء غزيرا ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ مجلس مسوى

﴿مِّن قَوَارِيرٍ﴾ **من زجاج صاف** ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٤﴾

﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خاض بعضهم في أنه هل تزوجها سليمان أو زوجها أحد أعوانه؟.. إلخ، ولا أجد فائدة للمسلم من معرفة وتقصي ذلك، ولو كان ثم فائدة لذكر ذلك في القرآن، أو جاء به أثر صحيح.

﴿ ٣٨٠ ﴾

رسالة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وكفر أغلب قومه

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ ﴿٤٥﴾

﴿فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ فريق يدعو إلى عبادة الله وحده، وفريق يدعو إلى عبادة الأوثان مع الله، وشأن التعارض أن يحدث التخاصم، كل فريق يريد أن يخصم الفريق الآخر. الجزائري

﴿قَالَ يَنْقُومُ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ **تطالبوني بعذابكم** ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿٤٦﴾

﴿قَالَ يَنْقُومُ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ قالوا: إن كان ما أتينا به حقا فأتينا بالعذاب. ابن الجوزي

﴿قَالُوا أَطِيعْنَا﴾ **تشاء منا** ﴿بِكَ وَيَمَنُ مَعَكَ قَالَ طَاعُوا عِندَ اللَّهِ﴾ **ما أصابكم من خير أو شر فهو مقدره عليكم** ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ **تختبرون بالسراء والضراء** ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ **مدينة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ وهي الحجر شمال غرب الجزيرة العربية** ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ **قالوا اتقاسموا بالله** ﴿طلب كل واحد من الثاني أن يحلف له﴾ **لنبيئته** ﴿نأتيه بالليل بغيته فنقتله﴾ **وأهله** ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لَوْ يَهِئْ قَرِيبَهُ الَّذِي يَطَالِبُ بِدَمِهِ﴾ **ما شهدنا مهلك أهله** ﴿وَلِنَأْصِدِفُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ **ومكروا مكراً** **لقتل صالح** **ومكروا مكراً** **بإهلاكهم**

قَبْلَ ذَلِكَ ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٥٠﴾

﴿تَسْعَةُ رَهْطٍ﴾ ... ﴿وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا﴾ تسعة رهط من قوم صالح تقاسموا على تبئيت صالح والمؤمنين، وقتلهم ليلاً؛ ليحولوا في نظرهم دون وقوع العذاب الذي واعدهم به صالح، وأنه نازل بهم بعد ثلاثة أيام، وهذا مكرهم وطريقة تنفيذهم أنهم أتوا صالحاً وهو يصلي في مسجد له تحت الجبل، فسقطت عليهم صخرة من الجبل، فأهلكتهم أجمعين، وهكذا مكر الله بهم وهم لا يشعرون به، ثم أهلك الله القوم كلهم بالصيحة، فأصبحوا في ديارهم جاثمين. الجزائري

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ ﴿خَالِيَةٌ﴾ ﴿بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾

رسالة لوط عليه السلام، وكفر أغلب قومه

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ الفعلة المتناهية في القبح ﴿وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ تعلمون قبحها

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: وأنتم تعلمون أنها فاحشة. والثاني: بعضكم يبصر بعضاً. ابن الجوزي
﴿أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ ﴿٥٥﴾

﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ قال ابن عباس: تجهلون القيامة، وعاقبة العصيان. ابن الجوزي

﴿ ٣٨١ ﴾

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ أَلْ لُّوطِ مِّنْ قَرِيَّتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّنْطَهَرُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ يتنزهون عن إتيان الذكران ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا﴾ جعلناها بتقديرنا ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ الباقيين في العذاب ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ حجارة من السماء ﴿فَسَاءَ﴾ ففبح ﴿مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ ﴿٥٨﴾

شيء من مظاهر خلق الله ونعمه على الناس

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٥٩) **أَمَّنْ** خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴿ذات منظر حسن يتهيج به الناظر﴾ ﴿مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِهَمٍّ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ (٦٠) **يَنْحَرِفُونَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ**

﴿**أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾ أي: هم معترفون بأنه الفاعل لجميع ذلك وحده لا شريك له، ثم هم يعبدون معه غيره مما يعترفون أنه لا يخلق ولا يرزق، وإنما يستحق أن يفرد بالعبادة من هو المتفرد بالخلق والرزق ... ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِهَمٍّ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ**﴾ - أي: أليس مع الله فعل هذا - وهو يرجع إلى معنى الأول؛ لأن تقدير الجواب أنهم يقولون: ليس ثم أحد فعل هذا معه، بل هو المتفرد به. فيقال: فكيف تعبدون معه غيره، وهو المستقل المتفرد بالخلق والتدبير؟ ابن كثير

﴿**حَدَائِقَ**﴾ الحقائق: جمع حديقة، وهي البساتين من النخل والأعنان والأشجار المحوطة عليها الحيطان المحدقة بها، لإحداق الحيطان بها تسمى الحديقة حديقة، فإن لم تكن الحيطان بها محدقة، لم يقل لها حديقة تفسير الطبري

﴿**أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا**﴾ **مستقرًا لا تميد بأهلها** ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا﴾ **وسطها** ﴿**أَنْهَرًا**﴾ وجعل لها رواسي ﴿**جبالًا ثوابت**﴾ ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ﴾ **العذب والمالح** ﴿**حَاجِزًا**﴾ أليس مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ**﴾ إذا دعاه ويكشف السوء ﴿**يزيل المكروه**﴾ ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ **تخلفون من سبقكم في الأرض** ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِهَمٍّ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ**﴾ (٦١)

﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ**﴾ فالمظلوم مضطر، ويقرب منه المسافر؛ لأنه منقطع عن الأهل والوطن، منفرد عن الصديق والحميم، لا يسكن قلبه إلى مسعد، ولا معين لغربته؛ فتصدق ضرورته إلى المولى، فيخلص إليه في اللجأ، وهو المجيب للمضطر إذا دعاه، وكذلك دعوة الوالد على ولده، لا تصدر منه مع ما يعلم من حنته عليه وشفقته، إلا عند تكامل عجزه عنه، وصدق ضرورته، وإيase

عن بر ولده، مع وجود أذيته، فيسرع الحق إلى إجابته. القرطبي

﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ ﴾ يرشدكم ﴿ فِي ظُلُمَاتٍ أَلْبَرَّ وَالْبَحْرَ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ ﴾
بُشْرًا ﴿ مَبَشِّرَاتٍ ﴾ بَيْنَ يَدَي رَحْمَتِهِ ﴿ قَرَبَ نَزُولِ الْمَطَرِ ﴾ أَيْ لَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ ٦٣ ﴾

﴿ ٣٨٢ ﴾

﴿ أَمَّنْ يَبْدُوَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ قُلْ هَاتُوا
بُرْهَانَكُمْ ﴾ على صحة الشرك ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿ ٦٤ ﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿ مَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ أَيَّانَ ﴾ متى ﴿ يُبْعَثُونَ ﴾ ﴿ ٦٥ ﴾

شك الكفار بالآخرة، والبعث وعاقبتهم

﴿ بَلْ أَدْرَكَ ﴾ تكامل يوم القيامة ﴿ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا ﴾ من
الآخرة في الدنيا ﴿ بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾ ﴿ ٦٦ ﴾ عميت بصائرهم عنها ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءِذَا بَابُونا أَيْنَا لَمُخْرَجُونَ ﴾ ﴿ ٦٧ ﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءِذَا بَابُونا
مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿ ٦٨ ﴾ ما سطره من الأكاذيب ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي
الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ ﴿ ٦٩ ﴾ المنكرين للبعث كيف أهلكوا

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: المكذبين بالرسول
وما جاء وهم به من أمر المعاد وغيره، كيف حلت بهم نقم الله وعذابه ونكاله،
ونجى الله من بينهم رسله الكرام، ومن اتبعهم من المؤمنين، فدل ذلك على
صدق ما جاءت به الرسل وصحته. ابن كثير

﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ ﴿ ٧٠ ﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿ ٧١ ﴾ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ ﴿ اقْتَرَبَ لَكُمْ ﴾ بَعْضُ الَّذِي
تَسْتَعْجِلُونَ ﴿ ٧٢ ﴾ من العذاب ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَشْكُرُونَ ﴾ ﴿ ٧٣ ﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ ﴿ تَخْفَى ﴾ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿ ٧٤ ﴾ وَمَا
مِنْ غَآيَةٍ ﴿ شَيْءٌ غَائِبٌ مِنَ الْأَبْصَارِ ﴾ ﴿ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ﴿ ٧٥ ﴾ هو

اللوح المحفوظ

القرآن، والمستفيدون منه

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَنْقُصُ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ﴿٧٦﴾

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَنْقُصُ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ كما اختلافهم في عيسى عَلَيْهِ السَّلَام، ووالدته، إذ غلا فيهما البعض وأفرطوا؛ فألهوهما، وفرط فيهما البعض ... وكاختلافهم في صفات الله تعالى، وفي حقيقة المعاد. الجزائري

﴿ ٣٨٣ ﴾

﴿ وَإِنَّهُ لَهْدَى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ ﴿٨٠﴾ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴿٨١﴾ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٢﴾ أَعْرَضُوا عَنْكَ

﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ إي: إنك يا محمد لا تقدر أن تفهم الحق من طبع الله على قلبه فأماته؛ لأن الله قد ختم عليه أن لا يفهمه. الطبري

* قد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أنتم بأسمع منهم»، قال ابن عطية: فيشبه أن قصة بدر خرق عادة لمحمد ﷺ في أن رد الله إليهم إدراكا سمعوا به مقاله، ولولا إخبار رسول الله ﷺ بسماعهم، لحملنا نداءه إياهم على معنى التوبيخ لمن بقي من الكفرة، وعلى معنى شفاء صدور المؤمنين. القرطبي

* وظاهر الآية نفي إسماع الموتى العموم، فلا يخص منه إلا ما ورد بدليل، كما ثبت في الصحيح أنه ﷺ خاطب القتلى في قليب بدر، ف قيل له: يا رسول الله! إنما تكلم أجساداً لا أرواح لها، وكذلك ما ورد من أن الميت يسمع خفق نعال المشيعين له إذا انصرفوا. الشوكاني

﴿ وَلَا تَسْمِعُ الصُّمَّ ﴾ أي: أن الصم إذا أدبروا عنك ثم ناديتهم ولم يسمعوا، فكذلك الكافر. ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَدَى الْعُمَى ﴾ أي: ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى، ﴿ إِنَّ تَسْمِعُ ﴾ سماع إفهام. ابن الجوزي

﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَدَى الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿٨١﴾

من حوادث القيامة

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ وجب عليهم العذاب ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ علامة من علامات الساعة الكبرى، تخرج وتحدث الناس وتسمهم على وجوههم ﴿تَكَلِّمُهُمْ﴾ تحدثهم، فيفهمون من حديثها ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (٨٢)

﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تَكَلِّمُهُمْ﴾ أي: تكلم العباد ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾، أي: لأجل أن الناس ضعف علمهم وبقينهم بآيات الله، فإظهار الله هذه الدابة من آيات الله العجيبة؛ ليبين للناس ما كانوا فيه يمترون. السعدي ﴿تَكَلِّمُهُمْ﴾ قال عبد الله بن عمر: إنها تنكت في وجه الكافر نكتة سوداء، فتفشو في وجهه، فيسود وجهه، وتنكت في وجه المؤمن نكتة بيضاء، فتفشو في وجهه حتى يبيض وجهه، فيجلس أهل البيت على المائدة، فيعرفون المؤمن من الكافر، ويتبايعون في الأسواق، فيعرفون المؤمن من الكافر. الطبري

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ﴾ نجم ﴿مِّن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ جماعة ﴿مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (٨٣) يحبس أولهم على آخرهم ليجتمعوا ثم يساقون إلى الحساب ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِنَا وَلَمْ يُحِطُوا بِهَا عِلْمًا﴾ علما بطلانها فيسوغ قولكم ﴿أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٨٤) ووقع القول عليهم ﴿حقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ بما ظلموا فهم لا ينطقون ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ بِحُجَّةٍ تَدْفَعُ الْعَذَابَ عَنْهُمْ﴾ (٨٥) أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصَرًا ﴿يَبْصُرُونَ فِيهِ﴾ (٨٦) وبوم ينفخ في الصور ﴿القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ ﴿فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَخِيرِينَ﴾ (٨٧) صاغرين أذلاء

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ هي نفخة الفزع فتفزع لها الخلائق إلا من استثنى الله تعالى - وهم الشهداء - فلا يفزعون، وهي نفخة الفناء أيضًا إذ بها يفنى كل شيء. الجزائري

* قيل: فينفخ فيه ثلاث نفخات النفخة الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة

الصعق والثالثة نفخة البعث والقيام لرب العالمين ... والصحيح في النفخ في الصور أنهما نفختان، لا ثلاث، وأن نفخة الفزع إنما تكون راجعة إلى نفخة الصعق؛ لأن الأمرين لا زمان لهما، أي فزعوا فزعا ماتوا منه، أو إلى نفخة البعث وهو اختيار القشيري وغيره، فإنه قال في كلامه على هذه الآية: والمراد النفخة الثانية أي: يحيون فزعين، يقولون: ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢]، ويعاينون من الأمور ما يهولهم ويفزعهم. والسنة الثابتة من حديث أبي هريرة وحديث عبد الله بن عمرو يدل على أنهما نفختان لا ثلاث، خرجهما مسلم، وقد ذكرناهما في كتاب «التذكرة» وهو الصحيح إن شاء الله تعالى أنهما نفختان، قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] فاستثنى هنا كما استثنى في نفخة الفزع فدل على أنهما واحدة. وقد روى ابن المبارك عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «بين النفختين أربعون سنة، الأولى يميت الله بها كل حي، والأخرى يحيي الله بها كل ميت» القرطبي

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ واقفة مستقرة ﴿وَهِيَ تَمُوتُ﴾ تسير ﴿مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٨٨﴾

سورة القصص

سورة القصص، سورة مكية، فيها قصة موسى عليه السلام مع فرعون، وقصة قارون في تكبره، وسنة الله بنصر المستضعفين وإهلاك المستكبرين، وفي السورة بيان لشيء من شبه المشركين، والرد عليهم.

الحسنات والسيئات، و توجيهات ربانية

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ التوحيد والإيمان والعبادة ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا وَهُمْ مِنْ فَرْعٍ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿ءَامِنُونَ﴾ ﴿٨٩﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ ﴿مكة﴾ الَّذِي

حَرَّمَهَا ﴿١٠﴾ جَعَلَهَا حَرَامًا، فَلَا يَسْفِكُ فِيهَا دَمًا، أَوْ يَصَادُ صَيْدًا، أَوْ يَقْطَعُ شَجَرًا ﴿١١﴾ وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَاتِّمَّا يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٣﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طغيان فرعون

﴿طسّم ١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾

﴿تِلْكَ﴾ الآيات المستحقة للتعظيم والتفخيم ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ لكل أمر يحتاج إليه العباد، من معرفة ربهم، ومعرفة حقوقه، ومعرفة أوليائه وأعدائه، ومعرفة وقائعه وأيامه، ومعرفة ثواب الأعمال، وجزاء العمال، فهذا القرآن قد بينها غاية التبيين، وجلاها للعباد، ووضحها. ومن جملة ما أبان، قصة موسى وفرعون. السعدي

﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَّبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا ﴿٤﴾ تَكْبَرُ وَطَغَىٰ ﴿٥﴾ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴿٦﴾ طوائف متفرقة ﴿يَسْتَضِعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٧﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ ﴿٨﴾ نفضل ﴿عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٩﴾

﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ يعني: أملاك فرعون وقومه، يخلفونهم في مساكنهم. البغوي

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ ﴿١٠﴾

﴿مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ قد أخبروا: أن هلاكهم على يد رجل من بني

إسرائيل، فكانوا من ذلك على وجل منهم، ولذلك كان فرعون يذبح أبناءهم، ويستحيي نساءهم، فأرى الله فرعون وهامان وجنودهما، من بني إسرائيل على يد موسى بن عمران نبيه، ما كانوا يحذرونه منهم من هلاكهم، وخراب منازلهم ودورهم. الطبري

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْيَمِّ

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ **النهر**
 وهو نهر النيل ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۚ إِنَّا رَأَوْنَاهُ إِلَيْكَ ۖ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ **وهو نهر النيل**

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ أي: ألهمناها، وقذفنا في قلبها، وليس ذلك هو الوحي الذي يوحى إلى الرسل، وقيل: كان ذلك رؤيا في منامها، وقيل: كان ذلك بملك أرسله الله يعلمها بذلك. وقد أجمع العلماء على أنها لم تكن نبية، وإنما كان إرسال الملك إليها عند من قال به على نحو تكليم الملك للأقرع، والأبرص، والأعمى، كما في الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما، وقد سلمت على عمران بن حصين الملائكة، كما في الحديث الثابت في الصحيح فلم يكن بذلك نبيا. الشوكاني

* ألهمت في سرها، وألقي في خلدها، ونفث في روعها. ابن كثير
 ﴿فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ ذلك أنه كانت دارها على حافة النيل، فاتخذت تابوتا، ومهدت فيه مهدا، وجعلت ترضع ولدها، فإذا دخل عليها أحد ممن تخاف جعلته في ذلك التابوت، وسيرته في البحر، وربطته بحبل عندها. ابن كثير

﴿فَالْقَطْعُ ۚ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۖ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَزَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾

﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ أي: لتكون العاقبة والمآل من هذا الالتقاط، أن يكون عدوًّا لهم وحزنًا يحزنهم، بسبب أن الحذر لا ينفع من القدر، وأن الذي

خافوا منه من بني إسرائيل، قىض الله أن يكون زعيمهم، يترى تحت أيديهم، وعلى نظرهم، وبكفالتهم. السعدى

✽ قال السدي: لما نظرت إليه آسية، وقعت عليها رحمته فأحبته؛ فلما أخبرته به فرعون أراد أن يذبحه، فلم تزل آسية تكلمه حتى تركه لها، قال: إني أخاف أن يكون هذا من بني إسرائيل، وأن يكون هذا الذي على يديه هلاكنا. الطبري

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَزَنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ ✽ أردنا أن نعاقبهم على خطئهم ونكيدهم؛ جزاء على مكرهم وكيدهم. السعدى

﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي﴾ ✽ مصدر سروري ✽ ﴿وَلَوْ لَا نَفَقْتُ لَوْهَ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ✽ بما هو كائن من أمرهم وأمره

﴿قُرْتُ عَيْنِي وَلَوْ﴾ ✽ قال السدي: بينما هي ترقصه وتلعب به، إذ ناولته فرعون، وقالت: خذه، قرّة عين لي ولك، قال فرعون: هو قرّة عين لك، لا لي. قال عبد الله بن عباس: لو أنه قال: وهو لي قرّة عين إذن؛ لآمن به، ولكنه أبى. الطبري

﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ ✽ فقدّر الله تعالى، أنه نفع امرأة فرعون، التي قالت تلك المقالة، فإنه لما صار قرّة عين لها، وأحبته حبا شديدا، فلم يزل لها بمنزلة الولد الشفيق حتى كبر ونبأه الله وأرسله، فبادرت إلى الإسلام والإيمان به، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها. السعدى

حال أم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَرِحًا﴾ ✽ خاليًا من كل شيء إلا هم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ✽ ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَى بِهِ﴾ ✽ فتصرخ بأنه ابنها ✽ ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ✽

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَرِحًا﴾ ✽ لما فقدت موسى أمه، حزنت حزنا شديدا، وأصبح فؤادها فارغا من القلق الذي أزعجها، على مقتضى الحالة البشرية، مع أن الله تعالى نهاها عن الحزن والخوف، ووعداها برده. السعدى

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ ✽ تتبعي أثره ✽ ﴿فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ﴾ ✽ عن بعد ✽ ﴿وَهُمْ

لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ ۖ يَقُومُونَ بِتَرْبِيَّتِهِ وَإِرْضَاعِهِ ۖ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ هذا تحريم منع لا تحريم شرع. ابن الجوزي
 ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ من لطف
 الله بموسى وأمه، أن منعه من قبول ثدي امرأة، فأخرجوه إلى السوق رحمة به،
 ولعل أحدا يطلبه، فجاءت أخته وهو بتلك الحال. السعدي
 * قال السدي: أخذوها، وقالوا: إنك قد عرفت هذا الغلام، فدلينا على أهله،
 فقالت: ما أعرفه، ولكني إنما قلت: هم للملك ناصحون. الطبري
 * لما قالت: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ وكانوا يبالغون في طلب
 مرضعة يقبل ثديها فقالوا: من هي؟ فقالت: أمي، فقيل: لها لبن؟ قالت: نعم!
 لبن هارون - وكان ولد في سنة لا يقتل فيها الصبيان - فقالوا: صدقت والله.
 ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ أي فيهم شفقة ونصح، فروي أنه قيل لأم موسى حين
 ارتضع منها: كيف ارتضع منك ولم يرتضع من غيرك؟ فقالت: إني امرأة طيبة
 الريح، طيبة اللبن، لا أكاد أوتى بصبي إلا ارتضع مني. قال أبو عمران الجوني:
 وكان فرعون يعطي أم موسى كل يوم دينارا. قال الزمخشري: فإن قلت كيف
 حل لها أن تأخذ الأجر على إرضاع ولدها؟ قلت: ما كانت تأخذه على أنه أجر
 على الرضاع، ولكنه مال حربي تأخذه على وجه الاستباحة. القرطبي

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ ﴿١٣﴾ بِرَدِّ

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿١٣﴾ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بهذا الوعد

﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ أي: تربي عندها على وجه تكون فيه آمنة مطمئنة، تفرح به،
 وتأخذ الأجرة الكثيرة على ذلك. السعدي

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يقتل رجلاً من القبط

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ قوي بدنه ﴿وَأَسْتَوَىٰ﴾ تكامل عقله ﴿ءَاثِنَتْهُ حُكْمًا وَعَلَمًا﴾

وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ استمر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عند آل فرعون، يتربى في سلطانهم، ويركب مراكبهم، ويلبس ملابسهم، وأمه بذلك مطمئنة، قد استقر أنها أمه من الرضاع، ولم يستنكر ملازمته إياها، وحنوها عليها. السعدي

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ إما وقت القائلة، أو غير ذلك من الأوقات التي بها يغفلون عن الانتشار ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا﴾ من قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهم بنو إسرائيل ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ قوم فرعون ﴿فَاسْتَعَاذَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى﴾ ضربه بجمع كفه ﴿فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿١٥﴾

﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ﴾ قد اشتهر وعلم الناس أنه من بني إسرائيل، واستغاثه لموسى، دليل على أنه بلغ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مبلغا يخاف منه، ويرجى من بيت المملكة والسلطان. السعدي

﴿فَوَكَزَهُ﴾ لا شك أنهم معصومون من الكبائر، والقتل الواقع منه لم يكن عن عمد، فليس بكبيرة؛ لأن الوكزة في الغالب لا تقتل. الشوكاني

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا ﴿نَصِيرًا﴾ ﴿لِلْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿١٧﴾

فشو الخبر وخروج موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ يتوقع المكروه ﴿فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرُهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ﴾ يطلب منه النصر ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ﴾ كثير الغواية ضال عن الرشد ﴿مُبِينٌ﴾ ﴿١٨﴾

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ هل يشعر به آل فرعون، أم لا؟ وإنما خاف، لأنه قد علم، أنه لا يتجرأ أحد على مثل هذه الحال سوى موسى من بني إسرائيل. السعدي

﴿فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرُهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ﴾ قال ابن عباس: مرّ موسى من الغد،

فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونيا، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني، فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس، وكره الذي رأى، فغضب موسى، فمد يده وهو يريد أن يبطش بالفرعوني، فقال للإسرائيلي لما فعل بالأمس واليوم ﴿إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾، فنظر الإسرائيلي إلى موسى بعد ما قال هذا، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس إذ قتل فيه الفرعوني، فخاف أن يكون بعد ما قال له: ﴿إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ إياه أراد، ولم يكن أراد، إنما أراد الفرعوني، فخاف الإسرائيلي فحاجه، فقال: ﴿يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾؟ وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقتله، فتاركا. الطبري

﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (١٩)

﴿كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ ذكر أن قول الإسرائيلي سمعه سامع فأفشاه، وأعلم به أهل القتل، فحينئذ طلب فرعون موسى، وأمر بقتله؛ فلما أمر بقتله، جاء موسى مخبر وخبره بما قد أمر به فرعون في أمره، وأشار عليه بالخروج من مصر - بلد فرعون وقومه - . الطبري

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمُوسَى إِنَّكَ أَلَمَلَأْتَ تَمْرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (٢٠) ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٢١)

موسى عليه السلام في مدين

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾ جهتها جنوبي فلسطين ﴿قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (٢٢) ﴿الطريق الأحسن إلى مدين﴾ ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ نجسان غنمهما

عن الماء ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ ما شأنكما؟ ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ ينصرف الرعاة بأغنامهم عن الماء ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿٢٣﴾

﴿لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ قلت: أخرهما الحياء، فأكرموا بمصاهرة أحد أولي العزم من الرسل.

﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ ﴿٢٤﴾

﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ وكان ذلك وقت شدة حر وسط النهار، بدليل قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ مستريحاً لذلك الظلال بعد التعب. السعدي
﴿إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ أي: مفتقر للخير الذي تسوقه إليّ وتيسره لي. وهذا سؤال منه بحاله، والسؤال بالحال أبلغ من السؤال بلسان المقال، فلم يزل في هذه الحالة داعياً ربه متملقاً لأنه تعالى يحب تضرع عبده، وإظهار ذله ومسكنته. السعدي

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع والد الفتاتين

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ أَبْنَى يَدْعُوكَ لِجَزْيِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ لأنه لا سلطان لفرعون على مدين

﴿قَالَتْ إِنَّكِ أَبْنَى﴾ وهذا الرجل - أبو المرأتين - صاحب مدين ليس بشعيب النبي المعروف كما اشتهر عند كثير من الناس، فإن هذا، قول لم يدل عليه دليل، وغاية ما يكون، أن شعيباً عَلَيْهِ السَّلَامُ قد كانت بلده مدين، وهذه القضية جرت في مدين، فأين الملازمة بين الأمرين؟

وأيضاً، فإنه غير معلوم أن موسى أدرك زمان شعيب، فكيف بشخصه؟ ولو كان ذلك الرجل شعيباً، لذكره الله تعالى، ولسمته المرأتان، وأيضاً فإن شعيباً عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أهلك الله قومه بتكذيبهم إياه، ولم يبق إلا من آمن به، وقد أعاد الله المؤمنين أن يرضوا لبنتي نبيهم بمنعها عن الماء، وصد ماشيتهما، حتى يأتيهما رجل غريب، فيحسن إليهما، ويسقي ماشيتهما. السعدي

﴿لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ أي: لا ليؤمن عليك، بل أنت الذي ابتدأتنا بالإحسان، وإنما قصده أن يكافئك على إحسانك، فأجابها موسى . السعدي
 ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ﴾ العبد إذا فعل العمل لله تعالى، ثم حصل له مكافأة عليه من غير قصد بالقصد الأول، أنه لا يلام على ذلك، كما قبل موسى مجازاة صاحب مدين عن معروفه الذي لم يبتغ له، ولم يستشرف بقلبه على عوض . السعدي

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِيَنَّكَ اسْتِجْرَةٌ إِنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ ﴿٣٦﴾

﴿اسْتِجْرَةٌ﴾ فيه دليل على أن الإجارة كانت عندهم مشروعة معلومة، وكذلك كانت في كل ملة، وهي من ضرورة الخليفة، ومصلحة الخلطة بين الناس . القرطبي

﴿الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ قال شريح: أما قوته: فانتهى إلى حجر لا يرفعه إلا عشرة، فرفعه وحده . وأما أمانته: فإنها مشت أمامه فوصفها الريح، فقال لها: امشي خلفي وصفي لي الطريق . الطبري

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي﴾ تكون أجيراً لي في رعاية ماشيتي ﴿ثُمَّ نِي حَبِيبٌ﴾ سنين ﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ بالأعمال ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٣٧﴾ في التعامل

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ﴾ . فيه عرض الولي ابنته على الرجل، وهذه سنة قائمة، عرض صالح مدين ابنته على صالح بني إسرائيل، وعرض عمر ابن الخطاب ابنته حفصة على أبي بكر وعثمان، وعرضت الموهوبة نفسها على النبي ﷺ، فمن الحسن عرض الرجل وليته، والمرأة نفسها على الرجل الصالح اقتداء بالسلف الصالح . القرطبي

* في هذه الآية دليل على أن النكاح إلى الولي لا حظ للمرأة فيه، لأن صالح مدين تولاه، وبه قال فقهاء الأمصار . وخالف في ذلك أبو حنيفة . القرطبي

﴿قَالَ﴾ أي: موسى ﴿ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ﴾ المدتين الثمان أو العشر

﴿قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ لا أطلب بزيادة في المدة ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾
حافظ يراقبنا ﴿٢٨﴾

﴿أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ المعنى: كما لا أطلب بالزيادة على العشرة الأعوام، لا أطلب بالزيادة على الثمانية الأعوام، وهذا أظهر. وأصل العدوان: تجاوز الحد في غير ما يجب. قال المبرد: وقد علم موسى أنه لا عدوان عليه إذا أتمها، ولكنه جمعها؛ ليجعل الأول كالأتم في الوفاء. الشوكاني

﴿٣٨٨﴾

رجوع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى مصر، وتكريمه بالرسالة والمعجزات وهو في الطريق

﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ عَبَسَ ﴿أَبْصَرَ﴾ ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ ﴿شعلة من النار﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ تستدفئون

﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ﴾ عن سعيد بن جبیر، قال: سألتني يهودي من أهل الحيرة أي الأجلين قضى موسى؟ قلت: لا أدري، حتى أقدم على حبر العرب فأسأله، فقدمت، فسألت ابن عباس، فقال: «قضى أكثرهما، وأطيبهما إن رسول الله ﷺ إذا قال فعل». البخاري

﴿امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ﴾ وكان قد أصابهم البرد، وتاهوا الطريق. السعدي

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِهَا جَانِب﴾ ﴿الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَ﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا هَآئِثًا تَهْتَزُّ ﴿تتحرك وتضطرب﴾ ﴿كَأَنَّهُآ جَانٌّ﴾ حية خفيفة في سرعة حركتها ﴿وَلَىٰ مُدْبِرًا﴾ هَارِبًا ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ولم يلتفت ﴿يَمْوِسَ﴾ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾

﴿أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ هذا أبلغ ما يكون في التأمين، وعدم

الخوف. فإن قوله: ﴿أَقِيلْ﴾ يقتضي الأمر بإقباله، ويجب عليه الامتثال، ولكن قد يكون إقباله وهو لم يزل في الأمر المخوف، فقال: ﴿وَلَا تَخَفْ﴾ أمر له بشيئين، إقباله، وأن لا يكون في قلبه خوف، ولكن يبقى احتمال، وهو أنه قد يقبل وهو غير خائف، ولكن لا تحصل له الوقاية والأمن من المكروه، فقال: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ﴾ فحينئذ اندفع المحذور من جميع الوجوه. السعدي

﴿أَسْأَلُكَ﴾ **أدخل** ﴿يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ **فتحة قميصك** ﴿تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ من غير برص ولا مرض ﴿وَأَضْمَمْتُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ **ضم يدك إلى صدرك** ﴿مِنْ الرَّهْبِ﴾ **لتأمن من الخوف** ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ﴾ **فهاتان آيتان** ﴿مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾ ﴿٣٢﴾

سؤال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مؤازرته بأخيه هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ ﴿٣٣﴾ **وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا** **عونا** **يُصَدِّقُنِي** **إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ** ﴿٣٤﴾

﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ﴾ قال بعض السلف: ليس أحد أعظم منة على أخيه من موسى على هارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فإنه شفع فيه حتى جعله الله نبيا ورسولا معه إلى فرعون وملئه. ابن كثير

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ **سنقويك ونعينك** ﴿بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ **حجة وتسلطا وغلبة** ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ **لا يصلون بسوء إليكما** ﴿بِتَايَدِنَا أَنْتُمَا وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ **بسبب آياتنا ستغلبون**

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع فرعون، ومصير فرعون

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيَّنَّتْ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَىٰ﴾ **مخترق، تنسبه** **إلى الله كذبا** ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ **وقال موسى رَبِّي أَعْلَمُ**

يَمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ﴿٣٧﴾ الْعَاقِبَةُ الْمَحْمُودَةُ فِي
 الْآخِرَةِ ﴿٣٨﴾ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٩﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ
 لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا ﴿٤٠﴾ بِنَاءً
 عَالِيًا ﴿٤١﴾ لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٢﴾

﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى
 الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾
 لكن سنحقق هذا الظن، ونريكم كذب موسى. فانظر هذه الجراءة العظيمة
 على الله، التي ما بلغها آدمي، كذب موسى، وادّعى أنه إله، ونفى أن يكون له
 علم بالإله الحق، وفعل الأسباب؛ ليتوصل إلى إله موسى، وكل هذا ترويج،
 ولكن العجب من هؤلاء الملأ الذين يزعمون أنهم كبار المملكة، المدبرون
 لشؤونها، كيف لعب هذا الرجل بعقولهم، واستخف أحلامهم، وهذا لفسقهم
 الذي صار صفة راسخة فيهم.

فسد دينهم، ثم تبع ذلك فساد عقولهم، فنسألك اللهم الثبات على الإيمان، وأن
 لا تزيع قلوبنا بعد إذ هديتنا، وتهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.
 السعدي

﴿٣٩﴾ وَأَسْتَكْبَرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا
 يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴿٤١﴾ أَلْقَيْنَاهُمْ وَأَغْرَقْنَاهُمْ
 فِي الْبَحْرِ ﴿٤٢﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٣﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ
 أَيْمَةً ﴿٤٤﴾ قَادَةً ﴿٤٥﴾ يَدْعُونَ إِلَى النُّكْرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾
 وَأَتَّبَعْنَاهُمْ ﴿٤٧﴾ أَلْحَقْنَاهُمْ ﴿٤٨﴾ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ﴿٤٩﴾ طَرْدًا وَإِبْعَادًا مِنَ الرَّحْمَةِ ﴿٥٠﴾ وَيَوْمَ
 الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٥١﴾ ﴿٥٢﴾ الْمُبْعِدِينَ الْمُسْتَفْذِرَةَ أَفْعَالَهُمْ

علم محمد ﷺ بأخبار من سبق، إنما هو من الوحي-وبيان أن
 ديدن الكفار مع الوحي هو التكذيب

﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى ﴿٥٤﴾ الْأُمَمِ

الماضية الكاذبة، وفي الكتاب -التوراة- ﴿بَصَايِرَ لِلنَّاسِ﴾ نورًا لقلوبهم يبصرون به الحقائق ﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٤٣﴾

﴿٣٩٠﴾

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ الجبل الغربي من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِذْ قَضَيْنَا عَهْدَنَا﴾
﴿إِلَىٰ مُوسَىٰ الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا ﴿خَلْقَنَا﴾ ﴿قُرُونًا﴾
أَمَّا بَعْدَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿فَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ فمكثوا زمناً طويلاً ونسوا عهد الله
﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا﴾ مقيماً ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا
كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ فخبّر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في مدين إنما هو وحى من الله لم تصل
إليه بطريق آخر ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ﴾ جبل بسيناء كلم الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بجانبه
﴿إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَّحِمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ ﴿أَي: المشركين في زمن النبي ﷺ﴾
﴿مُصِيبَةٌ﴾ ينزل بهم العذاب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ
إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٤٧﴾

تعنت الكفار، والرد عليهم

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾ أَي: التوراة والقرآن تعاونا
على إضلال الناس ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَفْرٍ نَّ﴾ ﴿٤٨﴾

﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ أَي: فلما جاء أهل مكة الحق من عند
الله -وهو محمد وما أنزل عليه من القرآن- تعنتا منهم وجدالاً بالباطل، قالوا:
هلا أُوتِيَ هذا الرسول مثل ما أُوتِيَ موسى من الآيات التي من جملتها التوراة
المنزلة عليه جملة واحدة، فأجاب الله عليهم بقوله: أولم يكفروا بما أُوتِيَ موسى
من قبل ... وقيل: المعنى: أو لم يكفر اليهود في عصر محمد بما أُوتِيَ موسى من
قبله بالبشارة بعيسى ومحمد. الشوكاني، قلت ولعل الأول أظهر للسياق.
* قيل: هذا كلام خرج مخرج الخطاب لرسول الله ﷺ، والمراد به المقول لهم:

﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ من كفار قريش، وذلك أنه قيل للنبي ﷺ: قل يا محمد لمشركي قريش: أو لم يكفر هؤلاء الذين أمروكم أن تقولوا: هلا أوتي محمد مثل ما أوتي موسى - بالذي أوتي موسى - . ينظر: تفسير الطبري

﴿قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾
 ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَأَعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَن أَضَلُّ مِمَّنْ أَتَّبَعَ هَوَاهُ
 يَغْيِرْ هُدَىٰ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَأَعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ دليل على أن كل من لم يستجب للرسول، وذهب إلى قول مخالف لقول الرسول، فإنه لم يذهب إلى هدى، وإنما ذهب إلى هوى. السعدي

﴿٣٩١﴾

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ تابعناه وواصلناه، وأنزلناه شيئاً فشيئاً ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْذَكُرُونَ﴾ ﴿٥١﴾

المؤمنون من أهل الكتاب

﴿الَّذِينَ ءَانَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ من آمن بالنبي من أهل الكتاب ﴿وَإِذَا بُنِيَّ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ ﴿٥٣﴾
 أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴿بصبرهم على إيمانهم بكتابتهم وبالقرآن﴾
 وَيَذَرُونَ ﴿يدفعون﴾ ﴿بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ ﴿الباطل﴾ ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ ﴿لَمْ يَصْغُوا إِلَيْهِ﴾ ﴿وَقَالُوا لَنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ ﴿لا تسمعون منا إلا الخير قد سلمتم منا﴾ ﴿لَا نَبْنِئُ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٥٥﴾
 ﴿لَا نُرِيدُ طَرِيقَتَهُمْ﴾ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ ﴿المحبة الطبيعية﴾ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿٥٦﴾

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ لعمه: «قل: لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة»، قال: لولا أن تعيرني قريش، يقولون: إنما حملة على ذلك الجزع لأقررت بها عينك، فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لَا

تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴿٥٦﴾ . مسلم

من حجج كفار مكة ادعاء خوف الفقر والعدو عند الإيمان بمحمد

والرد عليهم ﷺ

﴿وَقَالُوا إِن تَتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُخَطَفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ ﴿٥٧﴾ **ننتزع بسرعة بالقتل والأسر**
 ﴿أَوَلَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجَيِّئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ **وَكَمْ كَثِيرًا** ﴿٥٨﴾ **أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا طغت وتمردت في حياتها** ﴿فَلَوْلَا مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ أي: كثيرًا من أهل القرى أهلكتناهم ... لما بطروا عيشهم، فلم يشكروا نعمة الله عليهم، فأسرفوا في الظلم والمعاصي؛ فأهلكناهم. الجزائري
 ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ أي: لم يخلفهم أحد بعد هلاكهم في منازلهم، فبقيت خرابا غير مسكونة. ابن الجوزي

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ ءَآخِرَةٍ﴾ **أَعْظَمَهَا** ﴿٥٩﴾ **رَسُولًا يَنْتَلُوا عَلَيْهِمْ عَآيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾** **وفي الآية**
 تهديد لكفار قريش

﴿٣٩٢﴾

الدنيا فانية، رداً على من خاف الفقر بسبب إيمانه

﴿وَمَا أُوْتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنْتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ **أَفَمِنْ وَعْدَنَّهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ** ﴿لأنه وعد من كريم صادق﴾
 ﴿كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَّعَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ ﴿٦١﴾ **من**
 أحضروا للنار

براءة آلهة المشركين منهم ومصير المؤمنين

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴿مِنَ الدَّعَاةِ﴾ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا ﴿دَعَوَانَهُمْ لِلْغَاوِيَةِ فَاتَّبَعُونَا﴾ ﴿أَغْوَيْنَهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ ﴿مِنَ عِبَادَتِهِمْ﴾ ﴿مَا كَانُوا إِلَّا نَاعِبُدُوكَ﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿وإِنَّمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ الشَّيَاطِينَ﴾ ﴿وَقِيلَ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ﴾ ﴿لِيَنْفَعُوهُمْ﴾ ﴿أَوْ يَدْفَعُوا عَنْهُمْ﴾ ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ ﴿٦٤﴾﴾

﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ المعنى: لو أنهم كانوا يهتدون؛ لأنجاهم الهدى، ولما صاروا إلى العذاب. وقيل: أي لو أنهم كانوا يهتدون ما دعوهم. وقيل المعنى: ودوا حين رأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا إذا رأوا العذاب يوم القيامة. القرطبي

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعِمِّيَتْ ﴿فَخَفِيتَ﴾ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ ﴿الْحَجَجِ﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿لا يمكن أن يتساءلوا ويتراجعوا بينهم في ماذا يجيبون به، ولو كان كذابا﴾

﴿فَعِمِّيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: لم يدروا ما يحتجون؛ لأن الله تعالى قد كان أبلغ إليهم في المذنب، وتابع عليهم الحجة، فلم تكن لهم حجة يحتجون بها، ولا خبر يخبرون به، مما تكون لهم به نجاة ومخلص. الطبري

﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَغَسَّىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴿يُصْطَفَى﴾ ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ ﴿الْاِخْتِيَارِ﴾ ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ ﴿تَخْفَى﴾ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾

تعاقب الليل والنهار من نعم الله ودلائل توحيده، وتوبيخ المشركين

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ **أخبروني** ﴿إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ **دائمًا باقيا** ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بَضِيَاءٌ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ (٧١) ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ لَيْلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٧٢) ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٣)

﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ اعلم أنه وإن كان السكون في النهار ممكنا، وطلب الرزق في الليل ممكنا، وذلك عند طلوع القمر على الأرض، أو عند الاستضاءة بشيء بما له نور كالسراج، لكن ذلك قليل نادر مخالف لما يألفه العباد، فلا اعتبار به. الشوكاني

﴿وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (٧٤) ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ **شاهدا يشهد عليهم بشرهم** ﴿فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ **على الشرك** ﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٧٥) **يختلقونه من الكذب**

قصة قارون وعاقبة تكبره

﴿إِنْ قَرُونٌ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ **من بني إسرائيل** ﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ **تجاوز حده** **في الكبر والتجبر عليهم** ﴿وَعَاقِبَتُهُ مِنَ الْكُفْرِ﴾ **خزائن الأموال** ﴿مَا إِنْ مَفَاتِحُهُ لِنُفُوسٍ بِالْعَصْبَةِ﴾ **ليثقل حملها على الجماعة الكثيرة** ﴿أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ﴾ **لا تبطر** ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (٧٦) ﴿وَابْتَغِ الْتَمَسِ﴾ **فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك** ﴿لَا تترك حظك﴾ **من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٧٧)**

﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ قال ابن عباس والجمهور: لا تضيع عمرك في ألا تعمل عملا صالحا في دنياك ... وقال الحسن وقتادة: معناه لا تضيع حظك من دنياك في تمتعك بالحلال وطلبك إياه، ونظرك لعاقبة دنياك. فالكلام على هذا التأويل فيه بعض الرفق به وإصلاح الأمر الذي يشتهيه. وهذا مما يجب

استعمله مع الموعوظ خشية النبوة من الشدة، قاله ابن عطية. قلت: وهذان التأويلان قد جمعهما ابن عمر في قوله: احترت لدياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً. القرطبي

﴿٣٩٤﴾

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۖ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ ۖ الْأَممُ ۖ﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَآكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: لا يسألون سؤال استعلام بل سؤال توبيخ وتقرير

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ قال قتادة: أي: على علم عندي بوجوه المكاسب. القرطبي

* قد أجاد في تفسير هذه الآية الإمام عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، فإنه قال في قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ قال: لولا رضا الله عني، ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا المال، وقرأ ﴿أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَآكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾. ابن كثير

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ ﴿٧٩﴾

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ قال مقاتل: خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب عليه الأرجوان ومعه أربعة آلاف فارس، عليهم وعلى دوابهم الأرجوان، ومعه ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلي والثياب الحمر وهن على البغال الشهباء. البغوي

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا﴾ يتقبل النصيحة ويوفق للعمل بها ﴿إِلَّا الصَّكِرُونَ﴾ ﴿٨٠﴾

عقوبة قارون

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ ۖ﴾ جند وجماعة ﴿يَنْصُرُونَهُ مِنْ

دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانِ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ جزء من جنس عمله، فكما رفع نفسه على عباد الله، أنزله الله أسفل سافلين، هو وما اغتر به، من داره وأثائه، ومتاعه. السعدي. «ت».

﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَاثُرُ اللَّهُ﴾ كلمة توجع ونأسف وتعجب ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ يضيق ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَاثُرُ﴾ ألم تعلم أنه ﴿لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٨٢﴾

نعيم الجنة للمتواضعين، والأمر بالتوحيد والتبليغ للرسالة

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا﴾ تكبراً ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

﴿٣٩٥﴾

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ﴾ أنزل ﴿عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدِكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٨٥﴾

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدِكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ أي: أنزله، وفرض فيه الأحكام، وبين فيه الحلال والحرام، وأمرك بتبليغه للعالمين، والدعوة لأحكام جميع المكلفين، لا يليق بحكمته أن تكون الحياة هي الحياة الدنيا فقط، من غير أن يثاب العباد ويعاقبوا، بل لا بد أن يردك إلى معاد، يجازي فيه المحسنون بإحسانهم، والمسيئون بمعصيتهم. السعدي

﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو﴾ تؤمل ﴿أَنْ يُلْقَى﴾ ينزل ﴿إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾ عوناً ﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

سورة العنكبوت

سورة العنكبوت، سورة مكية، تركز على قضية الثبات والصبر حال الابتلاء والفتن وعاقبته، وفيها نماذج لصبر جمع من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ على أقوامهم، وفيها عاقبة المكذبين، كما أن فيها توجيهات للمؤمنين، وردا لشبه المشركين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ابتلاء المؤمنين، والتحذير للعاصين

﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ لَا يَخْتَبِرُونَ بِالشَّدَائِدِ؛ لِيَتَّبِنَ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْمَنَافِقِ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٤﴾

﴿١﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٢﴾ والله عالم بذلك منهم قبل الاختبار، وفي حال الاختبار، وبعد الاختبار، ولكن معنى ذلك: وَلَيُظْهِرَنَّ اللَّهُ صَدَقَ الصَّادِقُ مِنْهُمْ فِي قِيلِهِ: آمَنَّا بِاللَّهِ، من كذب الكاذب منهم بابتلائه إياه بعدوه. الطبري

﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا ﴿٤﴾ أَنْ يَعْجِزُونَا، وَيَفُوتُونَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴿٥﴾ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٦﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ ﴿٧﴾ الْوَقْتُ الَّذِي حَدَدَهُ اللَّهُ لِلْبَعثِ ﴿٨﴾ لَا تِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾

﴿٣﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ ﴿٤﴾ أيها المحب لربه، المشتاق لقربه ولقائه، المسارع في مرضاته، أبشر بقرب لقاء الحبيب. السعدي

﴿٥﴾ وَمَنْ جَاهَدَ ﴿٦﴾ نَفْسَهُ وَشَيْطَانَهُ وَعَدُوهُ الْكَافِرَ ﴿٧﴾ فَإِنَّمَا يَجْهَدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾

﴿٥﴾ وَمَنْ جَاهَدَ ﴿٦﴾ قال الحسن البصري: إن الرجل ليجاهد، وما ضرب يوما من الدهر بسيف. ابن كثير

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٧﴾

الأمر بالإحسان للوالدين، والتحذير من فتنة طاعتهما في الشرك

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٨﴾

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾ نزلت هذه الآية والتي في سورة لقمان [١٤] في سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ... وأمه حمّة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس، لما أسلم، وكان من السابقين الأولين، وكان باراً بأمه، قالت له أمه: ما هذا الدين الذي أحدثت؟ والله لا أكل، ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنت عليه، أو أموت، فتعير بذلك أبا الدهر، فيقال: يا قاتل أمه، ثم إنها مكثت يوماً وليلة لم تأكل، ولم تشرب، ولم تستظل، فأصبحت وقد جهدت، ثم مكثت يوماً آخر وليلة لم تأكل ولم تشرب، فجاء سعد إليها، وقال: يا أماه، لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً، ما تركت ديني، فكلي، وإن شئت فلا تأكلي، فلما أيست منه أكلت وشربت، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأمره بالبر بوالديه والإحسان إليهما، وأن لا يطيعهما في الشرك. البغوي

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٩﴾

استجابة المنافقين للفتنة

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ﴾ ﴿أَذَاهُمْ صَاداً﴾ له عن الإيمان ﴿كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ ﴿وَلَمَّا جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ ﴿١١﴾

حرص الكفار على فتنة الناس

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا ﴿١٢﴾ وَلْنَحْمِلْ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ ﴿١٤﴾ أَوْزَارَهُمْ سَمِيتْ أَثْقَالًا لِثِقَلِهَا عَلَى حَامِلِهَا ﴿١٥﴾ وَأَثْقَالَ مَعَ أَثْقَالِهِمْ ﴿١٦﴾ مَا تَسَبَّبَ فِي فَعْلِهِ وَدَعَا إِلَيْهِ ﴿١٧﴾ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالَ مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ في الصحيح: «من دعا إلى هدي كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامة، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه إلى يوم القيامة، من غير أن ينقص من آثامهم شيئاً»، وفي الصحيح: «ما قتلت نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنه أول من سن القتل». ابن كثير

من نماذج صبر الأنبياء على الابتلاء "نوح عَلَيْهِ السَّلَام"

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ في هذه القصة تسلية للنبي ﷺ حيث أعلم أن الأنبياء قد ابتلوا قبله. وفيها وعيد شديد لمن أقام على الشرك، فإنهم، وإن أمهلوا، فقد أمهل قوم نوح أكثر، ثم أخذوا. ابن الجوزي

﴿ ٣٩٧ ﴾

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾﴾

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ أي: وجعلنا تلك السفينة باقية، إما عينها، كما قال قتادة: إنها بقيت إلى أول الإسلام على جبل الجودي، أو نوعها، جعله للناس تذكرة لنعمه على الخلق، كيف نجاهم من الطوفان. ابن كثير

إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام

﴿وَابْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴿١٧﴾ تَفْتَرُونَ كَذِبًا ﴿١٨﴾ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا اللَّهَ التَّمَسُّوا ﴿١٩﴾ عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِن تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَأَن تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ قال قتادة: يعزي نبيه ﷺ. وهذا من قتادة يقتضي أنه قد انقطع الكلام الأول، واعترض بهذا إلى قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾. وهكذا نص على ذلك ابن جرير، والظاهر من السياق أن كل هذا من كلام إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَام لقومه يحتاج عليهم لإثبات المعاد، لقوله بعد هذا كله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾، والله أعلم. ابن كثير

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴿٢٠﴾ أَنْشَأَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ﴿٢٢﴾ الْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ ﴿٢٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٤﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢٥﴾ تَرْدُونَ وَتَرْجَعُونَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٢٧﴾ فَاتِّينَ مِنْ عَذَابِهِ بِالْهَرُوبِ وَغَيْرِهِ ﴿٢٨﴾ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَكُونُ مِنْ رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَكُونُ مِنْ رَّحْمَتِي﴾ أي: فلذلك لم يعملوا سببا واحدا يحصلون به الرحمة، وإلا لو طمعوا في رحمته، لعملوا لذلك أعمالا. والإياس من رحمة الله من أعظم المحاذير، وهو نوعان: إياس الكفار منها، وتركهم كل سبب يقربهم منها، وإياس العصاة، بسبب كثرة جنایاتهم أوحشتهم، فملكت قلوبهم، فأحدث لها الإياس. السعدي

جواب قوم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وبيان عجز أصنامهم

﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ قوم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا أَقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٢٤﴾

﴿قَالُوا أَقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ بذل نفسه للرحمن، وجسده للنيران، وسخا بولده للقربان، وجعل ماله للضيفان. ابن كثير

﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ تتحابون على عبادتها، وتوادون على خدمتها ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ﴾ يتبرأ ﴿بَعْضُكُمْ يَبْعُضٌ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَيْكُمْ﴾ مصيركم ﴿النَّارُ وَمَالُكُمْ مِّنْ نَّصِيرٍ﴾ ﴿٢٥﴾

إيمان لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهجرة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿فَأَمَّا لُوطُ قَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ تارك دار قومي إلى أرض الشام المباركة ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٦﴾

﴿فَأَمَّا لُوطُ﴾ إن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية، وبين الحديث الوارد في الصحيح: «أن إبراهيم حين مر على ذلك الجبار، فسأل إبراهيم عن سارة: ما هي منه؟ فقال: هي أختي، ثم جاء إليها، فقال لها: (إني قد قلت له: إنك: أختي، فلا تكذبيني)، فإنه ليس على وجه الأرض أحد مؤمن غيرك وغيري، فأنت أختي في الدين». وكأن المراد من هذا -والله أعلم- أنه ليس على وجه الأرض زوجان على الإسلام غيري وغيرك. فإن لوطا عَلَيْهِ السَّلَامُ آمن به من قومه، وهاجر معه إلى بلاد الشام. ابن كثير

﴿وَقَالَ إِنِّي﴾ قال النخعي وقاتدة: الذي قال: إني مهاجر إلى ربي هو إبراهيم. قال قاتدة: هاجر من كوثر -وهي قرية من سواد الكوفة- إلى حران، ثم إلى الشام، ومعه ابن أخيه لوط وامراته سارة ... وقيل: إن القائل: إني مهاجر إلى ربي هو لوط. والأول أولى؛ لرجوع الضمير في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾

وَيَعْقُوبَ ﴿إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ. الشُّوْكَانِي

﴿مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ فيه قولان: أحدهما: إلى رضى ربي. والثاني: إلى حيث أمرني ربي. ابن الجوزي

﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ لم يذكر الله عنهم أنه أهلكهم بعذاب، بل ذكر اعتزاله إياهم، وهجرته من بين أظهرهم.

فأما ما يذكر في الإسرائيليات، أن الله تعالى فتح على قومه باب البعوض، فشرب دماءهم، وأكل لحومهم، وأتلفهم عن آخرهم، فهذا يتوقف الجزم به على الدليل الشرعي، ولم يوجد، فلو كان الله استأصلهم بالعذاب لذكره، كما ذكر إهلاك الأمم المكذبة، ولكن لعل من أسرار ذلك، أن الخليل عليه السلام من أرحم الخلق وأفضلهم وأحلمهم وأجلهم، فلم يدع على قومه كما دعا غيره. السعدي «ت».

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ بالذكر الحسن والولد الصالح ﴿وَاتَيْنَاهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ﴾ (٢٧)

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ هذا من أعظم المناقب والمفاخر، أن تكون مواد الهداية والرحمة والسعادة والصلاح في ذريته، وعلى أيديهم اهتدى المهتدون، وآمن المؤمنون، وصلح الصالحون. السعدي

لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ وعذاب قومه

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٨) أَيْتَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ ﴿تَقْطَعُونَ طَرِيقَ الْمَسَافِرِينَ بِفَعْلِكُمُ الْفَاحِشَةَ بِهِمْ﴾ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ ﴿مَجْلِسُكَمُ الَّذِي يُجْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ الْمُنْكَرُ ﴿الْأَعْمَالُ الْمُنْكَرَةُ، كَالسَّخَرِيَّةِ مِنَ النَّاسِ، وَقَذْفِ الْمَارَةِ﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أُتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾

﴿وَتَأْتُونَ فِي نَكَدِكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ أي: تأتون المنكر كالضراط، وحل الإزار، والفاحشة، أي: اللواط. الجزائري

﴿قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٣٠﴾

﴿٣٩٩﴾

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ بالخبر السار، وهو: البشارة **بإسحاق** عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ ﴿٣١﴾ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ **الباقين في العذاب** ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ﴾ ساءه مجيئهم خوفاً عليهم من قومه ﴿وَضَافَ بِهِمْ ذُرْعًا﴾ **ضاق صدره خوفاً عليهم** ﴿وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُواكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَانِكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ﴿٣٣﴾

﴿إِنَّا مُنْجُواكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَانِكَ﴾ العلائق البشرية لا تنفع إلا مع الإيمان. المختصر في التفسير

﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ **عذاباً شديداً** ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا أَبْقَيْنَا مِنْ ديارهم ﴿ءَايَةً بَيِّنَةً﴾ **آثاراً واضحة** ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٣٥﴾

نصر الله لرسله بعد تكذيب أقوامهم

﴿وَالِإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ **اطلبوا بعبادتكم جزاء الآخرة** ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ **لا تكثروا الفساد** ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ **الزلزلة الشديدة** ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ﴾ ﴿٣٧﴾ **صرعى هالكين** ﴿وَعَادَا وَثُمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ ﴿٣٨﴾ **عارفين بكفرهم**

معجبين به

﴿ ٤٠٠ ﴾

﴿وَقَرَّبُوا وَفَرَعُونَ وَهَمَنَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ ﴿٣٩﴾ **فأثنين من عذاب الله** ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ﴾ **أخذنا المذكورين بعذابنا بسبب ذنوبهم** ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ **الريح التي تحمل الحصى، كقوم لوط** ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ **صوت من السماء مهلك، كما حصل لقوم صالح وقوم شعيب** ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ **كما حصل لقارون** ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾ **كما حصل لقوم نوح وفرعون وجنده** ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٤٠﴾

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ **لم يخصص الخبر بذلك بعض من أخذته الصيحة من الأمم دون بعض، وكلا الأمتين - أعني: ثمود، ومدين - قد أخذتهم الصيحة. الطبري**

مثل المشركين وأهتهم

﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنَكَبُوتِ﴾ **أَخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ** ﴿أَضْعَفُ﴾ **الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنَكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴿٤١﴾

﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنَكَبُوتِ﴾ **هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله، يرجون نصرهم ورزقهم، ويتمسكون بهم في الشدائد، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه. ابن كثير**

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٤٢﴾

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ لما بين نهاية ضعف آلهة المشركين ارتقى من هذا إلى ما هو أبلغ منه، وأنها ليست بشيء، بل هي مجرد أسماء سموها، وظنون اعتقدوها، وعند التحقيق يتبين للعاقل بطلانها وعدمها. السعدي

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا ﴾ يتدبرها، ويفهمها ﴿ إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ ٤٣

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ هذا مدح للأمثال التي يضربها، وحث على تدبرها وتعقلها، ومدح لمن يعقلها، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم، فعلم أن من لم يعقلها ليس من العالمين. والسبب في ذلك أن الأمثال التي يضربها الله في القرآن، إنما هي للأمور الكبار، والمطالب العالية، والمسائل الجليلة، فأهل العلم يعرفون أنها أهم من غيرها؛ لاعتناء الله بها، وحثه عباده على تعقلها وتدبرها، فيبدلون جهدهم في معرفتها. السعدي

* قال بعض السلف: إذا سمعت المثل في القرآن فلم أفهمه بكيت على نفسي؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾. ابن كثير

﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٤٤

توجيهات ربانية

﴿ أَتُلُّ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ أعظم وأفضل من كل شيء ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ ٤٥

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس: في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله، فمن لم تأمره صلاته

بالمعروف، ولم تنهه عن المنكر، لم يزد بصلاته من الله إلا بعداً. البغوي
﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ روي عن بعض السلف أنه
كان إذا قام إلى الصلاة ارتعد واصفر لونه، فكلم في ذلك، فقال: إني واقف بين
يدي الله تعالى، وحق لي هذا مع ملوك الدنيا، فكيف مع ملك الملوك؟ فهذه
صلاة تنهى -ولا بد- عن الفحشاء والمنكر، ومن كانت صلاته دائرة حول
الإجزاء، لا خشوع فيها ولا تذكر ولا فضائل، كصلاتنا -وليتها تجزي- فتلك
ترك صاحبها من منزلته حيث كان، فإن كان على طريقة معاص تبعده من الله
تعالى تركته الصلاة يتهادى على بعده. وعلى هذا يخرج الحديث المروي عن ابن
مسعود وابن عباس ... قال ابن عطية سمعت أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: فإذا قررنا،
ونظر معناه، فغير جائز أن يقول: إن نفس صلاة العاصي تبعده من الله حتى
كأنها معصية، وإنما يتخرج ذلك على أنها لا تؤثر في تقريبه من الله، بل تركه
على حاله ومعاصيه، من الفحشاء والمنكر والبعد، فلم تزد الصلاة إلا تقرير
ذلك البعد الذي كان بسبيله، فكأنها بعدته حين لم تكف بعده عن الله. القرطبي
﴿الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ الفحشاء: ما قبح من العمل، والمنكر: ما لا يعرف في

الشريعة، أي: تمتعه عن معاصي الله، وتبعده منها. الشوكاني
﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ عن ابن عباس قال: لها وجهان: ذكر الله أكبر مما سواه،
وذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه. الطبري

* وقيل: المراد بالذكر هنا: الصلاة، أي: وللصلاة أكبر من سائر الطاعات،
وعبر عنها بالذكر، كما في قوله: فاسعوا إلى ذكر الله للدلالة على أن ما فيها من
الذكر: هو العمدة في تفضيلها على سائر الطاعات. الشوكاني

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ في الصلاة مقصود أعظم من هذا وأكبر، وهو ما
اشتملت عليه من ذكر الله، بالقلب واللسان والبدن، فإن الله تعالى، إنما خلق
الخلق لعبادته، وأفضل عبادة تقع منهم الصلاة، وفيها من عباديات الجوارح
كلها ما ليس في غيرها؛ ولهذا قال: **﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾** ويحتمل أنه لما أمر
بالصلاة ومدحها، أخبر أن ذكره تعالى خارج الصلاة أكبر من الصلاة، كما هو

قول جمهور المفسرين، لكن الأول أولى؛ لأن الصلاة أفضل من الذكر خارجها؛ ولأنها - كما تقدم - بنفسها من أكبر الذكر. السعدي

﴿ ٤٠١ ﴾

﴿ وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بَالِغِي أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ **عاندوا الحق، وأعلنوا الحرب** ﴿ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿ ٤٦ ﴾ **خاضعون متذللون بالطاعة**

﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ قال مجاهد وسعيد بن جبير: معناه: إلا الذين نصبوا للمؤمنين الحرب، فجداهم بالسيف حتى يؤمنوا، أو يعطوا الجزية. القرطبي ﴿ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ ﴾ كل طريق تثبت به نبوة أي نبي كان، فإن مثلها وأعظم منها، دالة على نبوة محمد ﷺ، وكل شبهة يقدر بها في نبوة محمد ﷺ، فإن مثلها أو أعظم منها، يمكن توجيهها إلى نبوة غيره، فإذا ثبت بطلانها في غيره، فثبت بطلانها في حقه ﷺ أظهر وأظهر. السعدي

حال الناس مع القرآن، و من دلائل صدق القرآن

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ **كعبد الله بن سلام وغيره** ﴿ وَمَنْ هَؤُلَاءِ ﴾ **العرب من قريش** ﴿ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ﴾ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿ ٤٧ ﴾

﴿ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ لأنهم تيقنوا صدقه، بما لديهم من الموافقات، وبما عندهم من البشارات، وبما تميزوا به من معرفة الحسن والقيح، والصدق والكذب. السعدي

﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ ﴿ ٤٨ ﴾ **فقالوا: تعلمه من الكتب السابقة** ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَنْتَ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ ﴿ ٤٩ ﴾ ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا هَٰذَا ﴾ **هلا** ﴿ أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ **حجج وبراهين**

نشاهدُها مما اقترحنا ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ إذا كان القصد بيان الحق من الباطل، فإذا حصل المقصود بأي طريق كان اقترح الآيات المعينات على ذلك ظلماً وجوراً، وتكبراً على الله وعلى الحق. السعدي

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ إن كان المقصود بيان الحق ﴿أَنَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥١﴾ **﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾** ﴿٥٢﴾

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً﴾ لو كنت كاذباً عليه لانتقم مني. ابن كثير

﴿ ٤٠٢ ﴾

استعجال المشركين للعذاب

﴿وَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ وقت عذابهم المقدر عند الله **﴿لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ﴾** **﴿فَجَاءَهُمْ﴾** **﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾** ﴿٥٣﴾

﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ﴾ لأنهم إذا ماتوا صاروا إلى العذاب، وقيل: يوم بدر. البغوي

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ **﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ﴾** **﴿يَحِيطُ بِهِمُ﴾** **﴿الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** ﴿٥٥﴾

الحديث عن الهجرة، ومآل المؤمنين، وبيان أن الرزق على الله

﴿يَعِبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾

﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ قال سفيان الثوري: إذا كنت بأرض غالية، فانتقل إلى غيرها تملأ فيها جرابك خبزاً بدرهم. القرطبي

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿٥٧﴾

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ قال الزجاج: أمرهم بالهجرة من الموضع الذي لا يمكنهم فيه عبادة الله إلى حيث تتهيأ لهم العبادة، ثم خوفهم بالموت؛ لتهون عليهم الهجرة، فقال: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ المعنى: فلا تقيموا في دار الشرك؛ خوفاً من الموت ﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ بعد الموت، فنجزىكم بأعمالكم. ابن الجوزي

* وقصد منها أيضا تهوين ما يلاقيه المؤمنون من الأذى في الله، ولو بلغ إلى الموت بالنسبة لما يترقبهم من فضل الله وثوابه الخالد، وفيه إيدان بأنهم يترقبهم جهاد في سبيل الله. ابن عاشور في التحرير والتنوير. «ت».

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّتَهُمْ ﴾ لنزلهم ﴿ مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا ﴾ منازل عالية ﴿ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن رَّسُولٍ مِّن قَبْلِكَ فَكَذَّبُوا بِهِ ثُمَّ وَقَالُوا لَا تَنْزِيلَ لِرَبِّنَا أَلَا يَرَىٰ أَنَّهُمْ لَيَبْغِضُونَهُ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٦٠﴾

الاستدلال بتوحيد الربوبية على الألوهية، وكذلك الاستدلال على ذلك بإخلاص المشركين حال الشدة

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَاذْنُ يُوَفِّكُونَ ﴾ ﴿٦١﴾ فكيف يصرفون عن الإيمان ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ ﴾ يوسع ﴿ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ﴾ يضيق ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٦٢﴾

﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ﴾ أي: إن الله عليم بمصالحكم، ومن لا يصلح له إلا البسط في الرزق، ومن لا يصلح له إلا التقدير عليه، وهو عالم بذلك. الطبري

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٦٣﴾

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾
الحياة الحقيقية الدائمة ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ
السفن ﴿دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٦٥﴾
 لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَنَّوْا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا
 حَرَمًا ءَامِنًا ﴿هِيَ مَكَّة﴾ وَيَخْطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴿يَسْتَلْبُونَ قَتْلًا وَأَسْرًا﴾
 ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ
 كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى ﴿مَسْكَنٌ وَمُسْتَقَرٌّ﴾
 ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا ﴿جَاهَدُوا لِنَصْرِةِ الدِّينِ بِشَتَّى﴾
 الْوَسَائِلِ، وَجَاهَدُوا نفوسهم على الطاعة ﴿لِنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ﴾
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

سورة الروم

سورة الروم، سورة مكية، فيها بيان أن تصريف الأمور والأحوال والأحداث لله وحده ، وفيها دعوة للتفكر في تدبير الله وخلقها، وفيها تأكيد لأصول العقيدة، وفيها توجيهات للمؤمنين، وفيها بيان لأحوال الناس في الدنيا والآخرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

انتصار أهل الكتاب على المجوس بأمر الله

﴿الْم ١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ هزمت فارس الروم ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ كُونَهُمْ مَغْلُوبِينَ ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ ﴿٣﴾

﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ عن عكرمة، أن الروم وفارس اقتتلوا في أدنى الأرض، وأدنى الأرض يومئذ أذرعات، بها التقوا. الطبري
 *وقيل: هي أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم. ينظر: تفسير البغوي

﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ من ٣-١٠ سنوات ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفِرُّ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٤﴾

﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ خرج أبو بكر الصديق إلى الكفار، فقال: فرحتم بظهور إخوانكم، فلا تفرحوا، فوالله ليظهرن على فارس، أخبرنا بذلك نبينا، فقام إليه أبي بن خلف الجمحي، فقال: كذبت، فقال: أنت أكذب يا عدو الله، فقال: اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه -والمناحبة: المراهنة- على عشر قلائص مني، وعشر قلائص منك، فإن ظهرت الروم على فارس غرمت، وإن ظهرت فارس غرمت، ففعلوا، وجعلوا الأجل ثلاث سنين، فجاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك، وذلك قبل تحريم القمار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما هكذا ذكرت، إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع، فزايدته في الخطر، وماده في الأجل»، فخرج أبو بكر ولقي أبياء، فقال: لعلك ندمت؟ قال: لا، فقال: فتعال أزايدك في الخطر، وأمادك في الأجل، فاجعلها مائة قلوص ومائة قلوص إلى تسع سنين.. إلخ البغوي

﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ ليس الغلبة والنصر لمجرد وجود الأسباب، وإنما هي لا بد أن يقترن بها القضاء والقدر. السعدي

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفِرُّ الْمُؤْمِنُونَ﴾ لأن الروم أهل كتاب، وفارساً مشركون يعبدون النار، كما يفرح المؤمنون أيضاً بانتصارهم على المشركين في بدر؛ إذ كان الوقت الذي انتصرت فيه الروم هو وقت انتصر فيه المؤمنون على المشركين في بدر. وهذا من الغيب الذي أخبر به القرآن قبل وقوعه. الجزائري

* قال ابن عطية: ويشبه أن يعلل ذلك بما يقتضيه النظر من محبة أن يغلب العدو الأصغر؛ لأنه أيسر مؤونة، ومتى غلب الأكبر كثر الخوف منه، فتأمل هذا المعنى ... قلت: ويحتمل أن يكون سرورهم بالمجموع من ذلك، فسروا بظهورهم على عدوهم، وبظهور الروم -أيضا- وبإنجاز وعد الله. القرطبي

﴿بَنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥﴾

﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿حَازِقِينَ فِي أُمُورِ دُنْيَاهُمْ﴾ وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴿٧﴾

من دلائل التوحيد، وعقوبة المكذبين

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ **وقت مقدر تنتهي إليه** ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: في أنفسهم آيات يعرفون بها أن الذي أوجدهم من العدم سيعيدهم بعد ذلك، وأن الذي نقلهم أطوارا من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى آدمي قد نفخ فيه الروح إلى طفل إلى شاب إلى شيخ إلى هرم، غير لائق أن يتركهم سدى مهملين لا ينهون، ولا يؤمرون، ولا يثابون، ولا يعاقبون. السعدي

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا فِي الْأَرْضِ وَغَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا غَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴿١٠﴾ أَعْمَاهُمْ ﴿١١﴾ السَّوْءَاتِ ﴿١٢﴾ الْعُقُوبَةُ ﴿١٣﴾ الْمَتَانِيهِ فِي السَّوْءِ ﴿١٤﴾ أَنْ كَذَبُوا ﴿١٥﴾ أَيُّ: لِأَجْلِ أَنَّهُمْ كَذَبُوا ﴿١٦﴾ بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا ﴿١٧﴾ هَاسِتَهِزُّونَ ﴿١٨﴾

الآخرة، وأقسام الناس فيها

﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ
يَبْأَسُ مِنَ النِّجَاحِ مِنَ الْعَذَابِ ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ
شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِدُ
يُفَرِّقُونَ ﴿١٤﴾ ﴿حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا﴾ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ يَكْرُمُونَ وَيَنْعَمُونَ

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَةٍ ﴾ قال أبو عبيدة: ليس شيء عند العرب أحسن من الرياض المعشبة، ولا أطيب ريحا. ابن الجوزي ﴿يُحَبَّرُونَ﴾ قال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير: تحبرون هو: السماع في الجنة. البغوي

﴿ ٤٠٥ ﴾

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ ﴿١٦﴾ مقيمون

من نعم الله على خلقه الدالة على وحدانيته

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ ﴿١٨﴾ **تدخلون وقت الظهيرة** ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ السِّنِينَكُمْ وَالْوَنِينَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢٢﴾ **لدوي العلم والبصيرة**

﴿وَأَخْلَفَ السِّنِينَكُمْ وَالْوَنِينَكُمْ﴾ لا تكاد ترى أحدا إلا وأنت تفرق بينه وبين الآخر. وليس هذه الأشياء من فعل النطفة، ولا من فعل الأبوين، فلا بد من فاعل، فعلم أن الفاعل هو الله تعالى، فهذا من أدل دليل على المدبر الباري. القرطبي

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ﴿٢٣﴾ **طلبكم للرزق** ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ **تخافون من الصواعق، وتطمعون في الغيث** ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ

﴿وَمَنْ عَائِنَهُ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ **بتدبيره** ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ **نفخة إسرافيل** ﴿إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ ﴿٢٦﴾ ﴿مطيعون منقادون لأمره﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ **الوصف الأعلى في كل ما يوصف به** ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٧﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ﴾ إذا كان قادرا على الابتداء الذي تقرون به كانت قدرته على الإعادة التي أهون أولى. السعدي

مثل المشرك والتحذير من الشرك والأمر بالاستقامة

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ **متساوون** ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٢٨﴾

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا﴾ هل أحد من عبيدكم وإمائكم الأرقاء يشارككم في رزقكم، وترون أنكم وهم فيه على حد سواء؟ ... ليس أحد مما ملكت أيمانكم شريكا لكم فيما رزقكم الله تعالى. هذا، ولستم الذين خلقتموهم، ورزقتموهم، وهم -أيضا- ممالك مثلكم، فكيف ترضون أن تجعلوا لله شريكا من خلقه، وتجعلونه بمنزلته، وعديلا له في العبادة، وأنتم لا ترضون مساواة ممالككم لكم؟ هذا من أعجب الأشياء. السعدي

﴿هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ﴾ إذا بطلت الشركة بين العبيد وساداتهم فيما يملكه السادة -والخلق كلهم عبيد لله تعالى- فيبطل أن يكون شيء من العالم شريكا لله تعالى في شيء من أفعاله، فلم يبق إلا أنه واحد يستحيل أن يكون له شريك. القرطبي

﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴿٢٩﴾ مَائِلًا إِلَيْهِ مُسْتَقِيمًا عَلَيْهِ ﴿٢٩﴾ فَطَرْتُ اللَّهُ ﴿٢٩﴾ الزموا دين الله ﴿٢٩﴾ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴿٢٩﴾ جِبْلَهُمْ، وَطَبْعَهُمْ عَلَيْهَا ﴿٢٩﴾ لَا بُدِيلَ لِمَخْلَقِ اللَّهِ ﴿٢٩﴾ لَا أَحَدَ قَادِرَ عَلَى مَنَعِ وَجُودِ الْفِطْرَةِ فِي الْمَخْلُوقِ ابْتِدَاءً ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْفَيْمُ ﴿٢٩﴾ الْمُسْتَقِيمِ الْمَوْصِلِ إِلَى رِضَا اللَّهِ ﴿٢٩﴾ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ خص الله إقامة الوجه؛ لأن إقبال الوجه تبع لإقبال القلب، ويترتب على الأمرين سعي البدن. السعدي

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ راجعين إليه بالتوبة ﴿وَأَتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾ (ومن صفة المشركين) ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ أخذوا بعضه، وتركوا بعضه ﴿وَكَانُوا شِيعًا﴾ فرقا وأحزابا ﴿كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿ ٤٠٧ ﴾

حال أكثر الناس

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ قال بعضهم والله لو توعدني حارس درب لحفت منه، فكيف والمتوعد هاهنا هو الذي يقول للشيء كن فيكون؟ . تفسير ابن كثير

﴿أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ برهانا ساطعا، وكتابا قاطعا ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ يحثهم على الشرك، ويقرر لهم صحته

﴿أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ فهو يتكلم بما كانوا به يشركون ﴿أي: يقول لهم: اثبتوا على شرككم، واستمروا على شككم؛ فإن ما أنتم عليه هو الحق، وما دعتكم

الرسول إليه باطل. السعدي

﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً ﴾ **نعمة من صحة ورخاء** ﴿ فَرَحُوا بِهَا ﴾ **فرح بطر**
وأشر لا فرح شكر ﴿ وَإِنْ تَصَبَّهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ **فقر ومرض** ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا
هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿ ٣٦ ﴾ **يأسون من زوال البلاء** ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ
يَشَاءُ ﴾ يوسع ﴿ وَيَقْدِرُ ﴾ يضيق ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿ ٣٧ ﴾

أوامر، وتحذير، وتذكير

﴿ فَآتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ، وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ
اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ ٣٨ ﴾ **وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا ﴿ قرض من المال بقصد**
الربا المحرم ﴿ لَيْرَبُوا ﴾ ليزيد ﴿ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِيوُا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن
زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿ ٣٩ ﴾ **الذين يضاعف الله لهم**
الحسنات

﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ الصدقة - مع اضطرار من يتعلق
 بالمنفق، أو مع دين عليه لم يقضه ويقدم عليه الصدقة - ... ليس بزكاة يؤجر
 عليه العبد، ويرد تصرفه شرعا، كما قال تعالى في الذي يمدح: ﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ،
 يَتَزَكَّىٰ ﴾ [الليل: ١٨] فليس مجرد إيتاء المال خيرا حتى يكون بهذه الصفة، وهو: أن
 يكون على وجه يتزكى به المؤتي. السعدي

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ
 مَّنْ يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ مِّن شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿ ٤٠ ﴾

آثار الذنوب في الدنيا

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ ﴾ **كالجذب والأمراض والأوبئة** ﴿ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَا كَسَبَتْ
أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿ ٤١ ﴾

﴿ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي: عن أعمالهم التي أثرت لهم من
 الفساد ما أثرت، فتصلح أحوالهم، ويستقيم أمرهم. فسبحان من أنعم ببلائه،
 وتفضل بعقوبته، وإلا فلو أذاقهم جميع ما كسبوا، ما ترك على ظهرها من دابة.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ ﴿٤٢﴾

الأمر بالاستقامة قبل يوم القيامة

﴿فَاقْمِ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ **المستقيم** ﴿مِن قَبْلُ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ، مِنْ اللَّهِ﴾
 لا يقدر أحد على رده ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ **يتفرق الخلائق أشتاتاً، ثم ما لهم**
إلى الجنة أو النار ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾
 ﴿٤٤﴾ **يهيئون منازلهم في الجنة** ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ﴾
 إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾

من آيات الله في الكون الدالة على قدرته ووحدانيته

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ﴾ **ومن آياته الدالة على قدرته** ﴿أَن يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ **تبشر**
بالمطر ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْأَنْفُكُ﴾ **السفن** ﴿بِأَمْرِهِ﴾ **بإرادته**
ومشيئته ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٤٦﴾

﴿وَلِيُذِيقَكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ﴾ **أي: يُنزل عليكم من رحمته مطراً تحيا به البلاد والعباد،**
وتذوقون من رحمته ما تعرفون أن رحمته هي المنقذة للعباد والجالبة لأرزاقهم،
فتشتاقون إلى الإكثار من الأعمال الصالحة الفاتحة لخزائن الرحمة. السعدي

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾
 وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ **الله الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَثِيرُ** **تحرك وتنتشر**
 ﴿سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا﴾ **قطعا متفرقة** ﴿فَتَرَى
الْوَدْقَ **المطر** ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ **من بين السحاب** ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ
 مِّنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ **وإن كانوا من قبل أن يُنزلَ عليهم من قبله،**
 لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ **يائسين من نزوله** ﴿فَانْظُرْ إِلَى ءِثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ **المطر**
 ﴿كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

﴿وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ صار الزرع بعد خضرته أصفرًا ﴿لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ ﴿٥١﴾ بنعم الله السابقة

الكفار صم عمي عن الحق

﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدْبِرِينَ﴾ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَدٍ الْعَمَى عَنْ ضَلَالِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾

أحوال خلق الإنسان

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ من النطفة المهينة ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ من بعد ضعف طفولتكم قوة الشباب ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ شيخوخة وهرماً ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ ﴿٥٤﴾

حال الكفار

﴿وَنَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ مدة قصيرة من الزمن ﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ يصرفون عن الحق

﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ أي: كما صرفوا عن معرفة الصدق في اللبث في القبر كانوا يصرفون في الدنيا عن الإيمان بالله تعالى ولقائه، والصارف لهم ظلمة نفوسهم بسبب الشرك والمعاصي. الجزائري

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٦﴾

﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي: في قضائه وقدره، الذي كتبه الله عليكم وفي حكمه {إلى يوم البعث} أي: عمرتم عمرا يتذكر فيه المتذكر ويتدبر فيه المتدبر ويعتبر فيه المعتبر حتى صار البعث ووصلتم إلى هذه الحال. ﴿فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فلذلك أنكرتموه في الدنيا

وأنكرتم إقامتكم في الدنيا وقتنا تتمكنون فيه من الإنابة والتوبة، فلم يزل الجهل شعاركم وآثاره من التكذيب والخسار دثاركم. السعدي

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ﴾ ما يقدمونه من أعذار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ ٥٧ ﴿لَا يَطْلُبُ مِنْهُمْ إِرْضَاءُ اللَّهِ بِالطَّاعَةِ وَالتَّوْبَةِ﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ٥٨ ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ﴾ يَخْتَمُ ﴿عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٥٩ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ ﴿لَا يَسْتَفْزِنُكَ﴾ وَلَا يَحْمِلُنكَ عَلَى الْخُفَةِ وَالطَّيْشِ ﴿الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ ٦٠

﴿٤١٠﴾

سورة لقمان

سورة لقمان، سورة مكية، فيها بيان لنعم الله على العباد، ودعوة الناس إلى الشكر بالتوحيد وامثال أوامر الله، وفي ثناياها ذكر قصة لقمان مثلاً على الشاكرين لله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

النعمة بإنزال القرآن على المحسنين، وحال الأشقياء

﴿الْم ١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾

﴿آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ من إحكامها: أنها جاءت بأجل الألفاظ وأفصحها، وأبينها، الدالة على أجل المعاني وأحسنها. ومن إحكامها: أنها محفوظة من التغيير والتبديل، والزيادة والنقص، والتحريف.

ومن إحكامها: أن جميع ما فيها من الأخبار السابقة واللاحقة، والأمور الغيبية كلها، مطابقة للواقع، مطابق لها الواقع، لم يخالفها كتاب من الكتب الإلهية، ولم يخبر بخلافها نبي من الأنبياء، ولم يأت، ولن يأتي علم محسوس، ولا معقول صحيح، يناقض ما دلت عليه.

ومن إحكامها: أنها ما أمرت بشيء إلا وهو خالص المصلحة، أو راجحها، ولا

نَهتَ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَهُوَ خَالِصُ الْمَفْسَدَةِ أَوْ رَاجِحُهَا، وَكَثِيرًا مَا يَجْمَعُ بَيْنَ الْأَمْرِ بِالشَّيْءِ، مَعَ ذِكْرِ حِكْمَتِهِ وَفَائِدَتِهِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الشَّيْءِ، مَعَ ذِكْرِ مُضَرَّتِهِ.

وَمِنْ إِحْكَامِهَا: أَنَّهُ جَمَعَتْ بَيْنَ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ، وَالْوَعْظِ الْبَلِیْغِ، الَّذِي تَعْتَدِلُ بِهِ النُّفُوسُ الْخَيْرَةَ، وَتَحْتَكِمُ، فَتَعْمَلُ بِالْحَزْمِ.

وَمِنْ إِحْكَامِهَا: أَنَّكَ تَجِدُ آيَاتِهِ الْمُتَكَرِّرَةَ - كَالْقَصَصِ، وَالْأَحْكَامِ، وَنَحْوِهَا - قَدْ اتَّفَقَتْ كُلُّهَا وَتَوَاطَأَتْ، فَلَيْسَ فِيهَا تَنَاقُضٌ، وَلَا اخْتِلَافٌ. فَكَلِمَا اِزْدَادَ بَهَا الْبَصِيرُ تَدَبَّرًا، وَأَعْمَلَ فِيهَا الْعَقْلُ تَفَكُّرًا، اِنْبَهَرَ عَقْلُهُ، وَذَهَلَ لَبُهُ مِنَ التَّوَافُقِ وَالتَّوَاطُؤِ، وَجَزَمَ جَزْمًا لَا يَمْتَرِي فِيهِ، أَنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ. السَّعْدِيُّ

﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴿٦﴾ مَا يَلْهَىٰ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ كَالْغَنَاءِ ﴿٧﴾ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بَغِيرَ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ﴿٨﴾ سَخِرَیةٌ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٠﴾ ﴾

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ سَأَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالَ: الْغِنَاءُ، وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، يَرُدُّهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ^(١). الطَّبْرِيُّ * وَذَكَرَ إِسْحَاقُ بْنُ عِيسَى الطَّبَاعُ قَالَ: سَأَلْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ عَمَّا يَرِخْصُ فِيهِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنَ الْغِنَاءِ، فَقَالَ: إِنَّمَا يَفْعَلُهُ عِنْدُنَا الْفَسَاقُ. الْقُرْطُبِيُّ

﴿ وَإِذَا نُتِيَ عَلَيْهِ عَيْنُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ وَقْرًا ﴾ صَمًّا ﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴾ ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿١٠﴾

من مظاهر نعم الله في خلقه

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوْسِي ﴾ ﴿ جِبَالًا ثَابِتَةً ﴾ ﴿ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ ﴿ لِّئَلَّا تُضْطَرُّ، وَتَتَحَرَّكَ ﴾ ﴿ وَبَثَّ فِيهَا ﴾ ﴿ نَشْر ﴾ ﴿ مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنْ

السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ **صنف بهيج نافع حسن**
المنظر ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ **ممن جعلتموهم**
له شركاء تعبدونهم ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿١١﴾

﴿٤١١﴾

النعمة على لقمان، ووصاياه لابنه

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ **الفقه في الدين والإصابة في القول** ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِلَّهِ

﴿١٢﴾

وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ **اختلف المفسرون، هل كان لقمان نبيا، أو عبدا**
صالحا؟ والله تعالى لم يذكر عنه إلا أنه آتاه الحكمة، وذكر بعض ما يدل على
حكيمته في وعظه لابنه، فذكر أصول الحكمة وقواعدها الكبار. السعدي
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ قال قتادة: أي: الفقه في الإسلام، ولم يكن نبيا، ولم
 يوح إليه. الطبري

* قال خالد الربيعي: كان نجارا، فقال له سيده: اذبح لي شاة، وأتيني بأطيبها
 مضغتين، فأتاه باللسان والقلب، فقال له: ما كان فيها شيء أطيب من هذين؟
 فسكت، ثم أمره بذبح شاة أخرى، ثم قال له: ألق أخبثها مضغتين، فألقى
 اللسان والقلب، فقال له: أمرتك أن تأتيني بأطيب مضغتين، فأتيتني باللسان
 والقلب، وأمرتك أن تلقي أخبثها، فألقيت اللسان والقلب؟! فقال له: إنه
 ليس شيء أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا. قلت: هذا معناه
 مرفوع في غير ما حديث، من ذلك قوله ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا
 صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب».
 وجاء في اللسان آثار كثيرة صحيحة وشهيرة، منها قوله عليه السلام: «من وقاه
 الله شر اثنتين ولج الجنة: ما بين لحيه ورجليه...» الحديث. وحكم لقمان كثيرة
 مأثورة هذا منها. القرطبي

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ قال عمرو بن قيس: أتى لقمان رجل في مجلس

أناس يحدثهم، فقال له: أأست الذي كنت ترعى معي الغنم في مكان كذا وكذا؟ قال: نعم، قال: فما بلغ بك ما أرى؟ قال: صدق الحديث، والصمت عما لا يعنيني. ينظر: تفسير الطبري

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٣﴾

﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ في صحيح مسلم وغيره عن عبد الله قال: لما نزلت ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أين لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾». القرطبي

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ ضعفا على ضعف ﴿وَفَصَّلَهُ﴾ فطامه عن الرضاعة ﴿فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلَوْلَدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾ ﴿١٤﴾

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ﴾ إن قال لنا قائل: ما وجه اعتراض هذا الكلام بين الخبر عن وصيتي لقمان ابنه؟ قيل: ذلك أيضًا وإن كان خبرًا من الله تعالى ذكره عن وصيته عباده به، وأنه إنما أوصى به لقمان ابنه، فكان معنى الكلام: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ولا تطع في الشرك به والديك ﴿وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥] فإن الله وصى بهما، فاستؤنف الكلام على وجه الخبر من الله، وفيه هذا المعنى، فذلك وجه اعتراض ذلك بين الخبرين عن وصيته. الطبري

﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تَشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ﴾ طريق ﴿مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ﴾ رجع ﴿ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٥﴾

﴿يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ حبة صغيرة

متناهية في الصغر ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهَا اللَّهُ﴾
يأتي بها يوم القيامة ويحاسب عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١٦)

﴿حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ هذا القول من لقمان إنما قصد به إعلام ابنه بقدر قدرة الله تعالى. يقال: إن الحس لا يدرك للخردلة ثقلاً؛ إذ لا ترجح ميزاناً. أي: لو كان للإنسان رزق مثقال حبة خردل في هذه المواضع جاء الله بها حتى يسوقها إلى من هي رزقه، أي: لا تهتم للرزق حتى تشتغل به عن أداء الفرائض، وعن اتباع سبيل من أناب إلي. ينظر: تفسير القرطبي

﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ أي: لطيف باستخراجها، خبير بمستقرها. الطبري
﴿يَبْنِي أَقْمَرُ الصَّلَوةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبَرٌ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾
﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١٧) من الأمور التي ينبغي الحرص عليها

﴿وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبَرٌ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ الداعية إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر لا بد أن يصيبه أذى، فهو محتاج إلى الصبر على ما يصيبه من أذية الناس له بالقول أو بالفعل. ش. عبدالعزيز الراجحي، ليدبروا آياته.

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ لا تمل وجهك كبراً وتعاضلاً **﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾** **﴿مَخْتَالًا مَّتَبَخَّرًا﴾** **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾** **﴿مَتَكَبِّرٍ بَفْعَلِهِ﴾** **﴿فَخُورٍ﴾ (١٨)**
متكبر بقوله

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ قال الثوري: كانوا يكرهون من الثياب الجياد التي يشتهر بها، ويرفع الناس إليه فيها أبصارهم، والثياب الرديئة التي يحتقر فيها، ويستذل دينه. ابن كثير

﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ تواضع، وكن بين المسرع والمبطئ **﴿وَأَغْضُضْ﴾** اخفض **﴿مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ﴾** أقبح وأبغض **﴿الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (١٩)**

﴿إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ ذكر هذه الجملة؛ لينفره من رفع صوته بغير حاجة، فذكر له أن أقبح الأصوات صوت الحمير؛ لأنه عالٍ مرتفع. الجزائري

التذكير بالنعم، والأمر بالتوحيد

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ﴾ ﴿عَمَّكُمْ بِنِعْمِهِ﴾ ﴿ظَهَرَ وَبَاطَنُهُ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلَوْ كَانُوا أَعْيُنًا نَظُرُونَ أَوْ أَسْمَاعًا سَمِعْنَا وَلَمْ نَحْصِصْ لَهُمْ سُلْطَانًا فَذَرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ الْيَوْمَ الَّذِي يَخْلَقُ السَّيِّئِينَ فِي أَعْيُنِنَا فَيُضَاعَفُونَ فِي الْعَذَابِ أَلْفَ ضِعْفٍ وَلَهُمْ فِيهَا أَلْقَابٌ مُبْتَدَأَةٌ لِلَّذِينَ كَانُوا فِيهَا يَتَّبِعُونَ الْأَمْرَ الْأَوَّلَ وَاللَّيْلِ مَبِيتًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ فِي الْبُحْرِ وَهُمْ لَا يُهْمُونَ لِيُقَدَّرَ بِهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٢١﴾ فَهَلْ هَذَا مُوجِبٌ لَاتِّبَاعِهِمْ ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ ﴿يُخْلِصْ عِبَادَتَهُ وَقَصْدَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾ ﴿تَعْلُقَ، وَاعْتَصِمَ﴾ ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ ﴿أَوْثَقُ سَبَبٍ مُوصِلٍ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿مَالٌ وَمَرْجِعٌ﴾ ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنُكَ كُفْرُهُ﴾ ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿فَظِيعٌ ثَقِيلٌ﴾

إقرار المشركين بالربوبية حجة عليهم في وجوب توحيد الألوهية ، وبيان أن كلمات الله لا تنفد

﴿وَلِينَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٥)

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الذي بين
النور، وأظهر الاستدلال عليكم من أنفسكم، فلو كانوا يعلمون لجزموا أن
المنفرد بالخلق والتدبير هو الذي يفرد بالعبادة والتوحيد. السعدي

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ قال قتادة: قال المشركون: إنما هذا كلام يوشك أن ينفد،

قال: لو كان شجر البرّ أقلّامًا، ومع البحر سبعة أبحر ما كان لتنفد عجائب ربي وحكمته وخلقه وعلمه. الطبري

﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ كخلق نفس واحدة وبعثها
﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ ﴿٢٨﴾

﴿ ٤١٣ ﴾

نعم الله، وضلال المشركين عن حقيقة الشكر

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ يدخل بأن يأخذ
من ساعات الليل، فيطول النهار والعكس ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي
إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُكَ ﴿ السفن
تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ ﴾ بأمر الله ورحمته ﴿ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ ءِصَابٌ مِّنْ سَحَابٍ مَّظِلَّةٍ ﴿ كالسحاب أو كالجبال المظلة
دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ
فَمِنْهُمْ مُّقْنَصِدٌ ﴾ متوسط لم يقيم بشكر الله على وجه الكمال ﴿ وَمَا يَجْحَدُ
بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ ﴾ غدار ناقض العهد ﴿ كَفُورٍ ﴾ ﴿٣٢﴾ جحود لنعم الله

الأمر بتقوى الله

﴿ يَتَأْتِيَ النَّاسُ اتِّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي ﴾ لا يغني فيه ﴿ وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ
وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ﴾ لا
تخدعنكم وتلهينكم ﴿ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ ﴿٣٣﴾ ما يغر
ويخدع من شيطان وغيره ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا
فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ
اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ ﴿٣٤﴾

﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾ ما ادّعي اليوم من أنه بواسطة الآلات الحديثة قد عرف
ما في رحم المرأة فهذه المعرفة ليست داخلية في قوله تعالى: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي

الْأَرْحَامِ ﴿لَأَنهَا بِمَثَابَةٍ مِنْ فَتْحِ الْبَطْنِ، وَنَظَرٍ مَا فِيهِ، فَقَالَ: هُوَ كَذَا؛ وَذَلِكَ لَوْجُودِ أَشْعَةٍ عَاكِسَةٍ، أَمَّا الْمُنْفَى عَنْ كُلِّ أَحَدٍ إِلَّا اللَّهُ أَنْ يَقُولَ الْمَرْءُ: إِنْ فِي بَطْنِ امْرَأَةٍ فَلَانِ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، وَلَا يَقْرُبُ مِنْهَا، وَلَا يَجْرِبُهَا فِي وَلادَتِهَا السَّابِقَةِ، وَلَا يَحَاوِلُ أَنْ يَعْرِفَ مَا فِي بَطْنِهَا بِأَيَّةِ مُحَاوَلَةٍ. الْجَزَائِرِي

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ عَنْ أُسَامَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا جَعَلَ اللَّهُ مَنِيَّةَ عَبْدٍ بِأَرْضٍ، إِلَّا جَعَلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةً». ابْنُ كَثِيرٍ، وَالحديث عند أحمد وصححه لغيره محققوا المسند.

﴿٤١٤﴾

سورة السجدة

سورة السجدة، سورة مكية، فيها بيان مصدر الوحي، وذكر شيء من مظاهر الخلق، وبيان مصير أهل الإيمان ومصير أهل الكفر، ووجوب أخذ العبرة من حال المكذبين السابقين، ووجوب التفكير في الكون.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القرآن من عند الله

﴿الْم ١﴾

﴿الْم﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْجُمُعَةِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ: ﴿الْم ١﴾ تَنْزِيلُ السَّجْدَةِ، وَ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾». متفق عليه

* وَعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ ﴿الْم ١﴾ تَنْزِيلُ السَّجْدَةِ، وَ﴿بَنَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾» الترمذي، وصححه الحاكم والألباني، وضعفه جمع من أهل العلم، والأقرب ضعفه.

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَيْنَاهُ﴾

اختلقه من عند نفسه ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ﴿٣﴾

من مظاهر خلق الله الدالة على وحدانيته

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ ۖ عَلَا ۖ وَارْتَفَعَ اسْتَوَاءً يَلِكُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ ۖ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ ۚ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۖ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤﴾ فتعلمون أنه هو المستحق لجميع أنواع العبادة ﴿يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ۖ يَصْعَدُ إِلَيْهِ ۖ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ معناه: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه في يوم كان مقدار ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه، ونزوله إلى الأرض، ألف سنة مما تعدون من أيامكم، خمسمائة في النزول، وخمسمائة في الصعود... ذلك أظهر معانيه، وأشبهها بظاهر التنزيل. الطبري

* قال ابن فيروز لابن عباس: يا أبا عباس. قوله: ﴿يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فكأن ابن عباس اتهمه فقال: ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ قال: إنما سألتك لتخبرني، فقال ابن عباس: هما يومان ذكرهما الله في كتابه، الله أعلم بهما، وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم، فضرب الدهر من ضرباته حتى جلست إلى ابن المسيب، فسأله عنهما إنسان فلم يخبره، ولم يدر. فقلت: ألا أخبرك بما حضرت من ابن عباس؟ قال: بلى، فأخبرته فقال للسائل: هذا ابن عباس قد أبى أن يقول فيها، وهو أعلم مني. الشوكاني، قلت وفي هذا من أدب العلم ما فيه.

﴿ ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٦﴾

مراحل حياة الإنسان

﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۝٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ ﴿ ذَرِيَّتَهُ ۖ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝٨﴾ وهى النطفة ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩﴾ وَقَالُوا ۖ أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ﴿ تَحُولُنَا تَرَابًا بَعْدَ الْمَوْتِ ۖ أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۖ

بعثا جديدا ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَنفِقْنَكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿٤١٥﴾

حال المجرمين في الآخرة

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ ﴿١٢﴾ قَدْ خَفَضُوهَا وَأَظْرَقُوا خَزْيًا وَنَدَمًا﴾ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴿ثَبَتَ وَتَحَقَّقَ﴾ **ووجب** ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ ﴿الجن﴾ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ ﴿تركتم الإتيان والعمل﴾ ﴿لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَكُمْ ﴿تركتناكم بالعذاب﴾ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

حال المؤمنين في الدنيا، وجزاؤهم في الآخرة

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾﴾ نَتَجَافَىٰ جُنُوبَهُمْ ﴿ترتفع، وتتحنى للعبادة﴾ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴿فرش النوم﴾ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ﴾ ما اذخر لهم من الجزاء ﴿مِنْ قُرَّةٍ أَعْيُنٍ﴾ ما يفرح ويسر ﴿جَزَاءٍ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةٍ أَعْيُنٍ﴾ قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، وَاقرؤوا إِنَّ شِئْتُمْ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةٍ أَعْيُنٍ جَزَاءٍ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾». الطبري، والحديث في الصحيحين.

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰى ﴿التي يأوون إليها ويقىمون بها﴾ ﴿نَزْلًا﴾ ضِيَافَةً لَهُمْ ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾

جزاء الفاسقين

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿٤١٦﴾

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ ﴿البلايا والمصائب في الدنيا﴾ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ﴿وهو عذاب النار﴾ لَعَلَّهُمْ رَجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

إعذار الله للأمم السابقة بإرسال الرسل وإنزال الكتب

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ ﴿شك﴾ مِنْ لِقَائِهِ ۖ ﴿لقاء موسى ليلة الإسراء﴾ وَجَعَلْنَاهُ ﴿موسى﴾ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ ﴿من بني إسرائيل﴾ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ ﴿بين جميع الخلق﴾ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾

وجوب أخذ العبرة من حال السابقين، والتفكر في الكون

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴿أولم يتبين هؤلاء المكذبين﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا ﴿كثرة إهلاكنا﴾ مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنَ الْقُرُونِ ﴿من الأمم السابقة﴾ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ ﴿اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها﴾ فَنَخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ عن قيس بن حجاج، عمن حدثه قال: لما فتحت مصر، أتى أهلها عمرو بن العاص - وكان أميراً بها - حين دخل بؤونة من أشهر العجم، فقالوا: أيها الأمير، إن لئيلنا سنة لا يجري إلا بها. قال: وما ذاك؟ قالوا: إذا كانت ثنتا عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها، فأرضينا أبويها، وجعلنا عليها من الحلي

والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل. فقال لهم عمرو: إن هذا لا يكون في الإسلام، إن الإسلام يهدم ما كان قبله. فأقاموا ... والنيل لا يجري، حتى هموا بالجللاء، فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك، فكتب إليه: إنك قد أصبت بالذي فعلت، وقد بعثت إليك ببطاقة داخل كتابي هذا، فألقها في النيل. فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة ففتحها، فإذا فيها: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر، أما بعد ... فإنك إن كنت إنما تجري من قبلك فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك، فنسأل الله أن يجريك. قال: فألقى البطاقة في النيل، وأصبحوا يوم السبت، وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة، وقطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم. رواه الحافظ أبو القاسم اللالكائي الطبري في كتاب «السنة» له. ابن كثير والأثر ضعيف.

استعجال الكافرين للعذاب

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ يوم العذاب الذي تعدوننا ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٨) ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾ يوم القضاء والفصل ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ (٢٩) ﴿يَمْهَلُونَ﴾ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ ﴿وَأَنْتَظِرُ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾ (٣٠)

﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾ لما وصل خطابهم إلى حالة الجهل، واستعجال العذاب. ﴿وَأَنْتَظِرُ﴾ الأمر الذي يحل بهم، فإنه لا بد منه، ولكن له أجل، إذا جاء لا يتقدم ولا يتأخر. ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾ بك ريب المنون، ومتربصون بكم دوائر السوء، والعاقبة للتقوى. السعدي

سورة الأحزاب

سورة الأحزاب، سورة مدنية، فيها توجيهات وتشريعات كثيرة للنبي ﷺ والمؤمنين، وفيها توضيح عناية الله بنبيه وحماية جنابه وأهل بيته، وفيها تطرق

لأحداث غزوة الخندق «الأحزاب» وفضح لتصرفات المنافقين، وبيان جزاء المؤمنين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأمر بالتقوى، والثبات في وجه الكافرين

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ (١) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ (٢) وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ (٣)﴾ **حافظًا**

إبطال التبني

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ النَّسَىٰ تُظَاهِرُونَ مِنَّنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ﴾ **أن يقول الرجل لزوجته أنت على كظهر أمي** ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ﴾ **من تبنيتموه من أولاد غيركم** ﴿ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۚ﴾ **قول لا حقيقة له ولا معنى له** ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝ (٤)﴾ **طريق الحق والرشاد**

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ﴾ قال الزهري ومقاتل: هذا مثل ضربه الله عَزَّوَجَلَّ للمظاهر من امرأته، وللمتبني ولد غيره، يقول: فكما لا يكون لرجل قلبان، كذلك لا تكون امرأة المظاهر أمه حتى تكون له أمان، ولا يكون له ولد واحد ابن رجلين. البغوي

أَدْعُوهُمْ لَا بَأْسَ لَهُمْ كَانَ زَيْدٌ - فِيمَا رَوَى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - وَغَيْرُهُ مَسْبِيًّا مِنَ الشَّامِ، سَبَتْهُ خَيْلٌ مِنْ تِهَامَةَ، فَابْتَاعَهُ حَكِيمُ بْنُ حَزَامٍ بْنُ خُوَيْلِدٍ، فَوَهَبَهُ لِعَمَتِهِ خَدِيجَةَ، فَوَهَبَتْهُ خَدِيجَةُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَأَعْتَقَهُ وَتَبَنَاهُ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ مَدَّةً، ثُمَّ جَاءَ عَمَّهُ وَأَبُوهُ يَرْغَبَانِ فِي فِدَائِهِ، فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ وَذَلِكَ قَبْلَ الْبَعْثِ: «خِيَاهُ، فَإِنْ اخْتَارَكُمَا فَهُوَ لَكُمَا دُونَ فِدَاءٍ». فَاخْتَارَ الرِّقَّ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَرِيَّتِهِ وَقَوْمِهِ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! اشْهَدُوا أَنَّهُ ابْنِي يَرِثُنِي وَأَرِثُهُ» وَكَانَ يَطُوفُ عَلَى حَلْقِ قُرَيْشٍ يَشْهَدُهُمْ عَلَى ذَلِكَ، فَفَرَضِي

ذلك عمه وأبوه، وانصرفا. القرطبي

﴿ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ ﴾ **أعدل وأقوم** ﴿عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا
ءَابَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ **أولياؤكم في الدين** ﴿وَلَيْسَ
عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ **إثم** ﴿فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ﴾ **الإثم على** ﴿مَا تَعَمَّدَتْ
قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿٥﴾

﴿ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ ﴾ قال ابن عمر: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن
محمد، حتى نزلت ﴿ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ ﴾. ابن الجوزي
﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ أي: كقول أحدكم للدعي: يا ابن
فلان، لمن ادعاه خطأ لسان بدون قصد، أو ظنا منكم أنه ابنه، وهو في الواقع
ليس ابنه، ولكن الإثم في التعمد والقصد المعتمد. الجزائري

ولاية النبي ﷺ ، وأمومة أزواجه للمؤمنين

﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ أنفع وأرف وأقرب لهم من أنفسهم في
الدين والدنيا ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ مثل أمهاتهم في تحريم نكاحهن وتعظيم
حقهن ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾ **ذوو القرابة** ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ
اللَّهِ﴾ **حكم الله وشرعه** ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ
أَوْلِيَائِكُمْ مَّعْرُوفًا﴾ **براً وصلة وإحساناً** فليس لهم حق في الميراث
﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ﴾ **اللوح المحفوظ** ﴿مَسْطُورًا﴾ ﴿٦﴾
مقدراً مكتوباً

﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ هذه الآية حجة على ولاية ذوي
الأرحام في جميع الولايات، كولاية النكاح، والمال، وغير ذلك. السعدي
﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي: في حكمه، فيرث
بعضهم بعضاً، ويبر بعضهم بعضاً، فهم أولى من الحلف والنصرة.
والأدعياء: الذين كانوا من قبل يرثون بهذه الأسباب، دون ذوي الأرحام،
فقطع تعالى، التوارث بذلك، وجعله للأقارب، لطفاً منه وحكمة؛ فإن الأمر لو

استمر على العادة السابقة، لحصل من الفساد والشر، والتحيل لحرمان الأقارب من الميراث، شيء كثير. السعدي

﴿٤١٨﴾

الميثاق المأخوذ من الأنبياء عامة وأولى العزم خاصة

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ ﴿٧﴾ الْعَهْدَ الْمُؤَكَّدَ بِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ ﴿٨﴾ وَمِنْكَ وَمَنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا ﴿٩﴾ لَيْسَ لَكَ لِلصِّدِّيقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾

غزوة الأحزاب

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ ﴿١١﴾ هُمُ الْأَحْزَابُ حِينَ اجْتَمَعُوا فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ ﴿١٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا ﴿١٣﴾ أَضْرَتِ بِالْكَافِرِ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ﴿١٥﴾ الْمَلَائِكَةُ ﴿١٦﴾ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾

﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا ﴿١٨﴾﴾ فعلت بهم الصبا الأفاعيل، حيث لم تبق لهم نارًا إلا أطفأتها، ولا قدرًا على الأثافي إلا أراقتها، ولا خيمة ولا فسطاطًا إلا أسقطته وأزالته حتى اضطروا إلى الرحيل، وقوله: ﴿وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ وهم الملائكة، فأصابتهم بالفرع والرعب الأمر الذي أفقدهم كل رشدهم وصوابهم، ورجعوا يحIRON أذيال الخيبة. الجزائري
* عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ أنه قال: «نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور». البغوي، والحديث متفق عليه

﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ ﴿١٩﴾ شَخْصَتِ الْأَبْصَارُ حَيْرَةً وَدَهْشَةً ﴿٢٠﴾ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿٢١﴾﴾ تظنون أن لا ينصر الله دينه ونبيه

﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ أي: من الشرق، وهم: غطفان، بقيادة عيينة بن حصن وأسد ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ وهم: قريش وكنانة، أي من الجنوب

الغربي، وهذا تحديد لساحة المعركة. الجزائري

﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ ﴾ امتحن ﴿ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا ﴾ اضطربوا ﴿ زُلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ ﴿ ١١ ﴾

موقف المنافقين في الغزوة

﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ ﴾ شك وضعف إيمان ﴿ مَا وَعَدَنَا ﴾ الله وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿ ١٢ ﴾ باطلاً خادعاً

﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ قال المفسرون: قالوا يومئذ: إن محمداً يعدنا أن نفتح مدائن كسرى وقيصر، وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله! هذا والله الغرور. ابن الجوزي

﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَتَأَهَّلِ يَثْرِبَ ﴾ الاسم الجاهلي للمدينة ﴿ لَا مَقَامَ لَكُمْ ﴾ لا إقامة لكم في معركة خاسرة، وكانوا عسكروا دون الخندق، وخارج المدينة ﴿ فَارْجِعُوا ﴾ وَيَسْتَعِذُّ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴿ غَيْرَ مَحْصَنَةٍ ﴾ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿ ١٣ ﴾

﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَتَأَهَّلِ يَثْرِبَ ﴾ عدلوا عن الاسم الذي وسمها به النبي ﷺ من المدينة وطيبة مع حسنه، إلى الاسم الذي كانت تدعى به قديماً مع احتمال قبحه باشتقاقه من الشرب الذي هو اللوم والتعنيف، إظهاراً للعدول عن الإسلام. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. «ت».

﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَتَأَهَّلِ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ﴾ أي إلى المدينة، فهذه الطائفة تخذل عن الجهاد، وتبين أنهم لا قوة لهم بقتال عدوهم، ويأمرونهم بترك القتال، فهذه الطائفة، شر الطوائف وأضرها. السعدي

﴿ وَيَسْتَعِذُّ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ أي: وطائفة أخرى دونهم، أصابهم الجبن والجزع، وأحبوا أن ينخزلوا عن الصفوف، فجعلوا يعتذرون بالأعذار الباطلة، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿ وَيَسْتَعِذُّ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ أي: عليها الخطر، ونخاف عليها أن يهجم عليها الأعداء،

ونحن غيب عنها، فأذن لنا نرجع إليها، فنحرسها، وهم كذبة في ذلك.
السعدي

* تم حفر الخندق في خلال شهر من الزمن، وكان ﷺ يعطي كل عشرة أنفار أربعين ذراعًا أي: عشرين مترًا، وما إن فرغوا من حفره حتى نزلت جيوش المشركين، وكانوا قرابة اثني عشر ألفًا. الجزائري

﴿ وَلَوْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ﴾ **جوانب المدينة** ﴿ ثُمَّ سِيلُوا الْفِتْنَةَ ﴾ **الشرك بالله، والرجوع عن الإسلام** ﴿ لَا تَوَّهَا ﴾ **لأجابوا إلى ذلك مبادرين** ﴿ وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا ﴾ **ما تأخروا عن الإجابة إلى الشرك** ﴿ إِلَّا يَسِيرًا ﴾ (١٤)

﴿ ثُمَّ سِيلُوا الْفِتْنَةَ لَا تَوَّهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴾ أي: ليس لهم منعة ولا تصلب على الدين، بل بمجرد ما تكون الدولة للأعداء، يعطونهم ما طلبوا، ويوافقونهم على كفرهم، هذه حالهم. والحال أنهم قد ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدَّبْرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴾ سيسألهم عن ذلك العهد، فيجدهم قد نقضوه، فما ظنهم - إذا - بربهم؟. السعدي

﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدَّبْرَ ﴾ **لا يفرون من المعركة** ﴿ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴾ (١٥)

﴿ ٤١٩ ﴾

﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١٦) ﴿ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ ﴾ **يمنعكم** ﴿ مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (١٧) ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ ﴾ **المثبطين عن الجهاد** ﴿ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾ **تعالوا إلينا، وارجعوا عن الجهاد** ﴿ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ ﴾ **القتال** ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١٨) ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾ **بخلاء بأموالهم وأنفسهم وجهودهم** ﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ ﴾ **حضر القتال** ﴿ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ ﴾ **خوفًا وهلعًا** ﴿ كَالَّذِي يَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ ﴾ **رموكم** ﴿ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ ﴾ **ذربة سليطة**

مؤذية ﴿أَشْحَتَّ عَلَى الْخَيْرِ﴾ بخلاء وحسدة عند قسمة الغنائم ﴿أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوتُ ﴿فِي الْبَادِيَةِ﴾ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ ﴿أَخْبَارَكُمْ﴾ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ أي: لم يذهبوا حتى يستأصلوهم، فخاب ظنهم، وبطل حسابهم. ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾ مرة أخرى ﴿يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوتُ﴾ في الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ ﴿أي: لو أتى الأحزاب مرة ثانية مثل هذه المرة، ود هؤلاء المنافقون أنهم ليسوا في المدينة، ولا في القرب منها، وأنهم مع الأعراب في البادية، يستخبرون عن أخباركم، ويسألون عن أنباءكم، ماذا حصل عليكم؟ فتبا لهم، وبعدا، فليسوا بمن يبالي بحضورهم ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ فلا تبالوهم، ولا تأسوا عليهم. السعدي

اتباع الرسول ﷺ ، وموقف المؤمنين

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ ﴿قُدوة﴾ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ﴾ استدل الأصوليون بهذه الآية على الاحتجاج بأفعال الرسول ﷺ، وأن الأصل أن أئمة أسوته في الأحكام، إلا ما دل الدليل الشرعي على الاختصاص به. السعدي

*أي: أسوة حسنة في جهاده وصبره وثباته، فقد جاع حتى شد بطنه بعصاة، وقاتل حتى شج وجهه، وكسرت رباعيته، ومات عمه، وحفر الخندق بيديه، وثبت في سفح سلع أمام العدو قرابة شهر، فأتسوا به في الصبر والجهاد الجزائري

*كان معاوية يستلم جميع أركان الكعبة، فقال له ابن عباس: إن النبي ﷺ لم يكن يستلم إلا الركنين . فقال معاوية: ليس شيء من البيت مهجور. فقال ابن

عباس ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ﴾ فسكت معاوية ووافق ابن عباس رضوان الله عليهم أجمعين. ويستفاد من هذا الموقف: أن فهم السنة من أعظم ما يعين على التدبر؟ د. عمر المقبل، ينظر: ليدبروا آياته.

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ ﴿٢٢﴾

﴿ ٤٢٠ ﴾

الجزء الحسن للمؤمنين، وعاقبة الكفار ومن عاونهم

﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ وفي بندره في نصرة دينه ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قُضِيَ نَجْوَاهُ﴾ مات شهيداً ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ﴾ الشهادة في سبيله ﴿وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ ﴿٢٣﴾

﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ عن أنس رضي الله عنه، قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: «يارسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع»، فلما كان يوم أحد، وانكشف المسلمون، قال: «اللهم إني أعترذ إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء، - يعني المشركين -»، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: «يا سعد بن معاذ، الجنة، ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد»، قال سعد: فما استطعت يارسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته بينانه قال أنس: «كنا نرى، أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إلى آخر الآية». البخاري

﴿لَيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ تَوَبَّ عَلَيْهِمْ﴾ بأن يوفقهم للتوبة والإنابة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ ﴿مَغْطَايُنَ﴾ ﴿لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ ﴿لَمْ يَنَالُوا مَا أَرَادُوا﴾ ﴿وَكَفَى

اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ ﴿٢٦﴾
 عاونوا الأحزاب ﴿٢٧﴾ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴿٢٨﴾ وهم يهود بنى قريظة ﴿٢٩﴾ مِّنْ
 صَيَاصِيهِمْ ﴿٣٠﴾ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ
 وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٣١﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَّوُّوها ﴿٣٢﴾
 أى: لم تطؤوها بعد، وهى خير؛ إذ فتحت بعد غزوة الخندق ﴿٣٣﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى
 كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٣٤﴾

﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَّوُّوها ﴾ قيل: خير. وقيل: مكة
 ... وقيل: فارس والروم. وقال ابن جرير: يجوز أن يكون الجميع مرادا. ابن
 كثير

تخيير زوجات النبي ﷺ ، والتخيير ليس بطلاق

﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ
 أُمْتِعْكَنَّ ﴾ أعطكن متعة الطلاق ﴿ وَأُسَرِّحْكُنَّ ﴾ أطلقكن ﴿ سَرَّاحًا ﴾
 جميلاً ﴿ ٢٨ ﴾ بلا أذى أو ضرر

﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ ﴾ هذا التخيير داع، وموجب للقناعة
 التي يطمئن لها القلب، وينشرح لها الصدر، ويزول عنهن جشع الحرص،
 وعدم الرضا الموجب لقلق القلب واضطرابه، وهمه وغمه. السعدي

﴿ وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ ﴾ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ
 أَجْرًا عَظِيمًا ﴿ ٢٩ ﴾

توجيهات لزوجات النبي ﷺ

﴿ يٰٓنِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ ﴾ معصية ظاهرة ﴿ يُضَعَفْ
 لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿ ٣٠ ﴾

﴿ يٰٓنِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾
 قال القشيري أبو نصر: الظاهر أنه أراد بالضعفين المثلين؛ لأنه قال: «نؤتها
 أجرها مرتين». فأما في الوصايا، لو أوصى لإنسان بضعفي نصيب ولده فهو

وصية بأن يعطى مثل نصيبه ثلاث مرات، فإن الوصايا تجري على العرف فيما بين الناس، وكلام الله يرد تفسيره إلى كلام العرب، والضعف في كلام العرب المثل إلى ما زاد، وليس بمقصود على مثلين. يقال: هذا ضعف هذا، أي: مثله. وهذا ضعفاه، أي: مثلاه، فالضعف في الأصل زيادة غير محصورة. القرطبي * وإنما ضوعف عذابهن على الفاحشة لأنهن يشاهدن من الزاجر ما يردع عن مواجهة الذنوب ما لا يشاهد غيرهن، فإذا لم يمتنعن استحققن تضعيف العذاب. التفسير الوسيط

﴿ ٤٢١ ﴾

﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ **تطمع وتمثل** ﴿٣١﴾ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا **أعدنا** ﴿٣٢﴾ لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ ﴿٣٢﴾ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ﴿٣٣﴾ **لا تتحدثن مع الأجانب بصوت لين** ﴿٣٣﴾ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴿٣٤﴾ شهوة وميل إلى النساء ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٥﴾ **وسطا ليس بغليظ جاف، ولا لين مشوب بريبة** ﴿٣٥﴾ وَقَرْنَ ﴿٣٦﴾ **ابقين** ﴿٣٦﴾ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ ﴿٣٧﴾ **لا تظهرن محاسنكن** ﴿٣٧﴾ تَبَرَّجِ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴿٣٨﴾ **التي قبل الإسلام** ﴿٣٨﴾ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ ﴿٣٩﴾ **الأذى والسوء والإثم** ﴿٣٩﴾ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٤٠﴾

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ قال ابن العربي: لقد دخلت نيفا على ألف قرية، فما رأيت نساء أصون عيالا، ولا أعف نساء من نساء نابلس ... فإني أقمت فيها، فما رأيت امرأة في طريق نهارا إلا يوم الجمعة؛ فإنهن يخرجن إليها حتى يمتلئ المسجد منهن، فإذا قضيت الصلاة، وانقلبن إلى منازلهن، لم تقع عيني على واحدة منهن إلى الجمعة الأخرى. وقد رأيت بالمسجد الأقصى عفاف ما خرجن من معتكفهن حتى استشهدن فيه. القرطبي

﴿ وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ **أحاديث**

الرسول ﷺ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ من معاني «اللطيف»: الذي يسوق عبده إلى الخير، ويعصمه من الشر، بطرق خفية لا يشعر بها، ويسوق إليه من الرزق ما لا يدره، ويريه من الأسباب التي تكرهها النفوس ما يكون ذلك طريقا له إلى أعلى الدرجات، وأرفع المنازل. السعدي

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنَاتِ
الْمُطِيعِينَ الْخَاضِعِينَ لِلَّهِ﴾ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ
وَالْخَاشِعِينَ ﴿الْخَائِفِينَ مِنْ اللَّهِ الْمُتَوَاضِعِينَ﴾ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ
وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ
وَالْحَافِظَاتِ ﴿عَنِ الزَّوْنِ وَمَقَدِمَاتِهِ، وَعَنْ كَشْفِ الْعَوْرَةِ لِمَنْ لَا يَحِلُّ لَهُمْ
وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا
عَظِيمًا﴾

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ هذه الآية، وإن نزلت جواباً عن تساءل بعض أزواج النبي ﷺ إذ قلن للنبي ﷺ: ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال فأنزل الله تعالى هذه الآية المباركة ﴿الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ فإن مناسبتها لما قبلها ظاهرة، وهي أنه لما أثنى على آل البيت بخير، فإن نفوس المسلمين والمسلمات تشوق لخير لهم كالذي حصل لآل البيت الطاهرين، فذكر تعالى أن المسلمين والمسلمات ... الكل الجميع أعد الله تعالى لهم مغفرة لذنوبهم، إذ كانت لهم ذنوب، وأجرًا عظيمًا أي جزاء عظيمًا على طاعتهم بعد إيمانهم وهو الجنة دار السلام جعلنا الله منهم ومن أهل الجنة. الجزائري

قصة زيد بن حارثة ، رضي الله عنه ، وزواج النبي ﷺ من زينب رضي الله عنها

﴿وَمَا كَانَ﴾ لا ينبغي ﴿لِلْمُؤْمِنِ وَلَا الْمُؤْمِنَةِ إِذَا قُضِيَ﴾ حكم ﴿اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾
 أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴿الْاِخْتِيَارُ﴾ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ

ضَلَّالًا مُّيِّنًا ﴿٣٦﴾

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ خطب رسول الله ﷺ زينب لمولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله ﷺ اشترى زيدا في الجاهلية بعكاظ، فأعتقه وتبناه، فلما خطب رسول الله ﷺ زينب رضيت، وظنت أنه يخطبها لنفسه، فلما علمت أنه يخطبها لزيد أبت، وقالت: أنا ابنة عمتك يا رسول الله فلا أرضاه لنفسي، وكانت بيضاء جميلة فيها حدة، وكذلك كره أخوها ذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ يعني عبد الله بن جحش ﴿وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ يعني: أخته زينب، ﴿إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾ أي: إذا أراد الله ورسوله أمرا، وهو: نكاح زينب لزيد ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾. البغوي

* وعن أنس قال: خطب النبي ﷺ على جلييب امرأة من الأنصار إلى أبيها، فقال: حتى أستمأر أمها، فقال النبي ﷺ: فنعم، إذا قال: فانطلق الرجل إلى امرأته، فذكر ذلك لها، فقالت: لاها الله ذا، ما وجد رسول الله ﷺ إلا جلييبا، وقد منعناها من فلان وفلان؟ قال: والجارية في سترها تسمع. قال: فانطلق الرجل يريد أن يخبر النبي ﷺ بذلك. فقالت الجارية: أتريدون أن تردوا على رسول الله ﷺ أمره؟ إن كان قد رضيه لكم؛ فأنكحوه. قال: فكأنها جلت عن أبيها، وقالوا: صدقت. فذهب أبوها إلى رسول الله ﷺ فقال: إن كنت رضيته فقد رضيناه. قال: «فإني قد رضيته». قال: فزوجها، ثم فرع أهل المدينة، فركب جلييب. فوجدوه قد قتل، وحوله ناس من المشركين قد قتلهم، قال أنس: فلقد رأيتها وإنما لمن أنفق بيت بالمدينة. ابن كثير والحديث عند أحمد

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالعق، وهو: زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ﴾ وهو ما أوحاه الله إليك من طلاق زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لامرأته، وزواجك منها ﴿مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ مظهره ﴿وَتُخْشَى النَّاسَ﴾ تخاف من المنافقين أن يقولوا تزوج محمد امرأة من سبق أن تبناه ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا﴾ طلقها وانقضت العدة ﴿زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

حَرَجٌ ﴿٢٧﴾ **إِثْمٌ** ﴿٢٨﴾ **فِي أَزْوَاجٍ أَدْعِيَائِهِمْ** ﴿٢٩﴾ **مِنْ كَانُوا يَتَّبِعُونَهُمْ** ﴿٣٠﴾ **إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا** ﴿٣١﴾ **حَاجَةٌ** ﴿٣٢﴾ **وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا** ﴿٣٣﴾

﴿٢٧﴾ **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ** ﴿٢٨﴾ **كَانَ سَبَبُ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَاتِ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرَادَ أَنْ يَشْرَعَ شَرْعًا عَامًّا لِلْمُؤْمِنِينَ، أَنَّ الْأَدْعِيَاءَ لَيْسُوا فِي حُكْمِ الْأَبْنَاءِ حَقِيقَةً مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، وَأَنَّ أَزْوَاجَهُمْ لَا جَنَاحَ عَلَى مَنْ تَبَنَاهُمْ فِي نِكَاحِهِمْ، وَكَانَ هَذَا مِنَ الْأُمُورِ الْمَعْتَادَةِ الَّتِي لَا تَكَادُ تَزُولُ إِلَّا بِحَادِثٍ كَبِيرٍ، فَأَرَادَ أَنْ يَكُونَ هَذَا الشَّرْعُ قَوْلًا مِنْ رَسُولِهِ وَفِعْلًا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا جَعَلَ لَهُ سَبَبًا، وَكَانَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَدْعَى: زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَدْ تَبَنَاهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَصَارَ يَدْعَى إِلَيْهِ حَتَّى نَزَلَ ﴿٢٩﴾ **أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ** ﴿٣٠﴾ فَقِيلَ لَهُ: زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَكَانَتْ تَحْتَهُ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشِ ابْنَةِ عَمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. السَّعْدِيُّ**

﴿٣١﴾ **وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ** ﴿٣٢﴾ **قَالَتْ عَائِشَةُ: مَا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ آيَةٌ هِيَ أَشَدُّ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ، وَلَوْ كَتَمَ شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ لَكَتَمَهَا. ابْنُ**

الجوزي

﴿٣٣﴾ **وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ** ﴿٣٤﴾ **وَهُوَ الَّذِي أَرَادَ لَكَ ذَلِكَ الزَّوْاجَ.**

الجزائري

﴿٣٥﴾ **زَيْدٌ** ﴿٣٦﴾ **قَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّهْلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ يُقَالُ: زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَتَّى نَزَلَ ﴿٢٩﴾ **أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ** ﴿٣٠﴾ فَقَالَ: أَنَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ. وَحَرَّمَ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ: أَنَا زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ. فَلَمَّا نَزَعَ عَنْهُ هَذَا الشَّرْفُ، وَهَذَا الْفَخْرُ، وَعَلِمَ اللَّهُ وَحِشَتَهُ مِنْ ذَلِكَ شَرْفَهُ بِخَصِيصَةٍ لَمْ يَكُنْ يَخْصُ بِهَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَهِيَ أَنَّهُ سَمَاهُ فِي الْقُرْآنِ. الْقُرْطُبِيُّ**

﴿٣٧﴾ **زَوْجَنكِهَا** ﴿٣٨﴾ **فِي الْآيَةِ فَضِيلَةُ زَيْنَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، حَيْثُ تَوَلَّى اللَّهُ تَزْوِيجَهَا مِنْ رَسُولِهِ ﷺ، مِنْ دُونِ خُطْبَةٍ وَلَا شَهَادَةٍ؛ وَلِهَذَا كَانَتْ تَفْتَخِرُ بِذَلِكَ عَلَى أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتَقُولُ: زَوْجَكُنْ أَهَالِيكُنْ، وَزَوْجَنِي اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ. السَّعْدِيُّ**

﴿٣٩﴾ **مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ** ﴿٤٠﴾ **إِثْمٌ** ﴿٤١﴾ **فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ** ﴿٤٢﴾ **قَدْرَ لَهُ مِنَ الزَّوْجَاتِ،**

فَإِنْ هَذَا، قَدْ أَبَاحَهُ اللَّهُ لِلْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ ﴿٣٨﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٩﴾

توجيهات للمؤمنين، وبيان مكانة النبي ﷺ

﴿الَّذِينَ يُلَاقُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ قال ابن عباس: لم يعذر أحد في ترك ذكر الله إلا من غلب على عقله. القرطبي. «ت».

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ **أول النهار وآخره** ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ **يرحمكم ويشئ عليكم** ﴿وَمَلَائِكَتُهُ يُدْعُونَ لَكُمْ﴾ **ليُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾**

﴿ ٤٢٣ ﴾

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ، سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ قال مجاهد: شاهدا على أمته بالتبليغ إليهم، وعلى سائر الأمم بتبليغ أنبيائهم إليهم. الشوكاني

﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ، وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ ذلك يقتضي أن الخلق في ظلمة عظيمة لا نور، يهتدى به في ظلماتها، ولا علم يستدل به في جهالاتها، حتى جاء الله بهذا النبي الكريم، فأضاء الله به تلك الظلمات، وعلم به من الجهالات، وهدى به ضلالا إلى الصراط المستقيم. السعدي

﴿وَشَرَّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَثِيرًا ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وهذا مما ينشط العاملين، أن يذكر لهم من ثواب الله على أعمالهم ما به يستعينون على سلوك الصراط المستقيم؛ وهذا من جملة حكم الشرع، كما أن من حكمه أن يذكر في مقام الترهيب العقوبات المترتبة على ما يرهب منه، ليكون عوناً على الكف عما حرم الله. السعدي

﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿٤٨﴾

﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ﴾ أعرض عن أذاهم لك، واصبر عليه، ولا يمنعه ذلك عن القيام بأمر الله في عبادته، والنفوذ لما كلفك. الطبري

طلاق غير المدخول بها ، ما يحل للنبي من النساء

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمْ﴾ عقدتم على ﴿الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ تدخلوا بهن وتجامعوهن ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّوهنَّ﴾ تحصونها عليهن ﴿فَمَتَّعُوهُنَّ﴾ أعطوهن من أموالكم ما يتمتعن به بحسب وسعكم جبراً لخواطرن ﴿وَسَرَّحُوهُنَّ﴾ طلقوهن ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ ﴿٤٩﴾ بلا أذى أو ضرر

﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ جعل الطلاق بعد النكاح ... لو قال: إن تزوجت فلانة فهي طالق فتزوجها لم تطلق. ابن عثيمين في الشرح الممتع.

* العدة تجب عند الجمهور على من دخل بها وكذا عند حصول الخلوة لبعض الآثار عن الخلفاء الراشدين.

﴿فَمَتَّعُوهُنَّ﴾ إن كان سمي لها صداقا، فليس لها إلا النصف، فإن لم يكن سمي لها صداقا، متعها على قدر عسره ويسره، وهو السراح الجميل. ينظر: تفسير الطبري. قلت: وقد تم بحث متعة المطلقات بتوسع في سورة البقرة.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ءَاتَيْتِ أَجُورَهُنَّ﴾ أعطيتهن مهورهن، من الزوجات ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ الإماماء ﴿مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ

عَلَيْكَ ﴿ أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ ﴾ وَبَنَاتٍ عَمَّكَ وَبَنَاتٍ عَمَّتِكَ وَبَنَاتٍ خَالَكَ وَبَنَاتٍ خَلَنِكَ أَلَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأَمْرُهُ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ ﴿ النِّكَاحُ بِلَفْظِ الْهَبَةِ مِنْ غَيْرِ صَدَاقٍ ﴾ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ﴿ ضَيْقٌ ﴾ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿ ٥٠ ﴾

﴿ وَبَنَاتٍ عَمَّكَ وَبَنَاتٍ عَمَّتِكَ وَبَنَاتٍ خَالَكَ وَبَنَاتٍ خَلَنِكَ ﴾. هذا عدل وسط بين الإفراط والتفريط؛ فإن النصارى لا يتزوجون المرأة إلا إذا كان الرجل بينها وبينها سبعة أجداد فصاعدا، واليهود يتزوج أحدهم بنت أخيه وبنت أخته، فجاءت هذه الشريعة الكاملة الطاهرة بهدم إفراط النصارى، فأباح بنت العم والعمة، وبنت الخال والخالة، وتحريم ما فرطت فيه اليهود من إباحة بنت الأخ والأخت، وهذا بشع فظيع. ابن كثير

﴿ خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ قل قتادة: ليس لامرأة أن تهب نفسها لرجل بغير أمر ولي ولا مهر إلا للنبي، كانت له خالصة من دون الناس. الطبري

﴿ ٤٢٤ ﴾

﴿ تَرْجَى ﴾ ﴿ تَوَخَّرَ فِي الْقِسْمِ فِي الْمَبِيتِ ﴾ ﴿ مَنْ نَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتَوَوَّأَ إِلَيْكَ ﴾ ﴿ تَضُمُّ فِي الْمَبِيتِ ﴾ ﴿ مَنْ نَشَاءُ وَمَنْ أَبْغَيْتَ ﴾ ﴿ طَلَبْتَ الْمَبِيتَ عِنْدَهَا ﴾ ﴿ مِمَّنْ عَزَلْتَ ﴾ ﴿ أَخْرَجْتَ قِسْمَهَا ﴾ ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى ﴾ ﴿ أَقْرَبُ ﴾ ﴿ أَنْ تَقْرَأَ عَيْنُهُنَّ ﴾ ﴿ أَنْ يَفْرَحْنَ ﴾ ﴿ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءَانَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿ ٥١ ﴾

﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَأَ عَيْنَهُنَّ ﴾ أي: التوسعة عليك، وكون الأمر راجعا إليك وبيدك، وكون ما جاء منك إليهن تبرعا منك ﴿ أَدْنَى أَنْ تَقْرَأَ عَيْنَهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءَانَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ﴾؛ لعلمهن أنك لم تترك واجبا، ولم تفرط في حق لازم. السعدي

﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ ﴾ **ولا أن تطلق إحداهن لتستبدل بها غيرها** ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ٥٢﴾ **مطلعًا لا يغيب عن علمه شيء**

﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ ﴾ أولى الأقوال عندي بالصحة قول من قال: معنى ذلك: لا يحل لك النساء من بعد اللواتي أحللتهن لك بقولي: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ﴾.. إلى قوله: ﴿وَأَمْرًا مُؤْمَنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾. الطبري

* وعن زياد- رجل من الأنصار- قال: قلت لأبي بن كعب: أرأيت لو أن أزواج النبي ﷺ متن، أما كان يحل له أن يتزوج؟ قال: وما يمنعه من ذلك، قلت: قوله: لا يحل لك النساء من بعد قال: إنما أحل له ضربا من النساء، ووصف له صفة، فقال: يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك إلى قوله: وامرأة مؤمنة ثم قال: لا يحل لك النساء من بعد هذه الصفة. الشوكاني

* اختلفوا في أنه هل أبيح له النساء من بعد؟

قالت عائشة: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء سواهن. وقال أنس: مات على التحريم. البغوي

آداب الدخول في بيوت النبي ﷺ ، والأمر بالحجاب

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَبِظِينَ إِنَّهُ ﴾ **منتظرين نضجه** ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسْنِينَ لِحَدِيثٍ إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيَ مِنْكُمْ ﴾ **أن يخرجكم** ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيَ مِنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا ﴾ **حاجة من أواني البيت ونحوها** ﴿فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ٥٣﴾

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ

نَظَرِينَ إِنَّهُ ﴿ المعنى: أنكم لا تدخلوا بيوت النبي إلا بشرطين: الإذن لكم بالدخول، وأن يكون جلوسكم بمقدار الحاجة. السعدي
غَيْرَ نَظَرِينَ إِنَّهُ ﴿ قال مجاهد وقتادة وغيرهما: أي: غير متحينين نضجه واستواءه، أي: لا ترقبوا الطعام حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول؛ فإن هذا يكرهه الله ويذمه. وهذا دليل على تحريم التطفيل، وهو الذي تسميه العرب الضيفن. ابن كثير

﴿ إِن يُدْأَوْ شَيْئًا أَوْ يُخَفَّوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَتْ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ٥٤ ﴾

﴿ ٤٢٥ ﴾

الحجاب، والوعيد للمشركين والعصاة

﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ ﴾ لا إثم عليهن في عدم الاحتجاب ﴿ فِيءِ آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ ﴾ جنس النساء ﴿ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ﴾ العبيد المملوكين لهن ﴿ وَأَتَقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ٥٥ ﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴿ صلاة الله: ثناؤه على عبده في الملأ الأعلى، وصلاة الملائكة ثناؤهم ودعائهم ﴿ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ٥٦ ﴾

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ المقصود من هذه الآية: أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه؛ ليجتمع الشاء عليه من أهل العالمين: العلوي والسفلي جميعا. ابن كثير. «ت».

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ بالشرك والمعاصي ولا يضره سبحانه فعلهم ﴿ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ﴾ أبعدهم، وطردهم من كل خير ﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ٥٧ ﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا ﴿ ارتكبوا ﴿ بُهْتَنًا ﴾ أفحش الكذب والزور ﴿ وَلِئِمَّا

﴿٥٨﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ ﴿٥٩﴾ يَخِينُ عَلَى رُءُوسِهِنَّ وُجُوهَهُنَّ وَصُدُورُهُنَّ ﴿٦٠﴾ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ﴿٦١﴾ الرِّدَاءُ وَالْمَلْحَفَةُ الَّتِي تَسْتَرِ بَدَنَ الْمَرْأَةِ وَزَيْتَتُهَا ﴿٦٢﴾ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفَنَّ فَلَا يُوْذَنُ ﴿٦٣﴾ أَيْ: يَمِيزُنَ بِالْأَسْتَرِ وَالصَّيَانَةِ، فَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُنَّ بِمَكْرُوهِهِنَّ ﴿٦٤﴾ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦٥﴾

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ﴾ قال ابن عباس: أمر الله نساء المؤمنين، إذا خرجن من بيوتهن في حاجة، أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب، ويبدن عينا واحدة. الطبري

التهديد للمنافقين

﴿٦٦﴾ لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴿٦٧﴾ شَكَّ وَرِيَّةٌ ﴿٦٨﴾ وَالْمُرْجَفُونَ فِي الْمَدِينَةِ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ يَنْشُرُونَ الْأَخْبَارَ الْكَاذِبَةَ ﴿٧٠﴾ لِنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ﴿٧١﴾ لِنَسْلُطَنَّكَ عَلَيْهِمْ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ ﴿٧٣﴾ لَا يَسَاكُنُونَكَ ﴿٧٤﴾ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٥﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا ﴿٧٦﴾ وَجَدُوا ﴿٧٧﴾ أَخَذُوا وَقَتَلُوا قَتِيلًا ﴿٧٨﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ﴿٧٩﴾ طَرِيقَتُهُ فِي الْمُنَافِقِينَ الْقَتْلَ وَالْأَسْرَ ﴿٨٠﴾ وَلَنْ يَجْعَلَ لَسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٨١﴾ تَحْوِيلًا وَتَغْيِيرًا ﴿٨٢﴾

الساعة، وعذاب الكفار

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ ﴿٦٣﴾

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ مجرد مجيء الساعة قربا وبعدا، ليس تحتها نتيجة ولا فائدة، وإنما النتيجة والخسار والريح والشقا والسعادة: هل يستحق العبد العذاب، أو يستحق الثواب؟ فهذه سأخبركم بها، وأصف لكم مستحقها. السعدي

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ ﴿٦٤﴾ **نَارًا موقدة شديدة الحرارة**
 ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجْدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ﴿٦٥﴾ **يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ**
 ﴿ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴾ ﴿٦٦﴾ **وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا**
وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿٦٧﴾ **طريق الهدى** ﴿ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ ﴾ **مثلين**
 ﴿ مِنْ الْعَذَابِ وَالْعَنَاهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ ﴿٦٨﴾

توجيهات للمؤمنين

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَى ﴾ **كان يستتر عنهم عند**
الاجتسال، فزعموا أن به عيبًا ﴿ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ ﴿٦٩﴾
عظيم القدر

*في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن موسى كان رجلا حيا ستيرا، لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فأذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر، إلا من عيب بجلده: إما برص وإما أدرة: وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يوما وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملا من بني إسرائيل، فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربا بعصاه، فوالله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه، ثلاثا أو أربعاً أو خمسا، فذلك قوله: يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً " .

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ ﴿٧٠﴾ **موافقا للحق خاليا من**
الكذب والباطل ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ ﴿٧١﴾ **إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ** ﴿ ما أمر الله به ونهى عنه ﴾
 ﴿ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ ﴾ **امتنعن** ﴿ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾

خفن من الخيانة فيها ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَنُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾

﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَنُ﴾ انقسم الناس - بحسب قيامهم بها وعدمه - إلى ثلاثة أقسام: منافقون، أظهروا أنهم قاموا بها ظاهراً لا باطناً. ومشركون تركوها ظاهراً وباطناً. ومؤمنون قائمون بها ظاهراً وباطناً.

فذكر الله تعالى أعمال هؤلاء الأقسام الثلاثة، وما لهم من الثواب والعقاب، فقال: ﴿لَيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾. السعدي

﴿لَيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿٧٣﴾

﴿ ٤٢٧ ﴾

سورة سبا

سورة سبا، سورة مكية، فيها التأكيد على أصول العقيدة كالوحدانية والخلق والبعث والقدرة.. إلخ، وفيها الحديث عن قصة سبا مثلاً للقدرة الإلهية على تبديل أحوال من لم يشكر نعم الله، وفيها بيان أن التفاضل بالعمل الصالح، وبيان موقف المشركين من الرسالة، ودعوتهم للتفكير في أدلتها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحامد الكاملة وعلم الغيب لله

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١﴾

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ لأنه في الآخرة يظهر من حمده، والثناء عليه: ما لا يكون في الدنيا، فإذا قضى الله تعالى بين الخلائق كلهم، ورأى الناس والخلق كلهم، ما حكم به، وكمال عدله وقسطه، وحكمته فيه، حمدوه كلهم على ذلك، حتى أهل

العقاب ما دخلوا النار إلا وقلوبهم ممتلئة من حمده، وأن هذا من جراء أعمالهم، وأنه عادل في حكمه بعقابهم. السعدي

* فما ظنك بحمدهم لربهم في هذه الحال، مع أنه في الجنة تضمحل العوارض والقواطع التي تقطع عن معرفة الله ومحبته والثناء عليه، ويكون ذلك أحب إلى أهلها من كل نعيم، وألذ عليهم من كل لذة؛ ولهذا إذا رآوا الله تعالى، وسمعوا كلامه عند خطابه لهم، أذهلهم ذلك عن كل نعيم، ويكون الذكر لهم في الجنة، كالنفس، متواصلًا في جميع الأوقات، هذا إذا أضفت ذلك إلى أنه يظهر لأهل الجنة في الجنة كل وقت من عظمة ربهم، وجلاله، وجماله، وسعة كماله، ما يوجب لهم كمال الحمد، والثناء عليه. السعدي

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ ﴾ **يدخل** ﴿ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ ﴾ **يصعد** ﴿ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ ﴿٢﴾

الساعة والبعث وجزاء الناس في الآخرة

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْزَبُ ﴾ **لا يغيب** ﴿ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴾ **وزن نملة صغيرة** ﴿ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿٣﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ ﴿٥﴾ **مشاقين الله مغالين أمره** ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ ﴿٥﴾ **أسوأ العذاب وأشدّه ألمًا** ﴿ وَبَرَىٰ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ طَرِيقٍ ﴾ ﴿٦﴾ **العزيز الحميد**

﴿ وَبَرَىٰ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ طَرِيقٍ ﴾ **العزيز الحميد** ﴿ ذلك أنهم جزموا بصدق ما أخبر به من وجوه كثيرة: من جهة علمهم بصدق من أخبر به، ومن جهة موافقته للأمور الواقعة، والكتب السابقة، ومن جهة ما يشاهدون من أخبارها، التي تقع عيانًا، ومن جهة ما

يشاهدون من الآيات العظيمة الدالة عليها في الآفاق وفي أنفسهم، ومن جهة موافقتها لما دلت عليه أسماؤه تعالى وأوصافه. السعدي

إنكار الكفار للبعث والرد عليهم

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلُّ مُمْزِقٍ ﴾ **متم**
وتفرقت أجسادكم في الأرض ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ ﴿٧﴾

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلُّ مُمْزِقٍ ﴾ كانوا يقصدون بذلك الطنز والهزؤ والسخرية، فأخرجوه مخرج التحكي ببعض الأحاجي التي يتحاجى بها للضحك والتلهي، متجاهلين به وبأمره. القرطبي

﴿ ٤٢٨ ﴾

﴿ أَفَتَرَى ﴾ **أخترق** ﴿ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ﴾ **جنون** ﴿ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴾ ﴿٨﴾ **أفلم تروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض نغيهم في الأرض** ﴿ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا ﴾ **قطعا من العذاب** ﴿ مِنْ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ ﴿٩﴾ **راجع إلى ربه بالتوبة والطاعة**

من مظاهر قدرة الله ما وهبه لداود وسليمان -عليهما السلام-

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا ﴾ **نبوة وعلما وكتابا** ﴿ يَجِبَالُ أَوَّيَ مَعَهُ ﴾ **سبحي معه** ﴿ وَالطَّيْرَ وَالنَّارَ لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ ﴿١٠﴾ **أعطي قوة يشي بها الحديد**

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أَوَّيَ مَعَهُ وَالطَّيْرَ ﴾ في هذا من النعمة عليه: أنه كان ذلك من خصائصه التي لم تكن لأحد قبله ولا بعده، وأن ذلك يكون منهضا له ولغيره على التسبيح إذا رأوا هذه الجهادات والحيوانات، تتجاوب بتسبيح ربها، وتمجيده، وتكبيره، وتحميده، كان ذلك مما يهيج على ذكر الله تعالى. السعدي

﴿ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغْتِ ﴾ **دروعًا تامات واسعات** ﴿ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ ﴾ **قدر**

المسامير في حلق الدروع بأن لا تكون الحلق صغيرة ضعيفة ولا كبيرة ثقيلة
﴿وَأَعْمَلُوا صَلَاحًا إِنَّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿١١﴾

﴿أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ﴾ هو أول من اتخذ الدروع، وصنعها، وكانت قبل ذلك صفائح. ينظر: تفسير القرطبي

﴿وَلَسَلِيمَنَّ الرِّيحُ غُدُوَهَا شَهْرٌ﴾ جريانها من أول النهار إلى انتصافه مسيرة شهر بالسير المعتاد ﴿وَزَوَاحُهَا﴾ سيرها من الزوال، إلى آخر النهار ﴿شَهْرٌ﴾ مسيرة شهر بالسير المعتاد ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ﴾ أذبنا ﴿عَيْنَ الْقَطْرِ﴾ عين النحاس، فيسيل له النحاس كالماء ﴿وَمَنْ أَلَجَنَّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزْغُ﴾ يعدل ويميل ﴿مِنْهُمْ عَنْ أَمْرٍ نَأْذِقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ ﴿١٢﴾

﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ﴾ سخرنا له عين النحاس، وسهلنا له الأسباب، في استخراج ما يستخرج منها من الأواني وغيرها. السعدي

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ﴾ مساجد للعبادة ﴿وَتَمْثِيلٍ﴾ صور من نحاس وزجاج ﴿وَجَفَّانِ كَلْجَوَابٍ﴾ قصاع كبيرة كالأحواض التي يجتمع فيها الماء ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ قدور ثابتات لا تتحرك من أماكنها لعظمها ﴿أَعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ على ما أنعم به عليكم في الدنيا والدين ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿١٣﴾

﴿وَتَمْثِيلٍ﴾ شرع من قبلنا شرع لنا إلا ما خصه الدليل، كتحريم الصور والتماثيل علينا، ولم تحرم عندهم. الجزائري
* ويحتمل أن يقال: إن التماثيل كانت على صورة النقوش لغير ذوات الأرواح، وإذا كان اللفظ محتملا لم يتعين الحمل على المعنى المشكل. ابن حجر في فتح الباري.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ الأرضة التي تأكل الخشب ﴿تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُمْ﴾ عصاه التي كان متكئا عليها ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ وقع على الأرض ميتا ﴿تَبَيَّنَتِ الْجُنُودُ أَن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ﴾

الْمُهِنِ ﴿١٤﴾ الْعَمَلِ الشَّاقِ الَّذِي كَلَّفَهُمُ إِيَّاهُ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ قال أصبغ: بلغني أنها قامت سنة تأكل منها قبل أن يخر. وقد ذكر غير واحد من السلف نحوا من هذا. والله أعلم. ابن كثير
﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ﴾ معنى الكلام: فلما خَرَّتَيْن وانكشف، أن لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين، لأن الجن كانوا يظنونهم حيا. ينظر: تفسير الطبري والسعدي

﴿ ٤٢٩ ﴾

كفر قبيلة سبا، وسلب النعم منهم

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ قبيلة باليمن سموها باسم جدتهم ﴿فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ﴾ دلالة على قدرتنا ﴿جَنَّاتٍ﴾ بستانان ﴿عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ كريمة التربة طيبة الهواء ﴿وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ ﴿١٥﴾

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ لما ذكر سبحانه حال بعض الشاكرين لنعمه عقبه بحال الجاحدين لها. الشوكاني
﴿فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ﴾ من نعم الله ولطفه بالناس عموما، وبالعرب خصوصا: أنه قص في القرآن أخبار المهلكين والمعاقبين، ممن كان يجاور العرب، ويشاهد آثاره، ويتناقل الناس أخباره، ليكون ذلك أدعى إلى التصديق، وأقرب للموعظة. السعدي

﴿كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ﴾ كانوا بنوا سدا محكما يكون مجمعا للماء، فكانت السيول تأتيه، فيجتمع هناك ماء عظيم، فيفرقونه على بساتينهم، التي عن يمين ذلك الوادي وشماله. وتغل لهم تلك الجنتان العظيمتان، من الثمار، ما يكفيهم، ويحصل لهم به الغبطة والسرور. السعدي

﴿فَاعْرِضُوا﴾ عن الحق والطاعة ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ﴾ السيل الجارف الشديد الذي خرب السد، وأغرق البساتين ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ﴾

صاحبتى ﴿أَكُلْ خَمَطٍ﴾ ثم مرّ كرية الطعم ﴿وَأَثَلْ﴾ شجر معروف شبيه
 بالطرفاء لا ثمر له ﴿وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ﴾ شجر النبق كثير الشوك ﴿قَلِيلٌ﴾ (١٦)
 ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ثم يسوق سبحانه شيئاً
 من نعمه عليهم وكفرهم بها ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾
 قرى الشام ﴿قُرَى ظَهْرَةَ﴾ مدناً بارزة ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ جعلنا السير
 بينها على مراحل متقاربة ﴿سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ (١٨)

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَهْرَةَ﴾ لما علم الله احتياجهم
 في تجارتهم ومكاسبهم إلى الأرض المباركة، - الظاهر أنها: قرى صنعاء، قاله
 غير واحد من السلف، وقيل: إنها الشام - هيأ لهم من الأسباب ما به يتيسر
 وصولهم إليها بغاية السهولة، من الأمن، وعدم الخوف، وتواصل القرى بينهم
 وبينها، بحيث لا يكون عليهم مشقة بحمل الزاد والمزاد. السعدي

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ جعلناها
 عبراً وأحاديث لمن يأتي بعدهم ﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ فرقناهم في البلاد ﴿إِنَّ
 فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (١٩)

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ أعرضوا عن المنعم وعن عبادته، وبطروا
 النعمة، وملوها، حتى إنهم طلبوا وتمنوا أن تتباعد أسفارهم بين تلك القرى
 التي كان السير فيها متيسراً. السعدي

﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ قال الشعبي: لما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد، أما
 غسان فلحقوا بالشام، ومر الأزد إلى عمان، وخزاعة إلى تهامة، ومر آل خزيمة
 إلى العراق، والأوس والخزرج إلى يثرب، وكان الذي قدم منهم المدينة عمرو
 بن عامر، وهو جد الأوس والخزرج. البغوي

﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ﴾ حقق عليهم ﴿إِلَيْسَ ظَنُّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ
 الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٠)

﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِيْلِسَ ظَنُّهُ﴾ ثم ذكر أن قوم سبا من الذين صدق عليهم

إبليس ظنه، حيث قال لربه: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿[ص:٨٢-٨٣] وهذا ظن من إبليس، لا يقين؛ لأنه لا يعلم الغيب، ولم يأت خبر من الله أنه سيغويهم أجمعين، إلا من استثنى، فهو لاء وأمثالهم، ممن صدق عليه إبليس ظنه، ودعاهم وأغواهم. السعدي

* إياك أن تكون عند حسن ظن إبليس فيك. عبدالرحمن الشهري. ليدبروا آياته.

﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ **قهر على الكفر** ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ (٢١)

عجز آلهة المشركين

﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ **وزن نملة**
صغيرة ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ﴾ **شراكة في**
الخلق ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ (٢٢) **معين**

﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ﴾ ليس لهم ملك، ولا شراكة ملك.

بقي أن يقال: ومع ذلك، فقد يكونون أعوانا للمالك، ووزراء له، فدعائهم يكون نافعا؛ لأنهم - بسبب حاجة الملك إليهم - يقضون حوائج من تعلق بهم، فنفى تعالى هذه المرتبة... ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ أي: معاون ووزير يساعده على الملك والتدبير. السعدي

﴿ ٤٣٠ ﴾

﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ **زال الفزع**
عن قلوبهم ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (٢٣)

﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ فلم يبق إلا الشفاعة، فنفاها بقوله:
 ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ فهذه أنواع التعلقات التي يتعلق بها
 المشركون بأندادهم، وأوثانهم، من البشر، والشجر، وغيرهم، قطعها الله، وبين
 بطلانها، تبينا حاسما لمواد الشرك، قاطعا لأصوله. السعدي

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ سئلوا حين رجعت إليهم عقولهم عن حالهم في الدنيا، وتكذيبهم للحق الذي جاءت به الرسل، أنهم يقرون، أن ما هم عليه من الكفر والشرك، باطل وأن ما قال الله، وأخبرت به عنه رسله هو الحق ... ويحتمل أن الضمير يعود إلى الملائكة؛ وذلك أن الله تعالى إذا تكلم بالوحي، سمعته الملائكة، فصعقوا، وخرروا لله سجدا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، وإذا زال الصعق عن قلوب الملائكة، وزال الفزع، فيسأل بعضهم بعضا عن ذلك الكلام الذي صعقوا منه: ماذا قال ربكم؟ فيقول بعضهم لبعض: قال الحق، إما إجمالا، لعلمهم أنه لا يقول إلا حقا، وإما أن يقولوا: قال كذا وكذا، للكلام الذي سمعوه منه، وذلك من الحق.

فيكون المعنى على هذا: أن المشركين الذين عبدوا مع الله تلك الآلهة التي وصفنا لكم عجزها ونقصها، وعدم نفعها بوجه من الوجوه، كيف صدفوا وصرفوا عن إخلاص العبادة للرب العظيم العلي الكبير الذي - من عظمته وجلاله - أن الملائكة الكرام، والمقربين من الخلق، يبلغ بهم الخضوع والصعق - عند سماع كلامه هذا المبلغ - ويقرون كلهم لله، أنه لا يقول إلا الحق. السعدي

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ اختار ابن جرير أن الضمير عائد على الملائكة. هذا هو الحق الذي لا مرية فيه؛ لصحة الأحاديث فيه والآثار... عن أبي هريرة أن نبي الله ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع - هكذا بعضه فوق بعض - ووصف سفيان بيده - فحرفها وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة، فيلقياها إلى من تحته، ثم يلقياها الآخر إلى من تحته، حتى يلقياها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقياها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من

السماء». انفراد بإخراجه البخاري دون مسلم من هذا الوجه. ينظر: تفسير ابن كثير.

لا شريك لله

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢٤)

﴿وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ هذا أسلوب التشكيك، وحكمته التلطف بالخصم المعاند حتى لا يلج في العناد، ولا يفكر في الأمر الذي يجادل فيه، وإلا فالرسول والمؤمنون هم الذين على هدى، والمشركون هم الذين في ضلال مبين وهو أمر مسلم. الجزائري

﴿لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ عبر بالهدى بـ«على»... الدالة على الاستعلاء، وفي الضلالة يأتي بـ«في» كما في قوله: ﴿وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾؛ لأن صاحب الهدى مستعل بالهدى، مرتفع به، وصاحب الضلال منغمس فيه محتقر. ينظر: السعدى

﴿ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢٥)

﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾ قل: لا تسألون عما أجرمنا: أي: أنكم لا تسألون عن ذنوبنا. ﴿وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أي: ولا نسأل نحن عما تعملون. وهذا تلطفا بهم -أيضا- ليراجعوا أمرهم، ولا يحملهم الكلام على العناد الجزائري

﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ ﴾ يقضى ﴿بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ بالعدل ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ﴾ الحاكم بين خلقه ﴿الْعَلِيمُ﴾ (٢٦) قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا ﴿ كَذَبُوا لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا وَصَفُوا ﴾ ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٧) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغِدُّونَ ﴿٣٠﴾

الكافرون بالقرآن، وعاقبة الاتباع والرؤساء في الآخرة

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ **ولا بالذي تقدمه من التوراة والإنجيل والזبور** ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ ﴾ **محبوسون في موقف الحساب** ﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَاجِعٌ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ **يرد بعضهم على بعض** ﴿ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٣١﴾

﴿ ٤٣١ ﴾

﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنتُمْ مُجْرِمِينَ ﴾ ﴿٣٢﴾

﴿ **بَلْ كُنتُمْ مُجْرِمِينَ** ﴾ أي: مختارين للإجرام، لستم مقهورين عليه، وإن كنا قد زينا لكم، فما كان لنا عليكم من سلطان. السعدي

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ الْأَيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ **بل تدبير الشر لنا بالليل والنهار، وهو الذي أهلكنا** ﴿ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ ﴾ **التحسر** ﴿ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٣٣﴾

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ الْأَيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ أي: بل كنتم تمكرون بنا ليلاً ونهاراً، وتغروننا وتمنوننا، وتخبرونا أننا على هدى، وأنا على شيء، فإذا جميع ذلك باطل وكذب. ابن كثير
* قال قتادة: بل مكرهم بالليل والنهار صدنا، فأضيف المكر إليهما لوقوعه فيهما. القرطبي

احتجاج المشركين بكثرة ما رزقوا من الأموال والأولاد على حسن أعمالهم

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ ﴿٣٤﴾

وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾

﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا﴾ قال أهل الاستكبار على الله من كل قرية أرسلنا فيها نذيرًا لأنبيائنا ورسلنا: نحن أكثر أموالاً وأولاداً، وما نحن في الآخرة بمعذبين؛ لأن الله لو لم يكن راضياً ما نحن عليه من الملة والعمل لم يخولنا الأموال والأولاد، ولم ييسط لنا في الرزق، وإنما أعطانا ما أعطانا من ذلك لرضاه أعمالنا. الطبري

﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ﴾ **يوسع** ﴿الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ **يضيق** ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ ﴿قَرِيبَىٰ﴾ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ ﴿**الثواب المضاعف**﴾ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ﴿**المنازل الرفيعة بالجنة**﴾ ﴿٣٧﴾ ءَامِنُونَ ﴿**من كل سوء**﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا ﴿**يجهدون في إبطال حججنا**﴾ ﴿مُعْجِزِينَ﴾ ﴿**مشاقين**﴾ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يَفُوتُونَنَا ﴿أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿**تحضرهم الزبانية إلى جهنم**﴾ ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ **يضيقه عليه** ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ ﴿٣٩﴾

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ لا تتوهموا أن الإنفاق مما ينقص الرزق، بل وعد بالخلف للمنفق، الذي ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر. السعدي

﴿ ٤٣٢ ﴾

براءة الملائكة من عابديهم

﴿وَنَوْمٌ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ ﴿**نزهك**﴾ ﴿أَنْتَ وَلَيْنَا﴾ ﴿**أنت الذي نواليه ونعبده**﴾ ﴿مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٤١﴾

﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ أي: الشياطين، يأمرون بعبادتنا أو عبادة غيرنا، فيطيعونهم بذلك. وطاعتهم هي عبادتهم؛ لأن العبادة الطاعة، كما قال تعالى مخاطباً لكل من اتخذ معه آلهة ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىٰ ءَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ

إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ [يس: ٦٠-٦١].
السعدي.

* قلت: وقد وجد في زماننا من بعض الناس العبادة الصريحة نسأل الله السلامة والعافية.

﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿٤٢﴾

موقف الكفار من الوحي

﴿وَإِذَا نُنزِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنْتَوِيحُوا قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى ﴿٤٣﴾ وَكَذِبٌ مَخْتَلَقٌ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٤٥﴾ وَمَا آتَيْنَهُمْ ﴿٤٦﴾ مَشْرُكِي قَرِيشٍ ﴿٤٧﴾ مِّنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ﴿٤٨﴾ يَقْرَأُونَهَا ﴿٤٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَّذِيرٍ ﴿٥٠﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا ﴿٥١﴾ مَا بَلَغَ مَشْرُكُو قَرِيشٍ ﴿٥٢﴾ مَعْشَارَ مَا آتَيْنَهُمْ ﴿٥٣﴾ عَشْرَ مَا أُعْطِيَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْمَكْذِبِينَ مِنَ الْقُوَّةِ وَالنَّعِيمِ، فَلَيْسَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى الْمَحَبَةِ ﴿٥٤﴾ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٥٥﴾﴾

الرد عليهم

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بَوَاحِدَةٍ ﴿٥٦﴾ بِخَصْلَةٍ وَاحِدَةٍ ﴿٥٧﴾ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَى ﴿٥٨﴾ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ ﴿٥٩﴾ وَفَرْدَى ﴿٦٠﴾ ثُمَّ تَنْفَكُّوْا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جُنَّةٍ ﴿٦١﴾ جَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٦٣﴾﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بَوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ أي: تقوموا قيامًا خالصًا لله من غير هوى ولا عصبية، فيسأل بعضكم بعضًا: هل بمحمد من جنون؟ فينصح بعضهم بعضًا، ﴿ثُمَّ تَنْفَكُّوْا﴾ أي: ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد ﷺ ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه، ويتفكر في ذلك. ابن كثير

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ على فرض وجوده ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿٤٧﴾

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ المراد نفي السؤال بالكلية، كما يقول القائل: ما أملكه في هذا فقد وهبته لك، يريد أنه لا ملك له فيه أصلاً. الشوكاني

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ يرمى بحجج الحق على الباطل فيدمغه ﴿عَلَّمَ الْغُيُوبِ﴾ ﴿٤٨﴾

﴿ ٤٣٣ ﴾

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ الإسلام ﴿وَمَا يَبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ ﴿٤٩﴾ اضمحل، وبطل أمره ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ ﴿٥٠﴾

حال الكفار في الآخرة

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فُزِعُوا﴾ خافوا عند معاينة العذاب ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ لا نجاة لهم، ولا مهرب ﴿وَأُخْذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ ﴿٥١﴾ هم من الله قريب، لا يعزبون عنه، ولا يفوتونه

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فُزِعُوا فَلَا فَوْتَ﴾ قيل: المراد فزعهم عند نزول الموت بهم. وقال الحسن: هو فزعهم في القبور من الصيحة، وقال قتادة: هو فزعهم إذا خرجوا من قبورهم. الشوكاني ﴿وَأُخْذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أي: ليس بعيداً عن محل العذاب، بل يؤخذون، ثم يقذفون في النار. السعدي

﴿وَقَالُوا ءَأَمَّنَّا بِهِ ءَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ﴾ التناول ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿٥٢﴾ كيف لهم تناول الإيمان، وهم في الآخرة

﴿وَقَالُوا ءَأَمَّنَّا بِهِ ءَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ قد حيل بينهم وبينه، وصار من الأمور المحالة في هذه الحالة، فلو أنهم آمنوا وقت الإمكان، لكان إيمانهم مقبولا. السعدي

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾ يرمون بالظنون الكاذبة

﴿ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ ٥٣

﴿ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ كما لا سبيل للرامي من مكان بعيد إلى إصابة الغرض، فكذلك الباطل، من المحال أن يغلب الحق أو يدفعه، وإنما يكون له صولة وقت غفلة الحق عنه، فإذا برز الحق، وقاوم الباطل، قمعه. السعدي

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ الرجوع إلى الدنيا ليتوبوا ﴿ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ ﴾ أمثالهم من كفار الأمم السابقة ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴾ ٥٤ محدث للريبة والقلق

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ أي: الإيمان والتوبة والرجوع إلى الدنيا. وقيل: نعيم الدنيا وزهرتها. البغوي

سورة فاطر

سورة فاطر، سورة مكية، فيها عرض لمشاهد قدرة الله ونعمه على خلقه، ودلالة ذلك على وجوب التوحيد، وفيها التأكيد على الخشية والحذر من زخارف الدنيا، وفيها بيان أقسام الناس في الدنيا تجاه الرسالة ومآلهم في الآخرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكر قدرة الله ورحمته ورزقه

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ خالقها ومبدعها على غير مثال سابق ﴿ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَى ﴾ أصحاب ﴿ أَجْنَحَةٍ مَثْنٍ وَثُلُثَ وَرُبْعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ١

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ﴾ وتسمى سورة الملائكة، كما ذكر البخاري والبغوي. ﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ قال ابن عباس: كنت لا أدري ما ﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بشر، فقال أحدهما: أنا فطرتهما، أي:

أنا ابتدأتها. القرطبي

﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ أي: يزيد بعض مخلوقاته على بعض في صفة خلقها، وفي القوة، وفي الحسن، وفي زيادة الأعضاء المعهودة، وفي حسن الأصوات، ولذة النعمات. السعدي

﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢) يَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ ﴿٢﴾ فكيف تصرفون عن توحيده؟

﴿ ٤٣٤ ﴾

تسليية الرسول ﷺ ، وتحذير الناس من الدنيا

﴿وَأَن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ (٤) يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ﴿٤﴾ فلا تخدعنكم، ولا تلهينكم ﴿٤﴾ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾ الشيطان ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ ﴿٥﴾ أَتْبَاعَهُ ﴿٥﴾ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ ﴿٧﴾ لا تهلكها حزناً على كفر هؤلاء الضالين ﴿٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾

من مظاهر نعم الله، وبيان أن العزة الحقيقية لمن أطاعه

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِرُ ﴿٩﴾ فتحرك ﴿٩﴾ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴿٩﴾ مجذب ﴿٩﴾ فَاحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ ﴿٩﴾ الشرف والمنعة ﴿٩﴾ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴿٩﴾ الكلام الحسن، وهو ذكر الله ﴿٩﴾ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ ﴿١٠﴾ يفسد ويبطل ﴿١٠﴾

﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا** ﴾ قال قتادة: من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله. معناه: الدعاء إلى طاعة من له العزة، أي: فليطلب العزة من عند الله بطاعته. البغوي

* **يحتمل أن يريد سبحانه أن ينه ذوي الأقدار والهمم من أين تنال العزة، ومن أين تستحق، فتكون الألف واللام للاستغراق، وهو المفهوم من آيات هذه السورة. فمن طلب العزة من الله، وصدقه في طلبها بافتقار وذل، وسكون وخضوع، وجدها عنده إن شاء الله غير ممنوعة ولا محجوبة عنه، قال ﷺ: «من تواضع لله رفعه الله». ومن طلبها من غيره وكله إلى من طلبها عنده. وقد ذكر قوما طلبوا العزة عند من سواه فقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئِنَّهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩]. فأنبأك صريحًا لا إشكال فيه أن العزة له، يعز بها من يشاء، ويذل من يشاء. القرطبي**
﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ** ﴾ يتناول كل كلام يتصف بكونه طيبا من ذكر الله، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وتلاوة وغير ذلك، فلا وجه لتخصيصه بكلمة التوحيد، أو بالتحميد والتمجيد. الشوكاني

﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا** ﴾ **ذُكُورًا وَإِنَاثًا** ﴿ **وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ** ﴾ **طَوِيلُ الْعُمَرِ** ﴿ **وَلَا يُنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ** ﴾ **هو اللوح المحفوظ** ﴿ **إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾

﴿ **وَلَا يُنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ** ﴾ ظاهر النظم القرآني أن تطويل العمر وتقصيره: هما بقضاء الله وقدره لأسباب تقتضي التطويل، وأسباب تقتضي التقصير. فمن أسباب التطويل: ما ورد في صلة الرحم عن النبي ﷺ ونحو ذلك. ومن أسباب التقصير الاستكثار من معاصي الله عَزَّوَجَلَّ. الشوكاني

**من مظاهر عظمة الله في خلقه ونعمه، وبيان عجز آلهة
المشركين**

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ﴿١٢﴾ شَدِيدُ الْعَذْوَةِ ﴿سَائِغٌ شَرَابُهُ﴾ سَهْلٌ مَرُورُهُ فِي الْحَلْقِ ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شَدِيدُ الْمَلُوْحَةِ ﴿وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا﴾ هُوَ السَّمَكُ ﴿طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً﴾ هُوَ اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ﴾ السَّفْنَ ﴿فِيهِ مَوَآخِرُ﴾ تَشَقُّ الْمِيَاهُ ﴿لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴿يَدْخُلُ مِنْ سَاعَاتِ اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ وَالْعَكْسِ فَتَحْدُثُ الزِّيَادَةُ وَالنَّقْصُ فِيهِمَا﴾ وَسَحَّرَ ﴿ذَلَّ﴾ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿لَوْ أَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ مَقْدَرَ﴾ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٤﴾ هِيَ الْقَشْرَةُ الرَّقِيقَةُ الْبَيْضَاءُ عَلَى النَّوَاةِ ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴿يَتَبَرَّؤُونَ مِنْكُمْ﴾ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴿١٥﴾

الناس مفتقرون لربهم، وبيان أن كل شخص يحمل وزره يوم القيامة

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴿وَزَرَ أُخْرَى﴾ ذَنْبُ نَفْسٍ أُخْرَى ﴿وَأَنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ تُثْقَلُ بِهَا﴾ تَطْلُبُ نَفْسٌ مَثْقَلَةً بِالْخَطَايَا مِنَ الْآخَرِينَ ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ إِلَىٰ حِمْلِ ذُنُوبِهَا الَّتِي أَثْقَلَتْهَا ﴿لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ إِنَّمَا نُنذِرُ ﴿أَيُّ﴾: إِنَّمَا يَنْتَفِعُ بِالْإِنْذَارِ ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمِنْ تَزَكَّى﴾ تَطَهَّرَ مِنَ الشَّرْكِ وَالْمَعَاصِي ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ الْمَالُ وَالْمَرْجِعُ

﴿وَأِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ أَيُّ: نَفْسٌ مَثْقَلَةٌ بِالْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ، تَسْتَغِيثُ بِمَنْ يَحْمِلُ عَنْهَا بَعْضَ أَوْزَارِهَا ﴿لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ فَإِنَّهُ لَا يَحْمِلُ عَنْ قَرِيبٍ، فَلَيْسَتْ حَالُ الْآخِرَةِ بِمَنْزِلَةِ حَالِ الدُّنْيَا، يَسَاعِدُ الْحَمِيمَ حَمِيمَهُ، وَالصَّدِيقَ صَدِيقَهُ، بَلْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَتَمَنَّى الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ لَهُ حَقٌّ عَلَى أَحَدٍ، وَلَوْ عَلَى وَالِدَيْهِ وَأَقَارِبِهِ. السَّعْدِيُّ

لا يستوي المؤمن والكافر

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾﴾ **الريح الحارة**

﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾ قال ابن عباس: الحرور: الريح الحارة بالليل، والسموم بالنهار. البغوي

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ **يعني الكفار: شبههم بالموتى** ﴿إِن أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّن أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴿الدالات على الحق﴾ ﴿وَبِالْزُّبُرِ﴾ **الكتب المجموع فيها كثير من الأحكام** ﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ أي: المضيء في أخباره الصادقة، وأحكامه العادلة، فلم يكن تكذيبهم إياهم ناشئاً عن اشتباه، أو قصور بما جاءتهم به الرسل، بل بسبب ظلمهم وعنادهم. السعدي

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾ **إنكاري عليهم وعقوبي لهم من مظاهر قدرة الله، ووعد سبحانه للمؤمنين**

﴿الْمُرْتَدَّ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ ﴿ذات طرائق وخطوط مختلفة﴾ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾ **شديدة السواد كالأغربة**

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ يذكر تعالى خلقه للأشياء المتضادات التي أصلها واحد، ومادتها واحدة، وفيها من التفاوت والفرق ما هو مشاهد معروف؛ ليدل العباد على كمال قدرته وبديع حكمته.

فمن ذلك: أن الله تعالى أنزل من السماء ماء، فأخرج به من الثمرات المختلفات، والنباتات المتنوعات، ما هو مشاهد للناظرين، والماء واحد، والأرض واحدة.

ومن ذلك: الجبال التي جعلها الله أوتادا للأرض، تجدها جبالا مشتبكة، بل جبلا واحدا، وفيها ألوان متعددة. السعدي

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (٢٨)

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ قال ابن عباس: يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني. البغوي

* كل من كان بالله أعلم، كان أكثر له خشية، وأوجب له خشية الله، الانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته. السعدي

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ عن قيس بن كثير قال: قدم رجل من أهل المدينة إلى أبي الدرداء - وهو بدمشق - فقال: ما أقدمك، أي أخي؟ قال: حديث بلغني أنك تحدث به عن رسول الله ﷺ. قال أما قدمت لتجارة؟ قال: لا. قال: أما قدمت لحاجة؟ قال: لا، قال: أما قدمت إلا في طلب هذا الحديث؟ قال: نعم. قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقا يطلب فيه علما، سلك الله به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإنه ليستغفر للعالم من في السماوات والأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب. إن العلماء هم ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر». ابن كثير، والحديث عند الترمذي

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا

وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَكُونُ ﴿٢٩﴾ **لَن تَكْسَدُ وَتَهْلِكُ** ﴿٣٠﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ
أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

﴿ ٤٣٧ ﴾

القرآن وأقسام الناس تجاه دينهم

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ **من الكتب**
السابقة ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿٣١﴾

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ **من الكتب**
والرسل؛ لأنها أخبرت به، فلما وجد وظهر، ظهر به صدقها. فهي بشرت به
وأخبرت، وهو صدقه. السعدي

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾ **أعطينا** ﴿الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ
لِّنَفْسِهِ﴾ **بفعل بعض المعاصي** ﴿وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ **يؤدي الواجبات ويجتنب**
المحرمات ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ **مجتهد في عمل الصالحات فرضها**
ونفلها ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ ﴿٣٢﴾

﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ **أي: وراثته الكتاب الجليل، لمن اصطفى**
تعالى من عباده، هو الفضل الكبير الذي جميع النعم بالنسبة إليه كالعدم، فأجل
النعم على الإطلاق، وأكبر الفضل، وراثته هذا الكتاب. السعدي

﴿جَنَّتُ عَدْنٍ﴾ **إقامة** ﴿يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا
وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ ﴿٣٣﴾

﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ **ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «من لبس**
الحريز في الدنيا لم يلبسه في الآخرة». وقال: «لا تشربوا في آنية الذهب والفضة،
هي لهم في الدنيا، ولكم في الآخرة». ابن كثير

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ ﴿٣٤﴾

﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ **حيث قبل منا الحسنات وضاعفها، وأعطانا من**

فضله ما لم تبلغه أعمالنا ولا أمانينا، فبمغفرته نجوا من كل مكروه ومرهوب، وبشكره وفضله حصل لهم كل مرغوب محبوب. السعدي

﴿الَّذِي أَحَلَّنَا﴾ **أَنْزَلَنَا** ﴿دَارَ الْمَقَامَةِ﴾ **دار الإقامة الدائمة** ﴿مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ **تعب ومشقة** ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ ﴿٣٥﴾ **إعياء من**

التعب وفتور

أما الكفار

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يَقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافٍ﴾ ﴿٣٦﴾ **وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ** ﴿يَصيحون بشدة، ويستغيثون﴾ ﴿فَهَا رَبَّنَا أَخْرَجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ **يخوفكم من الله والدار الآخرة** ﴿فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ ﴿٣٧﴾

﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ يعني محمداً ﷺ، هذا قول أكثر المفسرين. وقيل: القرآن. وقال عكرمة وسفيان بن عيينة ووكيع: هو الشيب. البغوي

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٣٨﴾

﴿ ٤٣٨ ﴾

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ﴾ **يخلف بعضهم بعضاً في الأرض** ﴿فِي الْأَرْضِ فَهُمْ كَفَرُفَعْلِيهِ كُفْرُهُ، وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ **بغضاً وغبضاً** ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ ﴿٣٩﴾

المشركون والرد عليهم

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ **أخبروني** ﴿شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا﴾ **يأمرهم بالشرك وعبادة الأوثان** ﴿فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ﴾ **حجة منه** ﴿بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ ﴿٤٠﴾ **خداعاً وباطلاً**

﴿إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ توصية بعضهم لبعض به، وتزيين بعضهم لبعض، واقتداء المتأخر بالمتقدم الضال، وأماني منها الشيطان. السعدي

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ٤١ ﴿وَأَقْسَمُوا﴾ **أى: الكفار قبل بعثة النبي** ﴿بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ **أقسموا مجتهدين بالحلف بأغلظها** ﴿لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ **أى: رسول من عند الله تعالى** ﴿لَيَكُونَنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نَفُورًا﴾ ٤٢ ﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ﴾ **يحيط وينزل** ﴿الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ **ينتظرون** ﴿إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ **العذاب الذى نزل بأمثالهم** ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ ٤٣ ﴿

﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ يقول: ولا ينزل المكر السيئ (إلا بأهله)، يعني: بالذين يمكرونه، وإنما عنى أنه لا يحل مكروه ذلك المكر الذي مكروه هؤلاء المشركون إلا بهم. الطبري

* **أى: لا ينزل عاقبة الشرك إلا بمن أشرك ... وعن ابن عباس أن كعبا قال له: إني أجد في التوراة (من حفر لأخيه حفرة وقع فيها) فقال ابن عباس: فإني أوجدك في القرآن ذلك. قال: وأين؟ قال: فاقرا ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾. القرطبي**

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ ٤٤ ﴿

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ

بِعِبَادِهِ، بِصِيرًا ﴿٤٥﴾

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾
ولو كان الله يؤاخذ الناس بذنوبهم، فكل من أذنب ذنبًا انتقم منه فأهلكه، ما ترك على ظهر الأرض من نسمة ذات روح تدب على وجه الأرض. الجزائري
* قلت: فإذا أهلك الآباء غير الصالحين لم يأت الأبناء الصالحين، كما جاء عند البغوي في قوله تعالى ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [النحل: ٦١] قيل: إن معنى الآية: لو يؤاخذ الله آباء الظالمين بظلمهم انقطع النسل، ولم توجد الأبناء فلم يبق في الأرض أحد.
* قال سعيد بن جبير، والسدي: لما سقاهم المطر، فماتت جميع الدواب. ابن كثير

سورة يس

سورة يس، سورة مكية، تركز على إثبات الرسالة والبعث، وعلى وجوب الاعتبار بمصير المكذبين، وفيها الرد على المشركين، وبيان مآل الناس في الآخرة.
﴿يَسَّ﴾ روي في فضلها أنها تقرأ لغرض كذا وكذا، ولم أجد شيئاً صحيحاً في الباب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرسول ﷺ بعث منذراً وحال كفار مكة تجاهه

﴿يَسَّ﴾ (١) من الحروف المقطعة ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ (٢) قسم من الله والمقسم عليه هو ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٣) على صراطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ طريق معتدل، وهو الإسلام ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (٥) لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاءَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ ﴿وَجِبَ الْعَذَابُ﴾ (٧) عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: نفذ فيهم القضاء والمشية، أنهم

لا يزالون في كفرهم وشركهم، وإنما حق عليهم القول بعد أن عرض عليهم الحق فرفضوه، فحينئذ عوقبوا بالطبع على قلوبهم. السعدي

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ جمعت أيديهم إلى أعناقهم، تمثيل لشدة إعراضهم ﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ﴾ ﴿٨﴾ رافعون رؤوسهم لا يستطيعون خفضها ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ حاجزًا ومانعًا ﴿وَمَنْ خَلْفَهُمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ أعمينا أبصارهم ﴿فَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ﴾ ﴿٩﴾

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ﴾ قال قتادة: إن المعنى: لا يبصرون الهدى. وقال السدي: لا يبصرون محمدًا حين ائتمروا على قتله. الشوكاني

﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ ﴿عندما يغيب عن الناس لا يراه إلا الله﴾ ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثِرَهُمْ ﴿ما سنوه، وأبقوه من خير وشر﴾ ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿١٢﴾ كتاب واضح وهو اللوح المحفوظ

﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثِرَهُمْ﴾ أي: ما سنوا من سنة حسنة أو سيئة. قال رسول الله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء». مسلم.

* وقال قوم: خطاهم إلى المساجد^(١). البغوي

(١) جاء في تفسير القرطبي (١٥/١٣): فلو كان بجوار مسجد، فهل له أن يجاوزه إلى الأبعد؟ اختلف فيه، فروي عن أنس أنه كان يجاوز المحدث إلى القديم. وروي عن غيره: الأبعد فالأبعد من المسجد أعظم أجرا. وكره الحسن وغيره هذا، وقال: لا يدع مسجدا قربه ويأتي غيره. وهذا مذهب مالك. وفي تخطي مسجده إلى المسجد الأعظم قولان.

قصة أصحاب القرية، ووجوب الاعتبار بمصير المكذبين

﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ ما جاء في التفسير من كون الرسل هم رسل عيسى عَلَيْهِ السَّلَام، وأن القرية هي أنطاكية - هو ما عليه أكثر المفسرين مثل قتادة وابن جرير وغيرهما، إلا أن ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى رجّح أن الرسل رسل من الله تعالى، وأن القرية ليست أنطاكية، وحجته فيما رآه أن الله تعالى لم يهلك أمة بعد نزول التوراة، وهذه القرية أهلك أهلها. وهذه غفلة منه رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى إذ أهلك الله أهل قرية كانت حاضرة البحر، ومسح أهلها قردة وخنازير على عهد داود بعد نزول التوراة بقرن، وإنما رفع هلاك العامة بعد بعثة النبي محمد نبي الرحمة ﷺ. الجزائري

* تعيين تلك القرية لو كان فيه فائدة لعينها الله. السعدي

﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴿١٣﴾ أَيْدِنَا وَقَوَّيْنَا ﴿١٤﴾ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ أي: أجابتهم رسلهم الثلاثة قائلين: الله يعلم أنا رسله إليكم، ولو كنا كذبة عليه لانتقم منا أشد الانتقام، ولكنه سيعزنا وينصرنا عليكم، وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار. ابن كثير

﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ﴿١٨﴾ تَشَاءُ مِنَّا بِكُمْ ﴿١٩﴾ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٠﴾ قَالُوا طَهِّرْ كُمْ ﴿٢١﴾ مَعََكُمْ ﴿٢٢﴾ شُؤْمُكُمْ وَأَعْمَالُكُمْ مِنَ الشَّرِّ وَالشَّرُّ مَعَكُمْ وَهُوَ مُرْدُودٌ عَلَيْكُمْ ﴿٢٣﴾ أَيْنَ دُكِّرْتُمْ ﴿٢٤﴾ إِنْ عِظْتُمْ تَشَاءُ مَتَمَّ ﴿٢٥﴾ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿قَالُوا طَهِّرْ كُمْ مَعَكُمْ﴾ هو ما معهم من الشرك والشر، المقضي لوقوع المكروه والنقمة، وارتفاع المحبوب والنعمة. السعدي

﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ﴾ **يسرع في مشيه** ﴿ قَالَ يَقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿٢٠﴾

﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ ﴾ أي: حبيب بن النجار صاحب يس. الجزائري
 ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ ﴾ قال قتادة: كان يعبد الله في غار، فلما سمع بخبر
 المرسلين جاء يسعي، فقال للمرسلين: أطلبون على ما جئتم به أجرا؟ قالوا: لا
 ما أجرنا إلا على الله. قال أبو العالية: فاعتقد صدقهم، وآمن بهم، وأقبل على
 قومه فقال: ﴿ قَالَ يَقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾. أي: «لو كانوا متهمين لطلبوا
 منكم المال». القرطبي

﴿ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ ﴿٢١﴾ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي
 فَطَرَنِي ﴿ **خلقني** ﴾ ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرْدِنِ
 الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذَا لَفِي
 ضَلَلٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾

﴿ إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾ فقتله قومه لما سمعوا منه، وراجعهم بما
 راجعهم به. السعدي

﴿ قِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ أَنْ قَتَلَهُ قَوْمُهُ ﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ
 بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ ﴿٢٧﴾

﴿ ٤٤١ ﴾

﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾ ﴿٢٨﴾

﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ أي: ما احتجنا أن نتكلف
 في عقوبتهم، فنزل جندا من السماء لإتلافهم، ﴿ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾ لعدم الحاجة
 إلى ذلك، وعظمة اقتدار الله تعالى، وشدة ضعف بني آدم، وأنهم أدنى شيء
 يصيبهم من عذاب الله يكفيهم. السعدي

﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِدُونَ ﴾ ﴿٢٩﴾ **ميتون هامدون** ﴿ يَحْشَرَةُ ﴾

عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ ﴿٣١﴾ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ ﴿٣٢﴾ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا ﴿٣٢﴾ إِلَّا ﴿٣٣﴾ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ نَحْضَرُهُم لِلْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ

إحياء الأرض الميتة دليل على البعث

﴿٣٣﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٤﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَاتٍ مِّن تَحِيْلٍ وَأَعْنَبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٥﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴿٣٦﴾ لَمْ تَخْلُقْهُ أَيْدِيهِمْ ﴿٣٧﴾ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا ﴿٣٩﴾ الْأَصْنَافِ وَالْأَنْوَاعِ ﴿٤٠﴾ مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ ﴿٤١﴾ أَنْوَاعِ النَّبَاتَاتِ ﴿٤٢﴾ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴿٤٣﴾ أَنْوَاعِ بَنِي آدَمَ ﴿٤٤﴾ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٦﴾ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي قَدْ خَلَقْتُ، وَغَابَتْ عَنْ عِلْمِنَا

من مظاهر خلق الله الدالة على الوحدانية

﴿٤٧﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ ﴿٤٨﴾ نَزْعَ ﴿٤٩﴾ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٥٠﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٥١﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ ﴿٥٢﴾ قَدَرْنَا سِيرَهُ مِنْ أَوَّلِ الشَّهْرِ إِلَى آخِرِهِ فِي مَنَازِلَ ﴿٥٣﴾ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٥٤﴾ مِثْلَ عَذْقِ النَّخْلَةِ الْمُتَقَوِّسِ فِي الرِّقَّةِ وَالْإِنْحِنَاءِ وَالصَّفْرَةِ لِقَدَمِهِ ﴿٥٥﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٧﴾ يَجْرُونَ

﴿٥٨﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ ﴿٥٩﴾ أي: في سلطانه الذي هو الليل، فلا يمكن أن توجد الشمس في الليل، ﴿٦٠﴾ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ﴿٦١﴾ فيدخل عليه قبل انقضاء سلطانه. السعدي

﴿٤٤٢﴾

﴿٦٢﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمُ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ ﴿٦٣﴾ حَمَلْنَا مِنْ نَجَا مِنْ وَلَدِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي سَفِينَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿٦٤﴾ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ ﴿٦٥﴾ قال الضحاك وغيره: هي السفن المتخذة بعد سفينة

نوح. القرطبي

﴿وَخَلَقْنَاهُمْ مِّن مِّثْلِهِ﴾ من مثل ذلك الفلك من المراكب ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ ﴿٤٣﴾

﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ ﴿٤١﴾ ﴿وَخَلَقْنَاهُمْ مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾
لما وصلت في الكتابة إلى هذا الموضع، ظهر لي معنى ليس ببعيد من مراد الله تعالى، وذلك أن من عرف جلالة كتاب الله، وبيانه التام من كل وجه، للأمور الحاضرة والماضية والمستقبلية، وأنه يذكر من كل معنى أعلاه، وأكمل ما يكون من أحواله، وكانت الفلك من آياته تعالى ونعمه على عباده، من حين أنعم عليهم بتعلمها إلى يوم القيامة، ولم تزل موجودة في كل زمان، إلى زمان المواجهين بالقرآن.

فلما خاطبهم الله تعالى بالقرآن، وذكر حالة الفلك، وعلم تعالى أنه سيكون أعظم آيات الفلك في غير وقتهم، وفي غير زمانهم، حين يعلمهم صنعة الفلك البحرية الشراعية منها والنارية، والجوية السابحة في الجو، كالطيور ونحوها، والمراكب البرية مما كانت الآية العظمى فيه لم توجد إلا في الذرية، نبه في الكتاب على أعلى نوع من أنواع آياتها. السعدي

﴿وَأَن تَشَاءُ نَغْرِقَهُمْ فَلَا صَرِيحَ﴾ لا مغيث ﴿لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا ﴿حَيْثُ لَمْ نَغْرِقَهُمْ﴾ ﴿وَمَتَّعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ ﴿٤٤﴾

من صور تعنت المشركين، وإنكارهم للبعث

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿٤٥﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فيه أقوال: أحدها: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾: ما مضى من الذنوب، ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾: ما يأتي من الذنوب. قاله مجاهد.

والثاني: ما تقدم من عذاب الله للأمم، ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من أمر الساعة، قاله قتادة... إلخ. ابن الجوزي

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ﴾ من دلالة تدل على صدق الرسول

﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ هذا الذي يزعمون باطل، لأن الله أغنى بعض الخلق، وأفقر بعضهم ابتلاء، فمنع الدنيا من الفقير لا بخلا، وأمر الغني بالإنفاق لا حاجة إلى ماله، ولكن ليلو الغني بالفقير فيما أمر وفرض له في مال الغني، ولا اعتراض لأحد على مشيئة الله وحكمه في خلقه. البغوي

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ ﴿﴾ مَا يَنْتَظِرُونَ ﴿﴾ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ يَخْتَصِمُونَ فِي شُؤْنِ حَيَاتِهِمْ ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ قال النبي ﷺ: «لتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقوم الساعة وقد رفع رجل أكلته إلى فيه فلا يطعمها». البغوي. والحديث بنحوه عند البخاري

نفخة البعث

﴿وَنُفِخَ ﴿﴾ النَفْخَةُ الثَّانِيَةُ ﴿﴾ فِي الصُّورِ ﴿﴾ الْقَرْنُ الَّذِي يَنْفُخُ فِيهِ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ ﴿﴾ الْقُبُورِ ﴿﴾ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ يَسْرِعُونَ فِي الْخُرُوجِ

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ النفخة الأولى، هي نفخة الفزع والموت، وهذه نفخة البعث والنشور. السعدي

﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ قُبُورُنَا ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ فإذا قالوا ذلك أجابهم المؤمنون -قاله غير واحد من السلف-: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾. وقال الحسن: إنما يحييهم بذلك الملائكة. ولا منافاة إذ الجمع ممكن، والله أعلم. ابن

كثير

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ نفخة واحدة في القرن ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ ماثلون للحساب ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُحْزَنُ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٥٤﴾

﴿ ٤٤٣ ﴾

مآل المؤمنين بعد البعث

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ﴾ ﴿٥٥﴾ مشغولون بالنعيم عما سواه ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ الأسرّة المزينة ﴿مُتَّكِئُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَنَكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ ما يَتَمَنُّونَ ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ ﴿٥٨﴾

﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ في هذا كلام الرب تعالى لأهل الجنة، وسلامه عليهم، وأكده بقوله: ﴿قَوْلًا﴾ وإذا سلم عليهم الرب الرحيم، حصلت لهم السلامة التامة من جميع الوجوه، وحصلت لهم التحية التي لا تحية أعلى منها، ولا نعيم مثلها، فما ظنك بتحية ملك الملوك، الرب العظيم، الرؤوف الرحيم، لأهل دار كرامته، الذي أحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبداً؟ فلو لا أن الله تعالى قدر أن لا يموتوا، أو تزول قلوبهم عن أماكنها من الفرح والبهجة والسرور، لحصل ذلك. فترجو ربنا أن لا يحرمانا ذلك النعيم، وأن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم. السعدي

مآل الكافرين بعد البعث

﴿وَأَمْتَرُوا﴾ تميزوا وانفصلوا عن المؤمنين ﴿الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا ﴿٦٢﴾ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٤﴾ أَصَلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٥﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ ﴿٦٦﴾ نَطْعِمُ ﴿٦٧﴾ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ

فَاسْتَبِقُوا الصِّرَاطَ ﴿٦٦﴾ فَأَتَىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٧﴾ فَشَاءَ لِمَسْخَنَّهُمْ ﴿٦٨﴾ لَغَيْرِنَا خَلَقَهُمْ ﴿٦٩﴾ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ ﴿٧٠﴾ أَمَا كُنْهُمْ ﴿٧١﴾ أَسْتَطَعُوا مُضِيًّا ﴿٧٢﴾ أَنْ يَمْضُوا أَمَامَهُمْ ﴿٧٣﴾ وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٧٤﴾

﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ ﴾ قيل: لمسخناهم في المكان الذي فعلوا فيه المعصية. الشوكاني

الاحتجاج على المشاركين

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ﴾ نطل عمره ﴿نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ نَعِدْهُ إِلَى الضَّعْفِ كَمَا
بَدَأُ ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أَنَّ الدَّارَ دَارَ زَوَالٍ وَانْتِقَالَ لَا دَوَامَ

﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾: أفلا يعقل هؤلاء المشركون قُدرة الله على ما يشاء بمعائنتهم ما يعاينون من تصرفه خلقه فيما شاء وأحب من صغر إلى كبر، ومن تنكيس بعد كبر في هرم.

﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَنِ كَانَ حَيًّا ﴿٧٠﴾ **حي القلب** ﴿٧١﴾ وَيَحَقِّقَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٢﴾



﴿٧١﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧٢﴾ وَذَلَّلْنَاهَا ﴿٧٣﴾ لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ ﴿٧٤﴾ مَا يَرْكَبُونَهَا عَلَيْهَا ﴿٧٥﴾ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٦﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٧﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٨﴾

﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لَعَلَّهُمْ يُبْصِرُونَ﴾ ❀ أي: لما يرجون من نصرتها لهم
 إن نزل بهم عذاب. القرطبي
 ❀ قيل: المعنى أنهم يعبدون الآلهة ويقومون بها، فهم لها بمنزلة الجند، وهي لا
 تستطيع أن تنصرهم. القرطبي

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ﴾ ٧٥ ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنََّّا نَعْلَمُ

مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾

القادر على الابتداء؛ قادر على الإعادة والبعث

﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ كثير الخصام ﴿مُبِينٌ﴾

﴿٧٧﴾

﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ بعد أن كان ابتداء خلقه من نطفة، فلينظر التفاوت بين هاتين الحالتين، وليعلم أن الذي أنشأه من العدم قادر على أن يعيده بعد ما تفرق وتمزق، من باب أولى. السعدي

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ بالية

متفتتة

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ لا ينبغي لأحد أن يضربه، وهو قياس قدرة الخالق بقدرة المخلوق، وأن الأمر المستبعد على قدرة المخلوق مستبعد على قدرة الخالق. السعدي

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿ ٤٤٥ ﴾

سورة الصفات

سورة الصفات، سورة مكية، فيها بيان أصول العقيدة، وفيها بيان عاقبة المؤمنين والمكذبين، وحال الناس مع دعوات الرسل، وبيان وجوب التسليم لحكم الله، وفيها تنزيه الله عما نسب إليه المشركون، وإبطال مزاعمهم في الملائكة والجن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الله الواحد الحافظ للكون والوحي

﴿وَالصَّفَّتِ﴾ قسم بالملائكة حين تصف للعبادة ﴿صَفًّا ١﴾ فَالزَّجَرَتْ ﴿قسم بالملائكة حين تزجر السحاب وتسوقه ﴿زَجْرًا ٢﴾ فَالْتَلَيْتِ ذِكْرًا ٣﴾ ﴿قسم بالملائكة حين تتلو ذكر الله وكلامه ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ٥﴾

﴿وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ قال السدي: المشارق ثلاثمائة وستون مشرقا، والمغرب مثلها، على عدد أيام السنة. فإن قيل: لم ترك ذكر المغرب؟ فالجواب: أن المشارق تدل على المغرب، لأن الشروق قبل الغروب. ابن الجوزي * قال في سورة الرحمن ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧] أراد بالمشرقين أقصى مطلع تطلع منه الشمس في الأيام الطوال، وأقصر يوم في الأيام القصار. ينظر: تفسير القرطبي

﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ٦﴾

﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ قال قتادة: خلق الله تعالى النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها في البر والبحر والأوقات. فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به، وتعدى وظلم. القرطبي

﴿وَحَفَظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ٧﴾ متمرّد خارج عن الطاعة ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلِمًا إِلَّا أَعْلَىٰ وَيُقَذَّفُونَ ٨﴾ يرحمون ﴿مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ٨﴾ دُحُورًا ﴿طَرْدًا لِلشَّيَاطِينِ ٩﴾ عن الاستماع ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ٩﴾ دائم موجع ﴿إِلَّا مَن خِطَفَ الْخُطْفَةَ ١٠﴾ اختلس الكلمة مسارقة بسرعة ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ١٠﴾ ما يرى كالكوكب ينقض من السماء بسرعة ﴿ثَاقِبٌ ١٠﴾ مضيء

﴿إِلَّا مَن خِطَفَ الْخُطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ تارة يدركه قبل أن يوصلها إلى أوليائه، فينقطع خبر السماء، وتارة يخبر بها قبل أن يدركه الشهاب، فيكذبون

معها مائة كذبة يروجونها بسبب الكلمة التي سمعت من السماء^(١). السعدي

البعث

﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ ﴾ **اسأل منكرى البعث** ﴿ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنِ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ ﴾ **خلقنا أباهم آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ** ﴿ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ ﴿ ١١ ﴾ **لزوج يلتصق**
بعضه ببعض ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ ﴿ ١٢ ﴾

﴿ **بَلْ عَجِبْتَ** ﴾ يا أيها الرسول وأيها الإنسان، من تكذيب من كذب بالبعث بعد أن أريتهم من الآيات العظيمة والأدلة المستقيمة، وهو حقيقة محل عجب واستغراب؛ لأنه مما لا يقبل الإنكار، وأعجب من إنكارهم وأبلغ منه أنهم ﴿ وَيَسْخَرُونَ ﴾ ممن جاء بالخبر عن البعث، فلم يكفهم مجرد الإنكار، حتى زادوا السخرية بالقول الحق. السعدي

﴿ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴾ ﴿ ١٣ ﴾ **وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ** ﴿ ١٤ ﴾ **وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ**
 ﴿ ١٥ ﴾ **أَءِذَا مِنَّا وَكُنَّا نُرَابًا وَعِظْمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ** ﴿ ١٦ ﴾ **أَوَءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ** ﴿ ١٧ ﴾ **قُلْ نَعَمْ**
وَأَنْتُمْ دَخِرُونَ ﴿ ١٨ ﴾ **صَاغِرُونَ أَذْلَاءُ** ﴿ **فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ** ﴾ **نَفْخَةٍ** ﴿ **وَحِدَةٌ** فَإِذَا هُمْ
يَنْظُرُونَ ﴿ ١٩ ﴾ **وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ** ﴿ ٢٠ ﴾ **هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ**
تُكَذِّبُونَ ﴿ ٢١ ﴾

حال الكفار في الآخرة

﴿ **أَحْشَرُوا** ﴾ ﴿ **اجمعوا** ﴾ ﴿ **الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَجَهُمْ** ﴾ **نظراءهم وقرناءهم في الدنيا**
 ﴿ **وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ** ﴾ ﴿ ٢٢ ﴾ **من الأصنام** ﴿ **مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ** ﴾ **سوقوهم سوقاً**
عنيفاً ﴿ **إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ** ﴾ ﴿ ٢٣ ﴾ **وَقِفُوهُمْ** ﴿ **احبسوهم قبل أن يصلوا إلى جهنم**

﴿ **إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ** ﴾ ﴿ ٢٤ ﴾

(١) جاء في تفسير القرطبي (١٥ / ٦٦): اختلف: هل كان هذا القذف قبل المبعث، أو بعده لأجل المبعث؟ على قولين. وجاءت الأحاديث بذلك على ما يأتي من ذكرها في سورة (الجن) عن ابن عباس. وقد يمكن الجمع بينها أن يقال: إن الذين قالوا: لم تكن الشياطين ترمى بالنجوم قبل مبعث النبي ﷺ ثم رميت، أي: لم تكن ترمى رمياً يقطعها عن السمع، ولكنها كانت ترمى وقتاً، ولا ترمى وقتاً، وترمى من جانب، ولا ترمى من جانب. ولعل الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴾ ﴿ ٨ ﴾ **دُحُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ** ﴿ ٩ ﴾ إلى هذا المعنى، وهو: أنهم كانوا لا يقذفون إلا من بعض الجوانب، فصاروا يرمون واصباً.

﴿ مَا لَكُمْ لَا نَنَاصِرُونَ ﴾ (٢٥) ﴿ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾ (٢٦) ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (٢٧) ﴿ قَالُوا ﴾ ﴿ قَالَ الْأَتْبَاعُ ﴾ ﴿ إِنَّكُمْ ﴾ ﴿ أَيُّهَا السَّادَةُ ﴾ ﴿ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾ (٢٨) ﴿ مِنْ قَبْلِ الدِّينِ فَتَخَدَعُونَنَا بِأَقْوَى الْوُجُوهِ ﴾ ﴿ قَالُوا ﴾ ﴿ قَالَ السَّادَةُ ﴾ ﴿ بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٩) ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ ﴿ حُجَّةٌ أَوْ قُوَّةٌ ﴾ ﴿ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴾ (٣٠) ﴿ مجاوزين الحد في العصيان ﴾ ﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا ﴾ ﴿ وَجِبَ عَلَيْنَا ﴾ ﴿ قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰيْقُونَ ﴾ (٣١) ﴿ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَوِينَ ﴾ (٣٢) ﴿ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ (٣٣)

﴿ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ مشتركون وإن تفاوتت مقادير عذابهم بحسب جرمهم. السعدي

﴿ إِنَّا كَذٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾ (٣٤) ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٣٥) ﴿ وَيَقُولُونَ أَنِنَا لِتَارِكُوا ءَالَهُتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ (٣٦) ﴿ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٣٧) ﴿ إِنَّكُمْ لَذَٰيِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴾ (٣٨) ﴿ وَمَا تُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣٩)

حال المؤمنين في الآخرة

﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (٤٠) ﴿ الَّذِينَ أَخْلَصُوا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ فَأَخْلَصَهُمْ، وَاخْتَصَهُمْ بِرَحْمَتِهِ ﴾ ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴾ (٤١) ﴿ فَوَكَهَهُمْ مَّكْرُمُونَ ﴾ (٤٢) ﴿ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴾ (٤٣) ﴿ عَلَى سُرُرٍ مُّقْبِلِينَ ﴾ (٤٤) ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ ﴾ ﴿ بِخَمْرٍ ﴾ (٤٥) ﴿ مِنْ مَّعِينٍ ﴾ ﴿ مِنْ أَنهَارٍ جَارِيَةٍ لَا يَخَافُونَ انْقِطَاعَهَا ﴾ ﴿ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴾ (٤٦) ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ ﴿ لَيْسَ فِيهَا مَا يَغْتَالُ عَقُولَهُمْ ﴾ ﴿ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾ (٤٧) ﴿ لَا يَسْكُرُونَ، وَلَا تَضُرُّ أَبْدَانَهُمْ وَلَا أَمْوَالَهُمْ ﴾ ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَتُ الطَّرْفِ ﴾ ﴿ عَفِيفَاتٌ لَا يَنْظُرْنَ إِلَى غَيْرِ أَزْوَاجِهِنَّ ﴾ ﴿ عَيْنٌ ﴾ (٤٨) ﴿ حَسَانُ الْأَعْيُنِ ﴾ ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ (٤٩) ﴿ لَمْ تَمْسَسْهُ الْأَيْدِي

﴿ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ ﴾ (٤٨) ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ قال جماعة من أهل اللغة: والعرب تشبه المرأة الحسنة في بياضها وحسن لونها ببيضة النعامة، وهو أحسن ألوان النساء، وهو أن تكون المرأة بيضاء مشربة صفرة. ابن الجوزي

حوار المؤمن مع صاحبه الكافر

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ٥٠ ﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿ ٥١ ﴾
صاحب ملازم لي

﴿ ٤٤٧ ﴾

﴿ يَقُولُ أَأِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ٥٢ ﴾ **أى بالبعث** ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَأِنَّا لَمَدِينُونَ ٥٣ ﴾ **لمجزيون ومحاسبون** ﴿ قَالَ ٥٤ ﴾ **المؤمن لأصحابه من أهل الجنة** ﴿ هَلْ أَنتُمْ مَّطْلُوعُونَ ٥٥ ﴾ **فأطلعهم فرأاه في سوء الجحيم** ﴿ ٥٦ ﴾ **وسط جهنم** ﴿ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدَّتْ ٥٧ ﴾ **إنك قاربت** ﴿ لَتُرْدِينَ ٥٨ ﴾ **لتهلكنى بضلالك وإغوائك** ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ٥٩ ﴾ **من أحضروا في العذاب معك** ،
ثم يقول المؤمن: ﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ٥٨ ﴾ **أى: لسنا بميتين** ﴿ إِلَّا مَوْتَنَا ٥٩ ﴾ **الأولى التي في الدنيا** ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ٥٩ ﴾

﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ٥٨ ﴾ **إلا مَوْتَنَا** يقول لقرينه المعذب: أفتزعم أننا لسنا نموت سوى الموت الأولى، ولا بعث بعدها ولا عذاب. السعدي

﴿ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٦٠ ﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿ ٦١ ﴾
شجرة الزقوم، وأصحابها

﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا ٦٢ ﴾ **ضيافة** ﴿ أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ٦٣ ﴾ **شجرة خبيثة ملعونة من طعام أهل النار**

﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ٦٣ ﴾ **اختلف العلماء: هل هذه الشجرة في الدنيا، أم لا؟ فقال قطرب: هي شجرة مرة تكون بأرض تهامة من أخبث الشجر. وقال غيره: الزقوم: ثمرة شجرة كريهة الطعم. وقيل: إنها لا تعرف في شجر الدنيا، وإنما هي في النار، يكره أهل النار على تناولها. ابن الجوزي**

﴿ إِنَّا جَعَلْنَهَا فَتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ٦٣ ﴾ **ابتلاء لهم حيث كذبوا بوجود شجرة في النار** ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ٦٤ ﴾ **قعر جهنم**

﴿ إِنَّمَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾ لا يستحيل في العقل أن يخلق الله في النار شجرا من جنسها لا تأكله النار، كما يخلق الله فيها الأغلال والقيود والحيات والعقارب. القرطبي

﴿ طَلَعَهَا ﴾ ثمرها ﴿ كَانَهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ ﴿ ٦٥ ﴾

﴿ طَلَعَهَا كَانَهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ إن قيل: كيف شبهها بشيء لم يشاهد؟ فعنه ... أجوبة: أحدها: أنه قد استقر في النفوس قبح الشياطين - وإن لم تشاهد - فجاز تشبيهها بما قد علم قبحه ... والثاني: أن بين مكة واليمن شجرا يسمى رؤوس الشياطين، فشبهها بها، قاله ابن السائب ... إلخ. ابن الجوزي

﴿ فَإِنَّهُمْ لَا كُؤُونَ مِنْهَا فَمَا لُؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴾ ﴿ ٦٦ ﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوَّابًا ﴿ خَلَطًا وَمَزَاجًا ﴾ ﴿ ٦٧ ﴾ مِنْ مَّاءٍ حَارٍّ بَالِغِ الْحَرَارَةِ ﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ ﴾ ﴿ ٦٨ ﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ﴿ وَجَدُوا ﴾ ﴿ ٦٩ ﴾ فَهُمْ عَلَىٰ عَائِثِهِمْ مُهْرَعُونَ ﴿ ٧٠ ﴾ يَسْرِعُونَ فِي مَتَابِعَتِهِمْ عَلَى الضَّلَالِ ﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿ ٧١ ﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿ ٧٢ ﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿ ٧٣ ﴾

﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ كانت عاقبتهم الهلاك، والخزي، والفضيحة، فليحذر هؤلاء أن يستمروا على ضلالهم، فيصيبهم مثل ما أصابهم.

ولما كان المنذرون ليسوا كلهم ضالين، بل منهم من آمن، وأخلص الدين لله، استثناه الله من الهلاك. السعدي

﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ ﴿ ٧٤ ﴾

حال قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعَمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ ﴿ ٧٥ ﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿ ٧٦ ﴾

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ ﴿٧٧﴾

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ قال قتادة: الناس كلهم من ذرية نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ. ابن كثير

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ أبقينا له ذكرًا جميلًا ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿فِيمَنْ جَاءَ بَعْدَهُ مِنَ النَّاسِ﴾ ﴿سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾

إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ﴾ من تابعه على دينه ومنهاجه ﴿لِإِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ بريء من كل اعتقاد باطل وخلق ذميم

﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ كمال إبراهيم في سلامة قلبه من الالتفات إلى غير الله تعالى حتى إن جبريل قد عرض له، وهو في طريقه إلى الجحيم الذي أعده له قومه فقال: هل لك حاجة، يا إبراهيم؟ فقال أما إليك فلا. الجزائري

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٨٥﴾ أَيْفَكَا ءَالِهَةً ﴿أَتُرِيدُونَ آلِهَةً مُمْتَلَكَةً تَعْبُدُونَهَا﴾ ﴿٨٦﴾ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٧﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٨﴾ فَنَظَرْنَا فِي النُّجُومِ ﴿٨٩﴾ فَمَا نَرَاهُمْ إِلَّا نَجْمٌ مُسْتَهْزَأٌ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَى ءَالِهِمْ ﴿٩١﴾ مَالٍ بِخَفِيَةٍ ﴿٩٢﴾ مَسْرَعًا إِلَى الْأَصْنَامِ ﴿فَقَالَ﴾ ﴿مُسْتَهْزَأًا بِهَا﴾ ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿٩٣﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٤﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٥﴾ بِيَدِهِ الْيُمْنَى ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ يَعْدُونَ مَسْرَعِينَ غَاضِبِينَ ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ ﴿٩٧﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (في ذلك) وجهان:

أحدهما: أن يكون قوله «ما» بمعنى المصدر، فيكون معنى الكلام حينئذ: والله

خلقكم وعملكم.

والآخر: أن يكون بمعنى «الذي»، فيكون معنى الكلام عند ذلك: والله خلقكم والذي تعملونه: أي: والذي تعملون منه الأصنام، وهو الخشب والنحاس والأشياء التي كانوا ينحتون منها أصنامهم. الطبري

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ (٩٧) ﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ (٩٨) **الخاسرين**

﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ أي: المقهورين المغلوبين؛ إذ نفذت حجته من حيث لم يمكنهم دفعها، ولم ينفذ فيه مكرهم ولا كيدهم. القرطبي

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهٍ﴾ (٩٩)

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ يقول: إني مهاجرٌ من بلدة قومي إلى الله، أي: إلى الأرض المقدسة، ومفارقهم، فمعتزلهم لعبادة الله. الطبري

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٠٠)

إبراهيم مع إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَام

﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ (١٠١) ﴿هُوَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَى﴾ ﴿وَصَلَ دَرَجَةَ الْعَمَلِ مَعَهُ وَقَضَاءِ حَوَائِجِهِ﴾ ﴿قَالَ يَبْنِي إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ ﴿قَالَ يَتَابَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (١٠٢)

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَى﴾ بلغ سنًا يكون في الغالب أحب ما يكون لوالديه، قد ذهبت مشقته، وأقبلت منفعة. السعدي

﴿قَالَ يَبْنِي إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ قال كعب وغيره: لما أري إبراهيم ذبح ولده في منامه، قال الشيطان: والله لئن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم لا أفتن منهم أحدا أبدا. فتمثل الشيطان لهم في صورة الرجل، ثم أتى أم الغلام، وقال: أتدرين: أين يذهب إبراهيم بابنك؟ قالت: لا. قال: إنه يذهب به ليذبحه.

قالت: كلا هو أرأف به من ذلك. فقال: إنه يزعم أن ربه أمره بذلك. قالت: فإن كان ربه قد أمره بذلك فقد أحسن أن يطيع ربه. ثم أتى الغلام، فقال: أتدري: أين يذهب بك أبوك؟ قال: لا. قال: فإنه يذهب بك ليزبحك. قال: ولم؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك. قال: فليفعل ما أمره الله به، سمعا وطاعة لأمر الله. ثم جاء إبراهيم فقال: أين تريد؟ والله، إني لأظن أن الشيطان قد جاءك في منامك، فأمرك بذبح ابنك. فعرفه إبراهيم، فقال: إليك عني -يا عدو الله- فوالله لأمضين لأمر ربي. فلم يصب الملعون منهم شيئا. وقال ابن عباس: لما أمر إبراهيم بذبح ابنه عرض له الشيطان عند جرة العقبة، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الأخرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى إبراهيم لأمر الله تعالى. القرطبي

﴿قَالَ يَبْنِيْٓ آِنِّىْ اَرَىٰ فِى الْمَنَامِ اَنِّىْۤ اَذْبَحُكَ﴾ إن أول ولد له معزة ما ليس لمن بعده من الأولاد، فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار... وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل، فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم، وذكر أنه الذبيح، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّٰلِحِيْنَ﴾، ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق قالوا: ﴿إِنَّا نَبْشُرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيْمٍ﴾ [الحجر: ٥٣]. وقال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَآءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]، أي: يولد له في حياتهما ولد يسمى يعقوب، فيكون من ذريته عقب ونسل. وقد قدمنا هناك أنه لا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه، وهو صغير؛ لأن الله تعالى قد وعدهما بأنه سيعقب، ويكون له نسل، فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيرا، وإسماعيل وصف هاهنا بالحليم؛ لأنه مناسب لهذا المقام. ابن كثير

﴿فَلَمَّاۤ اَسْلَمَا۟﴾ استسما لأمر الله ﴿وَتَلَّهٗ لِلْجَبِيْنَ﴾ ﴿١٠٣﴾ ﴿اَلْقَاهُ عَلَىٰ جَانِبِ جَبْهَتِهِ عَلَى الْأَرْضِ﴾ ﴿وَنَدَيْنَاهُۦٓ اَنْ يَّتَابَرٰهِيْمُ﴾ ﴿١٠٤﴾ ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا۟﴾ ﴿حَقَّقْتُهَا بِعِزِّكَ﴾ ﴿اِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِيْنَ﴾ ﴿١٠٥﴾ ﴿اِنَّكَ هٰذَا لَهٗوَ اَلْبَلٰٓؤُا۟ الْمُبِيْنُ﴾ ﴿١٠٦﴾ ﴿الْاَخْتَبَارِ﴾

الشاق الذي أبان عن صدق إيمانه ﴿ وَفَدَيْنَهُ ﴾ جعلنا بديلاً عنه ﴿ يَذْبَحْ ﴾ بكبش ﴿ عَظِيمٍ ﴾ ﴿ ١٠٧ ﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿ ١٠٨ ﴾ أبقينا له ذكراً حسناً فيمن جاء بعده ﴿ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ﴿ ١٠٩ ﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿ ١١٠ ﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿ ١١١ ﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿ ١١٢ ﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿ ١١٣ ﴾

﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ الظالم الذي تبين ظلمه بكفره وشركه، ولعل هذا من باب دفع الإيهام؛ فإنه لما قال: ﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ﴾ اقتضى ذلك البركة في ذريتهما، وأن من تمام البركة أن تكون الذرية كلهم محسنين، فأخبر الله تعالى أن منهم محسناً وظالماً. السعدي

موسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ ﴿ ١١٤ ﴾ وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿ ١١٥ ﴾ الغرق في البحر والعبودية لفرعون ﴿ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴾ ﴿ ١١٦ ﴾ وَأَعَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ ﴿ التَّوْرَةَ ﴾ ﴿ الْمُسْتَبِينَ ﴾ ﴿ ١١٧ ﴾ الواضحة لا لبس فيها

﴿ وَأَعَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴾ التوراة التي فيها الأحكام والمواعظ، وتفصيل كل شيء. السعدي

﴿ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ﴿ ١١٨ ﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿ ١١٩ ﴾ أبقينا لهم الثناء الحسن ﴿ سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ ﴿ ١٢٠ ﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿ ١٢١ ﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿ ١٢٢ ﴾

إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿ ١٢٣ ﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ۖ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿ ١٢٤ ﴾

﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ۖ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ وهم أهل بعلبك من بلاد الشام. وبه سميت مدينتهم بعلبك. القرطبي

﴿ اُنْذِعُونَا بَعْلًا ﴾ ﴿ اَتَعْبُدُونَ الصُّنُمَ الْمُسَمَّى بَعْلًا ﴾ ﴿ وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴾ ﴿ ١٢٥ ﴾ ﴿ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿ ١٢٦ ﴾

﴿ ٤٥٠ ﴾

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ ﴿ ١٢٧ ﴾ ﴿ لِمَجْمُوعُونَ لِلْحَسَابِ وَالْعِقَابِ ﴾ ﴿ ١٢٨ ﴾ ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ ﴿ ١٢٩ ﴾ ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ ﴿ ١٣٠ ﴾ ﴿ سَلَّمَ عَلَىٰ إِيَّا يَاسِينَ ﴾ ﴿ ١٣١ ﴾ ﴿ هُوَ إِيَّاسُ نَفْسِهِ أَوْ هُوَ وَاتَّبَاعَهُ ﴾ ﴿ ١٣٢ ﴾ ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿ ١٣٣ ﴾ ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ ١٣٤ ﴾

لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿ ١٣٥ ﴾ ﴿ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿ ١٣٦ ﴾ ﴿ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴾ ﴿ ١٣٧ ﴾ ﴿ الْبَاقِينَ فِي الْعَذَابِ ﴾ ﴿ ١٣٨ ﴾ ﴿ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ﴾ ﴿ ١٣٩ ﴾ ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴾ ﴿ ١٤٠ ﴾ ﴿ وَبِالْأَيْلُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿ ١٤١ ﴾

يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿ ١٤٢ ﴾ ﴿ إِذْ أَبَقَ ﴾ ﴿ هَرَبَ مِنْ بَلَدِهِ مِنْ غَيْرِ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ ﴿ ١٤٣ ﴾ ﴿ إِلَى الْفُلْكِ ﴾ ﴿ السَّفِينَةِ ﴾ ﴿ الْمَشْحُونِ ﴾ ﴿ ١٤٤ ﴾ ﴿ الْمَمْلُوءِ أَمْتَعَةٍ وَرُكَّابًا ﴾ ﴿ فَسَاهَمَ ﴾ ﴿ فَاقْتَرَعِ رُكَّابُ السَّفِينَةِ لِتَخْفِيفِ الْحَمُولَةِ خَوْفَ الْغَرَقِ ﴾ ﴿ ١٤٥ ﴾ ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ ﴿ ١٤٦ ﴾ ﴿ الْمَغْلُوبِينَ بِالْقُرْعَةِ ﴾

﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ أي: المغلوبين؛ وذلك أن السفينة تلاعبت بها الأمواج من كل جانب، وأشرفوا على الغرق، فساهموا على من تقع عليه القرعة يلقي في البحر؛ لتخف بهم السفينة، فوقعت القرعة على نبي الله يونس -عليه الصلاة والسلام- ثلاث مرات، وهم يضمنون به أن يلقي من بينهم، فتجرد من ثيابه ليلقي نفسه، وهم يأبون عليه ذلك. ابن كثير

﴿ فَالْنَقَمَةُ ﴾ ﴿ ابْتَلَعَهُ ﴾ ﴿ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ ﴿ ١٤٧ ﴾ ﴿ آتٍ بِمَا يَلَامُ عَلَيْهِ ﴾ ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ ﴿ ١٤٨ ﴾ ﴿ الْعَابِدِينَ الذَّاكِرِينَ ﴾

﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ أي: المكثرين من الصلاة والذكر والدعاء والتسبيح قبل البلاء لما كان يُلهم قوله: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، ولما كان يستجاب له؛ ولذا قال رسول الله ﷺ: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة». الجزائري

﴿ لَلْبَثِّ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ﴿١٤٤﴾ ﴿ فَبَدَّنَهُ ﴾ فطر حناه من بطن الحوت ﴿ بِالْعَرَاءِ ﴾ الأرض الخالية من الشجر والبناء ﴿ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ ﴿١٤٥﴾ ضعيف البدن ﴿ وَأَبْتَنَّا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴾ ﴿١٤٦﴾ قرع ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ ﴾ أمر بالرجوع إلى قومه ﴿ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ ﴿١٤٧﴾ بل يزيدون ﴿ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ أَبْقِيَانَهُمْ أَحْيَاءَ مُتَمَتِّعِينَ إِلَى بَلُوغِ آجَالِهِمْ ﴾ ﴿إِلَى حِينٍ﴾ ﴿١٤٨﴾

الرد على دعاوى المشركين وإفكهم

﴿ فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبَّكَ أَلْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾ ﴿١٤٩﴾

﴿ فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبَّكَ أَلْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾ أي: هذه قسمة ضيزى، وقول جائر، من جهة جعلهم الولد لله تعالى، ومن جهة جعلهم أرداداً القسمين وأخسهما له، وهو البنات اللاتي لا يرضونهن لأنفسهم، كما قال في الآية الأخرى ﴿ وَجَعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ [النحل: ٥٧] ومن جهة جعلهم الملائكة بنات الله، وحكمهم بذلك. السعدي

﴿ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴾ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ ﴿ كَذِبِهِمْ ﴾ ﴿لَيَقُولُونَ﴾ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿ أَصْطَفَى ﴾ أي: هل اختار ﴿ أَلْبَنَاتٍ عَلَى الْبَنِينَ ﴾ ﴿١٥٢﴾

﴿ ٤٥١ ﴾

﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ ﴿١٥٤﴾ بئس الحكم ما تحكمونه ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿١٥٥﴾ فساد قولكم ﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ ﴾ حجة ﴿ مُبِينٌ ﴾ ﴿١٥٦﴾ فَأَتُوا بِكِنَانِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ ﴿ الملائكة سموا بذلك لاجتنانهم عن الأبصار ﴾ ﴿نَسَبًا﴾

قِرَابَةٌ ﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الْكُفَّارَ سَيَحْضُرُونَ لِلْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ﴾ قيل: هو قولهم: الملائكة بنات الله، وسمى الملائكة جناً؛ لاجتنانهم عن الأبصار. وهو قول مجاهد وقتادة، وقيل قالوا لحي من الملائكة يقال لهم الجن، ومنهم إبليس، وهم بنات الله، وقال الكلبي قالوا - لعنهم الله - : بل تزوج من الجن، فخرج بينهما الملائكة. وقوله: ﴿ وَخَرَفُوا لَهُ بَيْنَ وَبَيْنَ بَغِيرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٠] قال بعض المفسرين كالثعلبي: هم كفار العرب قالوا الملائكة والأصنام بنات الله، واليهود قالوا: عزيز ابن الله، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله. ابن تيمية. مجموع الفتاوى.

﴿ سُبْحَنَ اللَّهِ ﴾ تنزه الله ﴿ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ أَيُّهَا الْكُفَّارُ ﴿ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَعْلَتَيْنِ ﴾ ﴿ بِمُضِلِّينَ أَحَدًا ﴾ ﴿ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٢﴾ ﴾ من يصلى الجحيم بدخولها ومقاساة حرها ﴿ وَمَا مِنَّا ﴾ أى: الملائكة ﴿ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾ الواقفون صفوفًا فى عبادة الله ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ المنزهون الله عن كل ما لا يليق به

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴾ قال قتادة: صفوف فى السماء ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ أى: المصلون، هذا قول الملائكة يشنون بمكانهم من العبادة. الطبري

﴿ وَإِنْ كَانُوا ﴾ أى كفار مكة ﴿ يَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿ كِتَابًا مِنْ كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقَةِ ﴾ ﴿ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ ﴾ ﴿ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾

نصر المؤمنين، وعذاب الكافرين

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ ﴿ أَعْرَضَ عَمَّنْ عَائِدٌ ﴾ ﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصَرْتُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ ﴾

﴿ أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ ﴿ بِفَنَائِهِمْ ﴾ ﴿ فِسَاءٌ ﴾ ﴿ فَبِئْسَ ﴾ ﴿ صَبَاحٌ

الْمُنْذِرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

﴿وَأَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ أي: وأنظرهم، فسوف يرون ما يحل بهم من عقابنا.
الطبري

﴿ ٤٥٢ ﴾

سورة ص

سورة ص، سورة مكية، فيها التأكيد على صدق الرسول ﷺ، ووجوب الإيمان بأصول العقيدة، وجزاء من صدق بذلك وجزاء من أعرض، وفيها حديث عن جمع من الأنبياء وطاعتهم، وعن إنابتهم إلى الله إن أخطؤوا، بخلاف إبليس الذي تكبر وخاصم بالباطل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شقاق الكافرين

﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ ﴿١﴾ **المشتمل على تذكير الناس بما هم عنه غافلون**

﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ أي: والقرآن المشتمل على ما فيه ذكر للعباد ونفع لهم في المعاش والمعاد، وقال ابن عباس: ذي الشرف، أي: ذي الشأن والمكانة، ولا منافاة بين القولين؛ فإنه كتاب شريف مشتمل على التذكير والإعذار والإنذار.
ينظر: تفسير ابن كثير

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ﴾ **تكبر وحمية** ﴿٢﴾ **وشقاق** ﴿٣﴾ **مخالفة وعناد** ﴿٤﴾ **كَمْ أَهْلَكْنَا** **كثيراً أهلكنا** ﴿٥﴾ **مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ** ﴿٦﴾ **مِنْ أُمَّةٍ سَابِقَةٍ** ﴿٧﴾ **فَنَادَوْا** ﴿٨﴾ **اِسْتَغَاثُوا فِي صَرْفِ الْعَذَابِ** ﴿٩﴾ **وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ** ﴿١٠﴾ **لَيْسَ الْوَقْتُ وَقْتُ فِرَارٍ وَخِلَاصٍ** ﴿١١﴾ **وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ** ﴿١٢﴾ **وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ** ﴿١٣﴾ **وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ** ﴿١٤﴾ **أَجْعَلِ لِلْأَلْهَةِ إِلَهاً وَاحِداً** ﴿١٥﴾ **إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ** ﴿١٦﴾ **عجيب**

﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ﴾ قال ابن عباس: «لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل بن هشام، فقالوا: إن ابن أخيك يشتم آلهتنا، ويفعل ويفعل... فقال له أبو طالب: أي ابن أخي، ما بال قومك يشكونك؟ يزعمون أنك تشتم آلهتهم، وتقول وتقول؛ قال: فأكثروا عليه القول، وتكلم رسول الله ﷺ فقال: «يا عم، إني أريدكم على كلمة واحدة يقولونها، تدين لهم بها العرب، وتؤدّي إليهم بها العجم الجزية»، ففزعوا لكلمته ولقوله، فقال القوم: كلمة واحدة؟ نعم وأبيك عشرين؛ فقالوا: وما هي؟ فقال أبو طالب: وأي كلمة هي يا ابن أخي؟ قال: «لا إله إلا الله»؛ قال: فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم، وهم يقولون: ﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾. الطبري

﴿ وَأَنْطَلِقَ الْأُمَلَأُ ﴾ الأشراف وكبار القوم ﴿ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا ﴾ استمروا على دينكم وشركم ﴿ وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾ مدبر يقصد من الترويس والسيادة ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آلِمَّةٍ الْآخِرَةِ ﴾ دين آبائنا من قريش ولا في النصرانية ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا آخِلَقٌ ﴾ كذب وافتراء ﴿ أَمْ نَزَلُ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿ ٩ ﴾ فيصرفوا النبوة لمن شاؤوا ﴿ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴾ فليأخذوا بالأسباب الموصلة إلى السماء، وليمنعوا الوحي ﴿ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴾ جنود قليلون حقيرون مهزومون كحال من سبقهم

وجوب الاعتبار بالأمم السابقة المكذبة

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ﴾ صاحب الجنود والقوة العظيمة ﴿ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ ﴾ أصحاب الأشجار والبساتين، وهم قوم شعيب ﴿ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴾ إن كلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿ ١٤ ﴾ وجب العقاب ﴿ وَمَا يَنْظُرُ مَا يَنْتَظِرُ ﴾ هؤلاء إِلَّا صِيحَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿ نَفْخَةُ الْقِيَامَةِ ﴾ مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴿ ١٥ ﴾ رجوع

﴿صَيِّحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ المعنى : أنها ممتدة لا تقطيع فيها. وروى أبو هريرة قال: حدثنا رسول الله ﷺ ونحن في طائفة من أصحابه، الحديث. وفيه، «يأمر الله عَزَّوَجَلَّ إسرافيل بالنفخة الأولى، فيقول: انفخ نفخة الفزع، فيفزع أهل السماوات وأهل الأرض إلا من شاء الله، ويأمره فيمدها، ويديمها، ويطولها». القرطبي، وينظر: مسند إسحاق.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِطْنًا﴾ نصيبنا من العذاب ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ ﴿١٦﴾

﴿ ٤٥٣ ﴾

إنابة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى رَبِّهِ

﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾ صاحب القوة على الطاعة وفي الحرب ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ﴿١٧﴾ كثير الرجوع إلى ما يرضى الله ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ﴾ آخر النهار ﴿وَالْأَشْرَاقِ﴾ ﴿١٨﴾ أول النهار ﴿وَالطَّيْرَ مُحْشُورَةً﴾ مجموعة ﴿كُلُّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ ﴿١٩﴾ مطيع ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكُهُ﴾ قوينا ملكه بالهيبة والتمكين والنصر ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ النبوة ﴿وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ ﴿٢٠﴾ البيان الشافي والفصل في الكلام والحكم ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأٌ﴾ خبر ﴿الْخَصْمِ﴾ المتخاصمين ﴿إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ ﴿٢١﴾ مكان عبادته

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأٌ الْخَصْمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ جعله الله تعالى خليفة يحكم بين الناس، والموظف لا يشتغل بما يشغله عن وظيفته، فإذا كان الله عَزَّوَجَلَّ قد كلفه أن يقوم بهذه المهمة، فلا ينبغي أن يختص الوقت لنفسه، ولهذا لما جاؤوا، ووجدوا المحراب مغلقاً تسوَّروه؛ لأنهم أصحاب حاجة، كما أن داود عليه الصلاة والسلام حكم قبل أن يدي الخضم بحجته التي يدافع بها عن نفسه، فبمجرد ما قال المدعي: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً﴾ إلى آخره، قال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾، وهذا يدل على أنه لا يحكم لأحد إلا بسماع حجة صاحبه. ابن عثيمين في الشرح الممتع.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ﴾ فارتاع ﴿مِنْهُمْ﴾ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى

بَعْضٌ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَشْطِطْ ﴿٢٢﴾ لَا تَجْر فِي حُكْمِكَ، وَلَا تَظْلِم ﴿٢٣﴾ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٤﴾ وَسَطُ الطَّرِيقِ الصَّوَابُ ﴿٢٥﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا ﴿٢٦﴾ أَعْطَيْنَاهَا وَانْزِلْ لِي عَنْهَا ﴿٢٧﴾ وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٨﴾ غَلَبَنِي فِي الْكَلَامِ، وَاشْتَدَّ عَلَيَّ فِيهِ ﴿٢٩﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجَّتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخَالِطَاءِ ﴿٣٠﴾ الشُّرَكَاءَ ﴿٣١﴾ لِيَبْغِيَ ﴿٣٢﴾ لِيَعْتَدِي ﴿٣٣﴾ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ ﴿٣٤﴾ أَيْقَنَ ﴿٣٥﴾ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ ﴿٣٦﴾ ابْتَلَيْنَاهُ، وَامْتَحَنَاهُ ﴿٣٧﴾ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ، وَخَرَّ رَاكِعًا ﴿٣٨﴾ سَجَدَ لِلَّهِ تَعَالَى ﴿٣٩﴾ وَأَنَابَ ﴿٤٠﴾ رَجَعَ ﴿٤١﴾ وَتَابَ

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخَالِطَاءِ﴾ فيها دليل على جواز أصل الشراكات، وحرمة ظلم الشركاء.

* اختلف أهل العلم في سجود سجدة سورة (ص) في الصلاة، فقال الحنفية والمالكية: تسجد.

وقال الشافعية والحنابلة: لا تسجد؛ لأنها سجدة شكر - تسجد عند التلاوة دون الصلاة -، وهي ليست من عزائم السجود.

﴿فَغَفَرْنَا لَهُ، ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ لقربة ومكانة ﴿وَحُسْنَ مَّثَابٍ﴾ ﴿٢٥﴾ مرجع ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ ﴿٢٦﴾

﴿ ٤٥٤ ﴾

الحكمة من الخلق وإنزال القرآن

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ عبثاً وهواً ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ﴾ هلاك ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ ﴿٢٧﴾

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ إنما خلق الله السماوات والأرض بالحق وللحق، فخلقهما ليعلم العباد كمال علمه وقدرته وسعة سلطانه، وأنه

تعالى وحده المعبود، دون من لم يخلق مثقال ذرة من السماوات والأرض، وأن البعث حق، وسيفصل الله بين أهل الخير والشر. السعدي

﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ (٢٨) كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِّيَذَّبُوا ءَايَتِهِ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾

﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِّيَذَّبُوا ءَايَتِهِ ﴾ أي: هذه الحكمة من إنزاله، ليتدبر الناس آياته، فيستخرجوا علمها، ويتأملوا أسرارها وحكمها؛ فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة، تدرك بركته وخيره، وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود. السعدي

إنابة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى رَبِّهِ

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٣٠) كثير الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة والطاعة ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ ﴾ عصرًا ﴿ الصَّفَفَتُ ﴾ الخيول الواقفة على ثلاث قوائم، وترفع الرابعة لنجابتها وخفتها ﴿ الْحِيَادُ ﴾ (٣١) الخيول الأصيلة السريعة ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ (٣٢) غابت الشمس، أو غابت الخيل عن عينه ﴿ رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ ﴾ فشرع ﴿ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ (٣٣) يمسح سيقانها وأعناقها، أو يقطعها بالسيف تقريبًا إلى الله

﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ أمر بضرب عراقيها وأعناقها، ولم يكن ذلك معاقبة للأفراس؛ إذ ذبح البهائم جائز إذا كانت مأكولة، بل عاقب نفسه حتى لا تشغله الخيل بعد ذلك عن الصلاة. ولعله عرقبها؛ ليذبحها، فحبسها بالعرقبة عن النفار، ثم ذبحها في الحال؛ ليتصدق بلحمها، أو لأن ذلك كان مباحا في شرعه، فأتلفها لما شغلته عن ذكر الله، حتى يقطع عن نفسه ما يشغله عن الله، فأثنى الله عليه بهذا، وبين أنه أثابه بأن سخر له الريح، فكان يقطع

عليها من المسافة في يوم ما يقطع مثله على الخيل في شهرين غدوا ورواحا.
ينظر: تفسير القرطبي

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ **ابتلينا** ﴿سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ ﴿٣٤﴾ **رجع**
إلى الله بالتوبة

﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾ أي: شيطاناً قضى الله وقدر أن يجلس على كرسي ملكه، ويتصرف في الملك في مدة فتنة سليمان، ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ سليمان إلى الله تعالى وتاب. السعدي

* **وقيل:** قال سليمان يوماً: لأطوفن الليلة على نسائي كلهن، فتأتي كل واحدة بابن يجاهد في سبيل الله، ولم يستثن، فجامعهن، فما خرج له منهن إلا شق مولود، فجاءت به القابلة، فألقته على كرسيه، فذلك قوله تعالى: وألقينا على كرسيه جسداً. البغوي

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ﴿٣٥﴾
فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيمَ تَجْرَىٰ بِأَمْرِهِ رُخَاءً ﴿لينة طيبة﴾ ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَتَاءٍ وَغَوَاصٍ ﴿٣٧﴾ وَعَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ ﴿موثقين﴾ ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾ ﴿٣٨﴾ **الأغلال**
﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ﴾ **فأعط من شئت**
﴿أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿٣٩﴾

* **قال الحسن:** ما أنعم الله على أحد نعمة إلا عليه تبعة إلا سليمان، فإن الله تعالى قال: هذا عطاؤنا الآية، إن أعطي أجر، وإن لم يعط لم يكن عليه تبعة
التفسير الوسيط للواحدي

وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ ﴿لقربة وكرامة﴾ ﴿وَحُسْنَ مَّكَابٍ﴾ ﴿٤٠﴾ **وحسن مرجع في الآخرة**
إنابة أيوب عليه السلام إلى ربه

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ﴾ **مشقة وتعب**
﴿وَعَذَابٍ﴾ ﴿٤١﴾ **ألم في جسدي ومالي وأهلي** ﴿أَرْكُضُ بِرَجْلِكَ﴾ **اضرب برجلك**
الأرض لينبع لك الماء ﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ﴾ **ماء تغتسل به فيه شفاؤك** ﴿وَشَرَابٌ

﴿وَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ **زدناه مثلهم** ﴿رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾

﴿وَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ قال الحسن وقتادة: فأحياهم الله بأعيانهم، وزادهم مثلهم. الطبري

﴿وَحُذِّبِيكَ ضِعْفًا﴾ **حزمة شماريخ** ﴿فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ **لا تنتقض يمينك** **التي حلفتها بضرب زوجتك** ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ﴿٤٤﴾ **رجاء إلى طاعة الله**

﴿فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ وذلك أن أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ كان قد غضب على زوجته، ووجد عليها في أمر فعلته. قيل: إنها باعت ضفيرتها بخبز، فأطعمته إياه، فلامها على ذلك، وحلف إن شفاه الله ليضربنها مائة جلدة. وقيل: لغير ذلك من الأسباب. ابن كثير

* وقد استدل كثير من الفقهاء بهذه الآية الكريمة على مسائل في الأيمان وغيرها، وأخذوها بمقتضاها، ومنعت طائفة أخرى من الفقهاء من ذلك، وقالوا: لم يثبت أن الكفارة كانت مشروعة في شرع أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ فلذلك رخص له في ذلك، وقد أغنى الله هذه الأمة بالكفارة. ابن كثير

﴿فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ من تأمل الآية علم أن هذه الفتيا خاصة بالحكم؛ فإنها لو كانت عامة في حق كل أحد لم يخفف على نبي كريم موجب يمينه، ولم يكن في اقتصاصها علينا كبير عبرة؛ فإنما يقص ما خرج عن نظائره؛ ليعتبر به، أما ما كان مقتضى العبارة والقياس فلا يقص ... وكفارة الأيمان لم تكن مشروعة في تلك الشريعة، بل ليس في اليمين إلا البر أو الحنث كما هو في النذر نذر التبرر في شريعتنا، وكما قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كان أبو بكر لا يحنث في يمينه حتى أنزل الله كفارة اليمين، فعلم أنها لم تكن مشروعة في أول الإسلام ... وإذا كان

الضرر الواجب بالشرع في الحد يجب تفريقه إذا كان المضروب صحيحا ويضرب بعثكول النخل ونحوه إذا كان مريضا ميئوسا منه عند الجماعة، أو مريضا على الإطلاق عند بعضهم، كما جاءت بذلك السنة عن رسول الله ﷺ جاز أن يقام الواجب بالنذر مقام ذلك. وقد كانت امرأة أيوب امرأة ضعيفة وكريمة على ربها فخفف عنها الواجب بالنذر بجمع الضربات، كما يخفف عن المريض ونحوه. ألا ترى أن السنة قد جاءت فيمن نذر الصدقة بجميع ماله أنه يجزيه الثلث، أقام في النذر الثلث مقام الجميع، كما أقيم مقامه في الوصية وغيرها؛ لما في إخراج الجميع من الضرر، وجاءت السنة فيمن نذرت الحج ماشية أن تركب وتهدي، إقامة لترك بعض الواجب بالنذر مقام ترك بعض الواجب بالشرع من المناسك، وأفتى ابن عباس وغيره فيمن نذر ذبح ابنه بشاة، إقامة لذبح الشاة مقام ذبح الابن كما شرع ذلك للخليل - عليه السلام - وأفتى أيضا فيمن نذر أن يطوف على أربع بأن يطوف أسبوعين إقامة لأحد الأسبوعين مقام طواف اليمين، وهذا كثير فكانت قصة أيوب - والله أعلم - من هذا الباب.

وغير مستكثر في واجبات الشريعة أن يخفف الله الشيء عند المشقة بفعل ما يشبهه من بعض الوجوه كما في الإبدال وغيرها، لكن مثل هذا لا يحتاج إليه في شريعتنا؛ لأن رجلا لو حلف أن يضرب امرأته أمكنه أن يكفر يمينه من غير احتياج إلى تخفيف الضرب... إلخ ينظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية.

جمع من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وجزاء المتقين

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَاسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَى﴾ أصحاب القوة في الطاعة
 ﴿وَالْأَبْصَرَ﴾ (٤٥) البصيرة في الدين ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ﴾ خصصناهم
 ببخلة عظيمة ﴿ذَكَرَى الدَّارِ﴾ (٤٦) تذكر الآخرة في قلوبهم

﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ﴾ جعلنا ذكرى الدار الآخرة في قلوبهم، والعمل لها صفوة وقتهم، والإخلاص والمراقبة لله وصفهم الدائم، وجعلناهم ذكرى الدار يتذكر بأحوالهم المتذكر، ويعتبر بهم المعتبر، ويذكرون بأحسن

الرسول منذر

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (٦٥) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿ ٦٦ ﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿ ٦٧ ﴾ **القرآن خبر عظيم النفع** ﴿ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ (٦٨) مَا كَانَ لِي مِن عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ ﴿ **الملائكة** ﴾ إِذْ يَخْصِمُونَ ﴿ ٦٩ ﴾ **يتجادلون في شأن خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَام**

﴿ مَا كَانَ لِي مِن عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْصِمُونَ ﴾ **﴿ إن شككتكم في قولي، وامتريتم في خبري، فإني أخبركم بأخبار لا علم لي بها، ولا درستها في كتاب، فأخبرني بها على وجهها من غير زيادة ولا نقص أكبر شاهد لصدقي، وأدل دليل على حق ما جئتكم به، ولهذا قال: ﴿ مَا كَانَ لِي مِن عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ ﴾ أي: الملائكة. السعدي** **﴿ مَا كَانَ لِي مِن عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْصِمُونَ ﴾** أي: لولا الوحي من أين كنت أدري باختلاف الملائكة الأعلى؟ يعني: في شأن آدم وامتناع إبليس من السجود له، ومحاботه ربه في تفضيله عليه. ابن كثير

﴿ إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٧٠)

آدم عَلَيْهِ السَّلَام ، وإبليس

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ﴿ **خلقت جسده** ﴾ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿ ٧٢ ﴾ **سجود تحية وإكرام، لا سجود عبادة وتعظيم** ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿ ٧٤ ﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿ ٧٥ ﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿ ٧٦ ﴾

﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ **﴿ في زعمه أن عنصر النار أشرف من عنصر الطين، وذهب عنه أن النار إنما هي بمنزلة الخادم لعنصر الطين إن احتيج إليها استدعيت كما يستدعى الخادم، وإن استغني عنها طردت، وأيضا فالطين يستولي على النار فيطفئها، وأيضا فهي لا توجد إلا بما أصله من عنصر الأرض، وعلى كل حال فقد شرف آدم بشرف وكرم بكرامة لا يوازيها شيء**

من شرف العناصر؛ وذلك أن الله خلقه بيديه، ونفخ فيه من روحه، والجواهر في أنفسها متجانسة، وإنما تشرف بعارض من عوارضها. الشوكاني

﴿ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَحِيمٌ ﴾ (٧٧) ﴿ مَرْجُومٌ مَطْرُودٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي ﴾ ﴿ طَرْدِي وَإِبْعَادِي ﴾ ﴿ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (٧٨) ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي ﴾ ﴿ فَأَخْرَجْنِي ﴾ ﴿ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٧٩) ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ (٨٠) ﴿ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ (٨١) ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ ﴾ ﴿ فَبِسُلْطَانِكَ وَعَظَمَتِكَ ﴾ ﴿ لَا غُوبَنَّهُمْ ﴾ ﴿ لَا أَضِلُّنَّهُمْ ﴾ ﴿ أَجْمَعِينَ ﴾ (٨٢) ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴾ (٨٣) ﴿ الَّذِينَ أَخْلَصْتَهُمْ، وَاصْطَفَيْتَهُمْ لِعِبَادَتِكَ ﴾

﴿ ٤٥٧ ﴾

﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴾ (٨٤)

﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴾ قال مجاهد: أي: أنا الحق، أقول الحق. الشوكاني
﴿ لَا أَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٨٥) ﴿ قُلْ ﴾ ﴿ أَيُّهَا الرِّسُولُ ﴾ ﴿ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾ ﴿ جَزَاءً وَأَجْرَةً عَلَى الْهُدَايَةِ وَالِدَعْوَةِ ﴾ ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ (٨٦) ﴿ الْمُتَصَنِّعِينَ الْمُتَقَوْلِينَ عَلَى اللَّهِ ﴾

﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ في الموطأ عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب: أن عمر بن الخطاب خرج في ركب، فيهم عمرو بن العاص حتى وردوا حوضاً، فقال عمرو بن العاص: يا صاحب الحوض، هل ترد حوضك السباع؟ فقال عمر: يا صاحب الحوض، لا تجربنا؛ فإننا نرد على السباع، وترد علينا. القرطبي

﴿ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٨٧) ﴿ وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ ﴾ ﴿ خَبَرِ الْقُرْآنِ وَصَدَقَهُ ﴾ ﴿ بَعْدَ حَيْثُ ﴾ (٨٨)

سورة الزمر

سورة الزمر، سورة مكية، تركز على الدعوة إلى التوحيد، وبيان دلائله، ونبد الشرك، وتفنيد شبهه، وفيها بيان عاقبة كل من المؤمنين والكفار في الآخرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأمر بالتوحيد، والنهي عن الشرك

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾﴾ **موحداً له العبادة والطاعة**

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ﴿٢﴾ لما كان نازلاً من الحق، مشتملاً على الحق لهداية الخلق، على أشرف الخلق، عظمت فيه النعمة، وجلت، ووجب القيام بشكرها، وذلك بإخلاص الدين لله؛ فلهذا قال: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]. السعدي

﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ **الطاعة التامة السالمة من الشرك** ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ **منزلة** ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ ﴿٣﴾

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ هذا القياس من أفسد الأقيسة، وهو يتضمن التسوية بين الخالق والمخلوق، مع ثبوت الفرق العظيم، عقلاً ونقلاً وفطرة؛ فإن الملوك، إنما احتاجوا للوساطة بينهم وبين رعاياهم؛ لأنهم لا يعلمون أحوالهم، فيحتاج من يعلمهم بأحوالهم، وربما لا يكون في قلوبهم رحمة لصاحب الحاجة، فيحتاج من يعطفهم عليه ويسترحمهم لهم ويحتاجون إلى الشفعاء والوزراء، ويخافون منهم، فيقضون حوائج من توسطوا لهم، مراعاة لهم، ومداواة لخواطبرهم، وهم أيضاً فقراء، قد يمتنعون لما يخشون من الفقر. وأما الرب تعالى، فهو الذي أحاط علمه بظواهر الأمور وبواطنها، الذي لا يحتاج من يخبره بأحوال رعيته وعباده، وهو تعالى أرحم الراحمين، وأجود الأجودين، لا يحتاج إلى أحد من خلقه يجعله راحماً لعباده، بل هو أرحم بهم من أنفسهم ووالديهم. السعدي

﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى﴾ **لاختار** ﴿مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ﴿٤﴾

من مظاهر خلق الله الدالة على الوحدانية

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوَرُ ۖ يَدخل ۖ لَيْلٌ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوَرُ
النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى إِلَّا
هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٥﴾ ۝ ﴾

﴿ ٤٥٨ ﴾

﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً
أَزْوَاجًا ۖ ثمانية أنواع ذكورًا وإناثًا من الإبل والبقر والضأن والمعز ۖ يَخْلُقَكُمْ فِي
بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ ۖ طورًا من بعد طور ۖ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۖ
ظلمة البطن والرحم والمشيمة ۖ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنِي
تُصَرِّفُونَ ﴿٦﴾ ۝ ﴾ فكيف تعدلون عن عبادته

لا يرضى سبحانه الكفر

﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ ۖ لَا تَحْمِلُ نَفْسٌ آَثَمَةً ۖ وَزِرَ أُخْرَىٰ ۖ إثم نفس أخرى ۖ ثُمَّ إِلَىٰ
رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ ۝ ﴾

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ ۖ وَزِرَ أُخْرَىٰ ۖ ﴾ أي: لا تحمله بدل الأولى، لكن قد تحمل مثله إذا
كانت داعية إليه.

فرق بين المؤمن المطيع وغير المؤمن

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ۖ راجعًا إليه مستغيثًا به ۖ ثُمَّ إِذَا
خَوَّلَهُ ۖ أَعْطَاهُ وَمَنَحَهُ ۖ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ
أُنْدَادًا ۖ شركاء وأمثالًا ۖ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ
أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ ۝ ﴾ أمَّنْ هُوَ قَتَلْتُ ۖ مطيع خاضع لله ۖ ءَانَاءَ اللَّيْلِ ۖ ساعات
الليل ۖ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَرَجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۖ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ
وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُلَا الْأَلْبَبِ ﴿٩﴾ ۝ ﴾ قُلْ يَعْبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا انْقُؤُوا رَبِّكُمْ

لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ ﴿١٠﴾
يعطى وافياً ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ لا نهاية لما يعطون

﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يروى أنه: «يؤتى بأهل البلاء، فلا ينصب لهم ميزان، ولا ينشر لهم ديوان، ويصب عليهم الأجر صبا بغير حساب، قال الله تعالى: إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب، حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل». البغوي، والحديث عند الطبراني في المعجم الكبير.

﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ على كل راغب في ثواب الله، وطامع فيما عنده من الخير: أن يتوفر على الصبر، ويزم نفسه بزمامه، ويقيدها بقيده؛ فإن الجزع لا يرد قضاء قد نزل، ولا يجلب خيرا قد سلب، ولا يدفع مكروها قد وقع، وإذا تصور العاقل هذا حق تصوره، وتعقله حق تعقله، علم أن الصابر على ما نزل به قد فاز بهذا الأجر العظيم، وظفر بهذا الجزاء الخطير، وغير الصابر قد نزل به القضاء شاء أم أبى، ومع ذلك فاته من الأجر ما لا يقادر قدره ولا يبلغ مداه، فضم إلى مصيبته مصيبة أخرى، ولم يظفر بغير الجزع. الشوكاني

﴿ ٤٥٩ ﴾

الأمر بالتوحيد، والتخويف من الشرك

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾

﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ قال ابن عباس: ذلك أن الله جعل لكل إنسان منزلا في الجنة وأهلا، فمن عمل بطاعة الله كان ذلك المنزل والأهل له، ومن عمل بمعصية الله دخل النار، وكان ذلك المنزل والأهل

غيره ممن عمل بطاعة الله. وقيل: خسران النفس بدخول النار، وخسران الأهل بأن يفرق بينه وبين أهله، وذلك هو الخسران المبين. البغوي

﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ﴾ **قطع عذاب كالسحاب العظيم** ﴿وَمَنْ تَحْتَهُمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبادِ فَاتَّقُونِ﴾ (١٦) ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ **المعبودات من دون الله من الأوثان والشياطين** ﴿أَنْ يَعْبدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾ **رجعوا إلى الله بالتوبة والطاعة** ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ **في الدنيا بالذكر الحسن والتوفيق، وفي الآخرة بالجنة** ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ (١٧) ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (١٨) **أصحاب العقول**

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ هذا جنس يشمل كل قول، فهم يستمعون جنس القول؛ ليميزوا بين ما ينبغي إيثاره مما ينبغي اجتنابه؛ فلهذا من حزمهم وعقلهم أنهم يتبعون أحسنه، وأحسنه على الإطلاق كلام الله وكلام رسوله، كما قال في هذه السورة: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ الآية [الزمر: ٢٣]. السعدي

*** وقيل: يستمعون العقوبة الواجبة لهم والعفو، فيأخذون بالعفو. القرطبي**

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ﴾ **وجبت عليه** ﴿كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ (١٩) **لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف** ﴿**منازل رفيعة في الجنة** ﴿مَنْ فَوْقَهَا عُرْفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ (٢٠)

﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ﴾ عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم»، قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء، لا يبلغها غيرهم، قال: «بلى، والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين». البغوي والحديث في البخاري

﴿لَهُمْ غُرَفٌ﴾ أي: منازل عالية مزخرفة، من حسناتها وبهائها وصفاتها: أنه يرى

ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، ومن علوها وارتفاعها: أنها ترى كما يرى الكوكب الغابر في الأفق الشرقي أو الغربي، ولهذا قال: ﴿مِّنْ فَوْقَهَا عُرْفٌ﴾ أي: بعضها فوق بعض ﴿مَبْنِيَّةٌ﴾ بذهب وفضة، وملاطها المسك الأذفر. السعدي

مثل الحياة الدنيا

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنبُوعٌ﴾ **أدخله في عيون ومجار** ﴿فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ﴾ **يبس** ﴿فَتَرَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾ **متكسراً متفتتاً** ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٢١﴾

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي: فيما تقدم ذكره تذكير لأهل العقول الصحيحة، فإنهم الذين يتعقلون الأشياء على حقيقتها، فيتفكرون، ويعتبرون، ويعلمون بأن الحياة الدنيا حالها كحال هذا الزرع في سرعة التصرم وقرب التقضي، وذهاب بهجتها وزوال رونقها ونضارتها، فإذا أنتج لهم التفكير والاعتبار العلم بذلك لم يحصل منهم الاغترار بها، والميل إليها وإيثارها على دار النعيم الدائم والحياة المستمرة واللذة الخالصة، ولم يبق معهم شك في أن الله قادر على البعث والحشر. الشوكاني

﴿ ٤٦٠ ﴾

الأتقياء، وحالهم مع القرآن، وعقوبة العاصين

﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِٖٓ فَوَيْلٌ﴾ **فهلاك وحسرة** ﴿لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢٢﴾

﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ أي: كمن ليس كذلك، بدليل قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: لا تلين لكتابه، ولا تتذكر آياته، ولا تطمئن بذكره، بل هي معرضة عن ربها، ملتفتة إلى غيره، فهؤلاء لهم الويل الشديد، والشر الكبير. السعدي

* ترك ذكر الذي أقسى الله قلبه، وجواب الاستفهام، اجتزاء بمعرفة السامعين المراد من الكلام، إذ ذكر أحد الصنفين، وجعل مكان ذكر الصنف الآخر الخبر عنه بقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾. الطبري

﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِهًا﴾ يشبه بعضه بعضاً في الحسن والإحكام ﴿مَّثَانِيَ﴾ تشني، وتكرر فيه الأحكام والقصص والحجج ﴿نَقْشَعِرُهُمْ﴾ تضطرب، وترتعد ﴿مِنْهُ جُلُودٌ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ﴾ تسكن وتطمئن ﴿وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۖ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ (٢٣)

﴿نَقْشَعِرُهُمْ مِنْهُ جُلُودٌ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ قال ثابت البناني: قال فلان: إني لأعلم متى يستجاب لي. قالوا: ومن أين تعلم ذلك؟ قال: إذا اقشعر جلدي، ووجل قلبي، وفاضت عياني، فذلك حين يستجاب لي. القرطبي

* قال قتادة: هذا نعت أولياء الله، تقشعر جلودهم وتلين قلوبهم، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم، إنما هذا في أهل البدع، وهذا من الشيطان. ابن الجوزي

* قال عمر بن عبد العزيز: ذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون إذا قرئ عليهم القرآن، فقال: بيننا وبينهم أن يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطاً رجله، ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره، فإن رمى بنفسه فهو صادق. القرطبي

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ﴾ يلقى في النار مغلولاً، فيتلقاها بوجهه ﴿سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ (٢٤)

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ معنى الكلام: أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة خير، أم من ينعم في الجنان؟. الطبري قال د. محمد بن نصيف: هذه الحال البئسة التي يتصف بها هذا الرجل تجعل من المناسب حذف مقاله، لأنه على كل الأحوال خير من هذا المذكور.

﴿ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٢٥) ﴿ فَاذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخَزْزَىٰ ﴾ **الذل والهوان** ﴿ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٦)

أمثال القرآن

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾ **من أمثال القرون الخالية،**
وأمثال التوحيد والشرك ﴿ لَعَلَّهُمْ يَنْذَكُرُونَ ﴾ (٢٧) ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾
اضطراب ولبس ﴿ لَعَلَّهُمْ يَنْقُورُونَ ﴾ (٢٨) ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا ﴾ **عبدًا مملوكًا**
فيه شركاء متشاكسون ﴿ **متنازعون** ﴾ **وَرَجُلًا سَلَمًا** ﴿ **خالصًا** ﴾ **لِرَجُلٍ** ﴿ **لمالك**
واحد ﴾ **هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا** ﴿ لَلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٩)

﴿ **هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا** ﴾ **المشرك،** فيه شركاء متشاكسون، يدعو هذا، ثم يدعو
هذا، فتراه لا يستقر له قرار، ولا يطمئن قلبه في موضع، والموحد مخلص لربه،
قد خلصه الله من الشركة لغيره، فهو في أتم راحة وأكمل طمأنينة. السعدي
﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ** ﴾ (٣٠) ﴿ **ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصُمُونَ** ﴾ (٣١)

﴿ ٤٦١ ﴾

جزاء المكذب بالحق والمصدق به

﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ** ﴾ **بالحق** ﴿ **إِذْ جَاءَهُ** ﴾
أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى ﴿ **مأوى ومسكن** ﴾ **لِلْكَافِرِينَ** ﴾ (٣٢) ﴿ **وَالَّذِي جَاءَ**
بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ **أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ (٣٣)

﴿ **وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ** ﴾ **عن علي رضي الله عنه،** في قوله: ﴿ **وَالَّذِي جَاءَ**
بِالصِّدْقِ ﴾ قال: محمد ﷺ، ﴿ **وَصَدَّقَ بِهِ** ﴾، قال: أبو بكر رضي الله عنه. وقال
آخرون: الذي جاء بالصدق: رسول الله ﷺ، والصدق: القرآن، والمصدقون
به: المؤمنون. الطبري

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ؟ ﴿٣٦﴾ وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ؟ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ ذكر المفسرون أن مشركي مكة قالوا: يا محمد، ما تزال تذكر آلهتنا وتعييها، فاتق أن تصيبك بسوء، فنزلت هذه الآية. والمراد بعبده هاهنا: محمد، ﷺ. ابن الجوزي ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ عن قتادة قال: «بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى شعب بسُقَام؛ ليكسر العزى، فقال سادنها، وهو قيمها: يا خالد أنا أحذرُكها، إن لها شدة لا يقوم إليها شيء، فمشى إليها خالد بالفأس فهشم أنفها». الطبري

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾

عجز آلهة المشركين والوعيد عليهم

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيَّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ؟ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ﴿٣٨﴾ كَافِينِي ﴿٣٨﴾ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَتَقَوَّمُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِكُمْ ﴿٣٩﴾ حَالَتُمْ التَّيَّاسُ رَضِيْتُمُوهَا لِأَنْفُسِكُمْ ﴿٣٩﴾ إِنِّي عَمِلْتُ ﴿٣٩﴾ بِالتَّوْحِيدِ وَمَقْتَضِيَاتِهِ ﴿٣٩﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴿٤٠﴾ يَذَلُّهُ وَيَهِينُهُ ﴿٤٠﴾ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنْ أَهْتَكَدَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى ﴿٤١﴾ يَقْبِضُ ﴿٤١﴾ الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا

أَلَمَوْتَ وَرُسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾

﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا** ﴾ عن سعيد بن جبیر قال: يجمع بين أرواح
الأحياء، وأرواح الأموات، فيتعارف منها ما شاء الله أن يتعارف، فيمسك التي
قضى عليها الموت، ويرسل الأخرى إلى أجسادها. الطبري
* والأولى أن يقال: إن توفي الأنفس حال النوم بإزالة الإحساس وحصول
الآفة به في محل الحس، فيمسك التي قضى عليها الموت، ولا يردها إلى الجسد
الذي كانت فيه، ويرسل الأخرى بأن يعيد عليها إحساسها. الشوكاني

من مظاهر الشرك، والرد عليهم

﴿ **أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ كَانُوا** ﴾ من اتخذتم من الشفعاء
﴿ **لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ** ﴾ ﴿٤٣﴾

﴿ **أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ** ﴾
أي: قل لهم: أيشفعون لكم، ولو كانوا لا يملكون شيئاً من أسباب الشفاعة
ومقتضياتها، ولو كانوا لا يعقلون معنى الشفاعة، ولا يفهمونه؛ لأنهم أصنام
وأحجار؟ والاستفهام للتبكي والتقريع. الجزائري

﴿ **قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ ﴿٤٤﴾

﴿ **قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا** ﴾ نص في أن الشفاعة لله وحده، كما قال: ﴿ **مَنْ ذَا الَّذِي**
يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فلا شافع إلا من شفاعته ﴿ **وَلَا يَشْفَعُونَ**
إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. القرطبي

﴿ **وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ** ﴾ نفرت ﴿ **قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**
بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ من الأصنام والأنداد ﴿ **إِذَا هُمْ**
يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ ﴿ **خَالِقِ وَمَبْدَعِ** ﴾ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمِ

الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴿السِّرُّ وَالْعَلَانِيَةُ﴾ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ يظنون ويتوقعون

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ ﴾ لَمَّا ذكر تعالى أنه الحاكم بين عباده، وذكر مقالة المشركين وشناعتها، كأن النفوس تشوقت إلى ما يفعل الله بهم يوم القيامة، فأخبر أن لهم ﴿سُوءِ الْعَذَابِ﴾. السعدي

* لو كان لهم ما في الأرض جميعاً، من ذهبها وفضتها ولؤلؤها وحيواناتها وأشجارها وزروعها وجميع أوانيها وأثاثها ومثله معه، ثم بذلوه يوم القيامة ليفتدوا به من العذاب وينجوا منه، ما قبل منهم. السعدي
﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ قال مقاتل: ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا في الدنيا أنه نازل بهم في الآخرة. البغوي
* كان جمع من السلف إذا مر بهذه الآية بكى من خشية الله.

﴿ ٤٦٣ ﴾

﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ ﴾ أحاط بهم من كل جانب ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ﴿٤٨﴾

العاصي بين السراء والضراء

﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ ﴾ أعطيناه ومنحناه ﴿ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ ﴾ ابتلاء واختبار ﴿ وَلَٰكِن أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا لَهُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ بفائتين الله، ولا سابقيه ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ ﴾ يوسع ﴿ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ يضيق ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٥٢﴾

الدعوة إلى التوبة، والتحذير من التسويف

﴿ قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ﴾ تجاوز الحد في المعاصي ﴿ لَا تَنْظُرُوا ﴾ لا تيأسوا ﴿ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾

﴿ قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَنْظُرُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ قال ابن عمر: إنما أنزلت هذه الآيات في عياش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، ونفر من المسلمين، كانوا أسلموا، ثم فتنوا وعذبوا، فافتتنوا، كنا نقول: لا يقبل الله من هؤلاء صرفا ولا عدلا أبدا، قوم أسلموا ثم تركوا دينهم بعذاب عذبه، فنزلت هؤلاء الآيات، وكان عمر بن الخطاب كاتباً، قال: فكتبها بيده، ثم بعث بها إلى عياش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، وإلى أولئك نفر، فأسلموا وهاجروا... وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني تعالى ذكره بذلك جميع من أسرف على نفسه من أهل الإيثار والشرك؛ لأن الله عم بقوله ﴿ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ﴾ جميع الماسرفين، فلم يخص به مسرفاً دون مسرف. الطبري

* جاء في الصحيحين عن ابن عباس، أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، ثم أتوا محمداً صلى الله عليه وسلم، فقالوا: إن الذي تقول وتدعو لحسن، ولو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً﴾ [الفرقان: ٦٨] ونزل ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ [الزمر: ٥٣]

* قال ابن مسعود إن أعظم آية في كتاب الله ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ [البقرة: ٢٥٥] وإن أجمع آية في القرآن بخير وشر ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ [النحل: ٩٠] وإن أكثر آية في القرآن فرجاً في سورة الزمر ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ تفسير ابن كثير

﴿وَأَنِيبُوا﴾ ارجعوا إلى الله بالتوبة والطاعة ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾
 اخضعوا وانقادوا ﴿مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ ﴿٥٤﴾
 وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْنِيَكُمُ الْعَذَابُ
 بَغْتَةً ﴿فَجَاءَ﴾ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾ قال الحسن: التزموا طاعته واجتنبوا معاصيه.
 وقال السدي: الأحسن ما أمر الله به في كتابه. وقال ابن زيد: يعني المحكمات،
 وكلوا علم المتشابه إلى عالمه. وقيل: الناسخ دون المنسوخ، وقيل: العفو دون
 الانتقام بما يحق فيه الانتقام. الشوكاني

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾ بادروا قبل أن تقول نفس ﴿بِحَسْرَتِي﴾ يا ندامتي ﴿عَلَىٰ مَا
 فَرَّطْتُ﴾ ضيعت ﴿فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ طاعته وحقه ﴿وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ
 الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ ﴿٥٦﴾

﴿ ٤٦٤ ﴾

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ أرشدني إلى دينه ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُنْقِصِينَ﴾
 ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً ﴿رَجْعَةً﴾ ﴿فَأَكُونُ مِنَ
 الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكَءَايَتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَأَسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ
 الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾

﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكَءَايَتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا﴾ فيه إبطال مذهب الجبرية الذين يرون
 أنهم مجبورون على فعل المعاصي وغشيان الذنوب، كقول أحدهم، لو أن الله
 هداني لفعلت كذا، أو تركت كذا. الجزائري

عاقبة المكذبين، وعاقبة المؤمنين

﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ
 مَثْوًى﴾ مأوى ومسكن ﴿لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ﴿٦٠﴾

﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ

مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ في وصفهم بالمتكبرين إيحاء إلى أن عقابهم بتسويد وجوههم كان مناسباً لكبريائهم؛ لأن المتكبر إذا كان سيء الوجه انكسرت كبريأؤه؛ لأن الكبرياء تضعف بمقدار شعور صاحبها بمعرفة الناس نقائصه. ابن عاشور في التحرير والتنوير. «ت».

﴿وَيُنَجِّى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾ **بفوزهم وظفرهم بالمطلوب ﴿٦١﴾** لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾

جهل المشركين

﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ﴾ **مفاتيح** **الجزائن ﴿٦٣﴾ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ أَغْوَى اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ ﴿٦٦﴾ لِيُطْلَنَ ﴿٦٧﴾ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٨﴾ بَلِ اللَّهُ فَاْعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٩﴾ وَمَا قَدَرُوا ﴿٧٠﴾ مَا عَظَمُوا ﴿٧١﴾ اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٧٢﴾**

﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾ **عن أبي سلمة، أن أبا هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقبض الله الأرض، ويطوي السماوات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض».** البخاري

النفخ في الصور، والقضاء بين الناس

﴿وَنُفِخَ﴾ **النفخة الأولى التي يموت بها الخلق، وهي نفخة الصعق ﴿٧٣﴾** فِي الصُّورِ ﴿٧٤﴾ **القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل للصعق والبعث ﴿٧٥﴾ فَصَعَقَ ﴿٧٦﴾ فَاتَ ﴿٧٧﴾ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى ﴿٧٨﴾ أَى: النفخة الثانية نفخة البعث التي يحيا بها الخلق ﴿٧٩﴾ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٨٠﴾**

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى﴾ **عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «بين النفختين**

أربعون» قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً؟ قال: أبيت، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت، قال: أربعون شهراً؟ قال: أبيت. «ويبلى كل شيء من الإنسان، إلا عجب ذنبه، فيه يركب الخلق». البخاري

﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال: قال رجل من اليهود بسوق المدينة: والذي اصطفى موسى على البشر، فرفع رجل من الأنصار يده فلطمه، فقال: أتقول هذا، وفيما رسول الله ﷺ فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «قال الله: ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون فأكون أول من يرفع رأسه، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري: أرفع رأسه قبلي، أو كان ممن استثنى الله؟». الشوكاني.

﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ عند تجليه للخلائق لفصل القضاء ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ ونشرت الملائكة صحيفة كل فرد ﴿وَجَاءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ من يشهدون على الأمم ﴿وَقُضِيَ﴾ حكم ﴿يَلْبِسُهُم بِالْحَقِّ﴾ بالعدل التام ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿٧٩﴾

﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ علم من هذا، أن الأنوار الموجودة تذهب يوم القيامة وتضمحل، وهو كذلك؛ فإن الله أخبر أن الشمس تكور، والقمر يخسف، والنجوم تندثر، ويكون الناس في ظلمة، فتشرق عند ذلك الأرض بنور ربها عندما يتجلى وينزل للفصل بينهم، وذلك اليوم يجعل الله للخلق قوة، وينشئهم نشأة يَقُودُونَ على أن لا يحرقهم نوره، ويتمكنون -أيضاً- من رؤيته، وإلا فنوره تعالى عظيم، لو كشفه، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه. السعدي. (ت).

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٧٩﴾

مآل الكفار

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ جماعات ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ

أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا ﴿ الْمَلَائِكَةُ الْمُوَكَّلُونَ بِالنَّارِ ﴾ ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بِلى وَلَكِنْ حَقَّتْ ﴿ وَجِبَتْ ﴾ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿ ٧١ ﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئْسَ ﴿ فَقبح ﴾ مُنْوَى ﴿ مصير ومأوى ﴾ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿ ٧٢ ﴾

مَالِ الْمُؤْمِنِينَ

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ ﴾ طهرتم من دنس المعاصي ﴿ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿ ٧٣ ﴾

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ فدخلت الواو؛ لبيان أن الأبواب كانت مفتحة قبل مجيئهم، وحذفت من قصة أهل النار؛ لبيان أنها كانت مغلقة قبل مجيئهم، ووجه الحكمة في ذلك من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن أهل الجنة جاؤوها وقد فتحت أبوابها؛ ليستعجلوا السرور والفرح إذا رأوا الأبواب مفتحة، وأهل النار يأتونها، وأبوابها مغلقة؛ ليكون أشد لحرها، ذكره أبو إسحاق ابن شاقلا من أصحابنا.

والثاني: أن الوقوف على الباب المغلق نوع ذل، فصين أهل الجنة عنه، وجعل في حق أهل النار، ذكره لي بعض مشايخنا. ابن الجوزي

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ ﴾ أرض الجنة ﴿ نَتَّبِعُ ﴾ ﴿ نَزَلَ ﴾ ﴿ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿ ٧٤ ﴾

﴿ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ فنعمة أجر العاملين الجنة، وهذا من تمام قول أهل الجنة. وقيل: هو من قول الله، سبحانه. الشوكاني

﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ ﴾ محدقين ومحيطين ﴿ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ

رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ ﴿ حَكَمَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ بِالْعَدْلِ ﴾ وَقِيلَ ﴿ وَالْقَائِلَ جَمِيعَ الْخَلَائِقِ ﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

سورة غافر

سورة غافر، سورة مكية، تركز على قضية حوار المجادلين في آيات الله، ودعوتهم للرجوع إلى الحق والتوحيد، وفيها بيان مآل الناس في الآخرة، وبيان أن النصر والعاقبة للمؤمنين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجدال في آيات الله

﴿ حَمَّ ١ ﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلُ التَّوْبِ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ﴿ صَاحِبُ الْإِنْعَامِ وَالتَّفَضُّلِ ﴾ ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ٣ ﴾ ﴿ الْمَرْجِعُ ﴾ ﴿ مَا يُجَدِّدُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ ﴾ ﴿ لَا يَخْدَعُكَ ﴾ ﴿ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ٤ ﴾ ﴿ تَنْقَلِبُهُمْ وَتَرُدُّهُمْ بِأَنْوَاعِ التَّجَارَاتِ وَالنَّعِيمِ ﴾ ﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ ﴿ الْأُمَمُ الْمُتَحَزِبَةُ عَلَى رُسُلِهِمْ مَعْلِنِينَ الْحَرْبَ عَلَيْهِمْ ﴾ ﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرُسُلِهِمْ لِيَأْخُذُوهُمْ ﴾ ﴿ لِيَقْتُلُوهُمْ ﴾ ﴿ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا ﴾ ﴿ لِيَبْطُلُوا ﴾ ﴿ بِهِ الْحَقُّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ٥ ﴾ ﴿ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ ﴾ ﴿ وَجِبَتْ ﴾ ﴿ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ٦ ﴾

حملة العرش يحمدون الله، ويدعون للمؤمنين

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِءِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ﴾ ﴿ طَرِيقَكَ وَهُوَ الْإِسْلَامُ ﴾ ﴿ وَفَهُمْ عَذَابُ الْحَجِيمِ ٧ ﴾

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِءِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ قال إبراهيم النخعي: كان أصحاب عبد الله يقولون: الملائكة خير من ابن الكواء هم يستغفرون لمن في الأرض، وابن الكواء يشهد عليهم بالكفر.

القرطبي.

قلت: وابن الكواء رجل من الخوارج.

* جاء عن سليم بن عيسى: ما أكرم المؤمن على الله نائماً على فراشه، والملائكة يستغفرون له. القرطبي

﴿ ٤٦٧ ﴾

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ﴿٩﴾ أَصْرَفَ عَنْهُمْ سَوْءَ عَاقِبَةٍ سَيِّئَاتِهِمْ ﴿١٠﴾ وَمَنْ تَبَعَ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١﴾﴾

ندامة الكفار في النار، والدعوة للتوحيد

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ﴾ يدعوهم خزنة جهنم ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ﴾ بغض الله لكم في الدنيا - حين طلب منكم الإيمان به واتباع رسله، فأبَيْتُمْ - ﴿أَكْبَرُ مِنْ مَّقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أكبر من بغضكم لأنفسكم الآن، بعد أن أدركتم أنكم تستحقون سخط الله وعذابه ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ ﴿١٠﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ﴾ يقول تعالى مخبراً عن الكفار: إنهم ينادون يوم القيامة، وهم في غمرات النيران يتلظون، وذلك عندما باشروا من عذاب الله ما لا قبل لأحد به، فمقتوا عند ذلك أنفسهم، وأبغضوها غاية البغض، بسبب ما أسلفوا من الأعمال السيئة، التي كانت سبب دخولهم إلى النار، فأخبرتهم الملائكة عند ذلك إخباراً عالياً، نادوهم به نداء بأن مقت الله لهم في الدنيا حين كان يعرض عليهم الإيمان فيكفرون، أشد من مقتكم - أيها المعذبون - أنفسكم اليوم في هذه الحالة. ابن كثير

﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَيْنِ﴾ مرة حين كنا عدما ومرة حين انقضى أجلنا ﴿وَأُحْيَيْنَا أَثْنَيْنِ﴾ مرة في الدنيا، ومرة في الآخرة ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ

إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ طريق نخرج به من النار

﴿أَمَتْنَا اثْنَيْنِ﴾ عن قتادة في قوله: ﴿أَمَتْنَا اثْنَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ قال: كانوا أمواتا في أصلاب آبائهم، فأحياهم الله في الدنيا، ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة، فهما حياتان وموتتان. الطبري

﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ المقصود من هذا كله: أن الكفار يسألون الرجعة، وهم وقوف بين يدي الله، عَزَّوَجَلَّ، في عرصات القيامة، كما قال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]، فلا يجابون. ثم إذا رأوا النار وعابنوها ووقفوا عليها، ونظروا إلى ما فيها من العذاب والنكال، سألوا الرجعة أشد مما سألوا أول مرة، فلا يجابون، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يَخْشَوْنَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧، ٢٨]، فإذا دخلوا النار وذاقوا مسها وحسيسها ومقامعها وأغلاها، كان سؤالهم للرجعة أشد وأعظم، ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧]، ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ ﴿١٠٧﴾ قَالَ أَحْسِنُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٧، ١٠٨]، وفي هذه الآية الكريمة تلتطفوا في السؤال، وقدموا بين يدي كلامهم مقدمة، وهي قولهم: ﴿رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ أي: قدرتك عظيمة؛ فإنك أحييتنا بعد ما كنا أمواتا، ثم أمتنا ثم أحييتنا، فأنت قادر على ما تشاء، وقد اعترفنا بذنوبنا، وإننا كنا ظالمين لأنفسنا في الدار الدنيا. ابن كثير

﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّن السَّمَاءِ رِزْقًا ﴿١٣﴾ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ ﴿١٣﴾ يرجع إلى طاعة الله ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾

ارتفعت درجاته ارتفاعاً باين به مخلوقاته، وارتفع به قدره ﴿ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ﴾ ينزل الوحي ﴿مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ ﴿١٥﴾ اليوم الذي يلتقى فيه الأولون والآخرون ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ﴾ ظاهرهم أمام ربهم ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ ﴿١٦﴾

﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ جاء في حديث ابن عمر: أنه تعالى يطوي السماوات والأرض بيده، ثم يقول: «أنا الملك، أنا الجبار، أنا المتكبر، أين ملوك الأرض؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟». ابن كثير

﴿ ٤٦٨ ﴾

﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿١٧﴾

الإنذار من يوم القيامة

﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ﴾ يوم القيامة القريب ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ عند حلوقهم من شدة الكرب ﴿كَظْمِينٍ﴾ ممتلئين غمًا وحزنًا ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ قريب وصاحب ﴿وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ﴾ ﴿١٨﴾ يشفع لهم وتقبل شفاعته ويطاع فيها

﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ﴾ قال ابن قتيبة: وسميت القيامة بذلك؛ لقربها، يقال: أرف شخص فلان، أي: قرب. ابن الجوزي

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ ما تختلسه العيون من النظر إلى ما لا يحل ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ ﴿١٩﴾

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ قال ابن عباس: هو الرجل يكون جالسًا مع القوم، فتمر المرأة، فيسارقهم النظر إليها. وعنه: هو الرجل ينظر إلى المرأة، فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره، فإذا رأى منهم غفلة تدسس بالنظر. القرطبي

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ يحكم بالعدل ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ

بِشْيءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشْيءٍ﴾ يقول: والأوثان والآلهة التي يعبدونها هؤلاء المشركون بالله من قومك من دونه لا يقضون بشيء؛ لأنها لا تعلم شيئاً، ولا تقدر على شيء. الطبري

عاقبة المكذبين لرسالهم

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾﴾ يقيهم العذاب ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾

قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ودعوته لفرعون

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾﴾ حجة بينة على صدقه

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى﴾ تسليمة الرسول، وحمله على الصبر والتحمل، وهو في أشد الظروف صعوبة. الجزائري

﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمَنَّ وَفَرَّوْنَ فَقَالُوا سَحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ اتركوهن أحياء ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾﴾ خسران وضياع

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ قال قتادة: هذا غير القتل الأول؛ لأن فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان، فلما بعث موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أعاد القتل عليهم، فمعناه: أعيدوا عليهم القتل، واستحيوا نساءهم؛ ليصدوهم بذلك عن متابعة موسى ومظاهرتة. البغوي

* أما الأمر الثاني: فللعلة الثانية، لإهانة هذا الشعب، ولكي يتشاءموا بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ ولهذا قالوا: ﴿قَالُوا أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ

كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿[الأعراف: ١٢٩]﴾ ابن كثير

﴿٤٦٩﴾

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ **فليمنعه منا** ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ ﴿٤٦٩﴾

﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ **زعم** -قبحه الله- أنه لولا مراعاة خواطر قومه لقتله، وأنه لا يمنعه من دعاء ربه، ثم ذكر الحامل له على إرادة قتله، وأنه نصح لقومه، وإزالة للشر في الأرض. السعدي

﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ ﴿٤٧٠﴾

مؤمن آل فرعون يحاور قومه، ويدعوهم

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَنَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ **متجاوز للحد بترك الحق واتباع الباطل** ﴿كَذَّابٌ﴾ ﴿٤٧١﴾

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَنَهُ﴾ **المشهور أن هذا الرجل المؤمن كان قبطيا من آل فرعون.**

قال السدي: كان ابن عم فرعون، ويقال: إنه الذي نجا مع موسى. واختاره ابن جرير، ورد قول من ذهب إلى أنه كان إسرائيليا؛ لأن فرعون انفعل لكلامه واستمعه، وكف عن قتل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولو كان إسرائيليا لأوشك أن يعاجل بالعقوبة؛ لأنه منهم. ابن كثير

﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ **عن عروة بن الزبير، قال: سألت عبد الله بن عمرو، عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:**

رأيت عقبة بن أبي معيط، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، " فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقا شديدا، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه،

فقال: {أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم}

[غافر: ٢٨] البخاري

﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ قال الزجاج: هذا باب من النظر يذهب فيه المناظر إلى إلزام الحجة بأيسر ما في الأمر، وليس في هذا نفي إصابة الكل، ومثله قول الشاعر:

قد يدرك المتأنى بعض حاجته

وقد يكون من المستعجل الزلل

وإنما ذكر البعض؛ ليوجب الكل، لأن البعض من الكل، ولكن القائل إذا قال: أقل ما يكون للمتأنى إدراك بعض الحاجة، وأقل ما يكون للمستعجل الزلل، فقد أبان فضل المتأنى على المستعجل، بما لا يقدر الخصم أن يدفعه، فكأن المؤمن قال لهم: أقل ما يكون في صدقه أن يصيبكم بعض الذي يعدكم، وفي بعض ذلك هلاككم. ابن الجوزي

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ هذا من تمام كلام الرجل المؤمن، وهو احتجاج آخر ذو وجهين: أحدهما أنه لو كان مسرفاً كذاباً لما هداه الله إلى البينات، ولا أيده بالمعجزات، وثانيهما: أنه إذا كان كذلك خذله الله وأهلكه، فلا حاجة لكم إلى قتله. الشوكاني

﴿يَقُومُ لَكُمْ الْمَلَكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ﴾ **غالبين عالين** ﴿فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ﴾ **عذاب الله** ﴿إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ﴾ **أدعوكم** ﴿إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ ﴿٢٩﴾ **طريق الحق والصواب** ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَقُومُ إِلَيَّ أَخَافُ﴾ **إن لم تؤمنوا** ﴿عَلَيْكُمْ مِثْلَ تَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ ﴿٣٠﴾ **مثل عذاب الأمم المتحيزة على أنبيائها المعادية لها** ﴿مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ﴾ **عادتهم في الكفر والتكذيب** ﴿وَعَادِ وَثُمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ ﴿٣١﴾ **وَيَقُومُ إِلَيَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ تَوْمَ النَّارِ** ﴿٣٢﴾ **يوم القيامة الذي ينادي الناس فيه بعضهم بعضاً** ﴿يَوْمَ تُولُونِ مُدْبِرِينَ﴾ **هاريين** ﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ **مانع يمنعكم** ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ﴿٣٣﴾

﴿يَوْمَ النَّادِ﴾ يوم ينادي الناس بعضهم بعضاً، إما من هول ما قد عاينوا من عظيم سلطان الله، وفظاعة ما غشيهم من كرب ذلك اليوم، وإما لتذكير بعضهم بعضاً بإنجاز إلههم الوعد الذي وعدهم في الدنيا، واستغاثة من بعضهم ببعض، مما لقي من عظيم البلاء فيه تفسير الطبري

﴿ ٤٧٠ ﴾

تذكير أهل مصر بموقف أجدادهم من يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ﴾ **ريبة** ﴿مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ﴾ **مات وفرحتم بموته** ﴿فُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ **متجاوز للحد في الضلال** ﴿مُرْتَابٌ﴾ ﴿٣٤﴾ **شاك في الله**

حجة فرعون الداحضة

﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ **حجة** ﴿أَتَنَّهُمْ كَبْرٌ﴾ **جدالهم** ﴿مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ﴾ **يختم** ﴿اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ﴾ ﴿٣٥﴾

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ التكبر مانع من الهدية إلى الحق. المختصر في التفسير

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَحًا﴾ **بناء عظيمًا** ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ ﴿٣٦﴾ **أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ** ﴿أَبْوَابَ السَّمَاوَاتِ وَمَا يوصلني إليها﴾ ﴿فَأُطْلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ **طريق الحق** ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ﴾ **تدبيره واحتياله** ﴿إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ ﴿٣٧﴾ **خسار وبوار**

مواصلة حوار مؤمن آل فرعون

﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ ﴿٣٨﴾ **يَقَوْمِ**

إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعُ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ **بلا نهاية ولا تبعه**

﴿ ٤٧١ ﴾

﴿ وَيَقَوْمٌ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ ﴿ حَقًّا ﴾ إِنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴿ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ ﴿ لَا يَسْتَحِقُّ الدَّعْوَةَ، إِلَيْهِ وَلَا يَلْجَأُ إِلَيْهِ لِعَجْزِهِ ﴾ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا ﴿ مَرْجَعُنَا وَمَصِيرُنَا ﴾ إِلَى اللَّهِ وَأَنْتَ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ وَأَفَؤُضُ أَمْرِي ﴿ أَعْتَصِمُ وَأَلْجَأُ وَاتَّوَكَّلُ ﴾ إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾

مصير آل فرعون، وحديث أهل النار

﴿ فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكْرُوءًا ﴾ عقوبات مكرهم من إرادة إهلاكه ﴿ وَحَاقَ ﴾ نزل وأحاط ﴿ بِئَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾

﴿ فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكْرُوءًا ﴾ أي: وقى الله القوي الرحيم، ذلك الرجل المؤمن الموفق، عقوبات ما مكر فرعون وآله له، من إرادة إهلاكه وإتلافه، لأنه بادأهم بما يكرهون، وأظهر لهم الموافقة التامة لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ودعاهم إلى ما دعاهم إليه موسى، وهذا أمر لا يحتملونه، وهم الذين لهم القدرة إذ ذاك، وقد أغضبهم واشتد حنقهم عليه، فأرادوا به كيدا، فحفظه الله من كيدهم ومكرهم، وانقلب كيدهم ومكرهم على أنفسهم. السعدي

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ أول النهار وآخره ﴿ وَتَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ ﴿ يَتَخَاصِمُونَ ﴾ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ

تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْنُونَ ﴿٤٧﴾ دافعون ﴿٤٨﴾ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ۖ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾ لما علموا أن الله، سبحانه، لا يستجيب منهم، ولا يستمع لدعائهم، بل قد قال: ﴿قَالَ اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] سألوا الخزنة - وهم كالبوابين لأهل النار - أن يدعوا لهم الله أن يخفف عن الكافرين ولو يوما واحدا من العذاب، فقالت لهم الخزنة رادين عليهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: أو ما قامت عليكم الحجج في الدنيا على السنة الرسل؟ ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا﴾ أي: أنتم لأنفسكم، فنحن لا ندعو لكم، ولا نسمع منكم، ولا نود خلاصكم، ونحن منكم برآء، ثم نخبركم أنه سواء دعوتهم أو لم تدعوا لا يستجاب لكم ولا يخفف عنكم؛ ولهذا قالوا: ﴿وَمَا دَعَوْا إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ أي: إلا من ذهاب، لا يتقبل، ولا يستجاب. ابن كثير

﴿ ٤٧٢ ﴾

﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتٍ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَوْا إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ ﴿٥٠﴾ ضياع فلا يقبل ولا يستجاب

النصر للمؤمنين

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ ﴿٥١﴾ من يشهد على المكذبين من الملائكة والأنبياء والمؤمنين

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فيه وجهان، كلاهما صحيح معناه.

أحدهما أن يكون معناه: إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا: إما بإعلانناهم على من كذبنا، وإظهارنا بهم، حتى يقهروهم غلبة، ويذلّوهم

بالظفر ذلة، كالذي فعل من ذلك بداود وسليمان، فأعطاهما من الملك والسلطان ما قهرا به كل كافر، وكالذي فعل بمحمد ﷺ بإظهاره على من كذبه من قومه. وإما بانتقامنا ممن حادهم، وشاقهم بإهلاكهم وإنجاء الرسل ممن كذبهم وعاداهم، كالذي فعل تعالى ذكره بنوح وقومه، من تغريق قومه وإنجائه منهم، وكالذي فعل بموسى وفرعون وقومه، إذ أهلكهم غرقاً.... أو بانتقامنا في الحياة الدنيا من مكذبيهم بعد وفاة رسولنا ... كفعلنا بقتلة يحيى، من تسليطنا بختنصر عليهم...

والوجه الآخر: أن يكون هذا الكلام على وجه الخبر عن الجميع من الرسل والمؤمنين، والمراد واحد، فيكون تأويل الكلام حينئذ: إنا لننصر رسولنا محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والذين آمنوا به في الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد .
الطبري

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ﴾ عذرهم ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ الطرد والإبعاد
من رحمة الله ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ ٥٢ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ﴾ ٥٣ ﴿التَّوْرَةَ﴾ هُدًى وَذِكْرًى لِأُولِي الْأَلْبَابِ
٥٤ ﴿لَأَصْحَابِ الْعُقُولِ السَّالِمَةِ﴾ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ
لِذُنُوبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴿نزه ربك واحمده﴾ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ
٥٥ ﴿فِي آخِرِ النَّهَارِ وَأَوَّلِهِ﴾

من أسباب تمسك المشركين بشركهم

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ حجة بينة ﴿أَتَهُمْ﴾
﴿إِنْ فِي﴾ ما في ﴿صُدُّورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ ليسوا بواصلين
للعلو عليك ولا للفضل الذي خصك الله به ﴿فَاسْتَعِذْ﴾ فاعتصم ﴿بِاللَّهِ﴾
إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ٥٦

﴿إِنْ فِي صُدُّورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ أي: ما في صدورهم إلا كبر يتكبرون من أجله عن اتباعك، وقبول الحق الذي أتيتهم به حسداً منهم على الفضل الذي آتاك

الله، والكرامة التي أكرمك بها من النبوة ﴿مَا هُمْ بِبَلِغِيهِ﴾ يقول: الذي حسدوك عليه أمر ليسوا بُمدركيه ولا نائليه؛ لأن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وليس بالأمر الذي يدرك بالأمانى؛ وقد قيل: إن معناه: إن في صدورهم إلا عظمة، ما هم ببالغي تلك العظمة؛ لأن الله مذلهم. الطبري

﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ **فالبعث هين على الله**
 ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٧﴾

﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ هذا رد على منكري البعث والجزاء الآخر، فلما قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون. الجزائري

﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ قال أبو العالية: المعنى لخلق السماوات والأرض أعظم من خلق الدجال حين عظمت اليهود. الشوكاني

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٥٨﴾

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ﴾ كما لا يستوي الأعمى والبصير، كذلك لا يستوي من آمن بالله وعمل الصالحات، ومن كان مستكبرا على عبادة ربه، مقدما على معاصيه، ساعيا في مساخطه. ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: تذكركم قليل، وإلا فلو تذكرتم مراتب الأمور، ومنازل الخير والشر، والفرق بين الأبرار والفجار، وكانت لكم همة عليه، لآثرتم النافع على الضار، والهدى على الضلال، والسعادة الدائمة، على الدنيا الفانية. السعدي

﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ **لا شك فيها** ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥٩﴾

دعاء الله الخالق المنان، وعبادته سبحانه، وتوحيده

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (٦٠) **صاغرين حقيرين**

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ فيها دخول الدعاء في مفهوم العبادة التي لا تصرف إلا إلى الله؛ لأن الدعاء هو عين العبادة. المختصر في التفسير

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا﴾ **لترتاحوا** ﴿فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ **مضيئاً** ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٦١) ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنَّا تُؤَفَّكُونَ﴾ (٦٢) **فكيف تصرفون عن الإيـمان به** ﴿كَذَٰلِكَ يُؤَفِّكُ﴾ **يصرف** ﴿الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَحْحَدُونَ﴾ (٦٣) ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾ **تكاثر خيره وفضله** ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٤) ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٥) ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ﴾ **أخضع وأنقاد بالطاعة** ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٦)

﴿ ٤٧٤ ﴾

مراحل خلق الله للإنسان، وتقديره عليه

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ **الدم الغليظ، وهو** **أحد أطوار الجنين** ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ **تكامل قوتكم** ﴿ثُمَّ لِيَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُنَوِّقُ مِنْ قَبْلُ وَلِيَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ **مدة مقدرة تنتهي بها أعماركم** ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٦٧)

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ﴾ أي: خلق أبانا آدم من تراب، وخلقنا نحن ذريته مما ذكر من نطفة، ثم علقه. الجزائري

﴿شُيُوحًا﴾ الشيخ من جاوز أربعين سنة. القرطبي

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: طوركم هذه الأطوار من نطفة إلى علقة إلى طفل إلى شاب إلى كهل إلى شيخ؛ رجاء أن تعقلوا دلائل قدرة الله وعلمه وحكمته فتؤمنوا به، وتعبده موحدين له، فتكملوا وتسعدوا. الجزائري

﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٦٨﴾

المشركون، ومصيرهم

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَجْعَلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنْ يُضَرَّفُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ **كيف يعدلون**
عنها مع صحتها ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ﴾ **بالقرآن** ﴿وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ **إِذْ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ فِي الْقِيُودِ فِي الْأَرْجُلِ** ﴿يُسْحَبُونَ﴾ ﴿٧١﴾ **فِي الْحَمِيمِ** **الماء الذي بلغ غاية الحرارة** ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ **يوقد عليهم** ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ ﴿٧٣﴾
مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا ﴿**غابوا عن عيوننا**﴾ ﴿بَلْ لَمْ تَكُنْ تَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٧٤﴾

﴿بَلْ لَمْ تَكُنْ تَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾ يحتمل أن مرادهم بذلك الإنكار، وظنوا أنه ينفعهم ويفيدهم، ويحتمل -وهو الأظهر- أن مرادهم بذلك، الإقرار على بطلان إلهية ما كانوا يعبدون، وأنه ليس لله شريك في الحقيقة، وإنما هم ضالون مخطئون، بعبادة معدوم الإلهية، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ [غافر: ٧٤]. السعدي

﴿ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ﴾ ﴿**تتوسعون في الفرح أشراً وبطراً**﴾ ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ **أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى** ﴿**مأوى ومسكن**﴾ ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ﴿٧٦﴾

الأمر بالصبر، والبشارة بالنصر

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْمَ تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ﴾ **من العذاب** ﴿ أَوْ تَتَوَقَّعَ ﴾ **قبل أن يحل ذلك بهم** ﴿ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ ﴿ ٧٧ ﴾

﴿ ٤٧٥ ﴾

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِثَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ ﴾ **حكم بالعدل بين الرسل ومكذبيهم** ﴿ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ ﴿ ٧٨ ﴾

من مظاهر نعم الله الموجبة للتوحيد، ومصير المكذبين

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لَتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ ﴿ ٧٩ ﴾

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ ﴾ يعرفهم تعالى بنفسه مقررًا ربوبيته الموجبة لألوهيته، فيقول: الله، أي: المعبود بحق هو الذي جعل لكم الأنعام. الجزائري

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ ﴾ **أمرًا ذا بال تهتمون به** ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَلَكِ تُحْمَلُونَ ﴾ ﴿ ٨٠ ﴾ **وِيرِيكُمْ ءَايَتِهِ فَآيَ ءَايَتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ** ﴿ ٨١ ﴾ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدُّ قُوَّةً وَءَاتَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا دَفَع عَنْهُمْ** ﴿ ٨٢ ﴾ **فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ العلم بالدنيا وبما عندهم من الأباطيل والشبه التي يظنونها علمًا** ﴿ وَحَاقَ ﴾ **نزل** ﴿ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ﴿ ٨٣ ﴾ **فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا عَذَابَنَا** ﴿ قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكْ ﴾ ﴿ ٨٤ ﴾ **يَكُن** ﴿ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَنَّتَ اللَّهُ ﴾ **طريقته في عدم قبول توبة من عاين العذاب** ﴿ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿ ٨٥ ﴾

﴿ ٤٧٦ ﴾

سورة فصلت

سورة فصلت، سورة مكية، تتحدث عن القرآن وهداياته وأخباره ودلائل صدقه، وموقف المشركين منه، وفيها بيان عاقبة المؤمنين والكافرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الوحي وموقف المشركين منه



﴿حَمَّ﴾ عن جابر بن عبد الله قال: قال الملاء من قريش وأبو جهل: قد التبس علينا أمر محمد، فلو التمستم رجلاً عالماً بالشعر والكهانة والسحر، فأناه فكلمه، ثم أتانا ببيان من أمره، فقال عتبة بن ربيعة: والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر، وعلمت من ذلك علماً، وما يخفى علي أن كان كذلك أو لا، فأناه، فلما خرج إليه قال: فقال: أنت يا محمد خير أم هاشم؟ أنت خير أم عبد المطلب؟ أنت خير أم عبد الله؟ فيم تشتم آهتنا وتضلل آباءنا؟ فإن كنت تريد الرياسة عقدنا لك ألويتنا، فكنت رأساً ما بقيت، وإن كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من أي بنات قريش، وإن كان بك المال جمعنا لك ما تستغني أنت وعقبك من بعدك؟

ورسول الله ﷺ ساكت لا يتكلم، فلما فرغ قرأ رسول الله ﷺ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كَتَبُ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ، ﴿٣﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ﴾ ﴿١٣﴾ الآية، فأمسك عتبة على فيه، وناشده بالرحم، ورجع إلى أهله.

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله، لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: وما وراءك، يا أبا الوليد؟ فقال: ورائي أني قد سمعت قولاً، والله ما سمعت بمثله قط، ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني خلوا ما بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ عظيم

فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، فأنتم أسعد الناس به، فقالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: والله ما سحرني، هذا رأيي لكم، فاصنعوا ما بدا لكم. البغوي

﴿تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كَذَّبُ فُضِّلَتْ ءَايَتُهُ﴾ **بينت آياته، ووضحت معانيه ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾**

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي: لأجل أن يتبين لهم معناه، كما تبين لفظه، ويتضح لهم الهدى من الضلال، والغي من الرشاد. السعدي

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ ﴿٥﴾ أَغْطِيَةٌ مَّانِعَةٌ مِّنْهُمْ مَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ﴿٦﴾ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ ﴿٧﴾ صَمٌّ وَثِقَلٌ ﴿٨﴾ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونُ ﴿٩﴾﴾

﴿فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونُ﴾ قال مقاتل: اعمل لإهلك الذي أرسلك، فإننا نعمل لآلهتنا التي نعبدها. الشوكاني

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَاَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ ﴿١٠﴾ فَاسْلُكُوا الطَّرِيقَ الْمَوْصِلَ إِلَيْهِ ﴿١١﴾ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ ﴿١٢﴾ هَلَاكٌ وَعَذَابٌ ﴿١٣﴾ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿١٦﴾ ﴿١٧﴾ غَيْرُ مَقْطُوعٍ وَلَا مَمْنُونٍ

خلق الكون في ستة أيام

﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ۥٓ أَنْدَادًا ﴿١٨﴾ شُرَكَاءَ وَنُظَرَاءَ ﴿١٩﴾ ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ خلق الأرض وصورتها متقدم على خلق السماوات كما هنا، ودحي الأرض بأن ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَهَا ﴿٢١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ [النازعات: ٣١-٣٢] متأخر عن خلق السماوات، كما في سورة النازعات، ولهذا

قال فيها: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَلَهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا﴾ [النازعات: ٣٠-٣١] إلى آخره، ولم يقل: والأرض بعد ذلك خلقها. السعدى

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوْسِي﴾ **جبالاً ثوابت** ﴿مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾
أرزاق أهلها ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ **يومان لخلق الأرض، ويومان لخلق الرواسي**
وتقدير الأقوات ﴿سَوَاءً﴾ **في تمام أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا**
نقصان ﴿لِلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَى﴾ **قصد** ﴿إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ
أَنْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿ ٤٧٧ ﴾

﴿فَقَضَّاهُنَّ﴾ **خلقهن وأبدعهن** ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ

أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ﴾ **بنجوم مضيئة** ﴿وَحِفْظًا﴾ **حرساً من**
الشياطين ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾

تخويف المشركين بمصير عاد وثمود إن كذبوا

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ﴾ **خوفتكم** ﴿صَعِقَةً﴾ **عذاباً هائلاً** ﴿مِثْلَ صَعِقَةِ

عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾

﴿مِثْلَ صَعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ **إنما خص القبيلتين؛ لأن قريشا يمرون على قرى**
القوم في أسفارهم. ابن الجوزي

﴿إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ

رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ **هذا استهزاء منهم** ﴿فَأَنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا

عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ

الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا

صَرْصَرًا﴾ **شديد البرودة عالية الصوت** ﴿فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ﴾ **مشؤومات على**
المعذنين ﴿لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ **الذل والهوان** ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ

الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿ فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ ﴾ ينظر كلام ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ ص ٥٢٩ .

﴿ وَأَمَّا تَمْوُدُ فَهَدَيْتَهُمْ ﴾ **بيناهم سبيل الحق** ﴿ فَاسْتَحَبُّوا ﴾ **اختاروا** ﴿ أَلْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ ﴾ **المهين** ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١٧) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴿ (١٨)

شهادة أعضاء المجرمين عليهم

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ (١٩) **يرد أولهم على آخرهم** ﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢٠)

﴿ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ ﴾ عن أنس بن مالك، قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك، فقال: «هل تدرون مم أضحك؟» قال قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «من مخاطبة العبد ربه، يقول، يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: إني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً، قال: فيختم على فيه، فيقال لأركانه: انطقي، قال: فتنتطق بأعماله، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام، قال: فيقول: بعدا لكن وسحقا، فعنكن كنت أناضل» رواه مسلم.

﴿ ٤٧٨ ﴾

﴿ وَقَالُوا لِمَ جُلِدُوهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢١) **ما كنتم تختفون عن شهادة أعضائكم عليكم، ولا تحاذرون من ذلك** ﴿ أَنْ يَشْهَدَ ﴾ **خوفاً من أن يشهد** ﴿ عَلَيْهِمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢٢)

﴿ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث ابن مسعود قال: كنت مستترا بأستار الكعبة، فجاء ثلاثة نفر: قرشي، وختناه ثقفيان، أو ثقفني، وختناه قرشيان، كثير شحم

بطونهم، قليل فقه قلوبهم، فتكلموا بكلام لم أسمعه، فقال أحدهم: أترون الله يسمع كلامنا هذا؟ فقال الآخرون: إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعه، وإن لم نرفع لم يسمع، وقال الآخر: إن سمع منه شيئاً سمعه كله، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿مِنَ الْخَسِرِينَ﴾. ابن الجوزي

﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنْنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ بِهِ أَنْ يَهْتَكِرَ تَرَجُّبُكُمْ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿فَإِنْ يَصْبرُوا فَالْنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْجِبُوا﴾ ﴿يطلبوا العتبي، أى: الرضا، فيرضى عنهم﴾ ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمَجَابِينَ إِلَى مَا تطلبوا﴾

قرين السوء وحث دعاة السوء على الإعراض عن هدايات القرآن

﴿وَقِضْنَا﴾ ﴿هَيَأْنَا﴾ ﴿لَهُمْ قُرْنَاءٌ﴾ ﴿مصاحبين من شياطين الإنس والجن﴾ ﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ ﴿وجب عليهم الوعيد بالعذاب﴾ ﴿فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ﴾ ﴿مضت﴾ ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾ ﴿٢٥﴾

﴿وَقِضْنَا لَهُمْ قُرْنَاءَ﴾ وهذا التسليط والتقييض من الله للمكذبين الشياطين، بسبب إعراضهم عن ذكر الله وآياته، وجحودهم الحق، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿وَأِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٦-٣٧]. السعدي

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ ﴿اثتوا باللغو من الصغير والصباح والجلبة عند قراءته﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ﴾ ﴿الصفين اللذين﴾ ﴿أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿في الدرك الأسفل من النار﴾

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ﴾ يعني: إبليس، وابن آدم الذي قتل أخاه. وهذا مروى عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما، ويشهد لهذا القول الحديث المرفوع: «ما من مسلم يقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من ذنبه لأنه أول من سن القتل» خرجه الترمذي، وقيل: هو بمعنى الجنس، وبني على التشية لاختلاف الجنسين. ينظر: تفسير القرطبي

﴿ ٤٧٩ ﴾

البشارة للمؤمنين وتوجيهات لهم

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ تنزل
 عند الموت ﴿ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾
 ﴿ ٣٠ ﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ ﴿ أَنْصَارَكُمْ ﴾ ﴿ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ ﴿ ٣١ ﴾ تَطْلُبُونَ ﴿ نُزُلًا ﴾ ضيافة
 وإنعاماً ﴿ مِنْ عَفْوَ رَحِيمٍ ﴾ ﴿ ٣٢ ﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ ﴿ لَا أَحَدَ أَفْضَلَ ﴾ ﴿ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿ ٣٣ ﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿ ٣٤ ﴾ قَرِيبٌ لَكَ شَفِيقٌ عَلَيْكَ

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ذكر لنا أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شتمه رجل ونبي الله ﷺ شاهد، فعفا عنه ساعة، ثم إن أبا بكر جاش به الغضب، فردّ عليه، فقام النبي ﷺ فاتبعه أبو بكر، فقال يا رسول الله شتمني الرجل، فعفوت وصفححت وأنت قاعد، فلما أخذت أنتصر قمت يا نبي الله، فقال نبي الله ﷺ: «إِنَّهُ كَانَ يَرُدُّ عَنْكَ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَلَمَّا قُرْبَتْ تَنْتَصِرُ ذَهَبَ الْمَلَكُ وَجَاءَ الشَّيْطَانُ، فَوَاللَّهِ مَا كُنْتُ لَأَجَالِسَ الشَّيْطَانَ يَا أبا بَكْرٍ». الطبري

﴿ وَمَا يُلْقَاهَا ﴾ وما يوفق لها ﴿ لَا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ ﴿ ٣٥ ﴾ صاحب نصيب وافر من السعادة والخلق والخير ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ

الشَّيْطَانُ نَزَّغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴿٣٦﴾ استَجِرْ واعتصم بالله ﴿٣٧﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٨﴾

من آيات الله الكونية وعاقبة الزائغين

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾ لَا يَفْتُرُونَ، وَلَا يَمْلُونَ﴾

﴿ ٤٨٠ ﴾

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً ﴿٤٨٠﴾ يَابَسَ لَا نَبَاتَ فِيهَا ﴿٤٨١﴾ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ ﴿٤٨٢﴾ دَبَّتْ فِيهَا الْحَيَاةُ، وَتَحَرَّكَتْ بِالنَّبَاتِ ﴿٤٨٣﴾ وَرَبَّتْ ﴿٤٨٤﴾ انْتَفَخَتْ، وَعَلَتْ ﴿٤٨٥﴾ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٨٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ ﴿٤٨٧﴾ يَمِيلُونَ عَنِ الْحَقِّ ﴿٤٨٨﴾ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَفَنُيْلَقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٨٩﴾﴾

موقف المشركين من القرآن

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ ﴿٤٩٠﴾ بِالْقُرْآنِ ﴿٤٩١﴾ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤٩٢﴾ مُمْتَنِعٌ عَنْ كُلِّ مَن أَرَادَهُ بِتَحْرِيفٍ أَوْ سَوْءٍ﴾

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤٩٠﴾ أَي: بالقرآن، لما جاءهم، ثم أخذ في وصف الذكر وترك جواب: إن الذين كفروا، على تقدير الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم. البغوي

﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤٩١﴾ القرآن عزيز فأعطه أعز الأوقات، لا تكتف بما بين الأذان والصلوات، وأعرف بعض مشايخي يقف في طريق سفره؛ ليقراً وردّه. د. عبدالكريم الخضير

﴿لَا يَأْنِيهِ الْبَطْلُ ﴿٤٩٢﴾ لا يقربه شيطان، ولا يبطله شيء، محفوظ من كل زيادة

ونقص وتحريف ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ ﴿فِي أَى نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِيهِ﴾ ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿مَا يُقَالُ لَكَ﴾ ﴿مِنَ التَّكْذِيبِ﴾ ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٤٣﴾

﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ قال قتادة، والسدي، وغيرهما: ما يقال لك من التكذيب إلا كما قد قيل للرسول من قبلك، فكما قد كذبت فقد كذبوا، وكما صبروا على أذى قومهم لهم، فاصبر أنت على أذى قومك لك. وهذا اختيار ابن جرير، ولم يحك هو، ولا ابن أبي حاتم غيره. ابن كثير

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾ ﴿غَيْرِ عَرَبِيٍّ﴾ ﴿لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ ﴿هَلَا بَيَّنَّتْ آيَاتُهُ﴾ ﴿أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ ﴿لَقَالُوا: كَيْفَ يَكُونُ الْقُرْآنُ أَعْجَمِيًّا، وَلِسَانُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ عَرَبِيٌّ﴾ ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ ﴿صَمٌّ﴾ ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ﴾ ﴿كَمَنْ ينادى﴾ ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿فَلَا يَسْمَعُ دَاعِيًّا، وَلَا يَجِيبُ مَنَادِيًّا﴾

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾ أنزله بلسانهم؛ ليتقرر به معنى الإعجاز؛ إذ هم أعلم الناس بأنواع الكلام نظماً ونثراً. وإذا عجزوا عن معارضته كان من أدل الدليل على أنه من عند الله. ولو كان بلسان العجم لقالوا: لا علم لنا بهذا اللسان. القرطبي

﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ ﴿بَيْنَمَا قَالَ عَنِ الْعَسَلِ﴾ ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ ﴿وَمَا كَانَ نَفْسَهُ شِفَاءً أَبْلَغَ مِمَّا جَعَلَ فِيهِ شِفَاءً﴾ ﴿ابْنُ الْقَيْمِ فِي مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ . «ل» .

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَذَبَ﴾ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ ﴿بِتَأْجِيلِ الْعَذَابِ﴾ ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿شَدِيدِ الرِّبَةِ مُقْلَقٍ﴾ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ . وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ﴿٤٦﴾

من صور تقلب الإنسان

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ أَوْعِيَتْهَا ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَتَوَمُّ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَاذْنُكَ﴾
أَعْلَمْنَاكَ ﴿مَا مَنَا مِنْ شَهِيدٍ﴾ ﴿٤٧﴾

﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ أي: وعائها الذي تخرج منه، وهذا شامل لثمرات جميع الأشجار التي في البلدان والبراري، فلا تخرج ثمرة شجرة من الأشجار، إلا وهو يعلمها علماً تفصيلياً. السعدي
 ﴿وَتَوَمُّ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَاذْنُكَ مَا مَنَا مِنْ شَهِيدٍ﴾ أَعْلَمْنَاكَ، ما منا من شهيد، أي: من شاهد بأن لك شريكا. لما عاينوا العذاب تبرؤوا من الأصنام. البغوي

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾ **ذهب وغاب** ﴿مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا﴾ **أيقنوا** ﴿مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ﴾ ﴿٤٨﴾ **ملجأ ومهرب** ﴿لَا يَسْتَعْمُ﴾ **لا يمل** ﴿الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ **طلب الزيادة في الدنيا** ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ **الفقر والمرض والخوف** ﴿فَيَعُوسُ قَنُوطٌ﴾ ﴿٤٩﴾ **ولن أذقنه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي** ﴿أَتَانِي لَأَنِّي لَهُ أَهْلٌ﴾ **وما أظن** ﴿مَا أَعْتَقِدُ﴾ **الساعة قايمة** ﴿وَلَيْن رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾ **كما حصلت لي النعمة في الدنيا، فإنها ستحصل لي في الآخرة** ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ شَدِيدٍ﴾ ﴿٥٠﴾ **وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونكأ بجانبه** ﴿تَبَاعَدَ عَنْ شُكْرِ النِّعْمَةِ وَاتَّبَاعَ الْحَقِّ تَكْبَرًا﴾ **وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض** ﴿٥١﴾
 صاحب دعاء بكشف الضر كثير

القرآن ودلائل صدقه

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ **أخبروني** ﴿إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ﴾ **لا أحد أضل** ﴿مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿٥٢﴾ **خلاف بعيد عن الحق** ﴿سَرِيهِمْ ءَايَاتُنَا فِي الْأَفَاقِ﴾ **أقطار السماوات والأرض** ﴿وَفِي

أَنْفُسَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴿٥٣﴾ أَنْ الْقُرْآنَ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴿٥٢﴾ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا يَكْفِيهِمْ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ شَهَادَةُ اللَّهِ لَهُ بِذَلِكَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَةٍ ﴿٥٥﴾ شَكٍّ عَظِيمٍ ﴿٥٦﴾ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٧﴾

﴿ ٤٨٢ ﴾

سورة الشورى

سورة الشورى، سورة مكية، تنطرق لشيء من مظاهر عظمة الله وآياته، وبيان صدق الوحي، وأصول العقيدة الصحيحة، واشتراك الرسل في الدعوة إليها، والرد على المشركين، وتفنيد شبههم، وبيان ما لهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الوحي وعظمة الله

﴿حَمْدٌ ۝١ عَسَى ۝٢﴾ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ ﴿٥﴾ يَتَشَقَّقْنَ مِنْ عَظَمَةِ الرَّحْمَنِ وَجَلَالِهِ ﴿٦﴾ مِّنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ ﴿٧﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ قال الضحاك: لمن في الأرض من المؤمنين، وقاله السدي.

بيانه في سورة المؤمن: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [غافر: ٧] ... قال مطرف: وجدنا أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة، ووجدنا أغش عباد الله لعباد الله الشياطين. القرطبي

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ آلهة يتولونها، ويعبدونها ﴿اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ﴾ رقيب وحافظ ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ ﴿٦﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا

عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ ﴿٧﴾ مكة، والمراد أهلها ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾
الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شك في مجيئه ﴿فَرِيقٌ﴾
﴿فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ ﴿٧﴾

﴿وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ عن أبي نضرة، أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ يقال له: أبو عبد الله، دخل عليه أصحابه يعودونه، وهو يبكي فسألوه عن بكائه، فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله قبض بيمينه قبضة، وأخرى باليد الأخرى، قال: هذه لهذه، وهذه لهذه، ولا أبالي» فلا أدري في أي القبضتين أنا؟ ينظر: تفسير ابن كثير، والحديث في مسند أحمد.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ مجتمعين على الهدى ﴿وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ﴾
﴿فِي رَحْمَتِهِ وَالْظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿٨﴾

الله الحاكم الخالق

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
﴿٩﴾ وَمَا أَخْلَقْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴿إليه يرجع في كل الأمور﴾

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ هذان الأصلان، كثيرا ما يذكرهما الله في كتابه، لأنها يحصل بمجموعهما كمال العبد، ويفوته الكمال بفوتهما أو فوت أحدهما، كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] وقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]. السعدي

﴿فَاطِرُ﴾ خالق ومبدع ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾
وَمِنْ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ﴿أَنْوَاعًا ذَكَورًا وَإِنَاثًا﴾ يَذَرُوكُمْ فِيهِ ﴿يَكْتَرِكُمْ بِسَبَبِ﴾
التزويج ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿مَلَكُهَا وَمَفَاتِيحُ خَزَائِنِهَا﴾ يَبْسُطُ ﴿يُوسِعُ﴾ الرِّزْقَ لِمَنْ

يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٣﴾

دين الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ واحد في الأصول

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَظَمٌ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ ﴿١٣﴾﴾ **يُصْطَفَى لِتَوْحِيدِهِ وَدِينِهِ** ﴿١٤﴾ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٥﴾ **يَرْجِعُ إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ**

﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ هذا السبب الذي من العبد، يتوصل به إلى هداية الله تعالى، وهو: إنابته لربه، وانجذاب دواعي قلبه إليه، وكونه قاصدا وجهه، فحسن مقصد العبد مع اجتهاده في طلب الهداية، من أسباب التيسير لها، كما قال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ [المائدة: ١٦]. السعدي

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ **فِي نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ** ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ **قَامَتِ الْحُجَّةُ** ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ **عِنَادًا وَظُلْمًا** ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ **بِتَأخير العذاب** **عَمَّنْ كَفَرَ** ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ﴾ **التوراة والإنجيل** ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ﴾ ﴿١٤﴾ **مَوْقِعٌ فِي الرِّبِّيَّةِ** **وَالاختلاف المذموم** ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ﴾ **قُمْ بالدعوة إلى ذلك الدين** ﴿وَأَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾ **فِي الْحُكْمِ إِذَا تَحَاكَمْتُمْ إِلَى** ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ **لَا جِدَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ الْحَقُّ** ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ ﴿١٥﴾ **المرجع**

حال من يجادل في نبوة محمد ﷺ، وأقسام الناس تجاه يوم القيامة

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾ **يُخَاصِمُونَ فِي دِينِ اللَّهِ** ﴿مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ

لَهُ ﴿١٦﴾ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لِلرَّسُولِ، وَأَسْلَمَ جَمْعٌ مِنَ النَّاسِ ﴿١٧﴾ مَجْتَنِّهِمْ دَاحِضَةٌ ذَاهِبَةٌ بَاطِلَةٌ ﴿١٨﴾ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٩﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴿٢٠﴾ بِالصِّدْقِ ﴿٢١﴾ وَالْمِيزَانِ ﴿٢٢﴾ الْعَدْلِ ﴿٢٣﴾ وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿٢٤﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا ﴿٢٥﴾ خَائِفُونَ مِنْ قِيَامِهَا ﴿٢٦﴾ وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ يُجَادِلُونَ ﴿٢٧﴾ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٨﴾

﴿٢٩﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ﴿٣٠﴾ أَي: يقولون: ﴿٣١﴾ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٢﴾ [سبأ: ٢٩]، وإنما يقولون ذلك تكديبا واستبعادا، وكفرا وعنادا. ابن كثير

﴿٣٣﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٣٤﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ ﴿٣٥﴾ ثَوَابُهَا ﴿٣٦﴾ نَزَدَ لَهُ، فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٣٧﴾

حكم تشريع العباد لبعضهم ، وحال الظالمين والمؤمنين في الآخرة

﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ ﴿٣٩﴾ قَضَاؤُهُ بِأَمْعَالِهِمْ، وعدم معالجتهم بالعقوبة ﴿٤٠﴾ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴿٤٢﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٤٣﴾

﴿٤٤﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴿٤٥﴾ أي: العقاب الذي خافوه؛ لأنهم أتوا بالسبب التام الموجب للعقاب من غير معارض، من توبة ولا غيرها، ووصلوا موضعات فيه الإنظار والإمهال. السعدي

﴿ ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ لا تؤذوني في تبليغ الدعوة لما بيني وبينكم من القرابة ﴿ وَمَنْ يَقْرَفْ حَسَنَةً ﴾ يكتسب الطاعة ﴿ نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ ﴿ ٢٣ ﴾ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ ﴾ اختلق ﴿ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشِإِ اللَّهُ يُخْتِمْ ﴾ يطبع ﴿ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿ ٢٤ ﴾

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشِإِ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ أي: يختم على قلب الرسول ﷺ فلا يعي شيئاً، ولا يدخل إليه خير، وإذا ختم على قلبه انحسم الأمر كله وانقطع. فهذا دليل قاطع على صحة ما جاء به الرسول، وأقوى شهادة من الله له على ما قال، ولا يوجد شهادة أعظم منها ولا أكبر؛ ولهذا من حكمته ورحمته، وسنته الجارية، أنه يمحو الباطل ويزيله، وإن كان له صولة في بعض الأوقات، فإن عاقبته الاضمحلال. السعدي

الله يقبل التوبة، ويستجيب الدعاء

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ ﴾ ﴿ ٢٥ ﴾

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «الله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح». البغوي والحديث عند مسلم

﴿ وَسَتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ ﴿ ٢٦ ﴾

* دعا جميع العباد إلى الإنابة إليه والتوبة من التقصير، فانقسموا -بحسب الاستجابة له- إلى قسمين: مستجيبين وصفهم بقوله: ﴿ وَسَتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ... وأما غير المستجيبين لله وهم المعاندون الذين كفروا به

وبرسله، ف﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾. السعدي

ثم يبين سبحانه شيئاً من حكمه في الخلق

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا﴾ **لطفوا، وتجبروا** ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿٢٧﴾

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا﴾ في بعض الآثار أن الله تعالى يقول: «إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الغنى، ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الفقر، ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الصحة، ولو أمرضته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا المرض، ولو عافيته لأفسده ذلك، إني أدبر أمر عبادي بعلمي بما في قلوبهم، إني خير بصير» السعدي

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ **يسبط مطره** ﴿وَهُوَ الْأُولَى﴾ **الذي يتولى عباده بإحسانه** ﴿الْحَمِيدُ﴾ ﴿٢٨﴾ **يعطى ما يحمد عليه، سبحانه** ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ **فرق ونشر** ﴿فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ **ما يدب على الأرض من الخلق** ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٩﴾ **وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ** ﴿٣٠﴾

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ قال الحسن: دخلنا على عمران بن حصين، فقال رجل: لا بد أن أسألك عما أرى بك من الوجع، فقال عمران: يا أخي لا تفعل! فوالله إني لأحب الوجع، ومن أحبه كان أحب الناس إلى الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ فهذا مما كسبت يدي، وعفو ربي عما بقي أكثر. وقال مرة الهمداني: رأيت على ظهر كف شريح قرحة فقلت: يا أبا أمية، ما هذا؟ قال: هذا بما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير. وقال ابن عون: إن محمد بن سيرين لما ركب الدين اغتم لذلك فقال: إني لأعرف هذا الغم، هذا بذنب أصبته منذ

أربعين سنة. وقال أحمد بن أبي الحواري: قيل لأبي سليمان الداراني: ما بال العقلاء، أزالوا اللوم عن أساء إليهم؟ فقال: لأنهم علموا أن الله تعالى إنما ابتلاهم بذنوبهم. القرطبي

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ **بفائتين من العذاب** ﴿فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿٣١﴾

﴿ ٤٨٦ ﴾

من آيات الله

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ﴾ **السفن الجارية** ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ ﴿٣٢﴾ **كالجبال في عظمها** ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنَ الرِّيمَ فَيُظِلِّلْنَ﴾ **يصرن ويبقين** ﴿رَوَاكِدَ﴾ **ثوابت لا تجرى** ﴿عَلَى ظَهْرِهِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ﴿٣٣﴾ **أو يؤيقهن** ﴿يَهْلِكُ السَّفْنَ بِالْغَرَقِ﴾ **بما كسبوا** ﴿مِنَ الذَّنُوبِ﴾ **ويعف عن كثير** ﴿٣٤﴾

﴿أَوْ يُؤَيِّقَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾ قال بعض علماء التفسير: أي: لو شاء لأرسل الريح قوية عاتية، فأخذت السفن وأحالتها عن سيرها المستقيم، فصرفتها ذات اليمين أو ذات الشمال، أبقة لا تسير على طريق، ولا إلى جهة مقصد. وهذا القول هو يتضمن هلاكها. ابن كثير

﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُخَدِّثُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّخِصٍ﴾ ﴿٣٥﴾ **مهرب وملجأ** ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمِنَّهُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٣٦﴾

من صفات الأبرار

﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمِنَّهُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ هذا تزهيد في الدنيا وترغيب في الآخرة. السعدي

﴿وَالَّذِينَ يَجْنَبُونَ كِبْرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ﴾ **ما عظم قبحه من المعاصي** ﴿وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ **والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلوة وأمرهم شورى بينهم ومما**

رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٨﴾

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ قال الحسن: ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم ... وقال ابن العربي: الشورى ألفة للجماعة ومسبار للعقول وسبب إلى الصواب. القرطبي

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾ الظلم والعدوان ﴿هُمْ يَنْصَرُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ ينتقمون ممن بغى عليهم لشجاعتهم، ولا يعتدون

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصَرُونَ﴾ ينتصرون؛ لأنفسهم إعدارا لها وإكراما؛ لأنها أنفس، الله وليها، فالعزة واجبة لها. هذه عشر صفات متى اتصف بها العبد لا يضره شيء لو عاش الدهر كله فقيراً نقياً محروماً من لذيذ الطعام والشراب ومن جميل اللباس، والسكن والمركب؛ إذ ما عند الله تعالى له خير وأبقى، مع العلم أن أهل تلك الصفات سوف لا يجرمون من طيبات الحياة الدنيا، بل هم أولى بها من غيرهم إلا أنها ليست شيئاً يذكر إلى جانب ما عند الله يوم يلقونه ويعيشون في جواره. الجزائري

* قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون للمؤمنين أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم الفساق، فإذا قدروا عفوا، وقال القاضي أبو يعلى: هذه الآية محمولة على من تعدى وأصر على ذلك، وآيات العفو محمولة على أن يكون الجاني نادماً. ابن الجوزي

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصَرُونَ﴾ يقتضي ذلك إباحة الانتصار، لا الأمر به، وقد عقبه بقوله: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾. وهو محمول على الغفران عن غير المصر، فأما المصر على البغي والظلم فالأفضل الانتصار منه بدلالة الآية التي قبلها. وقيل: أي: إذا أصابهم البغي تنصروا عليه حتى يزيلوه عنهم ويدفعوه، قاله ابن بحر. وهو راجع إلى العموم على ما ذكرنا. القرطبي

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾ وضع عفوهُ فيمن يصلحه ﴿الْعَفْوُ﴾ ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٤٠﴾

﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ قال الحسن: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: من كان له على الله أجر فليقم، فلا يقوم إلا من عفا، ثم قرأ هذه الآية. البغوي

* قال ابن الأنباري: كان الحسن البصري يدعو ذات ليلة: اللهم اعف عمن ظلمني، فأكثر في ذلك، فقال له رجل: يا أبا سعيد، لقد سمعتك الليلة تدعو لمن ظلمك حتى تمنيت أن أكون فيمن ظلمك، فما دعاك إلى ذلك؟ قال: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾. شرح صحيح البخارى لابن بطلال. (ل).

﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ في صحيح مسلم حديث أبي اليسر الطويل، وفيه أنه قال لغريمه: اخرج إلي، فقد علمت أين أنت، فخرج، فقال: ما حملك على أن اختبأت مني؟ قال: أنا والله أحدثك ثم لا أكذبك، خشيت والله أن أحدثك فأكذبك، وأن أعدك فأخلفك، وكنت صاحب رسول الله ﷺ، وكنت والله معسرا. قال قلت: آله؟ قال الله، قال: فأتى بصحيفة فمحاها فقال: إن وجدت قضاء فاقض، وإلا فأنت في حل... وذكر الحديث. قال ابن العربي: وهذا في الحي الذي يرجى له الأداء لسلامة الذمة ورجاء التمثل، فكيف بالميت الذي لا محالة له ولا ذمة معه؟ القرطبي

* يحكى أن رجلا سب رجلا في مجلس الحسن رحمه الله فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق، ثم قام، فتلا هذه الآية، فقال الحسن: عقلها والله! وفهمها إذ ضيعها الجاهلون. وبالجمل العفو مندوب إليه، ثم قد ينعكس الأمر في بعض الأحوال، فيرجع ترك العفو مندوبا إليه كما تقدم، وذلك إذا احتيج إلى كف زيادة البغى وقطع مادة الأذى. القرطبي

﴿وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ ﴿٤١﴾ مؤاخذه ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ ﴿٤٢﴾ المؤاخذه ﴿عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَبَغَوْنَ﴾ يعتدون ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٤٣﴾

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ أي: يبدؤون الناس بالظلم. كما جاء في الحديث الصحيح: «المستبان ما قالوا، فعلى البادئ ما لم يعتد المظلوم». ابن كثير

والحديث في مسلم

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لِمِنْ عَظَمِ الْأُمُورِ﴾ ﴿٤٣﴾ **الأفعال المحمودة**

حال الظالمين يوم القيامة

﴿وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ﴾ **يصرفه عن الهدى** ﴿فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ﴾ **مرجع إلى الدنيا** ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾ ﴿٤٤﴾ **طريق**

﴿ ٤٨٧ ﴾

﴿وَتَرَبُّهُمْ يُعَرِّضُونَ عَلَيْهَا﴾ **أى: على النار** ﴿خَشِيعَةً﴾ **خاضعين** **متضائلين** ﴿مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ **يسارقون النظر، ولا ينظرون بملء أعينهم** ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ ﴿٤٥﴾ **وما كانت لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلِلِ الله فما له من سبيلٍ** ﴿٤٦﴾

التسليم لأمر الله وقضائه

﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ﴾ **لا يمكن رده** ﴿مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّن مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِّن نَّكَيرٍ﴾ ﴿٤٧﴾ **لا تنكرون ذنوبكم، وليس لكم مكان تستخفون وتنكرون فيه** ﴿فَإِن أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ **حافظاً لأعمالهم** ﴿إِن عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرَحَّ بِهَا وَإِن تُصِيبْهُمْ سَيْئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ ﴿٤٨﴾ **جحود يعدد المصائب، وينسى النعم** ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾ ﴿٤٩﴾

﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾ **قيل: تقديم الإناث لكثرتهم بالنسبة إلى الذكور، وقيل: لتطيب قلوب آبائهن، وقيل: لغير ذلك. الشوكاني** *** قال واثلة بن الأسقع: إن من يمن المرأة تكبيرها بالأنثى قبل الذكر، وذلك أن الله تعالى قال: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾ [الشورى: ٤٩]**

فبدأ بالإناث. القرطبي

﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ﴾ يجمع له النوعين ﴿ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ﴾
لا يولد له ﴿ إِنَّهُ عَلَيْهِ قَدِيرٌ ﴾ ﴿٥٠﴾

الوحي على الأنبياء عَلَيْهِ السَّلَامُ وطرقه

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ إعلاماً في المنام أو بالإلهام ﴿ أَوْ مِنْ وَرَآيِ حِجَابٍ ﴾ كما كلم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ كجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ فَيُوحِي بِإِذْنِهِ ﴾ بأمر الله ﴿ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴾ ﴿٥١﴾

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآيِ حِجَابٍ ﴾ في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لجابر بن عبد الله: «ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب، وإنه كلم أباك كفاً» الحديث، وكان أبوه قد قتل يوم أحد، ولكن هذا في عالم البرزخ، والآية إنما هي في الدار الدنيا. ابن كثير

﴿ ٤٨٨ ﴾

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا ﴾ قرآنًا، سمي روحاً؛ لأنه حياة القلوب ﴿ مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿٥٢﴾ هو الإسلام ﴿ صَرَّطَ اللَّهُ الَّذِي لَهُ، مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ ﴾ ترجع إليه فيجازيكم عليها ﴿ الْأُمُورُ ﴾ ﴿٥٣﴾

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ هداية الإرشاد لا هداية التوفيق. المختصر في التفسير

سورة الزخرف

سورة الزخرف، سورة مكية، فيها بيان العقائد والقيم القرآنية الصحيحة، ونقض التصورات الجاهلية التي كانت في الأمم السابقة واستمر عليها مشركو قريش، وذكر شيء من مشاهد الآخرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القرآن وعاقبة المستهزئين بالوحي

﴿حَم ١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾

﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ أقسم بالكتاب المبين وأطلق، ولم يذكر المتعلق؛ ليدل على أنه مبين لكل ما يحتاج إليه العباد من أمور الدنيا والدين والآخرة. السعدي

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ ﴿اللوح المحفوظ﴾ ﴿لَدَيْنَا لَعَلِي﴾ ﴿رَفِيعَ الشَّانِ﴾ ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿٤﴾ ﴿مَحْكَمٌ وَذُو حِكْمَةٍ بَالِغَةٍ﴾ ﴿أَفْضَرُ عَنْكُمْ الدِّكْرَ صَفْحًا﴾ ﴿أَي: أُنْعِضُ عَنْكُمْ، وَنَتْرِكُ تَذَكِيرَكُمْ بِالْقُرْآنِ بِسَبَبٍ﴾ ﴿أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ ﴿٥﴾ ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ﴾ ﴿كَثِيرًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَرْسَلْنَا﴾ ﴿فِي الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْنِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿٧﴾ ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ ﴿قُوَّةً، فَلَا نَعْبُزُ عَنْ قَرْيَةٍ﴾ ﴿وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٨﴾ ﴿سَبَقَ فِي الْقُرْآنِ أَحَادِيثُ إِهْلَاكِهِمْ

الاستدلال بتوحيد الربوبية والنعم على وجوب توحيد الألوهية

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٩﴾ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ ﴿فَرَاشًا مَهْدًا﴾ ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ ﴿طَرَقًا لِمَعَاشِكُمْ تَسْلُكُونَهَا﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ﴿١٠﴾

﴿ ٤٨٩ ﴾

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرِ﴾ ﴿بِمَقْدَارٍ وَوزنٍ معلوم﴾ ﴿فَأَنْشَرْنَا﴾ ﴿فَأَحْيَيْنَا﴾ ﴿بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا﴾ ﴿مَقْفَرَةً مِنَ النَّبَاتِ﴾ ﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ ﴿١١﴾

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرِ﴾ قال ابن عباس: أي: لا كما أنزل على قوم نوح بغير قدر حتى أغرقهم، بل هو بقدر لا طوفان مغرق، ولا قاصر عن الحاجة. القرطبي

﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾ ﴿الْأَصْنَافَ مِنَ نَبَاتٍ وَحَيَوَانَ﴾ ﴿كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ

الْفَلَكَ ﴿السفن﴾ وَالْأَنْعَامَ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِّتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ مطيقين لتسخيره لولا تسخير الله ﴿وَأِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ ﴿١٤﴾

﴿لِّتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا﴾ ظاهر القرآن أن الإنسان كلما ركب على بعير أو السيارة أو السفينة أو القطار أن يقول : ﴿سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ أي: مطيقين لتسخيره لولا تسخير الله ﴿وَأِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ يقوله كلما ركب الدابة، سواء في السفر أو في الحضر . ابن عثيمين في الباب المفتوح.

﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ أي: لولا تسخير الله لنا ما سخر من الفلك والأنعام، ما كنا مطيقين لذلك وقادرين عليه، ولكن من لطفه وكرمه تعالى، سخرها وذلّلها ويسر أسبابها. السعدي

﴿وَأِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ كم من راكب دابة عثرت به، أو شمس، أو تقحمت، أو طاح من ظهرها، فهلك . وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا. فلما كان في الركوب اتصال بأسباب من أسباب التلف أمر ألا ينسى عند اتصاله به يومه، وأنه هالك لا محالة فمُنْقَلِب إلى الله عز وجل غير منفلت من قضائه. ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعداً للقاء الله بإصلاحه من نفسه. والحذر من أن يكون وركوبه ذلك من أسباب موته في علم الله، وهو غافل عنه. ينظر: تفسير القرطبي

* وأفتى ابن باز أنه خاص في السفر، ينظر مجموع الفتاوى وفيه: «دعاء الركوب إنما يستحب عند ركوب العبد للدابة أو السيارة أو الطائرة أو الباكسة أو غيرها لقصد السفر. أما الركوب العادي في البلد أو في المصعد فلا أعلم في الأدلة الشرعية ما يدل على شرعية قراءة دعاء السفر».

الإنكار على من نسب الولد لله

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ زعموا أن الملائكة بنات الله ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ

لَكَفُورٌ ﴿١٥﴾ لَجُودٍ لَنَعَم رَبِّهِ ﴿١٥﴾ مُبِينٌ ﴿١٥﴾

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ أما الجعل ها هنا، فمعناه: الحكم بالشيء، وهم الذين زعموا أن الملائكة بنات الله والمعنى: جعلوا له نصيبا من الولد. ابن الجوزي

﴿أَمْ أَخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ﴾ **خصم** ﴿بِالْبَيْنِ﴾ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ﴿بِالْأُنثَى الَّتِي نَسَبَهَا لِلرَّحْمَنِ حَيْثُ زَعَمَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ﴾ ﴿ظَلَّ﴾ ﴿صَارَ﴾ ﴿وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿مَمْتَلَىٰ حَزَنًا وَّغَمًّا﴾ ﴿أَوْ مَنْ يُنشِئُ﴾ ﴿يَرَىٰ﴾ ﴿فِي الْخَلْقِ﴾ ﴿الزَّيْنَةَ﴾ ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ﴾ ﴿الْجِدَالِ﴾ ﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿غَيْرُ مُبِينٍ لِحَجَّتِهِ﴾

﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ قال قتادة: قلما تتكلم امرأة بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها. وقال بعضهم: هي الأصنام. ابن الجوزي
﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ ﴿١٩﴾

﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ستكتب شهادة هؤلاء القائلين: الملائكة بنات الله في الدنيا، بما شهدوا به عليهم، ويسألون عن شهادتهم تلك في الآخرة أن يأتوا ببرهان على حقيقتها، ولن يجدوا إلى ذلك سبيلا. الطبري
﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿يَقُولُونَ عَلَى الْكَذِبِ﴾ ﴿أَمْ﴾ ﴿أَنْ حُجَّتْهُمْ أَنْ﴾ ﴿ءَانِئَنَّهُمْ كَتَبْنَا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ ﴿٢١﴾

الاستدلال بسلوك الآباء على ترك الحق

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ **طريقة ودين** ﴿وَأَنَّا عَلَىٰ عَثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿٢٢﴾

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ أُولَٰئِكَ حُتُّكُمْ بَأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿قُلْ أُولَٰئِكَ حُتُّكُمْ بَأَهْدَىٰ﴾ قال الزجاج: ومعنى الكلام: قل: أتتبعون ما وجدتم عليه آباءكم، وإن جئتكم بأهدى منه؟! ابن الجوزي

﴿فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ ط فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾

إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ ﴿٢٦﴾ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴿٢٧﴾ خَلَقَنِي ﴿٢٨﴾ فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿٢٩﴾ وَجَعَلَهَا ﴿٣٠﴾ أَيْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴿٣١﴾ كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴿٣٢﴾ ذَرِيَّتِهِ ﴿٣٣﴾ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لا يزال فيهم من يوحد الله لا يشرك به شيئاً، رجاء أن يرجعوا إلى الله بالتوبة إليه من الشرك والمعاصي. المختصر في التفسير

حكمة الله في اختيار رسله، وتقسيم رزقه

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ ﴿٣٥﴾ لَمْ أَعَاجِلْهُمْ بِالْعُقُوبَةِ ﴿٣٦﴾ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٣٧﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالُوا لَوْلَا ﴿٣٩﴾ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْبَتَيْنِ ﴿٤٠﴾ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ ﴿٤١﴾ عَظِيمٍ ﴿٤٢﴾ أَهْمُهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴿٤٣﴾ النُّبُوَّةُ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلَخِيًّا ﴿٤٥﴾ مَسْخَرًا فِي الْعَمَلِ ﴿٤٦﴾ وَرَحِمْتُ رَبِّكَ ﴿٤٧﴾ الْجَنَّةُ ﴿٤٨﴾ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ﴾ أي: أفقرنا قوماً، وأغنينا قوماً، فإذا لم يكن أمر الدنيا إليهم، فكيف يفوز أمر النبوة إليهم؟. قال قتادة: تلقاه ضعيف القوة قليل الحيلة عبي اللسان وهو مبسوط له، وتلقاه شديد الحيلة بسيط اللسان،

وهو مقتر عليه. ينظر: تفسير القرطبي

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ﴿لَوْ لَا أَنْ يَخْتَارَ النَّاسُ دِيَارَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ﴾ ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرْ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتَهُمْ سُقُفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ سَلَامٍ مِّنْ فِضَّةٍ عَلَيْهِمَا يُظْهِرُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿يَصْعَدُونَ﴾

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ قال الحسن: المعنى: لولا أن يكفر الناس جميعا بسبب ميلهم إلى الدنيا، وتركهم الآخرة لأعطيناهم في الدنيا ما وصفناه؛ لهُوان الدنيا عند الله، عز وجل. القرطبي

﴿ ٤٩١ ﴾

﴿وَلَبُيُوتُهُمْ أَبْوَابًا وَسُورًا عَلَيْهِمَا يَتَكَبَّرُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿وَزُخْرُفًا﴾ ﴿ذَهَبًا﴾ ﴿وَأَنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا﴾ ﴿مَا كُلُّ ذَلِكَ إِلَّا﴾ ﴿مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٣٥﴾

﴿وَأَنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: وما كل هذه الأشياء التي ذكرت من السقف من الفضة والمعارج والأبواب والسرر من الفضة والزخرف، إلا متاع يستمتع به أهل الدنيا في الدنيا. الطبري

الشيطان قرين المعرض عن الله، والحث على التمسك بالقرآن

﴿وَمَنْ يَعِشْ﴾ ﴿يَعْرِضْ﴾ ﴿عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ﴾ ﴿نَهْيٌ وَنَيْسِرٌ﴾ ﴿لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿مَلَاظِمٌ وَمَصَاحِبٌ﴾

* من غفل عن ذكر الله يسر الله له شيطانا يكون له قرينا، فتلك عقوبة على الغفلة عن الذكر بتسليط الشيطان، كما أن من داوم على الذكر تباعد عنه الشيطان. تفسير ابن جزي

* قال ابن عباس رضي الله عنهما نسلطه عليه فهو معه في الدنيا والآخرة يحمله على المعاصي وفيه إشارة إلى أن من داوم عليه لم يقرنه الشيطان. تفسير النسفي

﴿وَأَنَّهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿وَلَا عَذْرَ لَهُمْ﴾

لِإِعْرَاضِهِمْ مَعَ التَّمَكُّنِ ﴿٣٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ ﴿٣٩﴾ مِثْلَ تَبَاعُدِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴿٤٠﴾ فَيَنْسُ الْقَرِينُ ﴿٤١﴾

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ ﴾ قال الفراء: أراد المشرق والمغرب، فغلب اسم أحدهما، كما يقال: القمران، للشمس والقمر، والعمران، لأبي بكر وعمر، والبصرتان للكوفة والبصرة، والعصران للغداة والعصر. القرطبي

﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَىٰ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾

﴿ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ ﴾ يقول تعالى لرسوله ﷺ مسلماً له عن امتناع المكذبين عن الاستجابة له، وأنهم لا خير فيهم، ولا فيهم زكاء يدعوهم إلى الهدى: ﴿ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ ﴾ أي: الذين لا يسمعون ﴿ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى ﴾ الذين لا يبصرون. السعدي

﴿ فَإِنَّمَا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴾ ﴿٤١﴾

﴿ فَإِنَّمَا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴾ أي: فإن ذهبنا بك قبل أن نريك ما نعدهم من العذاب، فاعلم بخبرنا الصادق أنا منهم منتقمون. السعدي

﴿ أَوْ نُرِيكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴾ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكَ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴿٤٤﴾ نَزَلَ بَلَاغَتِهِمْ ﴿٤٥﴾ وَسَوْفَ يُسْأَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مَنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿٤٧﴾

مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾ ﴿٤٨﴾ أَشْرَافُ قَوْمِهِ ﴿٤٩﴾ فَقَالَ ﴿٥٠﴾ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥١﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٥٢﴾

﴿وَمَا تُرِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ ﴿٤٧﴾ حُجَّةٍ عَلَىٰ صِدْقِ دَعْوَتِهِ ﴿٤٨﴾ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ ﴿٤٩﴾ **من التي سبقتها** ﴿٥٠﴾ وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ ﴿٥١﴾ **من الجراد والقمل والضفادع ونحوها** ﴿٥٢﴾ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٣﴾ وَقَالُوا يَتَّيْنُهُ السَّاحِرُ ﴿٥٤﴾ **العالم وكان الساحر فيهم محموداً** ﴿٥٥﴾ أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ﴿٥٦﴾ **بما خصك من الفضائل** ﴿٥٧﴾ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٥٨﴾

﴿وَقَالُوا يَتَّيْنُهُ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا﴾ **إن قال قائل: كيف سموه ساحراً؟ وهم يسألونه أن يدعو لهم ربه؛ ليكشف عنهم العذاب؟ قيل: إن الساحر كان عندهم معناه: العالم، ولم يكن السحر عندهم ذماً، وإنما دعوه بهذا الاسم؛ لأن معناه عندهم كان: يا أيها العالم. الطبري**

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٩﴾ **يغدرون، ويصرون على الكفر** ﴿٦٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُورُ آلِيَّسَ لِي مُلْكٌ مِّصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٦١﴾ **أمر أنا خيرٌ من هذا الذي هو مهينٌ** ﴿٦٢﴾ **ضعيف لا عزَّ له** ﴿٦٣﴾ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٦٤﴾ **لا يكاد يفصح في كلامه** ﴿٦٥﴾ فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ ﴿٦٦﴾ **على موسى** ﴿٦٧﴾ أَسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جِلَّةٌ مَّعَهُ الْمَلَكُ مَقَرَّنِينَ ﴿٦٨﴾ **يمشون معه يصدقونه** ﴿٦٩﴾ فَأَسْتَخَفَّ قَوْمَهُ ﴿٧٠﴾ **استخف بعقولهم** ﴿٧١﴾ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٧٢﴾ **فلَمَّا ءَاسَفُونَا** ﴿٧٣﴾ **أغضبونا** ﴿٧٤﴾ أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٥﴾ **فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا** ﴿٧٦﴾ **قدوة لمن يعمل مثل عملهم، فيستحق العقوبة** ﴿٧٧﴾ **ومثلاً** ﴿٧٨﴾ **عظة وعبرة** ﴿٧٩﴾ لِلْآخِرِينَ ﴿٨٠﴾

من زيغ المشركين والرد عليهم

﴿وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٨١﴾ **يضعجون، ويصيحون فرحاً وجدلاً**

﴿وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ **قال ابن عباس: أراد به مناظرة عبد الله بن الزبعرى مع النبي ﷺ في شأن عيسى، وأن الضارب لهذا المثل هو عبد الله بن**

الزبعرى السهمي حالة كفره لما قالت له قريش: **﴿إِنَّ مُحَمَّدًا يَتْلُو ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾﴾** [الأنبياء: ٩٨] الآية، فقال: لو حضرته لرددت عليه، قالوا: وما كنت تقول له؟ قال: كنت أقول له: هذا المسيح تعبدوه النصراني، واليهود تعبد عزيरा، أفهما من حصب جهنم؟ فعجبت قريش من مقالته، ورأوا أنه قد خصم، وذلك معنى قوله: **﴿يَصُدُّونَ﴾** [الزخرف: ٥٧].
فأنزل الله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾** [الأنبياء: ١٠١]. ولو تأمل ابن الزبعرى الآية ما اعترض عليها؛ لأنه قال: **﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾** [الأنبياء: ٩٨] ولم يقل: ومن تعبدون، وإنما أراد الأصنام ونحوها مما لا يعقل، ولم يرد المسيح ولا الملائكة، وإن كانوا معبودين. القرطبي

﴿وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ ﴿٥٨﴾

شديدو الخصومة بالباطل

﴿وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ المعنى: ليست خيرا منه، فإن كان في النار؛ لأنه عبد من دون الله، فقد رضىنا أن تكون آلهتنا بمنزلته. ما ضربوه لك إلا جدلا، أي: ماذكروا عيسى إلا ليجادلوك به؛ لأنهم قد علموا أن المراد بحصب جهنم ما اتخذوه من الموات. ابن الجوزي

﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا﴾ **﴿عبرة وآية﴾** **﴿لَبَّيْ إِسْرَءِيلَ﴾** ﴿٥٩﴾
﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ **﴿لجعلنا بدلکم﴾** **﴿مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلَفُونَ﴾** ﴿٦٠﴾

يخلف بعضهم بعضاً بدلاً من بني آدم

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ﴾ المعنى: لو نشاء لأسكننا الأرض الملائكة، وليس في إسكاننا إياهم السماء شرف حتى يُعبدوا، أو يقال لهم بنات الله. القرطبي

﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ **﴿نزل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ دليل على قرب وقوعها﴾** **﴿فَلَا تَمْتَرْتُمْ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾** ﴿٦١﴾ **﴿طريق قويم إلى الجنة﴾** **﴿وَلَا**

يَصْدَنَكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ ﴿٦٣﴾ **بِالنَّبَاةِ** ﴿٦٤﴾ وَلَا يُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْلِفُونَ فِيهِ ﴿٦٥﴾ **مِنَ التَّوْرَةِ** ﴿٦٦﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٦٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٨﴾ **فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ** ﴿٦٩﴾ **الْفِرْقُ فِي حَقِيقَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ** ﴿٧٠﴾ **مِنْ بَيْنِهِمْ** فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْيَمِّ ﴿٧١﴾

﴿ **فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ** ﴾ أي في شأن عيسى : أهو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة؟ الجزائري

القيامة تأتي بغته وحال الناس في الآخرة

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ **يَنْتَظِرُونَ** ﴿٦٢﴾ **إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً** ﴿٦٣﴾ **فَجَاءَةً** ﴿٦٤﴾ **وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴿٦٥﴾ **الْأَخِلَاءُ** ﴿٦٦﴾ **الْأَصْدِقَاءُ وَالْأَحْبَابُ** ﴿٦٧﴾ **يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ** ﴿٦٨﴾ **يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ** ﴿٦٩﴾ **الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ** ﴿٧٠﴾ **ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ** ﴿٧١﴾ **تَنَعَمُونَ، وَتَسْرُونَ**

﴿ **ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ** ﴾ في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أهل الجنة يأكلون فيها، ويشربون، ولا يتفلون، ولا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون قالوا: فما بال الطعام؟ قال: «جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد والتكبير - في رواية - كما يلهمون النفس». القرطبي

﴿ **يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ** ﴾ **بِأَوَانٍ** ﴿٧٢﴾ **مَنْ ذَهَبَ وَآكُوبٌ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴿٧٣﴾ **وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴿٧٤﴾ **لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ** ﴿٧٥﴾

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفْتَرُ﴾ **لا يخفف** ﴿عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ **آيسون من رحمة الله** ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾
 وَنَادَوْا يَمْلِكُ ﴿**خازن جهنم**﴾ لِيَقْضَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَنكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا ﴿**أحكموا أمراً في كيد**﴾
 نَبِينَا مُحَمَّد ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ ﴿**يظنون**﴾ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ﴿**ما تكلموا فيه فيما بينهم**﴾ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا ﴿**ملائكتنا الكرام الحفظة**﴾
 لَدَيْهِمْ يَكْتُوبُونَ ﴿٨٠﴾﴾

ليس لله ولد

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ﴾ ﴿٨١﴾﴾

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ﴾ قال قتادة: هذه كلمة من كلام العرب
 ﴿إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ : أي: إن ذلك لم يكن، ولا ينبغي. الطبري
 ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ﴾ ولكن هذا ممتنع في حقه تعالى، والشرط
 لا يلزم منه الوقوع ولا الجواز، أيضاً، كما قال تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ
 وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].
 ابن كثير

﴿سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾ **عما يصفون الله**
 به من الزوجة والولد ﴿فَذَرَهُمْ﴾ **اتركهم** ﴿يَخُونُوا﴾ **يتكلموا بباطلهم**
 ﴿وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾

الله الواحد لا شفع إلا بإذنه

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ﴾ **معبود بحق** ﴿وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾
 وَتَبَارَكَ ﴿**تكاثر بركة الله، وكثر خيره**﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ
 مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ
 لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ **كيف يصرفون عن التوحيد؟** ﴿وَقِيلَهُ﴾ **قول**

محمد في شكواه ﴿يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ فَأَصْفَحَ عَنْهُمْ ﴿فَأَعْرَضَ عَنْ أَذَاهُمْ﴾ ﴿وَقُلْ سَلَمٌ فُسُوفَ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٩﴾

﴿ ٤٩٥ ﴾

سورة الدخان

سورة الدخان، سورة مكية، فيها التركيز على الإنذار بالعذاب المرتقب من خلال تخويف المكذبين بالرسالات السماوية من عذاب الدنيا والآخرة، ثم ترغيبهم في الرجوع إلى الحق بذكر نعيم المؤمنين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نزول القرآن في ليلة القدر

﴿حَمْدٌ﴾ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ ﴿٣﴾ هِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ﴿٤﴾ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴿٥﴾ فِيهَا يُفْرَقُ ﴿٦﴾ يَقْضَى وَيَفْصَلُ مِنَ اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى الْكِتَابَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ﴿٧﴾ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٨﴾ أَمْرٌ مُحْكَمٌ مِنَ الْأَجَالِ وَالْأَرْزَاقِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ قال ابن عباس: إنك لترى الرجل يمشي في الأسواق، وقد وقع اسمه في الموتى، ثم قرأ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ﴾ الآية، يعني: ليلة القدر، قال: ففي تلك الليلة يفرق أمر الدنيا إلى مثلها من قابل من موت أو حياة أو رزق، كل أمر الدنيا يفرق تلك الليلة إلى مثلها. الشوكاني

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾

إنذار المشركين، وطلبهم كشف الدخان الذي حل بهم

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ ﴿٩﴾ فَأَرْتَقِبْ ﴿١٠﴾ فانتظر بهؤلاء المشركين ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿١١﴾

﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ اختلّفوا في هذا الدخان ووقته على أقوال: أحدها: أنه دخان يجيء قبل قيام الساعة ... والثاني: أن قريشا أصابهم جوع، فكانوا يرون بينهم وبين السماء دخانا من الجوع. فروى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث مسروق، قال: كنا عند عبدالله، فدخل علينا رجل، فقال: جئتك من المسجد وتركت رجلا يقول في هذه الآية: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ يغشاهم يوم القيامة دخان يأخذ بأنفاسهم حتى يصيبهم منه كهية الزكام فقال عبد الله: من علم علما فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، إنما كان هذا؛ لأن قريشا لما استعصت على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد، حتى أكلوا العظام والميتة، وجعل الرجل ينظر إلى السماء، فيرى ما بينه وبينها كهية الدخان من الجهد، فقالوا: ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُ الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ فكشف عنهم، ثم عادوا إلى الكفر، فأخذوا يوم بدر، فذلك قوله: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾، وإلى نحو هذا ذهب مجاهد، وأبو العالية، والضحاك، وابن السائب، ومقاتل ... ابن الجوزي

﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ وقد عرفنا أنه لا منافاة بين كون هذه الآية نازلة في الدخان الذي كان يتراءى لقريش من الجوع، وبين كون الدخان من آيات الساعة وعلاماتها وأشراطها. فقد وردت أحاديث صحاح وحسان وضعاف بذلك، وليس فيها أنه سبب نزول الآية، فلا حاجة بنا إلى التطويل بذكرها، والواجب التمسك بما ثبت في الصحيحين وغيرهما أن دخان قريش عند الجهد والجوع هو سبب النزول، وبهذا تعرف اندفاع ترجيح من رجح أنه الدخان الذي هو من أشراط الساعة، كابن كثير في تفسيره وغيره. الشوكاني

﴿يَغْشَى﴾ **يَعْمُ** ﴿النَّاسُ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١١) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٢) **أَنِّي لَهُمُ الذِّكْرَى** **كيف لهم التذكر والاتعاظ** ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ (١٣) **بين الرسالة، وهو نبينا محمد ﷺ**

﴿أَنِّي لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ هذا يقال يوم القيامة للكفار حين

يطلبون الرجوع إلى الدنيا، فيقال: قد ذهب وقت الرجوع. السعدى

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ **﴿أعرضوا﴾** ﴿وَقَالُوا مُعَلَّمٌ﴾ **﴿علمه بشر أو شيطان﴾** ﴿تَجْنُونُ﴾ ﴿١٤﴾
 إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ **﴿إلى الكفر﴾** ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ
 الْكُبْرَى﴾ **﴿بعذابهم يوم القيامة﴾** ﴿إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾ ﴿١٦﴾

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ فسر ذلك ابن مسعود بيوم بدر. وهذا قول جماعة ممن وافق ابن مسعود على تفسيره الدخان بما تقدم... والظاهر أن ذلك يوم القيامة، وإن كان يوم بدر يوم بطشة -أيضا-. ابن كثير

تذكير المشركين بقوم فرعون

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ **﴿اختبرنا، وابتلينا﴾** ﴿قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ
 كَرِيمٌ﴾ ﴿١٧﴾ **﴿أن أدوا إلى عباد الله﴾** **﴿اتبعوني إلى ما أدعوكم إليه من الحق﴾** ﴿إِنِّي
 لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ﴿١٨﴾

﴿ ٤٩٦ ﴾

﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا﴾ **﴿أن لا تتكبروا﴾** ﴿عَلَى اللَّهِ إِنِّي ءَاتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ﴾ ﴿١٩﴾ **﴿برهان
 وحجة﴾** ﴿وَإِنِّي عُدْتُ﴾ **﴿استجرت﴾** ﴿بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا إِلَى
 فَاعْمَلُوا ﴿٢١﴾ فَدَعَارِبُهُ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ تُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ
 مُتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَأَتْرِكُ الْبَحْرَ رَهْوًا ﴿٢٤﴾ **﴿ساكنًا غير مضطرب﴾** ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُعْرِفُونَ﴾ ﴿٢٥﴾
 كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ **﴿منازل جميلة
 ونعمة﴾** **﴿عيشة وتنعم﴾** ﴿كَانُوا فِيهَا فَكِهَيْنَ﴾ ﴿٢٧﴾ **﴿ناعمين مترفين﴾** ﴿كَذَلِكَ
 وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخِرِينَ﴾ ﴿٢٨﴾ **﴿هم بنو إسرائيل خلفوا الأقباط على بلادهم
 ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ مؤخرين عن العقوبة﴾**

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ قال مجاهد: ما مات مؤمن إلا بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحا، ف قيل له: أو تبكي؟ قال: وما للأرض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود؟! وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دوي كدوي النحل؟! ابن الجوزي

﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ ﴿٣٠﴾ المذل، وهو قتل أبنائهم،
 واستخدام نسائهم ﴿ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا ﴾ متكبراً جباراً ﴿ مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾
 ﴿ ٣١ ﴾ وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿ ٣٢ ﴾ على زمانهم ﴿ وَءَاثِنَهُمْ ﴾
 مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَكُوا مُبِيتٌ ﴿ ٣٣ ﴾ اختبار بين الرخاء والشدة
تهديد لقريش بأنهم إن لم يؤمنوا فإنهم ليسوا بأفضل من
المهلكين قبلهم

﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴾ ﴿٣٤﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴿ ٣٥ ﴾
 بمبعوثين ﴿ فَاتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿٣٦﴾ أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ
 قَبْلِهِمْ ﴿ مِنَ الْأُمَمِ الْكَافِرَةِ ﴾ ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ ﴿ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ ﴾ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾
 ﴿ ٣٧ ﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينٍ ﴿ ٣٨ ﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا
 بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ ٣٩ ﴾

﴿ ٤٩٧ ﴾

الترهيب من مصير المكذبين

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يَغْنَى مَوْلَى ﴿ لَا يَدْفَعُ صَاحِبُ ﴾
 ﴿عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ
 ﴿٤٢﴾

﴿يَوْمَ لَا يَغْنَى مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ ﴿ وهم
 المؤمنون؛ فإنه يشفع بعضهم في بعض. ابن الجوزي

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ صاحب الآثام الكبيرة
 ﴿كَالْمُهْلِ﴾ ﴿المدن المذاب﴾ ﴿يَغْلَى فِي الْبُطُونِ﴾ ﴿٤٥﴾ كَغَلَى الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ الماء
 الذي بلغ الغاية في الحرارة ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ﴾ ﴿فجروه، وسوقوه بعنف﴾ ﴿إِلَى
 سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ ﴿٤٧﴾ وسط الجحيم ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾
 ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ على وجه التهكم والتوبيخ لهم

﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ كان أبو جهل يقول: ما بين جبلي مكة أعز وأكرم مني، وكان يجمع أولاده، ويضع بين أيديهم الزبدة وتمر العجوة، ويقول لهم: تزقموا هذا هو الزقوم الذي يهددنا به محمد. الجزائري

﴿ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴾ ﴿٥٠﴾ تشكون

الترغيب بذكر نعيم المؤمنين

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ ﴿٥١﴾ موضع يؤمن فيه الخوف والآفات والأحزان ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ ﴿ الرقيق من الديباج ﴾ ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ الغليظ من الديباج ﴿ مُتَقَابِلِينَ ﴾ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ نساء الجنة الحسان الواسعات العين

﴿ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ اختلف أيما أفضل في الجنة، نساء الآدميات، أم الحور؟ فذكر ابن المبارك قال: وأخبرنا رشدين عن ابن أنعم عن حبان بن أبي جبلة قال: إن نساء الآدميات من دخل منهن الجنة فضلن على الحور العين بما عملن في الدنيا. وروي مرفوعاً إن «الآدميات أفضل من الحور العين سبعين ألف ضعف». وقيل: إن الحور العين أفضل؛ لقوله ﷺ في دعائه: «وأبدله زوجاً خيراً من زوجه». والله أعلم. القرطبي

﴿ يَدْعُونَ فِيهَا ﴾ ﴿٥٥﴾ يطلبون فيها ﴿بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمْنِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى ﴿ التي ذاقوها في الدنيا ﴾ ﴿وَوَقَّعَتْهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ ﴿٥٧﴾ فَضَلَّامٍ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّهَا يَسْرَنَّهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٩﴾ فَارْتَقِبْ ﴿ انتظر نصرك وهلاكهم ﴾ ﴿إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ منتظرون موتك وهزيمتك

سورة الجاثية

سورة الجاثية، سورة مكية، فيها تقرير أصول العقيدة، ودعوة النبي ﷺ إلى لصبر على الدعوة، وتركز -أيضاً- على معالجة أصحاب الهوى المستكبرين عن

الحق من خلال عرض آيات الله في الكون، والتذكير بالآخرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التفكر في آيات الله

﴿حَمْدٌ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ ﴿يُنْشِرُ وَيُغْرِقُ﴾ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَخَلْقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ ﴿تَقْلِيلِهَا فِي مَهَابِهَا لِمَنْفَعَتِكُمْ﴾ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ أي: متضمنة الحق من الحق، فإذا كانوا لا يؤمنون بها، ولا ينقادون لها، فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون؟! ابن كثير

جزاء الأفلاك الأثيم، وذكر شيء من آيات الله

﴿وَيْلٌ ١﴾ هَلَاكٌ وَدَمَارٌ ﴿لِكُلِّ أَفَّاكٍ ٢﴾ كَذَابٌ ﴿أَثِيمٌ ٣﴾ كَثِيرُ الْإِثْمِ ﴿يَسْمَعُ ٤﴾ آيَاتِ اللَّهِ تُنْذِرُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٥﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا ﴿سَخَرِيَّةٌ ٦﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٧﴾ مِّنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٨﴾

﴿مِّنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: أمامهم جهنم، وذلك يوم القيامة، والوراء يطلق على الأمام كذلك. الجزائري

﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا﴾ أي: ولا يكفي عنهم أموالهم، ولا أولادهم، ولا جاههم، ولا كل ما كسبوا في هذه الدنيا، أي: لا يدفع ذلك عنهم شيئاً من العذاب. الجزائري

﴿هَذَا ١﴾ أَيْ: الْقُرْآنُ ﴿هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّنْ رِّجْزٍ أَلِيمٌ ٢﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ ٣﴾ السَّفُنَ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ٤

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَنْفَكُرُونَ ﴿١٤﴾

﴿ ٤٩٩ ﴾

الصبر على المشركين، وبيان أن حالهم كحال بني إسرائيل

﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ لا يتوقعون وقائعه بأعدائه ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿١٤﴾

﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يأمر الله تعالى رسوله أن يقول لصحابته أيام الخوف في مكة قبل الهجرة اصفحوا، وتجاوزوا عمن يؤذيكم من كفار قريش، ولا تردوا الأذى بأذى مثله بل اغفروا لهم ذلك، وتجاوزوا عنه. وقد نسخ هذا بالأمر بالجهاد. الجزائري

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ﴿التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ ﴿وَالْحُكْمَ﴾ تحكيمها ﴿وَالنَّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٦﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ الفضائل التي فاق بها بنو إسرائيل من الكتاب والحكم والنبوة وغيرها من النعوت قد حصلت كلها لهذه الأمة، وزادت عليهم هذه الأمة فضائل كثيرة، فهذه الشريعة شريعة بني إسرائيل جزء منها، فإن هذا الكتاب مهيمن على سائر الكتب. السعدي ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي: عالمي زمانهم، قال ابن عباس: لم يكن أحد من العالمين في زمانهم أكرم على الله، ولا أحب إليه منهم. البغوي

﴿وَعَاتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ شرائع واضحة في الحلال والحرام، ودلالات تبين الحق من الباطل ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا يَنْتَهُمُ﴾ حسداً وعداوة بينهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ ﴿منهاج واضح

﴿مَنْ أَمَرَ الدِّينَ﴾ فَاتَّبَعَهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ ﴿لَنْ يَدْفَعُوا عَنْكَ﴾ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ﴿أَي: إِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ ﴿وَأَنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ ﴿ضِدَّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾

﴿وَأَنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي: في الدنيا، فيتعاونون على الباطل والشر، أما في الآخرة فلا ينصر بعضهم بعضا، ولا هم ينصرون من قبل أحد. الجزائري

﴿هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ﴾ ﴿يُبْصِرُ النَّاسَ الْحَقَّ بِالْقُرْآنِ﴾ ﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ﴿٢٠﴾

لا يستوي المؤمن والكافر

﴿أَمْ حَسِبَ﴾ ﴿بَلْ ظَنَّ﴾ ﴿الَّذِينَ اجْتَرَحُوا﴾ ﴿اِكْتَسَبُوا﴾ ﴿السَّيِّئَاتِ أَنْ يَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ﴿٢١﴾

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ قال رجل من أهل مكة: هذا مقام تميم الداري، لقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح، أو قرب أن يصبح، يقرأ آية من كتاب الله، ويركع، ويسجد، ويبكي ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الجاثية: ٢١] الآية كلها. وقال بشير: بت عند الربيع بن خيثم ذات ليلة، فقام يصلي، فمر بهذه الآية، فمكث ليله حتى أصبح لم يعدها ببكاء شديد. وقال إبراهيم بن الأشعث: كثيرا ما رأيت الفضيل بن عياض يردد من أول الليل إلى آخره هذه الآية ونظيرها، ثم يقول: ليت شعري! من أي الفريقين أنت؟ وكانت هذه الآية تسمى مبكاة العابدين؛ لأنها محكمة. القرطبي

﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿٢٢﴾

معتقد المشركين والدهرية

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً ۖ غِشَاوَةً ۖ غَطَاءً ۚ فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٢٣)

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ أفرايت يا محمد من اتخذ معبوده هواه، فيعبد ما هوي من شيء دون إله الحق الذي له الألوهة من كل شيء، لأن ذلك هو الظاهر من معناه دون غيره. الطبري
 * قال سعيد بن جبیر: كان أحدهم يعبد الحجر، فإذا رأى ما هو أحسن منه رمى به وعبد الآخر. القرطبي

﴿وَقَالُوا ۖ أَأَيُّ قَالَ مُنْكَرُ الْبَعْثِ ۖ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٢٤)

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ أي: ما ثم إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون وما ثم معاد ولا قيامة. وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقولوه الفلاسفة الإلهيون منهم، وهم ينكرون البدءة والرجعة، ويقولوه الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع، المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه. وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تنهاى، فكابروا المعقول، وكذبوا المنقول. ابن كثير
 ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أنكروا المعاد وكذبوا الرسل الصادقين من غير دليل دلهم على ذلك ولا برهان. السعدي

﴿وَإِذْ أُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٥)

﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ هذا جراءة منهم على الله، حيث اقترحوا هذا الاقتراح، وزعموا أن صدق رسل الله متوقف على الإتيان بآبائهم، وأنهم لو جاءوهم بكل آية لم يؤمنوا إلا إن تبعتهم الرسل على ما قالوا، وهم كذبة فيما قالوا وإنما قصدهم دفع دعوة الرسل لا بيان الحق. السعدي

﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٦﴾

من مشاهد يوم القيامة

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴿بَارَكَةَ عَلَى الرَّكْبِ﴾ ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُخْرَجُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا ﴿دِيوان الحفظه﴾ ﴿يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تَتْلَى عَلَيْهِمْ فَأَسْتَكَبرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا ﴿مَا نتوقع وقوعها إلا توهمًا﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾

﴿٥٠١﴾

﴿وَبَدَأْتُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ﴾ ﴿نزل بهم﴾ ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ﴿٣٣﴾

﴿وَبَدَأْتُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا﴾ أي ظهر لهم في يوم القيامة جزاء سيئات ما عملوه في الدنيا من الشرك والمعاصي. الجزائي

﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَخُكُمْ﴾ ﴿نترككم في العذاب﴾ ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾ ﴿منزلكم ومقركم﴾ ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ ﴿٣٤﴾

﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَخُكُمْ﴾ ثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة: «ألم أزوجك؟ ألم أكرمك؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى، يا رب. فيقول: أفظنت أنك ملاقي؟ فيقول: لا. فيقول الله تعالى: فالיום أنساك كما نسيتني». ابن كثير

﴿ذَلِكُمْ بِأَنكُمُ اخْتَدْتُمْ ءَايَتِ اللَّهِ هُزُوا وَغَرَّتْكُمُ﴾ ﴿خدعتكم﴾ ﴿الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَفُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿لا يطلب منهم أن يرضوا ربهم بالتوبة والطاعة﴾ ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ﴾

العظمة والسلطان والقدرة ﴿ في السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿٣٧﴾

﴿ وَلَهُ الْكِبَرِيَّاتُ ﴾ ورد في الحديث الصحيح: «يقول الله تعالى العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحداً منها أسكنته ناري». ابن كثير، والحديث في أبي داود

سورة الأحقاف

سورة الأحقاف، سورة مكية، تركز على إقامة الحجة على المكذبين بالوحي وأصول العقيدة، وإنذارهم بالعذاب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من ضلال المشركين

﴿ حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ لا عبثاً ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ وهو وقت فنائها ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾

﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ أي: لا عبثاً ولا سدى، بل ليعرف العباد عظمة خالقهما، ويستدلوا على كماله، ويعلموا أن الذي خلقهما على عظمهما قادر على أن يعيد العباد بعد موتهم للجزاء، وأن خلقهما وبقاها مقدر. السعدي

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ﴾ مشاركة في خلق السماوات ﴿ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرٍ ﴾ بقية ﴿ مَنْ عَلِمَ ﴾ يشهد بصحة فعلكم ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ ﴿ لا أحد أجهل ﴾ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿ وهى الأصنام ﴾ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ ﴿ الأصنام عن دعاء المشركين ﴾ غَفْلُونَ ﴿٥﴾

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ ﴿٦﴾ وَكَانُوا يُكْفَرِينَ﴾

من أقوال المشركين في الوحي، والرد عليهم

﴿وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴿٨﴾ اخْتَلَقَهُ ﴿٩﴾ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴿١٠﴾ إِنْ عَاقَبْنِي عَلَىٰ افْتِرَائِي ﴿١١﴾ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا نُفِيضُونَ فِيهِ ﴿١٢﴾ تَقُولُونَ فِي الْقُرْآنِ ﴿١٣﴾ كَذَّبَ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٤﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مَنِ الرُّسُلِ ﴿١٥﴾ أَيْ: لَمْ أَكُنْ أَوَّلَ رَسَلِ اللَّهِ إِلَى خَلْقِهِ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴿١٧﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿١٨﴾ إِنْ أُنِيعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ ﴿٢٠﴾ أَخْبَرُونِي ﴿٢١﴾ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَقَامَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ﴿٢٢﴾ أَيْ: أَلَسْتُ حِينَئِذٍ ظَالِمِينَ ﴿٢٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٤﴾

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ أي: وقد شهدت بصدقه وصحته الكتب المتقدمة المنزلة على الأنبياء قبلي، بشرت به وأخبرت بمثل ما أخبر هذا القرآن به. وقوله: ﴿فَقَامَنَ﴾ أي: هذا الذي شهد بصدقه من بني إسرائيل لمعرفته بحقيقته ﴿وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ أنتم: عن اتباعه. وقال مسروق: فآمن هذا الشاهد بنبيه وكتابه، وكفرت أنتم بنبيكم وكتابكم. ابن كثير

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَسْقُوْنَهُ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ كَذَبَ مَأْثُورٌ عَنِ الْأَقْدَمِينَ﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ أي: قالوا عن المؤمنين بالقرآن: لو كان القرآن خيرا ما سبقنا هؤلاء إليه، يعنون بلالا، وعمارا، وصهيبا، وخبابا، وأشباههم، وأقرانهم من المستضعفين، والعبيد، والإماء، وما ذاك إلا لأنهم عند أنفسهم يعتقدون أن لهم عند الله وجاهة، وله بهم عناية. وقد غلطوا في ذلك غلطا فاحشا. ابن كثير

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا﴾ هادياً يأتون به ويعملون وهو أكمل الكتب

بعد القرآن ﴿وَرَحْمَةً وَهَذَا﴾ **أى: القرآن** ﴿كَتَبْتُ مُصَدِّقًا﴾ **لكتب قبله**
 ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٢﴾ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا**
اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا ﴿ثَبَّتُوا عَلَى الطاعة﴾ **فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴿١٣﴾
 أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

﴿٥٠٣﴾

عاقبة من استقام على الفطرة في التوحيد وبر الوالدين

﴿وَوَصَّيْنَا﴾ **أمرنا، وألزمنا** ﴿الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا﴾ **على**
مشقة ﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصَّلُهِ﴾ **فطامه** ﴿ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ
أَشَدَّهُ ﴿**نهاية قوته البدنية والعقلية**﴾ **وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ **ألهمني**
 ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ**
وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ﴿إِنِّي بَتَّ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿١٥﴾

﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ في هذه الآية دليل على أنه ينبغي لمن بلغ عمره أربعين سنة
 أن يستكثر من هذه الدعوات. الشوكاني

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي﴾ **في جملة**
 ﴿أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوْعَدُونَ﴾ ﴿١٦﴾

عاقبة من انحرف

﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أَفِ لَكُمَا﴾ **قبحاً لكما** ﴿أَتَعِدَانِي أَنْ أَخْرَجَ﴾ **أبعث من**
قبري حياً ﴿وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ **مضت الأمم السابقة، ولم يخرج منها**
أحد من قبره ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾ **يسألان الله هدايته** ﴿وَيْلَكَ ءَامِنٌ إِنَّ وَعْدَ
اللَّهِ حَقٌّ ﴿فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٧﴾ **ما سطره الأولون من الأكاذيب**
في كتبهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ **وجب عليهم العذاب** ﴿فِي
أَمْرِ﴾ في جملة أمم كافرة ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ **مضت** ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ
كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ ﴿١٨﴾ **ولكل فريق من الأشقياء منازل
في القيامة ﴿وَلِيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿١٩﴾ **ويوم يعرض الذين كفروا على النار****

وَيَقَالُ لَهُمْ تَوْبِيخًا ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمَنْعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ عَذَابُ الْخِزْيِ وَالْهَوَانِ ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ ﴿٢٠﴾

﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ عن عمر قال: دخلت على رسول الله ﷺ فإذا هو مضطجع على رمال حصير قد أثر الرمال بجنبه، فقلت: يا رسول الله، ادع الله، فليوسع على أمتك؛ فإن فارس والروم قد وسع عليهم، وهم لا يعبدون الله، فقال: «أولئك قوم قد عجلوا طيباتهم في الحياة الدنيا» ... وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد أخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أوديت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أتت علي ثلاثون من بين ليلة ويوم ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال». البغوي، ويراجع في الحديث الأول: البخاري، والثاني: الترمذي.

﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ قال قتادة: ذكر لنا أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لو شئت كنت أطيبكم طعامًا، وألينكم لباسًا، ولكني أستبقي طيباتي للآخرة. ولما قدم عمر الشام صنع له طعام لم ير قط مثله، قال: هذا لنا! فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وما شبعوا من خبز الشعير؟! فقال خالد ابن الوليد: لهم الجنة، فاغرورت عينا عمر بالدموع، وقال: لئن كان حظنا من الدنيا هذا الحطام، وذهبوا هم في حظهم بالجنة فلقد باينونا بونا بعيدا. القرطبي

﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ أتى عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بطعام وكان صائما، فقال: «قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، كفن في بردة، إن غطي رأسه؛ بدت رجلاه، وإن غطي رجلاه بدا رأسه - وأراه قال: وقتل حمزة وهو خير مني - ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط - أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا - وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام». البخاري

عاقبة المكذبين

﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ ﴿١﴾ هُوَ هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿٢﴾ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ﴿٣﴾ فِي جَنُوبِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ﴿٤﴾ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ ﴿٥﴾ مَضَتْ الرُّسُلُ ﴿٦﴾ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَّ ﴿٨﴾ لَتَصْرِفَنَّا ﴿٩﴾ عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠﴾ قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يَأْتِيكُمْ بِالْعَذَابِ إِنْ شَاءَ ﴿١٢﴾ وَأُبْلِغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِنُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا ﴿١٤﴾ سَحَابًا عَرَضَ فِي السَّمَاءِ ﴿١٥﴾ مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطَرٌ نَحْنُ ﴿١٦﴾ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧﴾

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطَرٌ﴾ قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا عصفت الريح قال: «اللهم، إني أسألك خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به». قالت: وإذا تخيلت السماء تغير لونه، وخرج ودخل، وأقبل وأدبر، فإذا مطرت سري عنه، فعرفت ذلك عائشة، فسألته، فقال: «لعله يا عائشة كما قال قوم عاد: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطَرٌ﴾. ابن كثير، والحديث في الصحيحين.

﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ سلطها الله عليهم ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَحْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾﴾ [الحاقة: ٧] ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ أي: بإذنه ومشئته. السعدي

﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ مرت به مما أرسلت بهلاكه ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾

أهمية أخذ العبرة من مصير من سبق

﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ﴾ أقدراهم، وبسطنا لهم ﴿فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ في الذي لم نمكنكم فيه ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرَ وَأَفْعِدَّةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْعِدَّتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ﴾ نزل

﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٣٦) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ ﴿بَيْنَا لَهُمْ أَنْوَاعَ الْحُجَجِ﴾ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٣٧) فَلَوْلَا ﴿فَهَلَّا﴾ ﴿نَصَرَهُمْ﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ﴿أَصْنَامًا يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى رَبِّهِمْ﴾ ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾ ﴿لَمْ يَنْفَعُوهُمْ عِنْدَ نَزُولِ الْعَذَابِ﴾ ﴿وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ﴾ ﴿كَذِبِهِمْ﴾ ﴿وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (٣٨) ﴿يَكْذِبُونَ﴾

﴿٥٥﴾

فريق من الجن آمنوا بمحمد ﷺ فالبشر أولى؛ لأنهم أعدل

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ﴾ ﴿وَجْهَنَا نَحْوَكَ﴾ ﴿نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ﴾ ﴿فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ﴾ ﴿وَلَوُوا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ (٣٩) ﴿مُحْذِرِينَ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ﴾

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ﴾ عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم، انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب. قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، وانظروا: ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء؟ فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها يبتغون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء؟ فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ وهو بنخلة عامدا إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا -والله- الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك حين رجعوا إلى قومهم، قالوا: يا قومنا، إنا سمعنا قرآنا عجبا، يهدي إلى الرشد فأما به، ولن نشرك بربنا أحدا، وأنزل الله على نبيه: ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ أُسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١]، وإنما أوحى إليه قول الجن. ابن كثير

﴿قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٣٠﴾

﴿قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ لم يذكروا عيسى؛ لأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أُنْزِلَ عليه الإنجيل فيه مواعظ وترقيقات وقليل من التحليل والتحريم، وهو في الحقيقة كالمتمم لشرعية التوراة، فالعمدة هو التوراة؛ فلهذا قالوا: أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ. وهكذا قال ورقة بن نوفل حين أخبره النبي ﷺ بقصة نزول جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ عليه أول مرة، فقال: بخ بخ، هذا الناموس الذي كان يأتي موسى. ابن كثير. «ت».

﴿يَقُومُنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ رسول الله ﷺ ﴿وَأَمِنُوا بِهِ، يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ﴾ ينقذكم ﴿مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ ﴿بِفَاءٍ مِنْ اللَّهِ بِالْهَرَبِ﴾ ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾ أنصار يمنعونه من عذاب الله ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٣٢﴾

دليل الحياة بعد الممات والأمر بالصبر

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ﴾ لم يعجز عن خلقهن، ولم يتعب به ﴿بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٣٣﴾ وَنَوْمٌ يُعْرِضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَأَصْبَرَ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ ﴿ذُوو الثَّبَاتِ وَالصَّبْرِ﴾ ﴿مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ لا تتعجل بطلب عقوبتهم ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ﴾ لقصر الدنيا ﴿بَلَاغٌ﴾ هذا تبليغ من الله لهم ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿٣٥﴾

﴿أُولُوا الْعَزْمِ﴾ قال مجاهد: أولو العزم من الرسل خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ وهم أصحاب الشرائع. الشوكاني

سورة محمد

سورة محمد، سورة مدنية، تتحدث عن الصراع بين المؤمنين والكفار ومصير كل منهم، وفيها شيء من أحوال المنافقين، وتوجيهات عامة للمؤمنين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المؤمنون والكافرون

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلَهُمْ ۖ﴾ (١) ﴿أَحْبَطُهَا وَأَبْطَلُهَا
 ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ
 أزال وحما ﴿عَنْهُمْ سِتَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۖ﴾ (٢) ﴿حَالَهُمْ وَشَأْنَهُمْ ۖ﴾ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ
 كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ ۖ﴾ ﴿الشَّيْطَانُ ۖ﴾ ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ
 اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ۖ﴾ (٣) ﴿فِيَلْحَقِ النَّظِيرُ بِالنَّظِيرِ ۖ﴾ ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ
 الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ ۖ﴾ ﴿أَضَعَفْتُمُوهُمْ، وَكَسَرْتُمْ شُوكَتَهُمْ ۖ﴾ ﴿فَشُدُّوا أَلْوَتَاكَ ۖ﴾
 فَأَحْكُمُوا قَيْدَ الْأَسْرَى ۖ﴾ ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدَ ۖ﴾ ﴿تَمْنُونَ عَلَيْهِمْ بِإِطْلَاقِ الْأَسْرَى مِنْ غَيْرِ
 عَوْضٍ ۖ﴾ ﴿وَإِمَّا فِدَاءً ۖ﴾ ﴿تَطْلُبُونَ مِنْهُمْ فِدْيَةً تَخْلُسُهُمْ مِنَ الْأَسْرِ ۖ﴾ ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ
 أَوْزَارَهَا ۖ﴾ ﴿أَثْقَالَهَا، وَالْمَرَادُ حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ الْحَرْبُ ۖ﴾ ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنْصَرَ مِنْهُمْ
 وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ۖ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۖ﴾ (٤) ﴿يَبْطُلُ
 ثَوَابُ أَعْمَالِهِمْ ۖ﴾ ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُضِلُّهُمْ بِأَلْهَمٍ ۖ﴾ (٥) ﴿شَأْنُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
 وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ۖ﴾ (٦) ﴿بَيْنَهُمْ هُمْ، فَيَهْتَدُونَ إِلَىٰ مَسَاكِنِهِمْ فِيهَا مِنْ غَيْرِ

استدلال

﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ۖ﴾ أي: عرفها أولاً بأن شوقهم إليها، ونعتها لهم،
 وذكر لهم الأعمال الموصلة إليها، التي من جملتها القتل في سبيله، ووقفهم للقيام
 بما أمرهم به، ورغبتهم فيه، ثم إذا دخلوا الجنة عرفهم منازلهم، وما احتوت
 عليه من النعيم المقيم، والعيش السليم. السعدي

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصْرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۖ﴾ (٧) ﴿يَشْتَبِكُمْ عِنْدَ
 الْقِتَالِ، وَيَقْوِي قُلُوبَكُمْ ۖ﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ ۖ﴾ ﴿هَلَاكًا وَخِيبَةً ۖ﴾ ﴿وَأَضَلَّ

أَعْمَلَهُمْ ﴿٨﴾ أَذْهَبَ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿١٠﴾ أَبْطَلَ أَعْمَالَهُمْ ﴿١١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿١٢﴾ عَقُوبَاتٌ مِثْلُهَا ﴿١٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿١٤﴾ وَلِي وَنَاصِرٌ ﴿١٥﴾ وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١٦﴾

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ لهذا لما قال أبو سفيان صخر بن حرب رئيس المشركين يوم أحد حين سأل عن النبي ﷺ وعن أبي بكر، وعمر، فلم يجب، وقال: أما هؤلاء فقد هلكوا، وأجابه عمر بن الخطاب فقال: كذبت يا عدو الله، بل أبقي الله لك ما يسوؤك، وإن الذين عدت لأحياء كلهم . فقال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، أما إنكم ستجدون مثله لم آمر بها، ولم تسؤني، ثم ذهب يرتجز، ويقول: اعل هبل، اعل هبل . فقال رسول الله ﷺ: «ألا تحييه؟» قالوا: يا رسول الله، وما نقول؟ قال: «قولوا: الله أعلى وأجل» ثم قال أبو سفيان: لنا العزى، ولا عزى لكم. فقال: «ألا تحييه؟» قالوا: وما نقول، يا رسول الله؟ قال: «قولوا: الله مولانا، ولا مولى لكم» ابن كثير

﴿٥٠٧﴾

النار والجنة

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ ليس لهم هم إلا بطونهم وفروجهم ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ ﴿١٧﴾ مأوى ومسكن

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ قيل: المؤمن في الدنيا يتزود، والمنافق يتزين، والكافر يتمتع. القرطبي

﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ﴾ وكثير من القرى ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْيِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ حين كذبوا الرسل ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَمِينَةٍ مِّنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ ﴿١٩﴾ مَثَلٌ ﴿٢٠﴾ لِّلْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ

فِيهَا أَنْهَرُ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ عَاسِنٍ ﴿١٥﴾ **غير متغير ولا متن** ﴿١٥﴾ وَأَنْهَرُ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَأَنْهَرُ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَرُ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَلَدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا ﴿١٦﴾ **بالغ الغاية في الحرارة** ﴿١٦﴾ فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَرٌ﴾ في الصحيح: «إذا سألتكم الله فاسألوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، ومنه تفتح أبواب الجنة، وفوقه عرش الرحمن». ابن كثير

بيان شيء من أحوال المنافقين، والأمر بالتوحيد والاستغفار

﴿وَمِنْهُمْ﴾ **من المنافقين** ﴿١٧﴾ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا ﴿١٨﴾ **الآن** ﴿١٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾

﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾ أي: الآن، على جهة الاستهزاء. أي: أنا لم ألتفت إلى قوله. القرطبي

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ ﴿١٧﴾ **ينتظرون** ﴿١٧﴾ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ﴿١٨﴾ **فجأة** ﴿١٨﴾ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴿١٩﴾ **ظهرت علاماتها** ﴿١٩﴾ فَأَنَّى لَهُمْ ﴿٢٠﴾ **من أين لهم؟** ﴿٢٠﴾ إِذَا جَاءَتْهُمْ ﴿٢١﴾ **أي: الساعة** ﴿٢١﴾ ذُكِّرْتُمْ ﴿٢٢﴾ ﴿٢٢﴾ **أن يتذكروا** ويستعبوا، وقد فات الوقت ﴿٢٣﴾ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ ﴿٢٤﴾ **تصرفكم في يقظتكم نهاراً ومثونكم** ﴿٢٥﴾ ﴿٢٥﴾ **مستقركم في نومكم ليلاً**

﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ كان يستغفر في اليوم مائة مرة، وأمر أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات إكراماً لهم، لأنه شفيح مجاب. ابن الجوزي

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ **فيها الأمر بالقتال** ﴿فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ **شك ونفاق** **يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ** ﴿**المغنى عليه من الخوف، ثم** **ذكر ما هو الأولى بحقهم**﴾ **فَأُولَىٰ لَهُمْ** ﴿٢٠﴾ **طاعة وقول معروف** ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ **وجب القتال** ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ ﴿٢١﴾ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ** **فلعلكم** ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ **أعرضتم عن الإيمان** ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ ﴿٢٢﴾

﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ**﴾ أي: فها أمران: إما التزام لطاعة الله، وامتنال لأوامره، فثم الخير والرشد والفلاح، وإما إعراض عن ذلك، وتول عن طاعة الله، فما ثم إلا الفساد في الأرض بالعمل بالمعاصي وقطيعة الأرحام. السعدي

﴿**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّىٰ أَبْصَرَهُمْ**﴾ ﴿٢٣﴾ **لا يسمعون سماع قبول، ولا يبصرون العبر**

الأمر بتدبر القرآن، وعاقبة المخالفين للرسول عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ** أَمْ﴾ **بل** ﴿**عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ ﴿٢٤﴾ **مغلقة، فلا تفهم القرآن**

﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ** أَمْ **عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ قال قتادة: إذا، والله يجدون في القرآن زاجرا عن معصية الله، لو تدبره القوم فعقلوه، ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا عند ذلك. الطبري

﴿**إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ**﴾ **رجعوا كفاراً** ﴿**مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ**﴾ **زين لهم خطاياهم** ﴿**وَأَمَلَىٰ لَهُمْ**﴾ ﴿٢٥﴾ **مد لهم في الأمل** ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ**﴾ **وهم اليهود** ﴿**سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ** وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ ﴿٢٦﴾ **ما يخفونه ويسرونه**

﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ**

الْأَمْرُ ﴿٩٠٩﴾ أي: بأن نتعاون معكم على عداوة الرسول، وبتثييط المؤمنين عن الجهاد، وكان ذلك سرا منهم لا جهره، فأظهره الله لرسوله. الجزائري

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ﴾ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ، فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾
أبطل ثواب أعمالهم.

كشف الخبايا وعاقبة الكفار

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ﴾ ﴿٢٩﴾
أحقادهم

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ﴾ ﴿٢٩﴾ هذا ظن لا يليق بحكمة الله؛ فإنه لا بد أن يميز الصادق من الكاذب، وذلك بالابتلاء بالمحن، التي من ثبت عليها، ودام إيمانه فيها، فهو المؤمن حقيقة، ومن ردته على عقبيه فلم يصبر عليها، وحين أتاه الامتحان، جزع وضعف إيمانه، وخرج ما في قلبه من الضغن، فقد تبين نفاقه، هذا مقتضى الحكمة الإلهية. السعدي

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ ﴿٣٠﴾ علاماتهم الظاهرة ﴿وَلَتَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ ﴿٣١﴾ ما يبدو من كلامهم الدال على ما في قلوبهم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ ﴿٣٢﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ ﴿٣٣﴾ لَنُخَبِّرَنَّكُمْ ﴿٣٤﴾ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ ﴿٣٥﴾ وَنَبْلُوَنَّكُمْ ﴿٣٦﴾ وَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٧﴾

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ ﴿٣٧﴾ كان الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى إذا قرأ هذه الآية بكى، وقال: اللهم لا تبتلنا؛ فإنك إذا بلوتنا فضحتنا، وهتكت أستارنا. الجزائري

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ﴾ ﴿٣٨﴾ خالفوه، وحاربوه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ بِأَعْمَالِهِمْ﴾ ﴿٣٩﴾

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾

﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ أي: حسناتكم بالمعاصي، قاله الحسن. وقال الزهري: بالكبائر. وقال ابن جريج: بالرياء والسمعة. وقال مقاتل والشمالي: بالمن، وهو خطاب لمن كان يمن على النبي ﷺ بإسلامه. وكله متقارب، وقول الحسن يجمعه. وفيه إشارة إلى أن الكبائر تحبط الطاعات، والمعاصي تخرج عن الإيمان.

القرطبي

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ ﴿٣٤﴾

توجيهات عامة للمؤمنين

﴿فَلَا تَهِنُوا﴾ فلا تضعفوا، وتجنبوا ﴿وَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ﴾ الصلح والمسالمة ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ ﴿٣٥﴾ ينقصكم ثواب أعمالكم

﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ أي: لن ينقصكم شيئاً من ثواب أعمالكم، يقال: وتره يتره وترا إذا نقصه حقه. الشوكاني

﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَنَقَّوْا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلَكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ ﴿٣٦﴾ أي كلها أو أكثرها

﴿وَلَا يَسْأَلَكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ أي: لا يريد تعالى أن يكلفكم ما يشق عليكم، ويعنتكم من أخذ أموالكم، وبقائكم بلا مال، أو ينقصكم نقصاً يضركم.

السعدي

﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفَفْكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَنْتَكُمْ﴾ ﴿٣٧﴾ أحقادكم

﴿فَيُحْفَفْكُمْ تَبْخَلُوا﴾ أي: فيجهدكم بالمسألة، ويلحّ عليكم بطلبها منكم فيلحف، ﴿تَبْخَلُوا﴾ يقول: تبخلوا بها وتمنعوها إياه، ضنا منكم بها، ولكنه علم ذلك منكم، ومن ضيق أنفسكم فلم يسألكموها. الطبري

﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَنْتَكُمْ﴾ قال قتادة: (قد علم الله أن في إخراج الأموال إخراج الأضغان). وصدق قتادة؛ فإن المال محبوب، ولا يصرف إلا فيما هو أحب إلى

الشخص منه. ابن كثير

﴿هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَّنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾﴾

﴿ ٥١٠ ﴾

سورة الفتح

سورة الفتح، سورة مدنية، تتحدث عن صلح الحديبية، وفتح خيبر، وما حصل من المؤمنين والكفار والمنافقين وضعيفي الإيمان، وفيها الوعد بفتح مكة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلح الحديبية وموقف المؤمنين والمنافقين منه

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾ هو صلح الحديبية سنة ست من الهجرة

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ قال ﷺ: «لقد أنزلت علي الليلة سورة، هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾» متفق عليه
 * قال الزهري: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية؛ وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين، فسمعوا كلامهم، فتمكن الإسلام في قلوبهم، أسلم في ثلاث سنين خلق كثير، وكثر بهم سواد الإسلام. البغوي، «ت».

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾ دينا لا عوج فيه ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴿٣﴾﴾ قويا لا ضعف فيه

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه، قالت عائشة: يا رسول الله؛ أتصنع هذا، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «يا عائشة أفلا أكون عبدا شكورا» متفق عليه



﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ الطمأنينة والثبات أثناء الصلح ﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لما جرى ما جرى بين رسول الله ﷺ والمشركين من تلك الشروط التي ظاهرها أنها غضاضة عليهم، وحط من أقدارهم، وتلك لا تكاد تصبر عليها النفوس، فلما صبروا عليها، ووطنوا أنفسهم لها، ازدادوا بذلك إيمانا مع إيمانهم. السعدي

﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ﴾ **يمحو** ﴿سَيِّئَاتِهِمْ﴾ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظُنَّ السَّوْءِ ﴿الظن السيئ﴾، بَأَن لَّن يَنْصُرَ اللَّهُ دِينَهُ ﴿عَلَيْهِمْ دَايِرَةُ السَّوْءِ﴾ **إخبار بأنهم يستحقون الدعاء عليهم بأن تدور عليهم دائرة العذاب** ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿٦﴾ **منزلاً يصيرون إليه** ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَزِيْرًا حَكِيمًا﴾ ﴿٧﴾ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٨﴾ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ ﴿تنصروا دين الله﴾ ﴿وَتُوقِرُوهُ﴾ **تعظموا الله** ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ﴿٩﴾ **أول النهار وآخره**

من حضر ومن تخلف عن الحديبية

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهُ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ﴾ **نقض بيعته** ﴿فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١٠﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهُ﴾ فيما بايعوه عليه قولان: أحدهما: أنهم بايعوه على الموت، قاله عبادة بن الصامت.

والثاني: على أن لا يفروا، قاله جابر بن عبد الله. ومعناها متقارب؛ لأنه أراد: على أن لا تفروا، ولو متم. وسميت بيعة؛ لأنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة، وكان العقد مع رسول الله ﷺ فكأنهم بايعوا الله عزَّوَجَلَّ، لأنه ضمن لهم الجنة بوفائهم. ابن الجوزي

﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: كأنهم بايعوا الله، وصافحوه بتلك المبايعة، وكل هذا لزيادة التأكيد والتقوية، وحملهم على الوفاء به. السعدي

﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ أي: فإنما ينقض بيعته؛ لأنه بفعله ذلك يخرج ممن وعده الله الحنة بوفائه بالبيعة، فلم يضرَّ بنكثه غير نفسه، ولم ينكث إلا عليها، فأما رسول الله ﷺ فإن الله تبارك وتعالى ناصره على أعدائه، نكث الناكث منهم، أو وفي بيعته. الطبري

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ الذين تخلفوا عن الخروج معك إلى مكة ﴿مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ البدو ﴿شَعَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسِنْتَهُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (١١)

﴿يَقُولُونَ بِآلِسِنْتَهُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ طلبهم الاستغفار من رسول الله ﷺ يدل على ندمهم، وإقرارهم على أنفسهم بالذنب، وأنهم تخلفوا تخلفا يحتاج إلى توبة واستغفار، فلو كان هذا الذي في قلوبهم، لكان استغفار الرسول نافعا لهم؛ لأنهم قد تابوا وأنابوا، ولكن الذي في قلوبهم، أنهم إنما تخلفوا؛ لأنهم ظنوا بالله ظن السوء. السعدي

﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ﴾ لن يرجع ﴿الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنًّا سَوْءًا﴾ الظن السيئ، وهو أن لا ينصر الله نبيه ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ (١٢) ﴿هَلْ كَى لَا يَصْلَحُونَ لَشَيْءٍ مِنْ خَيْرٍ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ أعدنا ﴿لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ (١٣) ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا

رَحِيمًا ﴿١٤﴾

المخلفون، ورغبتهم في الغنائم

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ ﴿١٥﴾ غَنَائِمٍ خَيْرَ الْتَى وَعَدَ
 اللَّهُ بِهَا مِنْ شَهِدِ الْحَدِيثِ ﴿١٦﴾ لَتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا﴾ اتركونا ﴿نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ
 يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ
 تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ حيث حكم بعقوبتهم، واختصاص
 الصحابة المؤمنين بتلك الغنائم، شرعا وقدرًا.
 ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ إنكم محرومون منها
 بما جنيتهم على أنفسكم، وبما تركتم القتال أول مرة. السعدي
 ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أي: على الغنائم، هذا منتهى علمهم في هذا الموضع،
 ولو فهموا رشدهم، لعلموا أن حرمانهم بسبب عصيانهم، وأن المعاصي لها
 عقوبات دنيوية ودينية. السعدي

﴿٥١٢﴾

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ آخرين أصحاب
 شدة وقوة في الحرب غير خبير ﴿فَقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ﴾ فإن تطيعوا يؤتكم الله
 أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ وهؤلاء القوم فارس
 والروم ومن نحا نحوهم وأشبههم.

﴿فَقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ﴾ أي: إما هذا وإما هذا، وهذا هو الأمر الواقع؛ فإنهم في
 حال قتالهم ومقاتلتهم لأولئك الأقوام، إذ كانت شدتهم وبأسهم معهم، فإنهم
 في تلك الحال لا يقبلون أن يبذلوا الجزية، بل إما أن يدخلوا في الإسلام، وإما
 أن يقاتلوا على ما هم عليه، فلما أثخنهم المسلمون، وضعفوا وذلوا، ذهب
 بأسهم، فصاروا: إما أن يسلموا، وإما أن يبذلوا الجزية. السعدي

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ﴾ **إثم في ترك الجهاد** ﴿وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿١٧﴾

بيعة الرضوان، وفتح خيبر

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ **بيعة الرضوان بالحديبية** ﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ **الطمأنينة والثبات** ﴿عَلَيْهِمْ وَأَثْبَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا﴾ ﴿١٨﴾ **فتح خيبر**

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ أرسل رسول الله ﷺ عثمان بن عفان، قال: «أذهب إلى قريش، فأخبرهم أنا لم نأت لقتال أحد، وإنما جئنا زوارا لهذا البيت، معنا الهدي ننحره وننصرف، فأتاهم فأخبرهم، فقالوا: لا كان هذا أبدا، ولا يدخلها العام، وبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قد قتل، فقال: «لا نبرح حتى نناجزهم»، فذاك حين دعا المسلمين إلى بيعة الرضوان. ابن الجوزي

* هم ألف وأربعمائة الذين بايعوا الرسول ﷺ تحت شجرة سمرة إلا الجد بن قيس الأنصاري؛ فإنه لم يبايع حيث كان لاصقا بإبط ناقته مختبئا عن أعين الأصحاب، وكان منافقا، ومات على ذلك، لا قرت له عين. الجزائري

* عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل من بايع تحت الشجرة كلهم الجنة إلا صاحب الجمل الأحمر» قال: فانطلقنا نبتدره، فإذا رجل قد أضل بغيره، فقلنا: تعال، فبايع. فقال: أصيب بغيري أحب إلي من أن أبايع. ابن كثير

﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ قال بكير بن الأشج: كانت الشجرة بفتح نحو مكة. قال نافع: كان الناس يأتون تلك الشجرة، فيصلون عندها، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، فأوعدهم فيها، وأمر بها فقطعت. ابن الجوزي

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ﴿١٩﴾ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ

كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ ﴿٩١٥﴾ غَنِيمَةٌ خَيْرٌ ﴿٩١٦﴾ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٩١٧﴾

﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ذلك أن يهود المدينة تمالؤوا مع يهود خيبر وبعض العرب على أن يغيروا على دور الأنصار والمهاجرين بالمدينة؛ ليقتلوا من بها وينهبوا ما فيها فكف تعالى أيديهم وصرفهم عما هموا به كرامة للمؤمنين، وقوله ﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: تلك الصرفة التي صرف فيها قلوب من هموا بالغارة على عائلات وأسر الصحابة بالمدينة، وهم غيب بالحديبية. الجزائري

﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: وليكون كفه تعالى ذكره أيديهم عن عيالهم آية وعبرة للمؤمنين به، فيعلموا أن الله هو المتولي حياتهم وكلاءهم في مشاهدهم ومغيبيهم، ويتقوا الله في أنفسهم وأموالهم وأهلهم بالحفظ وحسن الولاية ما كانوا مقيمين على طاعته، متتهين إلى أمره ونهيه. الطبري

﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ وعدكم غنيمة أخرى لم تقدرُوا عليها وقت الخطاب ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ قادر عليها قد وعد بها وسينجز وعده ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ ﴿٩١٨﴾

﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ قال قتادة: بلغنا أنها مكة. وهذا القول الذي قاله قتادة أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن الله أخبر هؤلاء الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة أنه محيط بقرية لم يقدرُوا عليها، ومعقول أنه لا يقال لقوم: لم يقدرُوا على هذه المدينة، إلا أن يكونوا قد راموها فتعذرت عليهم، فأما وهم لم يروموها فتعذر عليهم فلا يقال: إنهم لم يقدرُوا عليها. الطبري

﴿وَلَوْ قَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ﴾ لانهزموا، ولوكم ظهورهم ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوكَ وَيَأْوِي إِلَى الْأَنْصَارِ﴾ ﴿٩١٩﴾ سُنَّةَ اللَّهِ ﴿٩٢٠﴾ طريقتة بنصر جنده وهزيمة أعدائه ﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْدِيَ سُنَّةَ اللَّهِ بَدِيلًا﴾ ﴿٩٢١﴾

من مصالح صلح الحديبية

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ بالحديبية قرب مكة
﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ أقدركم عليهم، فأمسكتهم ببعضهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ ﴿٢٤﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ روى عبد الله بن مغفل قال: كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية في أصل الشجرة، فينا نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شابًا، فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم رسول الله ﷺ فأخذ الله بأبصارهم، فقمنا إليهم فأخذناهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «هل جئتم في عهد؟» أو «هل جعل لكم أحد أمانًا؟» قالوا: اللهم لا، فخلى سبيلهم، ونزلت هذه الآية. ابن الجوزي، والحديث عند أحمد.

﴿هُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَى﴾ البدن التي
ساقها رسول الله ليهدى في الحرم ﴿مَعْكُوفًا﴾ محبوساً ﴿أَنْ يَبْلُغَ مُحَلَّةً﴾ المكان
الذي يحل فيه نحره، وهو الحرم ﴿وَلَوْلَا﴾ المانع من قتالهم هو ﴿رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ
وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ مستضعفون مستخفون بإيمانهم ﴿أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾
خشية أن تهلكوكم إذا حاربتهم الكفار ﴿فَتَضِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ﴾ إثم وعيب
وغرامة ﴿بَغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ في الإسلام ﴿مَنْ يَشَاءُ لَوْ
تَزَلَّلُوا﴾ تميز هؤلاء المستضعفون عن الكفار ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿٢٥﴾

﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ فيها دليل على سد الذرائع،
ومراعاة المصالح والمفاسد.

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾ الأنفة ﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ فَأَنْزَلَ
اللَّهُ سَكِينَتَهُ ﴿الْأَطْمِنَانِ وَالْوَقَارِ﴾ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَهُمْ
كَلِمَةَ التَّقْوَى ﴿هِيَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ حيث أنفوا من كتابة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وأنفوا من دخول رسول الله ﷺ والمؤمنين إليهم في تلك السنة؛ لئلا يقول الناس: «دخلوا مكة قاهرين لقريش» وهذه الأمور ونحوها من أمور الجاهلية، لم تزل في قلوبهم حتى أوجبت لهم ما أوجبت. السعدي

صدق رؤيا الرسول ﷺ

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ﴿٢٧﴾ هو: صلح الحديبية، وفتح خيبر

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ روت عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أن رسول الله ﷺ رأى في النوم كأن قائلًا يقول له: لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين، فأصبح فحدث الناس برؤياه، وأمرهم بالخروج للعمرة، فذكر أهل العلم بالسيرة أنه خرج، واستنفر أصحابه للعمرة، وذلك في سنة ست، ولم يخرج بسلاح إلا السيوف في القرب. ابن الجوزي

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أتيت نبي الله ﷺ فقلت: أأنت نبي الله حقاً؟ قال ﷺ: «بلى». قلت: أألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى». قلت: فلم نعطي الدنيا في ديننا إذا؟ قال: «إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري»، قلت: أو لست كنت تحدثنا أننا سنأتي البيت، ونطوف به؟ قال: «بلى، أفأخبرتكم أنا نأتيه العام؟» قلت: لا. قال: «فإنك آتيه ومطوف به». ابن كثير

﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ وقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق، فلما جاء العام القابل، وفي نفس الأيام من شهر القعدة خرج رسول الله، والمسلمون محرمين يلبون، وأخلت لهم قريش المسجد الحرام، فطافوا بالبيت، وسعوا بين الصفا

والمرءة، وتحللوا من عمرتهم، فمنهم المحلق، ومنهم المقصر. الجزائري

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ﴾ **بالبیان الواضح والعلم النافع** ﴿وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ **ليعليه على الملل كلها** ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾



صفة المؤمنين

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ﴾ **علامتهم** ﴿فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ﴾ **صفتهم** ﴿فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ **ساقه وفرعه** ﴿فَفَازَرَهُ﴾ **قوى ذلك الشطء الزرع** ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ **فصار غليظاً** ﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَى سُوْقِهِ﴾ **فقوى واستوى قائماً على سيقانه** ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ **الزراعين الذين زرعوه** ﴿لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ قال ابن عباس: أما إنه ليس بالذي ترون، ولكنه سيما الإسلام وسخنته وسمته وخشوعه. الطبري
﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ، فَفَازَرَهُ، فَاسْتَغْلَظَ﴾ قال ابن زيد: اجتمع ذلك، فالتفت؛ قال: وكذلك المؤمنون خرجوا، وهم قليل ضعفاء، فلم يزل الله يزيد فيهم، ويؤيدهم بالإسلام، كما أيد هذا الزرع بأولاده، فآزره، فكان مثلاً للمؤمنين. الطبري

﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَى سُوْقِهِ﴾ كذلك الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم كالزرع في نفعهم للخلق واحتياج الناس إليهم، فقوة إيمانهم وأعمالهم بمنزلة قوة عروق الزرع وسوقه، وكون الصغير والمتأخر إسلامه، قد لحق الكبير السابق ووازره وعاونه على ما هو عليه، من إقامة دين الله والدعوة إليه، كالزرع الذي أخرج شطأه، فآزره فاستغلظ، ولهذا قال: ﴿لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ حين يرون اجتماعهم

وشدتهم على دينهم، وحين يتصادمون هم وهم في معارك النزال، ومعامع القتال. السعدي

سورة الحجرات

سورة الحجرات، سورة مدنية، تركز على الرقي بالمجتمع المسلم لکمالات الإيمان والأخلاق، وذلك بعد كثرة الذين أسلموا عام الوفود، واختلاف طبائعهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأدب مع الرسول ﷺ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا﴾ **لا تتقدموا بقول أو فعل** ﴿بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَانْقُؤُوا لِلَّهِ إِنَّا لِلَّهِ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ عن عبد الله بن الزبير أنه قدم ركب من بني تميم على تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد. وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلى -أو: إلا- خلافي، فقال عمر: ما أردت خلاfk، فتمازيا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت في ذلك: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾. ينظر: تفسير ابن كثير، والحديث عند البخاري

* يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي حديث معاذ، إذ قال له النبي ﷺ حين بعثه إلى اليمن: «بم تحكم؟» قال: بكتاب الله. قال: «فإن لم تجد؟» قال: بسنة رسول الله. قال: «فإن لم تجد؟» قال: أجتهد رأيي، فضرب في صدره، وقال: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله، لما يرضى رسول الله». فالغرض منه أنه آخر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة، ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله. ينظر: تفسير ابن كثير والحديث عند أبي داود.

﴿وَانْقُؤُوا لِلَّهِ﴾ التقوى كما قال طلق بن حبيب: أن تعمل بطاعة الله، على نور من

الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخشى عقاب الله.
السعدى

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ
كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ **كراهة أن تبطل** ﴿وَأَنْتُمْ لَا
تَشْعُرُونَ﴾ ﴿٢﴾

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ عن أنس قال: لما نزلت
هذه الآية: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ إلى: ﴿وَأَنْتُمْ لَا
تَشْعُرُونَ﴾ ، وكان ثابت بن قيس بن الشماس رفيع الصوت، فقال: أنا الذي
كنت أرفع صوتي على رسول الله ﷺ حبط عملي، أنا من أهل النار، وجلس في
أهله حزينا، ففقده رسول الله ﷺ فانطلق بعض القوم إليه، فقالوا له: تفقدك
رسول الله ﷺ ما لك؟ قال: أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي ﷺ
وأجهر له بالقول حبط عملي، أنا من أهل النار، فأتوا النبي ﷺ فأخبروه بما
قال، فقال: «لا، بل هو من أهل الجنة». قال أنس: فكنا نراه يمشي بين أظهرنا،
ونحن نعلم أنه من أهل الجنة. فلما كان يوم اليامة كان فينا بعض الانكشاف،
فجاء ثابت بن قيس بن شماس، وقد تحنط، ولبس كفته، فقال: بئسما تعودون
أقرانكم. فقاتلهم حتى قتل. ابن كثير

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ بما أن الله تعالى قد قبض
إليه نبيه، ولم يبق بيننا رسول الله نتكلم معه أو نناجيه، فنخفض أصواتنا عند
ذلك فإن علينا إذا ذكر رسول الله بيننا، أو ذكر حديثه أن نتأدب عند ذلك، فلا
نضحك، ولا نرفع الصوت، ولا نظهر أي استخفاف أو عدم مبالاة، وإلا
يخشى علينا أن تحبط أعمالنا ونحن لا نشعر. الجزائى

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُّونَ﴾ **يخفضون** ﴿أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ
اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَى﴾ **اختبرها، وصفها، وأخلصها لتقواه** ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
عَظِيمٌ﴾ ﴿٣﴾ **إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ﴾ يناديك الأعراب بصوت مرتفع غليظ جاف**
﴿مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ **حجرات زوجاته ﷺ﴾ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٤﴾**

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ أي: لو انتظروا خروجك لكان أصلح لهم في دينهم ودنياهم. وكان ﷺ لا يحتجب عن الناس إلا في أوقات يشتغل فيها بمهمات نفسه، فكان إزعاجه في تلك الحالة من سوء الأدب. القرطبي

الأمر بالتثبت

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾ **بخير** ﴿فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا﴾ **خشية أن تصيبوا** ﴿قَوْمًا بِجَهَلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ عن يزيد بن رومان، أن رسول الله ﷺ بعث إلى بني المصطلق بعد إسلامهم، الوليد بن أبي معيط، فلما سمعوا به ركبوا إليه، فلما سمع بهم خافهم، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره أن القوم قد هموا بقتله، ومنعوا ما قبلهم من صدقاتهم، فأكثر المسلمون في ذكر غزوهم حتى هم رسول الله ﷺ بأن يغزوهم، فبينما هم في ذلك قدم وفدهم على رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، سمعنا برسولك حين بعثته إلينا، فخرجنا إليه لنكرمه، ولنؤدّي إليه ما قبلنا من الصدقة، فاستمرّ راجعا، فبلغنا أنه يزعم لرسول الله ﷺ أنا خرجنا إليه لنقاتله، ووالله ما خرجنا لذلك؛ فأنزل الله في الوليد بن عقبة، وفيهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾ ... الآية. الطبري

* هذه الآية، وإن نزلت في سبب معين، فإنها عامة وقاعدة أساسية هامة فعلى الفرد والجماعة والدولة أن لا يقبلوا من الأخبار التي تنقل إليهم، ولا يعملوا بمقتضاها إلا بعد التثبت والتبين. الجزائري

﴿وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ﴾ **لأدى إلى مشقتكم وعنكم** ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ

وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾

﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ﴾ أي: لو أطاعكم في جميع ما تختارونه لأدى ذلك إلى عنتكم وحر جكم، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١]. ابن كثير

﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٨﴾

من أحكام الفتنة والبغي والنهي عن السخرية

﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ﴾ اعتدت ﴿إِحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرَىٰ فَفَنَّلَا إِلَىٰ تَبَٰغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ترجع إلى حكم الله ﴿وَرَسُولُهُ﴾ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَطُوا ﴿وَاعْدِلُوا﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ العادلين في أحكامهم

﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ سباهم مؤمنين مع الاقتتال. وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه لا يخرج من الإيمان بالمعصية وإن عظمت، لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم. ابن كثير

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿١٠﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُوا ﴿١١﴾ لا يهزأ ويتقص ﴿قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ لا يعب، ولا يطعن بعضكم بعضا ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ لا يدع بعضكم بعضاً بما يكره من الألقاب ﴿يَبْسُ إِلَاسُ الْفُسُوقِ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ بعدما دخلتم في الإسلام ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿١١﴾

﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ وقع من ذلك مستثنى من غلب عليه الاستعمال كالأعرج والأحذب، ولم يكن له فيه كسب يجد في نفسه منه عليه، فجوزته الأمة. القرطبي

﴿يَبْسُ إِلَاسُ الْفُسُوقِ﴾ أي: قبح أشد القبح أن يلقب المسلم بلقب الفسق بعد

أَنْ أَصْبَحَ مُؤْمِنًا عَدْلًا كَامِلًا فِي أَخْلَاقِهِ وَأَدَابِهِ، فَلَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقُولَ لِأَخِيهِ:
يَا فَاسِقُ، أَوْ يَا كَافِرًا، أَوْ يَا عَاهِرًا، أَوْ يَا فَاسِدًا. الْجَزَائِرِي

﴿٥١٦﴾

توجيهات للمؤمنين

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ **هو ظن السوء بالمؤمنين** ﴿إِنَّ بَعْضَ
الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ **ولا تفتشوا عن عورات المسلمين** ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم
بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٢﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ الظن هنا: هو مجرد التهمة التي لا سبب
لها، كمن يتهم غيره بشيء من الفواحش، ولم يظهر عليه ما يقتضي ذلك، وأمر
سبحانه باجتناب الكثير؛ ليفحص المؤمن عن كل ظن يظنه حتى يعلم وجهه؛
لأن من الظن ما يجب اتباعه. الشوكاني

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ عن زيد بن وهب قال: أتى ابن مسعود، فقيل: هذا فلان تقطر
لحيته خمرًا، فقال عبد الله: إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شيء
نأخذ به. القرطبي

﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما
الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن
كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما
تقول فقد بهته». البغوي

* سمع النبي ﷺ رجلين يقول أحدهما لصاحبه: ألم تر إلى هذا الذي ستر الله
عليه، فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب. ثم سار النبي ﷺ حتى مر
بجيفة حمار فقال: «أين فلان وفلان؟ انزلا، فكلا من جيفة هذا الحمار» قالوا:
غفر الله لك يا رسول الله! وهل يؤكل هذا؟ قال: «فما نلتما من أخيكما أنفًا أشد
أكلا منه، والذي نفسي بيده، إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها» ابن كثير في

سياق ذكر قصة رجم ماعز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: إسناده صحيح .

* قيل: من سعادة المرء أن يشتغل بعيوب نفسه عن عيوب غيره ... وقال رجل للحسن: بلغني أنك تغتابني! فقال: لم يبلغ قدرك عندي أن أحكمك في حسناتي. القرطبي

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾
 ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ﴿أَهْلُ الْبَادِيَةِ﴾ ءَأَمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ﴿لَا يَنْقُصُكُمْ مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِكُمْ﴾ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾
 لم تدخل بشاشة الإيمان في قلوبكم، وفي قوله: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾
 أي: وقت هذا الكلام، الذي صدر منكم، فكان فيه إشارة إلى أحوالهم بعد ذلك، فإن كثيرا منهم، من الله عليهم بالإيمان الحقيقي، والجهاد في سبيل الله. السعدي

﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ هؤلاء الأعراب المذكورون في هذه الآية ليسوا بمنافقين، وإنما هم مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم، فادعوا لأنفسهم مقاما أعلى مما وصلوا إليه، فادبوا في ذلك. ابن كثير

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ **لم يشكوا**
 ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾
 قُلْ أَعْلِمُوا أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: جاءت بنو أسد إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، أسلمنا وقاتلتك العرب، ولم نقاتلك،

فقال رسول الله ﷺ: «إن فقههم قليل، وإن الشيطان ينطق على ألسنتهم». ونزلت هذه الآية: ﴿يُمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. ابن كثير

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨﴾

﴿٥١٧﴾

سورة ق

سورة ق، سورة مكية، نجد فيها التركيز على إيقاظ القلوب الغافلة، وهزها لإدراك حقائق البعث والجزاء، وبراهين الآخرة ومشاهدها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنكار الكفار للرسالة والبعث

﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ ﴿١﴾ ذي المجد والشرف

﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ عن ابنة الحارث بن النعمان قالت: «ما حفظت ﴿ق﴾ إلا من في رسول الله ﷺ يخطب بها كل جمعة». قالت: «وكان تنورنا وتنور رسول الله ﷺ واحدا». ابن كثير والحديث في مسلم * وعن أبي واقد الليثي، قال: سألتني عمر بن الخطاب: عما قرأ به رسول الله ﷺ في يوم العيد؟ فقلت: باقربت الساعة، وق والقرآن المجيد. مسلم

﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ حوى من الفصاحة أكملها، ومن الألفاظ أجزلها، ومن المعاني أعمها وأحسنها، وهذا موجب لكمال اتباعه، و سرعة الانقياد له، وشكر الله على المنة به. السعدي

﴿بَلْ عَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ ﴿٢﴾ أَيْ ذَا مِتْنَا وَكُنَّا نُرَآكَ ذَلِكَ رَجَعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ رجوع إلى الحياة بعد الموت بعيد الوقوع ﴿٤﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ﴿٥﴾ تفنى من أجسادهم ﴿٦﴾ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ ﴿٧﴾ حافظ لجميع أفعالهم ، وهو اللوح المحفوظ ﴿٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ

فِي أَمْرِ مَرْيَمَ ﴿٥﴾ مضطرب مختلط لا يثبتون على شيء

قدرة الله على ما هو أكبر من بعثهم

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾
فتوق وشقوق ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ **وسعناها وفرشناها** ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رُوسِيَ﴾ **جبالاً ثوابت** ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾﴾ **نوع حسن المنظر تبصرة** ﴿عبرة يتبصر بها من عمى الجهل ﴿وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾
رجاء إلى الله تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾﴾ **المحصود من البر والشعير** ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ طَوَالاً﴾ ﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾﴾ **ثمر متراكب بعضه فوق بعض** ﴿رَزَقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾

﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ أي: هكذا يكون خروجكم من قبوركم - أيها المنكرون للبعث - ينزل الله من السماء ماء، فتنبتون، وتخرجون من قبوركم، كما يخرج الشجر والزرع من الأرض بواسطة الماء المبارك. الجزائري

تذكير قريش بهلاك الأمم السابقة

﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ الْبَرِّ ﴿١٢﴾ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ **أصحاب الغيضة الكثيفة الملتفة الشجر، وهم قوم شعيب عليه السلام** ﴿وَقَوْمُ ثُعُوبٍ كُلُّ كَذَبٍ أُرْسِلَ فَحَقَّ وَعِيدُ ﴿١٤﴾﴾ **وجب نزول العذاب على الجميع**

﴿وَقَوْمُ ثُعُوبٍ﴾ قوم تبع كذبوا الرسول الذي أرسله الله إليهم، ولم يخبرنا الله من هو ذلك الرسول؟ وأي تبع من التبابعة. السعدي

﴿أَفَعَيْنَا﴾ **أفَعْجَزْنَا وضعفت قدرتنا؟! ﴿بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ خلقكم الذي خلقناه أول مرة بعد العدم** ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ **حيرة وشك** ﴿مَنْ خَلَقَ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ **من البعث**

﴿أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ ابتداء الخلق لم يعجزنا، والإعادة أسهل منه. ابن كثير

كتابة عمل الإنسان في الدنيا وحاله بعد البعث

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾
﴿١٦﴾ عرق في العنق متصل بالقلب

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ هو قرب ذوات الملائكة وقرب علم الله؛ فذاتهم أقرب إلى قلب العبد من حبل الوريد. ابن تيمية في مجموع الفتاوى.

﴿إِذْ يَنْفَلِقُ الْمُلْتَقَيْنِ﴾ الملكان المترصدان ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ ﴿١٧﴾

﴿إِذْ يَنْفَلِقُ الْمُلْتَقَيْنِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ عن قتاده، قال: تلا هذه الحسن فقال: يا ابن آدم بسطت لك صحيفة، ووكل بك ملكان كريهان: أحدهما عن يمينك، والآخر عن شمالك؛ فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك، فاعمل بما شئت، أقلل أو أكثر، حتى إذا مت طويت صحيفتك، فجعلت في عنقك معك في قبرك، حتى تخرج يوما القيامة، فعند ذلك يقول ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ [١٣:١٣]... حتى بلغ ﴿حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣-١٤] عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك. الطبري

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ ملك يرقب قوله، ويكتبه ﴿عَتِيدٌ﴾ ﴿١٨﴾
حاضر معد لذلك

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ﴾ اختلف العلماء: هل يكتب الملك كل شيء من الكلام؟ وهو قول الحسن وقتادة، أو إنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب، كما هو قول ابن عباس، على قولين، وظاهر الآية الأول؛ لعموم قوله: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾. ابن كثير

* قال سفيان: بلغني أن كاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات، فإذا أذنب قال له. لا تعجل لعله يستغفر. الطبري

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ تهرب وتروغ ﴿١٩﴾

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ في الصحيح عن عائشة أن رسول الله ﷺ كانت بين يديه ركوة - أو علبة - فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء، فيمسح بهما وجهه، ويقول: «لا إله إلا الله إن للموت سكرات» ثم نصب يده، فجعل يقول: «(في الرفيق الأعلى) حتى قبض، ومالت يده. خرجه البخاري. القرطبي

* وعن إسماعيل بن أبي خالد، عن البهي قال: لما أن ثقل أبو بكر رضي الله عنه جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت:

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى

إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال: ليس كذلك، ولكن قولي: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ ابن كثير

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعْدِ﴾ ﴿٢٠﴾
 ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ ﴿٢١﴾ ملكان: أحدهما يسوقها إلى المحشر،
 والآخر يشهد عليها بما عملت ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾ حجاب غفلتك عن الآخرة ﴿فَبَصَّرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ ﴿٢٢﴾ شديد قوي

﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَّرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ ينظر ما يزعجه ويروعه، من أنواع العذاب والنكال. السعدى

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ الملك الكاتب الذي يشهد عليه ﴿هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٍ﴾ ﴿٢٣﴾ ما
 عندي من ديوان عمله معد محفوظ حاضر ﴿أَلْقِيَا﴾ اطرحا أيها الملكان ﴿فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ﴿٢٤﴾ مَنَاءٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ ﴿ظَالِمٌ مَّتَجَاوَزٌ لِلْحَدِّ﴾ ﴿٢٥﴾ مُرِيبٌ ﴿شَاكٍ فِي وَعْدِ اللَّهِ وَوَعِيدِهِ﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ
 ﴿٢٦﴾ ﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾ شيطانه الذي كان يصاحبه في الدنيا ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ ما
 أضللته ﴿وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿٢٧﴾

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ يعني: الشيطان الذي قيص لهذا الكافر العنيد تبرأ منه وكذبه. القرطبي

﴿ قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴾ ﴿٢٨﴾ **أَي: أُرْسَلْتُ لَكُمْ رَسُولًا يَنْذِرُونَكُمْ** ﴿ مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ ﴿٢٩﴾

جهنم - الجنة

﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ ﴿٣٠﴾ **هل من زيادة من الجن والإنس**

﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ **أي: لا تزال تطلب الزيادة، من المجرمين العاصين، غضبا لربها، وغيظا على الكافرين، وقد وعدّها الله ملاءها، كما قال تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩] حتى يضع رب العزة عليها قدمه الكريمة المنزهة عن التشبيه، فينزوي بعضها على بعض، وتقول: قط قط، قد اكتفيت وامتألت. السعدي**
وقد جاء في الصحيحين عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «يلقى في النار، وتقول: هل من مزيد، حتى يضع قدمه، فتقول: قط قط».

﴿ وَأَزْلَفْتُ الْجَنَّةَ ﴾ **قربت** ﴿لِلْمُنْقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ ﴿٣١﴾ **هَذَا مَا تُوعِدُونَ لِكُلِّ آوَابٍ** ﴿رجاء إلى الله بالتوبة﴾ ﴿حَفِيطٍ﴾ ﴿٣٢﴾ **حافظ لكل ما يقر به من ربه من الطاعات** ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ ﴿٣٣﴾ **تائب مقبل على الطاعة**

﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ **أي: مغيبه عن أعين الناس، وهذه هي الخشية الحقيقية، وأما خشيته في حال نظر الناس وحضورهم فقد تكون رياء وسمعة، فلا تدل على الخشية، وإنما الخشية النافعة خشية الله في الغيب والشهادة. السعدي**

﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ **دخولاً مقروناً بالسلامة من الآفات** ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ ﴿٣٤﴾ **لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ** ﴿٣٥﴾ **وعندنا زيادة نعيم وأعظمه النظر إلى وجه الله الكريم**

وجوب أخذ العبرة من حال من سبق، والتذكر بيوم القيامة، والأمر بالصبر والصلاة

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا ﴿٣٦﴾ كَثِيرًا أَهْلَكْنَا ﴿قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ ﴿أُمَمٌ ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا ﴿قُوَّةً وَسطوة ﴿فَنَقَبُوا ﴿فَبَحِثُوا وَفَتَشُوا ﴿فِي الْإِلْدِ هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ ﴿مَهْرَبٍ مِنَ الْمَوْتِ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ ﴿أَصْغَى السَّمْعَ ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وهو حاضر بقلبه غير غافل، ولا لاه ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ تعب ونصب

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُّغُوبٍ﴾ عن قتادة قال: قالت اليهود: إن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام، ففرغ من الخلق يوم الجمعة، واستراح يوم السبت، فأكذبهم الله، وقال: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُّغُوبٍ﴾. الطبري

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴿صَلِّ حَامِدًا لَهُ ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ﴿صَلَاةَ الْفَجْرِ ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ صَلَاةَ الْعَصْرِ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُودِ ﴿٤٠﴾ عَقِبَ الصَّلَاةِ ﴿وَأَسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ ﴿الْمَلِكِ الْمُوَكَّلِ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ، وهو إسرأفيل عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ ﴿نَفْخَةُ الْبَعْثِ ﴿بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ مِنَ الْقُبُورِ ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ الْمَرْجِعُ وَالْمَالُ ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ ﴿تَتَصَدَّقُ ﴿عَنْهُمْ سَرَاعًا ﴿فِيُخْرِجُونَ مُسْرِعِينَ ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سَرَاعًا﴾ في صحيح مسلم عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول من تنشق عنه الأرض». ابن كثير

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴿بِمَسْلُطٍ تَجْبِرُهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ ﴿فَذَكَّرَ بِالْقُرْءَانِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ يخشى وعيدي

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي: يقولون لك، مما يحزنك من الأذى، وإذا كنا أعلم بذلك فقد علمت كيف اعتناؤنا بك، وتيسيرنا لأمرورك، ونصرنا لك على أعدائك، فليفرح قلبك، ولتطمئن نفسك، ولتعلم أننا أرحم بك وأرأف، من نفسك، فلم يبق لك إلا انتظار وعد الله، والتأسي بأولي العزم، من رسل الله، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ أي: مسلط عليهم. ينظر: تفسير السعدي.

سورة الخاريات

سورة الذاريات، سورة مكية، فيها الدعوة للتوحيد، وتحقيق العبودية لله المتفرد بالرزق، وبيان عقوبة المكذبين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صدق المعاد

﴿وَالَّذَرِيَّتِ ذَرْوًا﴾ ١ ﴿قَسَمَ بِالرِّيحِ الْمِثْرَاتِ لِلتُّرَابِ﴾ ٢ ﴿فَالْحَمِلَتِ وَقْرًا﴾ ٣ ﴿فَالسَّحْبُ الْحَامِلَاتِ ثِقْلًا عَظِيمًا﴾ ٤ ﴿فَالْجَرِيَّتِ يُسْرًا﴾ ٥ ﴿فَالسَّفْنُ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحَارِ بَيْسَرًا﴾ ٦ ﴿فَالْمَقْسَمَتِ أَمْرًا﴾ ٧ ﴿فَالْمَلَائِكَةُ الَّتِي تَقْسِمُ أَمْرَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ﴾ ٨ ﴿إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ ٩ ﴿وَلِإِنِّ الدِّينَ لَوْفِعٌ﴾ ١٠ ﴿الْحِسَابُ وَالْجَزَاءُ﴾

(52)

﴿وَأَسْمَاءُ ذَاتُ الْحُبُكِ﴾ ﴿٧﴾ ذات الخلق الحسن، وذات الطرق التي تسير فيها الكواكب ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ ﴿٨﴾ متناقض مضطرب في القرآن والرسول ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ﴾ يصرف عن القرآن والرسول ﴿مَنْ أُولَئِكَ﴾ ﴿٩﴾ من صرف عنه في علم الله، لعلمه أنه لا يؤمن ﴿قُتِلَ الْخَرَّصُونَ﴾ ﴿١٠﴾ قتل ولعن الكذابون الظانون غير الحق

﴿قِيلَ الْخَرَّصُونَ﴾ قال ابن زيد: القوم الذين كانوا يتخرَّصون الكذب على رسول الله ﷺ قالت طائفة: إنما هو ساحر، والذي جاء به سحر، وقالت طائفة: إنما هو شاعر، والذي جاء به شعر، وقالت طائفة: إنما هو كاهن، والذي جاء به كهانة، وقالت طائفة: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أَكْتَتَبَهَا

فَهِىَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ [الفرقان: ٥] يتخَرَّصون على رسول الله ﷺ.
الطبري

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمَرَةٍ﴾ **جهل يغمرهم** ﴿سَاهُونَ﴾ ﴿١١﴾ **غافلون عن أمر الآخرة**
﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ ﴿١٢﴾ **سؤال استبعاد وإنكار: متى يوم الجزاء ؟** ﴿يَوْمَ هُمْ
عَلَى النَّارِ يَفْنُونَ﴾ ﴿١٣﴾ **يُحْرَقُونَ ويعذبون** ﴿ذُقُوا فَنَتَكُمُ﴾ **عذابكم** ﴿هَذَا
الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ ﴿١٤﴾

جزاء المتقين، وصفاتهم

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ﴿١٥﴾ **ءَاخِذِينَ مَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ** ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾
﴿١٦﴾ **كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ ﴿١٧﴾ **يَنَامُونَ** ﴿وَبِالْأَسْحَارِ﴾ **آخر الليل قبيل**
الفجر ﴿هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ﴿١٨﴾ **وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ** **للمحتاج الذي يسأل الناس**
وَالْمَحْرُومِ﴾ ﴿١٩﴾ الذي لا يسأل الناس حياء**

﴿وَالْمَحْرُومِ﴾ أي: المتعفف لا يسأل - ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل - ثم
يتحفظ بالتعفف من ظهور أثر الفاقة عليه، فيكون محروما من قبل نفسه حين لم
يسأل، ومن قبل الناس حين لا يعطونه، وإنما يفتن له متيقظ. ابن الجوزي
* وقال زيد بن أسلم: هو الذي أصيب ثمره أو زرعه أو نسل ماشيته. وقال
القرطبي: المحروم الذي أصابته الجائحة ثم قرأ ﴿إِنَّا لَمَغْرُمُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ **بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾**
[الواقعة: ٦٦-٦٧]. القرطبي

﴿وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ **وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿٢١﴾ **وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ**
وَمَا تُوعَدُونَ﴾ ﴿٢٢﴾**

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ أي: مادة رزقكم، من الأمطار، وصنوف
الأقذار، الرزق الديني والدنيوي، ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من الجزاء في الدنيا والآخرة،
فإنه ينزل من عند الله، كسائر الأقذار. السعدي

﴿فَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ﴾ **إِنْ مَا وَعَدَكُمْ بِهِ مِنَ الْجَزَاءِ لِحَقٌّ ثَابِتٌ﴾ ﴿مِثْلُ**
مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ﴾ ﴿٢٣﴾

﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ فكما لا تشكون في نطقكم،
فكذلك لا ينبغي الشك في البعث بعد الموت. السعدي

الملائكة في طريقهم لإهلاك قوم لوط عَلَيْهِ السَّلَام

﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿أُضْيَافُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾ ﴿٢٧﴾

﴿ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ ﴿٢٨﴾ سماهم مكرمين؛ لأنهم كانوا ملائكة كراماً عند الله .. وقيل: لأن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أكرمهم بتعجيل قراهم، والقيام بنفسه عليهم، وطلاقة الوجه. البغوي

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿غُرَبَاءُ لَا تَعْرِفُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿فَرَاغٌ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿مَالٍ وَعَدْلٌ بِخَفِيَّةٍ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ يُعْجِلُ سَمِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿فَأَحْسَ فِي نَفْسِهِ مِنْهُمْ﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿خِيفَةً﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿لَا مَتَاعَ لَهُمْ مِنَ الْأَكْلِ﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿هُوَ إِسْحَاقُ﴾ ﴿٤١﴾ ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿فَأَقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿هِيَ سَارَةُ﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿فِي صَرْقٍ﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿صِيحَةٌ وَضُجَّةٌ﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿لَطْمَتِهِ بِيَدِهَا تَعْجَبًا﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٥٠﴾

﴿ ٥٢١ ﴾

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿مَا شَأْنُكُمْ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿وَهُمْ قَوْمُ لُوطَ عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿مُسَوَّمَةً﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿مَعْلَمَةً﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿بِأَنَّهُمْ لِعَذَابِ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٦١﴾ ﴿وَهُمْ بَيْتُ لُوطَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا أَمْرَاتُهُ﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿فِي قَرْيَتِهِمْ أَثَرًا مِنْ الْعَذَابِ بَاقِيًا عَلَامَةً﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿عَلَى قَدَرَةِ اللَّهِ﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿٦٧﴾

إهلاك فرعون وقومه وعاد

﴿وَفِي مُوسَى﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿وَفِي إِرْسَالِنَا مُوسَى﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿إِذْ

أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ **بآيات ومعجزات ظاهرة** ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْبِهِ﴾
فأعرض فرعون مغتراً بقوته وجانبه ﴿وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ ﴿٣٩﴾ **فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ**
فَبَنَدَتْهُمْ فِي الْيَمِّ ﴿فَطَرَحْنَاهُمْ فِي الْبَحْرِ﴾ **وَهُوَ مُلِيمٌ** ﴿٤٠﴾ **آت بما يلام عليه**

﴿**مُليمٌ**﴾ أي: آت بما يلام عليه؛ إذ هو الذي عرض جيشاً كاملاً للهلاك زيادة
 على ادعائه الربوبية، وتكذيبه لموسى وهارون، وهما رسولان. الجزائري

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ ﴿٤١﴾ **التي لا بركة فيها، ولا تأتي بخير**
مَا نَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ **كالشيء البالي**

إِهْلَاكَ قَوْمٍ صَالِحٍ، وَقَوْمٍ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ﴿٤٣﴾ **انتفعوا بحياتكم حتى تنتهي**
أَجَالُكُمْ ﴿فَعَتَوْا﴾ **فتكبروا، وعصوا** ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْغَةُ﴾
الصيحة المهلكة ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ **فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ** ﴿من نهوض ولا
هرب ﴿وَمَا كَانُوا مُنْصَرِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ **وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**
 ﴿٤٦﴾

دلائل التوحيد في الخلق، وحال السابقين مع رسلهم

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ **بقوة وقدرة عظيمة** ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ **لأرجائها**
وَأَنْحَائِهَا ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ **مهدناها، وبسطناها** ﴿فَنِعْمَ الْمَهْدُونَ﴾ ﴿٤٨﴾
وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴿صنفين ونوعين مختلفين ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٤٩﴾
فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ **وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ**
مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾

﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ ﴿٥٢﴾

﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا﴾ **يقول تعالى مسلينا نبيه ﷺ: وكما**
قال لك هؤلاء المشركون، قال المكذبون الأولون لرسولهم. ابن كثير

﴿أَتَوَصَّوْا بِهِ؟﴾ هل وصى بعضهم بعضاً بالتكذيب؟ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ متجاوزون الحد في الكفر ﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ ﴿٥٤﴾ ليس عليك لوم في ذنبهم ﴿وَذَكَرَ فَإِنَّ الدِّكْرَىٰ نُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٥﴾

الحكمة من خلق المكلفين

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا ﴿٥٩﴾ نصيباً من العذاب سينزل بهم ﴿مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ بالعذاب ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ ﴿٦٠﴾

سورة الطور

سورة الطور، سورة مكية، فيها بيان مآل أهل الكفر وأهل الإيمان، والتركيز على دحض شبهات المكذبين من خلال عرض الحجج والبراهين؛ إرغاماً على الإذعان والتسليم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القسم على وقوع العذاب على الكافرين

﴿وَالطُّورِ﴾ ﴿١﴾ قسم بالجبل الذي كلم عليه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَكُتِبَ مَسْطُورٍ﴾ ﴿٢﴾ قسم بالقرآن المكتوب ﴿فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ﴾ ﴿٣﴾ في صحف منشورة مبسوطة ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ ﴿٤﴾

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ بيت فيما ذكر في السماء بحيال الكعبة من الأرض الطبري وقد جاء في الصحيحين أن البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم.

* إذا قرأت هذه الآية، وعلمت أن الله يقسم بهذا البيت الذي في السماء السابعة، ويدخله كل يوم سبعون ألف ملك، تيقنت أن في السماء والأرض عباد غيرك يعبدون الله، لكن ليس لك ولا لغيرك إلا الله، وأنه سبحانه غني عن خلقه، وكل خلقه -بلا استثناء- فقير إليه شاء أم أبى، وهذا الذي يتركه أثر

القرآن في نفوسنا إذا تلوناه وتدبرناه. صالح المغامسي. ليدبروا آياته.

﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾﴾ **قسم بالسما** ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾﴾ **المملوء بالماء**

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ **قيل الموقد ، وقيل : المملوء . ينظر : تفسير الطبري**

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾﴾ **مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾** **ووقت وقوعه هو** ﴿يَوْمَ تَمُورُ
السَّمَاءُ ﴿٩﴾﴾ **تتحرك وتضطرب** ﴿مَوْرًا ﴿٩﴾﴾ **وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾** **فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾** **الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾** **يَوْمَ يَدْعُوتُ ﴿١٣﴾** **يدفعون بعنف
وشدة ﴿١٤﴾** **إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ﴿١٣﴾** **هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾**

﴿ ٥٢٣ ﴾

﴿أَفَسِحْرَ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾﴾ **أَصْلَوْهَا ﴿١٥﴾** **ذوقوا حرها ﴿١٦﴾** **فَاصْبِرُوا أَوْ
لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾**

مَالِ الْمُتَّقِينَ

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ **فَكَهَيْنَ ﴿١٧﴾** **متلذذين ناعمين مسرورين**
﴿بِمَاءٍ انَّهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَّتَهُمُ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾﴾ **كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾** **مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ﴿٢٠﴾** **متقابلة ، وبعضها إلى جنب بعض**
﴿وَزَوْجَتْهُمُ بِحُورٍ ﴿٢١﴾﴾ **نساء بيض عِينِ ﴿٢٠﴾** **واسعات العيون حسانها**
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ ﴿٢٢﴾﴾ **لا يبلغ إيمان آبائهم ﴿٢٣﴾** **الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ
وَمَا أَلْنَتْهُمْ ﴿٢٤﴾** **ما نقصنا الآباء بهذا الإلحاق ﴿٢٥﴾** **مَنْ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ
رَهِيْنٌ ﴿٢٦﴾** **مرهون بعمله لا يحمل ذنب غيره ﴿٢٧﴾** **وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا
يَشْتَهُونَ ﴿٢٨﴾** **يَنْتَرَعُونَ ﴿٢٩﴾** **يتعاطون بينهم، ويناول بعضهم بعضاً ﴿٣٠﴾** **فِيهَا كَأْسٌ ﴿٣١﴾** **من
الخمير ﴿٣٢﴾** **لَا لَعْنٌ فِيهَا ﴿٣٣﴾** **لا كلام ساقط أثناء شربها ﴿٣٤﴾** **وَلَا تَأْتِيهِمْ ﴿٣٥﴾** **ولا يقع
بسببها إثم في قول أو فعل ﴿٣٦﴾** **وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكَوْنٌ ﴿٣٧﴾**
﴿﴿٣٨﴾﴾ **مَصُونٌ مُسْتَوْرٌ فِي أَصْدَافِهِ ﴿٣٩﴾** **وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾** **قَالُوا إِنَّا
كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٤١﴾** **خَائِفِينَ مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٢﴾** **فَمَنْكَ اللَّهُ عَلَيْنَا
وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٤٣﴾** **عَذَابِ النَّارِ الَّتِي تَنْفَذُ فِي الْمَسَامِ ﴿٤٤﴾** **إِنَّا كُنَّا**

مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ ﴿٢٨﴾ الْحَسَنُ كَثِيرُ الْخَيْرِ ﴿الرَّحِيمُ﴾ ﴿٢٨﴾

الأمر بالتبليغ، ورد شبه المشركين

﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ بسبب إنعام الله عليك بالنبوة ﴿بِكَاهِنٍ﴾
يدعى علم الغيب ﴿وَلَا يَجْنُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ أَمْ ﴿بَل﴾ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ ﴿نَنْتَظِرُ﴾
به ﴿رَبِّ الْمُنُونِ﴾ ﴿٣٠﴾ نزول الموت وحوادث الدهر ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ﴾
مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

﴿فَإِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ أي: نترصد بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده، أو بأيدينا. السعدي

﴿ ٥٢٤ ﴾

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَمُهُمْ﴾ عقولهم ﴿بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ متجاوزون الحد في العصيان

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَمُهُمْ بِهَذَا﴾ قال المفسرون: كانت عظماء قريش توصف بالأحلام، وهي: العقول، فأزرى الله بحلومهم؛ إذ لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل. وقيل لعمر بن العاص: ما بال قومك لم يؤمنوا، وقد وصفهم الله تعالى بالعقول؟! فقال: تلك عقول كادها بارئها، أي: لم يصحبها التوفيق. ابن الجوزي

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ﴾ اختلق القرآن من عند نفسه ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴿٣٤﴾

﴿فَليأتوا بحديث مثله﴾ فليأت قائلو ذلك له من المشركين بقرآن مثله؛ فإنهم من أهل لسان محمد ﷺ ولن يتعذر عليهم أن يأتوا من ذلك بمثل الذي أتى به محمد ﷺ إن كانوا صادقين في أن محمداً ﷺ تقوله وتخلقه. الطبري

أسئلة لمن كان له عقل من المشركين ممن ينكر البعث

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ ﴿٣٥﴾

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ عن جبير بن مطعم سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ (٢٥) أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿ ٣٦ ﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصْطَبِرُونَ ﴿ ٣٧ ﴾ قال: كاد قلبي أن يطير. ينظر صحيح البخاري

﴿ أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴾ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ ﴿ خزائن رزقه ورحمته، فيمنعوا النبوة عمن شاؤوا ﴾ (٣٧) أَمْ هُمُ الْمُصْطَبِرُونَ ﴿ المتسلطون الجبارون ﴾ (٣٨) أَمْ لَهُمْ سُلُمٌ ﴿ مصعد إلى السماء ﴾ (٣٩) يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ﴿ فيفيد أنهم على حق ﴾ (٤٠) فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿ بحجة بينة تصدق دعواه ﴾ (٤١) أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿ ٣٩ ﴾

﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ ﴾ كما زعمتم ﴿ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴾ فتجمعون بين المحذورين: جعلكم له الولد، واختياركم له أنقص الصنفين؟ فهل بعد هذا التنقص لرب العالمين غاية أو دونه نهاية؟ السعدي

﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ ﴾ من التزام غرامة تطلبها منهم ﴿ مُثْقَلُونَ ﴾ (٤٠) ﴿ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْنُبُونَ ﴾ (٤١) ما كانوا يعلمونه من الغيوب ﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ﴾ مكرًا ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴾ (٤٢) يرجع مكرهم على أنفسهم

﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴾ لم يبق الكفار من مقدورهم من المكر شيئاً إلا فعلوه، فنصر الله نبيه ودينه، عليهم وخذلهم وانتصر منهم. السعدي ﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٤٣)

عناد المشركين، ومآلهم، ووصايا للرسول ﷺ

﴿ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا ﴾ قطعاً ﴿ مِنْ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴾ (٤٤) متراكم بعضه فوق بعض ﴿ فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾ (٤٥) يهلكون ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ ﴾ لا يدفع عنهم ﴿ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (٤٦) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ ﴿ قبل ذلك يقع في الدنيا عليهم وفي البرزخ ﴾ وَلَكِنَّ

أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴿٤٨﴾ نَزَهَ رَبُّكَ
 حَامِداً لَهُ ﴿٤٩﴾ حِينَ تَقُومُ ﴿٥٠﴾ لِلصَّلَاةِ وَمَنْ نَوْمِكَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ أَلْبَلٍ فَسَبِّحْهُ ﴿٥٢﴾ نَزَهَهُ،
 وعظمه، وصل له ﴿٥٣﴾ وَإِذْ بَرَ النُّجُومِ ﴿٥٤﴾ نَزَهَهُ وصل له صلاة الصبح وقت
 غيبة النجوم

﴿ ٥٢٥ ﴾

سورة النجم

سورة النجم، سورة مكية، تركز على قضية صدق الوحي وعلو مصدره،
 وإثبات عقيدة التوحيد، وإبطال عقيدة الشرك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الوحي من الله

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ ﴿١﴾ قسم بالثريا إذا غابت

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ الصواب من القول في ذلك عندي ما قاله مجاهد من أنه عنى
 بالنجم في هذا الموضع: الثريا، وذلك أن العرب تدعوها النجم. الطبري

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ ما حاد عن الحق ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ ﴿٢﴾ ما اعتقد باطلاً قط
 ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ﴿٣﴾ إِنَّ هُوَ ﴿٤﴾ أَيْ: القرآن والسنة ﴿إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ ﴿٥﴾
 عَلَّمَهُ، شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٦﴾ ملك شديد القوة، وهو: جبريل ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ صاحب
 منظر حسن ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ ﴿٧﴾ ظهر مستوياً على صورته الحقيقة للرسول
 ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ ﴿٨﴾ ثُمَّ دَنَا ﴿٩﴾ اقترَب جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ نَبِينَا مُحَمَّدٍ ﷺ
 ﴿فَدَدَلَنِي﴾ ﴿١٠﴾ فزاد في القرب ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ كان دنوه مقدار قوسين
 ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ ﴿١١﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَيَّ عَبْدِهِ ﴿١٢﴾ وهو: نبينا محمد ﴿مَا أَوْحَىٰ﴾ ﴿١٣﴾ مَا
 كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١٤﴾

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ أي: ما كذب فؤاد محمد ﷺ ما رآه بصره ليلة المعراج.
 الشوكاني

﴿ أَفْتَمَرُونَهُ ﴾ أَتَكْذِبُونَ مُحَمَّدًا، فَتَجَادِلُونَهُ ﴿ عَلَى مَا يَرَى ﴾ ﴿١٢﴾

الإسراء بالنبي ﷺ ورؤيته لجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ مرة أخرى وبعض آيات الله

﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ ﴿١٣﴾ مرة أخرى في صورته الخلقية

﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ قالت عائشة: لم يره في صورته التي خلق عليها إلا مرتين، رآه منهبطاً من السماء إلى الأرض، ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض. أخرجاه في الصحيحين. ابن كثير

﴿ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴾ ﴿١٤﴾ شجرة نبق في السماء السابعة

﴿ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴾ قال المفسرون: وإنما سميت سدرة المنتهى؛ لأنه إليها تنتهى ما يصعد به من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها، فيقبض منها، وإليها ينتهي علم جميع الملائكة. ابن الجوزي

﴿ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴿١٦﴾

﴿ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴾ أي: يغشاها من أمر الله، شيء عظيم لا يعلم وصفه إلا الله عَزَّوَجَلَّ. السعدي

﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ ﴾ ما مال بصره يميناً ولا شمالاً ﴿ وَمَا طَغَى ﴾ ﴿١٧﴾ ما جاوز ما أمر برؤيته لكماله وأدبه ﴿ لَقَدْ رَأَى ﴾ ليلة المعراج ﴿ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ ﴿١٨﴾

الرد على المشركين

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّى ﴾ ﴿١٩﴾ أسماء أصنام تعبد في الجاهلية

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ ﴾ بالطائف له أستار وسدنة ... عن ابن عباس : ﴿ اللَّتَّ وَالْعُزَّى ﴾ قال: كان اللات رجلاً يلت السوق، سوق الحاج. قال ابن جرير: وكذا العزى من العزيز. وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة، وهي بين مكة والطائف ... وأما «مناة» فكانت بالمشلل عند قديد، بين مكة والمدينة ... وإنما أفرد هذه بالذكر؛ لأنها أشهر من غيرها. ابن كثير

﴿وَمَنُوءَ﴾ اسم صنم كذلك ﴿الثَّالِثَةَ الْآخِرَى﴾ ﴿٢٠﴾

﴿وَمَنُوءَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَى﴾ قيل: إن ذلك للتحقير والذم، وإن المراد المتأخرة الوضيعة كما في قوله: قالت أخراهم لأولاهم أي: وضعواهم لرؤسائهم. الشوكاني

﴿أَلَكُمُ الذَّكْرُ﴾ تفرحون به ﴿وَلَهُ الْأُنثَى﴾ ﴿٢١﴾ حين زعمتم أن الملائكة بنات الله ﴿تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ ﴿٢٢﴾ جائزة ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ حجة تصدق دعواكم فيها ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ ﴿٢٣﴾ أم لِلْإِنْسَانِ مَا تَمْنَى ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي ﴿٢٦﴾ لَا تَنْفَعُ شَفَعُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَرِضَى﴾ ﴿٢٦﴾

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَرِضَى﴾ أي: لا بد من اجتماع الشرطين: إذنه تعالى في الشفاعة، ورضاه عن المشفوع له. ومن المعلوم المتقرر أنه لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجه الله، موافقاً فيه صاحبه الشريعة. السعدي

﴿ ٥٢٦ ﴾

الرد على من زعم أن الملائكة بنات الله

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُنَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى﴾ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ﴿٢٨﴾ إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ الظَّنَّ لَا يَغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُنَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى﴾ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ﴿٢٨﴾ الحال أنه ليس لهم بذلك علم، لا عن الله، ولا عن رسوله، ولا دلت على ذلك الفطر والعقول، بل العلم كله دال على نقيض قولهم، وأن الله منزّه عن الأولاد والصاحبة؛ لأنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وأن الملائكة كرام مقربون إلى الله، قائمون بخدمته ﴿لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] والمشركون إنما يتبعون في ذلك القول

القبيح، وهو الظن الذي لا يغني من الحق شيئاً؛ فإن الحق لا بد فيه من اليقين المستفاد من الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة. السعدي

﴿ فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى ﴿ ٣٠ ﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿ ٣١ ﴾ **بالجنة** ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْأَثْمِ وَالْفَوَاحِشِ ﴾ **ما عظم قبحه من الكبائر** ﴿ إِلَّا أَلَمَّ ﴾ **الذنوب الصغار يلم بها بلا إصرار** ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ﴿ ٣٢ ﴾ **فلا تمدحوها** ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾

الذم لمن أشرك ومن أعان على الشرك

﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴾ (٣٢) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿ ٣٤ ﴾ **توقف عن العطاء**

﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴾ (٣٢) **وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى** ﴿ ذكر أن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة، من أجل أنه عاتبه بعض المشركين، وكان قد اتبع رسول الله ﷺ على دينه، فضمن له الذي عاتبه إن هو أعطاه شيئاً من ماله، ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الآخرة، ففعل، فأعطى الذي عاتبه على ذلك بعض ما كان ضمن له، ثم بخل عليه، ومنعه تمام ما ضمن له ... وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول: اشتق قوله: أكدي، من كُذِيَة الركيّة، وهو أن يحفر حتى يئأس من الماء، فيقال حينئذ: بلغنا كُذِيَتِهَا. الطبري

﴿ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴾ (٣٥)

﴿ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴾ ما غاب عنه ويعلم أن صاحبه يتحمل عنه عذابه.

البغوي

﴿ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿ ٣٦ ﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ (٣٧)

﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ قال قتادة: وفي طاعة الله، وأدى رسالته إلى خلقه. وهذا

القول هو اختيار ابن جرير. ابن كثير

﴿أَلَا نَزَرُ وَازِرَةً﴾ أنه لا تحمل نفس آثمة ﴿وَزَرَ أُخْرَى﴾ ﴿٣٨﴾ ثم نفس أخرى ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَى ﴿٤١﴾

من أفعال الله، والإنذار ليوم القيامة

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ ﴿٤٢﴾ انتهاء جميع خلقه يوم القيامة ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ ﴿٤٤﴾

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ يقول تعالى ذكره: وأن ربك هو أضحك أهل الجنة في الجنة بدخولهم إياها، وأبكى أهل النار في النار بدخولهموها، وأضحك من شاء من أهل الدنيا، وأبكى من أراد أن يبيكه منهم. الطبري

﴿ ٥٢٧ ﴾

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ ﴿٤٥﴾ مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْأُخْرَى ﴿٤٧﴾ إعادة خلقهم بعد فنائهم ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ ﴿٤٨﴾ ملكهم الأموال، وأرضاهم بما أعطاهم

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ غنى من أغنى من خلقه بالمال وأقناه، فجعل له قنية أصول أموال. الطبري

﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعَرَى﴾ نجم مضىء كان أهل الجاهلية يعبدونه من دون الله ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴿٥٠﴾ قوم هود عَلَيْهِ السَّلَام ﴿وَتَمُودًا فَمَا أَبْقَى﴾ ﴿٥١﴾ قوم صالح عَلَيْهِ السَّلَام ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾ ﴿٥٢﴾

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾ قال قتادة: ذكر لنا أن الرجل كان يأخذ بيد ابنه، فيمشي به، فيقول: يا بني، إن أبي قد مشى بي إلى هذا، وأنا مثلك يومئذ تتأبعا في الضلالة، وتكذبا بأمر الله. الطبري

﴿وَالْمُؤْنَفَكَةَ﴾ مدائن قوم لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ سميت بذلك؛ لأن الله قلبها على أهلها ﴿أَهْوَىٰ﴾ ﴿٥٣﴾ أسقطها إلى الأرض بعد رفعها ﴿فَفَشَّهَا﴾ فألبسها من الحجارة ﴿مَا عَشَىٰ﴾ ﴿٥٤﴾ فَبَإَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ ﴿آيَاتِ رَبِّكَ﴾ ﴿نَتَعَارَىٰ﴾ ﴿٥٥﴾ تتشكك، أيها الإنسان المكذب

﴿هَذَا نَذِيرٌ﴾ محمد منذر بالحق ﴿مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَىٰ﴾ حاله حال من سبقه ﴿٥٦﴾ أَرَفَتْ ﴿قربت، ودنا وقتها﴾ ﴿الْأَرْفَةُ﴾ ﴿٥٧﴾ القيامة ، سميت بذلك لقرب ميعادها ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ ﴿٥٨﴾ نفس تدفع أهوالها، وتطلع على وقت وقوعها ﴿أَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجُّبُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ وَتَضَحَّكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ ﴿٦١﴾ لا هون معرضون ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ ﴿٦٢﴾

﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس». رواه البخاري وعن الأسود بن يزيد، عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أول سورة أنزلت فيها سجدة: ﴿وَالنَّجْمِ﴾. قال: فسجد رسول الله ﷺ وسجد من خلفه إلا رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه»، فرأيته بعد ذلك قتل كافرا، وهو أمية بن خلف. البخاري ومسلم

سورة القمر

سورة القمر، سورة مكية، تركز على التذكير بالآيات والنذر، وبيان مصير المكذابين بها؛ ولذا تكرر فيها: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدْكِرٍ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عناد المشركين

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ﴿١﴾ انفلق القمر فلتتين معجزة للنبي ﷺ عندما سأله المشركون آية

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ عن أبي واقد الليثي، قال: سألني عمر بن الخطاب: عما قرأ به رسول الله ﷺ في يوم العيد؟ فقلت: بـ ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾، و﴿قَ وَالْقُرْآنِ﴾

الْمَجِيدِ ﴿١﴾ . مسلم

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ ﴿٢﴾ هذا من الله تعالى ذكره إنذار لعباده بدنو القيامة، وقرب فناء الدنيا، وأمر لهم بالاستعداد لأهوال القيامة قبل هجومها عليهم، وهم عنها في غفلة ساهون. الطبري

﴿وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ﴿٣﴾ عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين، حتى رأوا حراء بينهما» متفق عليه.

﴿وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ﴿٤﴾ قال ابن عباس: اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إن فعلت تؤمنون؟» قالوا: نعم، فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما قالوا، فانشق القمر فرقتين، ورسول الله ﷺ ينادي: «يا فلان، يا فلان اشهدوا»، وذلك بمكة قبل الهجرة. ابن الجوزي

﴿وإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ ﴿٥﴾ قوي واستحكم

﴿وإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ ﴿٦﴾ قالوا: سحرنا محمد، ولكن علامة ذلك أنكم تسألون من قدم إليكم من السفر، فإنه وإن قدر على سحركم، لا يقدر أن يسحر من ليس مشاهداً مثلكم، فسألوا كل من قدم، فأخبرهم بوقوع ذلك، فقالوا: ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ ﴿٧﴾ سحرنا محمد، وسحر غيرنا. السعدي

﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ ﴿٨﴾ ﴿٩﴾ منه إلى غاية يستقر عليها

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ ﴿١٠﴾ أي: يستقر بكل عامل عمله، فالخير مستقر بأهله في الجنة، والشر مستقر بأهله في النار. القرطبي

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾ ﴿١١﴾ الأخبار السابقة واللاحقة والمعجزات ﴿١٢﴾ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿١٣﴾ ﴿١٤﴾ كفاية لردعهم عن كفرهم ﴿١٥﴾ حِكْمَةٌ بَلَغَتْ فَمَا تُغْنِ الْأُنذُرُ ﴿١٦﴾ ﴿١٧﴾ قَوْلَ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ ﴿١٨﴾ أمر

فطيع منكم ، وهو موقف الحساب

﴿ ٥٢٨ ﴾

﴿ خُشَّعًا ﴾ ذليلة من شدة الهول ﴿ أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ ﴾ القبور
 ﴿ كَانَهُمْ جُرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴾ ﴿ ٧ ﴾ يذهب يمنة ويسرة من هول الموقف ﴿ مُهْطِعِينَ ﴾
 مسرعين ﴿ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ ﴿ ٨ ﴾

مصير قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴾ ﴿ ٩ ﴾ زجر، ونهر
 عن تبليغ الدعوة ﴿ فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ ﴾ ضعيف عن مقاومتهم ﴿ فَأَنْصَرُّ ﴾
 ﴿ ١٠ ﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿ ١١ ﴾ متدفق ﴿ وَفَجَّرْنَا ﴾ شققنا ﴿ الْأَرْضَ ﴾
 عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ ﴿ ١٢ ﴾ أى: التقى ماء السماء، والماء المتفجر من الأرض ﴿ عَلَى أَمْرٍ ﴾
 قَدِ قُدِّرَ ﴿ ١٣ ﴾ قدره الله فى الأزل ، وهو إهلاكهم بالطوفان ﴿ ١٤ ﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ
 الْوَحْجِ وَدُسِّرُ ﴿ ١٥ ﴾ سفينة ذات ألواح ومسامير شدت بها ﴿ تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا ﴾
 بمرأى منا وحفظ، وفيها إثبات صفة العينين لله سبحانه وتعالى، كما يليق به.
 ﴿ جَزَاءً ﴾ أغرقوا انتصاراً منا ﴿ لِمَنْ كَانَ كُفْرًا ﴾ ﴿ ١٦ ﴾ وهو نوح ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا ﴾
 أبقينا قصة نوح ﴿ ءَايَةً ﴾ عبرة ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ ﴿ ١٧ ﴾ معتبر متعظ ﴿ فَكَيْفَ ﴾
 كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٍ ﴿ ١٨ ﴾ إنذارى ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾
 ﴿ ١٩ ﴾

مصير عاد قوم هود عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿ كَذَبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٍ ﴾ ﴿ ٢٠ ﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا ﴿ ٢١ ﴾ شديدة
 البرد ﴿ فِي يَوْمٍ نَحْسٍ ﴾ يوم شؤم على من عذب ﴿ مُسْتَمِرٍّ ﴾ ﴿ ٢٢ ﴾ دائم الشؤم

﴿ فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴾ أى: فى يوم شؤم مستمر بالنسبة لعاد، وليس كل وقت،
 فالיום الذى أهلكوا فيه ليس هو نفسه نحساً مستمراً، ولكنه بالنسبة لهؤلاء
 كان يوم نحس مستمر. تفسير ابن عثيمين.
 قلت: فهو نحس على المكذبين، ونصر ونجاة للمؤمنين.

﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ ﴾ تقتلعهم، وترمى بهم، فتدق أعناقهم، وتفصل عن أجسادهم
 ﴿ كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مَّنْفَعَرٍ ﴾ (٢٠) أصول نخل بلا رؤوس ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴾
 ﴿ ٢١ ﴾ وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْفُرَّانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿ ٢٢ ﴾

مصير ثمود قوم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿ كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴾ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشْرًا مِّثَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ
 ﴿ ٢٤ ﴾ جنون ﴿ أَلَمْ يَلْقَ الْذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴾ (٢٥) متكبر متجبر

﴿ أَبَشْرًا مِّثَّا .. ﴾ ﴿ أَلَمْ يَلْقَ الْذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ وهذا اعتراض من المكذبين على الله،
 لم يزالوا يدلون به، ويصولون، ويجولون، ويردون به دعوة الرسل، وقد أجاب
 الله عن هذه الشبهة بقول الرسل لأممهم: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ
 مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [إبراهيم: ١١] فالرسل من الله
 عليهم بصفات وأخلاق وكمالات، بها صلحوا لرسالات ربهم والاختصاص
 بوحيه، ومن رحمته وحكمته: أن كانوا من البشر، فلو كانوا من الملائكة لم
 يمكن البشر أن يتلقوا عنهم، ولو جعلهم من الملائكة لعاجل الله المكذبين لهم
 بالعقاب العاجل. السعدي

﴿ سَيَعْمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ ﴾ (٢٦)

﴿ سَيَعْمُونَ غَدًا ﴾ أي: سيرون العذاب يوم القيامة، أو في حال نزول العذاب
 بهم في الدنيا ... غداً على التقريب على عادة الناس في قولهم للعواقب: إن مع
 اليوم غدا. القرطبي

﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ ﴾ اختباراً لهم ﴿ فَارْتَقِبْهُمْ ﴾ فانتظر يا صالح ما يحل
 بهم من العذاب ﴿ وَأَصْطَبِرْ ﴾ (٢٧) اصبر على الدعوة والأذى

﴿ وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ ﴾ مقسوم بين قومك والناقة، لكل يوم ﴿ كُلُّ شَرْبٍ ﴾
 نصيب من الماء ﴿ مُخَضَّرٌ ﴾ (٢٨) يخضره صاحبه في يومه، ويحظر على الآخر

﴿فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ﴾ دعوه ليعقر الناقة ﴿فَنَعَاطَى﴾ فتناول الناقة بيده ﴿فَعَقَرَ﴾
﴿٢٩﴾ فنحر

﴿فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ﴾ صاحبهم هو قدار بن سالف، . البغوي

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخِطَرِ
﴿٣١﴾ كالزرع اليابس الذي يجعل حظاراً على الإبل والمواشى ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا
الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ ﴿٣٢﴾ متعظ

مصير قوم لوط عليه السلام وآل فرعون

﴿كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالْأَنْذَرِ﴾ ﴿٣٣﴾ بآيات الله التي أنذروا بها ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾
حجارة ﴿إِلَّا ءَالَ لُوطٍ نَجَّيْنَهُمْ بِسَحَرٍ﴾ ﴿٣٤﴾ في آخر الليل ﴿رِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾
كذلك نجّزى من شكر ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا ﴿خوفهم لوط عليه السلام بأس
الله﴾ ﴿فَتَمَارَوْا﴾ شكوا، وكذبوا ﴿بِالْأَنْذَرِ﴾ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ ﴿طلبوا
منه أن يفعلوا الفاحشة بهم﴾ ﴿فَطَمَسْنَا﴾ أعمينا، وحجبنا ﴿أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي
وَنُذْرٍ﴾ ﴿٣٧﴾

﴿وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾ فطمسنا أعينهم ﴿قال الضحاك: طمس الله على
أبصارهم، فلم يروا الرسل، فقالوا: لقد رأيناهم حين دخلوا البيت، فأين
ذهبوا؟ فرجعوا ولم يروهم. القرطبي

﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ فذوقوا معشر قوم لوط من سدوم، عذابي الذي حلّ
بكم، وإنذاري الذي أنذرت به غيركم من الأمم من النكال والمثلات. الطبري

﴿وَلَقَدْ صَبَحَهُمْ بُكْرَةً﴾ أول النهار ﴿عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾ دائم متصل بعذاب
الآخرة ﴿٣٨﴾ فذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤٠﴾
﴿وَلَقَدْ جَاءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ أتباعه وقومه ﴿النُّذُرُ﴾ ﴿٤١﴾ الإنذار بالعقوبة ﴿كَذَّبُوا
بِإِيْنِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ غالب قوي لا يغلب ﴿مُقَنْدِرٍ﴾ ﴿٤٢﴾

الوعيد لكفار قريش

﴿أَكْفَارُكُمْ﴾ يا معشر قريش ﴿خَيْرٌ مِنْ أَوْلَئِكَمُ﴾ الذين مضوا ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي

الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ الكُتُبِ الْمُنْزَلَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ ﴿٤٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ﴿٤٥﴾ جَمَاعَةٌ مُتَنَصِّرَةٌ لَا نَغْلِبُ ﴿٤٦﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ ﴿٤٧﴾ جَمَاعَةٌ كُفَّارٌ مَكَّةَ ﴿٤٨﴾ وَتَوَلَّوْنَ الدُّبُرَ ﴿٤٩﴾ يَفْرُونَ مِنْهَازِينَ كَمَا فِي بَدْرٍ ﴿٥٠﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ ﴿٥١﴾ أَعْظَمُ وَأَشَدُّ مَرَارَةً مِمَّا لَحِقَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ فِي بَدْرٍ ﴿٥٢﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٥٣﴾ عَذَابٍ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٥٥﴾ إِيصَابَةٌ جَهَنَّمَ، وَعَذَابُهَا لَكُمْ ﴿٥٦﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٥٧﴾

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض، بخمسين ألف سنة، قال: وكان عرشه على الماء». البغوي، والحديث في مسلم.

﴿ ٥٣٠ ﴾

﴿وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً﴾ إِلَّا قَوْلَةً وَاحِدَةً، وَهِيَ : (كُن) ﴿كَلِمَةٍ بِالْبَصَرِ﴾ ﴿٥٠﴾ سَرِيعًا لَا يَتَأَخَّرُ كَطَرْفَةِ الْعَيْنِ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ ﴿٥٢﴾ أَشْبَاهَكُمْ فِي الْكُفْرِ ﴿٥٣﴾ فَهَلْ مِنْ مَذْكَرٍ ﴿٥٤﴾ مُتَعَطٍّ ﴿٥٥﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٦﴾ مَكْتُوبٌ فِي الْكُتُبِ الَّتِي بِيَدِ الْحَفِظَةِ ﴿٥٧﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٨﴾ مَسْطُورٌ مَكْتُوبٌ فِي صَحَائِفِ أَعْمَالِهِمْ ﴿٥٩﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٦٠﴾ أَنْهَارٍ ﴿٦١﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴿٦٢﴾ مَجْلَسٍ ﴿٦٣﴾ حَقٌّ لَا لُغُوفَ فِيهِ وَلَا تَأْنِيمٍ ﴿٦٤﴾ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْنَدٍ ﴿٦٥﴾

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْنَدٍ﴾ قال جعفر الصادق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مدح الله المكان بالصدق، فلا يقعد فيه إلا أهل الصدق. البغوي

سورة الرحمن

سورة الرحمن، تركز على الإعلام بآلاء الله الباهرة، وآثار رحمته الظاهرة في الدنيا والآخرة؛ ترغيباً في الإيمان، وتحذيراً من الكفران، وفيها مآل أهل النار، ومآل أهل الجنة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من مظهر قدرة الله ونعمه على عباده

﴿الرَّحْمَنُ ١﴾

﴿الرَّحْمَنُ﴾ عن عروة بن الزبير قال: أول من جهر بالقرآن بمكة بعد النبي ﷺ ابن مسعود، وذلك أن الصحابة قالوا: ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر به قط، فمن رجل يسمعه موه؟ فقال ابن مسعود: أنا، فقالوا: إنا نخشى عليك، وإنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه، فأبى، ثم قام عند المقام فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ * الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ ثم تهادى رافعا بها صوته، وقريش في أنديتها، فتأملوا، وقالوا: ما يقول ابن أم عبد؟ قالوا: هو يقول الذي يزعم محمد أنه أنزل عليه، ثم ضربوه حتى أثروا في وجهه. القرطبي

﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ ٢﴾ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ٣﴾ ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ٤﴾ ﴿أَنْ يَبِينَ عَمَّا نَفْسِهِ بِالنُّطْقِ ٥﴾ ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ٦﴾ ﴿يَجْرِيانِ مَتَعَايِينَ بِحَسَابٍ مَّتَقْنٍ لَا يَضْطَرُّ ٧﴾ ﴿وَالنَّجْمُ ٨﴾ ﴿الْكُوكَبُ فِي السَّمَاءِ ٩﴾ ﴿وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ١٠﴾ ﴿وَالسَّمَاءُ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ١١﴾ ﴿وَضَعَ فِي الْأَرْضِ الْعَدْلَ ١٢﴾ ﴿أَلَّا تَطْغَوْا ١٣﴾ ﴿لِئَلَّا تَعْتَدُوا وَتَخُونُوا ١٤﴾ ﴿فِي الْمِيزَانِ ١٥﴾ ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ ١٦﴾ ﴿بِالْعَدْلِ ١٧﴾ ﴿وَلَا تَحْسِرُوا ١٨﴾ ﴿وَلَا تَنْقُصُوا ١٩﴾ ﴿الْمِيزَانَ ٢٠﴾ ﴿وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ٢١﴾ ﴿مَهْدَهَا لِيَسْتَقَرَّ عَلَيْهَا الْخَلْقُ ٢٢﴾ ﴿فِيهَا فَكِّهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ٢٣﴾ ﴿الْأَوْعِيَةِ الَّتِي يَكُونُ مِنْهَا التَّمَرُ ٢٤﴾

﴿فِيهَا فَكِّهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ المراد بها كل ما يتفكه به من أنواع الثمار. ثم أفرد سبحانه النخل بالذكر؛ لشرفه ومزيد فائدته على سائر الفواكه. الشوكاني

﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ﴾ أي: وفي الأرض الحب من بر وشعير، وعصفه: تبته. ﴿رِزْقًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ﴿وَالرَّيْحَانُ ١٢﴾ ﴿كُلُّ نَبْتٍ طِيبٍ الرَّائِحَةُ ١٣﴾ ﴿فِي آيَاتِ آلاءِ﴾ نعم ﴿رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ١٤﴾ يا معشر الإنس والجن

ومن مظاهر خلقه ونعمه

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ١﴾ ﴿آدَمَ ٢﴾ ﴿مِنْ صَلْصَلٍ ٣﴾ طين يابس يسمع له صلصلة

﴿كَالْفَخَّارِ﴾ هو الطين الذي يطبخ ليتحجر ﴿١٤﴾ ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾
 إبليس ﴿مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿هَبْ النَّارَ الْمَخْتُلَطَ بَعْضُهُ بَعْضٌ﴾ ﴿فَبَآئِيَ﴾
 ءَالَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ ﴿مَشْرِقَ الشَّمْسِ فِي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾
 ﴿وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿مَغْرِبَ الشَّمْسِ فِي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ ﴿فَبَآئِيَ ءَالَاءَ رَبِّكُمَا﴾
 تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾

﴿فَبَآئِيَ ءَالَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قال الزجاج: لما ذكر الله تعالى في هذه السورة ما يدل على وحدانيته من خلق الإنسان، وتعليم البيان، وخلق الشمس والقمر والسماء والأرض، خاطب الجن والإنس، فقال: ﴿فَبَآئِيَ ءَالَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: فبأي نعم ربكما تكذبان من هذه الأشياء المذكورة؟ ابن الجوزي * وما أحسن جواب الجن حين تلا عليهم النبي ﷺ هذه السورة، فما مر بقوله: ﴿فَبَآئِيَ ءَالَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلا قالوا: ولا شيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد، فهذا الذي ينبغي للعبد، إذا تليت عليه نعم الله وآلاؤه، أن يقر بها ويشكر، ويحمد الله عليها. السعدي * قلت والحديث في ذلك صححه بعض أهل العلم، وضعفه آخرون.

﴿٥٣١﴾

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ العذب والمالح ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ ﴿١٩﴾

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ البحر العذب، والبحر المالح، فهما يلتقيان كلاهما، فيصب العذب في البحر المالح، ويختلطان ويمتزجان، ولكن الله تعالى جعل بينهما برزخا من الأرض، حتى لا يبغي أحدهما على الآخر، ويحصل النفع بكل منهما. السعدي

﴿يَبْتَغِيَانِ﴾ لا يبغي أحدهما على الآخر، ويذهب
 بخصائصه ﴿٢٠﴾

﴿يَبْتَغِيَانِ﴾ لا يبغي أحدهما على صاحبه، ولا يتجاوزان حد الله الذي حدّه لهما. الطبري

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾

﴿اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ اللؤلؤ، أنه هو الذي عرفه الناس مما يخرج من أصداف البحر من الحب، وأما المرجان، فإني رأيت أهل المعرفة بكلام العرب لا يتدافعونه أنه جمع مرجانة، وأنه الصغار من اللؤلؤ. انظر تفسير الطبري

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ ﴿٢٤﴾ السفن الجارية الضخمة
﴿الْمُنْشَأَتُ﴾ مرفوعات الأشربة ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ﴿٢٥﴾ كالجبال في عظمها ﴿٢٦﴾
﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٧﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ ﴿٢٨﴾ هَالِكٌ ﴿٢٩﴾ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو
الْجَلَلِ ﴿٣٠﴾ صاحب العظمة والكبرياء ﴿وَالْإِكْرَامِ ﴿٣١﴾ والفضل والجود ﴿٣٢﴾
﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٣﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٣٤﴾ حوائجهم ﴿٣٥﴾ كُلَّ يَوْمٍ
هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٣٦﴾ أى: يعز ويذل، ويعطى ويمنع، ويحيى ويميت ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾﴾

تهديد للثقلين، وبيان هول الآخرة

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣٩﴾﴾

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ وعيد من الله لعباده وتهديد، كقول القائل الذي يتهدد غيره ويتوعده، ولا شغل له يشغله عن عقابه: لأتفرغن لك، والمعنى: سنحاسبكم، ونأخذ في أمركم أيها الإنس والجن، فنعاقب أهل المعاصي، ونثيب أهل الطاعة. ينظر: تفسير الطبري

﴿أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ سميا ثقلين؛ لأنها ثقلا على الأرض أحياء وأمواتا، قال الله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢]، وقال بعض أهل المعاني: كل شيء له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل. البغوي

﴿أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ وقال جعفر الصادق: سميا ثقلين؛ لأنها مثقلان بالذنوب.

القرطبي

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٩﴾ يَمْعَشَرُ الْجَنِّ وَالْإِنْسُ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَفْذُوا ﴿٤٠﴾
تجدوا منفذاً تهربون من ملك ربكم ﴿٤١﴾ مِنْ أَقْطَارٍ ﴿٤٢﴾ نَوَاحِي ﴿٤٣﴾ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٤٤﴾﴾

فَانْفُذُوا ﴿٣٢﴾ فَاهْرَبُوا (أمر تعجيز) ﴿لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ بقوة، وأنى لهم ذلك؟ ﴿٣٣﴾ فَيَايَ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ ﴿٣٥﴾ لَهَبٌ خَالِصٌ ﴿٣٦﴾ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ ﴿٣٧﴾ نَحَاسٌ مَذَابٌ يَصُبُّ عَلَى رُءُوسِكُمْ ﴿٣٨﴾ فَلَا تَنْصِرَانِ ﴿٣٩﴾ فَلَا يَنْصُرُ بَعْضُكُم بَعْضًا

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ﴾ هذا إن أردتما الفرار من عدالتي، وعدم الإذعان لقضائي وحكمي فيكما. الجزائري

﴿٣٥﴾ فَيَايَ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً ﴿٣٧﴾ حمراء كلون الورد ﴿كَالِدِهَانِ﴾ كالزيت المغلي والرصاص المذاب ﴿٣٨﴾ فَيَايَ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٩﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ﴿٤٠﴾

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ عن ابن عباس. في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢] وقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ قال: لا يسألهم؛ ليعرف ذلك منهم؛ لأنه أعلم بذلك منهم، ولكنه يسألهم: لم عملتموها، سؤال توبيخ. القرطبي

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ أي: يوم تنشق السماء لا يسأل أحد من الإنس ولا من الجن عن ذنبه؛ لأنهم يعرفون بسيماهم عند خروجهم من قبورهم، والجمع بين هذه الآية وبين مثل قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢] أن ما هنا يكون في موقف، والسؤال في موقف آخر من مواقف القيامة. وقيل: إنهم لا يسألون هنا سؤال استفهام عن ذنوبهم؛ لأن الله سبحانه قد أحصى الأعمال، وحفظها على العباد، ولكن يسألون سؤال توبيخ وتقريع، ومثل هذه الآية قوله: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨] قال أبو العالية: المعنى: لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم. وقيل: إن عدم السؤال هو عند البعث، والسؤال هو في موقف الحساب. الشوكاني

﴿فَيَايَ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٤٠﴾

﴿فَيَايَءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإن قيل: ما الفائدة في تكرار قوله: ﴿فَيَايَءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فالجواب أن ذلك التكرير لتقرير النعم وتأکید التذکیر بها. قال ابن قتيبة: من مذاهب العرب: التكرار للتوكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار للتخفيف والإيجاز؛ لأن افتنان المتكلم والخطيب في الفنون أحسن من اختصاره في المقام على فن واحد. ابن الجوزي

من عذاب العاصين

﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ سِمَتَهُمْ﴾ بعلاماتهم ﴿فِيُؤْخَذُ بِالنَّوْصَى وَالْأَقْدَامِ﴾ تأخذهم ملائكة العذاب بمقدمة رؤوسهم وأقدامهم، فترميهم في النار ﴿٤١﴾

﴿ ٥٣٢ ﴾

﴿فَيَايَءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٤٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ يترددون ﴿بَيْنَهَا﴾ بين أطباق الجحيم ولهبها ﴿وَبَيْنَ حَمِيرَءَانِ﴾ ماء حار قد بلغ الغاية في الحرارة ﴿٤٤﴾ ﴿فَيَايَءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٤٥﴾

من نعيم السابقين بالخيرات

﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ خاف القيام بين يدي ربه في موقف الحساب ﴿جَنَّاتٍ﴾ ﴿٤٦﴾

﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ قال مجاهد: الرجل يهَمُّ بالذنب، فيذكر مقامه بين يدي الله، فيتركه، فله جنتان. الطبري ﴿جَنَّاتٍ﴾ أي: لمن خاف جنتان على حده؛ فلكل خائف جنتان. وقيل: جنتان لجميع الخائفين، والأول أظهر. القرطبي

﴿فَيَايَءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ أَغْصَانٌ كَثِيرَةٌ نَضْرَةٌ ﴿٤٩﴾ ﴿فَيَايَءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٥٠﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ ﴿فَيَايَءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا ﴿٥٤﴾ بَطَانَتُهَا ﴿٥٥﴾ مَنْ اسْتَبْرَقَ ﴿٥٦﴾ غَلِيظُ الدِّيَبِاجِ ﴿٥٧﴾ وَحَنَى ﴿٥٨﴾ ثَمَرِ ﴿٥٩﴾ الْجَنَّةَيْنِ ﴿٦٠﴾

﴿ دَانٍ ﴾ قَرِيبَ الْقَطَافِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ قَائِمًا أَوْ قَاعِدًا ﴿٥٤﴾

﴿ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ قال ابن قتيبة: إنها أراد الله أن يعرفنا - من حيث نفهم - فضل هذه الفرش، وأن ما ولي الأرض منها إستبرق، وإذا كانت البطانة كذلك، فالظهارة أعلى وأشرف. ابن الجوزي

﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَصَصَاتُ الْطَّرَفِ ﴿٥٦﴾ قَصْرُنَ أَبْصَارِهِنَّ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ، فَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى غَيْرِهِمْ ﴿٥٧﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّ ﴿٥٨﴾ يَطْمِئِنُّ ﴿٥٩﴾ إِنْشَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانَّ ﴿٦٠﴾

﴿ فِيهِنَّ قَصَصَاتُ الْطَّرَفِ ﴾ وقد ورد أن الواحدة منهن تقول لبعليها: والله ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك، ولا في الجنة شيء أحب إلي منك، فالحمد لله الذي جعلك لي، وجعلني لك. ابن كثير

﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ﴿٥٧﴾ كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ وصف أهلها بالإحسان، وهو أعلى المراتب والنهايات. ابن كثير

﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ﴿٦١﴾

من نعيم المقتصدين في عمل الخير

﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ ﴾ ﴿٦٢﴾ أَي: أدنى من الجنتين السابقتين

﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ ﴾ الجنتان الأوليان لأعلى العباد رتبة في الخوف من الله تعالى، والجنتان الأخريان لمن قصرت حاله في الخوف من الله تعالى. القرطبي

﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ﴿٦٣﴾ مُدَّهَامَتَانِ ﴿٦٤﴾ خَضِرَاوَانٍ قَدْ اشْتَدَّتْ خَضَرَتُهُمَا حَتَّى مَالَتْ إِلَى السَّوَادِ ﴿٦٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٦﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ ﴿٦٧﴾ فَوَارَتَانِ بَالْمَاءِ لَا تَنْقُطَانِ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾

﴿فِيهِنَّ خَيْرٌ﴾ زوجات طيبات الأخلاق ﴿حَسَنٌ﴾ ﴿٧٠﴾ فَيَأْتِي ٱلْآءَ رِبَكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ ﴿٧٢﴾ نِسَاءٌ بَيضٌ حَسَنٌ ﴿مَقْصُورَاتٌ﴾ ﴿مستورات مصونات
في الخيام﴾ ﴿٧٢﴾

﴿فِي ٱلْخِيَامِ﴾ روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي موسى عن
النبي ﷺ أنه قال: «إن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها
في السماء ستون ميلا، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى
بعضهم بعضا». ابن الجوزي.

﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي ٱلْخِيَامِ﴾ الحور جمع حوراء والمقصورات المحجوبات؛ لأن
النساء يمدحن بملازمة البيوت، ويذمن بكثرة الخروج. ابن جزي في التسهيل.
«ت».

﴿فَيَأْتِي ٱلْآءَ رِبَكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّ ﴿يَطَاهُن﴾ ﴿إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾
﴿٧٤﴾ فَيَأْتِي ٱلْآءَ رِبَكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَكِينٍ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ ﴿وسائد ذوات
أغطية خضر﴾ ﴿وَعَبْقَرِيٍّ﴾ فرش وبسط جيدة الصنع ﴿حَسَنٍ﴾ ﴿٧٦﴾

﴿مُتَكِينٍ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ﴾ وهي الفرش التي فوق المجالس العالية، التي قد
زادت على مجالسهم، فصار لها رفرفة من وراء مجالسهم؛ لزيادة البهاء، وحسن
المنظر. السعدي

﴿وَعَبْقَرِيٍّ﴾ قال الجوهري: العبقرى موضع تزعم العرب أنه من أرض الجن
... ثم نسبوا إليه كل شيء يعجبون من حذقه وجودة صنعته وقوته، فقالوا:
عبقري وهو واحد وجمع. وفي الحديث: «إنه كان يسجد على عبقري» وهو هذه
البسط التي فيها الأصباغ، والنقوش حتى قالوا: ظلم عبقري، وهذا عبقري
قوم للرجل القوي. وفي الحديث: «فلم أر عبقرىا يفري فريه» البخاري.
القرطبي

﴿فَيَأْتِي ٱلْآءَ رِبَكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٧٧﴾ نَبْرَكَ ﴿كثرت بركته وخيره﴾ ﴿أَسْمُ رَبِّكَ ذِي ٱلْجَلَلِ﴾

سورة الواقعة

سورة الواقعة، سورة مكية، تركز على التذكير بيوم القيامة، وتحقيق وقوعه، وأحوال الناس فيه.

سورة الواقعة: روى الترمذي عن ابن عباس قال: قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله قد شئت! قال: «شيئتني هود، والواقعة، والمرسلات، و﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾، و﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾». قال: هذا حديث حسن غريب. قال أبو عبد الله: فالفزع يورث الشيب. القرطبي، والحديث المذكور في مستدرک الحاكم وقال هذا حديث صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القيامة وأحوال الناس

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ القيامة ﴿١﴾

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ قال مسروق: من أراد أن يعلم نبأ الأولين والآخرين، ونبأ أهل الجنة، ونبأ أهل النار، ونبأ أهل الدنيا، ونبأ أهل الآخرة، فليقرأ سورة الواقعة. القرطبي

﴿الْوَاقِعَةُ﴾ سميت واقعة؛ لأنها تقع عن قرب. وقيل: لكثرة ما يقع فيها من الشدائد. القرطبي

﴿لَيْسَ لَوْعِهَا﴾ ليس لوقوعها وقيامها ﴿كَاذِبَةٌ﴾ نفس تكذب بذلك ﴿٢﴾

﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ تخفض الكفار في النار، وترفع المؤمنين في الجنة ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ﴿٤﴾ حَرَكَتْ ﴿٥﴾ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٦﴾ تحريكا شديداً ﴿٧﴾ وَبُسَّتِ ﴿٨﴾ فَتَتَّ ﴿٩﴾ الْجِبَالُ بَسًا ﴿١٠﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿١١﴾ غباراً متطيراً في الجو ﴿١٢﴾

﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ ﴿١٣﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿١٤﴾ قال مجاهد: شعاع الشمس يدخل من الكوة، وليس بشيء. الطبري

﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا﴾ أصنافاً ﴿١٥﴾ ثَلَاثَةً ﴿١٦﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٧﴾

تَعْظِيمَ لِسَانِهِمْ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ الشَّالِ ﴿١٠﴾ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١١﴾ تَهْوِيلَ
لِحَالِهِمْ ﴿١٢﴾ وَالسَّيْقُونِ ﴿١٣﴾ الَّذِينَ يَسْبِقُونَ إِلَى الْخَيْرَاتِ ﴿١٤﴾ السَّيْقُونِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ
يَسْبِقُونَ إِلَى الْمَنَازِلِ الْعَالِيَةِ فِي الْجَنَّةِ ﴿١٦﴾

من نعيم السابقين في الخيرات

﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَّةٌ ﴿١٣﴾ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ ﴿١٤﴾ مِّنَ الْأُولِينَ ﴿١٥﴾
صَدْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَّةِ الْآخَرِ ﴿١٦﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ آخِرُ
هَذِهِ الْأُمَّةِ ﴿١٨﴾ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٩﴾ مَنْسُوجَةٌ بِالذَّهَبِ ﴿٢٠﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا
مُتَقَبِّلِينَ ﴿٢١﴾

﴿ ٥٣٤ ﴾

﴿يُطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدُنُّ مُخْلَدُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ غُلَامَانِ لِلْخِدْمَةِ لَا يَهْرَمُونَ، وَلَا يَمُوتُونَ ﴿٢٣﴾
بِأَكْوَابٍ ﴿٢٤﴾ أَقْدَاحٍ لَا عَرَى لَهَا، وَلَا خِرَاطِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَأَبَارِيقٍ ﴿٢٦﴾ أَوَانٍ لَهَا عَرَى وَخِرَاطِيمٍ
﴿٢٧﴾ وَكَأْسٍ ﴿٢٨﴾ خَمْرٍ أَوْ قَدَحٍ فِيهِ خَمْرٌ ﴿٢٩﴾ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ خَمْرٌ جَارِيَةٌ فِي الْجَنَّةِ ﴿٣١﴾ لَا
يُصَدَّعُونَ ﴿٣٢﴾ لَا تَصْدَعُ مِنْهَا رُؤُوسُهُمْ ﴿٣٣﴾ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴿٣٤﴾ لَا تَذْهَبُ بِعَقُولِهِمْ
﴿٣٥﴾ وَفَكَهْمَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٣٦﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٣٧﴾

﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَخْطُرُ عَلَى قَلْبِهِ لَحْمُ الطَّيْرِ فَيَصِيرُ مِثْلًا
بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى مَا اشْتَهَى، وَيُقَالُ: إِنَّهُ يَقَعُ عَلَى صَحْفَةِ الرَّجُلِ فَيَأْكُلُ مِنْهُ مَا
يَشْتَهِي ثُمَّ يَطِيرُ فَيَذْهَبُ. الْبَغْوِيُّ
﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ قَالَ مَغِيثُ بْنُ سَمِيٍّ: يَأْكُلُ مِنْ أَحَدِ جَانِبَيْهِ قَدِيدًا
وَالْآخَرَ شَوَاءً، ثُمَّ يَعُودُ طَيْرًا فَيَطِيرُ فَيَذْهَبُ. ابْنُ الْجَوْزِيِّ

﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ ﴿٤٠﴾ نِسَاءٌ بَيَاضٌ وَاسِعَاتُ الْأَعْيُنِ حَسَانُهُنَّ ﴿٤١﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ
الْمَكْنُونِ ﴿٤٢﴾ الْمُصَوَّنُونَ فِي أَصْدَافِهِ مِنْ صَفَائِهِنَّ وَجَمَالِهِنَّ ﴿٤٣﴾ جَزَاءُ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٤﴾
﴿٤٥﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا ﴿٤٦﴾ بَاطِلًا وَكَلَامًا لَا خَيْرَ فِيهِ ﴿٤٧﴾ وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٤٨﴾ مَا يَتَأْتِمُونَ
بِسَاعَةٍ ﴿٤٩﴾ إِلَّا قِيلًا ﴿٥٠﴾ قَوْلًا ﴿٥١﴾ سَلَامًا سَلَامًا ﴿٥٢﴾ إِلَّا قَوْلًا سَلَامًا مِنْ هَذِهِ الْعُيُوبِ،
وَالْإِسْلَامِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴿٥٣﴾

من نعيم أصحاب اليمين

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿شَجَرِ النَّبْقِ لَا شَوْكٍ فِيهِ﴾ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿مُوزٍ مَّرَاتِبٍ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ﴾ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿ظِلٌّ دَائِمٌ لَا يَزُولُ﴾ (٣٠)

﴿وَبُيُوتٍ مُّوَسَّصَاتٍ﴾ (٣١) وَفُتُوحٍ أَلْحَانٍ ﴿مُتَنَزِّلِينَ عَلَى الْأَنْهَارِ﴾ (٣٢) ﴿وَلَا يَنْقُطُ عَنْهَا نَجْوَاهُمْ يَوْمَهُمْ﴾ (٣٣) ﴿وَلَا يَنْقُطُ عَنْهَا نَجْوَاهُمْ يَوْمَهُمْ﴾ (٣٤) ﴿وَلَا يَنْقُطُ عَنْهَا نَجْوَاهُمْ يَوْمَهُمْ﴾ (٣٥)

﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ (٣٦) جَارٍ لَا يَنْقُطُ ﴿وَفِيهَا كَثِيرٌ مِّنْ نَّارٍ﴾ (٣٧) ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ (٣٨) وَفُتُوحٍ أَلْحَانٍ ﴿مُتَنَزِّلِينَ عَلَى الْأَنْهَارِ﴾ (٣٩) ﴿وَلَا يَنْقُطُ عَنْهَا نَجْوَاهُمْ يَوْمَهُمْ﴾ (٤٠)

﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾ (٤١) قَالَ الْحَسَنُ: أَتَتْ عَجُوزٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعِ اللَّهَ أَنْ يَدْخُلَنِي الْجَنَّةَ. فَقَالَ: «يَا أُمَّ فُلَانٍ، إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ». قَالَ: فَوَلَّتْ تَبْكِي، قَالَ: «أَخْبَرُوهَا أَنَّهَا لَا تَدْخُلُهَا، وَهِيَ عَجُوزٌ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾ (٤٢) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا» وَهَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي الشَّيْخَانِ عَنْ عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ. ابْنُ كَثِيرٍ

﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ (٤٣) عُرُبًا ﴿مُتَحَبِّاتٍ لِأَزْوَاجِهِنَّ﴾ (٤٤) فِي سَنٍ وَاحِدَةٍ ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ (٤٥)

﴿عُرُبًا﴾ (٤٦) قَالَ عِكْرَمَةُ وَقْتَادَةُ: (الْعُرْبُ: الْمُتَحَبِّاتُ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ). وَاشْتِقَاقُهُ مِنْ أَعْرَبَ إِذَا بَيَّنَّ، فَالْعُرُوبُ تَبَيَّنَ مُحَبَّتُهَا لِزَوْجِهَا بِشَكْلِ وَغَنَجٍ وَحَسَنِ كَلَامٍ. وَقِيلَ: إِنَّهَا الْحَسَنَةُ التَّبَعْلُ؛ لِتَكُونَ أَلَذَّ اسْتِمْتَاعًا. الْقُرْطُبِيُّ

﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (٤٧) ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْآخِرِينَ﴾ (٤٨)

من جزاء أصحاب الشمال

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ (٤٩) فِي سَمُومٍ ﴿رِيحٌ حَارَةٌ مِنْ حَرِّ نَارِ جَهَنَّمَ تَأْخُذُ بَأَنْفَاسِهِمْ وَحَمِيمٌ﴾ (٥٠) مَاءٌ حَارٌّ يَغْلِي ﴿وَبُيُوتٍ مُّوَسَّصَاتٍ﴾ (٥١) وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ﴿دُخَانٌ شَدِيدٌ السَّوَادِ﴾ (٥٢) لَا بَارِدٍ ﴿كَسَائِرُ الظَّلَالِ﴾ (٥٣) وَلَا كَرِيمٍ ﴿وَلَا طِيبُ الْمَنْظَرِ﴾ (٥٤)

﴿ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ أي: ليس ذلك الظلّ ببارد، كبرد ظلال سائر الأشياء، ولكنه حار؛ لأنه دخان من سعير جهنم، وليس بكريم؛ لأنه مؤلم من استظل به، والعرب تتبع كل منفي عنه صفة حمد نفي الكرم عنه، فتقول: ما هذا الطعام بطيب ولا كريم، وما هذا اللحم بسمين ولا كريم، وما هذه الدار بنظيفة ولا كريمة. الطبرى

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ متنعمين منهمكين في الشهوات ﴿ ٤٥ ﴾ وَكَانُوا يُصْرُفُونَ عَلَى الْخَنِثِ الْعَظِيمِ ﴿ الذنب العظيم، وهو الشرك بالله ﴾ ﴿ ٤٦ ﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَعْنَا لَمَجْعُوثُونَ ﴿ ٤٧ ﴾ أَوْءَابَاؤُنَا ﴿ أُنْبِثْ نحن وآبَاؤُنَا ﴾ ﴿ ٤٨ ﴾ قُلْ إِنِّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿ ٤٩ ﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿ ٥٠ ﴾

﴿ ٥٣٥ ﴾

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿ ٥١ ﴾ لَأَكُونَنَّ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ ﴾ أقبح الشجر في النار ﴿ ٥٢ ﴾ فَالِثُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿ ٥٣ ﴾ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿ ماء متناه في الحرارة ﴾ ﴿ ٥٤ ﴾ فَشَرِبُوا شَرِبَ الْهَمِيمِ ﴿ كشرب الإبل العطاش التي لا تروى لداء يصيبها ﴾ ﴿ ٥٥ ﴾ هَذَا نَزْلُهُمْ ﴿ ما أعد لهم من الجزاء ﴾ ﴿ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ يوم الجزاء والحساب ﴿ ٥٦ ﴾ نَحْنُ خَلَقْنَكُمْ فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ ﴿ فهلا تصدقون بالبعث ﴾ ﴿ ٥٧ ﴾

من مظاهر خلق الله الدالة على أن البعث هين على الله

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾ النطف التي تقذونها في أرحام نساءكم ﴿ ٥٨ ﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿ ٥٩ ﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿ بعاجزين ﴾ ﴿ ٦٠ ﴾ عَلَىٰ أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَلُكُمْ وَنُشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿ ٦١ ﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿ ٦٢ ﴾

﴿ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ هل أنتم خالقون ذلك المني، وما ينشأ منه، أم الله تعالى الخالق الذي خلق فيكم من الشهوة وآلتها من الذكر والأنثى، وهدى كلا منهما لما

هنالك، وحب بين الزوجين، وجعل بينهما من المودة والرحمة ما هو سبب للتناسل؟

ولهذا أحالهم الله تعالى على الاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الأخرى، فقال: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أن القادر على ابتداء خلقكم، قادر على إعادتكم. السعدي

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ۖ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطًىٰ ۖ هَشِيماً لَا يَنْتَفِعُ بِهِ فِي مَطْعَمٍ ﴿فَظَلُمْتُمْ﴾ فَأَصْبَحْتُمْ ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ تتعجبون مما نزل بزرعكم ﴿إِنَّا لَمُعْرِضُونَ﴾ تقولون إنا لخاسرون معذبون ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرِمُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ ۖ السَّحَابِ ۖ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَجَاجاً ۖ شَدِيدِ الْمُلُوحَةِ لَا يَنْتَفِعُ بِهِ فِي شَرْبٍ وَلَا زَرْعٍ ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ۖ توقدون، وتقدحون الزناد لاستخراجها ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ ۖ أَوْ جَدْتُمْ ۖ شَجَرَتَهَا ۖ الشَّجَرَةُ الَّتِي تَقْدَحُ مِنْهَا النَّارُ كَالْمَرْخِ وَالْعِفَارِ ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا ۖ تَذَكُّرًا لَّكُمْ بِنَارِ جَهَنَّمَ ۖ وَمَتَعًا لِلْمُؤْمِنِينَ ۖ منفعة للمسافرين ﴿٧٣﴾

﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا﴾ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «نَارُكُمْ جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم»، قيل: يا رسول الله، إن كانت لكافية، قال: «فضلت عليهن بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها». متفق عليه.

عظمة القرآن وصدق أخباره وعاقبة من آمن ومن كفر

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ نزه ربك ذاكراً اسمه ﴿الْعَظِيمِ﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿فَلَا أَقْسِمُ﴾ أقسم وأحلف، و(لا) تأكيد للقسم ﴿بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ مساقطها في مغاربها في السماء ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ عظيم المنافع كثير الخير غزير العلم ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ

﴿ مَكْنُونٌ ﴾ ﴿ ٧٨ ﴾ ﴿ لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ ﴿ ٧٩ ﴾

﴿ لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ الصحيح في الآية، أن المراد به: الصحف التي بأيدي الملائكة ... سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: لكن تدل الآية بإشارتها على أنه لا يمس المصحف إلا طاهر. لأنه إذا كانت تلك الصحف لا يمسها إلا المطهرون؛ لكرامتها على الله، فهذه الصحف أولى أن لا يمسها إلا طاهر، وسمعت يقول في قول النبي ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة» إذا كانت الملائكة المخلوقون يمنعها الكلب والصورة عن دخول البيت. فكيف تلج معرفة الله عز وجل، ومحبه وحلاوة ذكره، والأنس بقربه، في قلب ممتلئ بكلاب الشهوات وصورها؟ فهذا من إشارة اللفظ الصحيحة. ابن القيم في مدارج السالكين

﴿ لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ اختلف العلماء في مس المصحف على غير وضوء، فالجمهور على المنع من مسه لحديث عمرو بن حزم ... وفي مس الصبيان إياه على وجهين: أحدهما: المنع اعتبارا بالبالغ. والثاني: الجواز؛ لأنه لو منع لم يحفظ القرآن؛ لأن تعلمه حال الصغر، ولأن الصبي، وإن كانت له طهارة، إلا أنها ليست بكاملة؛ لأن النية لا تصح منه، فإذا جاز أن يحمله على غير طهارة كاملة جاز أن يحمله محدثا. القرطبي

فائدة: فإن كتب مع القرآن غيره فالحكم للأغلب، فيجوز مس كتب التفسير والحديث والفقه والرسائل التي فيها شيء من القرآن في المشهور عنه؛ لأنها ليست مصحفا. ابن تيمية في شرح عمدة الفقه.

﴿ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ ٨٠ ﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ ﴿ الْقُرْآنَ ﴾ ﴿ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴾ ﴿ مَكْذُوبُونَ ﴾ ﴿ ٨١ ﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴿ تَجْعَلُونَ شُكْرَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ ﴿ أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ ﴾ ﴿ ٨٢ ﴾

﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ ﴾ عن ابن عباس قال: شكركم على ما أنزلت عليكم من الغيث والرحمة، تقولون: مُطَرْنَا بنوء كذا وكذا؛ قال: فكان ذلك منهم كفرا بما أنعم عليهم. الطبري

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ **وصلت الروح الحلقوم عند الموت** ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُدُّرُونَ ﴿٨٥﴾

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ المراد به قربه إليه بالملائكة، وهذا هو المعروف عن المفسرين المتقدمين من السلف قالوا: ملك الموت أدنى إليه من أهله، ولكن لا تبصرون الملائكة. ابن تيمية في مجموع الفتاوى.

﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ **فهلا إذا كنتم تزعمون أنكم غير مجزيين ومحاسبين** ﴿٨٦﴾

﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أي: فهلا إن كنتم غير مربوبين ومملوكين ترجعونها، أي: النفس التي قد بلغت الحلقوم إلى مقرها الذي كانت فيه، إن كنتم صادقين، ولن ترجعوها، فبطل زعمكم أنكم غير مربوبين ولا مملوكين. الشوكاني

﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ **تردون الروح إلى الجسد** ﴿٨٧﴾ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٨﴾ فِي أَنْكُمْ لَا تَبْعَثُونَ، وَلَا تَحَاسِبُونَ ﴿٨٩﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَوْحٌ وَاسِعَةٌ وَاسْتِرَاحَةٌ وَفَرَحٌ ﴿٩١﴾ وَرِيحَانٌ ﴿٩٢﴾ رِزْقٌ حَسَنٌ وَجَمِيعٌ مَا تَطِيبُ بِهِ نَفْسُهُ ﴿٩٣﴾ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَلَامٌ لَكَ ﴿٩٦﴾ فَيَقَالُ لَهُ: **سلامة لك وأمن** ﴿٩٧﴾ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٨﴾ لَكُونُكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿١٠٠﴾ فَتَزُلُّ ﴿١٠١﴾ فُضْيَافَةٌ ﴿١٠٢﴾ مِنْ حَمِيمٍ ﴿١٠٣﴾ شَرَابٌ جَهَنَّمِ الْمُنْتَهَى فِي الْحَرَارَةِ ﴿١٠٤﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ ﴿١٠٥﴾ يَدْخُلُ فِيهَا وَيُقَاسَى حَرَهَا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿١٠٧﴾ لَا مَرِيَةَ فِيهِ ﴿١٠٨﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿١٠٩﴾

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ تعقيب الأمر بالتسبيح لما عدد من بدائع صنعه وإنعامه إما لتنزيهه تعالى عما يقول الجاحدون لو حدانيته الكافرون لنعمته، أو للتعجب من أمرهم في غمط نعمه، أو للشكر على ما عدها من النعم. تفسير البضاوي

سورة الحديد

سورة الحديد، سورة مدنية، تركز على إظهار قدرة الله، وعلى بناء القوة الإيمانية

والمادية الباعثة على الخير، وفيها بيان حال الناس في الآخرة، ووجوب الإيمان بالقدر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شمول ملك الله وعلمه وقدرته

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢ هُوَ الْأَوَّلُ ۝٣ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ وَالْآخِرُ ۝٤ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ وَالظَّاهِرُ ۝٥ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ وَالْبَاطِنُ ۝٦ الَّذِي لَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ بَوَاطِنُ الْأُمُورِ ۝٧ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٨﴾

﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ قال أبو زميل: سألت بن عباس، فقلت: ما شيء أجده في صدري؟ قال ما هو؟ قلت: والله لا أتكلم به قال: فقال لي: شيء من شك؟ قال -وضحك- قال: ما نجا من ذلك أحد، قال حتى أنزل الله: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ الآية [يونس: ٩٤] قال: وقال لي: إذا وجدت في نفسك شيئاً فقل: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. ابن كثير. والأثر عند أبي داود * عن سهيل، قال: كان أبو صالح يأمرنا، إذا أراد أحداً أن ينام، أن يضطجع على شقه الأيمن، ثم يقول: «اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر» وكان يروي ذلك عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ. مسلم

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد، وآخرها الجمعة

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ ﴿٤﴾ مَا يَدْخُلُ مِنْ مَّطَرٍ وَغَيْرِهِ ﴿٥﴾ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴿٦﴾ مَا يَصْعَدُ إِلَيْهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَعْمَالِ ﴿٧﴾ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٨﴾﴾

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ معية الله تعالى الخاصة والعامة فالخاصة معيته بنصره لأوليائه، والعامة علمه بكل عباده وسائر خلقه، وقدرته عليهم وعلمه بهم. الجزائي

* وهذه المعية، معية العلم والاطلاع؛ ولهذا توعد، ووعد على المجازاة بالأعمال بقوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. السعدي

﴿لَهُ، مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ﴿٦﴾ يَدْخُلُ ﴿٧﴾ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٨﴾﴾

الأمر بالإيمان، والحث على الإنفاق

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ﴿٩﴾ مِنَ الْمَالِ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خُلَفَاءَ فِيهِ ﴿١٠﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٣﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيراثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أَوْلِيَّتِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلِ أَوْكَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴿١٤﴾ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيراثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: أنفقوا، ولا تحشوا فقرا وإقلا؛ فإن الذي أنفقتم في سبيله هو مالك السماوات والأرض، وبيده مقاليدهما، وعنده خزائنها. ابن كثير . «ت».

﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أَوْلِيَّتِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلِ أَوْكَلَا﴾ إنما كانت النفقة قبل الفتح أعظم؛ لأن حاجة الناس كانت أكثر؛ لضعف الإسلام، وفعل ذلك كان على المنفقين حينئذ أشق، والأجر على قدر

النصب. القرطبي

﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ لما كان التفضيل بين الأمور قد يتوهم منه نقص وقدرح في المفضل، احترز تعالى من هذا بقوله: ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ أي: الذين أسلموا وقاتلوا وأنفقوا من قبل الفتح وبعده، كلهم وعده الله الجنة، وهذا يدل على فضل الصحابة كلهم، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حيث شهد الله لهم بالإيمان، ووعدهم الجنة. السعدي

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ محتسباً في نفقته بلا من ولا أذى ﴿فِيضِعْفَهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (١١)

﴿ ٥٣٨ ﴾

نور المؤمنين يوم القيامة، وحال المنافقين

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكَ الْيَوْمَ جَنَّتُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٢)

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال ابن مسعود: منهم من نوره مثل الجبل، وأدناهم نورا نوره على إبهامه يطفئ مرة، ويوقد أخرى. ابن الجوزي

* إذا كان يوم القيامة، وكورت الشمس، وخسف القمر، وصار الناس في الظلمة، ونصب الصراط على متن جهنم، فحينئذ ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمنهم، فيمشون بأيانهم ونورهم في ذلك الموقف الهائل الصعب، كل على قدر إيمانه، ويبشرون عند ذلك بأعظم بشارة، فيقال: ﴿بُشْرَانُكَ الْيَوْمَ جَنَّتُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ فله ما أحلى هذه البشارة بقلوبهم، وألذها لنفوسهم، حيث حصل لهم كل مطلوب محبوب، ونجوا من كل شر ومرهوب، فإذا رأى المنافقون نور المؤمنين يمشون به، وهم قد طفيء نورهم وبقوا في الظلمات حائرين، قالوا للمؤمنين: ﴿انْظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾. السعدي

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا﴾ **انتظرونا** ﴿نَقْبِيسٌ﴾ **نأخذ ونصب** ﴿مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورَةٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ﴾ **مما يلي المؤمنين** ﴿فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَلْهُرُهُ﴾ **مما يلي المنافقين** ﴿مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ﴾ ﴿١٣﴾ **يُنَادُونَهُمْ** ﴿يُنَادِي الْمُنَافِقُونَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَهْلَكُمْ﴾ ﴿أَنفُسَكُمْ وَتَرَضَّيْتُمْ﴾ **ترقبتم حصول النوائب للنبي والمؤمنين معه** ﴿وَارْتَبَّيْتُمْ﴾ **شككتهم في البعث** ﴿وَعَزَّيْتُمْ الْأُمَانِي﴾ **خدعتكم الأباطيل** ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ **الموت** ﴿وَعَزَّيْتُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ **الشیطان بوعدة وخبره الكاذب** ﴿١٤﴾ ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾ **عوض ليفتدي به من عذاب الله** ﴿وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَاؤُنْكُمْ﴾ **مصيركم** ﴿النَّارُ هِيَ مَوْلَانَكُمْ﴾ **أولى بكم** ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ﴿١٥﴾

الحث على التوبة، والعمل الصالح

﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ **ألم يحن ويحجى الوقت؟** ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ **الزمان** ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ﴿١٦﴾

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ هذه الآية كانت سبب توبة الفضيل بن عياض وابن المبارك رَحِمَهُمَا اللَّهُ. القرطبي
﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: الزمان بينهم وبين أنبيائهم، فقست قلوبهم، قال ابن عباس: مالوا إلى الدنيا، وأعرضوا عن مواعظ الله. والمعنى: أن الله عَزَّوَجَلَّ ينهى المؤمنين أن يكونوا في صحبة القرآن كاليهود والنصارى الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر. البغوي

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٧﴾

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أريد به تمثيل حال احتياج القلوب المؤمنة إلى ذكر الله بحال الأرض الميتة في الحاجة إلى المطر، وحال الذكر في تزكية

النفوس واستنارتها بحال الغيث، في إحياء الأرض الجذبة. ابن عاشور في التحرير والتنوير. «ت».

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ﴾ **المتصدقين** ﴿وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾
محتسين في نفقاتهم بلا من ولا أدى ﴿يُضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿١٨﴾

﴿ ٥٣٩ ﴾

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ **المبالغون في التصديق**
والشهداء ﴿الذين قتلوا في سبيل الله﴾ **عند ربهم لهم أجرهم ونورهم**
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾

مثل الحياة الدنيا والحث على المسابقة للطاعات والصبر على المصائب

﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ﴾ **تلعب بها الأبدان** ﴿وَلَهُوَ﴾ **تلهو بها القلوب**
وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار
الزراع، سموا بذلك؛ لأنهم يسترون الحب في التراب ﴿نَبَاهُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ﴾ **يبس**
فتره مضمراً ثم يكون حطماً ﴿فَتَاتًا مَّتَهَشِّمًا﴾ **وفي الآخرة عذاب شديد**
ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴿٢٠﴾

﴿**كَمَثَلِ غَيْثٍ...**﴾ هكذا الحياة الدنيا تكون أولاً شابة، ثم تكتهل، ثم تكون عجوزاً شوهاء، والإنسان كذلك في أول عمره وعنفوان شبابه غضا طريا لين الأعطاف، بهي المنظر، ثم إنه يشرع في الكهولة، فتتغير طباعه، وينفذ بعض قواه، ثم يكبر، فيصير شيخا كبيرا، ضعيف القوى، قليل الحركة، يعجزه الشيء اليسير، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤]. ولما كان هذا المثل دالا على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة لا محالة، حذر من أمرها ورغب فيما فيها من الخير. ابن كثير

﴿سَابِقُوا﴾ سارعوا مسارعة المتسابقين في المضمار ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴿هُوَ اللّٰهُوَ الْمَحْفُوظُ﴾ ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ نخلق هذه المخلوقات ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿٢٢﴾ (وفائدة الإخبار بسبق الكتابة) ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا﴾ فرح بطر واختيال ﴿بِمَا ءَاتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متكبر ﴿فَخُورٍ﴾ متطاول به يفخر على الناس ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿المحمود على كمال صفاته وجميل فعاله﴾ ﴿٢٤﴾

﴿ ٥٤٠ ﴾

إرسال الأنبياء بالمعجزات والعدل، وحال كثير من الأتباع

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج الواضحات ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ العدل في الأقوال والأفعال ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ ﴿قوة﴾ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿غالب لا يغلب﴾ ﴿٢٥﴾

﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴿الكتاب به يقوم العلم والدين والحديد به تقوم الحدود على الكافرين والمنافقين ... ولفظ الإنزال في القرآن قد يرد مقيدا بالإنزال منه: كنزول القرآن وقد يرد مقيدا بالإنزال من السماء ويراد به العلو؛ فيتناول نزول المطر من السحاب ونزول الملائكة من عند الله وغير ذلك وقد يرد مطلقا فلا يختص بنوع من الإنزال؛ بل ربما يتناول الإنزال من رءوس الجبال كقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾. ينظر: مجموع الفتاوى.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ أي

التوراة والزبور والإنجيل والفرقان وغيرها ﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ ٢٦ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ ﴿أَتَبْعَانَهُمْ، وَبَعَثْنَا بَعْدَهُم﴾ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ أَتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ﴿غَلَوْا فِي التَّعْبُدِ﴾ أَتَدْعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا ﴿مَا فَرَضْنَاهَا﴾ عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءً ﴿فَعَلَوْهَا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ رَجَاءً﴾ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَارَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴿فَمَا قَامُوا بِهَا حَقَّ الْقِيَامِ، بَلْ بَدَلُوا، وَخَالَفُوا﴾ فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٢٧﴾

﴿وَرَهْبَانِيَّةً أَتَدْعُوهَا﴾ تركوا النساء، ولبسوا الخشن من الثياب، وأكلوا الخشن من الطعام، ونزلوا الصوامع والأديرة، ولهذه الرهبانية سبب مروي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ذكره باختصار للفظه ومعناه، قال: كان بعد عيسى ملوك بدلوا التوراة، وحرفوا الإنجيل، وألزموا العامة بذلك، وكان بينهم جماعة رفضوا ذلك التحريف للدين، ولم يقبلوه، ففروا بدينهم، والتحقوا بالجبال، وانقطعوا عن الناس؛ مخافة قتلهم أو تعذيبهم؛ لمخالفتهم دين ملوكهم المحدث الجديد فهذا الانقطاع بداية الرهبانية، وعاش أولئك المؤمنون، وماتوا، وجاء جيل من أبناء الدين المحرف، فذكروا سيرة الصالحين، الأولين فأرادوا أن يفعلوا، فعلهم فانقطعوا إلى الصوامع والأديرة، ولكنهم جهال وعلى دين محرف مبدل فاسد، فما انتفعوا بالرهبانية المبتدعة، وفسق أكثرهم عن طاعة الله ورسوله. وهو ما دل عليه قول الله تعالى: ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ وهم الأولون المؤمنون الذين فروا من الكفر والتعذيب، وعبدوا الله تعالى بما شرع، وقوله ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ وهم الذين أتوا من بعدهم إلى يومنا هذا؛ إذ هم يعبدون الله بدين محرف باطل، ولم يلتزموا بالرهبة الصادقة بالزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة. الجزائري

الأجر لمؤمني أهل الكتاب ضعفين

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ **ضعفين** ﴿مِنْ

رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ﴿٢٨﴾ **فِي دُنْيَاكُمْ وَأُخْرَاكُمْ** ﴿٢٩﴾ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٠﴾

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ قال ابن عباس: يعني: الذين آمنوا من أهل الكتاب... وقوله: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾، يُعْطِيكُمْ ضَعْفَيْنِ مِنَ الْأَجْرِ؛ لِإِيْمَانِكُمْ بِعِيسَى ﷺ وَالْأَنْبِيَاءِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ إِيْمَانَكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ حِينَ بَعَثَ نَبِيًّا... قال ابن زيد، في قوله: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ قال: أَجْرَيْنِ: أَجْرُ الدُّنْيَا، وَأَجْرُ الْآخِرَةِ. الطبري

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ أي: يَا مَنْ آمَنْتُمْ بِالرَّسْلِ السَّابِقِينَ حَسَبِ ادْعَائِكُمْ، اتَّقُوا اللَّهَ، فَلَا تَفْرُقُوا بَيْنَ رَسْلِ اللَّهِ. الجزائري
* عامة المفسرين على أن هذا الخطاب لليهود والنصارى. ابن الجوزي

﴿ثَلَاثًا يَعْلَمُ﴾ **أَعْطَاكُمْ اللَّهُ ذَلِكَ لِأَجَلٍ أَنْ يَعْلَمَ** ﴿٣١﴾ **أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴿٣٢﴾

﴿ثَلَاثًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ أي: بَيْنَا لَكُمْ فَضْلَنَا وَإِحْسَانَنَا لِمَنْ آمَنَ إِيْمَانًا عَامًّا، وَاتَّقَى اللَّهَ، وَآمَنَ بِرَسُولِهِ؛ لِأَجَلٍ أَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ يَكُونُ لَدَيْهِمْ عِلْمٌ بِأَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ، أَي: لَا يُجْبِرُونَ عَلَى اللَّهِ بِحَسَبِ أَهْوَائِهِمْ وَعَقُولِهِمُ الْفَاسِدَةِ، فَيَقُولُونَ: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى﴾ [البقرة: ١١١] وَيَتَمَنُّونَ عَلَى اللَّهِ الْأُمَانِي الْفَاسِدَةَ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ بِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمُتَّقِينَ لِلَّهِ، لَهُمْ كِفْلَانِ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَنُورٍ، وَمَغْفِرَةٍ، رَغْمًا عَلَى أَنْوَافِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَلِيَعْلَمُوا ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ مِمَّنْ اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ تَعَالَى أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ فَضْلِهِ، ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾. السعدي

سورة المجادلة

سورة المجادلة، سورة مدنية، تركز على إظهار علم الله الشامل، وإحاطته بالغة؛ تربية لمراقبته، وتحذيراً من مخالفته، وفيها جملة من الأحكام والآداب الشرعية المتعلقة بالمجتمع المسلم، وفيها تأكيد على الولاء والبراء، وعاقبة أعداء الدين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بيان سمع الله لكل شيء، وجملة من أحكام الظاهر

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ﴾ تراجعك، وهي خولة بنت ثعلبة ﴿فِي زَوْجِهَا﴾ أوس بن الصامت لما ظاهرها ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ﴾ أما سبب نزولها، فروي عروة عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: تبارك الذي وسع سمعه الأصوات، ولقد جاءت المجادلة، فكلمت رسول الله ﷺ وأنا في جانب البيت أسمع كلامها، ويخفي علي بعضه، وهي تشتكي زوجها، وتقول: يا رسول الله، أبلى شباي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآيات. ابن الجوزي، وأصل الحديث في البخاري معلقاً.

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ﴾ وقد مر بها عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خلافته والناس معه على حمار، فاستوقفته طويلاً، ووعظته وقالت: يا عمر قد كنت تدعى عميراً، ثم قيل لك: عمر، ثم قيل لك: أمير المؤمنين، فاتق الله يا عمر، فإنه من أيقن بالموت خاف الفوت، ومن أيقن بالحساب خاف العذاب، وهو واقف يسمع كلامها، فقيل له: يا أمير المؤمنين، أتقف لهذه العجوز هذا الوقوف؟ فقال: والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره لا زلت إلا للصلاة المكتوبة، أتدرون من هذه العجوز؟ هي خولة بنت ثعلبة، سمع الله قولها من

فوق سبع سموات، أسمع رب العالمين قولها، ولا يسمعه عمر؟. القرطبي

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ﴾ يقول الرجل لامرأته: أنت على كظهر أمي ﴿مِنْكُمْ مِّنْ نِّسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ ما أمهاتهم ﴿إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا﴾ قولا فضيحا ﴿مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ كذبا ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ﴾ ﴿٢﴾

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ﴾ كان الظهار طلاقا في الجاهلية. الشوكاني
﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ﴾ لولا عفو الله، وصفحه على عباده المؤمنين، ومغفرته
للتائبين، لعاقبهم على هذا القول الكذب الباطل. الجزائري

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ يرجعون عن قولهم، ويعزمون
على وطء نسائهم ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ عتق رقبة مؤمنة عبد أو أمة ﴿مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ يستمتعا بالجماع ﴿ذَلِكَ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿٣﴾

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِّسَائِهِمْ﴾ لا يصح الظهار من امرأة قبل أن يتزوجها؛ لأنها
لا تدخل في نسائه وقت الظهار، كما لا يصح طلاقها، سواء نجز ذلك أو
علقه. السعدي

﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ
سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ
أَلِيمٌ﴾ ﴿٤﴾

﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ لا يجوز للمظاهر الوطء
قبل التكفير، فإن جامعها قبل التكفير أثم وعصى، ولا يسقط عنه التكفير...
إذا وطئ المظاهر في خلال الشهرين نهرا، بطل التابع في قول الشافعي، وليلا
فلا يبطل؛ لأنه ليس محلا للصوم. وقال مالك وأبو حنيفة: يبطل بكل حال
ووجب عليه ابتداء الكفارة. القرطبي

المذهب ينقطع... إذا أصاب المظاهر منها، ولو في زمن يباح له الفطر فيه،
كالليل، والسفر المبيح للفطر، أو ناسيا فإنه ينقطع التابع، والصحيح أنه إذا

أصابها ليلاً لا ينقطع، لكنه يأثم. ابن عثيمين في الشرح الممتع.

﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا﴾ إما بأن يطعمهم من قوت بلده ما يكفيهم، كما هو قول كثير من المفسرين، وإما بأن يطعم كل مسكين مد بر أو نصف صاع من غيره مما يجزي في الفطرة، كما هو قول طائفة أخرى... ولا بد من إطعام ستين مسكينا، فلو جمع طعام ستين مسكينا، ودفعها لواحد أو أكثر من ذلك، دون الستين لم يجز ذلك؛ لأن الله قال: ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا﴾. السعدي

عاقبة أعداء الدين

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ﴾ يشاقون، ويخالفون ﴿اللَّهُ وَرَسُولَهُ كُتِبُوا﴾ خذلوا، وأهينوا ﴿كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ يَبَيِّنُ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (٥) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

﴿ ٥٤٢ ﴾

إحاطة علم الله وأحكام النجوى

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ تناجي ثلاثة بحديث سر ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَذَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٧) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوُا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نَهَوْا عَنْهُ وَيَتَنَبَّجُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ قالوا لك : السام عليكم، أى : الموت لك ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا﴾ هلا ﴿يَعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَيُتْسِ الْأَمِصِيرُ﴾ المرجع والمآل ﴿٨﴾

﴿وَيَتَنَبَّجُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ نزلت في اليهود والمنافقين، وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين، وينظرون إلى المؤمنين، ويتغامزون بأعينهم، فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا: ما نراهم إلا قد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو موت، أو مصيبة، فيقع ذلك في قلوبهم،

ويجزئهم، فلا يزالون كذلك حتى تقدم أصحابهم. فلما طال ذلك وكثر، شكوا المؤمنون إلى رسول الله ﷺ فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين، فلم يتهوا عن ذلك، فنزلت هذه الآية. قاله ابن عباس. ابن الجوزي

﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ﴾ عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن يهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: السام عليكم، فقالت عائشة: عليكم، ولعنكم الله، وغضب الله عليكم. قال: «مهلا يا عائشة، عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش» قالت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: «أولم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم، فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم في». البخاري

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالنَّقْوَىٰ وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ﴾ **التحدث بخفية بالإثم والعدوان** ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾

التففسح في المجالس

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا﴾ **ليوسع بعضكم لبعض** ﴿فَإِن مَّجَلَسٌ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا﴾ **قوموا من مجالسكم لأمر ما** ﴿فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا﴾ **فَإِن مَّجَلَسٌ فَافْسَحُوا** قال القرطبي: الصحيح في الآية أنها عامة في كل مجلس اجتمع فيه المسلمون للخير والأجر، سواء كان مجلس حرب، أو ذكر، أو يوم الجمعة؛ فإن كل واحد أحق بمكانه الذي سبق إليه، ولكن يوسع لأخيه ما لم يتأذ بذلك، فيخرجه الضيق عن موضعه، ويؤيد هذا: حديث ابن عمر عند البخاري ومسلم وغيرهما عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه، ثم يجلس فيه»، وعنه عن النبي ﷺ أنه نهى أن يقام الرجل من مجلسه، ويجلس فيه آخر، ولكن تفسحوا

وتوسعوا». الشوكاني

﴿وَإِذَا قِيلَ اٰنْشُرُوْا﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا قيل: ارتفعوا، وإنما يُراد بذلك: وإذا قيل لكم قوموا إلى قتال عدوّ، أو صلاة، أو عمل خير، أو تفرّقوا عن رسول الله ﷺ فقوموا. الطبري

﴿يَرْفَعُ اللهُ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا مِنْكُمْ وَالَّذِيْنَ اٰتَوْا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ في هذه الآية فضيلة العلم، وأن زينته وثمرته التأدب بآدابه والعمل بمقتضاه. السعدي

﴿ ٥٤٣ ﴾

الصدقة قبل مناجاة الرسول ونسخها

﴿يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا اِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُوْلَ فَقَدِّمُوْا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰتِكُمْ صَدَقَةًۭ ۚ ذٰلِكَ خَيْرٌۭ لَّكُمْ وَاَطْهَرُۭۤ اِنْ لَّمْ تَجِدُوْا فَاِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ﴾ (١٢)

﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰتِكُمْ صَدَقَةً﴾ إذا أمر بالصدقة بين يدي مناجاته صار هذا ميزانا لمن كان حريصا على الخير والعلم، فلا يبالي بالصدقة، ومن لم يكن له حرص ولا رغبة في الخير، وإنما مقصوده مجرد كثرة الكلام، فينكف بذلك عن الذي يشق على الرسول، هذا في الواحد للصدقة، وأما الذي لا يجد الصدقة فإن الله لم يضيق عليه الأمر، بل عفا عنه وسامحه، وأباح له المناجاة، بدون تقديم صدقة لا يقدر عليها. السعدي

﴿ءَاَشْفَقْتُمْ﴾ أخشيتم الفقر؟ ﴿أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰتِكُمْ صَدَقَتٍۭ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوْا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَءَاتُوا الزَّكٰوةَ وَأَطِيعُوا اللّٰهَ وَرَسُوْلَهُۥ ۗ وَاللّٰهُ خَبِيْرٌۭ بِمَا تَعْمَلُوْنَ﴾ (١٣)

﴿ءَاَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰتِكُمْ صَدَقَتٍ﴾ لما رأى تبارك وتعالى شفقة المؤمنين، ومشقة الصدقات عليهم عند كل مناجاة سهل الأمر عليهم، ولم يؤاخذهم بترك الصدقة بين يدي المناجاة، وبقي التعظيم للرسول والاحترام بحاله لم ينسخ؛ لأن هذا الحكم من باب المشروع لغيره، ليس مقصودا لنفسه، وإنما المقصود هو الأدب مع الرسول والإكرام له، وأمرهم تعالى أن يقوموا

بالمأمورات الكبار المقصودة بنفسها، فقال: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ أي: لم يهن عليكم تقديم الصدقة، ولا يكفي هذا، فإنه ليس من شرط الأمر أن يكون هيناً على العبد، ولهذا قيده بقوله: ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: عفا لكم عن ذلك. السعدي

ذم المنافقين الذين لم يراقبوا الله في أفعالهم

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ **المنافقون اتخذوا اليهود أصدقاء، والوهم** ﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٤﴾ **أعدَّ الله لهم عذاباً شديداً إنهم ساء ما كانوا يعملون** ﴿١٥﴾ **اتخذوا أيمانهم جنةً وقاية لهم من القتل** ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ﴿١٦﴾ **لن تُغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً أولئك أصحب النار هم فيها خالدون** ﴿١٧﴾ **يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له أنهم مؤمنون** ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ﴾ **يعتقدون أنهم على شيء على شيء يعتد به، ويعلق عليه الثواب** ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ ﴿١٨﴾ **استحوذ غلب واستولى عليهم الشيطان فأنسهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون** ﴿١٩﴾ **إن الذين يحادون يخالفون ويشاقون** ﴿الله ورسوله أولئك في الآذنين﴾ **الأذلاء المغلوبين المهانين** ﴿٢٠﴾ **كتب الله لأغلِبَ لأنتصرن** ﴿أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ **غالب لا يغلب** ﴿٢١﴾

المؤمنون لا يوادون الكفار

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ﴾ **يحبون** ﴿مَنْ حَادَّ﴾ **عادى** ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ **أقرباءهم** ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ﴾ **قواهم** ﴿بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ **بنصر وتأيد** ﴿وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٢٢﴾

سورة الحشر

سورة الحشر، سورة مدنية، فيها بيان قوة الله، وحديث عن غزوة بني النضير، وفيها بيان لموادة المؤمنين بعضهم بعضا، وشيء من أحوال المنافقين واليهود، وفي آخرها تمجيد الله بأسمائه وصفاته، وتوجيهات للمؤمنين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بيان قوة الله، وحديث عن غزوة بني النضير

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ نزه الله، ومجده ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
 ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ هم يهود بني النضير ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ في أول إخراج وإجلاء من المدينة ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾
 ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ؛ لِحَصَانَتِهَا﴾ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴿لَمْ يَخْطِرْ لَهُمْ بِيَالٍ﴾ وَقَذَفَ ﴿أَلْقَى﴾ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴿الْخَوْفَ الشَّدِيدَ﴾ يُخْرَبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿يَا أَصْحَابَ الْبَصَائِرِ السَّلِيمَةِ﴾

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ المعاهدة التي تمت بين الرسول ﷺ وبين بني النضير، من جملة بنودها: أن يؤدوا مع الرسول ما يتحمل من ديّات. الجزائري.

قلت: وقد نقضت من اليهود بغدرهم كما يتبين في الملحق.
 * في هذه القصة دلالة على جواز مصالحتهم على مجهول من المال؛ لأن النبي ﷺ صالحهم على أرضهم، وعلى الحلقة، وترك لهم ما أقلت الإبل، وذلك مجهول. ابن الجوزي

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ ذلك أن الصلح الذي تم بينهم وبين الرسول والمؤمنين أنهم يحملون أموالهم إلا الحلقة أي السلاح، ويحلون عن البلاد إلى الشام، وهو أول حشر لهم، فكانوا إذا أعجبهم الباب أو الخشبة نزعوها من محلها، فيخرب البيت لذلك. الجزائري

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ لما كان بعد وقعة بدر بسنة أشهر أو نحوها، خرج إليهم النبي ﷺ وكلمهم أن يعينوه في دية الكلابيين الذين قتلهم عمرو بن أمية الضمري، فقالوا: نفعل يا أبا القاسم، اجلس هاهنا حتى نقضي حاجتك، فخلا بعضهم ببعض، وسول لهم الشيطان الشقاء الذي كتب عليهم، فتآمروا بقتله ﷺ وقالوا: أيكم يأخذ هذه الرحي، فيصعد، فيلقيها على رأسه يشدخه بها؟ فقال أشقاهم عمرو بن جحاش: أنا، فقال لهم سلام بن مشكم: لا تفعلوا، فوالله ليخبرن بما همتم به، وإنه لنقض العهد الذي بيننا وبينه، وجاء الوحي على الفور إليه من ربه، بما هموا به، فنهض مسرعا، فتوجه إلى المدينة، ولحقه أصحابه، فقالوا: نهضت، ولم نشعر بك، فأخبرهم بما همت يهود به.

وبعث إليهم رسول الله ﷺ: «أن اخرجوا من المدينة ولا تساكنوني بها، وقد أجلتكم عشرا، فمن وجدت بعد ذلك بها ضربت عنقه» فأقاموا أياما يتجهزون، وأرسل إليهم المنافق عبد الله بن أبي بن سلول: (أن لا تخرجوا من دياركم، فإن معي ألفين يدخلون معكم حصنكم، فيموتون دونكم، وتنصركم قريظة وحلفاؤكم من غطفان).

وطمع رئيسهم حيي بن أخطب فيما قال له، وبعث إلى رسول الله ﷺ يقول: إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك.

فكبر رسول الله ﷺ وأصحابه، ونهضوا إليهم، وعلي بن أبي طالب يحمل اللواء.

فأقاموا على حصونهم يرمون بالنبل والحجارة، واعتزلتهم قريظة، وخانهم ابن أبي وحلفاؤهم من غطفان، فحاصرهم رسول الله ﷺ وقطع نخلهم وحرق. فأرسلوا إليه: نحن نخرج من المدينة، فأنزلهم على أن يخرجوا منها بنفوسهم وذرائعهم، وأن لهم ما حملت إبلهم إلا السلاح، وقبض رسول الله ﷺ الأموال والسلاح.

وكانت بنو النضير، خالصة لرسول الله ﷺ لنوائبه ومصالح المسلمين، ولم

يخمسها؛ لأن الله أفاءها عليه، ولم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب، وأجلاهم إلى خير، وفيهم حيي بن أخطب كبيرهم. السعدي

﴿فَاعْتَبِرُوا يَأْأُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ هذه الآية تدل على الأمر بالاعتبار، وهو اعتبار النظر بنظيره، وقياس الشيء على مثله، والتفكر فيما تضمنته الأحكام من المعاني والحكم التي هي محل العقل والفكرة، وبذلك يزداد العقل، وتتنور البصيرة ويزداد الإيمان، ويحصل الفهم الحقيقي. السعدي

﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ **الخروج من ديارهم** ﴿لَعَذَّبَهُمُ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ ﴿٢﴾

﴿ ٥٤٥ ﴾

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا﴾ **خالفوا أشد المخالفة** ﴿اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ ﴿٥﴾ **نخلة** ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾ **ساقها** ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ﴾ **ليذل** ﴿الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٥﴾

حكم أموال الفيء

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ﴾ **فلم تتركبوا لتحصيله** ﴿مِّنْ حَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ **ما يركب من الإبل** ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٦﴾

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ﴾ تعريف الفيء في اصطلاح الفقهاء، هو: ما أخذ من مال الكفار بحق، من غير قتال، كهذا المال الذي فروا، وتركوه خوفا من المسلمين، وسمي فيئا؛ لأنه رجع من الكفار الذين هم غير مستحقين له إلى المسلمين الذين لهم الحق الأوفر فيه. السعدي

﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ أي: لم تتعبدوا بتحصيلها، لا بأنفسكم ولا بمواشيكم، بل قذف الله في قلوبهم الرعب، فأنتكم صفوا عفوا. السعدي

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ **في مصالح المسلمين** ﴿وَلِذِي

الْقُرْبَىٰ ﴿٥﴾ أَيْ: لِقَرَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿وَالْيَتَمَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ ﴿وَهُوَ الْمَسَافِرُ الَّذِي نَفَدَتْ نَفَقَتُهُ، وَانْقَطَعَ عَنْهُ مَالُهُ﴾ ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً﴾ ﴿مَلِكًا مُّقْتَصِرًا مُّتَدَاوِلًا﴾ ﴿بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِالرَّسُولِ فَخُذُوهُ وَمَنْهَكُمُ عَنْهُ فَأَنْتُمْهُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٧﴾

﴿فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ خمس لله ولرسوله يصرف في مصالح المسلمين العامة، وخمس لذوي القربى، وهم: بنو هاشم وبنو المطلب. السعدي * أطلق الله ذكر الأصناف؛ وليس في اللفظ ما يدل على التسوية بل على خلافها، فمن أوجب باللفظ التسوية فقد قال ما يخالف الكتاب والسنة. ابن تيمية في مجموع الفتاوى.

ممن يستحق الفياء المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ ﴿٨﴾

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ عن ابن عمر أنه سمع رجلاً وهو يتناول بعض المهاجرين فقراً عليه ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ الآية ثم قال: هؤلاء المهاجرون فمنهم أنت قال: لا ثم قرأ عليه ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ الآية ثم قال: هؤلاء الأنصار أفأنت منهم قال: لا ثم قرأ عليه ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ الآية ثم قال: أفمن هؤلاء أنت قال: أرجو قال: لا ليس من هؤلاء من يسب هؤلاء. الدر المنثور في التفسير بالمأثور.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ فيه دليل على جواز تملك المنازل بمكة، والبيع والشراء، حيث نسب المنازل إليهم، خلافاً لمن منعه.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾ استوطنوا المدينة ﴿وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأنصار ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ حسداً لغيرهم من فقراء المهاجرين ﴿مِمَّا أُوتُوا﴾ مما أعطوا من مال الفياء وغيره ﴿وَتُؤْتَرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ حاجة وفقير ﴿وَمَنْ يُوقَ﴾ يكف ويجنب

﴿شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ إن قيل: وردت أخبار صحيحة في النهي عن التصدق بجميع ما يملكه المرء، قيل له: إنما كره ذلك في حق من لا يوثق منه الصبر على الفقر، وخاف أن يتعرض للمسألة إذا فقد ما ينفقه. فأما الأنصار الذين أثنى الله عليهم بالإيثار على أنفسهم فلم يكونوا بهذه الصفة، بل كانوا كما قال الله تعالى: ﴿وَالصَّادِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ [البقرة: ١٧٧]. القرطبي

* قال ابن عمر: أهدي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة، فقال: إن أخي فلانا وعياله أحوج إلى هذا منا، فبعثه إليهم، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تناولها سبعة أبيات، حتى رجعت إلى أولئك، فنزلت ويؤثرون على أنفسهم. القرطبي

* عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا رجل يضيفه هذه الليلة، يرحمه الله؟» فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله، فقال لامرأته: ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخره شيئاً، قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهن، وتعالى فأطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «لقد عجب الله عز وجل - أو ضحك - من فلان وفلانة» فأنزل الله عز وجل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]

[٩] البخاري

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ قال حذيفة العدوي: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي - ومعني شيء من الماء - وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته، فإذا أنا به، فقلت له: أسقيك، فأشار برأسه أن نعم، فإذا أنا برجل يقول: آه! آه! فأشار إلي ابن عمي أن انطلق إليه، فإذا هو هشام بن العاص،

فقلت: أسقيك؟ فأشار أن نعم. فسمع آخر يقول: آه! آه! فأشار هشام أن انطلق إليه فجئته، فإذا هو قد مات. فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات. فرجعت إلى ابن عمي، فإذا هو قد مات. القرطبي

﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ * أخرج ابن المنذر وابن مردويه عن ابن عمر في الآية قال: ليس الشح أن يمنع الرجل ماله - ولكنه البخل وإنه لشر -، إنما الشح أن تطمح عين الرجل إلى ما ليس له. الشوكاني

* عن أبي الهياج الأسدي، قال: كنت أطوف بالبيت، فرأيت رجلاً يقول: اللهم قني شح نفسي، لا يزيد على ذلك، فقلت له، فقال: إني إذا وقيت شح نفسي لم أسرق، ولم أزن، ولم أفعل شيئاً، وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف. الطبري

﴿ ٥٤٦ ﴾

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ **حسداً وحقداً** ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ هؤلاء الأصناف الثلاثة هم أصناف هذه الأمة، وهم المستحقون للفيء الذي مصرفه راجع إلى مصالح الإسلام. السعدي

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ قال عامر بن شراحيل الشعبي: تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة، سئلت اليهود: من خير أهل ملتكم؟ فقالت: أصحاب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم؟ فقالوا: حوارى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسئلت الرافضة: من شر أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب محمد ﷺ أمروا بالاستغفار فسيبهم. البغوي

﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ قال مالك بن أنس: من انتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء المسلمين. البغوي

حال المنافقين، ويهود بني النضير

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴿١٠﴾ يَهُودَ بَنِي النَّضِيرِ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُظِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ ﴿١٣﴾ عَلَى الْفُرْصِ وَالتَّقْدِيرِ لَيُؤْلَبَنَّ الْأَذْبَرُ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٤﴾ لَا يَحْصِلُ لَهُمْ نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ ﴿١٥﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ﴿١٦﴾ فَخَافُوا مِنْكُمْ أَعْظَمَ مِمَّا يَخَافُونَ اللَّهَ ﴿١٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٨﴾ لَا يُقَنِّلُونَكُمْ جَمِيعًا ﴿١٩﴾ أَيْ: الْمُنَافِقُونَ وَالْيَهُودَ مُجْتَمِعِينَ ﴿٢٠﴾ إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ﴿٢١﴾ حَيْطَانُ ﴿٢٢﴾ بِأَسْهُمِ بَيْنَهُمْ ﴿٢٣﴾ عَادَاتِهِمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ ﴿٢٤﴾ شَدِيدٌ مُحْصَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴿٢٥﴾ مُتَفَرِّقَةٌ ﴿٢٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٧﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿٢٨﴾ كَفَّارُ قَرِيشٍ وَبَنَى قَيْنَقَاعَ ﴿٢٩﴾ قَرِيبًا ذَا قُوَا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴿٣٠﴾ سَوْءَ عَاقِبَةِ كُفْرِهِمْ فِي بَدْرٍ ﴿٣١﴾ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ ﴿٣٣﴾ مِثْلُ الْمُنَافِقِينَ فِي وَعْدِهِمُ الْيَهُودَ بِالنَّصْرِ وَخَذْلَانِهِمْ لَهُمْ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ أَكْفَرُ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٥﴾

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ أَكْفَرُ ﴾ عن عبد الله بن مسعود قال: كانت امرأة ترعى الغنم، وكان لها أربعة إخوة، وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب، قال: فنزل الراهب ففجر بها، فحملت، فأتاه الشيطان، فقال له: اقتلها، ثم ادفنها؛ فإنك رجل مصدق يسمع كلامك، فقتلها ثم دفنها؛ قال: فأتى الشيطان إخوتها في المنام، فقال لهم: إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم؛ فلما أحبلها قتلها، ثم دفنها في مكان كذا وكذا؛ فلما أصبحوا قال رجل منهم: والله لقد رأيت البارحة رؤيا وما أدري أقصها عليكم، أم أترك؟ قالوا: لا بل قصها علينا؛ قال: فقصها، فقال الآخر: وأنا والله، لقد رأيت ذلك؛ قالوا: فما هذا إلا شيء، فانطلقوا، فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب، فأتوه فأنزلوه، ثم انطلقوا به، فلقى الشيطان، فقال: إني أنا الذي أوقعتك في هذا، ولن ينجيك منه غيري، فاسجد لي سجدة واحدة، وأنا أنجيك مما

أوقعك فيه؛ قال: فسجد له؛ فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه، وأخذ فقتل. الطبري

﴿ ٥٤٧ ﴾

﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ (١٧)

توجيهات عامة للمؤمنين

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ﴾ **ولتتدبر** ﴿نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾
فيحاسب المرء نفسه ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٨) وَلَا تَكُونُوا
 كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ ﴿تَرَكَوْا أَدَاءَ حَقِّهِ﴾ ﴿فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ **غفلوا عن حظوظ**
أنفسهم في الآخرة ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١٩) لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ
 وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى
 جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَشِيعًا مُّتَصَدِّعًا ﴿٢١﴾ **متشققاً** ﴿مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ
 نُضِرُّهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢١)

تمجيد الله بأسمائه وصفاته

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ **لا معبود بحق إلا هو** ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ﴾ **عالم**
السر وما غاب عن الأعين ﴿وَالشَّهَدَةِ﴾ **عالم كل معلن وحاضر** ﴿هُوَ
 الرَّحْمَنُ﴾ **الذي وسعت رحمته كل شيء** ﴿الرَّحِيمُ﴾ **الذي يرحم المؤمنين**
 خاصة ﴿٢٢﴾ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ **المعظم الممجّد**
 ﴿السَّلَامُ﴾ **الذي سلم من كل عيب** ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ **المصدق رسله بالمعجزات**
 والآيات البينات ﴿الْمُهَيَّمُ﴾ **الرقيب على كل خلقه** ﴿الْعَزِيزُ﴾ **القوي**
 الغالب الذي لا يغلب ﴿الْجَبَّارُ﴾ **الذي قهر جميع العباد** ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾
 ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ﴾ **تنزه الله تعالى** ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢٣)

﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ **الكبر في صفات الله مدح، وفي صفات المخلوقين ذم.** قال
 قتادة: هو الذي تكبر عن كل سوء. قال ابن الأنباري: المتكبر: ذو الكبرياء،
 وهو الملك. الشوكاني

﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ﴾ **المقدر للأشياء والموجد لها** ﴿الْبَارِئُ﴾ **الذي يصور خلقه**

على الكيفية التي يشاؤها ﴿الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ التي لا أحسن منها
﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٤﴾

﴿ ٥٤٨ ﴾

سورة الممتحنة

سورة الممتحنة، سورة مدنية، تركز على تخلص قلوب المؤمنين من الانتفاء والولاء لغير دين الله تعالى، وبيان ما يجب تجاه غير المسلمين، وأحكام الزوجين إذا أسلم أحدهما، وبقي الآخر على الشرك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عدم موالة الكفار

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ ﴿خُلَصَاءَ وَأَحْبَاءَ﴾ ﴿تَلْقَوْنَ﴾ ﴿تَفْضُونَ﴾ ﴿إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا﴾ ﴿لَأَجْلِ إِيْمَانِكُمْ﴾ ﴿بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِ وَابْنِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ ﴿أَخْطَأَ طَرِيقَ الْهُدَى﴾ ﴿١﴾

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ﴾ عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بعثنا رسول الله ﷺ أنا، والزبير، والمقداد، فقال: «اتتوا روضة خاخ؛ فإن بها طعينة معها كتاب، فخذوه منها» فانطلقنا تعادى بنا خيلنا، فإذا نحن بالمرأة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب، أو لتلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين، من أهل مكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «يا حاطب ما هذا؟» قال: لا تعجل علي يا رسول الله ﷺ إني كنت امرأ ملصقا في قريش - قال سفيان: كان حليفا لهم، ولم يكن من أنفسهم - وكان ممن كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحملون بها أهليهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب

فيهم، أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي، ولم أفعله كفرا ولا ارتدادا عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال النبي ﷺ: «صدق» فقال عمر: دعني، يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال: «إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم» فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١] مسلم

﴿إِنْ يَتَقَفَوْكُمْ﴾ **يظفروا بكم** ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ وَيَبْسُطُوا﴾ **يمدوا** ﴿إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ ٢ ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ﴾ **يفرق بين المطيعين والعاصين** ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ٣

إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يتبرأ من الكفار

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ﴾ **قدوة** ﴿حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُكُمْ﴾ **بريئون** ﴿مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ **إلا قول** ﴿لكن لا تقتدوا بإبراهيم حين قال﴾ **إبراهيم لأبيه** ﴿لَا تَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾ **رجعنا بالتوبة والطاعة** ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ ٤ ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ٥

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: لا تسلطهم علينا بذنوبنا، فيفتنونا، ويمنعونا مما يقدرون عليه من أمور الإيمان، ويفتنون -أيضا- بأنفسهم؛ فإنهم إذا رأوا لهم الغلبة ظنوا أنهم على الحق، وأنا على الباطل، فازدادوا كفرا وطغيانا. السعدي

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ **يطمع في الخير من الله** ﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ **يعرض عن الاقتداء بالأنبياء، ويوال أعداء الله** ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ **المحمود في ذاته وصفاته وأفعاله** ٦

الإحسان لغير المعتدين، وذلك لا يعني الموالاة

﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً ﴾ ﴿ حجة بسبب رجوع جملة منهم إلى الإيمان ﴾ ﴿ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ﴾ ﴿ على هداية من شاء ﴾ ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ ﴾ ﴿ تَكْرُمُوهُمْ ﴾ ﴿ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾ ﴿ تعدلوا فيهم ﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ ﴿ العادلين ﴾ ﴿ ٨ ﴾

﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ ﴾ ﴿ جاء أن أسماء بنت أبي بكر سألت النبي ﷺ: هل تصل أمها حين قدمت عليها مشركة؟ قال: (نعم) أخرج به البخاري، ومسلم. القرطبي

﴿ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا بِعَدَاوَتِكُمْ ﴾ ﴿ عاونوا ﴾ ﴿ عَلَى إِخْرَاجِهِمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ ﴾ ﴿ أن تنصروهم، وتودوهم ﴾ ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ﴿ ٩ ﴾

هجرة المؤمنات

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ ﴾ ﴿ فاختبروهن؛ لتعلموا صدق إيمانهن ﴾ ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ ﴾ ﴿ ظننتموهن ﴾ ﴿ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا ﴾ ﴿ وأعطوا أزواج اللاتي أسلمن مثل ما أنفقوا عليهن من المهور ﴾ ﴿ وَلَا جُنَاحَ ﴾ ﴿ لَا إِثْمَ ﴾ ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَانَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ﴾ ﴿ مهورهن ﴾ ﴿ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَارِ ﴾ ﴿ بعقود نكاح زوجاتكم الكافرات ﴾ ﴿ وَسَلُّوا مَا أَنْفَقْتُمْ ﴾ ﴿ واطلبوا من المشركين مهور نسائكم المرتدات اللواتي لحقن بهن ﴾ ﴿ وَلَسَلَّوْا مَا أَنْفَقُوا ﴾ ﴿ على المهاجرات من مهور في حال إسلامهن ﴾ ﴿ ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ﴿ ١٠ ﴾

﴿ إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ ﴾ ﴿ لما كان صلح الحديبية صالح النبي ﷺ المشركين على أن من جاء منهم إلى المسلمين مسلماً: أنه يرد إلى المشركين، وكان هذا لفظاً عاماً، مطلقاً يدخل في عمومته النساء والرجال، فأما الرجال فإن الله لم ينه رسوله عن ردهم إلى المشركين وفاء بالشرط وتتميماً للصلح الذي

هو من أكبر المصالح، وأما النساء فلما كان ردهن فيه مفسد كثيرة أمر الله المؤمنين - إذا جاءهم المؤمنات مهاجرات، وشكوا في صدق إيمانهن - أن يمتحنوهن، ويختبروهن بما يظهر به صدقهن من أيمان مغلظة وغيرها، فإنه يحتمل أن يكون إيمانها غير صادق، بل رغبة في زوج أو بلد أو غير ذلك من المقاصد الدنيوية، فإن كن بهذا الوصف، تعين ردهن وفاء بالشرط، من غير حصول مفسدة، وإن امتحنوهن، فوجدن صادقات، أو علموا ذلك منهن من غير امتحان، فلا يرجعوهن إلى الكفار، ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لِهِنَّ﴾ فهذه مفسدة كبيرة في ردهن راعاها الشارع، وراعى - أيضا - الوفاء بالشرط، بأن يعطوا الكفار أزواجهن ما أنفقوا عليهن من المهر وتوابعه عوضا عنهن.

السعدي

﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لِهِنَّ﴾ الذي عليه الأكثر أنهما متى انقضت العدة ولم يسلم انفسخ نكاحها منه. وقال آخرون: بل إذا انقضت العدة هي بالخيار، إن شاءت أقامت على النكاح واستمرت، وإن شاءت فسخته وذهبت فتزوجت. ابن كثير

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ يعني: إذا أعطيتموهن أصدقتهن فانكحوهن، أي: تزوجوهن بشرطه من انقضاء العدة والولي وغير ذلك. ابن كثير

﴿وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ أيها المؤمنون، حين ترجع زوجاتكم مرتدات إلى الكفار، فإذا كان الكفار يأخذون من المسلمين نفقة من أسلمت من نسائهم، استحق المسلمون أن يأخذوا مقابله ما ذهب من نسائهم إلى الكفار. وفي هذا دليل على أن خروج البضع من الزوج متقوم، فإذا أفسد مفسد نكاح امرأة رجل برضاع أو غيره، كان عليه ضمان المهر. السعدي

﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ ذهب للكفار وارتدت ولم يعطوكم مهرها ﴿فَعَاقِبْنَهُمْ﴾ فظفرتم بالكفار وغنمتم منهم ﴿فَتَأْتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾

﴿ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا ﴾ قال ابن عباس: يقول: إن لحقت امرأة مؤمنة بكفار أهل مكة، وليس بينكم وبينهم عهد ولها زوج مسلم قبلكم فغنمتم، فأعطوا هذا الزوج المسلم مهره من الغنيمة قبل أن تخمس. وقال الزهري: يعطى من مال الفية. وعنه يعطى من صداق من لحق بنا. القرطبي

* أمر الله عز وجل في هذه الآية المؤمنين، أن يعطوا من فرت زوجته من المؤمنين إلى أهل الكفر - إذا هم كانت لهم على أهل الكفر عقيب، إما بغنيمة يصيبونها منهم، أو بلحاق نساء بعضهم بهم - مثل الذي أنفقوا على الفارة منهم إليهم، ولم يخص إيتاءهم ذلك من مال دون مال، فعليهم أن يعطوهم ذلك من كل الأموال التي ذكرناها. الطبري

﴿ ٥٥٠ ﴾

بيعة النساء

﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ﴾
 ﴿بأن يلحقن بأزواجهن أولاداً ليسوا منهم﴾ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعَهُنَّ
 وَأَسْتَغْفِرُهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾

﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ ﴾ هذه الشروط المذكورة في هذه الآية، تسمى: مبايعة النساء اللاتي كن يبايعن على إقامة الواجبات المشتركة، التي تجب على الذكور والنساء في جميع الأوقات. وأما الرجال فيتفاوت ما يلزمهم بحسب أحوالهم ومراتبهم، وما يتعين عليهم. السعدي

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا ﴾ لا تجعلوهم أولياء وأخلاء ﴿قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ من ثواب الآخرة ﴿كَمَا يَيْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ كما يئس الكفار من رجوع موتاهم إليهم لكفرهم بالبعث ﴿١٣﴾

﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ يحتمل أن المعنى: قد يئسوا

من الآخرة أي: قد أنكروها وكفروا بها، فلا يستغرب حينئذ منهم الإقدام على مساخط الله وموجبات عذابه وإياسهم من الآخرة، كما يئس الكفار المنكرون للبعث في الدنيا من رجوع أصحاب القبور إلى الله، تعالى. السعدي

سورة الصف

سورة الصف، سورة مدنية، تركز على حث المؤمنين على نصره دين الله، والجهاد في سبيله، وبيان موقف أهل الكتاب من دعوة موسى وعيسى عليهما السلام وبشارتهم بمحمد ﷺ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نم من يقول، ولا يفعل، والتحريض على الجهاد

﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١)

﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ عن عبد الله بن سلام قال: قعدنا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا، فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملناه، فأنزل الله تعالى: ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ..﴾ الترمذي، وقال الحاكم: على شرط الشيخين، وجاء عند الطبري: قال عبد الله بن رواحة: لا أزال حبيساً في سبيل الله حتى أموت، فقتل شهيدا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ينبغي للأمر بالخير أن يكون أول الناس إليه مبادرة، وللناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس منه. السعدي

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: أتانا رسول الله ﷺ في بيتنا وأنا صبي، قال: فذهبت لأخرج لألعب، فقالت أمي: يا عبد الله: تعال أعطك، فقال لها رسول الله ﷺ: «وما أردت أن تعطيه؟»، قالت: تمراً. فقال: «أما إنك لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة». وذهب الإمام مالك، رَحِمَهُ اللهُ، إلى أنه إذا تعلق بالوعد غرم على الموعد وجب الوفاء به، كما لو قال لغيره: (تزوج، ولك علي كل يوم كذا). فتزوج، وجب عليه أن

يعطيه ما دام كذلك؛ لأنه تعلق به حق آدمي، وهو مبني على المضايقة. وذهب الجمهور إلى أنه لا يجب مطلقاً. ابن كثير، والحديث عند أحمد.

﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ **عظم بغضاً** ﴿عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ﴿صَافِينَ صَفًّا﴾ ﴿كَانَهُمْ بَنِينَ مَرْصُوصِينَ﴾ **متراس محكم لا فرجة فيه يستغلها العدو** ﴿٤﴾

موقف الكفار من دعوة موسى وعيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ووعد الله بإظهار الإسلام

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورُ لِمَ تُوَدُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا﴾ **عدلوا عن الحق مع علمهم به** ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ **صرفها عن قبول الحق** ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٥﴾

﴿ ٥٥١ ﴾

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنَى إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ **لِلَّذِي جَاءَ قَبْلِي** ﴿مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ **محمد** ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ **بِالْآيَاتِ الْوَاضِحَاتِ** ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٦﴾

﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾ **في الصحيح:** «لي خمسة أسماء، أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي تحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب». القرطبي

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ **لا أحد أشد ظلماً** ﴿مِمَّنْ افْتَرَى﴾ **اختلق** ﴿عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ﴾ **إلى الدخول فيه** ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ **الحق** ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ **بأقوالهم الكاذبة** ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ **مظهر الحق بإتمام دينه** ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ لِيَعْلَمَ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ **الأديان المخالفة كلها** ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ﴿٩﴾

التجارة الرباحة

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تَجَرُّعِ نُجُجِكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾
وَأُخْرَىٰ ﴿ وَنِعْمَةً أُخْرَىٰ لَّكُمْ ﴾ ﴿ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾ ﴿ عَلَى الْأَعْدَاءِ ﴾ ﴿ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾
تَسْمَعُ بِهِ دَائِرَةُ الْإِسْلَامِ ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا
قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مِّنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ ﴿ أَصْفِيَاءَ عِيسَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴾ ﴿ وَخَوَاصِهِ ﴾ ﴿ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَتَأْمَنَّا طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ
فَأَيَّدْنَا ﴾ ﴿ قَوْمَنَا وَنَصَرْنَا ﴾ ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عُدُوِّهِمْ فَاصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ ﴿ غَالِبِينَ ﴾ ﴿١٤﴾

﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عُدُوِّهِمْ فَاصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ قال ابن عباس: يعني في زمن عيسى
عَلَيْهِ السَّلَامُ. وذلك أنه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق: فرقة قالوا: كان الله فارفع،
وفرقة قالوا: كان ابن الله، فرفعه الله إليه، وفرقة قالوا: كان عبد الله ورسوله،
فرفعه إليه، وهم المؤمنون، واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس، فاقتتلوا،
فظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث الله محمدا ﷺ فظهرت
الفرقة المؤمنة على الكافرة، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عُدُوِّهِمْ فَاصْبَحُوا
ظَاهِرِينَ﴾ غالبن عالين. البغوي

﴿ ٥٥٢ ﴾

سورة الجمعة

سورة الجمعة، سورة مدنية، فيها بيان منة الله على هذه الأمة ببعثة الرسول،
وفيهما الأمر بالطاعة، والتحذير من مشابهة اليهود في حالهم مع التوراة، وفيها
حديث عن صلاة الجمعة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الامتنان ببعثة الرسول ﷺ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ يتره الله عن كل ما لا يليق به ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ
الْقُدُّوسِ﴾ المنزه عن كل نقص ﴿الْعَزِيزِ﴾ الغالب الذي لا يغالب ﴿الْحَكِيمِ﴾



﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ عن ابن عباس: «أن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة، والمنافقين» مسلم.

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ﴾ العرب الذين لا يقرؤون ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَزُكْرِهِمْ﴾ يطهرهم من العقائد الفاسدة والأخلاق السيئة ﴿وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ السنة ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ﴾ المراد بالأميين: العرب، من كان يحسن الكتابة منهم ومن لا يحسنها؛ لأنهم لم يكونوا أهل كتاب. والأمي في الأصل: الذي لا يكتب، ولا يقرأ المكتوب، وكان غالب العرب كذلك. الشوكاني

﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ قال الماوردي: فإن قيل ما وجه الامتنان بأن بعث نبيا أميا؟ فالجواب عنه من ثلاثة أوجه: أحدها: لموافقته ما تقدمت به بشارة الأنبياء. الثاني: لمشاكلة حال لأحوالهم، فيكون أقرب إلى موافقتهم. الثالث: لينتفي عنه سوء الظن في تعليمه ما دعى إليه من الكتب التي قرأها والحكم التي تلاها. قلت: وهذا كله دليل معجزته وصدق نبوته. القرطبي

﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾ وبعثه إلى قوم آخرين من العرب وغيرهم ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ لم يحيئوا بعد، وسيجيئون ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

ذم اليهود، ودعوتهم للمباهلة

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الصَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ ﴿كُتِبَ﴾ ﴿بِئْسَ مَثَلٌ﴾ ﴿قبح مثلهم﴾ ﴿الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿قُلْ يَتَائِبُ الَّذِينَ هَادُوا﴾ ﴿تدينوا باليهودية﴾ ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

﴿قُلْ يَتَائِبُ الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ

كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧﴾ فهم لما زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه، وقالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى، دعوا إلى المباهلة، والدعاء على أكذب الطائفتين منهم، أو من المسلمين. فلما نكلوا عن ذلك علم كل أحد أنهم ظالمون؛ لأنهم لو كانوا جازمين بما هم فيه لكانوا أقدموا على ذلك، فلما تأخروا علم كذبهم. وهذا كما دعا رسول الله ﷺ وفد نجران من النصارى بعد قيام الحجة عليهم في المناظرة، وعتوهم وعنادهم إلى المباهلة ... فأما من فسر الآية ... أي: إن كنتم صادقين في دعواكم، فتمنوا الآن الموت، ولم يتعرض هؤلاء للمباهلة كما قرره طائفة من المتكلمين وغيرهم ... فيه نظر؛ وذلك أنه لا تظهر الحجة عليهم على هذا التأويل، إذ يقال: إنه لا يلزم من كونهم يعتقدون أنهم صادقون في دعواهم أنهم يتمنوا الموت، فإنه لا ملازمة بين وجود الصلاح وتمني الموت، وكم من صالح لا يتمنى الموت، بل يود أن يعمر ليزداد خيرا؛ وترتفع درجته في الجنة. ينظر: تفسير ابن كثير في تفسير سورة البقرة.

﴿وَلَا يَمْنُونََ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

﴿ ٥٥٣ ﴾

من آداب الجمعة

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا﴾ ﴿١﴾ فامضوا ﴿إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا﴾ ﴿٢﴾ اتركوا ﴿الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١﴾

﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ عن أوس بن أوس الثقفي أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اغتسل يوم الجمعة وغسل، وغدا وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام، وأنصت ولم يلغ، كان له بكل خطوة عمل سنة». النسائي

﴿يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ قال أبو سلمة: أول من قال: (أما بعد) كعب بن لوي، وكان

أول من سمي الجمعة جمعة. وكان يقال ليوم الجمعة: العروبة. وقيل: أول من سماها جمعة الأنصار. القرطبي
﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ فيه دليل على حرمة البيع والشراء على من تلزمه الجمعة بعد صدور النداء الثاني من المسجد الذي يرغب أن يصلي فيه.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ **﴿رَزَقَ اللَّهُ﴾**
﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٠) **﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا﴾** **﴿مَا يُلْهِى مِنْ﴾**
﴿غَنَاءٍ وَزِينَةٍ وَنَحْوِهِمَا﴾ **﴿انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾** **﴿تَفَرَّقُوا عَنْكَ قَاصِدِينَ إِلَيْهَا﴾** **﴿وَتَرَكُوكَ﴾**
﴿قَائِمًا﴾ **﴿تَخْطُبُ عَلَى الْمَنبَرِ﴾** **﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾**
 (١١)

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ هذا أمر بإباحة
 كقوله: **﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾** [المائدة: ٢]، قال ابن عباس: إن شئت فخرج،
 وإن شئت فاقعد، وإن شئت فصل إلى العصر. البغوي
﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً﴾ عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أقبلت عير، ونحن نصلي مع
 النبي ﷺ الجمعة، فانفض الناس إلا اثني عشر رجلاً»، فنزلت هذه الآية:
﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾. البخاري

سورة المنافقون

سورة المنافقون، سورة مدنية، فيها كشف حال المنافقين وصفاتهم، وبيان موقفهم من الإسلام وأهله؛ تحذيراً منهم ومن التشبه بهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحوال المنافقين

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (١) **﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾** **﴿سِتْرَةً لَهُمْ مِنَ﴾**
﴿الْمُؤَاخَذَةِ﴾ **﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** (٢) **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾**
﴿ءَامَنُوا﴾ **﴿أَي: فِي الظَّاهِرِ لَا غَيْرِ﴾** **﴿ثُمَّ كَفَرُوا فُطِيعَ﴾** **﴿فَخْتَمَ﴾** **﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا﴾**

يَفْقَهُونَ ﴿٢﴾ لَا يَفْهَمُونَ مَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ﴿٤﴾ تَسْمَعُ لِحَدِيثِهِمْ لِفَصَاحَتِهِمْ ﴿٥﴾ كَأَنَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لَخَلَوُ قُلُوبِهِمْ مِنَ الْإِيَّانِ وَعَقُولُهُمْ مِنَ الْفَهْمِ ﴿٦﴾ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ ﴿٧﴾ أَخْشَابٌ مُلَقَاةٌ عَلَى حَائِطٍ ﴿٨﴾ يَحْسَبُونَ ﴿٩﴾ يَظُنُّونَ ﴿١٠﴾ كُلُّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴿١١﴾ كُلُّ صَوْتٍ عَالٍ وَإِقَاعٌ عَلَيْهِمْ؛ لَخَوْفِهِمْ، ثُمَّ يَصِفُهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ ﴿١٢﴾ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ ﴿١٣﴾ أَخْزَاهُمْ، وَطَرَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴿١٤﴾ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿١٥﴾ كَيْفَ يَصْرَفُونَ عَنِ الْإِيَّانِ بَعْدَ قِيَامِ الْبِرِّ هَانًا؟! ﴿١٦﴾

﴿ ٥٥٤ ﴾

من أقوال المنافقين

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُءُوسَهُمْ﴾ عَطَفُوهَا إِعْرَاضاً وَاسْتَهْزَاءً ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يَعْرِضُونَ ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُءُوسَهُمْ﴾ إِنَّمَا عُنِيَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ كُلِّهَا فِيهَا ذِكْرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنٍ سَلُولٍ ... وَقِيلَ لَهُ: لَوْ أَتَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلْتَهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ، فَجَعَلَ يَلْوِي رَأْسَهُ، وَيَحْرَكُهُ اسْتَهْزَاءً، وَيَعْنِي ذَلِكَ أَنَّهُ غَيْرُ فَاعِلٍ مَا أَشَارُوا بِهِ عَلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ هَذِهِ السُّورَةَ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا. الطَّبْرِي

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا ﴿٧﴾ يَتَفَرَّقُوا عَنْهُ ﴿٨﴾ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٩﴾

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ عَمِي، فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَنٍ سَلُولٍ يَقُولُ: لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا، وَقَالَ -أَيْضًا-: لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْزَمُ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِي، فَذَكَرَ عَمِي لِرَسُولِ اللَّهِ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَأَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، فَصَدَقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَذَّبَنِي، فَأَصَابَنِي هُمُ لَمْ يَصْبِنِي مِثْلَهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي بَيْتِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لِيُخْرِجَكَ الْأَعْزُ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ فَأَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَهَا عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَقَكَ». البخاري

﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا﴾ من غزوة بنى المصطلق ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَكَ الْأَعْزُ الْأَقْوَى، يَعْنُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴿الْأَضْعَفُ وَالْأَهْوَنُ، يَعْنُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ﴾ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ الْقُوَّةُ وَالْغَلْبَةُ ﴿وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٨)

﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَكَ الْأَعْزُ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ عن جابر بن عبد الله قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة، فكسع رجل من المهاجرين، رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال رسول الله ﷺ: «ما بال دعوى الجاهلية؟» قالوا: يا رسول الله، كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: «دعوها، فإنها منتنة» فسمعها عبد الله بن أبي، فقال: قد فعلوها، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. قال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: «دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه». متفق عليه.

الحث على الصدقة، والتحذير من فتنه الأموال والأولاد

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُوا﴾ لا تشغلکم ﴿أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٩) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي ﴿هَلَا أَهْلَتْنِي، وَأَخَّرْتُ أَجَلِي﴾ إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴿وَقَت مَوْتِهَا﴾ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١)

سورة التغابن

سورة التغابن، سورة مدنية، تبين التغابن والمغبونين من الكافرين؛ تحذيراً من الكفر وأهله، وفيها الحث على الصبر على المصيبة، والأمر بالطاعة، والتحذير من فتنه الأزواج والأولاد، والترغيب في الصدقة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

توحيد الله، منجاة من الغبن الأكبر

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ ﴿١﴾ يَنْزِعُهُ اللَّهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ ﴿٢﴾ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٥﴾ الْمَرْجِعُ ﴿٦﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾

الإعراض عن الدين نتيجه الغبن

﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ﴿٩﴾ كَقَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٠﴾ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴿١١﴾ سَوْءَ عَاقِبَةِ كُفْرِهِمْ ﴿١٢﴾ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا ﴿١٤﴾ أَعْرَضُوا عَنِ الْحَقِّ ﴿١٥﴾ وَاسْتَغْنَى اللَّهُ عَنْهُمْ، فَلَا يَبَالِي بِهِمْ، وَلَا يَضُرُّهُ ضَلَالُهُمْ شَيْئاً ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٧﴾﴾

البعث، وحصول التغابن في يوم القيامة

﴿١٨﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ ﴿٢٠﴾ الْقُرْآنُ ﴿٢١﴾ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٢﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي يُحْشَرُ فِيهِ الْأُولُونَ وَالْآخِرُونَ ﴿٢٤﴾ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴿٢٥﴾ يَظْهَرُ فِيهِ خَسَارَةُ الْكَفَارِ وَغِبْنُهُمْ بِتَرْكِهِمُ الْإِيمَانَ ﴿٢٦﴾ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُكَفِّرْ ﴿٢٧﴾ يَمَحُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٢٨﴾﴾

﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه ليس من كافر إلا وله منزل

وأهل في الجنة، فيرث ذلك المؤمن، فيغبن حينئذ الكافر. ذكر هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: غبن أهل الجنة أهل النار. قاله مجاهد، والقرظي. والثالث: أنه يوم غبن المظلوم الظالم؛ لأن المظلوم كان في الدنيا مغبوناً، فصار في الآخرة غابناً، ذكره الماوردي. والرابع: أنه يوم يظهر فيه غبن الكافر بتركه للإيمان، وغبن المؤمن بتقصيره في الإحسان. ذكره الثعلبي. ابن الجوزي

* اشتر نفسك اليوم، فإن السوق قائمة، والثلث موجود، والبضائع رخيصة، وسيأتي على تلك السوق والبضائع يوم لا تصل فيها إلى قليل ولا كثير ذلك يوم التغابن، يوم يعرض الظالم على يديه. ابن القيم في الفوائد. «ل».

﴿٥٥٦﴾

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (١٠)

الصبر على المصيبة، والأمر بالطاعة

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بقضائه وقدره ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ يوفقه للتسليم بالقضاء والصبر على المقدور ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١١)

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيسلم لها ويرضى. الطبري

* في الحديث المتفق عليه: «عجبا للمؤمن، لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له، إن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن». ابن كثير

* من لم يؤمن بالله عند ورود المصائب، بأن لم يلحظ قضاء الله وقدره، بل وقف مع مجرد الأسباب، أنه يخذل، ويكله الله إلى نفسه، وإذا وكل العبد إلى نفسه، فالنفس ليس عندها إلا الجزع والهلع الذي هو عقوبة عاجلة على العبد، قبل

عقوبة الآخرة، على ما فرط في واجب الصبر. السعدي

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ **أعرضتم عن طاعة الرسول**
 ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (١٢) **الله لا إله إلا هو وعلى الله**
فليتوكل المؤمنون ﴿١٣﴾

التحذير من فتنة الأزواج والأولاد، والترغيب في الصدقة

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾
بصدكم عن سبيل الله وتثيبتكم عن طاعة الله ﴿فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا﴾
تجاوزوا عن سيئاتهم ﴿وَتَصَفَّحُوا﴾ **تعرضوا عنها** ﴿وَتَغْفِرُوا﴾ **تستروها**
عليهم ﴿فَإِن اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٤)

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾
فَاحْذَرُوهُمْ سبب نزولها أن الرجل كان يسلم، فإذا أراد الهجرة منعه أهله،
 وولده، وقالوا: نشدك الله أن تذهب، وتدع أهلَكَ وعشيرتك، وتصير إلى
 المدينة بلا أهل ولا مال. فمنهم من يرق لهم، ويقيم، فلا يهاجر، فنزلت هذه
 الآية. فلما هاجر أولئك، ورأوا الناس فقد فقهوا في الدين هموا أن يعاقبوا
 أهلهم الذين منعوهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا﴾ إلى آخر
 الآية، هذا قول ابن عباس. ابن الجوزي

﴿فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِن اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لما كان
 النهي عن طاعة الأزواج والأولاد - فيما هو ضرر على العبد، والتحذير من
 ذلك - قد يوهم الغلظة عليهم وعقابهم، أمر تعالى بالحدز منهم، والصفح
 عنهم والعفو؛ فإن في ذلك، من المصالح ما لا يمكن حصره. السعدي

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ **بلاء واختبار لكم** ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾
 ﴿فَاقْنُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ﴾
يُوقِ شَحْنَنَفْسِهِ ﴿يَكْفِ بِخَلْهَا الشَّدِيدِ وَطَمَعِهَا بَمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ﴾ ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ هذه الآية تدل على أن كل واجب عجز عنه العبد، أنه يسقط عنه، وأنه إذا قدر على بعض المأمور، وعجز عن بعضه، فإنه يأتي بما يقدر عليه، ويسقط عنه ما يعجز عنه. السعدي

﴿إِنْ تُقْرَضُوا بِاللَّهِ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْ لَكُمُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ (١٧)
 ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٨)

﴿ ٥٥٧ ﴾

سورة الطلاق

سورة الطلاق، سورة مدنية، فيها تعظيم أمر الطلاق، وبيان شيء من أحكامه، وأحكام العدة، وفي السورة بيان لعاقبة التقوى وامتنال شرع الله، وعاقبة الإعراض عن شرع الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطلاق والعدة وأحكامهما

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ **مستقبلات لعدتهن، أي:**
في طهر لم يقع فيه جماع ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ **احفظوها؛ لتعلموا وقت الرجعة إن**
أردتم المراجعة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ **وقت**
العدة ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ **بمعصية ظاهرة كالزنى**
 ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ



يُحَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ **ربما اصطلح الزوجان**

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ في إحصائها أداء لحق الله، وحق الزوج المطلق، وحق من سيتزوجها بعد، وحقها في النفقة ونحوها فإذا ضبطت عدتها علمت حالها على بصيرة، وعلم ما يترتب عليها من الحقوق، وما لها منها، وهذا الأمر بإحصاء العدة، يتوجه للزوج وللمرأة. السعدي
 ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ **اختلف أهل العلم في المطلقة ثلاثا وهي غير**
حامل، هل لها السكنى والنفقة، أو السكنى فقط، أو لاشيء لها؟

عند الإمام أحمد لا شيء لها؛ لحديث فاطمة بنت قيس، ولأن ظاهر القرآن أن ليس لها؛ لأن العلة المذكورة في قوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ فالآية في الرجعات.

﴿وَلَا يَخْرُجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ الصواب من القول في ذلك عندي قول من قال: عنى بالفاحشة في هذا الموضع: المعصية؛ وذلك أن الفاحشة هي كل أمر قبيح تعدي فيه حدّه، فالزنى من ذلك، والسرقة والبذاء على الأحماء، وخروجها متحوّلة عن منزلها الذي يلزمها أن تعتدّ فيه منه، فأى ذلك فعلت - وهي في عدتها - فلزوجها إخراجها من بيتها ذلك، لإتيانها بالفاحشة التي ركبها. الطبري

* قال قتادة: معناه: إلا أن يطلقها على نشوزها، فلها أن تتحول من بيت زوجها. البغوي

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ﴾ قاربن أن ينتهين من عدتهن ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ أشهدوا عدلين على المراجعة ﴿وَأَقِيمُوا﴾ وأدوا ﴿الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوْعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ فرجاً من كل ضيق ﴿٢﴾

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ الجمهور على أن الإشهاد على الرجعة سنة، وقيل واجب. قلت: إن راجعها علنا وعلم بذلك من حولها فذاك يكفي، ولا يجوز أن يكتم الرجعة عنها، فإن ادعى الرجعة بعد أن خرجت من العدة وتزوجت فقد قضت المحكمة العليا بالمملكة العربية السعودية بأن دعواه في الرجعة غير صحيحة، وأن العقد الثاني صحيح.

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ فإذا أراد العبد الطلاق ففعله على الوجه الشرعي، بأن أوقعه طلاقاً واحدة في غير حيض ولا طهر قد وطئ فيه؛ فإنه لا يضيق عليه الأمر، بل جعل الله له فرجاً وسعة يتمكن بها من مراجعة النكاح، إذا ندم على الطلاق. والآية، وإن كانت في سياق الطلاق والرجعة، فإن العبرة

بعموم اللفظ، فكل من اتقى الله تعالى، ولازم مرضاة الله في جميع أحواله، فإن الله يثيبه في الدنيا والآخرة. السعدي

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ أكد تعالى ذكر التقوى وثمراتها... لأن أحكام الطلاق وضبط العدة من أحق الأشياء بالمراعاة، وتأکید الوصية؛ لكثرة ما فيها من الانتصار للنفس وقصد الإضرار وتعدي حدود الله. الإسكافي في درة التنزيل. «ل».

﴿وَبَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ **كافيه** ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾ **منفذ حكمه لا يفوته شيء، ولا يعجزه مطلوب** ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ **أجلًا ينتهي إليه** ﴿٣﴾

عدة من لا تحيض وعدة الحامل

﴿وَالَّتِي يَبْسُنَ مِنَ الْمَحِيضِ﴾ **انقطع رجائهن لكبرهن** ﴿مِنْ نِّسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ﴾ **شككنكم، فلم تدروا: ما الحكم فيهن؟** ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ﴾ **وصاحبات الحمل** ﴿أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ ﴿٤﴾ **ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرًا** ﴿٥﴾

السكنى للمطلقات، وحكم الحوامل

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ **بيت يسكنه مثله ومثلها** ﴿مِنْ وَجْدِكُمْ﴾ **على قدر وسعكم وطاقتكم** ﴿وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِضَيْقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ **في السكن ليتركه** ﴿وَأَنْ كُنَّ أُولَاتٍ﴾ **ذوات** ﴿حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوا رِيَّتَهُنَّ﴾ **وليامر بعضكم بعضاً** ﴿بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَ رُمْ﴾ **تشاحتم بأن لم تنفقوا على إرضاع الأم للطفل** ﴿فَسَتَرْضِعُهُنَّ لَكُمْ أُخْرَى﴾ ﴿٦﴾ **ثم قدر تعالى النفقة، بحسب حال الزوج**

﴿وَأَنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ قال كثير من العلماء -منهم ابن عباس، وطائفة من السلف، وجماعات من الخلف-: هذه في البائن، إن

كانت حاملا أنفق عليها حتى تضع حملها، قالوا: بدليل أن الرجعية تجب نفقتها، سواء كانت حاملا أو حائلا. وقال آخرون: بل السياق كله في الرجعيات، وإنما نص على الإنفاق على الحامل، وإن كانت رجعية؛ لأن الحمل تطول مدته غالبا، فاحتيج إلى النص على وجوب الإنفاق إلى الوضع؛ لئلا يتوهم أنه إنما تجب النفقة بمقدار مدة العدة. ابن كثير

﴿وَاتِمُّوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ هو خطاب للأزواج والزوجات، أي: وليقبل بعضكم من بعض ما أمره به من المعروف الجميل. القرطبي

﴿فَسَرِّضْ لَهُ أُخْرَى﴾ وهذا حيث كان الولد يقبل ثدي غير أمه، فإن لم يقبل إلا ثدي أمه تعينت لإرضاعه، ووجب عليها، وأجبرت إن امتنعت، وكان لها أجرة المثل إن لم يتفقا على مسمى، وهذا مأخوذ من الآية الكريمة من حيث المعنى؛ فإن الولد لما كان في بطن أمه مدة الحمل ليس له خروج منه، عين تعالى على وليه النفقة، فلما ولد، وكان يمكن أن يتقوت من أمه ومن غيرها، أباح تعالى الأمرين، فإذا كان بحالة لا يمكن أن يتقوت إلا من أمه كان بمنزلة الحمل. السعدي

﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدِرَ﴾ ضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾

﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ لا ينقضي عجبك من مجيء هذه الآية بعد تلك الأحوال الصعبة، والمضائق التي يمر بها الزوجان من طلاق، ونزاع على رضاع، وضيق في الرزق، فهي بشارة جلية، وطمأنة إلهية، فهل بعد هذا يسيطر اليأس والقنوط على من قدر عليهما الطلاق؟ إنها آية تسكب الأمل، وتبعث على الفأل، فما على العبد إلا أن يحسن الظن بربه، ويفعل الأسباب ثم ليشر. د. عمر المقبل. ليدبروا آياته

جزاء الإعراض عن شرع الله

﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرْيَةٍ﴾ وكثير من القرى ﴿عَثَّتْ﴾ عصت وتجبرت ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾

وَرُسُلُهُ فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَهَا عَذَابًا نُكْرًا ﴿٨﴾ **مَنْكَرًا عَظِيمًا** ﴿٩﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا ﴿١٠﴾ **سَوْءَ عَاقِبَةٍ عَتَوْهُمْ وَكَفَرَهُمْ** ﴿١١﴾ وَكَانَ عَقِبُهُ أَمْرًا خُسْرًا ﴿١٢﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٣﴾ رَسُولًا يَنْتَلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١٤﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٥﴾

﴿ ٥٥٩ ﴾

سورة التحريم

سورة التحريم، سورة مدنية، تركز على تربية البيت النبوي، ليكون أسوة للأسرة والمجتمع، وفيها الترغيب في التوبة، والموقف من الكفار والمنافقين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حلف النبي ﷺ على عدم تناول شيء أباحه الله، وتأديب أزواج النبي ﷺ

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ لِمَ تَحَرَّمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١﴾

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ لِمَ تَحَرَّمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ الصواب من القول في ذلك أن يقال: كان الذي حرّمه النبي ﷺ على نفسه شيئاً كان الله قد أحله له، وجائز أن يكون ذلك كان جاريته^(١)، وجائز أن يكون كان شراباً من الأشربة، وجائز أن يكون كان غير ذلك، غير أنه، أي ذلك كان، فإنه كان تحريم شيء كان له حلالاً، فعاتبه الله على تحريمه على نفسه ما كان له قد أحله، وبين له تحلة يمينه في يمين كان حلف بها مع تحريمه ما حرّم على نفسه. الطبري

* عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش

(١) قيل: إنه حرم مارية عليه إرضاء لحفصة، واستكنتم حفصة الخبر، فأخبرت عائشة.

فيشرب عندها عسلا، فتواصيت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل: إني أجد منك ريح مغاير^(١)، أكلت مغاير، فدخل على أحدهما، فقالت له ذلك، فقال: «لا بأس شربت عسلا عند زينب بنت جحش، ولن أعود له» فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ نُبُوًّا إِلَى اللَّهِ﴾ لعائشة وحفصة. ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ لقوله: بل شربت عسلا. البغوي

* فهذان سببان صحيحان لنزول الآية، والجمع ممكن بوقوع القصتين: قصة العسل، وقصة مارية، وأن القرآن نزل فيهما جميعا، وفي كل واحد منهما أنه أسر الحديث إلى بعض أزواجه. الشوكاني

﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ تحليل أيمانكم بأداء الكفارة عنها ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم وملتوى أموركم ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ٢ ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ هي حفصة بنت عمر ﴿حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ﴾ أخبرت عائشة ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ﴾ أطلعه ﴿عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ﴾ أعلم حفصة بعض ما أخبرت به ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ كرها منه وحلما ﴿فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ﴾ قالت من أنباءك هذا قال نبأني الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ٢﴾

﴿عَرَفَ بَعْضُهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ الكف عن بعض العتب أبعث على حياء... المعتوب، وأعون على توبته، وعدم عوده إلى فعل مثله ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ وهو أمر السرية والعسل تكرما منه أن يستقصي في العتاب وحياء وحسن عشرة، قال الحسن: ما استقصى كريم قط، وقال سفيان الثوري: ما زال التغافل من فعل الكبراء. البقاعي في نظم الدرر. «ت».

﴿إِنْ نُبُوًّا إِلَى اللَّهِ﴾ ترجعاً -يا حفصة ويا عائشة- إلى الله ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ مالت إلى محبة ما كرهه الرسول من إفشاء سره ﴿وَإِنْ تَظْهَرَا عَلَيْهِ﴾ وإن تعاونا عليه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ **أَعوان وأنصار** ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّمَّنْكَ مُسَلِّمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَیْبَتِ عِدَاتِ سَيِّحَاتٍ ﴿٥﴾ **صائحات** ﴿٥﴾ تَیْبَتِ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾

﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ﴾ الله كان عالما بأنه كان لا يطلقهن، ولكن أخبر عن قدرته على أنه إنطلقهن أبدله خيرا منهن تخويفا لهن. وهو كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]. وهو إخبار عن القدرة، وتخويف لهم، لا أن في الوجود من هو خير من أصحاب رسول الله ﷺ. القرطبي

الإنسان راع ومسؤول عن رعيته

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْمًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقَوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿٦﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْزِدُهُمُ الْيَوْمَ إِنَّمَا تَجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٧﴾

﴿ ٥٦٠ ﴾

الترغيب في التوبة والموقف من الكفار والمنافقين

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ **صادقة بنية الإقلاع عن الذنب** ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزَىٰ اللَّهُ﴾ **لا يذل ولا يعذب** ﴿النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ﴾ **يسير** ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ **أمامهم** ﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٨﴾ ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ **بإقامة الحدود عليهم** ﴿وَأَغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ **استعمل** **الخشونة والشدّة في جهادهم** ﴿وَمَا أُوْنَهُمْ جَهَنَّمَ وَيُشَسَّ الْمَصِيرُ﴾ **المرجع والمآل** ﴿٩﴾

﴿ ١ ﴾

لا يضر الشخص كفر أحد أهل البيت إن فعل الأسباب، وحال المؤمن في البيت الكافر

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أُمْرَاتَ نُوحٍ وَأُمْرَاتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ **بالكفر والمخالفة في الدين** ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا﴾ **فلم يدفعنا، ويمنعا عنها** ﴿مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ ﴿١٠﴾

﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال ابن عباس: كانت خيائتهما أنهما كانتا على عورتيهما، فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجابرة من قوم نوح به، وأما امرأة لوط فكانت، إذا أضاف لوط أحدا، أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء. ابن كثير

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أُمْرَاتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِخْنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِخْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١١﴾

مريم بنت عمران

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ﴾ **حفظت، وصانت عن الزنى** ﴿فَرَجَهَا﴾ **فنفخنا فيه من رُوحنا** ﴿جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ **حيث نفخ في جيب قميصها، فوصلت النفخة إلى رحمها** ﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا﴾ **وكانت من الطيبين** ﴿الطَّيِّبِينَ﴾ **المطيعين لربهم** ﴿١٢﴾

سورة الملك

سورة الملك، سورة مكية، تركز على إظهار كمال ملك الله وقدرته؛ بعثاً على خشيته، وتحذيراً من عقابه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمجيد الله

﴿تَبَرَّكَ﴾ **تعالى، وتعاضم، وتكاثر خيره** ﴿الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

﴿تَبَرَّكَ﴾ عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي سورة ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾». رواه أبو داود، والترمذي، وحسنه الألباني، وجاء عند أحمد عن ابن عباس مرفوعاً أنها: «المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر».

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾ **ليختبركم** ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ **أخلصكم وأصوبه** ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾

﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قال الفضيل بن عياض: أحسن عملاً: أخلصه وأصوبه. وقال: العمل لا يقبل حتى يكون خالصاً صواباً فالخالص إذا كان لله والصواب إذا كان على السنة. البغوي

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ بعضها فوق بعض من غير مماسة ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ﴾ اختلاف موجب للنقص ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ شقوق وصدوع ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ أعد النظر مرة بعد مرة ﴿كَرَرَيْنِ يَنْقَلِبُ﴾ يرجع ﴿إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ ذليلاً صاغراً ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ متعب كليل ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ﴾ نجوم ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ شهاباً محرقة لمسترقى السمع من الشياطين ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ أعددنا ﴿عَذَابَ السَّعِيرِ﴾

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ﴾ قال قتادة: إنما خلقت هذه النجوم لثلاث خصال: خلقها الله زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به. ابن كثير

﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ عاد الضمير في قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ على جنس المصابيح لا على عينها؛ لأنه لا يرمي بالكواكب التي في السماء، بل بشهاب من دونها، وقد تكون مستمدة منها، والله أعلم. ابن كثير

صفة جهنم والداخلين فيها

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ المرجع والمآل ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا ﴿صَوْتًا مُنْكَرًا﴾ وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَغْلَى غَلِيانًا شَدِيدًا ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ تَمَزَقُ مِنْ شِدَّةِ غَضَبِهَا عَلَى الْكَفَّارِ ﴿كَلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ جَمَاعَةٌ ﴿سَأَلُوهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ رَسُولٌ يُحَذِّرُكُمْ هَذَا الْعَذَابَ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴿وَقَالُوا لِلرُّسُلِ أَيُّضًا مَا أَنْتُمْ﴾ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا ﴿أَيُّ: فِي النَّارِ مُعْتَرِفِينَ بِعَدَمِ أَهْلِيَّتِهِمْ لِلْهُدَىٰ وَالرَّشَادِ﴾ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحْقًا ﴿فَبَعْدًا﴾ لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾

آثار خشية الله، وبيان شيء من نعمه

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ يَخْشَوْنَهُ، وَهُمْ غَائِبُونَ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ، وَيَخْشَوْنَ الْعَذَابَ قَبْلَ مُعَايِنَتِهِ ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿١٢﴾

﴿٥٦٢﴾

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا ﴿سَهْلَةً مُمَهَّدَةً تَسْتَقَرُّونَ عَلَيْهَا﴾ فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴿نَوَاحِيهَا وَجَوَانِبُهَا﴾ وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿إِلَيْهِ تَبْعُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ﴾ ﴿١٥﴾

﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ روي أن بشير بن كعب كانت له سرية فقال لها: إن أخبرتني ما مناكب الأرض فأنت حرة؟ فقالت: مناكبها جبالها. فصارت حرة. القرطبي

عظمة الله وقدرته

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ اللَّهُ الَّذِي فِي الْعُلُوِّ ﴿أَنْ يَخْصِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ تَضْطَرُّ بِكُمْ حَتَّى تَهْلِكُوا ﴿١٦﴾ أَمْ أَنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ

حَاصِبًا ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَقَتْ بِأَسْطَاتِ أَجْنَحَتِهَا عِنْدَ طَيْرَانِهَا فِي الْهَوَاءِ وَيَقْبِضْنَ ﴿١٩﴾ وَيُضْمِنُهَا إِلَى جَنُوبِهَا ﴿٢٠﴾ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿٢١﴾

﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ أي: حتى لا يسقطن على الأرض حال البسط للأجنحة والقبض لها. الجزائري

لا مرد لأمر الله وحكمه

﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ خداع وضلال من الشيطان ﴿٢٠﴾ ﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ، بَلْ لَجُوا﴾ استمروا وتمادوا ﴿فِي عُتُوٍّ﴾ معاندة واستكبار ﴿وَنُفُورٍ﴾ شرود وتباعد عن الحق ﴿٢١﴾ ﴿أَفَنْ يَمْشِي مُكِبًّا﴾ منكساً ﴿عَلَى وَجْهِهِ﴾ أهدى آمن يمشي سويًا ﴿مُسْتَوِيًّا﴾ منتصب القامة سالمًا ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ طريق واضح لا اعوجاج فيه ﴿٢٢﴾

﴿أَفَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ﴾ هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي مكبا على وجهه، أي: يمشي منحنيا لا مستويا على وجهه، أي: لا يدري أين يسلك، ولا كيف يذهب؟ بل تائه حائر ضال ... وكذلك يكونون في الآخرة. فالمؤمن يحشر يمشي سويا على صراط مستقيم، مفض به إلى الجنة الفيحاء، وأما الكافر فإنه يحشر يمشي على وجهه إلى نار جهنم ... قال أنس بن مالك: قيل: يا رسول الله، كيف يحشر الناس على وجوههم؟ فقال: «أليس الذي أمشاهم على أرجلهم قادرا على أن يمشيهم على وجوههم» ابن كثير

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ أوجدكم ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ ﴿٢٤﴾ خَلَقَكُمْ ونشركم في الأرض ﴿٢٥﴾ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ

تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾

حال المنكر للبعث في الآخرة

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿٥٦٣﴾

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ رَأَوْا عَذَابَ اللَّهِ قَرِيباً ﴿سَيِّئَتْ﴾ ذَلَّتْ وَاسْوَدَّت ﴿وُجُوهُ﴾
 الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿تَطْلُبُونَ أَنْ يَعْجَلَ لَكُمْ مِنَ﴾
 الْعَذَابِ اسْتِهْزَاءً ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ
 يُحْمَى ﴿الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا
 فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أَخْبِرُونِي ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾
 ذَاهِبًا فِي الْأَرْضِ لَا تَصِلُونَ إِلَيْهِ بوسيلة ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ جَارٍ عَلَى وَجْهِ
 الْأَرْضِ لِلْعَيْنِ ﴿٣٠﴾﴾

سورة القلم

سورة القلم، سورة مكية، فيها إظهار علم النبي وخلقته تأييدا له بعد تطاول
 المشركين عليه، وفيها قصة أصحاب الجنة وما فيها من عبر، وفيها بيان شيء
 من أهوال الآخرة وما أعد فيها للمؤمن والكافر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خلق النبي ﷺ وتوجيهات له في التعامل مع المكذبين

﴿تَ وَالْقَلَمِ﴾ قسم بالقلم الذي تكتب به الملائكة والناس ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾
 والذي يكتبونه بالقلم ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿أَنْتَ بَرِيءٌ مِنَ الْجُنُونِ﴾
 الذي نسبته إليك المشركون بعد النبوة ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾
 منقوص ولا منقطع ﴿٤﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ كَانَ أَعْدَاؤُهُ يَنْسُبُونَ
 إِلَيْهِ أَنَّهُ مَجْنُونٌ مَفْتُونٌ

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ سئلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن. ابن الجوزي

﴿فَسْتَبْصِرُ وَتُبْصِرُونَ ٥﴾ بِأَيِّكُمْ أَلْفَتُونَ ﴿فِي أَى الْفَرِيقَيْنِ الْفِتْنَةِ وَالْجَنُونَ ٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ٧﴾ فَلَا تَطْعُمُ الْمُكْذِبِينَ ٨﴾ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ ۖ تَلَائِينَ ۖ وَتَصَانَعُ ۖ فَيُدْهِنُونَ ٩﴾ وَلَا تَطْعَمُ كُلُّ حَلَافٍ ۖ كَثِيرَ الْحَلْفِ ۖ مَهِينٍ ۖ كَذَابٍ حَقِيرٍ ١٠﴾

﴿حَلَافٍ مَّهِينٍ﴾ اختلفوا فيمن نزل هذا، على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الوليد بن المغيرة، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: الأخنس بن شريق، قاله عطاء، والسدي. والثالث: الأسود بن عبد يغوث، قاله مجاهد. ابن الجوزي

* الآية عامة في كل من اتصف بهذا الوصف؛ لأن القرآن نزل لهداية الخلق كلهم، ويدخل فيه أول الأمة وآخرهم، وربما نزل بعض الآيات في سبب أو في شخص من الأشخاص؛ لتتضح به القاعدة العامة، ويعرف به أمثال الجزئيات الداخلة في القضايا العامة. السعدي

﴿هَمَّازٍ ۖ مَغْتَابٍ لِلنَّاسِ ۖ مَشَاءً بَنِيمٍ﴾ يَمْشَى بِالنَّمِيمَةِ ﴿١١﴾

﴿مَشَاءً بَنِيمٍ﴾ قال أكرم بن صيفي لبنيه: إياكم والنميمة، فإنها نار محرقة، وإن النمام ليعمل في ساعة ما لا يعمل الساحر في شهر. القرطبي

﴿مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ١٢﴾ عُتْلٍ ۖ فَاحِشٍ لَّئِيمٍ ۖ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ۖ الْمَلْصَقُ بِالْقَوْمِ لَيْسَ مِنْهُمْ ١٣﴾

﴿عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ قال ابن عباس: رجل من قريش له زنمة مثل زنمة الشاة. ومعنى هذا: أنه كان مشهورا بالشر كشهرة الشاة ذات الزنمة من بين أخواتها. وإنما الزنيم في لغة العرب: هو الدعي في القوم. قاله ابن جرير وغير واحد من الأئمة. ابن كثير

﴿أَنْ كَانَ ۖ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ كَانَ ۖ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ١٤﴾ إِذَا تَتَلَّىٰ عَلَيْهِ ۖ آيَاتُنَا ۖ قَالَكُ

أَسْطِيرٌ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُ ﴿١٥﴾ سَنَجْعَلُ لَهُ عِلْمَهُ
لَا تَفَارِقَهُ ﴿١٦﴾ عَلَى الْخَرْطُومِ ﴿١٦﴾ أَنْفَهُ ﴿١٦﴾

﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخَرْطُومِ﴾ قال الزجاج: (سنجعل له في الآخرة العلم الذي يعرف به أهل النار من اسوداد وجوههم)، وجائز - والله أعلم - أن يفرد بسمه لمبالغته في عداوته لرسول الله ﷺ يتبين بها عن غيره. ابن الجوزي

﴿٥٦٤﴾

قصة أصحاب البستان المعرضين عن الخير

﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ﴾ اخترنا المشركين بالقحط والجوع ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾
الحديقة ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَصَرْمُتُهَا﴾ ليقطعن ثمار حديقتهن ﴿مُصْبِحِينَ﴾ ﴿١٧﴾

﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ قال السدي: كان قوم باليمن، وكان أبوهم رجلاً صالحاً، وكان إذا بلغ ثماره أتاها المساكين، فلم يمنعهم من دخولها، وأن يأكلوا منها ويتزودوا، فلما مات قال بنوه بعضهم لبعض: علام نعطي أموالنا هؤلاء المساكين؟! تعالوا، فلندلج فنصرمها قبل أن يعلم المساكين، ولم يستثنوا، فانطلقوا، وبعضهم يقول لبعض خفتا: لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين. القرطبي

﴿وَلَا يَسْتَنُونَ﴾ ولا ينوون استثناء حصة المساكين، ولم يقولوا: إن شاء الله ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا ﴿١٨﴾ أَحَاطَ نَازِلًا عَلَيْهَا ﴿١٨﴾ طَافٌ مِّن رَّبِّكَ ﴿١٨﴾ نَارَ أَحْرَقْتَهَا ﴿١٨﴾ وَهِيَ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَاصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ كَاللَّيْلِ الْمُظْلَمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا ﴿٢٠﴾ نَادَىٰ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ﴿٢١﴾ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنْ أَغْدُوا ﴿٢٢﴾ اذْهَبُوا مُبَكِّرِينَ ﴿٢٣﴾ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٤﴾ رَاغِبِينَ فِي جَنَى الثَّارِ ﴿٢٥﴾ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَتُونَ ﴿٢٦﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٧﴾ وَغَدُوا عَلَىٰ حَرْدٍ ﴿٢٨﴾ عَلَىٰ قَصْدِهِمُ السَّيِّئِ ﴿٢٩﴾ فِي مَنَعَ الْمَسَاكِينَ ﴿٣٠﴾ قَادِرِينَ عَلَيْهِ ﴿٣١﴾ فِي أَنْفُسِهِمْ ﴿٣٢﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٣٣﴾ لَمْخَطُونَ ﴿٣٤﴾ فِي طَرِيقِهَا ﴿٣٥﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴿٣٨﴾ أَعْدَلُهُمْ وَأَقْرَبُهُمْ لِلْخَيْرِ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٤٠﴾ هَلَا تَذْكُرُونَ ﴿٤١﴾

اللَّهُ، وَتَسْتَغْفِرُونَهُ مِنْ فَعْلِكُمْ وَخَبَثِ نَيْتِكُمْ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَنَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَمُوثُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يُونَيْلَا إِنَّا كُنَّا طُغْيَانٌ ﴿٣١﴾ عَسَى رَبَّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ طَالِبُونَ الْخَيْرِ ﴿٣٣﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ ﴿٣٤﴾ مِثْلَ ذَلِكَ يَكُونُ الْعِقَابُ لِلْمُخَالِفِينَ ﴿٣٥﴾ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

جزاء المتقين، وبيان هول القيامة

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ يَخْبَرُكُمْ أَنْكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ﴿٣٨﴾ إِنْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ مَا تَحْزَرُونَ ﴿٣٩﴾ وَوَجَدْتُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ لَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ أَتَمَّنُّونَ ﴿٤١﴾ عَهْدٌ وَمَوَاقِيقُ ﴿٤٢﴾ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُمْ لِمَا تَحْكُمُونَ ﴿٤٣﴾ أَنَّهُ سَيَحْصِلُ لَكُمْ مَا تَرِيدُونَ وَتَشْتَهُونَ ﴿٤٤﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ رَعِيمٌ ﴿٤٥﴾ كَفِيلٌ وَضَامِنٌ بِأَنْ يَكُونَ لَهُمْ ذَلِكَ ﴿٤٦﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فُلْيَا تُوْأُ بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ لما دعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه - مع صحتهم وسلامتهم - كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة، إذا تجلى الرب، عَزَّوَجَلَّ، فيسجد له المؤمنون، لا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد، بل يعود ظهر أحدهم طبقاً واحداً، كلما أراد أحدهم أن يسجد خر لقفاه، عكس السجود، كما كانوا في الدنيا، بخلاف ما عليه المؤمنون. ابن كثير * جاء في البخاري عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، فيبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقاً واحداً».

﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ﴾ ﴿٤٩﴾ منكسرة ذليلة لا يرفعونها ﴿٥٠﴾ تَرْهَقُهُمْ ﴿٥١﴾ تَغْشَاهُمْ ﴿٥٢﴾ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٥٣﴾ أَصْحَاءٌ قَادِرُونَ ﴿٥٤﴾

الوعيد للمكذبين بالقرآن وأمر النبي ﷺ بالصبر

﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ **القرآن** ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ **سنمدهم بالأموال**
والنعم استدراجاً لهم ﴿مَنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ **وَأَمْلَى لَهُمْ** ﴿وَأَمَلَهُمْ وَأَطِيلَ
أَعْمَارَهُمْ ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ **قوى شديد** ﴿٤٥﴾ **أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ﴾**
غرامة تلك الأجرة ﴿مُتَقَلَّبُونَ﴾ **مكلفون حملاً ثقيلاً** ﴿٤٦﴾ **أَمْ عِنْدَهُمْ** **بل**
أَعْنَدُهُمْ ﴿الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ **فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾** **لا**
تكن مثل يونس حين استعجل عذاب قومه وغضب ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾
مملوء غمّاً ﴿٤٨﴾ **لَوْلَا أَن تَدْرِكُهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾** **بتوقيفه للتوبة وقبولها** ﴿لَنُذِ
بَالْعَرَاءِ﴾ **لطرَح من بطن الحوت بالأرض الفضاء المهلكة** ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ **آت بما**
يلام عليه ﴿٤٩﴾ **فَاجْنَبْهُ رَبُّهُ﴾** **فاصطفاه ربه لرسالته** ﴿فَجَعَلَهُ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٥٠﴾
وَلِإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ﴾ **ليسقطونك عن مكانك بنظرهم إليك**
عداوة وبغضاً ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ ﴿٥١﴾

﴿وَلِإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ﴾ **قيل: إن الكفار قصدوا أن يصيبوا رسول**
الله ﷺ بالعين، وكان فيهم رجل يمكث اليومين والثلاثة لا يأكل شيئاً، ثم
يرفع جانب خبائه، فتمر به النعم، فيقول: لم أر كاليوم إبلاً، ولا غنماً أحسن من
هذه، فما تذهب إلا قليلاً حتى يسقط منها عدة، فسأل الكفار هذا الرجل أن
يصيب رسول الله ﷺ بالعين، فعصم الله نبيه، وأنزل هذه الآية. ابن الجوزي
﴿وَلِإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ﴾ **ذكر نحوه الماوردي، وأن العرب كانت إذا**
أراد أحدهم أن يصيب أحداً - يعني في نفسه وماله - تجوع ثلاثة أيام، ثم
يتعرض لنفسه وماله، فيقول: تالله ما رأيت أقوى منه، ولا أشجع، ولا أكثر
منه، ولا أحسن، فيصيبه بعينه، فيهلك هو وماله، فأنزل الله تعالى هذه الآية.
قال القشيري: وفي هذا نظر، لأن الإصابة بالعين إنما تكون مع الاستحسان
والإعجاب، لا مع الكراهية والبغض ... قلت: أقوال المفسرين واللغويين تدل
على ما ذكرنا، وأن مرادهم بالنظر إليه قتله، ولا يمنع كراهة الشيء من أن
يصاب بالعين عداوة حتى يهلك. القرطبي

﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ﴾ قال ﷺ لأسماء بنت عميس: «ما لي أرى أجسام بني أخي ضارعة تصيبهم الحاجة» قالت: لا، ولكن العين تسرع إليهم، قال: «أريقهم» قالت: عرضت عليه، فقال: «أريقهم». مسلم

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٥٢﴾

سورة الحاقة

سورة الحاقة، سورة مدنية، فيها الحديث عن القيامة، وعاقبة بعض من كذب بها، وبيان أهوالها، وأحوال المكلفين فيها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القيامة، وجزاء من كذب بها

﴿الْحَاقَّةُ﴾ القيامة الواقعة حقاً التي يتحقق فيها الوعد والوعيد ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَبَتْ ثَمُودُ ﴿٤﴾ قوم صالح ﴿٥﴾ وَعَادُ ﴿٦﴾ قوم هود ﴿٧﴾ بِالْقَارِعَةِ ﴿٨﴾ بالقيامة التي تفرع القلوب بأهوالها ﴿٩﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا ﴿١٠﴾ بِالطَّاغِيَةِ ﴿١١﴾ بالصيحة التي جاوزت الحد في شدتها ﴿١٢﴾ وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا ﴿١٣﴾ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ ﴿١٤﴾ باردة ﴿١٥﴾ عَاتِيَةٍ ﴿١٦﴾ شديدة الهبوب ﴿١٧﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ ﴿١٨﴾ سَلْطَهَا عَلَيْهِمْ ﴿١٩﴾ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴿٢٠﴾ متتابعة لا تفتر، ولا تنقطع ﴿٢١﴾ فَفَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى ﴿٢٢﴾ موتى ﴿٢٣﴾ كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ ﴿٢٤﴾ أصول نخل ﴿٢٥﴾ خَاوِيَةٍ ﴿٢٦﴾ خربة متأكلة الأجواف ﴿٢٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٢٨﴾

﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ هذا استفهام بمعنى النفي المقرر. السعدي

﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَتُ﴾ أهل قرى قوم لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ الذين انقلب بهم ديارهم ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ بالفعلات ذات الخطأ الجسيم ﴿٩﴾ فَصَوَّأَ رَسُولُ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴿١٠﴾ بالغة في الشدة ﴿١١﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ ﴿١٢﴾ جاوز الماء حدة، وارتفع فوق كل شيء ﴿حَمَلَتْكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ السفينة التي صنعها نوح

عَلَيْهِ السَّلَام ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا ﴿﴾ **يعرف المقصود منها** ﴿أُذُنٌ وَعِيَةٌ﴾
أصحاب العقول ﴿١٢﴾

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ تذكركم أول سفينة صنعت، وما قصتها؟ وكيف نجى الله عليها من آمن به، واتبع رسوله، وأهلك أهل الأرض كلهم؟ فإن جنس الشيء مذكر بأصله. السعدي

من أهوال يوم القيامة

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَام ﴿نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ هي النفخة الأولى التي يكون بها هلاك العالم ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتْ ﴿﴾ **رفعت من أماكنها** ﴿الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَذُكَّنَا﴾ **فدقنا وكسرتا** ﴿دَكَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿قَامَتِ الْقِيَامَةُ﴾ ﴿١٥﴾ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿**ضعيفة مسترخية** ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ ﴿**الملائكة** ﴿عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ **جوانب السماء** ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ ﴿**على الله للجزاء والحساب** ﴿لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ ﴿١٨﴾

جزاء المتقين وجزاء العاصين

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ **فَيَقُولُ هَآؤُمُ** ﴿**خذوا** ﴿أَقْرَأُوا كِتَابِيَّةً﴾ ﴿١٩﴾

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ قال ابن عباس: أول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الأمة عمر بن الخطاب، وله شعاع كشعاع الشمس. قيل له: فأين أبو بكر؟ فقال: هيهات هيهات! زفته الملائكة إلى الجنة. ذكره الثعلبي. القرطبي ﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ أَقْرَأُوا كِتَابِيَّةً﴾ يقول أحدهم عند ذلك من الفرح والسرور ومحبة أن يطلع الخلق على ما من الله عليه به من الكرامة: ﴿هَآؤُمُ أَقْرَأُوا كِتَابِيَّةً﴾. السعدي

﴿إِنِّي ظَنَنْتُ﴾ **أيقنت** ﴿أَنِّي مُلِقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿**هيئة مرضية** ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا ﴿**ثمارها** ﴿دَانِيَةٌ﴾ ﴿**قريبة يتناولها القاعد** والمضطجع ﴿٢٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا ﴿**غير منغص ولا مكدر** ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾ **قدمتم** ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ **فَيَقُولُ يَلَيِّنِي لِمَ أُوتِيَ كِتَابِيَّةً**

﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَّةٌ ﴿٢٦﴾ يَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي ﴿٢٨﴾ مَا نَفَعْنِي ﴿٢٩﴾ خَذُوهُ فَعُولُهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوْهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا طُولُهَا بِذِرَاعِ الْمَلِكِ ﴿٣٢﴾ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٣﴾ فَأَدْخَلُوهَا فِيهِ ﴿٣٤﴾

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ قال ابن عباس: تدخل في استه، ثم تخرج من فيه، ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد في العود حين يشوى. ابن كثير ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾

﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ كان أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين، ويقول: «خلعنا نصف السلسلة بالإيمان، أفلا نخلع نصفها؟» اقتبس ذلك من الآية. الألوسي في روح المعاني. «ت».

﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ﴾ قَرِيبٌ يَحْمِيهِ مِنَ الْعَذَابِ ﴿٣٥﴾

﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ خرج ابن عمر في بعض نواحي المدينة ومعه أصحاب له، ووضعوا سفرة لهم، فمر بهم راعي غنم فسلم، فقال ابن عمر: هلم يا راعي هلم؛ فأصب من هذه السفرة، فقال له: إني صائم، فقال ابن عمر: أتصوم في مثل هذا اليوم الحار الشديد سموه وأنت في هذه الجبال ترعى هذه الغنم، فقال له: إني والله أبادر أيامي الخالية، فقال له ابن عمر وهو يريد أن يختبر ورعه: فهل لك أن تبيعنا شاة من غنمك هذه فنعطيك ثمنها، ونعطيك من لحمها فتفطر عليه فقال: إنها ليست لي بغنم، إنها غنم سيدي.

فقال له ابن عمر: فما عسى سيدك فاعلا إذا فقدتها فقلت أكلها الذئب، فولى الراعي عنه وهو رافع إصبعه إلى السماء وهو يقول: فأين الله، قال: فجعل ابن عمر يردد قول الراعي «فأين الله» فلما قدم المدينة بعث إلى مولاه فاشترى منه

الغنم والراعي، فأعق الراعي ووهب منه الغنم. ينظر: أسد الغابة، وليدبروا آياته.

﴿٥٦٧﴾

﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ﴾ صديد أهل النار ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿الْمَذْنُوبُونَ﴾
﴿٣٧﴾ المصرون

القرآن كلام الله

﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ أقسم ، و(لا) لتأكيد القسم ﴿بِمَا بُصِرُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا بُصُرُونَ ﴿٣٩﴾
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ﴿بِسَجْعِ﴾
كسجع الكهان الذين يدعون علم المغيبات ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَقُولُ ﴿اِخْتَلَقْ وَافْتَرى﴾ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ
﴿٤٥﴾

﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿لو قدر أن الرسول -حاشا وكلا- تقول على الله لعاجله بالعقوبة، وأخذه أخذ عزيز مقتدر؛ لأنه حكيم، على كل شيء قدير، فحكمته تقتضي أن لا يمهل الكاذب عليه، الذي يزعم أن الله أباح له دماء من خالفه وأموالهم، وأنه هو وأتباعه لهم النجاة، ومن خالفه فله الهلاك.﴾

فإذا كان الله قد أيد رسوله بالمعجزات، وبرهن على صدق ما جاء به بالآيات البينات، ونصره على أعدائه، ومكنه من نواصيهم، فهو أكبر شهادة منه على رسالته. السعدي

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ نياط القلب وهو عرق متصل به إذا قطع مات صاحبه ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿مانعين الهلاك والعقاب عنه﴾ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

سورة المعارج

سورة المعارج، سورة مكية، فيها تأكيد وقوع العذاب على الكافرين وذكر صفاتهم، وبيان النعيم للمصدقين بيوم الدين وصفاتهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المنكرون ليوم القيامة

﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ **دعا داع** ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ **بوقوع العذاب** ﴿١﴾

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ ذلك أن أهل مكة لما خوفهم النبي ﷺ بالعذاب قال بعضهم لبعض: من أهل هذا العذاب؟ ولمن هو؟ سلوا عنه محمداً، فسألوه، فأنزل الله: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ أي: هو للكافرين، هذا قول الحسن، وقتادة. وقيل: الباء صلة، ومعنى الآية: دعا داع وسأل سائل عذابا واقعا للكافرين، أي: على الكافرين، واللام بمعنى على، وهو النضر بن الحارث حيث دعا على نفسه، وسأل العذاب، فقال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ الآية [الأنفال: ٣٢]، فنزل به ما سأل يوم بدر فقتل صبورا. البغوي

﴿لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ ﴿٢﴾ مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ **صاحب العلو والجلال** ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ﴿٤﴾ **تصعد** ﴿٤﴾ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ ﴿٥﴾ **واحد** ﴿٥﴾ كَانَ مِقْدَارُهُ ﴿٦﴾ **في الصعود المعتاد** ﴿٦﴾ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٧﴾

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾. يحتمل أن يكون المراد به جبريل، ويكون من باب عطف الخاص على العام. ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بني آدم؛ فإنها إذا قبضت يصعد بها إلى السماء. ابن كثير

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ وهذا اسم جنس يشمل الأرواح كلها، برها وفاجرها، وهذا عند الوفاة، فأما الأبرار فتعرج أرواحهم إلى الله، فيؤذن لها من سماء إلى سماء، حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الله عَزَّوَجَلَّ، فتحيي ربها وتسلم عليه، وتحظى بقربه، وتبتهج بالدنو منه، ويحصل لها منه الثناء والإكرام والبر

والإعظام. وأما أرواح الفجار فتعرج، فإذا وصلت إلى السماء استأذنت فلم يؤذن لها، وأعيدت إلى الأرض. ثم ذكر المسافة التي تعرج إلى الله فيها الملائكة والأرواح، وأنها تعرج في يوم بما يسر لها من الأسباب، وأعانها عليه من اللطافة والخفة وسرعة السير، مع أن تلك المسافة على السير المعتاد مقدار خمسين ألف سنة، من ابتداء العروج إلى وصولها ما حد لها، وما تنتهي إليه من الملاء الأعلى ... ويحتمل أن هذا في يوم القيامة، وأن الله تبارك وتعالى يظهر لعباده في يوم القيامة من عظمتهم وجلاله وكبريائه، ما هو أكبر دليل على معرفته، مما يشاهدونه من عروج الأملاك والأرواح صاعدة ونازلة، بالتدابير الإلهية، والشئون في الخليقة. السعدي

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ عن ابن أبي مليكة أن رجلاً سأل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة، فقال: ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ قال: إنما سألتك لتخبرني، قال: هما يومان ذكرهما الله في القرآن، الله أعلم بهما، فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم. الطبري

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ لا جزء فيه ولا شكوى منه لغير الله ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ أَي: البعث مستحيل الوقوع ﴿٦﴾ وَنَزَلَهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ وَنَزَلَهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ ﴿٦﴾ وَنَزَلَهُ قَرِيبًا ﴿٦﴾ الضمير يعود إلى البعث الذي يقع فيه عذاب السائلين بالعذاب، أي: إن حالهم حال المنكر له، أو الذي غلبت عليه الشقوة والسكره، حتى تباعد جميع ما أمامه من البعث والنشور. السعدي

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلْ﴾ مثل حثالة الزيت ﴿٨﴾

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلْ﴾ فإذا كان هذا القلق والانزعاج لهذه الأجرام الكبيرة الشديدة، فما ظنك بالعبد الضعيف الذي قد أثقل ظهره بالذنوب والأوزار؟ أليس حقيقاً أن ينخلم قلبه وينزعج لبه، ويذهل عن كل أحد؟. السعدي

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ كالصوف المصبوغ المنفوش الذي ذرته الريح ﴿٩﴾ وَلَا يَسْتَلُّ حِمِيمٌ ﴿٩﴾ قَرِيبٌ ﴿١٠﴾ حَمِيمًا ﴿١٠﴾

حال الناس في الآخرة ونجاة المؤمنين

﴿بَصُرُونَهُمْ﴾ يشاهد بعضهم بعضاً، ويعرفه، ولا يكلمه ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بِنَبِيٍّ﴾ ١١ ﴿وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾ ١٢ ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ عشيرته ﴿الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾ تضمه ويتمى إليها ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا ﴿لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَتَمَنَّا أَيُّهَا الْكَافِرُ مِنْ حَصُولِ الْإِفْتِدَاءِ﴾ ١٥ ﴿إِنَّهَا لَظَى﴾ تتلهب نارها، وتتلظى ﴿١٥﴾ نَزَاعَةً لِلشَّوَى ﴿تترع بشدة حرها جلدة الرأس وسائر أطراف البدن﴾ ١٦ ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ ١٧ ﴿أَمْسِكْ مَالَهُ فِي وَعَاءٍ، وَلَمْ يُوَدِّ حَقَّ اللَّهِ فِيهِ﴾ ١٨ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ ١٩ ﴿يَجْزِعُ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ، وَيَمْنَعُ إِذَا أَصَابَهُ الْخَيْرُ﴾ ٢٠ ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ﴾ المال واليسر ﴿مَنُوعًا﴾ ٢١ ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ ٢٢ ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ ٢٣ ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ نصيب معين فرضه الله عليهم ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿من يتعفف عن السؤال﴾ ٢٥ ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَاتِ اللَّهِ﴾ يوم الجزاء والحساب ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿لا ينبغي أن يأمنه أحد﴾ ٢٨ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ ٢٩ ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ إمائهم المملوكات لهم ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ غير مؤاخذين ﴿٣٠﴾ فَمَنْ أَبْغَىٰ وِرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿المتجاوزون الحلال إلى الحرام﴾ ٣١ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ حافظون ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿مؤدون للشهادة دون تغيير أو كتمان﴾ ٣٣ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ ٣٤

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ أي: على أذكارها وأركانها وشرائطها لا يخلون بشيء من ذلك. قال قتادة: على وضوئها وركوعها وسجودها. وقال ابن جريج: المراد التطوع، وكرر ذكر الصلاة لاختلاف ما وصفهم به أولاً، وما وصفهم به ثانياً، فإن معنى الدوام: هو أن لا يشتغل عنها بشيء من الشواغل

كما سلف، ومعنى المحافظة: أن يراعي الأمور التي لا تكون صلاة بدونها. الشوكاني. «ت».

﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّةٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

حال الكفار مع النبي ﷺ وفي الآخرة

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾﴾ مسرعين نحوك قد مدوا أعناقهم ينظرون إليك
﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾ جماعات متعددة ومتفرقة

﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾ واحداها عزة، أي: متفرقين. وهو حال من مهطعين، أي: في حال تفرقهم واختلافهم، كما قال الإمام أحمد في أهل الأهواء: فهم مخالفون للكتاب، مختلفون في الكتاب، متفقون على مخالفة الكتاب. ابن كثير

﴿أَيُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ
﴿فَلَا أُقْسِمُ ﴿٣٩﴾﴾ أَقْسِمُ، و(لا) لتأكيد القسم ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴿٤٠﴾﴾ قال ابن عباس: إن الشمس تطلع في ثلاثمائة وستين كوة، فإذا طلعت في كوة لم تطلع منها حتى العام المقبل. الطبري

﴿٥٦٩﴾

﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ ﴿٤١﴾﴾ نستبدل بهم من يطيع الله ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤٢﴾﴾ لا أحد يفوتنا ويعجزنا إذا أردناه ﴿فَذَرَهُمْ يَخْضَوْنَ وَيَلْعَبُونَ حَتَّى يَلْقَا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٤٣﴾﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ ﴿الْقُبُورِ ﴿٤٤﴾﴾ سَرَّاعًا كَانَتْهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفُّونَ ﴿يَهْرُولُونَ وَيَسْرَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿كَانَتْهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفُّونَ ﴿٤٥﴾﴾ أي: كأنهم في إسراعهم إلى المحشر ﴿إِلَى نُصْبٍ﴾، أي: شيء منصوب كراية أو علم يسرعون. الجزائري

﴿خَشَعَةً أَبْصَرُهُمْ ﴿٤٦﴾﴾ ذليلة منكسرة ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾ تغشاهم ﴿ذَلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٧﴾﴾

سورة نوح

سورة نوح، سورة مكية، تبين قضية صبر الدعاة وجهادهم في الدعوة من خلال قصة نوح عليه السلام؛ تثبيتاً للمؤمنين، وتهديداً للمكذابين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دعوة نوح عليه السلام لقومه

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١) قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرًا يَغْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخِرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٣﴾ **وقت مقدر في علم الله** ﴿٤﴾ إِنْ أَجَلَ اللَّهِ ﴿٥﴾ **وقت مجيء عذابه** ﴿٦﴾ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٨﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٩﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعَهُمْ فِيءَآذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ ﴿١٠﴾ **تغطوا بها مبالغة في كراهيتي** ﴿١١﴾ وَأَقَامُوا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ ﴿١٢﴾ وَأَسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿١٣﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ ﴿١٥﴾ **رفعت صوتي داعياً** ﴿١٦﴾ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿١٧﴾

﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ كل هذا حرص ونصح، وإتيانهم بكل باب يظن أن يحصل منه المقصود. السعدي

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ (١٠)

﴿٥٧٠﴾

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ الْمَطَرَ﴾ **المطر** ﴿١١﴾ **متتابعاً غزيراً** ﴿١٢﴾

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ في هذه الآية والتي في (هود) دليل على أن الاستغفار يستنزل به الرزق والأمطار. قال الشعبي: خرج عمر يستسقي، فلم يزد على الاستغفار حتى رجع، فأمطروا فقالوا: ما رأيك استسقيت؟ فقال: لقد طلبت المطر بمجاديع السماء التي يستنزل بها المطر، ثم قرأ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا. القرطبي

﴿وَيُمَدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾ **بساتين** ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَرًا﴾ ﴿١٢﴾ ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ **لا تحافون عظمة الله** ﴿١٣﴾ ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ **على مراحل مختلفة: نطفة، ثم علقه، وهكذا** ﴿١٤﴾ ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ **متطابقة بعضها فوق بعض** ﴿١٥﴾ ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ ﴿١٦﴾ **وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ أَنْشَأَ أَصْلَكُمْ** ﴿مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ ﴿١٧﴾

﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ إذ أصلكم من تراب والنطف أيضا من الغذاء المكون من التراب ثم خلقتكم تشبه النبات وهي على نظامه في الحياة والنماء. الجزائري

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ **عند الموت** ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ **للبعث والنشور** ﴿١٨﴾ ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ **ممهدة** ﴿١٩﴾ ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا﴾ **طرقاً** ﴿فَجَاجًا﴾ **واسعة** ﴿٢٠﴾

شكوى نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى رَبِّهِ، وَدَعَاؤُهُ عَلَى قَوْمِهِ

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ ﴿٢١﴾

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ أي: عصوا الرسول الناصح الدال على الخير، واتبعوا الملاء والأشراف الذين لم تزد لهم أموالهم ولا أولادهم إلا خساراً، أي: هلاكاً وتفويتاً للأرباح، فكيف بمن انقاد لهم، وأطاعهم؟! السعدي

﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا كِبَارًا﴾ **عظيماً** ﴿٢٢﴾ ﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ الْهَتَمُ﴾ **لا تتركن** ﴿وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ ﴿٢٣﴾

﴿وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ هذه أسماء رجال صالحين لما ماتوا زين الشيطان لقومهم أن يصوروا صورهم؛ لينشطوا -بزعمهم- على الطاعة إذا رأوها، ثم طال الأمد، وجاء غير أولئك، فقال لهم الشيطان: إن أسلافكم يعبدونهم، ويتوسلون بهم، وبهم يسقون المطر، فعبدوهم، ولهذا أوصى رؤسائهم للتابعين لهم أن لا يدعوا عبادة هذه الآلهة. السعدي

﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا ﴾ **أضل الكبار والرؤساء** ﴿ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾ **بعداً**
 عن الحق ﴿ ٢٤ ﴾ **بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ** ﴿ أَغْرَقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا
 لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴾ ٢٥ ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾
أحداً حياً على الأرض يدور ويتحرك ﴿ ٢٦ ﴾ **إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا
 يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا** ﴿ ٢٧ ﴾ **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا
 وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا** ﴿ ٢٨ ﴾ **هلاكاً وخسراناً** ﴿ ٢٨ ﴾

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا ﴾ «بיתי» بفتح الياء. وفيه ثلاثة
 أقوال: أحدها: منزله، قاله ابن عباس. والثاني: مسجده، قاله الضحاك.
 والثالث: سفينته، حكاه الثعلبي. ابن الجوزي

﴿ ٥٧١ ﴾

سورة الجن

سورة الجن، سورة مكية، فيها تأكيد على صدق الوحي وأن القرآن من عند الله
 من خلال نموذج إيمان طائفة من الجن من أول سماع للقرآن، وفيها إبطال
 لمزاعم المشركين فيهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**استماع الجن للقرآن وإيمانهم به بخلاف المشركين الذين تكررت
 عليهم الآيات**

﴿ قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ أُسْتَمَعَ نَفَرٌ ﴾ **جماعة** ﴿ مِنْ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾
يتعجب منه في فصاحته ﴿ ١ ﴾

﴿ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ قال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «انطلق النبي ﷺ
 في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين
 خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا:
 ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما
 حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض

ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهماة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة، عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك حين رجعوا إلى قومهم، وقالوا: يا قومنا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾، فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ۚ وَإِنَّمَا أُوْحِي إِلَيْهِ قَوْلَ الْجِنِّ ۚ﴾. صحيح البخاري

* صنع بهم القرآن كل هذا ... لاستماعهم الواعي، وتدبرهم لما سمعوه، وشعورهم أنهم المعنيون بتلك الآيات. د. عمر المقبل، ينظر: ليدبروا آياته.

﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ الحق والهدى ﴿فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ ﴿٢﴾

﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ وهذا الإيمان النافع، المثمر لكل خير، المبني على هداية القرآن، بخلاف إيمان العوائد، والمربى والإلف ونحو ذلك، فإنه إيمان تقليد تحت خطر الشبهات والعوارض الكثيرة. السعدي

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ عظمة ربنا وجلاله وغناه ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً ۖ زَوْجَةً وَلَا وَلَدًا﴾ ﴿٢﴾

﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ لأن له العظمة والكمال في كل صفة كمال، واتخاذ صاحبة والولد ينافي ذلك؛ لأنه يضاد كمال الغنى. السعدي

﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ إبليس ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ قولاً بعيداً عن الحق من دعوى صاحبة والولد ﴿٤﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾

﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: فلذلك صدقناهم في ذلك حتى سمعنا القرآن، فعلمنا بطلان قولهم، وبطلان ما كنا نظنه بهم من الصدق. الشوكاني

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ﴾ يستجيرون ويستعيذون ﴿رِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ طغياناً وسفهاً ﴿٦﴾

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي: فزاد الإنس الجن رهقا، أي: طغيانا وتكبيرا لما رأوا الإنس يعبدونهم، ويستعيذون بهم، ويحتمل أن الضمير في زادوهم يرجع إلى الجن ضمير الواو أي: زاد الجن الإنس ذعرا وتخويفا لما رأوهم يستعيذون بهم؛ ليلجئوهم إلى الاستعاذة بهم، فكان الإنسي إذا نزل بواد مخوف، قال: (أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه). السعدى

﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي: كفار الإنس ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ ﴿٧﴾

حال الجن بعد بعثة النبي ﷺ

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ طلبنا بلوغ السماء لاستراق السمع ﴿فَوَجَدْنَهَا مِثْلَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا﴾ نجوماً محرقة وذلك لما بعث النبي ﴿٨﴾ ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ اللَّسَمِ﴾ مواضع لنستمع إلى أخبارها ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ أرصد له ليرمى به ﴿٩﴾ ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرَى أَشْرًا نُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ خيراً وصلاحاً ورحمة ﴿١٠﴾

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرَى أَشْرًا نُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ أي: لا بد من هذا أو هذا؛ لأنهم رأوا الأمر تغير عليهم تغيراً أنكروه، فعرفوا بفطنتهم أن هذا الأمر يريد به الله، ويحدثه في الأرض. وفي هذا بيان لأدبهم، إذ أضافوا الخير إلى الله تعالى، والشر حذفوا فاعله تأدبوا مع الله. السعدى

﴿وَأَنَّا مِمَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا﴾ فرقاً ومذاهب مختلفة ﴿١١﴾ ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نُعْجِزَ اللَّهَ﴾ لن نفوته ونفلت من قبضته ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ إن هربنا ﴿١٢﴾ ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ ؕ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ؕ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾ نقصاناً من حسناته ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ ولا ظلماً يلحقه بزيادة في سيئاته ﴿١٣﴾

﴿وَأَنَّا مِمَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ﴾ الجائزون الظالمون ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ اجتهدوا في طلب الحق ﴿١٤﴾ ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا

لِجَهَنَّمَ حَطْبًا ﴿١٥﴾ وَالْوَّاسْتَقَمُوا ﴿١٦﴾ وَأَنَّهُ لَوْ اسْتَقَامَ الْكُفَّارُ ﴿١٧﴾ عَلَى الطَّرِيقَةِ ﴿١٨﴾ دِينَ
 الْإِسْلَامِ ﴿١٩﴾ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا ﴿٢٠﴾ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ لِنَفْسِنَهُمْ فِيهِ ﴿٢٢﴾ لَنَخْتَبِرَنَّهُمْ: كَيْفَ
 يَشْكُرُونَ نَعْمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴿٢٣﴾ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ ﴿٢٤﴾ يَدْخُلْهُ ﴿٢٥﴾ عَذَابًا
 صَعَدًا ﴿٢٦﴾ شَدِيدًا شَقَاً ﴿٢٧﴾ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿٢٨﴾ وَأَنَّهُ
 لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴿٢٩﴾ يَعْبُدُ رَبَّهُ ﴿٣٠﴾ كَادُوا ﴿٣١﴾ كَادَتِ الْعَرَبُ ﴿٣٢﴾ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿٣٣﴾
 تَكُونُ عَلَيْهِ جَمِيعًا فِي إِطْفَاءِ نَوْرِ اللَّهِ ﴿٣٤﴾

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ المعنى: أنه لما قام يصلي كاد
 الجن لازدحامهم عليه يركب بعضهم بعضا، حرصا على سماع القرآن، رواه
 عطية عن ابن عباس. والثاني: أنه من قول الجن لقومهم لما رجعوا إليهم،
 فوصفوا لهم طاعة أصحاب رسول الله ﷺ وائتمامهم به في الركوع، والسجود،
 فكأنهم قالوا: لما قام يصلي كاد أصحابه يكونون عليه لبدا. وهذا المعنى في
 رواية ابن جبير عن ابن عباس. والثالث: أن المعنى: لما قام رسول الله ﷺ
 بالدعوة تلبدت الإنس والجن، وتظاهروا عليه؛ ليطلوا الحق الذي جاء به،
 قاله الحسن، وقتادة، وابن زيد. ابن الجوزي

* أولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: ذلك خبر من الله عن أن
 رسوله محمدا ﷺ لما قام يدعوه كادت العرب تكون عليه جميعا في إطفاء نور
 الله. الطبري

الرسول ﷺ بشريته وخصائصه

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ نَفْعًا
 ﴿٢٢﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي ﴿٢٣﴾ يَنْقُذَنِي ﴿٢٤﴾ مِنْ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٥﴾ مُلْجَأًا
 أَفْرَإِلَيْهِ مِنْ عَذَابِهِ ﴿٢٦﴾ إِلَّا بَلَاغًا ﴿٢٧﴾ لَكِنْ أَمْلِكُ أَنْ بَلِّغَكُمْ ﴿٢٨﴾ مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَتِهِ
 وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا
 يُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ رَأَى الْكُفَّارَ الْبَعْثَ وَالْحِسَابَ ﴿٣١﴾ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعَفَ نَاصِرًا وَأَقْلُ
 عَدَدًا ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِي ﴿٣٣﴾ مَا أَدْرِي ﴿٣٤﴾ أَقْرَبُ مَا تُوَعَدُونَ ﴿٣٥﴾ الْعَذَابَ الَّذِي

وعدتم به ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ مدة طويلة ﴿٢٥﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٣٦﴾ إِلَّا مَنْ أَرَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ ﴿يرسل﴾ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿ملائكة يحفظونه ويحرسونه﴾ ﴿٢٧﴾

﴿يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ الرسل ليسوا كغيرهم؛ فإن الله أيدهم بتأييد ما أيده أحدا من الخلق، وحفظ ما أوحاه إليهم حتى يبلغوه على حقيقته، من غير أن تتخبطهم الشياطين، ولا يزيّدوا فيه، أو ينقصوا. السعدي

﴿لَيَعْلَمَنَّ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ ﴿٢٨﴾

﴿ ٥٧٣ ﴾

سورة المزمل

سورة المزمل، سورة مكية، فيها بيان الزاد الروحي للدعاة في مواجهة الشدائد ومصاعب الحياة؛ تثبيتاً للنبي، وفيها وعيد للمكذّبين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأمر بقيام الليل

﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ﴾ المتلف بشيابه ﴿١﴾

﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ﴾ قال السهيلي: ليس المزمل باسم من أسماء النبي ﷺ ولم يعرف به، كما ذهب إليه بعض الناس وعدوه في أسمائه عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإنما المزمل: اسم مشتق من حالته التي كان عليها حين الخطاب، وكذلك المدثر. وفي خطابه بهذا الاسم فائدتان: إحداهما: الملاطفة؛ فإن العرب، إذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة، سموه باسم مشتق من حالته التي هو عليها، كقول النبي ﷺ لعلّي حين غاضب فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فأتاه، وهو نائم، وقد لصق بجنبه التراب، فقال له: «قم يا أبا تراب» إشعاراً له أنه غير عاتب عليه، وملاطفة له. وكذلك قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ لحذيفة: «قم يا نومان» وكان نائماً ملاطفة له، وإشعاراً لترك العتب والتأنيب. فقول الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ﴾ ﴿١﴾ فيه تأنيب

وملاطفة، ليستشعر أنه غير عاتب عليه. والفائدة الثانية: التنبيه لكل متزمل راقد ليله ليتنبه إلى قيام الليل، وذكر الله تعالى فيه؛ لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفة. القرطبي

﴿قُرْآنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا ۖ ۞ نِصْفَهُ ۚ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۖ ۞﴾ **من النصف إلى الثلث** ﴿٣﴾ **أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ۖ ۞ إِلَى الثَّلَاثِينَ ۖ ۞ وَرَقِّلْ ۖ ۞ اِقْرَأْ بِتَوَدَّةٍ ۖ ۞ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۖ ۞﴾**

﴿وَرَقِّلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ قالت عائشة: كان يقرأ السورة فيرتلها، حتى تكون أطول من أطول منها. وفي صحيح البخاري، عن أنس: أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: كانت مدا، ثم قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يمد (بسم الله)، ويمد (الرحمن)، ويمد (الرحيم). ابن كثير

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ **عظيماً مشتملاً على الأوامر والنواهي** ﴿٥﴾

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ في معنى ثقله أقوال: أحدها: أنه كان يثقل عليه إذا أوحى إليه، وهذا قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: لقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً. والثاني: أن العمل به ثقیل في فروضه وأحكامه، قاله الحسن، وقتادة. والثالث: أنه يثقل في الميزان يوم القيامة، قاله ابن زيد. والرابع: أنه المهيب، كما يقال للرجل العاقل: هو رزين راجح، قاله عبد العزيز بن يحيى. ينظر: زاد المسير، وأثر عائشة في البخاري.

﴿إِنْ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ۖ ۞ الْعِبَادَةُ الَّتِي تَنْشَأُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ بَعْدَ النَّوْمِ ۖ ۞ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً ۖ ۞ أَشَدُّ تَأْثِيرًا فِي الْقَلْبِ ۖ ۞ وَأَقْوَمُ قِيلاً ۖ ۞ وَأَيُّنَ قَوْلًا؛ لِحُضُورِ الْقَلْبِ وَقِلَّةِ الشَّوَاغِلِ ۖ ۞﴾ ﴿٦﴾ **إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا ۖ ۞ تَصْرَفًا وَتَقَلُّبًا فِي مَصَالِحِكَ ۖ ۞ طَوِيلًا ۖ ۞ وَأَذْكُرَ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ ۖ ۞ انْقَطِعْ لِعِبَادَتِهِ ۖ ۞ إِلَيْهِ تَبَتَّلًا ۖ ۞ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۖ ۞ تفوض أمورك إليه وتعتمد عليه** ﴿١١﴾

الحث على الصبر على الكفار، وبيان مصير المكذابين للرسول

﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ **أعرض عنهم تاركاً الانتقام منهم** ﴿١٠﴾ **وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ** **أصحاب النعيم والترف ومهلهم قليلاً** **أنظرهم، ولا تستعجل؛ فإنى كافيكهم** ﴿١١﴾ **إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا** **قيوداً ثقيلة** **وحجماً** ﴿١٢﴾ **وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ** **ينشب في الحلق لا يستساغ لكرهته** **وعذاباً أليماً** ﴿١٣﴾ **يَوْمَ تَرْجُفُ** **تضطرب** **الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا رَمَلًا** **محتماً مهيلًا** **سائلاً متناثراً** ﴿١٤﴾ **إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ** **كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً** ﴿١٥﴾ **فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا** **شديداً** ﴿١٦﴾ **فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا** ﴿١٧﴾ **السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ** **متصدعة في يوم القيامة** **كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا** **واقعاً لا محالة** ﴿١٨﴾ **إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ** **فَمَن شَاءَ اخْذِلْنَا إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا** **طريقاً موصلًا إلى رضوانه** ﴿١٩﴾

نسخ وجوب قيام الليل، وبقاء استحبابه لعموم الناس

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ **تصلي متهجداً من الليل** ﴿أَدْنَىٰ﴾ **أقل** ﴿مِن ثُلَاثِ اللَّيْلِ وَنُصْفِهِ، وَثُلَاثُهُ، وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ نُحْصِيَهُ﴾ **لن يمكنكم قيام الليل كله** ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ **فخفف عليكم** ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ﴾ **يطلبون بالتنقل في الأرض** ﴿مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ **رزق الله** ﴿وَأَخَرُونَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاَقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَقَرْضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ **وتصدقوا بإخلاص وطيب نفس** ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٢٠﴾

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ قال ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، والحسن، وقتادة، وغير واحد من السلف: إن هذه الآية نسخت الذي كان الله قد أوجبه على المسلمين أولاً من قيام الليل. واختلفوا في المدة التي بينهما على أقوال ... وقد

ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لذلك الرجل: «خمس صلوات في اليوم والليلة». قال: هل علي غيرها؟ قال: «لا إلا أن تطوع». ابن كثير * قال ابن عباس: كان بين أول (المزمل) وآخرها سنة. والثاني: ستة عشر

شهرا، حكاه الماوردي. ابن الجوزي

﴿وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ أي: أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم، وآتوا الزكاة المفروضة. وهذا يدل لمن قال: إن فرض الزكاة نزل بمكة، لكن مقادير النصب والمخرج لم تبين إلا بالمدينة. والله أعلم. ابن كثير

سورة المدثر

سورة المدثر، سورة مكية، فيها الأمر بالنهوض بالدعوة ومقوماتها، وفيها وعيد للمكذبين بما جاء به الرسول، وبيان شيء من أسباب دخولهم النار.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأمر بالتبليغ والتذكير بيوم القيامة

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ أصله المدثر، وهو المتغطي بشيابه ﴿١﴾

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر بن عبد الله قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال: جاورت بحراء شهرا، فلما قضيت جواري نزلت، فاستبظنت بطن الوادي، فنوديت، فنظرت أمامي وخلفي، وعن يميني، وعن شمالي، فلم أر أحدا، ثم نوديت، فرفعت رأسي، فإذا هو في الهواء، يعني: جبريل عليه السلام، فأقبلت إلى خديجة، فقلت: دثروني دثروني، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ ﴿١﴾ فَرَأَنَدَرُ. ابن الجوزي

﴿فَرَأَنَدَرُ﴾ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرُ ﴿٣﴾ اخْصَصْ رَبِّكَ بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّعْظِيمِ ﴿٤﴾ وَيَا بَاكَ فَطَهِّرُ ﴿٥﴾ طَهِّرْ ثِيَابَكَ مِنَ النِّجَاسَاتِ ﴿٦﴾ وَالرُّجْزَ ﴿٧﴾ الْأَصْنَامَ وَأَعْمَالَ الشِّرْكِ ﴿٨﴾ فَاهْجُرُ ﴿٩﴾ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ ﴿١٠﴾ لَا تَعْطِ الْعَطِيَّةَ تَلْتَمِسُ أَكْثَرَ مِنْهَا ﴿١١﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرُ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّافُورِ ﴿١٣﴾ نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةَ الْبَعْثِ ﴿١٤﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿١٥﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ عَيْرٌ يَسِيرٌ ﴿١٦﴾

تهديد لأحد المكذبين - الوليد بن المغيرة - ومن شابهه

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ فريداً لا مال له ولا ولد ، والمراد به: الوليد بن المغيرة ﴿ ١١ ﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿ ١٢ ﴾ مَبْسُوطًا وَاَسْعًا ﴿ ١٣ ﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿ ١٤ ﴾ حُضُورًا مَعَهُ فِي مَكَّةَ لَا يَغِيْبُونَ عَنْهُ ﴿ ١٥ ﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿ ١٦ ﴾ يَسْرَتَ لَهُ سَبِيلَ الْعِيشِ تَيْسِيرًا ﴿ ١٧ ﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿ ١٨ ﴾

﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴾ أى: يطمع أن ينال نعيم الآخرة كما نال نعيم الدنيا. السعدى ﴿ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِإِيْتِنَا عَنِيدًا ﴿ ١٦ ﴾ سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا ﴾ سأكلفه عذاباً شاقاً لا راحة له فيه ﴿ ١٧ ﴾

﴿ سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا ﴾ أى: سأكلفه يوم القيامة صعود جبل من نار كلما صعد فيه هوى فى النار أبداً. الجزائرى

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴾ هياً ما يقوله فى الطعن فى القرآن ومن جاء به ﴿ ١٨ ﴾

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴾ قال ابن عباس: جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكانه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه، فقال: يا عم، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا؛ فإنك أتيت محمداً تتعرض لمقاتلته، فقال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا. قال: فقل منه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، والله ما يشبهها الذي يقول، والله إن لقوله حلاوة، وإن عليه طلاوة، وإنه لثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلو. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر فيه. فقال: هذا سحر يؤثر: يأثره عن غيره، فنزلت: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ ... وقال مجاهد: قال الوليد لقريش: إن لي إليكم حاجة فاجتمعوا في دار الندوة، فقال: إنكم ذوو أحساب وأحلام، وإن العرب يأتونكم، وينطلقون من عندكم على أمر مختلف، فأجمعوا على شيء واحد، ما تقولون في هذا الرجل؟ قالوا: نقول: إنه شاعر، فعبس عندها، وقال: قد سمعنا الشعر، فما يشبه قوله الشعر، فقالوا: نقول: إنه كاهن، قال: إذن يأتونه

فلا يجدونه يحدث بما يحدث به الكهنة، فقالوا: نقول: إنه مجنون، قال: إذن يأتونه فلا يجدونه مجنوناً. فقالوا: نقول: إنه ساحر.

قال: وما الساحر؟ قالوا: بشر يحبون بين المتباعضين، ويبغضون بين المتحابين، قال: فهو ساحر، فخرجوا لا يلقي أحد منهم النبي إلا قال: يا ساحر، فاشتد ذلك عليه، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ﴾. ابن الجوزي

﴿ ٥٧٥ ﴾

﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَرْتَ﴾ **غلب وقهر** ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَرْتَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿تأمل فيما هيا من الطعن﴾ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ ﴿قطب وجهه﴾ ﴿وَبَسَرَ﴾ **اشتد في العبوس لما ضاقت عليه الحيل في الطعن** ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ ﴿رجع معرضاً عن الحق﴾ ﴿وَأَسْتَكْبَرَ﴾ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿ينقل عن الأولين﴾ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿سأدخله جهنم، كي يصلى حرها﴾ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي ﴿لهم لحماً﴾ وَلَا نَذْرُ ﴿لا تترك عظماً﴾ ﴿٢٨﴾ لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿محركة للجلود مغيرة للبشرة﴾ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ من الملائكة، خزنة لها، غلاظ شداد، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون. السعدي

عدة خزنة جهنم، وتشويش الكافرين على العدد

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ **أى عددهم** ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾ **اختباراً للكفار** ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ﴾ **لا يشك** ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ **نفاق** ﴿وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ **ملائكته** ﴿إِلَّا ذِكْرًا لِلْبَشَرِ﴾ ﴿٣١﴾

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً﴾ في ذلك رد على مشرقي قريش حين ذكر عدد الخزنة، فقال أبو جهل: يا معشر قريش، أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم، فتغلبونهم... وقد قيل: إن أبا الأشدين - واسمه: كلدة بن أسيد بن خلف -

قال: يا معشر قريش، اكفوني منهم اثنين، وأنا أكفيكم منهم سبعة عشر، إعجاباً منه بنفسه. ابن كثير

* وقيل: إن أبا جهل قال: أفيعجز كل مائة منكم أن يبطشوا بواحد منهم، ثم تخرجون من النار؟. القرطبي

﴿لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أَوْثُوا الْكِتَابَ﴾ أي: يعلمون أن هذا الرسول حق؛ فإنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله. ابن كثير

﴿وَزَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾ أي: إلى إيمانهم، بما يشهدون من صدق إخبار نبيهم محمد ﷺ. ابن كثير

أهل الجنة وأهل النار

﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ ٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَصْفَرَ ٣٤﴾ إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُبَرِ ٣٥﴾ **إِنَّ النَّارَ لِأَحَدَى الْعِظَائِمِ ٣٦﴾** نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ٣٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ٣٨﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ ٣٩﴾ **محبوسة بعملها السيء في النار ٤٠﴾** إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ٤١﴾ لَمْ يَرْتَهِنُوا، بَلْ أَطْلَقُوا وَفَرَحُوا ٤٢﴾ فِي جَنَّاتٍ يَسَّاءُلُونَ ٤٣﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ٤٤﴾ مَا سَلَكَكُمْ ٤٥﴾ مَا أَدْخَلَكُمْ ٤٦﴾ فِي سَقَرٍ ٤٧﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ٤٨﴾ وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ٤٩﴾

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ٤٤﴾﴾ فيها دلالة على أن الكفار يعاقبون على ترك فروع الشريعة.

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ ٤٥﴾ نتحدث بالباطل ٤٦﴾ مَعَ الْخَاطِئِينَ ٤٧﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ٤٨﴾ حَتَّى آتَيْنَا الْيَقِينَ ٤٩﴾ الموت ٥٠﴾

﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ٥١﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ ٥٢﴾ **عن مواعظ القرآن ٥٣﴾** مُعْرِضِينَ ٥٤﴾ كَانَتْهُمْ حُمْرٌ ٥٥﴾ **حمر وحشية شديدة النار ٥٦﴾** مُسْتَنْفِرَةٌ ٥٧﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ٥٨﴾ **أسد كاسر ٥٩﴾** بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُّثَشَّرَةً ٦٠﴾

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّثَنَّرَةً﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قالوا للنبي ﷺ: إن سرك أن نتبعك، فليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله تعالى إلى فلان بن فلان، يؤمر فيه باتباعك قاله الجمهور .
والثاني: أنهم أرادوا براءة من النار أن لا يعذبوا بها. قاله أبو صالح. والثالث: أنهم قالوا: كان الرجل إذا أذنب في بني إسرائيل وجده مكتوبا إذا أصبح في رقعة. فما بالناس لا نرى ذلك؟ فنزلت هذه الآية، قاله الفراء. ابن الجوزي
*وقيل: بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن ينزل عليه كتابا كما أنزل على النبي. قاله مجاهد وغيره. ابن كثير

﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ۝٥٣ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ ۝٥٤ فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ ۝٥٥ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ النَّفْوَى ۝٥٦ أَهْلٌ لَّأَنْ يَتَّقَى وَيُطَاع ۝٥٧ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ۝٥٨﴾

﴿وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ يقول: هو أهل أن يغفر ذنوبهم إذا هم فعلوا ذلك، ولا يعاقبهم عليها مع توبتهم منها. الطبري

سورة القيامة

سورة القيامة، سورة مكية، فيها التأكيد على حصول البعث وبيان حال الناس في الآخرة، وفي ثناياها وعد الله لنبيه بتثبيت القرآن في صدره.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القيامة

﴿لَا أَقْسِمُ ۝١ أَقْسَمُ، و(لا) تأكيد للقسم ۝٢ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ۝٣﴾

﴿لَا أَقْسِمُ يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ قال الحسن: أقسم بيوم القيامة، ولم يقسم بالنفس اللوامة. قال الثعلبي: والصحيح أنه أقسم بهما جميعا، ومعنى النفس اللوامة: النفس التي تلوم صاحبها على تقصيره، أو تلوم جميع النفوس على تقصيرها. قال الحسن: هي والله نفس المؤمن، لا يرى المؤمن إلا يلوم نفسه ما أردت بكذا؟ ما أردت بكذا؟ والفاجر لا يعاتب نفسه. قال مجاهد: هي التي تلوم على

ما فات وتندم، فتلوم نفسها على الشر لم تعمله؟ وعلى الخير لم لم تستكثر منه؟ قال الفراء: ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها، إن كانت عملت خيراً قالت: هلا ازددت! وإن كانت عملت سوءاً قالت: ليتني لم أفعل. وعلى هذا، فالكلام خارج مخرج المدح للنفس، فيكون الإقسام بها حسناً سائغاً. وقيل: اللوامة هي الملوثة المذمومة، فهي صفة ذم، وبهذا احتج من نفى أن يكون قسماً، إذ ليس لنفس العاصي خطر يقسم له. الشوكاني

﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ النفس التي تلوم صاحبها ﴿٢﴾ ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ ﴿٣﴾ بَلَى قَدَرِينَ عَلَيَّ أَنْ تُسَوَّى بَنَانُهُ ﴿٤﴾ نَجْعَلُ أَصَابِعَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ شَيْئاً مُسْتَوِيًّا كَخَفِ الْبَعِيرِ أَوْ نَعِيدُ خَلْقَهَا كَمَا كَانَتْ ﴿٥﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٦﴾ أَنْ يَكْذِبَ بِمَا أَمَامَهُ مِنَ الْبَعْثِ ﴿٧﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ ﴿٨﴾ مَتَى ﴿٩﴾ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿١٠﴾ فَاذْأَبْرُقَ الْبَصَرُ ﴿١١﴾ تَحِيرُ الْبَصَرُ، وَدَهْشَ لِأَهْوَالِ الْقِيَامَةِ ﴿١٢﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿١٣﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿١٤﴾ قَرْنَ بَيْنَهُمَا فِي الطَّلُوعِ مِنَ الْمَغْرِبِ مُظْلِمِينَ ﴿١٥﴾

﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ يجمع الله بينهما يوم القيامة، ويخسف القمر، وتكور الشمس، ثم يقذفان في النار، ليرى العباد أنها عبدان مسخران، وليرى من عبدهما أنهم كانوا كاذبين. السعدى

﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَتَيْنَ الْمَفْرُغَ﴾ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ لَا مَلْجَأَ، وَلَا مَنْجَى لَهُ مِنَ اللَّهِ ﴿١٢﴾ ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ ﴿١٣﴾

﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ ينبأ بكل ما قَدَّمَ أمامه مما عمل من خير أو شر في حياته، وأخَّر بعده من سنة حسنة أو سيئة مما قَدَّمَ وأخَّر، كذلك ما قَدَّمَ من عمل عمله من خير أو شر، وأخَّر بعده من عمل كان عليه فضيعة، فلم يعمل به مما قَدَّمَ وأخَّر، ولم يخص الله من ذلك بعضاً دون بعض، فكل ذلك مما ينبأ به الإنسان يوم القيامة. الطبرى

﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ شاهد تنطق جوارحه بعمله ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِرَهُ ﴿١٥﴾ لو جاء بكل معذرة يعتذر بها ما قبلت ﴿١٥﴾

وعد الله لنبيه بتثبيت القرآن في صدره

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ﴿١٦﴾ لتستعجل حفظ ما يوحى إليك ﴿١٦﴾

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ في هذه الآية أدب لأخذ العلم، أن لا يبادر المتعلم المعلم قبل أن يفرغ من المسألة التي شرع فيها، فإذا فرغ منها سألها عما أشكل عليه، وكذلك إذا كان في أول الكلام ما يوجب الرد أو الاستحسان، أن لا يبادر برده أو قبوله، حتى يفرغ من ذلك الكلام؛ ليتبين ما فيه من حق أو باطل، وليفهمه فهما يتمكن به من الكلام عليه. السعدي

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ ﴿١٧﴾ في صدرك ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ قراءته بلسانك متى شئت ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبِعْ قُرْآنَهُ﴾ فاستمع لقراءته من جبريل، ثم اقرأه كما أقرأك ﴿ثُمَّ إِنَّا عَلَيْنَا بِآيَاتِهِ﴾ تفسير ما أشكل عليك فهمه ﴿١٩﴾

﴿ ٥٧٧ ﴾

حال الناس عند الموت وبعد البعث

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ ﴿٢٠﴾ وَتَذُرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ مشرقة حسنة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ترى ربها في الجنة ﴿٢٣﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ عابسة كالحة ﴿تَنْظُرُونَ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ مصيبة عظيمة تقصم فقار الظهر ﴿٢٥﴾ كَلَّا ﴿إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ وصلت الروح إلى أعالي الصدر ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ هل من راق يرقيه ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ ﴿٢٨﴾ أَنَّهُ الْفَرَاقُ ﴿٢٩﴾ وَاللَّفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٣٠﴾

﴿وَاللَّفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ أي: اجتمعت الشدائد والتفت، وعظم الأمر وصعب الكرب، وأريد أن تخرج الروح التي ألقت البدن. السعدي
﴿وَاللَّفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ أولى الأقوال في ذلك بالصحة عندي قول من قال: معنى ذلك: والتفت ساق الدنيا بساق الآخرة، وذلك شدة كرب الموت بشدة هول المطلع، والذي يدل على أن ذلك تأويله، قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ والعرب تقول لكل أمر اشتد: قد شمر عن ساقه ... عني بقوله: ﴿وَاللَّفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ التصقت إحدى الشدتين بالأخرى. الطبري

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ **سوق العباد للجزاء** ﴿٢٠﴾ ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ ﴿٢١﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿أَعْرَضَ عَنِ الْإِيمَانِ﴾ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿يَتَبَخَّرُ فِي مَشِيَّتِهِ مَخْتَالًا﴾ ﴿٢٣﴾

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ﴾ وقيل: أصله يتمطط، وهو التمدد من التكسل والتشاقل، فهو يتشاقل عن الداعي إلى الحق، فأبدل من الطاء ياء كراهة التضعيف، والتمطي يدل على قلة الاكتراث، وهو التمدد. القرطبي

﴿أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ﴾ **كلمة وعيد، أى: هلاك لك فهلاك** ﴿٣٤﴾ ﴿ثُمَّ أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ﴾ ﴿٣٥﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿هَمَلًا لَا يُؤْمَرُ، وَلَا يُحَاسَبُ﴾ ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنَىٰ يُعْمَىٰ ﴿يَصَبُ فِي الرَّحِمِ﴾ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً ﴿قِطْعَةً مِنْ دَمٍ جَامِدٍ﴾ ﴿فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ ﴿فَعَدَلَ خَلَقَهُ وَأَعْضَاهُ﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدْرِ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدْرِ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ قال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان إذا قرأها قال: سبحانك وبلى. الطبري، وينظر الشرح الممتع (٣/ ٢٩٠)، والملحق في سورة التين.

سورة الإنسان

سورة الإنسان، اشتملت على تذكير الإنسان بأصله، وحكمة خلقه، وفيها ذكر لنعيم الجنة؛ تشيئاً للمؤمنين، ودعوة للكافرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خلق الإنسان، وبيان طريقي الخير والشر

﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ **قد مضى** ﴿عَلَىٰ الْإِنْسَانِ حِينَ مِنَ الدَّهْرِ﴾ **زمن طويل** ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ ﴿١﴾

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ﴾ في صحيح مسلم، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿الْمَ﴾ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ السَّجْدَةِ، وَ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَىٰ﴾

الْإِنْسَنَ ﴿١﴾. ابن كثير

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴿١﴾ مَخْتَلِطَةً مِنْ مَاءِ الرَّجُلِ وَمَاءِ الْمَرْأَةِ ﴿٢﴾ نَبْتَلِيهِ ﴿٣﴾ نَخْتَبِرُهُ بِالْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي ﴿٤﴾ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ﴿٦﴾ بَيْنَا لَهُ طَرِيقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ﴿٧﴾ إِمَّا شَاكِرًا ﴿٨﴾ وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٩﴾﴾

جزاء الكفار ونعيم المؤمنين

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا ﴿١﴾ قِيودًا مِنْ حَدِيدٍ تَشُدُّ بِهَا أَرْجُلَهُمْ ﴿٢﴾ وَأَغْلَلًا ﴿٣﴾ تَغْلُ وَتَجْمَعُ بِهَا أَيْدِيهِمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ ﴿٤﴾ وَسَعِيرًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ ﴿٦﴾ إِنَاءٍ شَرِبَ الْخَمْرُ وَفِيهَا خَمْرٌ ﴿٧﴾ كَانَتْ مِزَاجُهَا كَأْفُورًا ﴿٨﴾ مَخْلُوطَةً بِأَحْسَنِ أَنْوَاعِ الطَّيِّبِ، وَهُوَ مَاءُ الْكَافُورِ ﴿٩﴾﴾

﴿ ٥٧٨ ﴾

﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا ﴿١﴾ يَشْرَبُونَ مَتَلَذِّدِينَ بِهَا ﴿٢﴾ عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٣﴾ يُجْرُونَهَا إِجْرَاءً سَهْلًا حَيْثُ شَاؤُوا ﴿٤﴾﴾

﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ يقال: إن الرجل منهم ليمشي في بيوتاته، ويصعد إلى قصوره، ويده قضيب يشير به إلى الماء، فيجري معه حيثما دار في منازل على مستوى الأرض في غير أخدود، ويتبعه حيثما صعد إلى أعلى قصوره، وذلك قوله تعالى: ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦] أي: يشققونها شقا، كما يفجر الرجل النهر ها هنا، وها هنا إلى حيث يريد. القرطبي

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ﴿١﴾ بِمَا أَوْجِبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنَ الطَّاعَاتِ ﴿٢﴾ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٣﴾ فَاشْيَاءٌ مُنْتَشِرَةً عَلَى النَّاسِ ﴿٤﴾﴾

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ النذر: هو إيجاب المكلف على نفسه من الطاعات ما لو لم يوجبه لم يلزمه. القرطبي

* وإذا كانوا يوفون بالنذر، وهو لم يجب عليهم إلا بإيجابهم على أنفسهم، كان

فعلهم وقيامهم بالفروض الأصلية، من باب أولى وأحرى. السعدي

﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٨) ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ (٩) ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾ ﴿تَكَلِّحَ فِيهِ الْوَجْوهُ لَهُوْلَهُ﴾ ﴿قَطْرِيرًا﴾ ﴿شَدِيدَ الْعَبُوسِ﴾ (١٠) ﴿فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ﴾ ﴿أَعْطَاهُمْ﴾ ﴿نَضْرَةً﴾ ﴿حَسَنًا وَنُورًا﴾ ﴿وَسُرُورًا﴾ (١١) ﴿وَجَزَيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ (١٢) ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ ﴿الْأُسْرَةُ الْمَزِينَةُ بِفَاخِرِ الثِّيَابِ وَالسُّتُورِ﴾ ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾ ﴿شِدَّةَ بَرْدٍ﴾ (١٣) ﴿وَدَانِيَةً﴾ ﴿قَرِيبَةً﴾ ﴿عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا﴾ ﴿سَهْلٌ لَهُمْ أَخَذَ ثَمَارَهَا﴾ ﴿نَذْلِيلًا﴾ (١٤) ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِثَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ ﴿مِنَ الزَّجَاجِ﴾ (١٥) ﴿قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ ﴿قَدَرُهَا السَّقَاتُ عَلَى مَقْدَارِ مَا يَشْتَهَى الشَّارِبُونَ﴾ (١٦) ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا﴾ ﴿إِنَاءٌ مَّملُوءٌ خَمْرًا﴾ ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ (١٧) ﴿عَيْنًا فِيهَا﴾ ﴿أَيُّ: فِي الْجَنَّةِ﴾ ﴿تُسَمَّى سَلْسِيلًا﴾ ﴿سَمِيتَ بِذَلِكَ؛ لِسَلَاسَةِ شَرْبِهَا وَسَهُولَةِ مَسَاغِهِ﴾ (١٨) ﴿وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ ﴿غُلَامَانِ لِلْخِدْمَةِ دَائِمُونَ عَلَى حَالِهِمْ﴾ ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لَوْلَوْأُ﴾ ﴿لِحَسَنِهِمْ وَصَفَاءِ أَلْوَانِهِمْ﴾ ﴿مَنْشُورًا﴾ (١٩)

﴿وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ أحسن من يتخذ للخدمة الولدان؛ لأنهم أخف حركة وأسرع مشيًا، ولأن المخدوم لا يتخرج إذا أمرهم أو نهاهم. ووصفوا بأنهم مخلدون، للاحتراس مما قد يوهمه اشتقاق ولدان من أنهم يشبون ويكتهلون، أي: لا تتغير صفاتهم، فهم ولدان دوماً، وإلا فإن خلود الذوات في الجنة معلوم. ابن عاشور في التحرير والتنوير. «ت».

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لَوْلَوْأُ مَنْشُورًا﴾ أي: إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة، وكثرتهم، وصباحة وجوههم، وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم، حسبتهم لَوْلَوْأُ منشورا. ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنشور على المكان الحسن. ابن كثير

* لوقوع شعاع بعضه على بعض. ينظر تفسير الثعالبي «ل».

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ﴾ ﴿إِذَا أَبْصَرْتَ أَيُّ مَكَانٍ فِي الْجَنَّةِ﴾ ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ (٢٠)

عَلَيْهِمْ ﴿١١﴾ يَعلُوهم ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ الحرير الرقيق ﴿خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ الحرير
الغليظ ﴿وَحُلُواْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَنَهُم رَّهْمٌ شَرَابًا طَهُورًا﴾ لا رجس فيه ولا
دنس ﴿١٢﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمُ ﴿عملكم الصالح في الدنيا﴾
﴿مَشْكُورًا﴾ ﴿١٣﴾

القرآن، والأمر بالصبر

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا﴾ ﴿١٤﴾ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴿لأمره القدرى فتقبله،﴾
ولأمره الشرعى، فتمضى عليه ﴿وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ ﴿١٥﴾ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ
بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿أول النهار وآخره﴾ ﴿١٦﴾

﴿٥٧٩﴾

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ، وَسَبِّحْهُ﴾ ﴿١٧﴾ صِلْ لَهُ ﴿لَيْلًا طَوِيلًا﴾ ﴿١٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ
يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذْرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿١٩﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ﴿٢٠﴾
أَحْكَمْنَا خَلْقَهُمْ ﴿وَأِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ ﴿٢١﴾

﴿وَأِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ قال ابن عباس: أي: لو نشاء لأهلكناهم
وجئتنا بأطوع لله منهم. القرطبي

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ ﴿٢٢﴾ عِظَةٌ ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ﴿٢٣﴾ طريقاً إلى الله
بطاعته ﴿٢٤﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٥﴾ يُدْخِلُ
مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٦﴾

سورة المرسلات

سورة المرسلات، سورة مكية، تركز على إثبات القيامة من خلال محاجة
المكذبين بالأدلة، وفيها الوعيد، والتهديد للمكذبين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القسم على وقوع القيامة والبعث

﴿وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا﴾ ﴿١﴾ قسم بالرياح حين تهب متتابعة يقفوا بعضها بعضاً ﴿٢﴾

﴿وَالْمُرْسَلَتِ عُرْفًا﴾ عن عبد الله ابن مسعود ، قال: كنا مع النبي ﷺ في غار، وقد أنزلت عليه والمرسلات عرفا، فنحن نأخذها من فيه رطبة، إذ خرجت علينا حية، فقال: «اقتلوها» فابتدرناها، لنقتلها، فسبقتنا، فقال رسول الله ﷺ: «وقاها الله شر كم كما وقاكم شرها» متفق عليه

﴿وَالْمُرْسَلَتِ عُرْفًا﴾ أرسلت بالمعروف، ويقال: تتابعت كعرف الفرس ... ابن الجوزي

﴿فَالْعَصَفَتِ عَصْفًا﴾ قسم بالرياح شديدة الهبوب المهلكة ﴿٢﴾ ﴿وَالنَّشْرِتِ نَشْرًا﴾ قسم بالملائكة الموكلين بالسحب يسوقونها حيث شاء الله ﴿٢﴾

﴿وَالنَّشْرِتِ نَشْرًا﴾ يحتمل أنها الملائكة ، تنشر ما دبرت على نشره، أو أنها السحب التي ينشر بها الله الأرض، فيحييها بعد موتها. السعدي

﴿فَالْفَرَقَتِ فَرَقًا﴾ قسم بالملائكة التي تنزل بما يفرق بين الحق والباطل ﴿٤﴾ ﴿فَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا﴾ قسم بالملائكة التي تتلقى الوحي من الله، وتنزل به على الأنبياء ﴿٥﴾ عَذْرًا أَوْ نَذْرًا ﴿٦﴾ إِعْذَارًا إِلَى الْخَلْقِ وَإِنْذَارًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ ﴿٦﴾ من أمر القيامة وما فيها من جزاء وحساب ﴿لَوْ قَعُ﴾ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٧﴾ محيت، وذهب نورها ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٨﴾ تصدعت، وتشققت ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ ﴿٩﴾ تطايرت وتناثرت ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِنَّتْ ﴿١٠﴾ عين لهم وقت وأجل للفصل بينهم وبين أمهم ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١١﴾ ليوم عظيم أخرت للشهادة على أمها ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٢﴾ ليوم يفصل ويقضى بين الخلائق ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَبَلَّ ﴿١٤﴾ هلاك عظيم ﴿يَوْمَذِلِّ الْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿١٥﴾

قدرة الله المتنوعة دالة على سهولة البعث

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُنَبِّعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُنَبِّعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٦﴾ أي: أما أهلكنا المكذبين السابقين، ثم نتبعهم بإهلاك من كذب من الآخرين، وهذه سنته السابقة واللاحقة في كل مجرم لا بد من عذابه ، فلم لا تعتبرون بما ترون وتسمعون؟. السعدي

﴿كَذَلِكَ نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿ ٥٨٠ ﴾

﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ ضَعِيفٍ حَقِيرٍ، وَهُوَ: النطفة ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ مكان، وهو الرحم، به يستقر وينمو ﴿٢١﴾ إِلَى قَدَرٍ ﴿٢١﴾ وقت ﴿٢١﴾ مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ وعاءٌ تضم الأحياء والأموات ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رُوسًا شِمْخَاتٍ ﴿٢٧﴾ جبالاً ثوابت مرتفعات ﴿٢٨﴾ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٩﴾ عَذْبًا سَائِغًا ﴿٣٠﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣١﴾﴾

حال المكذبين في الآخرة

﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٣١﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ﴿٣٢﴾ هو دخان جهنم ﴿٣٢﴾ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٣﴾ يتفرع منه ثلاث قطع ﴿٣٤﴾ لَا ظَلِيلٍ ﴿٣٥﴾ لا يظل من حر ذلك اليوم ﴿٣٦﴾ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِّ ﴿٣٧﴾ لا يدفع، ولا يقى ﴿٣٨﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٩﴾ الشرارة كالبناء المشيد في العظم والارتفاع ﴿٣٩﴾ كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ ﴿٤٠﴾ كأن الشرر إبل سود يميل لونها إلى الصفرة ﴿٤١﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٢﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ قال الواحدي: قال المفسرون: في يوم القيامة مواقف، ففي بعضها يتكلمون، وفي بعضها يختم على أفواههم فلا يتكلمون، وقد قدمنا الجمع بهذا في غير موضع. وقيل: إن هذا إشارة إلى وقت دخولهم النار، وهم عند ذلك لا ينطقون؛ لأن مواقف السؤال والحساب قد انقضت. وقال الحسن: لا ينطقون بحجة وإن كانوا ينطقون. الشوكاني

﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْبُدُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْتُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ ﴿٣٩﴾ حيلة في الخلاص من العذاب ﴿٣٩﴾ فَيَكِيدُونَ ﴿٤٠﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤١﴾﴾

مآل المتقين، وتهديد لمنكري القيامة

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ ظِلِّ الْأَشجارِ الْوارفةِ﴾ ﴿٤١﴾ ﴿وَعُيُونٍ﴾ ﴿وَفَوْكَهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ ﴿مُتَهَنِّئِينَ مِنْ غَيْرِ تَنْغِيصٍ وَلَا كَدْرٍ﴾ ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿كُلُوا وَتَمَنَعُوا فَلَئلاً إِن كُنتُمْ تُجْرَمُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ أَزْكِعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿فَبَأَى حَدِيثٌ بَعْدَهُ﴾ ﴿فَبَأَى كِتَابٌ وَكَلَامٌ بَعْدَ الْقُرْآنِ﴾ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥٠﴾

سورة النبا

سورة النبا، سورة مكية، تركز على إثبات البعث والجزاء، وبيان شيء من قدرة الله الدالة على سهولة البعث، وفيها شيء من أحداث يوم القيامة، وإخبار عن نعيم المؤمنين، وعذاب المكذبين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قدرة الله الدالة على سهولة البعث

﴿عَمَّ﴾ ﴿عَنْ أَيِّ شَيْءٍ﴾ ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ ﴿١﴾

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ذلك أن قريشا جعلت فيما ذكر عنها تختصم وتتجادل في الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ من الإقرار بنبوته، والتصديق بما جاء به من عند الله، والإيمان بالبعث، فقال الله لنبية: فيم يتساءل هؤلاء القوم ويختصمون. الطبري

﴿عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿الْخَيْرِ الْعَظِيمِ﴾ وهو: القرآن الذي فيه خبر البعث ﴿٢﴾ ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ ﴿٣﴾ ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤﴾ ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥﴾ ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ ﴿٦﴾ ﴿مَهِيَّةً لَكُمْ وَلِمَصَالِحِكُمْ﴾ ﴿٧﴾ ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ ﴿٨﴾ ﴿تَثَبَّتِ الْأَرْضُ﴾ ﴿٩﴾ ﴿وَحَلَقْنَكُمْ أَرْوَجًا﴾ ﴿١٠﴾ ﴿أَصْنَافًا ذُكُورًا وَإِنَّا نَأْتِي﴾ ﴿١١﴾ ﴿وَجَعَلْنَا أَلِيلَ لِبَاسًا﴾ ﴿١٢﴾ ﴿سَاتِرًا لَكُمْ بِظِلْمَتِهِ كَاللِبَاسِ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ ﴿١٤﴾ ﴿تَحْصِلُونَ فِيهِ مَا تَعِيشُونَ بِهِ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ﴾

سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ أَيْ: سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ مُصْبِحًا وَقَادًا ﴿١٣﴾ مُضِيًّا ﴿١٣﴾

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ أي: وقادا، وهي: الشمس، وجعل هنا بمعنى خلق؛ لأنها تعدت لمفعول واحد. القرطبي

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ السَّحْبَ الْمُمْطِرَةَ﴾ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ مَنْصَبًا بِكَثْرَةِ ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّتِ الْأَفَاةُ ﴿١٥﴾ بِسَاتِينَ مَلْتَفَةً أَشْجَارَهَا ﴿١٦﴾

من أحداث يوم القيامة، وعذاب المكذبين

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ وقتاً وميعاداً للفصل بين الخلق ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ ﴿١٧﴾ فِي الصُّورِ ﴿١٧﴾ الْقَرْنَ الَّذِي ينفخ فيه إسرافيل ﴿١٨﴾ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ ﴿١٩﴾ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ ذَاتَ أَبْوَابٍ كَثِيرَةٍ لِنَزُولِ الْمَلَائِكَةِ ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ ﴿٢٠﴾ نَسْفَتْ ﴿٢٠﴾ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴿٢٠﴾ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢١﴾ كَالسَّرَابِ الَّذِي لَا حَقِيقَةَ لَهُ ﴿٢١﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢٢﴾ تَرصِدُ أَهْلَهَا، وَتَرْقُبُهُمْ ﴿٢٢﴾ لِلطَّغْيَنِ مَاءً أَبَا ﴿٢٢﴾ لَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ دَهْوَرًا لَا تَنْقُطُ ﴿٢٣﴾

﴿لَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ قال قتادة: هو ما لا انقطاع له، كلما مضى حقب جاء حقب بعده، وذكر لنا أن الحقب ثمانون سنة. ابن كثير
﴿لَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ فإن قيل: ما معنى ذكر الأحقاب، وخلودهم في النار لا نفاد له؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أن هذا لا يدل على غاية؛ لأنه كلما مضى حقب تبعه حقب، ولو أنه قال: لا بئين فيها عشرة أحقاب، أو خمسة، دل على غاية، هذا قول ابن قتيبة، والجمهور. وبيانه، أن زمان أهل الجنة والنار يتصور دخوله تحت العدد، وإن لم يكن له غاية، كقوله: بكرة وعشيا، مثل هذا أن كلمات الله تعالى داخله تحت العدد؛ وإن لم تكن لها نهاية. والثاني: أن المعنى: أنهم يلبثون فيها أحقابا لا يذوقون في الأحقاب بردا ولا شرابا، فأما خلودهم في النار فدائم. هذا قول الزجاج. وبيانه: أن الأحقاب حد لعذابهم بالحميم والغساق، فإذا انقضت

الأحقاب عذبوا بغير ذلك من العذاب. ابن الجوزي

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ ما يبرد حر النار على أجسادهم ﴿وَلَا شَرَابًا﴾ ٢٤ ﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾ ماء حاراً بالغاً نهاية الحرارة ﴿وَعَسَاقًا﴾ صديد أهل النار ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وَفَاقًا﴾ عادلاً موافقاً لأعمالهم ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ ﴿لَا يَخَافُونَ﴾ ٢٧ ﴿حِسَابًا﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ ﴿حَفْظْنَاهُ﴾ وَضَبَطْنَاهُ مَكْتُوبًا فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ ﴿كِتَابًا﴾ ٢٩ ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ ٣٠

﴿ ٥٨٢ ﴾

نعيم المتقين، وعظمة الموقف

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ فوزاً بدخولهم الجنة ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ ﴿بساتين عظيمة قد أحْدَقَتْ بِهَا الْأَشْجَارُ﴾ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ ﴿حديثات السن نواهد﴾ أَزْرَابًا ﴿مستويات في سن واحدة﴾ ٣٣

﴿وَكَوَاعِبَ أَزْرَابًا﴾ وهن: النواهد اللاتي لم تتكسر ثديهن من شبابهن، وقوتهن ونضارتهن. السعدي

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ مملوءة خمرًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا ﴿باطلاً من القول﴾ وَلَا كِذَابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿كثيراً كافياً لهم﴾ ٣٦ ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ كَلَامًا وَسُؤَالًا إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ ﴿جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ ﴿لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا مَن أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ حَقًّا، وَسَدَادًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ ﴿الذي لا ريب في وقوعه﴾ فَمَن شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا ﴿مرجعاً بالعمل بالصالح﴾ ٣٩ ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ ٤٠

﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ عن ابن عمر: إذا كان يوم القيامة مدت الأرض

مد الأديم، وحشر الدواب والبهائم والوحوش، ثم يوضع القصاص بين البهائم، حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء بنطحتها، فإذا فرغ من القصاص بينها قيل لها: كوني ترابا، فعند ذلك قول الكافر: يا ليتني كنت ترابا. القرطبي

سورة النازعات

سورة النازعات، سورة مكية، تركز على هز القلوب المكذبة بالبعث والجزاء من خلال عرض مشاهد الموت والبعث والحشر والقيامة، وفي ثناياها حث على الاعتبار بمصير الطاغية فرعون.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القسم على وقوع القيامة، وشيء من أهوالها

﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ **قسم بالملائكة تنزع أرواح الكفار** ﴿غَرَقًا﴾ **نزعا شديداً** ﴿١﴾

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرَقًا﴾ قال مقاتل: ملك الموت وأعوانه، ينزعون أرواح الكفار كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل. البغوي

﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشَاطًا﴾ **قسم بالملائكة تسل أرواح المؤمنين برفق** ﴿٢﴾
 ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا﴾ **قسم بالملائكة التي تسبح في نزولها من السماء وصعودها إليها** ﴿٣﴾ **فَالسَّيِّفَاتِ سَبْقًا﴾ قسم بالملائكة التي تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء لثلاث سترقه** ﴿٤﴾ **فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ قسم بالملائكة المنفذات أمر الله، وجواب القسم : لتبعثن** ﴿٥﴾ **يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ تضطرب الأرض بالنفخة الأولى نفخة الصعق** ﴿٦﴾ **تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ تليها نفخة أخرى للبعث** ﴿٧﴾
 ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ **خائفة مضطربة** ﴿٨﴾ **أَبْصَرُهَا خَشَعَةٌ﴾ ذليلة من هول ما تشاهد** ﴿٩﴾ **يَقُولُونَ أَيْنَا لِمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ الحالة التي كنا عليها في الأرض** ﴿١٠﴾ **أَيْنَا كُنَّا عِظْمًا نَخْرَةً﴾ بالية** ﴿١١﴾ **قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ رجعة خائبة ذات خسران** ﴿١٢﴾ **فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ﴾ نفخة** ﴿١٣﴾ **وَّاحِدَةٌ﴾ فإذا هم بالسَّاهِرَةِ﴾ بوجه الأرض أحياء بعد أن كانوا في بطنها** ﴿١٤﴾

الاعتبار بمآل الطاغية فرعون

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ ﴿١٦﴾ الْمَطَرِ ﴿١٧﴾ طَوًى ﴾ اسم الوادي ﴿١٦﴾

﴿ ٥٨٣ ﴾

﴿ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزَكَّى ﴿١٨﴾ تَتَطَهَّرُ مِنَ الْكُفْرِ، وَتَحُلِي بِالْإِيمَانِ ﴿١٩﴾ وَأَهْدِيكَ ﴿٢٠﴾ أَرْشِدُكَ ﴿٢١﴾ إِلَى رَبِّكَ فَخَشَى ﴿٢٢﴾

﴿ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَخَشَى ﴾ الفاء لترتيب الخشية على الهداية؛ لأن الخشية لا تكون إلا من مهتد راشد. الشوكاني

﴿ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴾ معجزة العصا واليد البيضاء ﴿٢٠﴾

﴿ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴾ هذه الفاء هي الفصيحة؛ لإفصاحها عن كلام محذوف، يعني: فذهب، فقال له ما قال، مما حكاها الله في غير موضع، وأجاب عليه بما أجب إلى أن قال: إن كنت جئت بآية فأت بها، فعند ذلك أراه الآية الكبرى. الشوكاني

﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ سَعًى ﴿٢٢﴾ يَجْتَهِدُ فِي مَعَارِضَةِ مُوسَى ﴿٢٣﴾ فَحَشَرَ ﴿٢٤﴾ فَجَمَعَ أَهْلَ مَمْلَكَتِهِ ﴿٢٥﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٦﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ ﴿٢٧﴾ عَقُوبَةِ ﴿٢٨﴾ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٩﴾

﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴾ أي: صارت عقوبته دليلاً وزاجراً، ومبينة لعقوبة الدنيا والآخرة. السعدي

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿٣٠﴾

خلق السماوات أشد من إعادة الخلق والبعث

﴿ ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٣١﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا ﴿٣٢﴾ أَعْلَى سَقْفِهَا ﴿٣٣﴾ فَسَوَّاهَا ﴿٣٤﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا ﴿٣٥﴾ أَظْلَمَ لَيْلَهَا بِغُرُوبِ شَمْسِهَا ﴿٣٦﴾ وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٣٧﴾ أُبْرَزَ نَهَارَهَا بِشُرُوقِ شَمْسِهَا ﴿٣٨﴾ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٩﴾ بَسَطَهَا، وَأَوْدَعَ فِيهَا مَنَافِعَهَا

﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالِ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ أَثْبَتَهَا عَلَى الْأَرْضِ كَالْأَوْتَادِ ﴿٣٣﴾ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمْ ﴿٣٤﴾

القيامة وما فيه من العذاب والنعيم، وحديث عن موعدها

﴿٣٥﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ ﴿٣٦﴾ الْقِيَامَةُ، وَهِيَ: النفخة الثانية ﴿٣٧﴾ الْكُبْرَى ﴿٣٨﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ ﴿٤٠﴾ أَظْهَرَتْ إِظْهَارًا بَيْنًا ﴿٤١﴾ لِمَنْ رَرَى ﴿٤٢﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٤٣﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٤٤﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤٥﴾ الْمَصِيرُ ﴿٤٦﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ﴿٤٧﴾ الْقِيَامَ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِ لِلْحِسَابِ ﴿٤٨﴾ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٩﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٥٠﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٥١﴾ مَتَىٰ وَقْتُ حُلُوهَا ﴿٥٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا ﴿٥٣﴾ لَيْسَ عِنْدَكَ عِلْمُهَا حَتَّىٰ تَذَكَّرَهَا ﴿٥٤﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَلًا ﴿٥٥﴾ أَيْ: مِنْتَهَى عِلْمُهَا إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، فَلَا يَعْلَمُهَا سِوَاهُ ﴿٥٦﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا ﴿٥٧﴾ كَانَتْهُمْ يَوْمَ نُرْوَنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً ﴿٥٨﴾ مَا بَيْنَ الظُّهْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ ﴿٥٩﴾ أَوْ صُحُوحًا ﴿٦٠﴾ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ ﴿٦١﴾

﴿ ٥٨٤ ﴾

سورة عبس

سورة عبس، سورة مكية، فيها التركيز على حقيقة دعوة القرآن، وكرامتها، وعلو مقامها، وكرامة من ينتفع بها، وحقارة من يعرض عنها، وفيها حديث عن البعث.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العزة للمؤمن ولو كان ضعيفاً، والخزي للكافر ولو كان شريفاً،

ورفعة الرسالة ومن تمسك بها

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ ﴿١﴾ أَعْرَضَ، وَهُوَ عِتَابٌ لَطِيفٌ مِنَ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ ﴿٢﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٣﴾ لِأَجْلِ مَجِيءِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ ﴿٤﴾

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ قَالَ الْمَفْسُرُونَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا يَنَاجِي عْتَبَةَ بِنَ رَبِيعَةَ، وَأَبَا جَهْلَ بْنَ هِشَامٍ، وَأُمِّيَّةَ وَأَبِيَا ابْنِي خَلْفٍ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ

تعالى، ويرجو إسلامهم، فجاء ابن أم مكتوم الأعمى، فقال:
علمني يا رسول الله مما علمك الله، وجعل يناديه، ويكرر النداء، ولا يدري أنه
مشتغل بكلام غيره حتى ظهرت الكراهية في وجهه ﷺ لقطعه كلامه،
فأعرض عنه رسول الله ﷺ، وأقبل على القوم يكلمهم، فنزلت هذه الآيات،
فكان رسول الله ﷺ يكرمه بعد ذلك، ويقول: «مرحبا بمن عاتبني فيه ربي».
ابن الجوزي

* قال ابن زيد: كان يقال: لو أن رسول الله ﷺ كتّم من الوحي شيئاً، كتّم هذا
عن نفسه. الطبري
﴿الْأَعْمَى﴾ ذكر ابن أم مكتوم في قصته في سورة عبس بوصفه (الأعمى) ولم
يذكر باسمه؛ تريقاً لقلب النبي عليه، ولبيان عذره عندما قطع على النبي
حديثه مع صناديد مكة. د. محمد الخضير، ليدبروا آياته.

﴿وَمَا يَذُرُّكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي﴾ يتطهر من ذنوبه ﴿٢﴾ أَوْ يَذْكُرْ فَنُفَعَهُ الذِّكْرَى ﴿٤﴾ أَمَّا
مَنْ أَسْتَغْنَى ﴿٥﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ
جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَى ﴿٩﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴿١٠﴾ كَلَّا ﴿١١﴾ لَيْسَ الْأَمْرُ
كَمَا فَعَلْتَ ﴿١٢﴾ إِنَّهَا لَذِكْرَةٌ ﴿١٣﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿١٤﴾ فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ﴿١٥﴾ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ
بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٦﴾ ملائكة كتبه يقومون بالسفارة بين الله وخلقهم ﴿١٧﴾ كَرَامٍ
بِرَّةٍ ﴿١٨﴾ مطيعين لله لا يعصونه ﴿١٩﴾

الرد على منكر البعث

﴿قُلِ الْإِنْسَانُ﴾ لعن الكافر، وعذب ﴿مَا أَكْفَرُهُ﴾ ما أشد كفره! ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ
خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ نُّطْفَةٍ ﴿١٩﴾ ماء قليل مهين، وهو المنى ﴿خَلَقَهُ فَقَدَرُهُ﴾ خلقه أطواراً
﴿٢٠﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ ﴿٢١﴾ يسر له الأسباب الدنية والدنيوية ﴿ثُمَّ أَمَانَهُ﴾
فَأَقْبَرَهُ ﴿٢٢﴾ جعل له مكاناً يقبر فيه ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾ أحياء ﴿٢٣﴾ كَلَّا لَمَّا
يَقُضْ مَا أَمَرُهُ ﴿٢٤﴾ لم يؤد الكافر ما أمره الله به من الإيابة والطاعة ﴿فَلْيَنْظُرِ﴾
الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٥﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٦﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٧﴾ للنبات ﴿٢٨﴾
فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٩﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٣٠﴾ علفاً للدواب ﴿٣١﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٣٢﴾

﴿وَعَبَابًا وَقُضَابًا﴾ هو القت، ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ وخص هذه الأربعة؛ لكثرة فوائدها ومنافعها. السعدي

﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ عظمة الأشجار ﴿٣٠﴾ وَفِكَهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ كلاً للبهائم

﴿وَفِكَهَةً وَأَبًّا﴾ قال ابن عباس: الأب: نبت الأرض مما تأكله الدواب، ولا يأكله الناس. الطبري

﴿وَفِكَهَةً وَأَبًّا﴾ قال إبراهيم التيمي: سئل أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن تفسير الفاكة والاب، فقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني إذا قلت: في كتاب الله ما لا أعلم؟ القرطبي

﴿مَنْعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمَ كُمْ﴾ ﴿٣٢﴾

حال من يقبل الرسالة، وحال من يعرض عنها يوم القيامة

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ﴾ صيحة يوم القيامة تصم الآذان من هولها ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَحْبِهِ ﴿٣٦﴾ أَي: زوجته ﴿٣٦﴾ وَلِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ يَشْغَلُهُ ﴿٣٧﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفَرَةٌ ﴿٣٨﴾ مُسْتَنِيرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ فَرِحَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ غبار وكدورة ﴿٤٠﴾

﴿٥٨٥﴾

﴿تَرْهَقُهَا﴾ تغشاها ﴿قَتَرَةٌ﴾ ذلة وظلمة ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ ﴿٤٢﴾ الجاحدون بقلوبهم ﴿الْفَجَرَةُ﴾ العصاة بأعمالهم ﴿٤٢﴾

سورة التكويد

سورة التكويد، سورة مكية، فيها تطرق لحوادث يوم القيامة، وعظم مكانة المبلغ عنها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من حوادث يوم القيامة

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ لُفَّتْ، وذهب ضوءها ﴿١﴾

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]، و﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، و﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١]». الترمذي

﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ **تناثرت، وذهب نورها** ﴿٢﴾ **وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾**
أزيلت عن وجه الأرض، فصارت هباءً منثوراً ﴿٣﴾ **وَإِذَا الْعِشَارُ﴾** **النوق**
الحوامل ﴿عُطِلَتْ﴾ **أهملت، وتركت** ﴿٤﴾

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِلَتْ﴾ النوق الحوامل، وهي التي أتى عليها في الحمل عشرة أشهر فقيل لها: العشار لذلك، وذلك الوقت أحسن زمان حملها، وهي تضع إذا وضعت لتنام في سنة، فهي أنفـس ما للعرب عندهم، فلا يعطلونها، إلا لإتيان ما يشغلهم عنها، وإنما خوطبت العرب بأمر العشار؛ لأن أكثر عيـشهم وما لهم من الإبل، ومعنى ﴿عُطِلَتْ﴾ سييت وأهملت، لاشتغالهم عنها بأهوال القيامة. ابن الجوزي

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ **جمعت، واختلطت؛ ليقـتص بعضها من بعض**
 ﴿٥﴾ **وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾** **ملئت، وانفجرت، ثم انقـدت نيراناً** ﴿٦﴾ **وَإِذَا**
النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ **قرنت بأمثالها ونظائرها** ﴿٧﴾

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال عمر بن الخطاب: يقرن الفاجر مع الفاجر، ويقرن الصالح مع الصالح. القرطبي

﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ﴾ **الطفلة المدفونة حية** ﴿سُئِلَتْ﴾ **بأى ذنب قُتِلَتْ** ﴿٩﴾ **وَإِذَا**
الْصُّحُفُ﴾ **صحف الأعمال** ﴿نُشِرَتْ﴾ **فتحت وبسطت** ﴿١٠﴾ **وَإِذَا السَّمَاءُ**
كُشِطَتْ﴾ **قلعت، وأزيلت** ﴿١١﴾ **وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾** **وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾**
قربت من أهلها ﴿١٢﴾ **عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾** **قدمت من خير أو شر**
 ﴿١٤﴾

القرآن وحي من الله

﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ أقسم، و(لا) للتأكيد ﴿بِالْحُسْنِ﴾ النجوم المختفية أنوارها نهاراً

﴿١٥﴾ الْجَوَارِ النجوم الجارية في أفلاكها ﴿الْكُنُس﴾ النجوم المستترة في أبراجها ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ﴿أَقْبَلَ بظلامه، وأدبر﴾ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ ﴿ظهر ضياؤه، وامتد﴾ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿ذِي مكانة رفيعة عند الله﴾ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ ﴿في السماوات﴾ ﴿٢١﴾ أَمِينٍ ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ ﴿رَأَى نَبِيَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ جبريل في الأفق على صورته التي خلق عليها﴾ ﴿الْمُبِينِ﴾ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ ﴿نَبِيْنَا﴾ ﴿عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ ببخيل في تبليغ الوحي، ولا يأخذ أجرا للتبليغ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿مرجوم مطرود من رحمة الله﴾ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿أى: كيف يخطر هذا ببالكم؟﴾ ﴿٢٦﴾ إِنَّ هُوَ ﴿مَا هُوَ﴾ ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ ﴿الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿رب الخلائق أجمعين﴾ ﴿٢٩﴾

﴿ ٥٨٦ ﴾

سورة الانفطار

سورة الانفطار، سورة مكية، فيها حديث عن شيء من حوادث يوم القيامة ، وأحوال الناس في الآخرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من حوادث القيامة، وأحوال الناس فيها

﴿١﴾ إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴿انشقت﴾ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿تساقطت﴾ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿امتلاّت، وفاضت، فانفجرت، وسالت مياهها﴾ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿قلبت بيعث من كان مقبوراً فيها﴾ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾

﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ قيل: ما قدمت من الصدقات، وأخرت من التركات. البغوي

﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ **ما خدعك، وجرأك على الكفر به وعصيانه؟** ﴿٦﴾

﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ قال ابن مسعود: (ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة. فيقول: يا ابن آدم، ما غرك بي؟ يا ابن آدم، ماذا عملت فيما علمت؟ يا ابن آدم، ماذا أجبتم المرسلين؟). البغوي

﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ﴾ **جعلك مستوى الخلقة** ﴿فَعَدَّلَكَ﴾ **جعلك معتدل الخلق متناسب الأعضاء** ﴿٧﴾ **فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ** ﴿٨﴾

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ فاحمد الله أن لم يجعل صورتك صورة كلب أو حمار، أو نحوهما من الحيوانات؛ فلهذا قال تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨]. السعدي

﴿كَلَّا بَلْ﴾ **أى: مع هذا الوعظ والتذكير، لا تزالون** ﴿تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ **يوم الجزاء والحساب** ﴿٩﴾ **وإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ** ﴿لَمَلَائِكَةٌ رِقَبَاءُ يَكْتُبُونَ أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿١٠﴾ **كِرَامًا كُنُوبِينَ** ﴿١١﴾ **يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ** ﴿١٢﴾ **إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ** ﴿١٣﴾ **وإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ** ﴿١٤﴾ **يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الَّذِينَ** ﴿١٥﴾ **وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ** ﴿١٦﴾ **فلا يخرجون من جهنم، ولا يموتون** ﴿١٧﴾ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الَّذِينَ** ﴿١٨﴾

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الَّذِينَ﴾ قال ابن عباس فيما روي عنه: كل شيء من القرآن من قوله: وما أدراك؟ فقد أدراه. وكل شيء من قوله: (وما يدريك) فقد طوي عنه. القرطبي

﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الَّذِينَ﴾ ﴿١٨﴾ **يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ** ﴿١٩﴾

﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الَّذِينَ﴾ في هذا تهويل لذلك اليوم الشديد الذي يحير الأذهان. السعدي

سورة المطففين

سورة المطففين، فيها الحديث عن حرمة الغش، ثم الحديث عن كتاب الفجار ومآلهم، وكتاب الأبرار، ومآلهم وحالهم مع من استهزأ بهم في الدنيا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الغش

﴿وَيْلٌ﴾ عذاب شديد ﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ الذين يبخسون المكيال والميزان ﴿١﴾

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ عن ابن عباس قال: لما قدم نبي الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فحسبوا الكيل بعد ذلك. ابن كثير

﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ أى: حقهم كاملا من غير نقص ﴿٢﴾ وإذا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ ينقصون في المكيال والميزان ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ﴾ يعتقد ﴿أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ ﴿٤﴾

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ الذي جرأهم على التطفيف عدم إيمانهم باليوم الآخر، وإلا فلو آمنوا به، وعرفوا أنهم يقومون بين يدي الله، يحاسبهم على القليل والكثير، لأقلعوا عن ذلك وتابوا منه. السعدي

﴿٥٨٧﴾

﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦﴾

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ذكر أن الناس يقومون لرب العالمين يوم القيامة حتى يلجمهم العرق، فبعض يقول: مقدار ثلاثمائة عام، وبعض يقول: مقدار أربعين عاما. الطبري

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال قتادة: وحدثنا العلاء بن زياد العدوي، قال: بلغني أن يوم القيامة يقصر على المومن حتى يكون كإحدى صلاته المكتوبة .

الطبري

كتاب الكفار ومآلهم

﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ ﴾ كتاب أعمالهم ﴿ لَفِي سِجِّينِ ﴾ سجن وضيق ﴿ ٧ ﴾

﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينِ ﴾ قال ابن عباس: أعمالهم في كتاب في الأرض السفلى. الطبري

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ ﴿ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴾ مكتوب فيه أعمالهم مثبتة عليهم ﴿ ٨ ﴾

﴿ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴾ أي: هو كتاب مرقوم، أي: مكتوب فيه أعمالهم، مثبتة عليهم كالرقم في الثوب، لا ينسى، ولا يمحي حتى يجازوا به. البغوي

﴿ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ ﴿ ١٠ ﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿ ١١ ﴾ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ ﴿ ١٢ ﴾ أَي: يَوْمَ الدِّينِ ﴿ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ ﴾ ظالم متجاوز للحد ﴿ أَشِيمٍ ﴾ كثير الإثم ﴿ ١٢ ﴾ إِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِ ءَايَتُنَا قَالَ أَسْطِيرُ ﴿ أَبَاطِيلُ ﴾ الْآوَلِينَ ﴿ ١٣ ﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ ﴿ غَطَى ﴾ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿ ١٤ ﴾

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر، صقل قلبه، فإن زاد زادت حتى تعلو قلبه، وذاك الران الذي ذكر الله في القرآن: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾» وقال الحسن البصري: هو الذنب على الذنب، حتى يعمى القلب، فيموت. ابن كثير

﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُوبُونَ ﴾ محرومون من رؤية ربهم ﴿ ١٥ ﴾

﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُوبُونَ ﴾ قال الحسن: لو علم الزاهدون العابدون أنهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت أنفسهم في الدنيا. البغوي

﴿ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴾ لداخلو النار يقاسون حرها ﴿ ١٦ ﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿ ١٧ ﴾

كتاب الأبرار، ومآلهم، وحالهم مع من استهزأ بهم في الدنيا

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾ صحائف حسنتهم ﴿لَفِي عَلَيَيْنَ﴾ لفي مرتبة ومكان عال ﴿١٨﴾

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيَيْنَ﴾ لما ذكر أن كتاب الفجار في أسفل الأمكنة وأضيقتها، ذكر أن كتاب الأبرار في أعلاها وأوسعها، وأفسحها، وأن كتابهم المرقوم ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾. السعدي
﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيْنَا﴾ ﴿١٩﴾ ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ ﴿٢٠﴾

﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ أي: مكتوب بأمان من الله إياه من النار يوم القيامة، والفوز بالجنة. الطبري

﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ﴿٢١﴾

﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ يقول: يشهد ذلك الكتاب المكتوب بأمان الله للبر من عباده من النار، وفوزه بالجنة، المقربون من ملائكته من كل سماء من السماوات السبع. الطبري

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ ﴿الْأَسْرَةُ الْمَزِينَةُ﴾ بالستور والשיاب ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهمْ نُزْرَةً ﴿بَهْجَةً﴾ ﴿النَّعِيمِ﴾ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿خمر صافية﴾ ﴿٢٥﴾ خِتْمُهُ مِسْكٌ ﴿آخِرُهُ رَائِحَةُ الْمِسْكِ﴾ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمَرَّاجُهُ ﴿خِلْطُهُ﴾ ﴿مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ عَيْنٌ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ ﴿يَتَلَذَّذُ﴾ ﴿بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ ﴿يَغْمِزُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَعْيُنِهِمْ﴾ استهزاء ﴿٣٠﴾ وَإِذَا أَنْقَلَبُوا ﴿رَجَعُوا﴾ إِلَىٰ أَهْلِهِمْ أَنْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿مِتَلَذَّذِينَ﴾ بِسَخِرَتِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿رُقَبَاءَ يَحْصُونَ أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿٣٣﴾

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُؤْبَ

جوزي ﴿الْكَفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٣٦﴾

سورة الانشقاق

سورة الانشقاق، سورة مكية، فيها بيان لاستسلام الكون وخضوعه لربه يوم القيامة، وبيان أن الجزء من جنس العمل، والحث على التسليم لشرع الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السماء والأرض يوم القيامة

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ تصدعت، وتمايز بعضها من بعض ﴿١﴾ ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أطاعت لأمر ربها ﴿وَحُقَّتْ﴾ وحق لها أن تطيع ﴿٢﴾

﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾ العرب تقول: أذن لك في هذا الأمر أذنًا بمعنى: استمع لك ... وأصل قولهم في الطاعة سمع له من الاستماع، يقال منه: سمعت لك، بمعنى سمعت قولك، وأطعت فيما قلت وأمرت. الطبري

﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ بسطت، ووسعت، ودكت جبالها ﴿٣﴾ ﴿وَأَلْقَتْ﴾ قذفت ما في بطنها من الأموات ﴿مَا فِيهَا وَخَلَّتْ﴾ ﴿٤﴾ ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أطاعت لأمر ربها ﴿وَحُقَّتْ﴾ وحق لها أن تطيع ﴿٥﴾

الجزء على الأعمال

﴿يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ﴾ ساع إلى الله وعامل بالخير أو الشر ﴿كَدَحًا فَمَلَقِيهِ﴾ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ، صحيفة عمله ﴿بِيمِينِهِ﴾ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، أي: بشأله من خلفه. ﴿١٠﴾

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ كما أنه جعل كتاب الله وراء ظهره في الدنيا، جعل الله كتاب عمله وراء ظهره في الآخرة خزيًا وعارًا. ابن عثيمين، ليدبروا آياته.

﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ يدعو بالهلاك قائلاً: واثبورا! ﴿١١﴾ وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ

لن يرجع إلى الله ليحاسبه ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾

الوعيد للمكذبين

﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ أقسم و(لا) لتأكيد القسم ﴿بِالشَّفَقِ﴾ باحمرار الأفق عند الغروب ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وما جمع، وأظلم عليه ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ تكامل نوره، وأبدر ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴿١٩﴾ أطيواراً متعددة وأحوالاً متباينة : نطفة، ثم علقه، وهكذا ﴿٢٠﴾

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ قال الحسن البصري: حالا بعد حال، رخاء بعد شدة، وشدة بعد رخاء، وغنى بعد فقر، وفقرا بعد غنى، وصحة بعد سقم، وسقما بعد صحة. ابن كثير

* قال مكحول: كل عشرين عاما تجدون أمرا لم تكونوا عليه. القرطبي

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ يَكْتُمُونَ فِي صُدُورِهِمْ مِنَ الْعِنَادِ ﴿٢٤﴾ وَالتَّكْذِيبِ ﴿٢٥﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ سميت البشارة بشارة؛ لأنها تؤثر في البشرية سرورا أو غما. السعدي

﴿ ٥٨٩ ﴾

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ غير مقطوع، ولا منقوص ﴿٢٥﴾

سورة البروج

سورة البروج، سورة مكية، تركز على إظهار قوة الله وإحاطته الشاملة، وتوعده بالعذاب للمتربصين بالمؤمنين، وفيها حث للمؤمنين على الصبر على الحق، إذ أن البلاء قد يصيبهم كما أصاب من قبلهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أصحاب الأخدود

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ ذات المنازل التي تمر بها الشمس والقمر ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ هو يوم القيامة ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ ﴿٣﴾ يوم الجمعة ﴿٣﴾ وَمَشْهُودٍ ﴿٤﴾ يوم عرفة ﴿٤﴾ قِيلَ ﴿٥﴾ لعن وعذب وهلك ﴿٥﴾ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ﴿٦﴾ الذين شقوا في الأرض شقاً عظيماً لإحراق المؤمنين ﴿٦﴾

﴿قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾ كانوا بنجران في الفترة بين عيسى، ومحمد صلى الله عليهما وسلم. القرطبي
 ﴿قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾ ذكر أن ملكا كان له ساحر، فبعث إليه غلاما يعلمه السحر، فكان الغلام يمر على راهب، فأعجبه أمره، فاتبعه، فعلم به الملك، فأمره أن يرجع عن دينه، فقال: لا أفعل، فاجتهد الملك في إهلاكه، فلم يقدر، فقال الغلام: لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به. اجمع الناس في صعيد واحد، واصلبنني على جذع، وارمني بسهم من كنانتي، وقل: بسم الله رب الغلام، ففعل، فمات الغلام، فقال الناس: آمنا برب الغلام، فخذ الأخاديد، وأضرم فيها النار، وقال: فمن لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها، ففعلوا، وهذا مختصر الحديث، وفيه طول. ابن الجوزي

﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُودِ﴾ ما تشعل وتوقد به النار ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ قعدوا حولها، وحرقوا المؤمنين ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ حضور ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَنُّوا ﴿٩﴾ حرقوا بالنار ﴿٩﴾ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠﴾ العذاب المحرق ﴿١٠﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنُّوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ قال الحسن رحمه الله: انظروا إلى هذا الكرم والجود، هم قتلوا أوليائه وأهل طاعته، وهو يدعوهم إلى التوبة. السعدي

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ ﴿١١﴾

عذاب الله على كفار ورحمته بالمؤمنين

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يَبْدِئُ يَخْلُقُ الْخَلْقَ ابْتَدَاءً وَيُعِيدُ يَحْيِيهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ الْمَحَبُّ لِأَوْلِيَائِهِ الْمَحْبُوبِ لَهُمُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ الْعَظِيمُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أُنْكَا حَدِيثُ الْجَنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ يَعْنى مَشْرَكِي مَكَّةَ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾

﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ أي: لم يعتبروا بمن كان قبلهم ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ أي لا يخفى عليه شيء من أعمالهم. ابن الجوزي ﴿بَلْ هُوَ قَرِئٌ نَجِيمٌ﴾ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

﴿٥٩٠﴾

سورة الطارق

سورة الطارق، سورة مكية، تركز على إظهار رقابة الله النافذة، وقدرته البالغة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ النجم الذي يطلع ليلاً ﴿١﴾

﴿وَالطَّارِقِ﴾ الصحيح أنه اسم جنس يشمل سائر النجوم الثواقب. السعدي

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ ﴿٢﴾

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ قال ابن عباس فيما روي عنه: كل شيء من القرآن من قوله: (وما أدراك) فقد أدراه. وكل شيء من قوله: (وما يدريك) فقد طوي عنه.

القرطبي

﴿النَّجْمِ الثَّاقِبِ﴾ المضيء المتوهج ﴿٣﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا مَا مِنْ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا

﴿ حَافِظٌ ﴾ ﴿ مَلِكٌ يَحْفَظُ أَعْمَالَهَا ﴾ ﴿ ٤ ﴾ ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ ﴿ ٥ ﴾ ﴿ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ ﴿ مَنصَبٌ بِسُرْعَةٍ فِي الرَّحْمِ ﴾ ﴿ ٦ ﴾ ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ ﴾ ﴿ ظَهَرَ الرَّجُلِ ﴾ ﴿ وَالْترَّابِ ﴾ ﴿ عِظَامُ صَدْرِ الْمَرْأَةِ ﴾ ﴿ ٧ ﴾ ﴿ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ ﴾ ﴿ رَدَهُ حَيًّا بَعْدَ الْمَوْتِ ﴾ ﴿ لَقَادِرٌ ﴾ ﴿ ٨ ﴾ ﴿ يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ ﴿ تَخْتَبِرُ، وَتَكْشِفُ ضَمَائِرَ الْقُلُوبِ ﴾ ﴿ ٩ ﴾ ﴿ فَأَلَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ ﴿ ١٠ ﴾

﴿ فَأَلَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ أي: فما للإنسان الكافر يومئذ من قُوَّةٍ يمتنع بها من عذاب الله، وأليم نكاله، ولا ناصر ينصره، فيستنقذه ممن ناله بمكروه، وقد كان في الدنيا يرجع إلى قُوَّةٍ من عشيرته، يمتنع بهم ممن أَرَادَهُ بِسُوءٍ، وناصرٍ من حليفٍ ينصره على من ظلمه واضطهده. الطبري

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴾ ﴿ صَاحِبَةُ الْمَطَرِ الْمُتَكَرِّرِ ﴾ ﴿ ١١ ﴾ ﴿ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾ ﴿ ذَاتِ التَّشَقُّقِ بِالنبات ﴾ ﴿ ١٢ ﴾ ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴾ ﴿ فَاصِلٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ﴾ ﴿ ١٣ ﴾ ﴿ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴾ ﴿ ١٤ ﴾ ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴾ ﴿ لِيُدْفَعُوا بِكَيْدِهِمُ الْحَقَّ ﴾ ﴿ ١٥ ﴾ ﴿ وَآكِيذُ كَيْدًا ﴾ ﴿ ١٦ ﴾

﴿ وَآكِيذُ كَيْدًا ﴾ لإظهار الحق، ولو كره الكافرون، ولدفع ما جاءوا به من الباطل، ويعلم بهذا من الغالب؛ فإن الآدمي أضعف وأحقر من أن يغالب القوي العليم في كيده. السعدي

﴿ فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْلُهُمْ رُويًا ﴾ ﴿ قَلِيلًا ﴾ ﴿ ١٧ ﴾

سورة الأعلى

سورة الأعلى، سورة مكية، تركز على التذكير بمنة الله على الناس، وتذكيرهم بالآخرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ ﴾ ﴿ نَزَهَ رَبُّكَ ذَاكِرًا اسْمَهُ بِلِسَانِكَ ﴾ ﴿ الْأَعْلَى ﴾ ﴿ الذِي لَهُ عَلَوُ الذَّاتِ وَالْقُدْرُ وَالْقَهْرُ ﴾ ﴿ ١ ﴾

﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ عن النعمان بن بشير، قال: «كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين، وفي الجمعة بـ ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾، و﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾».

مسلم

* عن أبي بن كعب، قال: «كان رسول الله ﷺ يوتر بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ، و﴿قُلْ لِلَّهِ الْكَفَرُ﴾ [آل عمران: ١٢]، والله الواحد الصمد». أبو داود وصححه الألباني

﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ فأتقن خلقه وأحسنه ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ يسر له ما يناسبه ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ الكلاً الأخضر ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غَنَاءً﴾ هشيماً جافاً ﴿أَحْوَى﴾ متغيراً ﴿٥﴾ سَنُقَرِّثُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ ٦ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ إلا ما أراد الله أن ينسخ تلاوته وحكمه، وينسيك إياه ﴿٧﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ وَيُنِيرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ للطريقة الميسرة في شريعتك وحياتك ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ ﴿٩﴾

﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ أي: ذكر حيث تنفع التذكرة. ومن هاهنا يؤخذ الأدب في نشر العلم، فلا يضعه عند غير أهله، كما قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: ما أنت بمحدث قوما حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم. وقال: حدث الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟! ابن كثير

﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ قال الجرجاني: التذكير واجب وإن لم ينفع. والمعنى: فذكر إن نفعت الذكرى، أو لم تنفع، فحذف، كما قال: ﴿سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ﴾ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]. وقيل: إنه مخصوص بأقوام بأعيانهم. وقيل: إن ﴿إِنْ﴾ بمعنى: ما، أي فذكر ما نفعت الذكرى، فتكون إن بمعنى ما، لا بمعنى الشرط؛ لأن الذكرى نافعة بكل حال. القرطبي

* قال الرازي: إن قوله: إن نفعت الذكرى؛ للتنبيه على أشرف الحالين، وهو وجود النفع الذي لأجله شرعت الذكرى، والمعلق بإن على الشيء لا يلزم أن يكون عدماً عند ذلك الشيء، ويدل عليه آيات: منها هذه الآية، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢] ومنها قوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٠١] فإن القصر جائز عند الخوف وعدمه ... فهذا

الشرط فيه فوائد: منها ما تقدم، ومنها البعث على الانتفاع بالذكرى، كما يقول الرجل لمن يرشده: قد أوضحت لك إن كنت تعقل، وهو تنبيه للنبي ﷺ على أنها لا تنفعهم الذكرى، أو يكون هذا في تكرير الدعوة، فأما الدعاء الأول فعام. انتهى. الشوكاني

﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ ﴿١٠﴾

﴿ ٥٩١ ﴾

﴿وَنَجِّنْهَا الْأَشَقَى﴾ ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ ﴿يدخلها، ويقاسى حرها﴾ ﴿الْكَبْرَى﴾ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ ﴿فاز، وظفر بالمطلوب﴾ ﴿مَنْ تَزَكَّى﴾ ﴿طهر نفسه من المعاصي، وحلاها بالطاعة﴾ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ إِنَّ هَذَا ﴿أى: من قوله﴾ ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ ﴿من تزكى﴾ ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾

سورة الغاشية

سورة الغاشية، سورة مكية، فيها الحديث عن عذاب النار ونعيم الجنة، ووجوب التفكير في خلق الله للوصول إلى الحق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ ﴿القيامة تغشى الناس بأهوالها﴾ ﴿١﴾

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ عن النعمان بن بشير، قال: «كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين، وفي الجمعة بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾». مسلم

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ ﴿ذليلة منكسرة﴾ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿مجهدة بالعمل والتعب في النار﴾ ﴿٣﴾

﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ فيه أقوال: أحدها: أنهم الذين عملوا، ونصبوا في الدنيا على غير دين الإسلام، كعبدة الأوثان، وكفار أهل الكتاب، مثل الرهبان وغيرهم. رواه

عطاء عن ابن عباس ... والثالث: عاملة ناصبة في النار بمعالجة السلاسل والأغلال؛ لأنها لم تعمل لله في الدنيا، فأعملها، وأنصبها في النار، وروى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن. ابن الجوزي

﴿تَصَلَّى نَارًا﴾ تدخل ناراً، وتقاسى حرها ﴿حَامِيَةً﴾ شديدة التوهج ﴿٤﴾ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ شديدة الحرارة ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ نبت خبيث ذي شوك لا ترعاه الدواب ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾

﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ ذلك أن المقصود من الطعام أحد أمرين: إما أن يسد جوع صاحبه، ويزيل عنه ألمه، وإما أن يسمن بدنه من الهزال، وهذا الطعام ليس فيه شيء من هذين الأمرين، بل هو طعام في غاية المرارة والتتن والخسة، نسأل الله العافية. السعدي

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ ٨ ﴿لِسَعِيهَا﴾ لعملها بالطاعة في الدنيا ﴿رَاضِيَةٌ﴾ ٩ ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ ١٠ ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ لا كلمة لغو واحدة، ولا نفس تلغو وتهذى ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ متدفقة بالماء ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَمَنَارِقُ وسائد ﴿١٥﴾ مَصْفُوفَةٌ وزراري مبثوثة ﴿١٦﴾ أَفْلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾

﴿أَفْلا يَنْظُرُونَ﴾ قال قتادة: أليس الذي خلق هذا بقادر على أن يخلق ما أراد في الجنة؟ الطبري

﴿إِلَى الْإِبِلِ﴾ قال العلماء: وإنما خص الإبل من غيرها؛ لأن العرب لم يروا بهيمة قط أعظم منها، ولم يشاهدوا الفيل إلا الشاذ منهم، ولأنها كانت أنفس أموالهم وأكثرها، لا تفارقهم ولا يفارقونها، فيلاحظون فيها العبر الدالة على قدرة الخالق، من إخراج لبنها من بين فرث ودم، وعجيب خلقها، وهي على عظمها مذلة للحمل الثقيل، وتنقاد للصبي الصغير، وليس في ذوات الأربع ما يحمل عليه وقره، وهو بارك، فيطيق النهوض به سواها. ابن الجوزي

﴿وَالِإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ ١٨ ﴿وَالِإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ ١٩ ﴿وَالِإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ

سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ بسطت، ومهدت ﴿٢٠﴾

﴿وَالِإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ اعلم أن تسطيحها لا ينافي أنها كرة مستديرة، قد أحاطت الأفلاك فيها من جميع جوانبها، كما دل على ذلك النقل والعقل والحس والمشاهدة، ... فإن التسطيح إنما ينافي كروية الجسم الصغير جدًا، الذي لو سطح لم يبق له استدارة تذكر، وأما جسم الأرض الذي هو في غاية الكبر والسعة، فيكون كرويًا مسطحًا، ولا يتنافى الأمران، كما يعرف ذلك أرباب الخبرة. السعدي

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ بمتسلط تكررهم على الإيمان ﴿٢٢﴾

﴿٥٩٢﴾

﴿إِلَّا ﴿٢٤﴾ أَى: لكن ﴿٢٣﴾ مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِيَّانَا يَا بَهُمْ ﴿٢٥﴾ مرجعهم بعد الموت ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾

سورة الفجر

سورة الفجر، سورة مكية، فيها عرض لمشاهد العظمة والقدرة الإلهية بإنزال العذاب بالمكذبين، وفيها بيان أحوال الإنسان مع المال، وفيها شيء من مشاهد الآخرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عاقبة المكذبين

﴿وَالْفَجْرِ﴾ قسم بأول النهار ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ قسم بليالي عشر ذي الحجة ﴿٢﴾

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ هي: عشر ذي الحجة في قول جمهور المفسرين. وقال الضحاك: إنها الأواخر من رمضان، وقيل: العشر الأول من المحرم إلى عاشرها يوم عاشوراء. الشوكاني

﴿وَالشَّفَعِ وَالْوَتْرِ﴾ قسم بكل زوج وفرد ﴿٢﴾ وَالْيَلِ إِذَا يَسَّرَ ﴿يسرى بظلامه، وجواب القسم : لتبعثن﴾ ﴿٤﴾

﴿وَالشَّفَعِ وَالْوَتْرِ﴾ الشفع عند العرب: الزوج، والوتر: الفرد. فالمراد بالآية: إما نفس العدد، أو ما يصدق عليه من المعدودات بأنه شفع أو وتر. وإذا قام دليل على تعيين شيء من المعدودات في تفسير هذه الآية، فإن كان الدليل يدل على أنه المراد نفسه دون غيره فذاك، وإن كان الدليل يدل على أنه مما تناولته هذه الآية لم يكن ذلك مانعا من تناولها لغيره. الشوكاني

* وقال قتادة: هي الصلوات، منها شفع، ومنها وتر. البغوي

﴿هَلْ فِي ذَلِكَ﴾ في المذكور ﴿قَسَمٌ لِذِي حَجْرٍ﴾ لصاحب عقل ﴿٥﴾

﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حَجْرٍ﴾ ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿قَسَمٌ لِذِي حَجْرٍ﴾ أي: لذي عقل؟ نعم، بعض ذلك يكفي، لمن كان له قلب، أو ألقى السمع، وهو شهيد. السعدي

﴿لِذِي حَجْرٍ﴾ لذي عقل، سمي بذلك؛ لأنه يحجر صاحبه عما لا يحل ولا ينبغي. البغوي

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ ﴿٦﴾ ﴿إِرم﴾ قبيلة إرم نسبة إلى جددهم ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ صاحبة القوة والأبنية المرفوعة على الأعمدة ﴿٧﴾ ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ﴾ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا ﴿قَطَعُوا﴾ الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿وَادِي الْقُرَى﴾ شمال غرب الجزيرة العربية ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْنَادِ ﴿أوتاد كان يعذب الناس بها﴾ ﴿١٠﴾

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْنَادِ﴾ أولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: عُنِيَ بذلك: الأوتاد التي تُوتد، من خشب كانت أو حديد، لأن ذلك هو المعروف من معاني الأوتاد. الطبري

﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ﴾ وصف لعاد وثمود وفرعون وجنده ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿عذاباً شديداً﴾ ﴿١٣﴾

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ قال الفراء: وهي كلمة تقولها العرب لكل

نوع من أنواع العذاب. وأصل ذلك أن السوط هو عذابهم الذي يعذبون به، فجرى لكل عذاب. القرطبي

﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبَآلِ الْمُرْسَادِ﴾ **يرقب العاصين، ويمهلهم، ثم يأخذهم** ﴿١٤﴾

الغنى والفقر ليسا دليل على كرامة الشخص أو عكسه، وذكر شيء من الأعمال السيئة في المال

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ﴾ **اختبره بالنعمة** ﴿رَبُّهُ فَأُكْرِمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ ﴿١٥﴾

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ﴾ يخبر تعالى عن طبيعة الإنسان من حيث هو، وأنه جاهل ظالم، لا علم له بالعواقب، يظن الحالة التي تقع فيه تستمر ولا تزول، ويظن أن إكرام الله في الدنيا وإنعامه عليه يدل على كرامته عنده وقربه منه، وأنه إذا ﴿فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ أي: ضيقه، فصار يقدر قوته لا يفضل منه، أن هذا إهانة من الله له، فرد الله عليه هذا الحساب: بقوله: ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس كل من نعمته في الدنيا فهو كريم علي، ولا كل من قدرت عليه رزقه فهو مهان لدي، وإنما الغنى والفقر، والسعة والضيق، ابتلاء من الله، وامتحان يمتحن به العباد؛ ليرى من يقوم له بالشكر والصبر، فيثيبه على ذلك الثواب الجزيل، ممن ليس كذلك، فينقله إلى العذاب الويل. السعدى

﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَّرَ﴾ **فضيق** ﴿عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾ ﴿١٦﴾

﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾ قال قتادة: ما أسرع ما كفر ابن آدم، يقول الله جل ثناؤه: كلا إني لا أكرم من أكرمت بكثرة الدنيا، ولا أهين من أهنت بقلتها، ولكن إنما أكرم من أكرمت بطاعتي، وأهين من أهنت بمعصيتي... وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن قتادة، لدلالة قوله: ﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ والآيات التي بعدها، على أنه إنما أهان من أهان بأنه لا يكرم اليتيم، ولا يُخَصُّ على طعام المسكين، وسائر المعاني التي عدّد، وفي إبانته عن السبب الذي من أجله أهان من أهان، الدلالة الواضحة

على سبب تكريمه من أكرم. الطبرى

﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ الذي مات أبوه قبل بلوغه ﴿١٧﴾

﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ وقوف همة العبد عند مراد نفسه فقط، من ضعف

الهمة؛ ولهذا لامهم الله على عدم اهتمامهم بأحوال الخلق المحتاجين. السعدى

﴿وَلَا تَحْضُونَ﴾ لا يث بعضكم بعضاً ﴿عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾ ﴿١٨﴾

﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ﴾ الميراث ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ شديداً ﴿١٩﴾

﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ قال الليث: اللم: الجمع الشديد، ومنه

حجر ملموم، وكتيبة ملمومة... وقال الحسن: يأكل نصيبه ونصيب غيره.

القرطبي

﴿وَتُحِبُّونَ أَمْالَ حُبًّا جَمًّا﴾ مفرطاً ﴿٢٠﴾

من مشاهد الآخرة

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ﴾ زلزلت ﴿الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ ﴿٢١﴾ وجاء ربك ﴿جاء لفصل

القضاء بين العباد مجيئاً يليق بجلاله ﴿وَالْمَلَكُ﴾ والملائكة ﴿صَفًّا صَفًّا﴾

صفوفاً كثيرة ﴿٢٢﴾

﴿ ٥٩٣ ﴾

﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنذَكُرُ الْإِنْسَانَ وَاتَى لَهُ الذِّكْرَى﴾ لا ينفعه

التذكر، فقد فات أوانه ﴿٢٣﴾

﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ قال عبد الله بن مسعود قال: جيء بها تقاد بسبعين

ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يقودونها. الطبرى

﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَايَاتِي﴾ ﴿٢٤﴾ فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ﴿لا يعذب كعذاب الله

أحد﴾ ﴿٢٥﴾ ولا يؤثى ﴿لا يشد بالسلاسل والأغلال﴾ وثاقه ﴿مثل إيثاقه

أحد﴾ ﴿٢٦﴾ يَتَّيْنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعْنِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي

عِبْدِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

سورة البلد

سورة البلد، سورة مكية، فيها الحديث عن الكافر وبعض صفاته، والحث على التحلي بصفات الإيمان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ﴾ أقسم، و(لا) لتأكيد القسم ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ مكة ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ﴾ مقيم، أو يجز لك ما تصنع به من المقاتلة ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾

﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ وهو حل يقاتل، ويقتل فيها، وذلك يوم الفتح الموعود. وقد قتل ﷺ يومها ابن خطل، وهو متعلق بأستار الكعبة. الجزائري

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ قسم بكل والد وبكل مولود، ومنهم آدم وذريته ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ شدة وعناء من مكابدة الدنيا ﴿أَيَحْسَبُ﴾ أيظن ﴿أَنْ لَّنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ يقول أهلك ما لا لبدا ﴿كثيراً﴾ كثيراً ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ أن الله لا يراه، ويحاسبه على الصغير والكبير؟ ﴿أَلَمْ نجعل له عَيْنَيْنِ﴾ ٨ ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ ٩ ﴿وَهَدَيْنَاهُ﴾ بينا له ﴿النَّجْدَيْنِ﴾ طريقى الخير والشر ﴿فَلَا أَقْنَمَ﴾ ١٠ ﴿فَهَلَّا تَجَاوَزَ﴾ ١١ ﴿الْعَقَبَةَ﴾ مشقة الآخرة، بإنفاق المال والعمل الصالح ﴿١١﴾

﴿فَلَا أَقْنَمَ الْعَقَبَةَ﴾ يقول: هلا أنفق ماله في فك الرقاب، وإطعام السغبان؛ ليجاوز به العقبة، فيكون خيراً له من إنفاقه في عداوة محمد ﷺ ... ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ فيه حذف، أي: وما أدراك ما اقتحام العقبة؟. وهذا تعظيم للالتزام أمر الدين، والخطاب للنبي ﷺ؛ ليعلمه اقتحام العقبة. القرطبي

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ ١٢ ﴿فَكُ رَقَبَةً﴾ إعتاقها من الرق ﴿أَوْ إِطْعَمُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ ١٣ ﴿مَجَاعَةً شَدِيدَةً﴾ ١٤ ﴿يَتِمَّ ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ ١٥ ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبٍ﴾ ١٦ ﴿مَعْدَمًا لَا شَيْءَ عِنْدَهُ﴾ ١٦

﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبٍ﴾ المتربة: مصدر ترب يترب تراباً ومتربة: إذا افتقر. البغوي

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾
 اليمين، بأن يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة ﴿١٨﴾

﴿٥٩٤﴾

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ الشَّالِ، بأن يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾ مطبقة مغلقة ﴿٢٠﴾﴾

سورة الشمس

سورة الشمس، سورة مكية، فيها أن الفلاح لمن زكى نفسه، والخيبة لمن كذب وأعرض، وفيها ضرب المثل بشمود.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسُ وَضَحَّهَا ﴿١﴾ قسم بالشمس وإشراقها ﴿١﴾ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾ تبع الشمس في الطلوع والأفول ﴿٢﴾ وَالتَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ﴿٣﴾ كشف الظلمة وأزالتها ﴿٣﴾ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ يغطي الأرض بظلمته ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَّىٰهَا ﴿٦﴾ بسطها ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ أكمل خلقها لأداء مهمتها ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا ﴿٨﴾ بين لها ﴿٨﴾ فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٩﴾ طريق الخير وطريق الشر ﴿٩﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿١٠﴾ طهرها، ونهاها بالطاعة ﴿١٠﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١١﴾ أخفى نفسه، ونقصها بالمعاصي ﴿١١﴾﴾

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ أي: أخفى نفسه الكريمة التي ليست حقيقة بقمعها وإخفائها، بالتدنس بالردائل، والدنو من العيوب، والاقتراف للذنوب، وترك ما يكملها وينميها، واستعمال ما يشينها ويدسيها. السعدي

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١٢﴾ بسبب طغيانها وتجاوزها الحد في العصيان ﴿١٢﴾ إِذْ أَنْبَعَثَ ﴿١٣﴾ نهض مسرعاً لعقر الناقة ﴿١٣﴾ أَشَقَّهَا ﴿١٤﴾ أكثرهم شقاوة وتمرداً ﴿١٤﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٥﴾ احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء، وأن تعتدوا على سقيها ﴿١٥﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴿١٦﴾ فنحروها ﴿١٦﴾ فَدَمْدَمَ ﴿١٧﴾﴾

عَلَيْهِمْ ﴿ فَأُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْعُقُوبَةَ ﴾ ﴿ رَبُّهُمْ يَذَّبُهُمْ فَسَوَّيْنَاهَا ﴾ ﴿ عَمَّهُم بِالْعُقُوبَةِ ،
فَلَمْ يَفْلِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ ﴾ ﴿ ١٤ ﴾

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾ ﴿ إِنَّمَا أَسْنَدَ الْعَقْرَ إِلَى الْجَمِيعِ ؛ لِأَنَّهُمْ رَضُوا بِمَا فَعَلَهُ . قَالَ
قَتَادَةُ : إِنَّهُ لَمْ يَعْقُرْهَا حَتَّى تَابِعَهُ صَغِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ وَذَكَرُهُمْ وَأُنْثَاهُمْ . الشُّوْكَانِيُّ
﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَهَا ﴾ ﴿ عَاقِبَةُ مَا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ ﴾ ﴿ ١٥ ﴾

﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَهَا ﴾ ﴿ أَيُ : تَبِعْتُهَا . وَكَيْفَ يَخَافُ مَنْ هُوَ قَاهِرٌ لَا يُخْرِجُ عَنْ قَهْرِهِ
وَتَصْرِفُهُ مَخْلُوقٌ ، الْحَكِيمُ فِي كُلِّ مَا قَضَاهُ وَشَرَعَهُ ؟ . السَّعْدِيُّ

سورة الليل

سورة الليل ، سورة مكية ، فيها أن اختلاف العمل مؤدِّ لاختلاف النتيجة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى ﴾ ﴿ يَغْطِي بِظِلَامِهِ الْأَرْضَ ﴾ ﴿ ١ ﴾ ﴿ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ﴾ ﴿ انْكَشَفَ بَضِيَاءُهُ
﴿ ٢ ﴾ ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴾ ﴿ ٣ ﴾

﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴾ ﴿ إِنْ كَانَتْ (مَا) مُوصُولَةً ، كَانَ إِقْسَامًا بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ
الْمُوصُوفَةِ ، بِأَنَّهُ خَالِقُ الذَّكَورِ وَالْإِنَاثِ ، وَإِنْ كَانَتْ مُصَدَّرِيَّةً ، كَانَ قِسْمًا بِخَلْقِهِ
لِلذَّكَرِ وَالْأُنْثَى ، وَكَمَالِ حِكْمَتِهِ فِي ذَلِكَ أَنْ خَلَقَ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ
الَّتِي يَرِيدُ بَقَاءَهَا ذَكَرًا وَأُنْثَى ؛ لِيَبْقَى النُّوعُ وَلَا يَضْمَحَلْ ، وَقَادَ كُلًّا مِنْهُمَا إِلَى
الْآخِرِ بِسِلْسِلَةِ الشَّهْوَةِ ، وَجَعَلَ كُلًّا مِنْهُمَا مُنَاسِبًا لِلْآخِرِ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ
الْخَالِقِينَ . السَّعْدِيُّ

﴿ إِنْ سَأَلْتَهُمْ لَشَيْءٍ ﴾ ﴿ لِمُخْتَلَفٍ ﴾ ﴿ ٤ ﴾ ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى ﴾ ﴿ بَذَلَ مَالَهُ مَتَّصِدَقًا ﴾ ﴿ ٥ ﴾ ﴿ وَأَنْقَى ﴾ ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ ﴿ الْخَلْفَ مِنَ اللَّهِ عَلَى نَفَقَتِهِ

﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ ﴿ أَيُ بَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، قَالَهُ الضُّحَّاكُ وَالسَّلْمِيُّ . وَابْنُ عَبَّاسٍ
أَيْضًا . وَقَالَ مُجَاهِدٌ : بِالْجَنَّةِ ، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ ﴿
[يُونُسُ : ٢٦] الْآيَةِ . وَقَالَ قَتَادَةُ : بِمَوْعِدِ اللَّهِ الَّذِي وَعَدَهُ أَنْ يُشِيبَهُ . زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ :

بالصلاة والزكاة والصوم. الحسن: بالخلف من عطائه، وهو اختيار الطبري. وتقدم عن ابن عباس، وكله متقارب المعنى، إذ كله يرجع إلى الثواب الذي هو الجنة. القرطبي

﴿ ٦ ﴾ فَسَيَسِّرُهُ لِّلْيَسْرَى ﴿ ٧ ﴾ لكل وخير وسعادة ﴿ ٧ ﴾

﴿ ٦ ﴾ فَسَيَسِّرُهُ لِّلْيَسْرَى ﴿ ٧ ﴾ الآيات في هذا المعنى كثيرة دالة على أن الله، عَزَّوَجَلَّ، يجازي من قصد الخير بالتوفيق له، ومن قصد الشر بالخذلان. وكل ذلك بقدر مقدر، والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة. ابن كثير

﴿ ٨ ﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿ ٩ ﴾ عَنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴿ ١٠ ﴾ وَكَذَّبَ بِالحُسْنَى ﴿ ١١ ﴾ وَكَذَّبَ بِالْخُلْفِ ﴿ ١٢ ﴾

﴿ ٥٩٥ ﴾

﴿ ١٠ ﴾ وَمَا يُعْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴿ ١١ ﴾ وَلِكُلِّ شِقَاوَةٍ عَسْرٌ ﴿ ١٢ ﴾ فَسَيَسِّرُهُ لِّلْعَسْرَى ﴿ ١٣ ﴾ وَإِنَّا لَنَآئِلُهَا لَهْدَى ﴿ ١٤ ﴾ عَلَيْنَا أَن نَّبِينَ طَرِيقَ الْهُدَى فَضلاً مِنَّا وَرَحمة ﴿ ١٥ ﴾ وَإِنَّا لَنَآئِلُهَا لَآخِرَةٌ وَالأُولَى ﴿ ١٦ ﴾

﴿ ١٦ ﴾ وَإِنَّا لَنَآئِلُهَا لَآخِرَةٌ وَالأُولَى ﴿ ١٧ ﴾ ملكا وتصرفا، ليس له فيها مشارك، فليرغب الراغبون إليه في الطلب، ولينقطع رجائهم عن المخلوقين. السعدي

﴿ ١٨ ﴾ فَانذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿ ١٩ ﴾ تَتَوَهَّجُ ﴿ ٢٠ ﴾ لَا يَصْلَحُهَا ﴿ ٢١ ﴾ لَا يَدْخُلُهَا، وَيُقَاسَى حَرَهَا ﴿ ٢٢ ﴾ إِلَّا الْآسَقَى ﴿ ٢٣ ﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿ ٢٤ ﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ﴿ ٢٥ ﴾ سَيَبْعِدُ عَنْهَا ﴿ ٢٦ ﴾ الْآلَقَى ﴿ ٢٧ ﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَرَكَّى ﴿ ٢٨ ﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى ﴿ ٢٩ ﴾ تَكَافَأَ، فَلَيْسَ إِنْفَاقَهُ ﴿ ٣٠ ﴾ مَكَافَأَةً لِّمَن أَحْسَنَ إِلَيْهِ ﴿ ٣١ ﴾ إِلَّا ابْنِغَاءَ وَجْهِهِ أَلْعَلَى ﴿ ٣٢ ﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿ ٣٣ ﴾

﴿ ٣٣ ﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى ﴿ ٣٤ ﴾ إِلَّا ابْنِغَاءَ وَجْهِهِ أَلْعَلَى ﴿ ٣٥ ﴾ عن عامر بن عبد الله بن الزبير، قال: كان أبو بكر الصديق يُعْتَق على الإسلام بمكة، فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن، فقال له أبوه: أي بني، أراك تعتق أناسا ضعفاء، فلو أنك أعتقت رجالا جُلدا يقومون معك، ويمنعونك، ويدفعون عنك، فقال: أي

أبت، إنما أريد -أظنه قال-: ما عند الله، قال: فحدثني بعض أهل بيتي، أن هذه الآية أنزلت فيه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى﴾. الطبري

سورة الضحى

سورة الضحى، سورة مكية، تركز على بيان رعاية الله لنبيه ﷺ وتثيئته، وبيان شيء من نعمه عليه، وأمره بالشكر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَى﴾ قسم بأول النهار أو كله ﴿١﴾ وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَى ﴿٢﴾ غطى الكون بظلامه وسكن ﴿٣﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿٤﴾ ما أبغضك عندما أبطأ عليك الوحي ﴿٥﴾

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ عن ابن عباس: لما نزل على رسول الله ﷺ القرآن، أبطأ عنه جبريل أياما، فتغير بذلك، فقال المشركون: ودعه ربه وقلاه. فأنزل الله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾. ابن كثير

﴿وَلَا آخِرَ خَيْرٍ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا فَخَافَ ﴿٦﴾ وَوَدَّعَكَ ضَالًّا ﴿٧﴾ لا تدرى الوحي، ولا تعلم القرآن ﴿٨﴾ فَهَدَى ﴿٩﴾ وَوَجَدَكَ عَالِيًّا ﴿١٠﴾ فَقِيرًا ﴿١١﴾ فَاعْنَى ﴿١٢﴾

﴿وَوَجَدَكَ عَالِيًّا فَاعْنَى﴾ قال الفراء: لم يكن غنيا عن كثرة المال، ولكن الله رضاه بما آتاه، وذلك حقيقة الغنى. البغوي

* قيل: فأعنى بما فتح لك من الفتوح، وفيه نظر؛ لأن السورة مكية. الشوكاني

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ فلا تسئ معاملته وتأخذ ماله ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ ﴿١٠﴾ الْفَقِيرَ ﴿١١﴾ الَّذِي يَسْأَلُ وَطَالِبَ الْعِلْمِ ﴿١٢﴾ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٣﴾ تَزْجُرُ ﴿١٤﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١٥﴾

سورة الشرح

سورة الشرح، سورة مكية، فيها ذكر منة الله على نبيه ﷺ بزوال الغم والحرَج والعسر، وحثه على الشكر بالعبادة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ **قد وسعنا بنور الإسلام بعد الحيرة والضيق** ﴿لَكَ صَدْرَكَ﴾ ﴿١﴾
 ﴿وَوَضَعْنَا﴾ **حططنا وغفرنا** ﴿عَنكَ وَزَّرَكَ﴾ **ذنبك** ﴿٢﴾

﴿٥٩٦﴾

﴿الَّذِي أَنْقَضَ﴾ **أثقل** ﴿ظَهْرَكَ﴾ ﴿٣﴾ **وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ** ﴿٤﴾

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ قال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب، ولا متشهد، ولا صاحب صلاة، إلا ينادي بها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. الطبري

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ﴿٥﴾ **إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** ﴿٦﴾

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ﴿٥﴾ **إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو كان العسر في حجر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه، إنه لن يغلب عسر يسرين. قال المفسرون: ويعنى قوله: «لن يغلب عسر يسرين» أن الله تعالى كرر العسر بلفظ المعرفة، واليسر بلفظ النكرة، ومن عادة العرب إذا ذكرت اسماً معرفاً، ثم أعادته كان الثاني هو الأول، وإذا ذكرت نكرة، ثم أعادته مثله صار اثنين، وإذا أعادته معرفة فالثاني هو الأول، كقولك: إذا كسبت درهما أنفقت درهما، فالثاني غير الأول، وإذا قلت: إذا كسبت درهما فأنفق الدرهم، فالثاني هو الأول، فالعسر في الآية مكرر بلفظ التعريف، فكان عسراً واحداً، واليسر مكرر بلفظ النكرة، فكانا يسرين، كأنه قال: فإن مع العسر يسراً، إن مع ذلك العسر يسراً آخر. البغوي

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ **من أشغال الدنيا** ﴿فَانصَبْ﴾ **فجد في العبادة** ﴿٧﴾ **وَالِ رِبَّكَ**

﴿فَارْزُقْ﴾ فتوجه، وأطلب، وتضرع ﴿٨﴾

سورة التين

سورة التين، سورة مكية، تركز على بيان أن قيمة الإنسان وشرفه بدينه، وسفوله وهوانه بتخليه عنه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ ﴿١﴾

﴿وَاللَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وإبراهيم النخعي، وعطاء بن أبي رباح، وجابر بن زيد، ومقاتل، والكلبي: هو تينكم الذي تأكلون، وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت ... وقال كعب الاخبار، وقتادة -أيضا- وعكرمة، وابن زيد: التين: دمشق، والزيتون: بيت المقدس ... ويجوز أن يكون ذلك على حذف مضاف، أي: ومنابت التين والزيتون. ولكن لا دليل على ذلك من ظاهر التنزيل، ولا من قول من لا يجوز خلافه، قاله النحاس ... وأصح هذه الأقوال الأول، لأنه الحقيقة، ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا بدليل. القرطبي

* والصواب من القول في ذلك عندنا: قول من قال: التين: هو التين الذي يؤكل، والزيتون: هو الزيتون الذي يُعصر منه الزيت، لأن ذلك هو المعروف عند العرب، ولا يُعرف جبل يسمى تينا، ولا جبل يقال له: زيتون، إلا أن يقول قائل: أقسم ربنا جل ثناؤه باللّتين والزيتون. والمراد من الكلام: القسم بمنابت التين، ومنابت الزيتون، فيكون ذلك مذهبا، وإن لم يكن على صحة ذلك أنه كذلك دلالة في ظاهر التنزيل، ولا من قول من لا يجوز خلافه؛ لأن دمشق بها منابت التين، وبيت المقدس منابت الزيتون. الطبري

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ جبل طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدُ ﴿٣﴾ مَكَّةُ ﴿٤﴾ الْأَمِينِ ﴿٥﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٦﴾ صَوْرَةً ﴿٧﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٨﴾ النَّارِ، إِنْ لَمْ يَطْعِ اللَّهَ ﴿٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّلَاحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ **غير مقطوع ولا منقوص** ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ ﴿٧﴾ **أيها الإنسان** ﴿٧﴾ **بعد هذه الحجة** ﴿٧﴾ **بالبعث والجزاء** ﴿٧﴾ **أليس** **الله بأحكم الحاكمين** ﴿٨﴾

﴿ **أليس الله بأحكم الحاكمين** ﴾ فهل تقتضي حكمته أن يترك الخلق سدى لا يؤمرون ولا ينهون، ولا يثابون ولا يعاقبون؟. السعدي

* قال ابن عثيمين: لو قرأ القارئ: ﴿ **أليس ذلك يقدر على أن يحصى الموتى** ﴾ فهذه ليست آية وعيد ولا آية رحمة فله أن يقول: بلى، أو «سبحانك فبلى»، لأنه ورد في حديث عن النبي عليه الصلاة والسلام.

ونص الإمام أحمد عليه، قال الإمام أحمد: إذا قرأ: ﴿ **أليس ذلك يقدر على أن يحصى الموتى** ﴾ في الصلاة وغير الصلاة، قال: سبحانك فبلى، في فرضٍ ونفلٍ.

وإذا قرأ: ﴿ **أليس الله بأحكم الحاكمين** ﴾ فيقول: «سبحانك فبلى».

ولو قرأ: ﴿ **قل أرى يتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين** ﴾ [الملك]. فهنا لا يقول: يأتي به الله؛ لأن هذا إنما جاء في سياق التهديد والوعيد، فالله أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقول لهؤلاء المكذبين: ﴿ **قل أرى يتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين** ﴾ والعامة نسمعهم يقولون: يأتي به الله، وهذا لا يصلح. الشرح الممتع (٢٩٠ / ٣)

سورة العلق

سورة العلق، سورة مكية ، فيها أن الشرف بالعلم والإيمان بالخالق القادر، وفيها وعيد لأبي جهل ومن مثله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ **عموم الخلق** ﴿١﴾

﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ عن عائشة قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يأتي حرًا فيتحنث فيه -وهو: التعب- الليالي ذوات

العدد، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فتزود لمثلها حتى فجأه الحق، وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه فقال: اقرأ. قال رسول الله ﷺ: «فقلت: ما أنا بقارئ». قال: «فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ حتى بلغ: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ قال: فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: «زملوني زملوني». ابن كثير والحديث في الصحيحين

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ **قطعة دم غليظ** ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا ﴿٦﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَاجِفٌ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ تَبْرَأَ مِنَ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ﴾ **عبدًا إذا صلى** ﴿٩﴾ عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى، لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليظاً على رقبته، فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي بيديه، قال: فقيل له: مالك يا أبا الحكم؟ قال: إن بيني وبينه لخذقا من نار، وهولا وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا»، قال: فأنزل الله - لا ندري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه - ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَاجِفٌ﴾ ... البغوى، والحديث في مسلم.

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ﴾ **يعنى العبد المنهى، وهو محمد ﷺ** ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾

﴿ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ ﴾ يعني أبو جهل ﴿ وَتَوَلَّى ﴾ أَعْرَضَ عَنِ الْإِيمَانِ ﴿ ١٣ ﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ
 اللَّهَ يَرَى ﴿ ١٤ ﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا ﴿ لَنَأْخُذَنَّهُ أَخْذًا عَنيفًا فَنَطْرَحُهُ فِي النَّارِ ﴾
 ﴿ بِالنَّاصِيَةِ ﴾ بِمَقْدَمِ رَأْسِهِ ﴿ ١٥ ﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿ آثِمَةٌ ﴾ ﴿ ١٦ ﴾ فَلْيَدْعُ
 فَلْيَحْضُرْ، وَلْيَنَادِ ﴿ نَادِيَهُ ﴾ أَهْلَ مَجْلِسِهِ مِنْ قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ ﴿ ١٧ ﴾ سَنَدْعُ
 الزَّبَانِيَةَ ﴿ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ ﴾ ﴿ ١٨ ﴾

﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾ قال أبو جهل: بأي شيء تهددني يا محمد! والله إني لأكثر أهل
 الوادي هذا ناديا، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾ ﴿ ١٧ ﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿ قال ابن
 عباس: والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية العذاب من ساعته. القرطبي

﴿ كَلَّا ﴾ ليس الأمر على ما يظن أبو جهل ﴿ لَا نُطِيعُ وَأَسْجُدُ وَاقْتَرَبَ ﴾ ﴿ ١٩ ﴾ أَدْنِ
 مِنْهُ بِالطَّاعَةِ ﴿ ١٩ ﴾

سورة القدر

سورة القدر، سورة مكية، فيها حديث عن ليلة القدر وفضلها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ﴾ أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي
 السَّمَاءِ الدُّنْيَا ﴿ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ لَيْلَةُ الشَّرَفِ وَالْعِظْمَةِ ﴿ ١ ﴾

﴿ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ الصحيح الذي عليه الأكثرون: أنها في العشر الأواخر من
 شهر رمضان. البغوي

* اختلف القائلون بأنها في العشر الأواخر: هل تختص ليالي الوتر دون الشفع؟
 على قولين:

أحدهما: أنها تختص الأفراد، قاله الجمهور. والأحاديث الصحاح كلها تدل
 عليه ... والثاني: أنها تكون في الشفع كما تكون في الوتر، قاله الحسن. ابن
 الجوزي

* قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قلت: يا رسول الله، إن وافقت ليلة القدر فما أقول؟
 قال: «قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني». القرطبي

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أي: العمل الصالح فيها من صلاة وتلاوة قرآن ودعاء خير من عبادة ألف شهر، ليس فيها ليلة القدر، وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر. الجزائري

﴿نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ ﴿٤﴾ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿٥﴾﴾ ﴿فِيهَا يَأْذَنُ رَبَّهُمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٦﴾﴾ ﴿قضاء قدره الله في تلك السنة ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ ﴿٥﴾ آمِنٌ وَسَلَامَةٌ وَتَسْلِيمٌ ﴿٦﴾﴾ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

﴿سَلَّمَ هِيَ﴾ حكى عن بعض السلف أنه حاول استخراج كونها ليلة سبع وعشرين من القرآن، من قوله: ﴿هِيَ﴾ لأنها الكلمة السابعة والعشرون من السورة، والله أعلم. ابن كثير - وانتقد ذلك ابن حزم لأنه لو كان كذلك لما خفي على نبي الأمة وأصحابه وسلفه. ينظر: ليدبروا آياته.

﴿سَلَّمَ هِيَ﴾ قال الحسن: قال النبي ﷺ في ليلة القدر: «إن من أماراتها: أنها ليلة سمحة بلجة، لا حارة ولا باردة، تطلع الشمس صبيحتها ليس لها شعاع». القرطبي

سورة البينة

سورة البينة، سورة مدنية، تركز على بيان قيمة الرسالة المحمدية ووضوحها وكما لها، وبيان حال الناس تجاهها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ ﴿١﴾﴾ ﴿تَارِكِينَ كُفْرَهُمْ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٢﴾﴾ ﴿الْعَلَامَةُ الَّتِي وَعَدُوا بِهَا فِي الْكِتَابِ السَّابِقَةِ ﴿٣﴾﴾ ﴿١﴾

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال: وسماي؟ قال:

«نعم» قال: فبكى. متفق عليه

﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ **أى: والبينة هي رسول من الله** ﴿يَتْلُوا﴾ **يقرأ** ﴿صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ منزهة من الباطل محفوظة من الشياطين ﴿٢﴾ **فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ** أخبار صادقة وأوامر عادلة ﴿٣﴾ **وَمَا نَفَرَقَ** **اختلف** ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ اليهود والنصارى ﴿إِلَّا مَن بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ من بعد ما تبينوا أنه نبي حقاً تفرقوا وكانوا مجتمعين على صحة نبوته قبل ذلك ﴿٤﴾

﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ قال المفسرون: لم يزل أهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد ﷺ حتى بعثه الله، فلما بعث تفرقوا في أمره، واختلفوا، فأمن به بعضهم، وكفر آخرون. البغوى

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ **قاصدين وجه الله وحده** ﴿حُنَفَاءَ﴾ مائلين عن الشرك إلى الأيمان ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ **الدين المستقيم** ﴿٥﴾

﴿ ٥٩٨ ﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ **الخليقة** ﴿٦﴾ **إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ** ﴿٧﴾ **جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ** **إقامة واستقرار** ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ ﴿٨﴾

سورة الزلزلة

سورة الزلزلة، سورة مدنية، تتحدث عن الآخرة، والحساب الدقيق فيها.

* لم يرد في فضل سورة الزلزلة حديث صحيح كما قرر ذلك أهل العلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ **رجت، وحركت بقوة** ﴿الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ **تحريكها الشديد** ﴿١﴾ **وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا** **ما في بطنها من الموتى والكنوز** ﴿٢﴾

وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٢﴾ مَا الَّذِي حَدَثَ لَهَا؟ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٣﴾
 تخبر الأرض بما عمل عليها ﴿٤﴾ بَأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴿٥﴾ بِسَبَبِ أَنْ رَبَّكَ
 أمرها بأن تخبر بذلك ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ ﴿٦﴾ يَرْجِعُونَ عَنْ مَوْقِفِ
 الحساب ﴿أَشْنَاءًا﴾ أَصْنَافًا مُتَفَرِّقِينَ ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ لِيَرِيَهُمُ اللَّهُ مَا عَمَلُوا،
 ويجازيهم عليه ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴿٧﴾ وَزَنَ نَمْلَةً صَغِيرَةً
 خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

﴿يَرَهُ﴾ في معنى هذه الرؤية قولان: أحدهما: أنه يراه في كتابه. والثاني: يرى جزاءه. ابن الجوزي

* هذه الآية فيها غاية الترغيب في فعل الخير ولو قليلا، والترهيب من فعل الشر، ولو حقيرا. السعدي

* عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطِي بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيَجْزِي بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتٍ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يَجْزِي بِهَا» مُسْلِمٌ

سورة العاديات

سورة العاديات، سورة مكية، تتحدث عن طبيعة الإنسان، وحث المنشغلين بالدنيا على العمل للآخرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَدِيدِ صَبَحًا﴾ قسم بالخيال الجارية في سبيل الله حين يظهر صوتها من
 سرعة عدوها ﴿١﴾ فَأَلْمُورِبَتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَاَلْمُوقِدَاتِ بِحَوَافِرِهَا النَّارُ مِنْ شِدَّةِ
 عدوها ﴿٢﴾ فَأَلْمُغِيرَتِ صَبْحًا ﴿٣﴾ فَالْخَيْلِ الَّتِي تَغِيرُ، وَتَبَاغَتِ الْعَدُوُّ صَبَاحًا
 ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ ﴿٤﴾ فَهَيَّجْنَ ﴿٥﴾ نَقَعًا ﴿٦﴾ غَبَارًا ﴿٧﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٨﴾ فَتَوْسَطْنَ
 بِرُكَابِهِنَّ جَمْعَ الْأَعْدَاءِ ﴿٩﴾

﴿وَالْعَدِيدِ ضَبْحًا﴾ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ أقسم الله على شدة جحود الإنسان بالعاديات ضبحاً، ومناسبة ذلك تذكير الجاحد بأن الخيل لا ينسى فضل مالكة عليه، فيورد نفسه المهالك لأجله؛ تقديرًا لنعمة المنعم، فلا تكن البهيمة خيراً وأوفى منك أيها الإنسان. د. محمد الخضير، ليدبروا آياته.

﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ **لمقر على جحوده** ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ **المال** ﴿لَشَدِيدٌ﴾ ﴿٨﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ **أثير، وأخرج** ﴿مَا فِي الْقُبُورِ﴾ ﴿٩﴾ وَخُصِّلَ **استخرج، وأبرز** ﴿مَا فِي الصُّدُورِ﴾ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

سورة القارعة

سورة القارعة، سورة مكية، تتحدث عن أهوال القيامة، وفيها الحث على العمل الصالح، وترك العمل السيء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْقَارِعَةُ﴾ **القيامة التي تقرر القلوب بأهوالها** ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٥﴾ **كالصوف المصبوغ بألوان مختلفة** ﴿الْمَنْفُوشِ﴾ **الذي مزق ونفش فتفرقت أجزاؤه** ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٧﴾ **رجحت موازين حسناته** ﴿٨﴾ فَأَمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ **فماواه إلى جهنم يهوي فيها على رأسه** ﴿١٠﴾

﴿فَأَمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ قيل: معناه: فهو ساقط هاو بأم رأسه في نار جهنم. وعبر عنه بأمه-يعني دماغه-روي نحو هذا عن ابن عباس ... وقيل: معناه: ﴿فَأَمُّهُ﴾ التي يرجع إليها، ويصير في المعاد إليها ﴿هاوِيَةٌ﴾ وهي اسم من أسماء النار. قال ابن جرير: وإنما قيل للهاوية: أمه؛ لأنه لا مأوى له غيرها. ابن كثير

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهٗ ﴿١٠﴾ نَارُ حَامِيَهٗ﴾ حارة قد اشتد إيقادها ﴿١١﴾﴾

﴿نَارُ حَامِيَهٗ﴾ عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «نار بني آدم التي توقدون جزءاً من سبعين جزء من نار جهنم». قالوا: يا رسول الله، إن كانت لكافية. فقال: «إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً». ابن كثير، والحديث في الصحيحين.

سورة التكاثر

سورة التكاثر، سورة مكية، فيها تذكير للمشغلين بالدنيا بالموت والحساب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَكُمُ﴾ شغلکم عن طاعة الله ﴿التَّكَاثُرُ﴾ التفاخر بكثرة الأموال والأولاد والمتاع ﴿١﴾﴾

﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ قال حمزة الكناني: خرجت حديثاً واحداً عن النبي ﷺ من نحو مائتي طريق، فداخني لذلك من الفرح غير قليل، وأعجبت بذلك، فرأيت يحيى بن معين في المنام، فقلت: يا أبا زكريا، خرجت حديثاً من مائتي طريق، فسكت عني ساعة، ثم قال: أخشى أن تدخل هذه تحت ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]، ينظر: جامع بيان العلم وفضله، وليدبروا آياته.

﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ دفنتم في القبور ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ العرب إذا أرادت التخليط في التخويف والتهديد كرّروا الكلمة مرتين. الطبري

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ حق العلم ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ لتبصرن جهنم يقيناً بلا ريب ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ كل أنواع النعم من الأمن والأهل والمطعم ونحوها ﴿٨﴾﴾

﴿ ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ الذي تنعمتم به في دار الدنيا، هل قمتم بشكره، وأديتم حق الله فيه، ولم تستعينوا به، على معاصيه، فينعمكم نعيماً أعلى منه وأفضل. أم اغتررتم به، ولم تقوموا بشكره؟ بل ربما استعنتم به على معاصي الله، فيعاقبكم على ذلك. السعدي

﴿ ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ عن أبي هريرة، قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم - أو ليلة - فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟» قالوا: الجوع، يا رسول الله، قال: «وأنا، والذي نفسي بيده، لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا»، فقاموا معه، فأتى رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة، قالت: مرحباً وأهلاً، فقال لها رسول الله ﷺ: «أين فلان؟» قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله، ما أحد اليوم أكرم أضيافاً مني، قال: فانطلق، فجاءهم بعدق فيه بسر وتمر ورطب، فقال: كلوا من هذه، وأخذ المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: «إياك، والحلوب»، فذبح لهم، فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق، وشربوا، فلما أن شبعوا ورووا، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر، وعمر: «والذي نفسي بيده، لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم» مسلم.

﴿ ٦٠٠ ﴾

سورة العصر

سورة العصر، سورة مكية، فيها بيان الرابع والخاسر من المكلفين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرُ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ٣ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ٤﴾

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ فبالأمرين الأولين، يكمل الإنسان نفسه، وبالأمرين الآخرين يكمل غيره،

وبتكميل الأمور الأربعة، يكون الإنسان قد سلم من الخسار، وفاز بالربح العظيم . السعدي

سورة الهمزة

سورة الهمزة، سورة مكية، فيها الوعيد للمتعالين الساخرين من الدين وأهله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۚ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ، (٢) يُحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ، (٣) كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْعِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (٩)﴾

سورة الفيل

سورة الفيل، سورة مكية، تركز على إظهار قدرة الله على حماية بيته الحرام؛ تذكيراً للناس وامتناناً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ ۚ (١) أَلَمْ تَعْلَمْ؟ ۚ (٢) كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۚ (٣) أَبْرَهَةَ الْخَبَشِيِّ وَجِيشَهُ (٤) الَّذِينَ أَرَادُوا تدمير الكعبة﴾

﴿بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ خلاصته أن أبرهة الأشرم والي اليمن من قبل ملك الحبشة قد رأى أن يبني بيتاً في صنعاء اليمن يدعو العرب إلى حجه بدل حجهم البيت الحرام، والقصد من ذاك تحويل التجارة والمكاسب من مكة إلى اليمن، وعرض هذا على الملك الحبشي فوافق، وسره ذلك، ولما بني البيت (الكنيسة) وسماها القليس لم يبين مثلها في تاريخها، جاء رجل قرشي، فتغوط فيها، ولطخ جدرانها بالعدرة غضباً منه وذهب، فلما رآها أبرهة الأشرم بتلك الحال استشاط غيظاً، وجهز جيشاً لغزو مكة، وهدم الكعبة، وكان معه ثلاثة عشر فيلاً، ومن بينها فيل يدعى محموداً، وهو أكبرها، وساروا ما وقف في وجههم حي من أحياء العرب إلا قاتلوه، وهزموه حتى انتهوا إلى قرب مكة، وجرت سفارة بينهم

وبين شيخ مكة عبد المطلب، بن هاشم جد النبي ﷺ وانتهت المفاوضات بأن يرد أبرهة إبل عبد المطلب ثم هو وشأنه بالكعبة، وأمر رجال مكة أن يخلوا البلد، ويلتحقوا برؤوس الجبال بنسائهم وأطفالهم خشية المعرة تلحقهم من الجيش الغازي والظالم، وما هي إلا أن تحرك جيش أبرهة، ووصل إلى وادي محسر، وهو في وسط الوادي سائر، وإذا بفرق من الطير، فرقة بعد أخرى، ترسل على ذلك الجيش حجارة، الواحدة ما بين الحمصة والعدسة في الحجم، وما تسقط الحجرة على رجل إلا ذاب، وتناثر لحمه، فهلكوا، وفر أبرهة، ولحمه يتناثر، فهلك في الطريق، وكانت هذه نصرة من الله لسكان حرمه، وحماة بيته، ومن ثم ما زالت العرب تحترم الكعبة والحرم وسكانه إلى اليوم. الجزائري

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ ﴿١﴾ إنما حمى الله عز وجل الكعبة عن هذا الفيل مع أنه في آخر الزمان سوف يُسلط عليها رجل من الحبشة يهدمها حجراً حجراً حتى تتساوى بالأرض؛ لأن قصة أصحاب الفيل مقدمة لبعثة الرسول محمد ﷺ التي يكون فيها تعظيم البيت. أما في آخر الزمان فإن أهل البيت إذا أهانوه وأرادوا فيه بإلحاد بظلم، ولم يعرفوا قدره حيثئذ يسلط الله عليهم من يهدمه حتى لا يبقى على وجه الأرض، ولهذا يجب على أهل مكة خاصة أن يحترزوا من المعاصي والذنوب والكبائر، لئلا يهينوا الكعبة فيذلهم الله عز وجل. ابن عثيمين في تفسيره. «ل».

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾ ﴿٢﴾ تدميرهم وسعيهم لتخريب الكعبة ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ ﴿٣﴾ تضييع وإبطال وخسار ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ ﴿٤﴾ جماعات متتابعة ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ ﴿٥﴾ محطمين كأوراق الزرع اليابسة التي أكلتها البهائم، ثم رمت بها

سورة قريش

سورة قريش، سورة مكية، تركز على الامتنان على قريش، وما يلزمهم تجاه ذلك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا يَلْفِ قَرِيشَ﴾ ﴿١﴾

﴿لَا يَلْفِ قَرِيشَ﴾ أي: اعجبوا لقريش ما ألفوه واعتادوه من الرحلتين وتركهم عبادة الله. أو المعني: لتعبد قريش ربها لإنعامه عليهم باعتياد الرحلتين. د. محمد الخضير.

* قال الزجاج: هي مردودة إلى ما بعدها تقديره: فليعبدوا رب هذا البيت؛ لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف. البغوي

﴿إِلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ﴾ ﴿٢﴾ إِلَى الْيَمَنِ ﴿٣﴾ وَأَصْصِفِ ﴿٤﴾ إِلَى الشَّامِ ﴿٥﴾

﴿إِلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَأَصْصِفِ﴾ قال قتادة: كان أهل مكة تجارا يعتادون ذلك شتاء وصيفا، آمنين في العرب، وكانت العرب يغير بعضها على بعض، لا يقدرّون على ذلك، ولا يستطيعونه من الخوف، حتى إن كان الرجل منهم ليُصاب في حيٍّ من أحياء العرب، وإذا قيل: حَرَمِيٌّ، حُلِّيَ عنه وعن ماله؛ تعظيماً لذلك فيما أعطاهم الله من الأمن. الطبري

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ ﴿٦﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٧﴾

سورة الماعون

سورة الماعون، سورة مكية، فيها بيان شيء من أخلاق المكذبين بالدين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾ ﴿١﴾ بِالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ ﴿٢﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٣﴾ يَدْفَعُ الْيَتِيمَ عَنْ حَقِّهِ ﴿٤﴾ وَلَا يَحْضُرُ ﴿٥﴾ لَا يَحِثُّ

الناس ﴿٤﴾ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٢﴾ فَوَيْلٌ ﴿٥﴾ فَعَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٦﴾ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٧﴾
 الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٨﴾ غَيْرِ مُبَالِينَ بِهَا يُؤَخِّرُونَهَا عَنْ وَقْتِهَا، وَلَا
 يَقِيمُونَهَا عَلَى وَجْهِهَا ﴿٩﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿١٠﴾ يَظَاهِرُونَ بِأَعْمَالِهِمْ مِرَاءَةَ
 النَّاسِ ﴿١١﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿١٢﴾ يَمْنَعُونَ إِعَارَةَ مَا لَا تَضُرُّ إِعَارَتَهُ مِنَ الْآنِيَةِ
 وَغَيْرِهَا؛ لِبَخْلِهِمْ ﴿١٣﴾

﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ منع الماعون من صفات المنافقين والمانع لما المسلمون في
 حاجة إليه ليس منهم؛ لحديث: «من لم يهتم بأموال المسلمين فليس منهم»
 فكيف بالذي يمنعهم ما هو فضل عنده وهم في حاجة إليه؟ الجزائي

سورة الكوثر

سورة الكوثر، سورة مكية، تركز على منة الله على النبي ﷺ، وعاقبة المبغضين
 له.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿١﴾ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ، وَمِنْهُ نَهْرُ الْكَوْثَرِ فِي الْجَنَّةِ ﴿٢﴾

﴿الْكَوْثَرَ﴾ طوله شهر، وعرضه شهر، ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من
 العسل، آيته كنجوم السماء في كثرتها واستنارتها، من شرب منه شربة لم يظمأ
 بعدها أبدا. ولما ذكر منته عليه، أمره بشكرها، فقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾
 خص هاتين العبادتين بالذكر؛ لأنها من أفضل العبادات وأجل القربات.
 السعدي

﴿الْكَوْثَرَ﴾ جاء في مسلم عن أنس، قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين
 أظهرنا إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسما، فقلنا: ما أضحكك يا رسول
 الله؟ قال: «أنزلت علي آتفا سورة» فقرأ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا
 أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿١﴾ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ ﴿٢﴾ إِيَّاكَ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ
 ﴿٣﴾ ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟» فقلنا الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه نهر
 وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آيته

عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب، إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك» زاد ابن حجر، في حديثه: بين أظهرنا في المسجد. وقال: «ما أحدث بعدك»، وفي البخاري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قال: سألتها عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ قالت: «نهر أعطيه نبيكم ﷺ، شاطئاه عليه در محوف، آنيته كعدد النجوم».

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ اذبح ذبيحتك لله وحده ﴿٢﴾ ﴿إِن شِئْتَ﴾ مَبْغُضُكَ ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ المنقطع أثره المقطوع من كل خير ﴿٣﴾

﴿إِن شِئْتَ﴾ شِئْتَ هُوَ الْأَبْتَرُ ظاهر الآية العموم، وأن هذا شأن كل من يبغض النبي ﷺ، ولا ينافي ذلك كون سبب النزول هو العاص بن وائل، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. الشوكاني

﴿إِن شِئْتَ﴾ شِئْتَ هُوَ الْأَبْتَرُ قال يزيد بن رومان: كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله ﷺ قال: دعوه لنا، فإنه رجل أبتَر، لا عقب له، فإذا هلك انقطع ذكره، فأنزل الله تعالى هذه السورة. البغوي

﴿ ٦٠٢ ﴾

سورة الكافرون

سورة الكافرون، سورة مكية، تركز على تقرير توحيد العبادة، والبراءة من الشرك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَتَّيْنَاهُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١﴾

﴿قُلْ يَتَّيْنَاهُ الْكَافِرُونَ﴾ عن أبي هريرة، «أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر: ﴿قُلْ يَتَّيْنَاهُ الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾» مسلم، وفي حديث جابر في الحج «ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام، فقرأ: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] فجعل المقام بينه وبين البيت، فكان أبي يقول - ولا أعلمه ذكره إلا عن النبي ﷺ -: كان يقرأ في الركعتين ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ

أَحَدٌ ﴿١﴾ وَقُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ ﴿٢﴾ مسلم.

﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ﴾ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: سَأَلْنَا عَائِشَةَ، بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يُؤْتَرُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَتْ: كَانَ يَقْرَأُ فِي الْأُولَى: بِ {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}، وَفِي الثَّانِيَةِ بِ {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، وَفِي الثَّالِثَةِ بِ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ. الترمذي

* سورة الكافرون فيها توحيد العبادة، وسورة الصمد فيها توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وتسميان سورتي الإخلاص؛ ولذا تشرع قراءتهما في أول اليوم في سنة الفجر، وفي ركعتي الطواف، وفي آخر الوتر، تحقيقاً للتوحيد وتجديداً له. د. محمد الخضير، ليدبروا آياته.

﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٢﴾

﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ قيل: إنهم من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله هذه السورة، وأمر رسوله ﷺ فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية. ابن كثير

﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ ﴿٢﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٣﴾ لَا أَعْبُدُ مُسْتَقْبَلًا مَا عَبَدْتُمْ مِنَ الْأَلْهَةِ الْبَاطِلَةِ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ لا يدل على رضاه بدينهم، بل ولا على إقرارهم عليه، بل يدل على براءته من دينهم، ولهذا قال النبي ﷺ: «إن هذه السورة براءة من الشرك». ابن تيمية في الجواب الصحيح

سورة النصر

سورة النصر، سورة مدنية، تركز على بيان أن عاقبة الإسلام النصر والفتح، وما يشرع عند حصول ذلك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فتح مكة ، وكان ذلك في العام الثامن الهجري

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ قال الحسن: لما فتح الله عز وجل مكة على رسوله قالت العرب بعضها لبعض: إذا ظفر محمد بأهل الحرم، وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل، فليس لكم به يدان، فكانوا يدخلون في دين الله أفواجا بعد أن كانوا يدخلون واحدا واحدا، واثنين اثنين. البغوي

* عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: قال لي ابن عباس: تعلم آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت جميعاً؟ قلت: «نعم»، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، قال: صدقت. مسلم

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾
فنزله ربك تنزيها مصحوبها بحمده ﴿وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (٣)

﴿وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ قال ابن عباس: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم، ودعاني معهم، قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريم مني، فقال: ما تقولون في قوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ حتى ختم السورة؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله، ونستغفره إذا جاء نصر وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، ولم يقل بعضهم شيئا، فقال لي: يا ابن عباس أكذلك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه به: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فتح مكة، فذلك علامة أجلك. ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم. البغوي، والأثر في البخاري.

﴿وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ قد عهد أن الأمور الفاضلة تختم بالاستغفار، كالصلاة والحج، وغير ذلك. فأمر الله لرسوله بالحمد والاستغفار في هذه الحال، إشارة إلى أن أجله قد انتهى. السعدي

سورة المسد

سورة المسد، سورة مكية، تركز على توعد المعادين للدعوة بالهوان والعذاب في الدنيا والآخرة، وخص أبو لهب وامرأته لعظم عداوتهم للنبي ﷺ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ ﴾ خسرت وهلكت ﴿يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ حصل له الخسار والهلاك ﴿١﴾

﴿أَبِي لَهَبٍ﴾ ظن قوم أن في هذا دليلاً على تكنية المشرك، وهو باطل، وإنما كناه الله بأبي لهب - عند العلماء - لمعان منها: أنه كان اسمه عبد العزى، والعزى: صنم، ولم يصف الله في كتابه العبودية إلى صنم. الثاني: أنه كان بكنيته أشهر منه باسمه، فصرح بها. الثالث: أن الله تعالى أراد أن يحقق نسبته، بأن يدخله النار، فيكون أباً لها، تحقيقاً للنسب، وإمضاء للفأل والطيرة التي اختارها لنفسه. وقد قيل: اسمه كنيته. فكان أهله يسمونه (أبا لهب)، لتلهب وجهه وحسنه، فصرّفهم الله عن أن يقولوا: أبو النور، وأبو الضياء الذي هو المشترك بين المحبوب والمكروه، وأجرى على ألسنتهم أن يضيفوه إلى (لهب) الذي هو مخصوص بالمكروه المذموم، وهو النار. ثم حقق ذلك بأن يجعلها مقره. ينظر: تفسير القرطبي

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ﴾ ما دفع عنه الخسار ﴿مَا لَهُ، وَمَا كَسَبَ﴾ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَأَمْرَأَتُهُ ﴿٤﴾ أُمِّ جَمِيلٍ ﴿٥﴾ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٦﴾ تَحْمِلُ الشَّوْكَ فَتَطْرَحُهُ فِي طَرِيقِ النَّبِيِّ ﷺ لِتُؤْذِيهِ ﴿٧﴾ فِي جِيدِهَا ﴿٨﴾ عَنَقُهَا ﴿٩﴾ حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿١٠﴾ مِنْ لَيْفٍ شَدِيدٍ خَشَنَ تَرْفَعُ بِهِ فِي النَّارِ ثُمَّ تَرْمِي ﴿١١﴾

سورة الإخلاص

سورة الإخلاص، سورة مكية، تركز على إثبات تفرد الله بالكمال والألوهية، وتنزهه عن النقص.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ السَّيِّدُ الَّذِي كَمَلُ فِي سُؤْدَدِهِ وَغَنَاهُ
وَالَّذِي يُقْصَدُ فِي قَضَاءِ الْحَوَائِجِ ﴿٣﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٤﴾ وَلَمْ
يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٥﴾﴾ مَكَافَأًا وَمِثَالًا وَنَظِيرًا ﴿٦﴾﴾

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ:
انسب لنا ربك، فأنزل الله تعالى هذه السورة. البغوي
* وعن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ، قال: «أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث
القرآن؟» قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل
ثلث القرآن». مسلم، وبنحوه عند البخاري.

* وعن عائشة، أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه
في صلاتهم، فيختم بـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلما رجعوا ذكر ذلك لرسول الله
ﷺ، فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟» فسألوه، فقال: «لأنها صفة الرحمن،
فأنا أحب أن أقرأ بها، فقال رسول الله ﷺ: «أخبروه أن الله يحب». متفق عليه
* وعن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه، نفث
في كفيه بـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وبالمعوذتين جميعاً، ثم يمسح بهما وجهه، وما
بلغت يده من جسده» قالت عائشة: «فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك
به» البخاري.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عن عبد الله بن خبيب أنه قال: خرجنا في ليلة مطر،
وظلمة شديدة، نطلب رسول الله ﷺ ليصلي لنا، فأدركناه، فقال: أصليت؟
فلم أقل شيئاً، فقال: «قل» فلم أقل شيئاً، ثم قال: «قل» فلم أقل شيئاً، ثم قال:
«قل» فقلت: يا رسول الله، ما أقول؟ قال: «قل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»

والمعوذتين حين تسمي، وحين تصبح، ثلاث مرات تكفيك من كل شيء». أبو داود، وحسنه الألباني.

سورة الفلق

سورة الفلق، سورة مكية، تركز على التحصن والاعتصام بالله من الشرور الظاهرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ اعتصم والتجئ ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ الصبح ﴿١﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ عن عقبة بن عامر، قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذتين في دبر كل صلاة. الترمذي.

﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ ٢ ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ﴾ ليل شديد الظلمة ﴿إِذَا وَقَبَ﴾
﴿إِذَا دَخَلَ ظَلَامُهُ﴾ وتغلغل ﴿٣﴾ ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾
الساحرات اللواتي ينفخن بلا ريق في عقد الخيط بقصد السحر ﴿٤﴾ ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ ٥

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ عن قتادة قال: من شر عينه ونفسه. الطبري

سورة الناس

سورة الناس، سورة مكية، تركز على الاعتصام، والتحصن بالله من شر الشيطان ووسوسته، ومن الشرور الخفية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ مربيهم وخالقهم ومدبر أحوالهم

﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾ إن قيل: لم خص الناس هاهنا بأنه ربهم، وهو رب كل شيء؟ فعنه جوابان: أحدهما: لأنهم معظمون متميزون على غيرهم. الثاني: لأنه لما أمر بالاستعاذة من شرهم أعلم أنه ربهم؛ ليعلم أنه هو الذي يعيذ من شرهم. ابن الجوزي

﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مَعْبُودِهِمُ الْحَقِّ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوسَّوْسُ فِي
 الْغَفْلَةِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾ الْوَسْوَاسِ الْخَفِيِّ ﴿٧﴾ الَّذِي يَلْقَى شُكُوكَهُ وَأَبَاطِيلَهُ فِي الْقُلُوبِ عِنْدَ الْغَفْلَةِ
 وَانْسِيًّا

نبذة من علوم القرآن

يحسن بالقارئ في التفسير الإمام بها^(١)

القرآن هو: كلام الله المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته^(٢).

ومن أهم الفروق بينه وبين الحديث القدسي: أن الحديث القدسي لم يقع بلفظه التحدي، ويجوز لمس غير المتطهر له، وأن الحديث القدسي تجوز روايته بالمعنى - بخلاف القرآن في جميع ما سبق -.

*** التحدي بالقرآن:** اشتهر قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالسحر، وقوم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالطب، فكان يظهر في معجزات كل منهما لكل ذي لب أنها ليست من صنع البشر، وإنما هي بتقدير رب البشر. ولما اشتهر العرب بالفصاحة جاء محمد ﷺ بما أهرهم سماعه، وعجزوا عن محاكاته، وصاروا يتناهون عن الإصغاء إليه خشية أن يؤثر فيهم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

جاء في سيرة ابن هشام أن أبا سفيان بن حرب، وأبا جهل بن هشام، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي، حليف بني زهرة، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ، وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا.

فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلة الثانية، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود: فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرقوا... (ثم ذكر قصة الأخنس حينما ذهب إلى أبي جهل يسأله عن معنى ما سمع): قال: ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل، فدخل عليه بيته، فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاذبنا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذه، والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدق. قال: فقام عنه الأخنس وتركه.

*** جمع القرآن:** جاء في الإتيان في علوم القرآن (١/٢٠٢): «قال الخطابي: إنما لم يجمع القرآن في

(١) قصدت إلى الأهم - من وجهة نظر الباحث - فقط، ولم أقصد إلى استيعاب الفروق وتحقيق التعريفات... إلخ.

(٢) ينظر: دراسات في علوم القرآن ص ٢٣.

المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته ﷺ، ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بوعده الصادق بضمهان حفظه على هذه الأمة، فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر».

*** جاء في البخاري عن زيد بن ثابت الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وكان ممن يكتب الوحي - قال: «أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني، فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه، وإني لأرى أن تجمع القرآن، قال أبو بكر: قلت لعمر: «كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟» فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري، ورأيت الذي رأى عمر، قال زيد بن ثابت: وعمر عنده جالس لا يتكلم، فقال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل، ولا تهملك، «كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ»، فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: «كيف تفعّلان شيئاً لم يفعله النبي ﷺ؟» فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم أزل أراجع حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر، فقمت فتتبع القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف، والعصب وصدور الرجال...»^(١).**

- فنجد أن السبب الأول في جمع أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخشية من ذهاب بعض القرآن لذهاب حفظته.

*** ثم لما توسعت الفتوحات ظهر من بعض المسلمين خلاف في وجوه القراءة فرأى عثمان جمع الناس على العريضة الأخيرة، ورسمه على حرف واحد «حرف قریش» (والقراءات المتواترة هي جزء من الأحرف السبعة)^(٢).**

كما أن مما قصده عثمان التأكيد على عدم القراءة مما نسخ من لفظ القرآن.

*** النسخ:** وهو: رفع الحكم الشرعي بحكم آخر متأخر عنه.

وقد ينسخ اللفظ فقط كآية الرجم للزاني المحصن، نسخت وبقي حكمها.

وقد ينسخ اللفظ والحكم ككون الرضاع لا يثبت إلا بعشر رضعات، نسخ اللفظ، وتغير الحكم^(٣).

(١) القصد من ذلك المبالغة في الاستظهار؛ واليقين لأن زيداً لا يكتبه لنفسه وإنما للأمة. ينظر: فتح الباري (١٥/٩)، دراسات في علوم القرآن ص ٨٦.

(٢) ذكر جمع من أهل العلم أن الأحرف السبعة كقولهم: هلم، أقبل، تعال. وجاء في فتح الباري بعد أن ذكر بعض كلام أهل العلم في ذلك: «ويمكن الجمع.. بأن يكون المراد بالأحرف تغاير الألفاظ مع اتفاق المعنى، مع انحصار ذلك في سبع لغات». فتح الباري لابن حجر (٩/٢٨)، وجاء في تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة الحكمة من نزوله على سبعة أحرف: «ولو أن كل فريق من هؤلاء (أي من العرب)، أمر أن يزول عن لغته، وما جرى عليه اعتياده طفلاً، وناشئاً، وكهلاً - لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان، وقطع للعادة. فأراد الله برحمته ولطفه، أن يجعل لهم متسعاً في اللغات، ومتصرفاً في الحركات». ينظر: تأويل مشكل القرآن (ص: ٣٢)، فكان في ذلك رخصة من الله على عباده، ولذلك أيضاً حكم أخرى مبسطة في كتب أهل العلم.

(٣) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: «كان فيما أنزل من القرآن: (عشر رضعات معلومات يحرمن)، ثم نسخن، ب (خمس معلومات)، فتوفي رسول الله ﷺ، وهن فيها يقرأ من القرآن».

وقد ينسخ الحكم ويبقى اللفظ

- تعبدًا لله بتلاوته و

- بيانًا لتيسير الله على الأمة إذا كان إلى الأخف - وهو الأغلب - مثل جواز الأكل في رمضان (بعد نوم الليل قبل الفجر) بعد أن كان محرماً. ينظر سورة البقرة آية ١٨٧

- وإظهاراً لما كان عليه التشريع من التدرج فيما لو كان إلى الأشد، مثل التدرج في تحريم الخمر.

*** نزول القرآن:** نزل القرآن إلى بيت العزة في السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم أنزل منجماً على الرسول في ثلاث وعشرين سنة؛ لتثبت قلب النبي ﷺ، واستمرار تحدي المشركين على أن يأتوا بمثله، ومن الحكم أيضاً تيسير حفظه وفهمه على الصحابة، ومسيرة الحوادث، والإجابة عن الأسئلة، والتدرج في التشريع، وغير ذلك من الحكم المبسوطة في كتب مباحث علوم القرآن.

*** القرآن وإن نزل على وقائع معينة «أسباب النزول»** فإن من المتقرر عند أهل العلم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

*** أما عن طريقة نزول الوحي** فقد جاء عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن الحارث بن هشام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول» قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً. أخرجه البخاري

*** المكي والمدني:** المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن نزل بمكة كقوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ و﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾.

ومن خصائص السور المكية أنها تقرر في أغلبها العقيدة الصحيحة، وأصول الدين والأخلاق، وتفند شبه المشركين، وفيها بسط لقصص الأنبياء لما فيها من العبر وتسلية للدعاة - وإمامهم محمد ﷺ - عن تكذيب المكذبين.

أما السور المدنية فهي تقرر الأحكام التفصيلية، والحدود، وفيها التحذير من المنافقين، وتفنيده شبه اليهود والنصارى، ودعوتهم إلى الحق.

وقد توجد بعض الآيات المكية في السور المدنية والعكس كذلك.

*** فائدة:** قال الشيخ ابن سعدي - رحمه الله - في القواعد الحسان: الأصل: أن الآيات التي فيها قيود لا تثبت أحكامها إلا بوجود تلك القيود، إلا في آيات يسيرة... واعلم أن الله تعالى يذكر الأحكام الشرعية من أصول وفروع، ويذكر أعلى حالة لها ليرزها لعباده، وليظهر لهم حسناتها، إن كانت مأموراً بها، أو قبحها إن كانت منهيّاً عنها. وعند تأمل هذه الآيات التي بهذا الصدد يظهر لك هذا

منها عياناً. فمنها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ [المؤمنون: ١١٧] ومن المعلوم أن من دعا مع الله إلهاً آخر فإنه كافر، وأنه ليس له برهان مطلقاً. وإنما قيدها الله بهذا القيد بياناً لشناعة الشرك والمشرک وأن الشرك ليس له دليل شرعي، ولا عقلي قطعاً، والمشرک ليس بيده ما يُسوِّغ له شيئاً من ذلك. ففائدة هذا القيد: التشجيع البليغ على المشركين من المعاندة ومخالفة البراهين الشرعية والعقلية، وأنه ليس بأيديهم إلا أغراض نفسية ومقاصد سيئة، وأنهم لو التفتوا أدنى التفات لعرفوا أن ما هم عليه لا يستجيزه من له أدنى إيمان ولا معقول.

ومنما قوله تعالى: ﴿وَرَبِّيبُكُمْ أَلَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ [النساء: ٢٣] مع أن كونها في حجره أو في غير حجره ليس شرطاً لتحريمها، فإنها تحرم مطلقاً. ولكن ذكر الله هذا القيد تشجيعاً لهذه الحالة، وأنه من القبيح إباحة الربية التي هي في حجر الإنسان بمنزلة بنته. فذكر الله المسألة متجليةً بثياب قبحها، لينفر عنها ذوي الأبواب، مع أن التحريم لم يُعلَقْ بمثل هذه الحالة. فالأنثى إما أن تكون مباحة مطلقاً، أو محرمة مطلقاً، سواء كانت عند الإنسان أم لا. كحالة بقية النساء المحلات والمحرّمات.

ومنما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: ٣١] و﴿مَنْ إِمْلَاقٍ﴾ [الأنعام: ١٥١] مع أن المعلوم النهي على قتل الأولاد على أي حال. فالفائدة في ذكر هذه الحالة: أنها حالة جامعة للشرك كله: كونه قتل بغير حق، وقتل مَنْ جُبِلَت النفوس على شدة الشفقة عليه شفقة لا نظير لها، وكون ذلك صادرًا عن التسخط لقدر الله، وإساءة الظن بالله. فأولئك الذين يقتلون أولادهم خشية الفقر والإملاق إنما يقتلونهم تبرماً وتسخطاً بقدر الله، فهم قد تبرموا بالفقر هذا التبرم، وأساءوا ظنونهم برهم حيث ظنوا أنهم إن أبقوهم زاد فقرهم، واشتدت فاقتهم، فصار الأمر بالعكس. وأيضاً فإنه إذا كان منهيًا عن قتلهم في هذه الحال التي دفعهم إليها خشية الفقر وحدثه، ففي حال سعة الرزق من باب أولى وأحرى... إلخ.

ثم أفاض في ذكر الأمثلة في كلام بديع يحسن مراجعته. القواعد الحسان ص ٧٦.

الإعجاز العلمي للقرآن: جاء تعريفه في كتاب دراسات في علوم القرآن أنه: «اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم ومكتشفات العلم التجريبي والربط بينهما بوجه من الوجوه»... ثم ذكر الدكتور فهد الرومي كلام أهل العلم فيه ثم قال: «لا بأس - فيما أرى - من إيراد الحقائق العلمية الثابتة في تفسير القرآن بشرط:

- ١- ألا تطغى تلك المباحث على المقصود الأول من القرآن وهو الهداية.
- ٢- أن تذكر تلك العلوم لأجل تعميق الشعور الديني لدى المسلم، والدفاع عن العقيدة ضد أعدائها.
- ٣- أن تذكر تلك الأبحاث على وجه يدفع المسلمين إلى النهضة العلمية.

٤- أن لا تذكر هذه الأبحاث على أنها هي التفسير الذي لا يدل النص القرآني على سواه، بل تذكر لتوسيع المدلول، وللاستشهاد بها على وجه لا يؤثر بطلانها فيما بعد على قداسة النص القرآني؛ ذلك أن تفسير النص القرآني بنظرية قابلة للتغيير والإبطال يثير الشكوك حول الحقائق القرآنية في أذهان الناس كلما تعرضت نظرية للرد أو البطلان^(١).

فإذا تحققت هذه الشروط فلا مانع من إيراد الحقائق العلمية في كتب التفسير والله أعلم^(٢).

(١) مجلة كلية أصول الدين، العدد الثاني ص ٥٨، مقال: نظرات في مدرسة التفسير الحديثة. د. مصطفى مسلم.

(٢) دراسات في علوم القرآن، أ.د. فهد الرومي (ص: ٣٠٠)، وفيه: والأمثلة على الحقائق العلمية والآيات القرآنية التي توافقتها ولا تخالفها كثيرة ليس بوسعنا أن نوردتها بالتفصيل بل نذكر الآية وما تشير إليه بإيجاز شديد ومن أراد التوسع فدونه كتب الإعجاز العلمي:

١- في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥]، تفريق بين الشمس والقمر ثم أدركه العلماء بعد ذلك.

٢- في قوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالُ أَوْدَادًا﴾ (٧) وَخَلَقْنَاهُ زَوْجًا [النبا: ٧-٨]، إشارة إلى شكل الجبل الظاهر والباطن، وأدركه العلماء بعد ذلك.

٣- في قوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، إشارة إلى مراحل خلق الإنسان في الرحم ولم يدركها العلماء إلا في العصور الحديثة.

٤- في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ (٥) خُلِقَ مِنْ تَلَوٍّ دَافِيٍّ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَائِبِ [الطارق: ٥-٧]، إشارة إلى موضع تكون النطفة وهو أمر لم يدركه العلماء إلا حديثاً.

٥- في قوله تعالى: ﴿يَا تَارِيخِينَ عَلَيَّ أَنْ سُويَ بَنَاتِي﴾ [القيامة: ٤]، في تخصيص البنات بالذكر صفة تميزه عن غيره من أعضاء الجسم لم يكتشفها العلم إلا حديثاً وهو علم البصاة.

٦- في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]، إشارة إلى مركز الحس بالألم في الإنسان وهو الجلد.

٧- في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، إشارة إلى ضيق صدر من يصعد إلى السماء وهو أمر لم يكتشفه العلم إلا حديثاً حيث يقل الأوكسجين وينخفض الضغط.

٨- وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ (٥٠) وَإِنَّهُ لَفَسْرٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ [الواقعة: ٧٥-٧٦]، إشارة إلى ما اكتشف العلم الحديث بعضه من عظمة هذا الكون واتساعه الذي يقصر عن إدراكه إنسان.

٩- وفي قوله تعالى: ﴿وَلَنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِيُفَكِّرُمْ مِمَّا فِي بَطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمٍ بَنَّا خَالِصًا سَابِغًا لِلشَّرْبِ﴾ [النحل: ٦٦]، إشارة إلى ما كان مجهولاً من تحديد مصدر اللبن في الأنعام.

١٠- وفي قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (٣١) أَلَمْ يَكُنْ مِنْ مَنِيٍّ يَتَنَّى [القيامة: ٣٦-٣٧]، إشارة إلى أن الإنسان مخلوق من جزء ضئيل جداً «نطفة» من المني وهذا ما كشفه العلم الحديث.

وسبحان الذي أحاط بكل شيء علماً...».